



صحوة لوياثان

الجزء الأول من سلسلة (المُتَّسَع)





المترجم : محمد عصمت

Leviathan Wakes

صحوة لوياثان

الجزء الأول من سلسلة (المُتَّسَع)

تأليف

جيمس س. أ. كوري

ترجمة

محمد عصمت







www.yatakhayaloon.com
info@yatakhayaloon.com
@yatakhayaloon

الترجمة تحت إشراف	التحرير الادبي	الإخراج الداخلي
Bears Factor Literary Agency FZC	عمر إبراهيم د. سارة قويسي	د. نورهان سعيد

استغرقها الأمر ساعتين، بالشُّعلة وبمُساعدة عتلة من ورشة الآلات؛ لتتمكَّن أخيرًا من فتح فتحة تقودها إلى غُرفة المُحرِّكات، وتحتَّم عليها أن تفتحها يدويًّا؛ بسبب تعطُّل المكوِّنات الهيدروليكية. انفجرت عاصِفة من الريح الساخِن إلى الخارِج تحمل رائحة تُشبه رائِحة المُستشفى دون مُطهِّر -رائِحة نحاسية مُثيرة للاشمئزاز- ثُم وجدت غرفة تعذيب في استقبالها. لا بُد أن أصدقاءها بالداخِل، يُضربون، أو يُقطَّعون إلى أشلاءٍ، تشبَّثت جولي بمفتاحها، واستعدَّت لفتح رأس واحد منهم على الأقل قبل أن يقتلوها، وطافت بهدوءٍ إلى الأسفل.

كانت غُرفة المُحرِّكات ضخمةً، مُقبَّبةً مثل كاتدرائية يتوسَّطها مُفاعِل انصهار، كان هناك شيء خاطئ بشأنه؛ حيث إنها رأت طبقةً من شيءٍ يُشبه الطين تتدفَّق فوق نواة المُفاعِل في المكان الذي توقَّعَت أن ترى فيه قراءات، ودروعًا، وشاشات مُراقبة، طافت جولي نحوه ببطءٍ دون أن تُزيح يدها عن السلم، استحوَذَت الرائِحة الكريهة على المكان.

لم يكُن قوام الطين المُلتصِق حول المُفاعِل يُشبه أي شيء سبق وأن رأته من قبل، تمُر الأنابيب عبره مثل الأورِدة أو الشُّعب الهوائية، وتنبُض أجزاء منه -لم يكُن طينًا إذن- بل كان لحمًا حيًّا.

انبثق عضو من ذلك الشيء تجاهها، لم يكُن أكبر من إصبع قدم، أو إصبع صغير مُقارنةً مع حجم الشيء كُله، كان رأس القُبطان دارين.

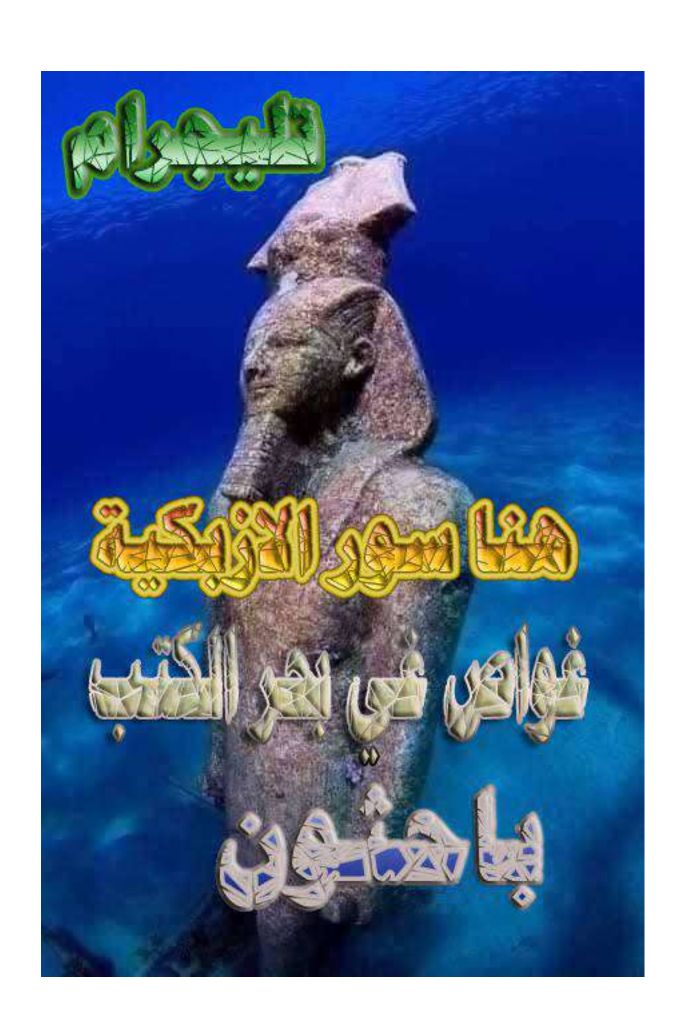
قال: «ساعديني».


أهم جروبات علي تليجرام
باحثون
هنا سور الازبكية
غواص في بحر الكتب
قناة مصر الثقافية و الفنية

إهداء

إلى جاين وكات، اللذين شجَّعاني على أحلام اليقظة المُتعلِّقة بالمركبات الفضائية.




تليجرام
هنا سور الأزبكية
غواص في بحر الكتب
باحثون

مُقدِّمة

جولي

لقد تمَّ الاستيلاء على المركبة (سكوبيولي) منذ ثمانية أيام، وأصبحت جولي ماو مُستعدَّة أخيرًا ليطلِقوا عليها النار.

استغرقها الأمر ثمانية أيام وهي مُحاصَرة في حجيرة التخزين كي تصل لهذه النُّقطة، لم تُحرِّك ساكنًا طوال أول يومين؛ خوفًا مما قد يفعله الرجال المُسلحون الذين حبسوها في الخزانة. لم تتحرَّك المركبة التي تمَّ اصطحابها إليها في الساعات الأولى، لذلك طَفَت في الخزانة، وهي تقوم بلمساتٍ خفيفةٍ لمنع نفسها من الاصطدام بالجدران، أو بالبدلة البيئية التي تُشاركها الخزانة؛ لكن فور تحرُّك المركبة، أدى ضغط الدفع إلى خلق جاذبية، وقفت بهدوءٍ حتى تشنَّجت ساقاها، ثُم جلست ببطءٍ في وضع الجنين. تبوَّلت في بدلتها، غير آبهة بالبلل الدافئ المُثير للحكَّة، أو بالرائحة، وإنما خَشَت من أنها قد تنزلِق وتسقُط في البُقعة المُبلَّلة التي تركتها على الأرض فقط. كانت تعلم أن الهدوء ضروري، فثمن الضوضاء هو حياتها.

في يومها الثالِث، دفعها العطش إلى التخلي عن هدوئها. كان ضجيج المركبة يدوي في كُل مكانٍ من حولها، طنين المُفاعِل والمُحرِّك تحت

الصوتي الخافِت. الهسيس المُستمِر، وهدير المكوِّنات الهيدروليكية، والمسامير الفولاذية تحت وطأة فتح وإغلاق أبواب الضغط الموجودة بين الطوابِق. صوت الأحذية الثقيلة التي تطأ الأرضيات المعدنية. انتظرَت حتى بات كُل الضجيج الذي سمعته بعيدًا، ثُم أزالت البدلة البيئية من خُطَّافها إلى أرضية الخزانة. فكَّكت البدلة ببطءٍ وهي تُنصِت بحرصٍ إلى أي صوت يقترِب، واستخرجت مزوِّد المياه. كانت البدلة قديمةً وباليةً؛ ومن الواضِح أنه لم يتم استخدامها أو صيانتها منذ أمدٍ بعيدٍ؛ لكنها لم تكُن قد تناوَلت رشفة ماء منذ يومين، وكانت تلك المياه الدافِئة الموحِلة الموجودة في خزان البدلة هي أفضل شيء تذوَّقته على الإطلاق، بذلت قصارى جهدها؛ كيلا تبتلعها سريعًا وتجعل نفسها تتقيَّأ.

وعندما عادَت الرغبة في التبوُّل، سحبت كيس القسطرة من البدلة وتبوَّلت بداخله حتى شعرت بالراحة. جلست على الأرض؛ لكنها توسَّدت البدلة المُبطَّنة وشبه المُريحة هذه المرَّة، وتساءلت عن هوية خاطفيها: قوَّات التحالُف البحرية، القراصِنة، أم شيء ما أسوأ، وأحيانًا ما كانت تنام.

***

وفي اليوم الرابع، دفعتها العُزلة، والجوع، والملل، وشُح الأماكِن التي تصلُح لتخزين بولها، للتواصُل مع آسريها أخيرًا. سَمِعَت صرخات ألم مكتومة، كان زملاؤها في المركبة يتعرَّضون للضرب، والتعذيب في مكانٍ قريبٍ، وإذا ما لفتت انتباه الخاطفين، فربما يأخذونها إلى الآخرين، وهو الأمر الذي سيكون جيدًا. يُمكِنها أن تتعامَل مع الضرب الذي بدا وكأنه ثمن بخس ينبغي دفعه إذا ما كان ذلك يعني رؤية الناس مرَّة أخرى.

كانت الخزانة بجوار باب غُرفة مُعادلة الضغط الداخلي، وعادةً ما تكون هذه منطقة ذات حركة مرور عالية أثناء الطيران، وعلى الرغم من أنها لم تكُن تعرف شيئًا عن تصميم هذه المركبة بالذات، فإنها فكَّرت فيما ستقوله، وفي الطريقة التي ستُقدِّم بها نفسها، وعندما سَمِعَت شخصًا يتحرَّك نحوها أخيرًا، حاولت أن تصرُخ بأنها تُريد الخروج، فاجأها الصوت الأجش الجاف الذي خرج من حلقها. ابتلعت ريقها، وهي تُحرِّك لسانها في محاولةٍ لإفراز بعض اللُّعاب، قبل أن تحاوِل مرَّة أخرى؛ لكن حشرجة خافتة أخرى خرجت من حلقها.

كان الجمع أمام باب خزانتها مُباشرةً، وكان أحدهم يتحدَّث بخفوتٍ. سحبت جولي قبضتها للخلف لتقرع الباب؛ لكنها سُرعان ما توقَّفت عندما سَمِعَت حديثه.

لا، أرجوك لا، أرجوك لا تفعل.

كان هذا ديف -ميكانيكي مركبتها- ديف: الذي يجمَع مقاطِع الرسوم المُتحرِّكة القديمة، ويعرف مليون نُكتة، يتوسَّل بصوتٍ مُحطَّمٍ خافتٍ. قال: لا، أرجوك لا. أرجوك لا تفعل.

طقطقت المكوِّنات الهيدروليكية، ومسامير القفل عند فتح باب غُرفة مُعادلة الضغط الداخلي. وسَمِعَت دوي اصطدام جسد لحمي عندما أُلقي شيء ما بالداخِل، ثُم طقطقة أُخرى مُصاحِبة لإغلاق غُرفة مُعادلة الضغط، وحفيف إخلاء الهواء.

وعندما انتهت دورة غُرفة مُعادلة الضغط، ابتعد هؤلاء الموجودون أمام باب خزانتها، واختارَت جولي ألا تجذب انتباههم.

***

قاموا بتفريغ المركبة من محتوياتها، كان الاعتقال من قِبَل أساطيل الكواكِب الداخلية سيناريو سيئًا؛ لكنهم كانوا قد تدرَّبوا جيدًا على كيفية التعامُل معه. تمَّ مَسح بيانات (أوبا) الحسَّاسة، واستبدالها بسجلاتٍ غير ضارَّة بطوابع زمنية مُزيَّفة. دمَّر القُبطان أي معلومات حسَّاسة للغاية، ولا يُمكِن الوثوق بها في الحاسوب، بحيث يُمكنهم لعب دور الأبرياء، عندما يصعَد المُهاجمون على متن المركبة؛ لكن هذا لم يكُن مُهمًّا.

لم تكُن هناك أسئلة حول الشُّحنات أو التصاريح. وطئت أقدام الغُزاة المركبة وكأنهم يمتلِكون المكان، واستسلَم القُبطان لهم كفريسة بين يدي صيَّاد. حاله كحال الجميع -مايك، وديف، ووان لي- الذين استسلموا وذهبوا بهدوءٍ. قام القراصِنة، أو النخَّاسون، أو أيًّا ما كانوا بجرِّهم من على متن مركبة النقل الصغيرة التي أصبحت بمنزلة منزلها، ووضعوهم في أنبوب رسو بدون حتى الحد الأدنى من البدلات البيئية، كانت طبقة الأنبوب الرقيقة المصنوعة من البوليستر هي الشيء الوحيد الذي يفصل بينهم وبين اللا شيء، أرجو ألا تتمزَّق، وإلا سأودِّع رئتيَّ.

كانت جولي بصحبتهم -أيضًا- لكن الأوغاد حاولوا الاعتداء عليها، وخلعوا ملابسها.

تسبَّبت في الكثير من الضرر بفضل خمس سنوات من التدريب على الفنون القِتالية في مكانٍ مُغلقٍ دون جاذبية. كانت قد بدأت تعتقِد أنها قد تُحقِّق النصر عندما اصطدمت قبضة بقفاز في وجهها. أصبحت الأمور ضبابية بعد ذلك، ثُم وجدت نفسها في الخزانة، وسيطلِقون النار عليها إذا أحدثت أي ضوضاء. مرَّت أربعة أيام من الالتزام بالهدوء التام بينما يضربون أصدقاءها بالأسفل قبل أن يلقوا بأحدهم من غُرفة مُعادلة الضغط.

وبعد ستة أيام، سيطر الهدوء على كُل شيء. كانت تتنقَّل بين نوبات من الصحو وبين أضغاث الأحلام، لم تكُن على درايةٍ تامةٍ بالأصوات المُحيطة بها سواء كانت المشي، والحديث، وأبواب غُرف الضغط، وطنين المُفاعِل والمُحرِّك تحت الصوتي الخافِت الذي يخفُت قليلًا في كُل مرَّة. انعدمت قوى الدفع عندما توقَّف المُحرِّك، وكذلك فعلت الجاذبية، أفاقَت جولي من حلمٍ كانت تتسابَق فيه بمركبتها القديمة لتجد نفسها تطفو بينما تصرُخ عضلاتها احتجاجًا، قبل أن تسترخي ببطءٍ.

سحبت نفسها نحو الباب، وضغطت أذنها إلى المعدن البارِد. تسلَّل الذُّعر إليها حتى استطاعَت أن تسمع الصوت الهادئ لأجهزة إعادة تدوير الهواء. كانت المركبة لا تزال تتمتَّع بالطاقة والهواء؛ لكن المُحرِّك لم يكُن يعمَل، ولم يكُن أحد يفتح الأبواب، أو يسير ،أو يتحدَّث. ربما كان اجتماعًا للطاقم، أو حفلة على سطحٍ آخر، أو أن الجميع في غُرفة المُحرِّكات، يقومون بإصلاح عطل خطير.

أمضت يومًا في الاستماع، والانتظار.

بحلول اليوم السابع، اختفت آخر رشفة ماء لديها. لم يتحرَّك أحد على متن المركبة في نطاق تواجدها لمُدة أربع وعشرين ساعة. امتصَّت قطعة من البلاستيك، ومزَّقت البدلة البيئية إلى أن تمكَّنت من إفراز بعض اللُّعاب، ثُم بدأت بالصراخ، صرخت حتى انقطع صوتها؛ لكن أحدًا لم يأتِ.

بحلول اليوم الثامِن، كانت مُتصالِحة مع فكرة إطلاق النار عليها. نفدت منها المياه منذ يومين، وأصبح كيس النفايات الخاص بها مليئًا منذ أربعة أيام. أسندت كتفها على جدار الخزانة الخلفي، وثبَّتت يديها على الجدارين الجانبيين، ثُم ركلت بكلتا ساقيها بكُل ما أوتيت من قوَّة. كادَت

التشنُّجات التي تبعَت الركلة الأولى أن تُفقِدها وعيها؛ لكنها صرخت بدلًا من ذلك.

قالت لنفسها: حمقاء. كانت تُعاني من الجفاف، وكانت ثمانية أيام بدون نشاط أكثر من كافية للبدء في الضمور. على الأقل كان يجب أن تُجري عملية إحماء.

قامَت بتدليك عضلاتها المُتيبِّسة إلى أن اختفت التشنُّجات، ثُم أجرت عملية الإحماء، وصبَّت جام تركيزها كما لو كانت قد عادَت إلى دوجو. وعندما سيطرت على جسدها، ركلت مرَّة أخرى، وأخرى، ثُم أخرى، حتى بدأ الضوء في الظهور عبر حواف الخزانة. ومرَّة أخرى، حتى أصبح الباب مثنيًّا لدرجة أن المفصَّلات الثلاثة وبرغي القفل كانت نقاط الاتصال الوحيدة بينه وبين الإطار. ومرَّة أخيرة، حتى انثنى لدرجةٍ كبيرةٍ بحيث لم يعُد البُرغي مُستقرًّا في رتاجه وتأرجح الباب مفتوحًا. اندفعت جولي خارِج الخزانة، وهي ترفع يديها في الهواء وتستعِد لتبدو إما مُخيفة أو خائِفة، اعتمادًا على أيهما سيبدو أكثر فائدةً.

لم يكُن هناك أي شخص على مستوى سطح المركبة بالكامِل: غُرفة مُعادلة الضغط، وحجيرة تخزين البدلات التي قضت فيها الثمانية أيام المُنصرِمة، وست غُرف تخزين أخرى. كانت جميعها فارِغة. أمسكت مفتاح ربط أنبوب مُمغنَط بحجمٍ مُناسبٍ لتهشيم جُمجمة عبر بدلة فضائية، قبل أن تهبط على سلم الطاقم إلى السطح السُفلي. هبطت سطحًا تلو الآخر؛ حيث وجدت كبائِن الطاقم مُرتَّبة في نظام شبه عسكري هش، على عكس غُرفة المؤَن؛ حيث كانت هناك علامات على حدوث صِراع. كان الجناح الطبي فارِغًا، ولم يكُن هناك أحد في مرفق الأسلِحة، كما كانت محطَّة الاتصالات غير مأهولة، وكان قد تم إيقاف تشغيلها،

وأُغلِقت. لم تُظهِر أجهزة الاستشعار القليلة التي لا تزال تعمَل أي علامة على وجود المركبة (سكوبيولي). شعَرت بخوفٍ جديدٍ يجتاح معدتها، ووجدت سطحًا تلو الآخر وغُرفة تلو الأخرى فارغة تمامًا. حدث شيء ما. تسرُّب إشعاعي. تسمُّم هوائي. حدث طارئ ما أجبرهم على الإخلاء. تساءلت عمَّا إذا كانت مؤهَّلة لقيادة المركبة بنفسها.

لكن إذا كانوا قد أخلوا المركبة، لكانت قد سَمِعتهم وهُم يخرجون من غُرفة مُعادلة الضغط، أليس كذلك؟

وَصَلت إلى فتحة السطح الأخير، تلك التي تؤدي إلى غُرفة المُحرِّكات، وتوقَّفت عندما لم يتم فَتحها تلقائيًّا، أظهَر ضوء أحمر على لوحة القفل أن الغُرفة كانت مُغلقة من الداخِل. فكَّرَت مرَّة أخرى في التسرُّب الإشعاعي، والأعطال الخطيرة؛ ولكن ما الداعي لإغلاق الباب من الداخِل، إذا كان الأمر كذلك؟ مرَّت سابقًا بلوحة حائط تلو الأخرى؛ لكن أيهن لم تكُن تومِض بتحذيرات من أي نوع. لا، لا يوجد تسرُّب إشعاعي، هناك شيء آخر.

كان هناك المزيد من الاضطراب هنا. دماء. تبعثرت الأدوات والحاويات في حالةٍ من الفوضى. مهما كان ما حَدَث، فقد حَدَث هنا. لا، بل بدأ هنا. ثُمَّ انتهى خلف ذلك الباب المُغلَق.

استغرقها الأمر ساعتين بالشُّعلة وبمُساعدة عتلة من ورشة الآلات لتتمكَّن أخيرًا من فتح فتحة تقودها إلى غُرفة المُحرِّكات. وتحتَّم عليها أن تفتحها يدويًّا، بسبب تعطُّل المكوِّنات الهيدروليكية. انفجرت عاصِفة من الريح الساخِن إلى الخارِج، تحمل رائحة تُشبه رائِحة المُستشفى دون مُطهِّر. رائِحة نحاسية مُثيرة للاشمئزاز، ثُم وجدت غرفة تعذيب في استقبالها. لا بُدَّ أن أصدقاءها بالداخِل يُضربون، أو يُقطَّعون إلى أشلاءٍ،

تشبَّثت جولي بمفتاحها، واستعدَّت لفتح رأس واحد منهم على الأقل قبل أن يقتلوها، وطافت بهدوءٍ إلى الأسفل.

كانت غُرفة المُحرِّكات ضخمةً، مُقبَّبةً مثل كاتدرائية، يتوسَّطها مُفاعِل انصهار. كان هناك شيء خاطئ بشأنه؛ حيث إنها رأت طبقةً من شيءٍ يُشبه الطين تتدفَّق فوق نواة المُفاعِل، في المكان الذي توقَّعَت أن ترى فيه قراءات، ودروعًا، وشاشات مُراقبة. طافت جولي نحوه ببطءٍ، دون أن تُزيح يدها عن السلم. استحوَذَت الرائِحة الكريهة على المكان.

لم يكُن قوام الطين المُلتصِق حول المُفاعِل يُشبه أي شيء سبق وأن رأته من قبل. تمرُّ الأنابيب عبره مثل الأورِدة أو الشُّعب الهوائية، وتنبُض أجزاء منه. لم يكُن طينًا إذن؛ بل كان لحمًا حيًّا.

انبثق عضو من ذلك الشيء تجاهها. لم يكُن أكبر من إصبع قدم، أو إصبع صغير مُقارنةً مع حجم الشيء كُله. كان رأس القُبطان دارين.

قال: «ساعديني».

(١)
محولان

قبل مائة وخمسين عامًا، عندما كانت النزاعات المحدودة بين الأرض والمريخ على شفا أن تتحوَّل إلى حربٍ، كان حزام الكويكبات لا يزال أفقًا صعب المنال من الثروة المعدنية الهائِلة التي تفوق النطاق الاقتصادي الصالِح للحياة، بينما كانت الكواكِب الخارجية تفوق حتى أحلام التحالُفات غير الواقعية. ثُم قام سولمن إيشتاين ببناء مُحرِّك الانصهار الصغير المُعدَّل، وضعه على ظهر مركبته التي تتسِع لثلاثة أشخاص، وشغَّله. وإذا ما كُنت تمتلِك منظارًا جيدًا، ستكون لا تزال قادرًا على رؤية مركبته تطفو بنسبةٍ هامشيةٍ من سُرعة الضوء، مُتجِهةً نحو الفراغ الكبير. مُجسِّدةً بذلك أفضل، وأطوَل جنازة في تاريخ البشرية، ولحُسن الحظ، كان قد ترك المُخطَّط على حاسوبه المنزلي، وصحيح أن مُحرِّك إيشتاين لم يتمكَّن من حمل البشرية النجوم، إلا أنه كان قادرًا على نقلهم للكواكِب.

ثُم جاءت (كانتيربيري)، التي يبلُغ طولها ثلاثة أرباع كيلومتر، وعرضها ربع كيلومتر تقريبًا -وتبدو شبيهة بصنبور الإطفاء- كما كانت أغلب مساحتها الداخلية فارِغة، والتي تمَّت إعادة تجهيزها للنقل بين المُستعمرات، اكتظَّت ذات يوم بالبشر، والإمدادات، والمُخطَّطات، والآلات، وفقَّاعات البيئة، والأمل. يعيش عشرون مليون شخصٍ على

أقمار زُحل في الوقت الحالي. كانت (كانتيربيري) قد نقلت ما يُقارِب مليونًا من أسلافهم إلى هناك. بينما يعيش خمسة وأربعون مليونًا على أقمار كوكَب المُشتري. كما يعيش خمسة آلاف على أحد أقمار أورانوس، وهو أبعَد بؤرة لتجمُّعات حضارية بشرية، أو على الأقل ستكون كذلك، حتى تُنهي طائِفة المورمون مركبة الأجيال الخاصَّة بهم، وينطلِقوا بها إلى النجوم ليتحرَّروا من القيود الإنجابية.

وبعد ذلك، كان هناك الحزام.

إذا ما سألت مُجنَّدي (أوبا) عندما يثمَلون ويميلون للبوح بالصراحة، فقد يقولون إن هناك مائة مليون يعيشون في الحزام؛ لكن اسأل مسؤول التعداد الداخلي من الكواكِب الداخلية، فسيقول إن تعدادهم يقترِب من الخمسين مليونًا، وفي كلتا الحالتين، ستجد أن عدد السُّكَّان كان ضخمًا وبحاجةٍ لكثير من المياه.

ولذلك قامَت (كانتيربيري) بالتعاوُن مع أسطولها من المركبات الشقيقة في شركة مياه (نقية ونظيفة) بصُنع رحلات لا تنتهي من حلقات زُحل الغنية بالماء إلى الحزام، ثُم العودة إلى الأنهار الجليدية، وستدوم حتى تشيخ المركبات، وتتحوَّل إلى حطامٍ. ورأى جيم هولدن بعض الشاعرية في ذلك.

- «هولدن؟».

استدار نحو سطح حظيرة الطائرات؛ ليجد ناعومي ناجاتا كبيرة المُهندسين تقف خلفه. كان طولها مترين تقريبًا، ولذلك فقد كانت تفوقه طولًا، وشعرها المُجعَّد مربوط للخلف في ذيلٍ أسودَ، وتعبيرات وجهها تتراقَص بين الاستمتاع والانزعاج، كانت تتمتَّع بعادة سُكَّان الحزام، في هز يديها استطرادًا بدلًا من كتفيها.

- «هل تُنصِت السمع يا هولدن؟ أم أنك تُحدِّق عبر النافِذة فحسب؟».

قال هولدن: «كانت هناك مُشكلة، ولأنك جيدة للغاية، ستتمكَّنين من إصلاحها حتى ولو لم يكُن لديكِ ما يكفي من المال والإعدادات».

ضَحِكَت ناعومي.

قالت: «لم تكُن تُنصِت السمع إذن».

- «لا، ليس حقًّا».
- «لا بأس، فلديك الخبرات الأساسية على أي حال. لن تكون مُعدَّات هبوط (الفارِس) مُلائِمة لهذه البيئة ما لم أتمكَّن من استبدال الأختام. هل ستكون هذه مُشكِلة؟».

قال هولدن: «سأسأل القُبطان؛ لكن متى كانت آخر مرَّة استخدمنا فيها المكوك داخِل غلاف جوي؟».

- «لم نفعل ذلك أبدًا؛ لكن ريجس يقول: إننا بحاجةٍ إلى مكوك واحِد مُلائِم بيئيًّا على الأقل».

صاح أموس بورتون، مُساعِد ناعومي الذي وُلِد على الأرض، من آخر المرفق، وهو يلوِّح بذراعه السمينة نحوهم: «أيتها المُديرة! ». كان يقصِد ناعومي، ورغم أن أموس حاليًّا على متن مركبة القُبطان ماكدويل، وأن هولدن هو المُدير التنفيذي؛ لكن في عالَم أموس بورتون، لا توجد مُديرة سوى ناعومي.

صاحَت ناعومي لتُجيبه: «ما الخطب؟».

- «هناك كابل مُعطَّل، هل يُمكِنك تثبيت هذا اللعين الصغير في مكانه ريثما أحضر البديل؟».

نظرت ناعومي إلى هولدن بنظرةٍ تعني: هل انتهينا هنا؟ حيَّاها بسُخرية قابلتها بازدراءٍ، قبل أن تهز رأسها وهي تبتعِد، وجسدها يبدو طويلًا ونحيلًا في معطفها الزيتي. وعلى الرغم من أنه قضى سبع سنوات في قوّات الأرض البحرية، وخمس سنوات من العمل مع المدنيين في الفضاء، فإنه لم يعتد أبدًا على عظام سُكَّان الحزام الطويلة، والنحيلة، وصعبة المنال. غيَّرت الطفولة التي قضاها وهو يتمتَّع بالجاذبية الطريقة التي يرى بها الأشياء للأبد.

أمام المصعد المركزي، وَضَع هولدن إصبعه لفترةٍ وجيزةٍ أمام الزر الخاص بسطح الملاحة، كان تحت تأثير إغراء مُقابلة آدي توكونبو – بابتسامتها، وصوتها، ورائحة الباتشولي والفانيليا التي تفوح من شعرها– لكنه ضغط على زر المستوصَف بدلًا من ذلك. فالواجِب يأتي قبل المُتعة.

عندما دَخَل هولدِن إلى المستوصَف، وجد شيد جارفي، مسؤول الطب التقني، مائلًا على طاوِلة مُختبره، وهو يُزيل الطرف المُتبقي من ذراع كاميرون باج الأيسر. فقبل شهر، سقط على كوع باج قطعة من الجليد كانت تزِن ثلاثين طنًّا، كانت تتحرَّك بسُرعة خمسة مليمترات في الثانية، كانت هذه إصابة غير شائعة بين الأشخاص العاملين في وظائف خطيرة، مثل: قطع الجبال الجليدية الخالية من الجاذبية وتحريكها، وتقبَّل باج القدر برمته باحترافية، انحنى هولدن فوق كتف شيد ليُشاهِد المسؤول التقني وهو يتنشِل إحدى الديدان الطبية من بين الأنسجة الميتة.

سأل هولدن: «كيف الحال؟».

قال باج: «يبدو الأمر جيدًا يا سيدي، ما زال لديَّ بعض الأعصاب، كان شيد يُخبرني عن كيفية تركيب الطرف الصناعي بهم».

أضاف الطبيب: «هذا بافتراض أن بإمكاننا السيطرة على النخر، والتأكُّد من أن جرح باج لن يلتئِم بسُرعةٍ كبيرةٍ قبل أن نصل إلى سيريس؛ فقد راجعت السياسة، ويبدو أن باج خَدَم هنا لفترةٍ كافية؛ ليستطيع الحصول على طرفٍ صناعي مزوَّد بردود فعل القوة، وأجهزة استشعار الضغط ودرجة الحرارة، وبرنامج مُحرِّك دقيق أي أنه سيحصل على حزمةٍ كاملةٍ ستكون جيدة مثل ذراع حقيقية. تحتوي الكواكِب الداخلية على كائِن حيوي جديد يعمَل على إعادة إنماء الطرف؛ لكن خطتنا الطبية لا تُغطيه».

قال باج: «اللعنة على الكواكِب الداخلية، واللعنة على الهُلام السحري الخاص بها. أفضل الحصول على طرف صناعي مُزيَّف جيد من صناعة سُكَّان الحزام على أي شيء آخر تمَّاه هؤلاء الأوغاد في مُختبراتهم. برأيي فمُجرَّد ارتدائك لطرفهم الصناعي الفاخِر كفيل بتحويلك لأحمق». ثُم أضاف: «معذرةً، لا أقصِد الإهانة يا سيدي».

قال هولدن: «لا تقلق. أنا سعيد لأننا سنُعالِجك».

قال باج –وابتسامة خبيثة ترتسِم على شفتيه–: «أخبره بالجُزء الآخر». احمرَّ شيد خجلًا.

قال شيد –دون أن ينظُر في عيني هولدن–: «لقد... سَمِعت من الرجال الآخرين الذي حصلوا عليه... أنه في فترة بناء الهوية مع الطرف الصناعي، يبدو الاستمناء وكأنه يتم بيدي فتاة».

لم يُبدِ هولدن أي ردة فعل لثوانٍ بينما احمرَّت أذنا شيد بمضي الوقت.

قال هولدن: «من الجيد معرفة ذلك، ماذا عن النخر؟».

قال شيد: «هناك بعض العدوى؛ لكن الديدان الطبيَّة تُبقيها تحت السيطرة، كما أن الالتهاب مُفيد بحالته؛ ولذلك لا نلجأ لأي إجراءات طارِئة ما لم يبدأ في الانتشار».

سأله هولدن: «هل سيكون جاهزًا للمُهمة القادِمة؟».

عبس باج للمرَّة الأولى.

- «اللعنة! بالطبع سأكون جاهزًا. لطالما كُنت جاهزًا. فهذا عملي يا سيدي».

قال شيد: «غالبًا، سيعتمِد هذا على كيفية تقبُّله للطرف. فإن لم يكُن جاهزًا لتلك المُهمة، فسيكون جاهزًا للتالية».

قال باج: «اللعنة على ذلك، بإمكاني هدم الجليد بيدٍ واحدةٍ أفضل من نصف الحمقى الموجودين على متن هذه المركبة».

قال هولدن وهو يبتسِم: «من الجيد معرفة ذلك أيضًا. استمرَّا في العمل».

عبَّر باج عن ازدرائه. انتشَلَ شيد دودة طبيَّة أخرى. في حين عاد هولدِن إلى المصعد، ولم يتردَّد هذه المرَّة. لم يكُن سطح الملاحة الخاص بـ (كانتيربيري) مُميَّزًا. كانت شاشات العرض الضخمة، والتي كانت بحجم جدار التي تخيَّلها في بداية تطوُّعه في البحرية موجودة بالفعل على متن المركبات؛ لكنها كانت موجودة للمنظر أكثر منها لتقديم الفائِدة. أما الشاشات التي كانت آدي تجلِس أمامها فقد كانت أكبر قليلًا من كف اليد، إلا إنها كانت مليئة برسوم بيانية عن كفاءة ومُخرجات مُفاعِل (كانتيربيري)، بينما كانت البيانات الخاصَّة بتحديثات المُحرِّكات تظهر في

الأركان، ويتم تخزين السجلات الأولية على اليمين عندما تُقدِّم الأنظِمة تقريرها. كانت ترتدي سمّاعات أذن عريضة تُغطي أذنيها، وبالكاد يُمكِن سماع صوت الجهير عبرها. ستقوم (كانتيربيري) بتنبيهها، إذا شعرت بأي شيء غير طبيعي، وكذلك ستفعل، في حالة وجود خطأ في النظام، كما أنها ستقوم بتنبيهها إذا ما غادَر القُبطان ماكدويل غُرفة القيادة؛ كي تُطفئ الموسيقا وتبدو مشغولة عند وصوله، كانت قُدرتها على الاستمتاع بأتفه الأمور واحدة من آلاف الأشياء التي زادَت من جاذبية آدي في عيني هولدن، سار خلفها قبل أن يرفع السمّاعات برفقٍ عن أذنيها وهو يقول: «مرحبًا».

ابتسمت آدي وهي تنقُر على شاشتها، وضعت السمّاعات لتحظى بقسطٍ من الراحة حول عنقها الطويل النحيف مثل حُلية تقنية.

قالت بقليلٍ من المُبالغة التي جعلتها لهجتها النيجيرية الثقيلة أكثر حدةً: «ماذا يُمكِنني أن أفعل من أجلك أيها المُدير التنفيذي جيمس هولدن؟».

قال: «من المُضحِك أن تسألي هذا السؤال؛ حيث إنني كُنت أفكِّر فقط في مدى روعة أن يعود شخص ما إلى مقصورتي عندما تنتهي الوردية الثالِثة؛ لنحظى بعشاءٍ رومانسي صغير من نفس القرف الذي يُقدِّمونه في المطبخ. ونستمِع إلى بعض الموسيقى».

قالت: «ثُم نشرب قليلًا من الخمر، ونخرق بروتوكولًا بسيطًا، من الجيد التفكير في ذلك؛ لكنني لا أتوق لمُمارسة الجنس الليلة».

- «لم أكُن أقصِد مُمارسة الجنس؛ بل أردت تناوُل بعض الطعام والتحدُّث».

قالت: «أما أنا فكُنت أقصِد مُمارسة الجنس».

ركع هولدن على ركبته بجوار مقعدها، كان مُعدَّل الدفع الحالي يبلُغ ثلث (ج)، وكان هذا مُريحًا للغاية. اختفت ابتسامة آدي، أصدرت بكرة السجل صوتًا؛ فنظرت إليها، ضغطت زرًّا لتُحرِّرها، قبل أن تنظر إليه مرَّة أخرى.

قال: «أنا مُعجب بكِ يا آدي. أقصِد أنني أستمتِع بصُحبتكِ حقًّا؛ لكنني لا أفهم السبب الذي يمنعنا من قضاء بعض الوقت سويًّا ونحن نرتدي ملابسنا».

- «هولدن. حبيبي. هل يُمكنك أن تتوقَّف عن ذلك؟».
- «أتوقَّف عن ماذا؟».
- «عن محاولة جعلي حبيبتك. أنت رجل لطيف، ولديك مؤخرة لطيفة، كما أنك تجيد مُمارسة الجنس؛ لكن هذا لا يعني أننا مخطوبان».

استقام هولدن مرَّة أخرى، وهو يشعُر بنفسه يعبس.

- «يجب أن تبذلي جهدًا أكبر؛ ليؤتي هذا بأُكله معي يا آدي».

قالت وهي تُمسِك بيده: «لكنني لا أريد أن أكون أكثر من ذلك، وهذا أمر جيد، أنت المُدير التنفيذي هنا، وأنا موظَّفة مؤقَّتة، وسأذهب لحال سبيلي بعد مُهمَّة أو اثنتين».

- «لست مُقيدًا بالسلاسِل إلى هذه المركبة أيضًا».

كانت ضحكتها تشع بالدفء مثلما تشع بالاستنكار.

- «منذ متى وأنت على متن (كانت)؟».

- «خمس سنوات».

قالت: «لن تذهب إلى أي مكان، فأنت تشعُر بالراحة هنا».

قال: «أشعُر بالراحة؟ هذه ناقِلة جليد عُمرها ألف عام. من الصعب على المرء العثور على وظيفة طيران أكثر قرفًا من هذه، فالجميع هنا إما غير مؤهَّلين بشكلٍ كبيرٍ، أو أنهم أفسدوا الأمور لدرجةٍ لا توصف في وظيفتهم الأخيرة».

اختفت نظرة الطيبة التي كانت تسكُن عينيها وهي تقول: «وأنت تشعُر بالراحة هنا».

عضَّت شفتها ندمًا، وهي تنظُر إلى الأسفل نحو الشاشة، قبل أن ترفع ناظريها.

قال: «لم أستحِق ذلك».

وافقته القول: «لم تستحقه بالفعل، لقد أخبرتك أنني لست في المزاج المُناسِب الليلة. أشعُر بالغضب. أحتاج لليلةٍ من النوم الهانئ، وسأكون أكثر لطفًا بالغد».

- «وعد؟».
- «حتى إنني سأعُد لك طعام العشاء، هل هذا اعتذار مقبول؟».

اقترب منها، قبَّلها في شفتيها. قبلته بخجلٍ في البداية قبل أن يغلبها شوقها. تعلَّقت أصابعها برقبته للحظةٍ، قبل أن تبعده عنها.

قالت: «أنت تُجيد هذا للغاية. يجب أن تذهب الآن، بسبب العمل وكُل ما إلى ذلك».

قال دون أن يستدير للذهاب: «حسنًا».

قالت: «جيم... ». قبل أن يُقاطِعها نظام اتصالات المركبة الداخلي.

صدح صوت القُبطان ماكدويل، مضغوطًا ومصحوبًا بالصدى: «ليتوجَّه السيد هولدِن إلى قُمرة القيادة». أجاب هولدن على ذلك بتعليقٍ بذيء أثار ضحك آدي، انقضَّ عليها ليُقبلها على خدها، قبل أن يعود إلى المصعد المركزي، وهو يدعو الله بصوتٍ خافتٍ أن يُصاب القُبطان ماكدويل بدمامِل، وإهانة علنية بسبب سوء اختياره للتوقيت.

كانت مساحة قُمرة القيادة أكبر من مساحة مقصورة هولدِن، وأصغر من نصف مساحة المطبخ، ولولا شاشة عرض القُبطان الضخمة، التي يتطلَّب ضعف نظر القُبطان ماكدويل، وعدم ثقته في الجراحة التصحيحية وجودها، لبدت أشبه بغُرفة خلفية في شركة مُحاسبة. تفوح رائِحة مُنظِف لاذعة ورائِحة شاي المتَّة الخاص بشخصٍ ما. اعتدَل ماكدويل في جلسته عندما اقترَب هولدن، ثُم استرخى للخلف وهو يُشير من فوق كتفه نحو محطة الاتصالات.

صاح ماكدويل: «أخبريه يا بيكا! ».

كان من السهل للغاية أن تعتقِد أن ريبيكا بايرز، ضابِطة الاتصالات المناوِبة، ناتِجة عن تزاوُج بلطة وسمكة قرش. كانت تتمتَّع بعيونٍ سوداء، ملامِح حادَّة، وشفتين رقيقتين للغاية حتى لتكاد تظُن أنهما غير موجودتين. تقول الشائِعات إنها قبِلت بهذه الوظيفة هروبًا من المُلاحقة القضائية لقتلها زوجها السابِق. كان هولدِن يستلطِفها.

قالت: «لقد التقطنا إشارة طوارئ قبل ساعتين. لقد تحقَّق جهاز الاستجابة من أن الإشارة قد ارتدَّت لتوها عن (كاستيلو). إنها حقيقية».

قال هولدن: «اللعنة. هل نحن الأقرب؟».

- «بل نحن المركبة الوحيدة في نطاق ملايين الكيلومترات».

قال هولدن: «حسنًا. هذا يوضِّح الأمر».

نظرت بيكا إلى القُبطان. طقطق ماكدويل أصابعه وهو يُحدِّق في شاشته التي كان ضوؤها الأخضر يُضفي عليه مظهرًا غريبًا.

قال ماكدويل: «تأتي من جوار كويكِب غير تابع للحزام».

قال هولدن في عدم تصديق: «حقًّا؟ هل اصطدموا به؟ لا يوجد أي شيء آخر هنا في نطاق ملايين الكيلومترات».

- «ربما توقَّفوا جانبًا لأن أحدهم اضطر لدخول الحمَّام. كُل ما نعرفه هو أن هناك أحمق بالخارِج، يُطلِق إشارة استغاثة، ونحن الأقرب. بافتراض... ».

كان قانون النظام الشمسي واضحًا. تقديمك ليد المُساعدة وحُسن النيَّة تجاه زملائك البشر ليس أمرًا اختياريًّا في بيئةٍ مُعاديةٍ للحياة كالفضاء. ولا بُد أن تقِف أقرب مركبة لتقدِّم يد المُساعدة بمُجرَّد وصول إشارة الطوارئ؛ لكن هذا لا يعني أنه قد تمَّ اتباع القانون كونيًّا.

كانت (كانتيربيري) كاملة الحمولة، حيث إنه كان قد تمَّ تحميل أكثر من مليون طن من الجليد بلُطفٍ على متنها خلال الشهر الماضي، ومنها جبال جليدية كان من الصعب إيطاء سُرعتها، مثل الجبل الجليدي الذي حطَّم ذراع باج، ولطالما كانت هناك حجة فشل الاتصال غير المُبرَّر، ومسح السجلات، وترك المسائِل لتدابير الرب.

لكن ماكدويل لم يكُن ليستدعي هولدن إذا كان ينوي القيام بذلك، ولم يكُن ليُقدِّم الاقتراح بحيث يُمكِن للطاقم سماعه. فهم هولدن المغزى من ذلك. فالقُبطان هو الآمر الناهي ولا يجرؤ الجميع على مُناقشته

باستثناء هولدن، وسيحترِم الجنود القُبطان لرغبته في عدم اقتطاع ربح المركبة، وسيحترمون هولدن لتمسُّكه باتباع القواعِد، وسيظل القُبطان وهولدن مكروهين بقدر ما يتطلَّبه القانون واللياقة البشرية مهما حدث.

قال هولدن: «يجب أن نتوقَّف».، قبل أن يتحلى بالشجاعة ليُضيف: «ربما تكون هذه حالة إنقاذ».

نقر ماكدويل على شاشته. صدح صوت آدي عبر الجهاز خفيضًا ودافئًا كما لو كانت معهم في الغُرفة وهي تقول: «أوامرك أيها القُبطان؟».

قال: «أنا بحاجةٍ إلى الأرقام اللازِمة لإيقاف هذه الشُّحنة».

- «لم أفهم يا سيدي؟».
- «ما مدى صعوبة توقُّفنا بجانِب (ج أ – ٢٢١٦٨٦٢)؟».
- «سنتوقَّف بجوار كويكب؟».
- «سأخبركِ بذلك عندما تتبعين أوامري أيتها الملَّاحة توكونبو».

قالت: «حسنًا يا سيدي». سَمِعَ هولدن صوت سلسلة من الضغطات قبل أن يصدح صوتها وهي تقول: «إذا ما استدرنا بالمركبة الآن، وانطلقنا بسُرعة الجحيم لمُدة يومين، يُمكِنني أن أضعنا على بُعد خمسين ألف كيلومتر فقط يا سيدي».

قال ماكدويل: «هل يُمكِنك توضيح المقصود بمُصطلح: (انطلقنا بسُرعة الجحيم)؟ ».

- «يجب أن يجلِس الجميع في أرائِك التحطُّم يا سيدي».

تنهَّد ماكدويل وهو يحك لحيته القذرة قائلًا: «بالطبع سنفعل ذلك، وإذا كُنا محظوظين بما فيه الكفاية، فلن يُكلِفنا ارتطام الجليد بهيكل المركبة سوى بضع ملايين دولارات فقط. لقد كبرت على هذا الهراء يا هولدن».

قال هولدن: «هذا حقيقي يا سيدي. أنت بالفعل كبرت على هذا الهراء، وأنا أطمَع في مقعدك بصراحةٍ». عبس ماكدويل، وقام بإيماءة بذيئة. ضحكت ريبيكا ساخرةً. فنظر لها ماكدويل.

- «أرسلي رسالة إلى المنارة وأخبريهم أننا في طريقنا إلى هناك، وأخبري سيريس أننا سنتأخَّر قليلًا. كيف حال (الفارِس) يا هولدن؟».
- «لن يستطيع الطيران عبر الغلاف الجوي حتى نُحضِر بعض قطع الغيار؛ لكنه سيكون على خير ما يُرام لأن يطير خمسين كيلومترًا في الفضاء».
- «هل أنت مُتأكِّد من ذلك؟».
- «هذا ما قالته ناعومي، وهو ما يجعلني مُتأكِّدًا من الأمر».

وقف ماكدويل، وَصَل طوله إلى مترين وربع تقريبًا، وكان أنحَف من مُراهِق أرضي. وما بين عُمره، وبين أنه لم يعِش أبدًا في جاذبيةٍ جيدةٍ؛ فقد كان من المُحتَمل أن تُخلِّف الانطلاقة القادِمة أثرًا سيئًا على الرجل العجوز. شعر هولدِن بقليلٍ من التعاطُف نحو ماكدويل.

قال ماكدويل بصوتٍ خافتٍ بما فيه الكفاية بحيث لا يسمعه إلا هولدن: «الأمر يا جيم، أننا مُطالبون بالتوقُّف من أجل القيام بمحاولةٍ؛ لكن دون أن نبتعِد عن طريقنا، إذا فهمت ما أقصِده».

قال هولدن: «لقد توقَّفنا بالفعل».

هزَّ ماكدويل يديه العريضتين النحيلتين في الهواء. كانت تلك واحدة من الإيماءات العديدة التي طوَّرها سُكَّان الحزام لتظهَر عند ارتداء البدلات البيئية.

قال: «لا يُمكنني تجنُّب ذلك، لا تحاوِل أن تلعَب دور البطل بالخارِج، إذا ما رأيت أي شيء يبدو غير مألوفٍ، احزموا أغراضكم وعودوا إلى هنا فحسب».

- «ونترك الأمر برمته للمركبة التالية التي ستأتي لتمُر من هنا؟».

قال ماكدويل: «حافظوا على سلامتكم، هذا أمر. مفهوم؟».

قال هولدن: «مفهوم».

تخَيَّل هولدن أن بإمكانه سماع جوقة من التأوُّهات قادِمة من أسطح المركبة، عندما عاد نظام الاتصالات على مستوى المركبة للحياة، وبدأ ماكدويل في شرح الموقِف للطاقم. سار نحو ريبيكا.

قال: «حسنًا، ماذا نعرف عن المركبة المُحطَّمة؟».

- «مركبة شحن خفيفة. بسجلٍ مريخي. إيروس هو ميناؤها الرئيس. يطلِقون عليها اسم (سكوبيولي) ».

(٣)
ميلر

جَلَس المُحقِّق ميلر على المقعد المصنوع من الإسفنج، وهو يبتسِم ابتسامةً لطيفةً محاولًا تجميع خيوط قصة الفتاة.

قالت الفتاة وهي تلوِّح بيدها: «وفجأة جُن جنون كُل شيء! امتلأت الغُرفة بعواء القتلة والطعنات المُسدَّدة، بدا الأمر وكأنه مُسابقة رقص، باستثناء أن تلك النظرة التي ظهرت على وجه بومي تقول: إنه لم يعرف شيئًا، ولم يوافِق على شيءٍ. هل تفهم ما أقصده؟».

رَمَش هافلوك الذي كان يقِف بجوار الباب مرَّتين. ارتعد وجه الرجل السمين بنفاذ صبر. كان هذا هو السبب في أن هافلوك لن يُصبِح مُحقِّقًا خبيرًا، ولماذا كان سيئًا في لعب البوكر.

بينما كان ميلر جيدًا للغاية في لعب البوكر.

قال ميلر: «جدًّا». كان صوته قد اكتسب خُنَّة مُقيم في أحد الطوابِق الداخلية. لوَّح بيده بنفس الطريقة التي فعلتها الفتاة، وهو يُضيف: لم يرَ بومي الأمر، ثُم الذراع المنسيَّة».

«أجل، الذراع المنسيَّة اللعينة». قالتها الفتاة كما لو كان ميلر قد نَطق بسطرٍ من الإنجيل لتوِّه. أومأ ميلر برأسه، فأومأت الفتاة برأسها، كما لو كانا عصفورين يقومان برقصة التزاوُج.

كانت الشقَّة المُستأجَرة مكوَّنة من ثلاث غُرف مطليَّة باللونين الأسود والكريمي -حمَّام، ومطبَخ، وغُرفة معيشة- تمَّ كسر وإصلاح الدعامات الخاصَّة بالدور العلوي للنوم في غُرفة المعيشة عدة مرَّات لدرجة أنها لم تعُد تتحمَّل المزيد. كان ذلك بسبب مقدار الكُتلة المُتحرِّكة أكثر مما كانت بسبب الجاذبية بفعل قُربها من محوَر دوران سيريس، فاحَت رائِحة الجعَّة المُمتزجة بخميرة البروتين القديمة، والفطر في الهواء -وهو نوع من الطعام المحلي- إذن فمن ضاجع الفتاة بما يكفي لتحطيم فراشها لم يدفَع ما يكفي لتناوُل طعام العشاء، أو ربما فعل، وقرَّرت الفتاة أن تُنفقه على الهيروين أو المالتا أو الـ (MCK).

هذا شأنها على أي حال.

سألها ميلر: «أكملي حديثكِ».

قالت الفتاة وهي تُقهقه: «انهار بومي كبالون فرغ هواؤه، ذلك المُدمِن الأحمق، هل تفهم قصدي؟».

قال ميلر: «أفهمك».

- «والآن، كُل القتلة الجُدد في الدور العلوي، وأنا بالخارِج».
- «ماذا عن بومي؟».

مشت الفتاة ببطءٍ على جسد ميلر، بدءًا من الحذاء، مرورًا بركبتيه، وانتهاءً بقُبعته المُنخفِضة. قهقه ميلر. دَفَع مقعده دفعةً خفيفةً، وقف على قدميه في الجاذبية المُنخفِضة.

قال ميلر: «عندما يظهَر، سأستجوبه، اتفقنا؟».

قالت الفتاة: «لِمَ لا؟».

كان النفق الموجود بالخارِج أبيض اللون فِي الأماكِن التي لم يتسِخ فيها. ينحدر بلُطفٍ في كلا الاتجاهين بعرض عشرة أمتار. لم تحاوِل مصابيح الإضاءة أن تتظاهَر بأنها تُحاكي ضوء الشمس. اصطَدَم شخص ما بالجدار على بُعد نصف كيلومترٍ تقريبًا بقوةٍ لدرجة أن الصخور المحليَّة ظهرت من خلاله، ولم يتم إصلاحه بعد، وربما لن يتم إصلاحه أبدًا. كان هذا أحد عيوب الحفر العميق، بالقُرب من محوَر الدوران. لا يأتي السُّيَّاح إلى هنا أبدًا.

قاد هافلوك الطريق إلى عربتهم، وهو يقفِز عاليًا للغاية مع كُل خطوة. لا يأتِ إلى الطوابِق مُنخفِضة الجاذبية كثيرًا، وهو ما جعله مُرتبكًا. بينما عاش ميلر في سيريس طوال حياته، والحق يُقال إن تأثير كوريوليس -حتى في هذا الارتفاع- قد يجعله غير مُستقِر في بعض الأحيان أيضًا.

قال هافلوك -وهو مُنهمِك فِي تحديد وجهتهم-: «هل استمتعت؟».

قال ميلر: «لا أفهم قصدك».

همهم المُحرِّك الكهربائي وهو يعود للحياة، فتحرَّكت العربة للأمام في النفق، وأصدرت الإطارات المصنوعة من الرغوة الإسفنجية صريرًا خافتًا. قال هافلوك: «أقصِد مُحادثتك بلُغة العالم الخارجي أمام رجل أرضي؟ لم أفهَم نصف ما قيل».

قال ميلر: «لم يقصِد سُكَّان الحزام إبقاء الرجل الأرضي بعيدًا عن النقاش؛ بل قصد الرفاق المساكين إبعاد الرجل المُثقَّف عن النِقاش، وكان هذا مُمتعًا، بما أنك ذكرت الأمر».

ضَحِكَ هافلوك. يستطيع تحمل الاستفزاز ويمضي قدمًا، وهذا ما يجعله جيدًا في الرياضات الجماعية: مثل كُرة القدم، وكُرة السلَّة، والسياسة.

بينما لم يكُن ميلر جيدًا في تلك الأشياء.

سيريس هي مدينة الحزام، والكواكِب الخارجية الساحلية، يبلُغ قُطرها حوالي مائتين وخمسين كيلومترًا، وتحتوي على عشرات الآلاف من الكيلومترات تقع في طبقةٍ فوق الأخرى. تصل سُرعة دورانها إلى (٣,٠ ج)، وتحتوي على نُخبة من أفضل العقول في شركة تايكو الصناعية لمُدة نصف جيل، وهو الأمر الذي لا يزالون يتبجَّحون بشأنه، كان لدى سيريس أكثر من ستة ملايين مُقيم دائِم في الوقت الحالي، ومن المتوقع أن يزيد عدد السكَّان إلى سبعة ملايين، مع وصول ألف مركبة إلى هنا بشكلٍ يومي.

وبوجود البلاتينيوم، والحديد، والتيتانيوم من الحزام، والمياه من زُحل، والخضروات واللحوم من الصوبات الزراعية الكبيرة التي تُغذيها المرايا في جانيميد ويوروبا، والمواد العضوية القادِمة من الأرض والمريخ، وخلايا الطاقة من ياو، وعُنصر (الهيليوم-٣) من مصافي التكرير في ريا وإيابيتوس. تدفَّق نهر من الثروة والقوة مُنقطع النظير في تاريخ البشرية عبر سيريس، وحيثما وُجِدَت تجارة على هذا المستوى، وُجِدَت جرائِم أيضًا. وحيثما كانت هناك جريمة، كانت هناك قوَّات أمن لإبقائها تحت السيطرة. يشعُر من هُم مثل ميلر، وهافلوك، والذين كان عملهم هو تتبُّع العربات الكهربائية على المُنحدرات العريضة، والشعور بالجاذبية الزائِفة وهي تخفت تحت أقدامهم، وسؤال العاهرات الرخيصات عمَّا حدث في

الليلة التي توقَّف فيها بومي شاترجي ليجمع أموال الحماية الخاصَّة بجمعية الغصن الذهبي.

كان مقر القسم الرئيس الخاص بشركة ستار هيليكس للأمن، والتي كانت تُمثِّل قوَّة الشرطة والحامية العسكرية لمحطة سيريس، تقع في الطابق الثالِث من متن الكويكب، على بُعد كيلومترين مُربعين حفرًا في الصخر، بحيث يُمكِن لميلر أن يصعَد خمسة أدوار فوق مكتبه دون أن يُغادِر منطقة المكاتِب. استدار هافلوك بالعربة بينما ذهب ميلر إلى حجيرة مكتبه، وقام بتنزيل تسجيل المُقابلة التي أجراها مع الفتاة، وأعاد تشغيله. كان في مُنتصف التسجيل عندما وصل شريكه، ووقف خلفه.

سأله هافلوك: «هل عرفت أي شيء؟».

قال ميلر: «ليس الكثير، هاجَمت عصابة من البلطجية المحليين غير التابعين لأي عصابة لبومي. أحيانًا ما يقوم رجل وضيع، مثل بومي، بتأجير بلطجية ليتظاهروا بالهجوم عليه؛ حتى يتمكَّن من مقاومتهم ببطولةٍ. يُعزِّز هذا من سُمعته. هذا ما قصدته عندما تحدَّثت عن مُسابقة الرقص. كان الرجال الذين طاردوه من هذا الطِراز، إلا أنهم تحوَّلوا إلى مُقاتلي نينجا قاسين، فهرب بومي ولم يعُد».

- «والآن؟».

قال ميلر: «لا شيء، وهذا ما لا أفهمه. لقد خطف شخص ما جامِع إتاوات الغُصن الذهبي، دون أي رد فعل. أعني أن بومي شخص من أدنى مرتبة؛ لكن... ».

قال هافلوك: «لكن ستقِل أموال الكِبار، بمُجرَّد أن يبدؤوا في أكل الصغار، لماذا إذن لم يبدأ الغُصن الذهبي في حرب عصابات لتحقيق العدالة؟».

قال ميلر: «لا أحب وقع هذا».

ضحك هافلوك: «آهٍ منكم يا سُكَّان الحزام، يخرج شيء ما عن نِطاق المُعتاد، وتظنون أن النظام البيئي بأكمله ينهار. إنه أمر جيد أن يكون الغُصن الذهبي أضعف من أن يحتفِظ بأمواله؛ لأنهم الأشرار كما تعرف».

قال ميلر: «حسنًا، قُل ما شئت عن الجريمة المُنظَّمة، فعلى الأقل هي مُنظَّمة».

جَلَسَ هافلوك على مقعدٍ بلاستيكي صغيرٍ بجوار مكتب ميلر، ومال للأمام ليُطالِع التسجيل.

قال هافلوك: «حسنًا، ماذا يعني مُصطلَح (الذراع المنسيَّة) بحق الجحيم؟».

قال ميلر: «إنه مُصطلح خاص بالمُلاكمة يعني: الضربة التي لم تتوقَّعها».

دقَّ الحاسوب وصَدَح صوت النقيب (شاديد) عبر مُكبِّرات الصوت.

- «ميلر؟ هل أنت هنا؟».

قال هافلوك: «هذا نذير شؤم».

سألته النقيب بصوتٍ حادٍ: «ماذا؟». لم تتغلَّب أبدًا على تحيُّزها ضد أصول كوكب هافلوك الداخلي. رفع ميلر يده لإسكات شريكه.

- «أنا هنا أيتها النقيب. ماذا يُمكنني أن أفعل من أجلكِ؟».
- «قابلني في مكتبي من فضلك! ».

قال: «أنا في طريقي إليكِ».

وقف ميلر، فانتقل هافلوك ليجلس على مقعده. لم يتبادلا كلمةً. كان كلاهما يعرِف أن النقيب شاديد كانت تستدعيهما سويًّا إذا ما أرادت أن يكون هافلوك هناك، وهو سبب آخر لن يصِل بالرجل ليعمل كمُحقِّق خبير. تركه ميلر وحيدًا مع التسجيل، محاوِلًا تحليل النقاط الدقيقة للفئة، والمركز، والأصل، والعرق، وهو عمل لمدى الحياة.

تمَّ تزيين مكتب النقيب شاديد بديكور أنثوي ناعِم. بنسيج قماشي حقيقي يتدلى من الجدران، ورائِحة قهوة وقرفة تفوح من قطعةٍ إضافية بمُرشِّح الهواء الخاص بها، التي يبلُغ ثمنها عُشر ثمن الأصناف الحقيقية. كانت ترتدي زيَّها الرسمي دونما اهتمام، وهي تترُك شعرها يهبط حول كتفيها في انتهاكٍ صارخٍ لقواعِد الشركة. إذا ما تمَّ استدعاء ميلر لوصفها ذات يوم، فلا بُدَّ أن يستخدِم عبارة (سوء اختيار الألوان) في تقريره. أومأت برأسها نحو مقعد، فجلس.

سألته وعيناها مُثبَّتتان على الحائِط الموجود خلفه: «ماذا وجدت؟». كانت هذه مُجرَّد مُحادثة، وليست اختبارًا سريعًا.

«تُشبه عصابة الغُصن الذهبي عصابة سوهيرو ولوكا جريجا. لا تزال على متن المحطَّة؛ لكنني أعتقِد أنهم... مُشتَّتون، أعتقِد أن هذا ما أراه. إنهم يتجاهلون التفاصيل الصغيرة. لا يوجد سوى عدد قليل من البلطجية هناك، وعدد أقل من مُنفذي القانون. يوجد حوالي ستة رجال من وضيعي المستوى اختفوا فجأة».

نَجَحَ في جذب انتباهها.

سألته: «هل قتلوا؟ هل هذا توغُّل لقوات (أوبا)؟ ».

كان توغُّل قوات (أوبا) هو البُعبع الدائِم لقوات أمن سيريس؛ لأنهم يعيشون على خُطى آل كابوني وحركة حماس، والجيش الجمهوري الأيرلندي والجيش الأحمر، يُحِبهم من قدَّموا له يد المُساعدة، ويخشاهم من يعترضون طريقه. تُعتبر حركة اجتماعية بشكلٍ ما، وأمَّة مرغوبة بشكلٍ آخر، دون أن ننسى أن هناك من يعتبرها شبكة إرهابية؛ لأنها كانت تفتقِر للضمير المؤسَّسي تمامًا، وقد لا تُحِب النقيب شاديد هافلوك لأنه من مكانٍ في أسفل بئر الجاذبية؛ لكنهما كانا يعمَلان معًا؛ لكن قوَّات (أوبا) كانت لتُلقي به من غُرفة مُعادلة الجاذبية. لن يُكلِّفهم من هُم مثل ميلر سوى رصاصة في جُمجمتهم، وستكون رصاصة بلاستيكية كذلك، كيلا تترك أي شظايا في مجاري الهواء.

قال: «لا أعتقِد ذلك، لا يبدو أن رحى الحرب ستدور. إنها...لا أعرِف ماهية ما يحدُث بحق الجحيم يا سيدتي. الأعداد كبيرة. الحماية مُنخفِضة، ونسب المُقامَرة غير المُرخَّصة كذلك. أغلق كوبر وحريري ستة بيوت دعارة دون السن القانونية، ولن يتم تشغيلها مرَّة أخرى حسب ما يقوله الجميع. كما أن هناك المزيد من الإجراءات التي يقوم بها المُستقلون؛ لكن بغض النظر عن كُل ذلك... فكُل شيء يبدو على ما يُرام. هناك شيء غريب في الأمر فحسب».

أومأت برأسها وعادت لتنظُر نحو الحائِط. كانت قد فقدت اهتمامها سريعًا.

قالت: «حسنًا، لنُنحي هذا جانبًا، لديَّ شيء ما من أجلك. عقد جديد. لك بمُفردك. بدون هافلوك».

عَقَد ميلر ذراعيه.

قال ببطءٍ: «عقد... جديد، ما معنى ذلك؟».

- «يعني أن شركة ستار هيليكس للأمن قبلت عقدًا للقيام بخدماتٍ مُنفصلةٍ عن خدمات أمن سيريس، وبصفتي مُدير الشركة، فأنا أعيِّنك للإشراف على ذلك».

قال: «هل إنني مفصول؟».

لاحَت نظرة ألم في عيني القُبطان شديد.

قالت: «إنها مهمة إضافيَّة، ستظل قائمًا بنفس مهام سيريس التي تقوم بها الآن، وستكون هذه مهمَّة إضافية... انظر يا ميلر، لا أحِب وقع هذا مثلك تمامًا؛ لكن القسم لن يستغني عنك، ولن نستغني عن خدماتك في العقد الرئيس. هذه خدمة يقوم بها شخص ما على الأرض لصالِح أحد حملة الأسهُم».

سألها ميلر: «هل نقوم بالخدمات لصالِح حملة الأسهُم الآن؟».

قالت النقيب شاديد: «أجل، أنت تقوم بها الآن». اختفت الرقة التي كانَت تسكُن كلماتها، وتوارَت النغمة الاستعطافية التي كانت تحتَل صوتها. كانت عيناها داكنتين مثل حجر مُبلَّل.

قال ميلر: «حسنًا إذن، أعتقِد أنني أقوم بها الآن».

رفعت النقيب شاديد جهازها اللوحي. تحسَّس ميلر جانبه في ارتباكٍ بحثًا عن جهازه اللوحي، ووافَق على نقل حزمة البيانات الصغيرة. لاحظ أن النقيب شاديد أبقتها خارِج الشبكة المُشتركة، أيًّا ما كان ذلك. ظهرت شبكة ملفات جديدة تُسمى: (جـ. ماو) على شاشته.

قالت النقيب شاديد: «إنها قضية (ابنة صغيرة مفقودة)، أريادن وجولز بيير ماو».

بدا الاسم مألوفًا. ضغط ميلر بأطراف أصابعه على شاشة جهازه اللوحي.

سألها: «صاحِب ماو كويكويسكي التجارية؟».

- «هو بنفسه».

أطلَق ميلر صفيرًا مُنخفِضًا.

ربما لم تحتَل شركة ماوكويك أحد المراكز العشرة الأولى في الحزام؛ لكنها -وبكُل تأكيد- ضمن الخمسين الأوائِل. في الأصل، كانت شركة قانونية متورِّطة في الفشل الضخم لمُدن كوكب الزهرة السحابية. استخدموا تلك الأموال التي حصلوا عليها من تلك الدعوى القضائية التي استمرَّت لعقودٍ طويلةٍ في التنوُّع والتوسُّع، وتخصَّصوا في النقل بين الكواكِب. أصبحت شركة المحطَّة مُستقلة في الوقت الحالي، تطفو بين الحزام والكواكِب الداخلية بعابرة مُحيطات ملكيَّة تمخر عباب البحار القديمة. بينما لم تكُن حقيقة أن ميلر يعرِف هذا القدر عنهم تعني سوى أنهم يمتلكون المال الكافي لبيع وشراء من هُم على شاكلته في البورصة المفتوحة.

وقد تمَّ شراؤه للتو.

قالت النقيب شاديد: «لديهم مقر في لونا، ويتمتَّعون بجميع حقوق وامتيازات مواطنة الأرض؛ لكنهم يقومون بالكثير من أعمال الشحن هنا».

- «وقد تاهَت منهم ابنة؟».

قالت النقيب: «الابنة المُشاكِسة، التي ارتادت الجامِعة، قبل أن تنضم لمجموعة تُسمى: (مؤسَّسة الآفاق البعيدة)، مجموعة من الطلاب الناشطين».

قال ميلر: «إنهم واجهة لـ (أوبا) ».

صحَّحَت له الأمر: «بل هي مُرتبطة بهم». لم يُعلِّق ميلر على ذلك؛ لكن الفضول كان ينهَش سلامه النفسي. تساءل لمن ستدين النقيب شاديد بالولاء إذا ما شنَّت قوات (أوبا) هجومًا. أكملت حديثها قائلةً: «عَزت الأسرة ما حدث إلى المرحلة العُمرية. لديهم طفلان آخران أكبر سنًّا باهتماماتٍ تحت السيطرة؛ ولذلك أرادت جولي أن تقفز في الفراغ لتُطلِق على نفسها لقب مُقاتِلة من أجل الحُرية، ولم تتسبَّب في أي ضرر حقيقي».

قال ميلر: «لكنهم يريدون العثور عليها الآن».

- «أجل».
- «ما الذي تغيَّر؟».
- «لم يروا أنه من المُناسِب مُشاركة هذه المعلومات».
- «حسنًا».
- «تُظهِر آخر السجلات أنها كانت تعمل في محطة تايكو؛ لكنها احتفظت بشقة هنا. لقد وجدت القسم الخاص بها على الشبكة، وقُمت بإغلاقه. ستجد كلمة السر في ملفَّاتك».

قال ميلر: «حسنًا، وما المطلوب مني؟».

- «أن تجد جولي ماو، وتحتجِزها، ثُم تُرسلها إلى المنزل».

قال: «إنها عملية اختطاف إذن».

- «أجل».

حدَّق ميلر في جهازه اللوحي، وبدأ في فتح الملفات دون أن ينظُر في أحدها بشكلٍ خاصٍّ. شعر بشعورٍ غريبٍ يجتاح جسده. لقد كان يعمَل ضمن قوَّات أمن سيريس لثلاثين عامًا، ولم يشعُر بالعديد من الأوهام في قضيةٍ واحدةٍ مثلما يشعُر الآن. كان الأمر الطريف أنه على الرغم من أن سيريس بها قوات أمن... فإنه ليس لديها قوانين. ولم يتورَّط في قضايا مشبوهة أكثر من النقيب شاديد. أحيانًا يسقُط الناس من غُرف مُعادلة الضغط، وأحيانًا أخرى تختفي الأدلة من الخزانات. لم ينظُر للأمر على أنه صحيح أو خاطِئ بقدر ما كان ينظُر له على أنه مُبرر. فعندما يمضي المرء حياته في فقاعةٍ حجريةٍ مع طعامه، ومياهه، وهوائه التي يتم شحنها من أماكن بعيدة جدًّا لدرجة أنه سيكون غير قادر على العثور عليها بواسطة التليسكوب، يتعلَّم أن يتحلى بقدرٍ من المرونة الأخلاقية؛ لكنه لم يجد نفسه مُضطرًّا لتولي مُهمة خطف من قبل.

سألته النقيب شاديد: «هل هناك مُشكلة أيها المُحقِّق؟».

قال: «لا يا سيدتي، سأقوم بالأمر».

قالت: «لا تضيع الكثير من الوقت في هذه المُهمَّة».

- «حسنًا يا سيدتي. أي أوامِر أخرى؟».

عادَت الرقة لتشُق طريقها إلى عيني النقيب شديد، كما لو كانت ترتدي قناعًا. ابتسمت.

- «هل يسير كُل شيء على ما يُرام مع شريكك؟».

قال ميلر: «هافلوك بخيرٍ، يجعلني وجوده في الجوار أبدو أفضل، وهذا شيء لطيف».

أصبحت ابتسامتها أكثر واقعيةً بمقدار نصف درجة. فالقليل من العُنصرية المُشتركة هو أفضل شيء يبني به المرء علاقته مع مُديره. أومأ ميلر برأسه احترامًا وتقديرًا وهو يتوجَّه إلى الخارِج.

***

كانت غُرفته في الطابق الثامِن، قبالة نفق سكني عرضه مائة متر ،مزوَّد بحديقةٍ خضراءَ مزروعةٍ بعنايةٍ، تمتد إلى مُنتصف المدينة بعرض خمسين مترًا. أضاء سقف الممر الرئيس المُقبَّب بأضواءٍ غائرةٍ وكان مطليًّا باللون الأزرق الذي أكَّد له هافلوك أنه يُطابِق لون سماء الأرض في فصل الصيف. بدت له الحياة على سفح كوكَب، وزيادة كُتلة كُل عظمة وعضلة، دون أي شيء يحافِظ على وجود الهواء سوى الجاذبية، كطريق سريع للجنون. إلا أن اللون الأزرق كان لطيفًا على الرغم من ذلك.

يُقلِّد بعض الناس خُطى النقيب شاديد بتعطير أجواء غُرفهم. بالطبع لا يستخدمون رائِحة القهوة والقرفة دائمًا، تفوح غُرفة هافلوك برائِحة الخبز. بينما يختار آخرون روائِح الأزهار أو الروائِح الشبيهة بالفيرمونات. أما كانديس، طليقة ميلر، فكانت تُفضِّل رائِحة تُسمى زنابِق الأرض، والتي تجعله يتذكَّر طوابِق إعادة تدوير النفايات، وهذه الأيام، أصبحت تُذكِّره بالرائحة المُقبِضة الغامِضة للمحطَّة نفسها. رائِحة الهواء المُعاد تدويره بعد مروره عبر مليون رئة، والمياه النظيفة للغاية التي تتدفَّق من الصنبور لدرجة أنه من المُمكِن استخدامها في أعمال المُختبرات، على الرغم من أنها مُعاد تدويرها من البول، والبُراز، والدموع، والدماء، وسيُعاد تدويرها مرَّة أخرى. كانت دائرة الحياة في سيريس صغيرة للغاية لدرجة أنه يُمكِنك رؤية المُنحنى. وهو يحب ذلك الأمر للغاية.

سكب لنفسه كوبًا من ويسكي الطحالب -مشروب سيريس الأصلي المُصنَّع من خميرة مُعالجة هندسيًّا- قبل أن يخلَع حذاءه ويستلقي في فراشه الإسفنجي. كان لا يزال قادرًا على رؤية عبوس كانديس المليء بالاستنكار، وسماع تنهُّداتها. اعتذر لذكراها، وعاد ليستكمِل عمله.

جوليت أندروميدا ماو. قرأ سجل عملها، وسجلاتها الأكاديمية. طيَّارة مركبات فضائية ماهِرة. كانت هناك صورة لها وهي في الثامِنة عشرة من عُمرها وهي ترتدي بدلة فضائية دون خوذة: فتاة جميلة، تمتاز بهيكل قمري نحيف وشعر أسود طويل. كانت تبتسِم وكأن الكون قد قبَّلها لتوِّه. قال النص المكتوب تحت الصورة إنها فازت بالمركز الأول في مُسابقةٍ تُدعى (باريش/ دورن ٥٠٠ ك). بحث عن تلك المُسابقة قليلًا، سباق من النوع الذي لا يُمكِن أن يتحمَّل أحد تكاليف المُشاركة به سوى الأثرياء. حطَّمت مركبتها الفضائية -زاروربارك- الرقم القياسي السابِق، واحتفظت به لمُدَّة عامين.

ارتشَف ميلر الويسكي الخاص به وتساءل عمَّا حدث للفتاة التي كان لديها ما يكفي من الثروة والقوَّة لتمتلك مركبة خاصة قادرة على جلبها إلى هنا. لقد كان طريقًا طويلًا يفصل ما بين التنافُس في السباقات الفضائية باهظة الثمن، وبين أن يتم اختطافها وإرسالها إلى المنزل في كبسولة، أو ربما لم يكُن طويلًا.

قال ميلر وهو ينظُر إلى الشاشة: «يا لها من فتاة صغيرة مسكينة ثرية، أعتقِد أنه من السيئ أن يكون المرء مكانكِ».

أغلَق الملف، وشرب بهدوءٍ وجديةٍ، وهو يُحدِّق في السقف الفارِغ الموجود فوقه. كان المقعد الذي اعتادت كانديس أن تجلِس فيه لتسأله عن تفاصيل يومه فارغًا؛ لكن كان بإمكانه رؤيتها فيه على أي حال. كان من

السهل جدًّا احترام الدوافِع، بينما لم تعُد موجودة هنا لتُجبره على الحديث. لقد كانت تشعُر بالوحدة. بإمكانه أن يفهم ذلك الآن. رآها في مُخيلته وهي تُدير عينيها بسخطٍ.

وبعد ساعة، كان قد شَرِبَ حتى الثمالة، سخَّن وعاءً من الأرز الحقيقي والفاصوليا الصناعية -حيث يُمكِن للخميرة والفطريات أن تُحاكيا أي شيء إذا شربت ما يكفي من الويسكي أولًا- فَتَح باب غُرفته، وتناوَل عشاءه وهو يُراقِب حركة المرور المُنحنية برفقٍ. تدفَّق عُمَّال الوردية الثانية عبر محطَّات المترو، ثُم تدفَّقوا إلى الخارِج. استقبل الطفلان اللذان عاشا فوقه بغُرفتين -طفلة في الثامنة من عُمرها، وشقيقها الذي كان في الرابِعة- والدهما بالأحضان، والصراخ، والاتهامات المُتبادلة، والدموع. تلألأ السقف الأزرق بفعل الأضواء المُنعكِسة؛ لكنه ظلَّ ثابتًا، وساكنًا، ومطمئنًّا. رفرف عصفور داخِل النفق، طائرًا بالطريقة التي يؤكِّد هافلوك أنهم لا يطيرون بها على الأرض. ألقى له ميلر حبة فاصوليا صناعية.

حاوَل أن يُفكِّر فِي فتاة آل ماو؛ لكنه لم يكُن يهتَم بها لهذه الدرجة في الحقيقة. فهناك أمر ما يحدُث لعصابات الجريمة المُنظَّمة في سيريس، وجعله هذا متوتِّرًا للغاية.

أما بشأن جولي ماو؟ فلقد كانت عرضًا جانبيًّا.

(٣)

هولدن

شعر هولدن بالألم يجتاح رُكبتيه، وظهره، وعنقه، ورأسه، بعدما قضى قُرابة اليومين في جاذبيةٍ عاليةٍ. أما قدماه، فكانتا تؤلمانه ألمًا لا يُحتَمل. سار عبر باب غُرفة طاقم (الفارِس) بينما كانت ناعومي تتسلَّق السلم قادمةً من مرفق شحنه. ابتسمت وهي تُشير بإبهامها للأعلى.

قالت: «آلية الإنقاذ مُغلَقة، المُفاعِل قيد التسخين. نحن جاهزون للإقلاع».

- «هذا جيد».

سألته: «هل تمَّ تخصيص طيَّار بعد؟».

- «أليكس كمال على أهبة الاستعداد اليوم؛ ولذلك فهو رجلنا. كُنت أتمنى لو كان فالكا جاهزًا. إنه ليس طيارًا ماهرًا مثل أليكس؛ لكنه أكثر هدوءًا، ورأسي يؤلمني».

قالت ناعومي: «أنا أحِب أليكس، إنه شديد الحماسة».

- «لا أعرف ماذا تقصدين بأنه شديد الحماسة؛ لكن إذا كُنتِ تقصدين أليكس، فهو يجعلني أشعُر بالإرهاق».

بدأ هولدن يصعَد السلم مُتجهًا نحو قُمرة القيادة، وغُرفة العمليات. ابتسم انعكاس ناعومي من خلفه على سطح لوحة الحائط المُعطَّلة الأسود اللامِع. لم يستطِع فهم كيفية ارتداد سُكَّان الحزام، النحيلين كأقلام الرصاص، عن قوى التسارُع الكبيرة بهذه السُّرعة؛ لكنه عزا الأمر لعقودٍ من المُمارسة والتربية الانتقائية.

تمَّ ربط هولدن بوحدة التحكُّم الموجودة في غُرفة العمليات، تماشَت المواد المُصنَّعة لأريكة الارتطام مع جسده بصمتٍ. جهَّزتهم آدي للنهج النهائي عندما بلغت قوى التسارُع نصف (ج)، بدا الإسفنج مُريحًا للغاية. ترك آهة خافتة تنزلِق من بين شفتيه. طقطقت المفاتيح البلاستيكية والمعدنية المصنوعة؛ لتتحمَّل قوى التسارُع الكبيرة ومرور مئات السنين بحدةٍ. استجاب (الفارِس) وظهرت مجموعة من مؤشِّرات التشخيص المتوهِّجة وطنين لا شعوري.

بعد بضع دقائِق، رفع هولدن ناظريه ليرى شعر أليكس كمال الأسود الخفيف يظهَر، متبوعًا بوجهه المُستدير المليء بالبهجة، ولون بشرة بني داكِن لم تستطِع سنوات الحياة على متن المركبات أن تؤثِّر عليه. نشأ أليكس الذي كانت بنيته أكثر سمكًا من بنية سُكَّان الحزام على المريخ؛ لكنه كان نحيفًا بالمُقارنة مع هولدن، وعلى الرغم من ذلك، كانت بدلة الطيران الخاصَّة به مشدودة على مُحيط خصره. خدم أليكس ضمن قوَّات بحرية المريخ؛ لكنه تخلى بوضوح عن روتين اللياقة الخاص بالنمط العسكري.

قال بلهجته المُميَّزة: «أهلًا بالمسؤول التنفيذي».

شعر هولدن بالانزعاج من التأثير الغربي القديم المُشترك بين جميع القادمين من الوادي المريخي. لم يعُد هناك راعي بقر واحِد على الأرض

منذ مائة عام، ولم يكُن هناك أي عُشب على سطح المريخ لم تُحاصره قُبة، أو حصان واحِد خارِج حديقة الحيوان. كان الهنود الشرقيون، والصينيون، ومجموعة صغيرة من سُكَّان تكساس قد استوطنوا الوادي المريخي، وعلى ما يبدو، فقد انتشرت بينهم تلك اللهجة المُميزة سريعًا، وأصبحوا يتحدَّثون بها جميعًا الآن. أضاف: «كيف حال الحصان الحربي القديم اليوم؟».

«كُل شيء على ما يُرام حتى الآن؛ لكننا نحتاج لخطة طيران. ستجلب لنا آدي مُخطَّطات التوقُّف النسبي». صمت وهو يتحقَّق من قراءات الوقت، قبل أن يُضيف: «أربعين، لذلك عليك أن تعمل سريعًا. أريد أن أخرُج، أقوم بالمطلوب، ثُم نُعيد (كانتيربيري) إلى مسارها نحو سيريس قبل أن ينهشها الصدأ».

قال أليكس وهو يصعَد إلى قُمرة قيادة (الفارِس): «عُلم ويُنفَّذ».

سمع هولدن صوت نقرة من ساعته قبل أن يأتيه صوت ناعومي وهي تقول: «أموس وشيد على متن (الفارِس). نحن جاهزون جميعًا».

- «شكرًا. أنا في انتظار أرقام الطيران من أليكس فقط، وسنكون مُستعدين للانطلاق».

استخدموا الحد الأدنى الضروري لتكوين طاقم: هولدن في القيادة، أليكس المسؤول عن الذهاب بهم وإعادتهم، شيد موجود في حالة وجود ناجين بحاجةٍ للعلاج، ناعومي وأموس موجودون لإنقاذهم إذا لم يكونوا بحاجةٍ للعلاج.

لم يمض وقت طويل قبل أن يقول أليكس: «حسنًا يا زعيم. ستكون رحلة طيران مغلية مُدتها أربع ساعات. إجمالي استخدام الوقود سيكون

حوالي ثلاثين بالمائة؛ لكن الخزان مُمتلئ. الوقت المُقدَّر لإتمام المُهِمة: إحدى عشرة ساعة».

قال هولدن: «عُلِم. شكرًا يا أليكس».

كان مُصطَلح (طيران مغلي) هو: مُصطلح من اللغة العامية الخاصَّة بالبحرية يُطلِقونه على مُحرِّكات دفع المناورات التي تستخدِم البُخار المغلي لكُتلة المُفاعِل؛ حيث يكون استخدام شُعلة اندماج (الفارِس) بالقُرب من (كانتيربيري) أمرًا خطيرًا، وتبذيرًا في مثل هذه الرحلة القصيرة. كانت الشعلات هي مُحرِّكات اندماج ما قبل إبشتاين، كما كانت أقل كفاءةً منه بكثير.

قال هولدن: «نطلُب الإذن بمُغادرة الحظيرة». ثُم ضغط زر الاتصال الداخلي ليتمكَّن من الحديث إلى غُرفة القيادة وهو يقول: «هولدن هنا. (الفارِس) جاهز للانطلاق».

قال ماكدويل: «حسنًا، انطلِق يا جيم، آدي تقوم باللازِم في الوقت الحالي. توخوا الحذر بالخارِج يا أطفال فهذا المكوك باهظ الثمن، كما أنني لطالما كُنت مُعجبًا بناعومي».

قال هولدن: «عُلِم أيها القُبطان». قبل أن يعود لقناة الاتصال الداخلي وهو يقول لأليكس: «انطلق بنا إلى الخارِج».

استرخى هولدن في مقعده، واستمع إلى الصرير الناتِج عن مناورات (كانتيربيري) الأخيرة، يصرُخ الفولاذ والسيراميك بصوتٍ عالٍ ومشؤومٍ مثل ألواح خشبية لمركبٍ شراعي، أو مفصل أرضي بعد تعرُّضه لجاذبيةٍ مُرتفعةٍ، وشعر هولدن بالشفقة نحو تلك المركبة.

لم يتوقَّفوا بالطبع. لا يتوقَّف أي شيء في الفضاء حقًّا؛ بل يدخلون في مدارٍ مطابقٍ لمدار جسم آخر. كانوا الآن يتبعون (ج أ – ٢٢١٦٨٦٢) في رحلته الألفية الطويلة حول الشمس.

منحتهم آدي الضوء الأخضر، فأفرَغ هولدن هواء مرفق الحظيرة وفَتَح الأبواب. قادهم أليكس إلى الخارج مُخلفًا مخاريط بيضاء من البُخار المغلي.

انطلقوا في رحلة العثور على (سكوبيولي).

***

كانت (ج أ – ٢٢١٦٨٦٢) عبارة عن كويكب يبلُغ عرضه نصف كيلومتر، ضلَّ طريقه بعيدًا عن الحزام، قبل أن تأسره جاذبية المُشتري القوية؛ ليجد مساره البطيء حول الشمس في المُتَّسَع الشاسِع الذي يقع بين كوكب المُشتري والحزام، وهي منطقة خالية في الفضاء.

تسبَّب مشهد (سكوبيولي) التي كانت تنال قسطًا من الراحة على جانِب الكويكب، والتي ثُبِّتَت في مكانها رغمًا عنها بفضل جاذبية الكويكب الضئيلة، في قشعريرةٍ لهولدن. حتى لو كان طيَّارها أعمى، وجميع آلاتها متوقِّفة عن العمل، لظلَّت احتمالات اصطدامها بمثل هذا الشيء من قبيل الصدفة مُنخفِضة للغاية؛ فقد كان يُمثِّل حاجزًا بعرض نصف كيلومتر في طريق سريع يبلغ عرضه ملايين الكيلومترات. لم تصل إلى هناك بدافِع الصُّدفة. انتصَب الشعر الموجود على مؤخرة عنقه.

قال هولدن: «اقترب بنا إلى مسافة كيلومترين يا أليكس، ماذا يُمكنكِ أن تخبريني عن هذه المركبة يا ناعومي؟».

قالت ناعومي: «يتطابَق تكوين الهيكل مع معلومات التسجيل. إنها (سكوبيولي) بكُل تأكيد. لا تُخرج منها أي أشعة كهرومغناطيسية أو تحت حمراء. مُجرَّد منارة استغاثة صغيرة. يبدو أن المُفاعِل قد توقَّف عن العمل. لا بُدَّ أن هذا حدث بشكلٍ يدوي وليس بسبب عُطل؛ لأننا لا نتلقى أي بيانات تُفيد بوجود تسرُّب إشعاعي كذلك».

نَظَر هولدن إلى الصور التي حصلوا عليها من تلسكوبات (الفارِس)، بالإضافة إلى الصورة التي رسمها اعتمادًا على شكل أشعة الليزر المُنعكِسة عن هيكل (سكوبيولي). قال: «ماذا عن ذلك الشيء الذي يبدو وكأنه ثُقب في جدارها الجانبي؟».

قالت ناعومي: «هكذا يقول اللادار، إنه ثُقب في جدارها الجانبي».

عبس هولدن قائلًا: «حسنًا، لنستقر هنا لدقيقةٍ، ونعيد فحص الأشياء الموجودة في الجوار. هل تلتقِط المناظير أي شيء يا ناعومي؟».

قالت ناعومي: «لا. علمًا بأن المصفوفة الكبيرة الموجودة على (كانتيربيري) قادرة على رصد طفل يتسلى بإلقاء الحجارة على متن لونا. قالت بيكا إنه لا يوجد أحد في مُحيط عشرين مليون كيلومترٍ في الوقت الحالي».

بدأ هولدن في الطرق بإيقاعٍ مُعقَّد على ذراع مقعده، وهو ينجرف للأعلى داخِل أحزمة الأمان. شعر بارتفاع درجة حرارته، فمد يده ليُعيد توجيه أقرب فوَّهة لتوزيع الهواء على وجهه. شعر بوخزة في فروة رأسه ناتِجة عن تبخُّر العرق.

لا تحاوِل أن تلعَب دور البطل بالخارِج، إذا ما رأيت أي شيء يبدو غير مألوف، احزموا أغراضكم وعودوا إلى هنا فحسب. كانت هذه هي

أوامره. نَظَر إلى صورة (سكوبيولي)، إلى الثقب الموجود في جدارها الجانبي.

قال: «حسنًا، اقترِب بنا إلى مسافة ربع كيلومتر يا أليكس، وثبِّت المحطَّة هناك. سنتجه إلى السطح على متن الآلية، وأبقِ شُعلتك دافِئة ومُستعدة. أريد أن أكون قادرًا على الهروب بأسرع ما يُمكِن، إذا ما كان هناك أي شيء يختبئ هنا بين جدران تلك المركبة، وأريد أن أكون قادرًا على إذابة أي شيء إلى كيان رخوي بينما أفعل ذلك. مفهوم؟».

أجابه أليكس قائلًا: «مفهوم يا زعيم. سأبقي (الفارِس) يقظًا للركض، كما الأرنب، حتى تأمُر بغير ذلك».

نظر هولدن إلى وحدة التحكُّم مرَّة أخرى، باحثًا عن أي أضواء إنذار حمراء تأمره بالعودة إلى (كانتيربيري). لكن اللون الأخضر الفاتِح فرض سيطرته على كُل شيء. فك حزام أمانه واندفع خارِج مقعده. أرسلته دفعة خفيفة بقدمٍ واحدةٍ نحو السلم، ونزل رأسًا على عقبٍ باستخدام لمسات خفيفة على درجاته.

كانت ناعومي، وأموس، وشيد لا يزالون يجلسون في أرائِك التحطُّم الخاصَّة بهم وهُم يرتدون أحزمة الأمان. أمسك هولدن بالسلم واعتدل كيلا يضطر للنظر إلى طاقمه وهو مقلوب رأسًا على عقبٍ. بدأوا في التحرُّر من قيود أحزمتهم.

- «حسنًا، إليكم الأمر. لقد تعرَّضت (سكوبيولي) لهجومٍ نتج عنه ثُقب، وتركها شخص ما بجوار هذه الصخرة. لا نرى أي أحد عبر المناظير، وهذا يعني أنه ربما حدث ذلك منذ فترة، وأنهم قد غادروا. ناعومي، ستقودين آلية الإنقاذ، بينما سيُربَط ثلاثتنا بالحبال، وسنتدلى نحو الحطام. شيد، ستبقى بجوار

الآلية ما لم نجد شخصًا مُصابًا، وهو الأمر الذي يبدو غير مُرجح. سندخُل أنا وأموس إلى المركبة عبر ذلك الثُقب، ونفحصها من الداخِل. إذا ما وجدنا أي شيء يبدو كفخٍّ عن بُعد، سنعود إلى الآلية، وستطير بنا ناعومي إلى (الفارِس)، وسنهرب بعيدًا. أي أسئلة؟».

رفع أموس يده السمينة وهو يقول: «ربما يجب أن نذهَب ونحن مُسلَّحون أيها المسؤول التنفيذي. تحسُّبًا لوجود أي قراصنة كامنين في انتظارنا داخِل المركبة».

ضحك هولدن قائِلًا: «حسنًا، إذا كان هناك أي قراصنة، فيبدو أن رحلتهم قد تركتهم وغادرت؛ لكن اذهب وأحضر سلاحك، إذا كان ذلك سيجعلك تشعر بالارتياح».

سيشعُر بالارتياح بدوره إذا حمل الميكانيكي قوي البنية الضخم سلاحًا؛ لكنه فضَّل عدم البوح بذلك. دعهم يعتقِدوا أن المسؤول يتحلى بالثقة.

استخدم هولدن مفتاح الضبَّاط الخاص به؛ ليفتح خزانة الأسلِحة، التقط أموس سلاحًا آليًّا عالي العيار يُطلِق طلقات آلية الدفع، سلاحًا عديم الارتداد، ومُصمَّمًا للاستخدام في حالة انعدام الجاذبية. كانت قاذفات الرخويات أكثر فاعليةً؛ لكنهم كانوا يستخدمونها كدافع للمناورات في حالة عدم وجود جاذبية أيضًا، ومن شأن المُسدَّس التقليدي أن يُعطي قوَّة دفع كافية للهروب السريع من كويكب بحجم (ج أ – ٢٢١٦٨٦٢).

انجرف الطاقم إلى مرفق الشحن؛ حيث كان القفص المفتوح بيضاوي الشكل ذو الأرجل العنكبوتية الخاص بناعومي في انتظارهم.

كان يوجد في نهاية كُل قدم من أقدامه الأربع مخلَب مناورة، ومجموعة متنوعة من أدوات القطع واللحام المُدمجة. كما كان بإمكان الزوج الخلفي الإمساك بهيكل المركبة أو بأي هيكل آخر، بينما كان الزوج الأمامي يُستخدم لإجراء الإصلاحات، أو تقطيع الحُطام الفضائي إلى قطعٍ محمولةٍ.

قال هولدن: «ارتدوا خوذاتكم». ساعَد أفراد الطاقم بعضهم بعضًا على ارتداء وتأمين الخوذات. تحقَّق الجميع من بدلاتهم قبل أن يفحصوا بدلات الآخرين. فعندما ستُفتَح أبواب مرفق الشحن، سيكون قد فات أوان التأكُّد من إحكام إغلاق البدلات.

صعدت ناعومي إلى آليتها، بينما قام أموس، وهولدن، وشيد بتأمين الحبال المربوطة ببدلاتهم في قُمرة قيادة القفص المعدني. فحصت ناعومي الآلية قبل أن تضغط على الزر الخاص بتدوير هواء مرفق الشحن وفتح الأبواب. تلاشى الصوت داخِل بدلة هولدن، وتحوَّل إلى حفيف هواء، وشوشرة لاسلكية خافِتة. بينما فاحَت رائِحة دواء خافِتة في الهواء.

انطلقت ناعومي -أولًا- لتصل بالآلية نحو سطح الكويكِب باستخدام نفاثاتٍ صغيرةٍ من النيتروجين المضغوط، وتبعها الطاقم مربوطين بحبالٍ يبلُغ طولها ثلاثة أمتار. تطلَّع هولدن إلى (الفارس) وهو يطير في الفضاء: وتد رمادي سميك الجسد، مزوَّد بمُحرك مخروطي عالِق في طرفه العريض. كان مُصمَّمًا ليكون فعالًا وليس جميلًا، مثله مثل أي شيء آخر صنعه البشر بغرض السفر في الفضاء، وهو الأمر الذي لطالما أصاب هولدن بالحُزن. لا بُدَّ أن يُفسِحوا المجال للجماليات، حتى في الفضاء.

بدا وكأن (الفارِس) يبتعِد عنهم، واستمرَّ في التضاؤل شيئًا فشيئًا، على الرغم من أنه لم يتحرَّك من مكانه قيد أنملة. تلاشى الوهم عندما استدار لينظُر إلى الكويكب وشعر بأنهم يندفعون نحوه. فتح قناة اتصال مع ناعومي؛ لكنها كانت تُدندن لنفسها وهي تُحلِّق، مما يعني أنها على الأقل لم تكُن تشعُر بالقلق. لم يقُل شيئًا؛ لكنه ترك القناة مفتوحة ليستمِع إلى دندنتها.

لم تبدُ (سكوبيولي) بهذا القدر من السوء عن قُرب. فلم يكُن بها أي ضرر -تقريبًا- باستثناء ذلك الثُّقب الموجود في جدارها الجانبي. كان من الواضِح أنها لم تصطدِم بالكويكب؛ بل تُركَت بالقُرب منه بما فيه الكفاية لدرجة أن جاذبيته القليلة بدأت بجذبها ببطءٍ، وعندما اقتربوا، التقط مجموعة من الصور بخوذة بدلته، وأرسلها إلى (كانتيربيري).

توقَّفت ناعومي، حلَّقت بهم على ارتفاع ثلاثة أمتار فوق الثقب الموجود في جدار سكوبيولي الجانبي. أطلَق أموس صفيرًا عبر قناة البدلة العامة، وهو يقول: «لم يتسبَّب صاروخ ما في هذا الثقب أيها المُدير التنفيذي؛ بل شُحنة خارِقة. هل ترى الطريقة التي ينثني بها المعدن في جميع أنحاء الحواف؟ لقد عُلِّقت تلك الشحنة على هيكلها مُباشرةً».

بالإضافة إلى كونه ميكانيكيًّا ماهِرًا؛ فقد كان أموس هو أول من استخدم الجراحة المُتفجِّرة لكسر الجبال الجليدية التي تطوف حول زُحل ليقسمهم إلى أجزاءٍ يُمكِن التحكُّم بها، وكان هذا سببًا آخر لضمِّه إلى طاقم (الفارِس).

قال هولدن: «إذن فقد توقَّف أصدقاؤنا الموجودون في (سكوبيولي) هنا، وتركوا شخصًا ما يتسلَّق هيكلهم، ويزرع شُحنة خارِقة، ثُم يصنع

ثقبًا بهذا الشكل، ويترُك كُل الهواء يندفع إلى الخارِج. هل يبدو هذا منطقيًّا لأي منكم؟».

قالت ناعومي: «لا، لا يبدو هذا منطقيًّا بالنسبة لي. هل لا تزال تريد الدخول إلى هناك؟».

لا تحاوِل أن تلعَب دور البطل بالخارِج، إذا ما رأيت أي شيء يبدو غير مألوفٍ. احزموا أغراضكم وعودوا إلى هنا فحسب.

لكن ما الذي كان يتوقَّعه؟ بالطبع لم تكُن (سكوبيولي) تُحلِّق أو تعمَل. بالطبع حدث خطأ ما، وكان الأمر غير المألوف هو عدم رؤية أي شيء غريب.

قال هولدن: «أشهِر سلاحك يا أموس تحسبًا لأي شيء فحسب. ناعومي، هل يُمكِنك أن تصنعي لنا ثُقبًا أوسع؟ وتوخي الحذر من فضلك. إذا ما بدا أي شيء خاطئًا، عودي بنا فورًا».

اقتربت ناعومي قليلًا، لا يُمثِّل النيتروچين المضغوط أكثر من نفسٍ أبيض في ليلةٍ باردةٍ. عادت شُعلة لحام الآلية إلى الحياة، توهَّجت بلونٍ أحمر ساخنٍ، سُرعان ما تحوَّل إلى الأبيض، قبل أن يستقِر على اللون الأزرق. رفعت ذراع الآلية -في حركةٍ حشريةٍ- بصمتٍ، وبدأت ناعومي تقطَع الفتحة. هبط هولدن وأموس إلى سطح المركبة وتعلَّقا به بفضل أحذيتهم المغناطيسية. شعر بالاهتزاز بقدميه عندما جذبت ناعومي جزءًا من الهيكل، وبعد لحظة، انطفأت الشعلة، ووجَّهت ناعومي مُعدَّات إخماد الحرائِق الآلية على الحواف الجديدة للفتحة لتبريدها. رفع هولدن إبهامه للأعلى وهبط ببطءٍ شديدٍ إلى داخل (سكوبيولي).

كان قد تمَّ زرع الشحنة الخارِقة في مُنتصف المركبة تقريبًا، مما تسبَّب في وجود ثقب بالمطبخ، وعندما هبط هولدن، وتشبَّث حذاؤه بجدار المطبخ، شعر بقطع الطعام المُتجمِّدة تتحطَّم تحت قدمي؛ لكنه لم يرَ أي جُثث تلوح في الأفق.

قال هولدن عبر قناة اتصالات البدلة: «هيا يا أموس. لا أرى أيًّا من أفراد الطاقم بعد».

تحرَّك جانبًا، وبعد لحظات هبط أموس بجواره، وهو يتشبَّث بالمُسدَّس بيمينه، وبكشَّاف ضوء قوي بيسراه. هبط الشعاع الأبيض على جدران المطبخ المُحطَّمة.

سأله أموس: «في أي اتجاه سنذهب أولًا أيها المُدير التنفيذي؟».

ربت هولدن على فخذه وهو يقول: «غُرفة المُحرِّكات. أريد أن أعرف لماذا توقَّف المُفاعِل عن العمل».

صعدا على سلم الطاقم، تسلقاه نحو مؤخرة المركبة. كانت جميع أبواب غُرف مُعادلة الضغط بين الطوابِق مفتوحة، وهي علامة سيئة. فمن المُفترض أن تكون جميعها مُغلقة، إذا ما اندلع إنذار فُقدان الهواء. أما في حال كانت مفتوحة، فهذا يعني أنه لم تعُد هناك أسطُح مليئة بالهواء الصالِح للتنفُّس. لم تكُن هذه مُفاجأة؛ لكنها كانت تبدو كهزيمة بكُل تأكيد. عبروا المركبة الصغيرة سريعًا، قبل أن يتوقَّفوا في ورشة الآلات. كانت كُل أجزاء المُحرِّك وآلاته باهظة الثمن لا تزال في مكانها.

قال أموس: «أعتقِد أنها لم تكُن عملية سرقة».

إذن فماذا كانت؟ لم يقُل هولدن شيئًا؛ لكن السؤال ظلَّ عالقًا بينهما على أي حال.

كانت غُرفة المُحرِّك أنيقة، بارِدة، وخالية من الحياة. طفق هولدن ينتظر، بينما فحصها أموس، قضى عشر دقائِق -على الأقل- وهو يطفو حول المُفاعِل.

قال أموس: «قام أحدهم بإجراءات الإغلاق، لم يتوقَّف المُفاعِل عن العمل بسبب الانفجار؛ لكنه توقَّف بعد ذلك. لا أستطيع رؤية أي ضرر، وهذا غير منطقي؛ لأنه من الذي أغلقه، إذا كان الجميع قد ماتوا بسبب الهجوم؟ وإذا كان القراصِنة هُم من أغلقوه، فلماذا لم يأخذوا المركبة معهم؟ إنها لا تزال صالحة للعمل».

قال هولدن: «لقد مروا وفتحوا كُل أبواب غُرف مُعادلة الضغط الداخلية الموجودة على متن المركبة قبل أن يقطعوا الكهرباء، فرَّغوا كُل الهواء. أعتقِد أنهم أرادوا التأكُّد من أن أحدًا لم يكُن يختبئ، حسنًا، لنتوجَّه إلى غُرفة العمليات، ونرى إذا ما كان بإمكاننا اختراق الحاسوب. ربما يُمكِنه أن يُخبرنا بما حدث».

عادوا إلى سلم الطاقم، وصعدوا نحو غُرفة العمليات، التي كانت فارِغة وسليمة تمامًا. بدأ عدم وجود جُثث يُزعِج هولدن أكثر مما كان من المُمكِن أن يُزعِجه وجودها. انجرف نحو وحدة التحكُّم الرئيسية بالحاسوب، وضغط عدَّة أزرار ليرى إذا ما كانت لا تزال تعمل بالطاقة الاحتياطية؛ لكنها لم تكُن تعمل.

- «ابدأ باستخراج القلب يا أموس، سنأخذه معنا. سأقوم بفحص الاتصالات؛ لمعرفة إذا ما كان بإمكاني العثور على هذه المنارة».

تحرَّك أموس نحو الحاسوب وبدأ في إخراج أدواته وإلصاقها بالحاجِز المجاوِر له، بدأ يُدندِن بترنيمةٍ مليئةٍ بالألفاظ النابية أثناء عمله. لم تكُن

ساحرةً مثل تلك التي كانت تُدندنها ناعومي؛ لذلك أغلق هولدن القناة المفتوحة بينه وبين أموس أثناء ذهابه إلى وحدة الاتصالات. كانت خالية من الحياة مثل بقية المركبة، وجد منارة الاستغاثة الخاصَّة بالمركبة.

لكنها لم تكُن تعمَل. استدعاهم شخص آخر إلى هنا. تراجَع هولدن للخلف عابسًا.

نظر إلى الفضاء، باحثًا عن أي شيء في غير محله. كان هناك صندوق أسود صغير غير مُتصل بأي شيء آخر يقبَع على سطح المركبة، تحت وحدة التحكُّم في مُشغِّل الاتصالات.

فوَّت قلبه دقَّة. نادى أموس مُتسائلًا: «هل تبدو هذه كقُنبلة بالنسبة لك؟».

لكن أموس لم يُجِبه. فتح هولدن قناة الاتصال بينه وبين أموس.

قال وهو يُشير إلى الصندوق: «هل تبدو هذه كقُنبلة بالنسبة لك يا أموس؟».

ترك أموس عمله في الحاسوب، وتحرَّك إلى هناك ليُلقي نظرةً، ثُم أمسك بالصندوق ورفعه في حركةٍ كادت توقف قلب هولدن.

أمسكه أمام خوذة هولدن وهو يقول: «لا. هذا جهاز إرسال. لقد تمَّ توصيله ببطاريةٍ، ماذا يفعل هناك؟».

قال هولدن بصوتٍ خافتٍ وهو لا يزال يحاوِل السيطرة على فزعه: «هذه منارة الاستغاثة التي تتبعناها إلى هنا. يا إلهي! لم تعمَل منارة استغاثة هذه المركبة من الأساس. لقد صنع شخص ما منارة مُزيَّفة من ذلك الجهاز وأوصله بالبطارية».

- «ولماذا يفعل هذا أيها المُدير التنفيذي؟ لا يبدو هذا منطقيًّا».

قال هولدن: «سيبدو هذا منطقيًّا في حالةٍ واحدةٍ، إذا ما كان هناك شيء ما في هذا الجهاز، مُختلف عن حالته المُعتادة».

- «مثل؟».

قال هولدن: «مثل أن يُرسِل إشارة أخرى عندما يجده شخص ما». ثُم بدَّل القناة ليتحدَّث عبر قناة الاتصال العامة: «حسنًا أيها السادة والسيدات، لقد وجدنا شيئًا غريبًا، وسنخرج من هنا فورًا، ليعود الجميع إلى (الفارِس)، وليتوخى الجميع الحذر عندما... ».

طقطق اللاسلكي الخاص به عندما عملت القناة الخارجية، وصدح صوت ماكدويل ليملأ خوذته وهو يقول: «يبدو أن لدينا مُشكلة يا جيم!».

(٤)
ميلر

كان ميلر قد انتهى من تناوُل نصف وجبته المسائية عندما دقَّ نظام غُرفته الأمني. نظر إلى رمز الإرسال. الضُفدع الأزرق. كانت حانة مواني تخدم المليون نسمة الإضافيين غير المواطنين في سيريس، الموجودين باستمرار، وتُعلِن عن نفسها بأنها نُسخة طبق الأصل من حانة أرضية شهيرة موجودة في مومباي، إلا أنها تحتوي على عاهرات مُرخَّصات ومُخدرات قانونية. تناوَل ميلر شوكة أخرى من الفاصوليا الفطرية، والأرز المزروع خلويًّا وهو يُفكِّر فيها لو كان يجب أن يقبل الاتصال.

قال لنفسه: كان يجب أن أرى ذلك قادمًا.

قَبِل الاتصال وسأل: «ما الأمر؟».

انبثقَت شاشة أمامه. وظَهَر عليها حسيني -مُساعِد المُدير- والذي كان رجلًا ذا بشرة داكنة وعينين بلون الثلج. كانت نصف الابتسامة التي تُزيِّن وجهه ناتجةً عن تلف في الأعصاب. كان ميلر قد قدَّم له معروفًا عندما شَعَر حسيني بالشفقة على عاهرةٍ غير مُرخَّصة، ومنذ ذلك الحين، ومُحقِّق الأمن والبارمان في يتبادلان الخدمات. الاقتصاد غير الرسمي الكئيب الذي تقوم عليه الحضارات.

قال حسيني بصوتٍ عالٍ ليصدَح صوته فوق نبض وعويل موسيقى البانجرا: «شريكك هنا مرّة أخرى، وأعتقِد أنه يحظى بليلةٍ سيئةٍ. هل يجب أن أستمِر في خدمته؟».

قال ميلر: «أجل، أبقِه سعيدًا حتى... أعطني عشرين دقيقة».

- «لا يُريد أن يبقى سعيدًا. إنه يبحث بشدةٍ عن سبب ليُصبح غير سعيد».
- «صعِّب عليه تلك المُهمة. سآتي فورًا».

أومأ حسيني برأسه وهو يبتسِم ابتسامته التالِفة، قبل أن يُنهي الاتصال. نَظَر ميلر إلى وجبته النصف مأكولة، ثُم تنهَّد، وألقى بالبقايا في سلة إعادة التدوير. تردَّد وهو يرتدي قميصًا نظيفًا. إن حانة الضُفدع الأزرق أدفأ من قُدرته على التحمُّل، وهو يكره ارتداء المعاطِف. بدلًا من القيام بذلك، وضع مُسدسًا بلاستيكيًّا مضغوطًا في جراب كاحله. في مكان لا يستطيع الوصول إليه سريعًا؛ لكن إذا ساءت الأمور لهذه الدرجة، فهو هالِك لا محالة.

لا يُمكِن التفرقة بين سيريس في آناء الليل عن سيريس في أطراف النهار؛ فالحركة لا تتوقَّف، تم تعتيم الأضواء وتفتيحها أسوةً بدورة حياة البشر التقليدية التي تمتد لأربع وعشرين ساعة عندما تمَّ افتتاح المحطة للمرة الأولى، لتُحاكي دوران الأرض، واستمرَّ هذا الأمر لمُدة أربعة أشهر قبل أن يُصدِر المجلس أوامره بإيقافه.

إذا حَدَثَ ذلك أثناء أوقات العمل الرسمية، لاستعان ميلر بعربةٍ كهربائيةٍ ليقطع بها الأنفاق الواسِعة نحو طابِق الموانى. شعر بإغراء القيام بذلك، على الرغم من أنه لا يعمَل، فإن خرافة تعمَّقت جذورها في نفسه حالت بينه وبين القيام بذلك. إذا ما استعان بالعربة، فسيذهب بصفته

شُرطيًّا؛ لكن المترو كان لا بأس به. سارَ ميلر نحو أقرب محطة، وفحص جدول المواعيد، ثُم جلس على المقعد الحجري المُنخفِض، جاء رجل في سن ميلر وفتاة في الثالِثة من عُمرها بعد دقائِق وجلسا في مواجهته. كان حديث الفتاة سريعًا وبلا معنى وكأن الكلام يتسرَّب من بين شفتيها، بينما استجاب والدها لحديثها بهمهماتٍ وإيماءاتٍ في اللحظات المُناسبة تقريبًا.

أومأ ميلر والرجل الجديد لبعضهما بعضًا، شدَّت الفتاة كُم والدها، لتلفِت انتباهه. نظر ميلر إليها كانت تتمتَّع بعينين داكنتين، وشعر فاتِح اللون، وبشرة ناعمة، كانت أطول من أن يعتقِد بأنها طفلة أرضية عن طريق الخطأ، كما أن أطرافها كانت أطول وأنحَف، ويلتمع جلدها باللون الوردي المُميَّز لأطفال الحزام، والذي كان أثرًا جانبيًّا لكوكتيل الأدوية الذي يضمَن أن تزداد عضلاتهم وعظامهم قوَّة. لاحَظ ميلر أن الأب انتبه لاهتمامه، فابتسم وهو يومئ برأسه نحو الطفلة.

سأله: «كم عُمرها؟».

قال الأب: «سنتان ونصف».

- «سن جيد».

هزَّ الأب كتفيه؛ لكنه ابتسم.

سأله: «هل لديك أطفال؟».

قال ميلر: «لا؛ ولكنها في مثل عُمر طلاق».

قهقها سويًّا كما لو كان الأمر مُضحِكًا، وفي خياله، عقدت كانديس ذراعيها وأشاحَت بنظرها بعيدًا. أعلَن النسيم الخافِت المُعبَّق برائِحة الزيت والأوزون عن وصول عربة المترو. سَمَح ميلر للأب وطفلته بالصعود أولًا، قبل أن يختار مقصورةً مُختلفةً.

كانت عربات المترو مُستديرة، ومبنيَّة لتُلائِم الممرَّات التي تمَّ إخلاؤها. لم يكُن بها نوافِذ؛ حيث إن المنظَر الوحيد سيكون أزيز الحجر الموجود على بُعد ثلاث سنتيمترات من العربة، وبدلًا من ذلك، كانت هناك شركات عريضة تُعلِن عن محتويات ترفيهية، أو تعليقات على فضائح الكواكِب الداخلية السياسية، أو تعرض فرصًا رائِعةً للمُقامَرة بأجر أسبوع من العمل في الكازينوهات لدرجة أن حياتك ستبدو أكثر ثراءً لمُجرَّد التجرِبة فقط. ترك ميلر الألوان الزاهية تتراقَص أمامه دون أن يهتَم بمحتواها. كان يُفكِّر في مُشكلته، يقلبها من جانبٍ إلى آخر، دون أن يبحث عن إجابة.

كان ذلك تمرينًا ذهنيًّا بسيطًا، انظر إلى الحقائِق دون أن تُصدِر حُكمًا: هافلوك رجل أرضي، ويجلِس في حانة مواني مرَّة أخرى باحثًا عن قتال. كما أنه شريكه. وبيان تلو الآخر، وحقيقة خلف الأخرى، ووجه بعد الآخر، لم يحاوِل ترتيبهم أو صنع أي نوع من أنواع السرد منهم؛ فسيأتي هذا لاحقًا. أما الآن فيجب أن يمسَح قضايا اليوم عن رأسه ويستعِد للوضع الحالي. وبحلول الوقت الذي وَصَل فيه المترو إلى محطته، شعر بالثبات، كما لو كان يسير على قدميه بالكامِل، مثلما كان يصِف الأمر، عندما كان لديه من يصفه إليه.

كانت حانة الضفدع الأزرق مُزدحِمة، وزادَت حرارة الأجساد من حرارة مومباي الزائِفة، ومن تلوُّث الهواء الصناعي. لمعت الأضواء وومضت على شاشات عرض تُحفِّز النوبات. كانت الطاولات متموِّجة ومُنحنية، وزادتها الإضاءة الخلفيَّة سوادًا. انتقلَت الموسيقى في الهواء بحضورٍ مادي؛ لتُسبِّب كُل ضربة خفيفة منها ارتجاجًا في المُخ. وقف حسيني وسط مجموعة من الحُرَّاس الأقوياء والنادِلات اللائي ترتدين

ملابس مكشوفة، نظر في عيني ميلر وأومأ برأسه إلى الخلف. لم يفعل ميلر شيئًا؛ استدار وشقَّ طريقه بين الحشد فحسب.

لطالما كانت حانات الموانِي مُتحفِّزة، وكان ميلر حريصًا على عدم الاصطدام بأي شخص قدر استطاعته، وإذا ما اضطرَّ لذلك، فكان يختار الاصطدام بسُكَّان الحزام قبل سُكَّان الكواكِب الداخلية، وبالنساء قبل الرجال. بينما يرسم على وجهه ابتسامة اعتذار لطيفة طوال الوقت.

كان هافلوك يجلِس وحيدًا، يُحيط كوبًا زجاجيًّا بيدٍ سمينةٍ، وعندما جَلَسَ ميلر بجواره، استدار هافلوك نحوه مستعدًّا للقِتال بأعين واسعة وأنف مُتهيِّج. قبل أن تظهر علامات المُفاجأة على وجهه، ويحتل العار والحُزن ملامحه.

قال بصوتٍ عالٍ: «مرحبًا يا ميلر». كان ليُعد ذلك صياحًا إذا كان في الأنفاق الموجودة بالخارِج، أما هنا فكان الصوت خفيضًا لدرجة أنه بالكاد وصل لميلر. أضاف: «ماذا تفعل هنا؟».

قال ميلر: «ليس هناك الكثير لأفعله في الغُرفة، فكَّرت في الحضور للتورُّط في شجارٍ».

قال هافلوك: «إنها ليلة مُناسِبة للشجار».

كان هذا صحيحًا. فقد كان المزيج، حتى في الحانات التي تخدم سُكَّان الكواكِب الداخلية، بمُعدَّل أرضي أو مريخي من كُل عشرة موجودين. حدَّق ميلر في الحشد ليرى أن الرجال والنساء القصار المُكتنزين كانوا لا يمثلون سوى الثلث فحسب.

سأله: «هل رَسَت مركبة؟».

- «أجل».

«مركبة (تـ بـ أ. م)؟ ». كثيرًا ما كانت تمُر مركبات تحالُف قوَّات البحرية بين الأرض والمريخ بسيريس في طريقها إلى زُحل، والمُشتري، ومحطَّات الحزام؛ لكن ميلر لم يكُن يولي اهتمامًا كافيًا لموقِع الكواكِب النسبي لمعرفة مكان جميع المدارات. هزَّ هافلوك رأسه.

قال: «شركة أمن تتناوَب خارِج إيروس، أعتقِد أنها بروتوجين».

ظهرت نادِلة بجوار ميلر، تنساب الوشوم على بشرتها، وتتوهَّج أسنانها في الضوء الأسود، تناوَل ميلر الشراب الذي قدَّمته له، على الرغم من أنه لم يطلُب شيئًا. كانت مياه غازية.

قال ميلر وهو يميل نحو هافلوك لدرجة أن صوته العادي كان سيصِل إلى أذنه: «أنت تعلَم أن شاديد لن تُحبَّك، بغض النظر عن عدد الأشخاص الذين ستُقاتلهم».

حدج هافلوك ميلر بنظرةٍ قاسيةٍ، والغضب يحتَل عينيه ليطغى على العار والأذى.

قال ميلر: «هذا حقيقي».

نهض هافلوك مُترنحًا قبل أن يتوجَّه إلى الباب. كان يحاوِل أن يسير بشكلٍ مُستقيم؛ لكن جاذبية سيريس، وحالة الثمالة التي كان يُعاني منها جعلا الأمر صعبًا، حتى بدا وكأنه يتقافَز. انزلق ميلر وهو يُمسِك بالكأس في يده ليسير في أعقاب هافلوك، وهو يُهدئ من روع الوجوه التي ضايقها شريكه بابتسامةٍ وهزَّة كتف.

كانت الأنفاق العامَّة الموجودة بالقُرب من الميناء تحتوي على طبقة من الأوساخ والشحوم، لا تستطيع أجهزة تنقية الهواء والمُنظِّفات القوية التخلُّص منها. غادَر هافلوك بأكتافٍ مُنحنيةٍ وفمٍ مزموم، والغضب يتصاعَد منه كالحرارة؛ لكن أبواب حانة الضفدع الأزرق أُغلِقت خلفها،

اختفى صوت الموسيقى تمامًا وكأن أحدهم أوقفها. لقد مضى أسوأ ما في الخطر.

قال هافلوك بصوتٍ عالٍ: «لست ثملًا».

- «لم أقُل ذلك».

استدار هافلوك وطَعَن ميلر في صدره بإصبعه قائلًا: «وأنت... أنت لست مُربيتي».

- «هذا -أيضًا- صحيح».

سارا سويًّا لربع كيلومتر تقريبًا، ظهرت اللافتات المُضيئة ساطِعة. لافتات بيوت الدعارة، وصالات الرماية، والمقاهي، ونوادي الشعر، والكازينوهات، ونوادي القِتال الاستعراضية. فاحَت رائحة البول، والطعام القديم في الهواء. بدأ هافلوك في التباطؤ وهو يهدأ قليلًا.

قال: «لقد عملت في قسم جرائِم القتل في تيريتاون، وقضيت ثلاث سنوات كنائِب مأمور في المُقاطعة الخامِسة. هل لديك أي فكرة عمَّا كان عليه الحال؟ لقد كانوا يشحِنون الأطفال من هُناك، وأنا واحِد من ثلاثة رجال تصدوا لذلك. أنا شرطي جيد».

- «أجل، أنت شُرطي جيد».
- «أنا جيد للغاية».
- «أجل، أنت كذلك».

مروا بحانة تُقدِّم المكرونة. فُندق حجيرات. وشاشة عرض عامة، كانت تعرض ملفًّا إخباريًّا مجانيًّا: مشكلات في الاتصالات بسبب الوباء الذي يجتاح محطَّة فيبي العلمية. شبكة ألعاب (نيو أندرياس ك) تُحقِّق أرباحًا، قدرها ستة مليار دولار في أربع ساعات. لا توجد صفقة تيتانيوم

بين المريخ والحزام. توهَّجَت الشاشات في عيني هافلوك؛ لكنه لم يكُن يراها من الأساس.

قال مرَّة أخرى: «أنا شرطي جيد لعين». ثُم صمت لدقيقةٍ قبل أن يُضيف: «ما الأمر إذن بحق الجحيم؟».

قال ميلر: «لا يتعلَّق الأمر بك، ينظر إليك الناس، دون أن يروا ديمتري هافلوك، الشرطي الجيد؛ لكنهم يرون الأرض».

- «هذا هراء. لقد قضيت ثماني سنوات في المدارات وفي المريخ قبل أن يرسلوني إلى هنا، وعملت على الأرض فترةً لا تزيد على ستة أشهُر».

قال ميلر: «الأرض والمريخ، لا يختلِفان عن بعضهما بعضًا كثيرًا».

قال هافلوك بابتسامةٍ مريرةٍ: «حاوِل أن تُخبِر المريخيين بذلك، سيبرحونك ضربًا على قولك هذا!».

- «لم أقصِد ذلك... انظُر، أنا مُتأكِّد أن هناك الكثير من الاختلافات. فالأرض تكره المريخ؛ لأن أسطوله أفضل، والمريخ يكره الأرض لأن أسطولها أكبر، وربما كانت كُرة القدم أفضل في الجاذبية الكامِلة، وربما كانت أسوأ. لا أعرف. أنا أتحدَّث فقط عن الناس القادمين من مكانٍ بذلك البُعد عن الشمس؟ إنهم لا يكترِثون. فمن هذه المسافة، يُمكِنك أن تُغطي الأرض والمريخ بإبهامٍ واحدٍ، و... ».

قال هافلوك: «وأنا لا أنتمي إلى هنا».

فُتِح باب حانة المكرونة الموجود خلفهم، وخرج منه أربعة من سُكَّان الحزام يرتدون أزياء رسميةً رمادية وخضراء. كانت الدائرة المُميِّزة لـ

(أوبا) مُطرَّزة على كُم أحدهم. شَعَر ميلر بالتوتُّر؛ لكن سُكَّان الحزام لم يقتربوا منهم، ولم يُلاحظهم هافلوك. قدر ولطف.

قال هافلوك: «كُنت أعرِف عندما قَبِلت بعقد ستار هيليكس، أنه سينبغي عليّ العمل حتى أشعُر بالانسجام. اعتقدت أنه سيكون مثل أي مكان آخر، هل تفهمني؟ تنضم إلى المكان، يتنمَّرون عليك قليلًا، يرون أنك تستحِق التواجُد في المكان، ويبدؤون في مُعاملتك مثل أحد أعضاء الفريق؛ لكن الأمر لا يسير بهذه الطريقة هنا».

قال ميلر: «ليس هنا».

هزَّ هافلوك رأسه، بصق أرضًا، وحدَّق في الكأس الزجاجي الموجود في يده.

قال هافلوك: «أعتقِد أننا سرقنا أكواب حانة الضفدع الأزرق لتوِّنا».

قال ميلر: «كما أننا في ممرٍّ عامٍّ ومعنا كحول غير مُرخَّص، حسنًا، أنت كذلك على أي حال. كأسي به مياه غازية».

ضَحِك هافلوك، كان هناك يأس يحتل صوته، وعندما تحدَّث مرَّة أخرى، كان صوته مليئًا بالحُزن:

- «تظُن أنني أتيت إلى هنا، من أجل التورُّط في قتالٍ مع سُكَّان الكواكِب الداخلية حتى تُفكِّر شاديد، وراماتشاندرا، وبقيتهم أنني شخص أفضل».
- «خَطَرَ ذلك ببالي».

قال هافلوك: «أنت مُخطِ».

قال ميلر: «حسنًا». على الرغم من أنه كان يعرِف أنه لم يكُن مُخطئًا.

رَفَعَ هافلوك كأسه وهو يسأله: «هل ستُعيد تلك الكؤوس؟».

أجابه ميلر: «لنذهب إلى صالة هياسينث الشهيرة، أنا سأدفع».

كانت صالة هياسينث الشهيرة فوقهم بثلاثة طوابِق، وكان هذا كافيًا كيلا تكون مُزدحِمة كطابق الموانِي. كما أنها كانت حانة ضُبَّاط مُعظمهم من شركة ستار هيليكس للأمن؛ لكن كان هناك أيضًا بعض العاملين بشركات الأمن الصغيرة -مثل بروتوجين، بينك ووتر، والعبيق- يتسكَّعون هناك. كان ميلر نصف مُتيقِّن من أنه قد تمَّ تفادي انهيار شريكه العصبي؛ لكن إذا كان مُخطِئًا، فمن الأفضل أن يحدُث ذلك بين زملائه.

كان الديكور حزاميًّا تمامًا بطاولات ومقاعِد قابلة للطي على شكل مركبات قديمة مُثبَّتة إلى الحائِط والسقف، كما لو أن الجاذبية ستتوقَّف فجأة، والعديد من النباتات المُتسلِّقة- أجهزة إعادة تدوير هواء من الجيل الأول- تُزيِّن الجدار والأعمِدة القائِمة بذاتها. كانت الموسيقى هادِئة بما فيه الكفاية ليحظى الموجودون بمُحادثةٍ عاديةٍ، وعالية بما فيه الكفاية لتُحافِظ على خصوصية المُحادثات. كان خافيير لوي، المالِك الأول، مُهندسًا إنشائيًّا بشركة تايكو، وكان قد خَرج أثناء الدوران الكبير، وأحبَّ سيريس بما يكفي ليستقِر بها، وكان أحفاده هُم من يُديرون المكان في الوقت الحالي، وَقَف خافيير الثالِث خلف البار، وهو يتحدَّث مع نصف أعضاء فريق الدعارة والسخرة. شقَّ ميلر طريقه نحو منضدة خلفية، أومأ برأسه للرجال والسيدات الذين يعرفهم وهو يمُر، اختار التظاهُر بالرجولة هنا، بينما كان حريصًا وخانِعًا في حانة الضفدع الأزرق؛ لكنه كان مُجرَّد تظاهُر.

سارَت كيت ابنة خافيير -وهي من الجيل الرابع لمُديري الحانة- مُبتعدةً عن المنضدة، وهي تحمِل كوب حانة الضفدع الأزرق على صينيتها. قال هافلوك: «حسنًا، ما التحقيق الخاص فائِق السريَّة الذي كلَّفتك به شاديد؟ أم أنه ليس من المُفترَض بالأرضي البسيط أن يعرفه؟».

سأله ميلر: «هل هذا ما تبادَر إلى ذهنك؟ إنه لا شيء، بعض حملة الأسهُم وضعوا ابنتهم في غير محلها ويريدون مني تعقُّبها، وشحنها إلى المنزل. إنها قضية تافهة».

قال هافلوك وهو يومئ برأسه إلى طاقم الدعارة والسخرة: «يبدو أن الأمر يخصُّهم».

قال ميلر: «ليس فتاة قاصِرة، إنها عملية اختطاف».

- «وهل تُجيد ذلك؟».

جَلَسَ ميلر. تحرَّك اللبلاب الموجود فوقهم. انتظر هافلوك إجابته، وشعر ميلر بعدم الارتياح لكون الأدوار قد تبدَّلت للتو.

قال: «إنها وظيفتي».

- «أجل؛ لكننا نتحدَّث عن شخص بالِغ هنا، أليس كذلك؟ لا يبدو الأمر وكأنها لا تستطيع العودة إلى المنزِل إذا أرادت ذلك؛ لكن بدلًا من ذلك، يستعين والداها بالأمن ليأخذها إلى المنزل سواء أرادت الذهاب أم لا. لم يعُد هذا يندرِج تحت بند تنفيذ القانون؛ بل إنه لم يعُد ضمن نطاق خدمات أمن المحطَّة. إنها مُجرَّد عائلات مُختلَّة تُمارِس لعبة السلطة».

تذكَّر ميلر صورة الفتاة النحيفة التي كانت تقف بجوار مركبة التسابُق الخاصَّة بها، وابتسامتها العريضة.

قال ميلر: «لقد أخبرتك أنها قضية تافِهة».

عادَت كيت لوي إلى الطاوِلة وهي تحمل بيرة محليَّة الصنع وكوبًا من الويسكي على صينيتها. كان ميلر سعيدًا بوصول الإلهاء. وكانت البيرة

التي تخصُّه خفيفة وغنيَّة ولا تحتوي على أي مرارة. إن علوم البيئة القائمة على الخميرة والتخمير تُنتِج مشروبات رائعة.

تجرَّع هافلوك الويسكي الخاص به على مرَّةٍ واحدةٍ. اعتبر ميلر أن هذا علامة على تخليه عن ثباته. لا يسلب أي شيء سحر فقدان السيطرة، مثل التواجُد حول زملاء المكتب.

صاح صوت مألوف: «مرحبًا يا ميلر! يا هافلوك! ».

كان هذا يافجيني كوب من قسم جرائِم القتل. لوَّح له ميلر، قبل أن تتحوَّل المُحادثة إلى تفاخُر قسم جرائِم القتل بحل قضيَّة شنيعة للغاية. استغرقهم الأمر ثلاثة أشهُر من العمل لمعرفة من أين أتت السموم وكيف انتهى بها الأمر في جُثة الزوجة، انتهَت بالفوز بتسوية التأمين الكامِلة وترحيل عاهرة غير مُرخَّصة إلى إيروس.

في نهاية الليلة، كان هافلوك يضحَك وهو يتبادَل النكات مع بقيتهم، وإذا ما تسلَّلت بين ذلك نظرة عميقة أو ابتسامة صغيرة، فقد كان ميلر يعتبر ذلك تقدمًا.

كان ميلر في طريقه إلى البار ليُحضِر جولة أخرى من المشروبات عندما دقَّ جهازه اللوحي. قبل أن يتردَّد صدى خمسين دقَّة أخرى، ويبدأ كُل الموجودين من عناصِر الأمن في سحب أجهزتهم اللوحية، شعر ميلر بالخوف يتسلَّل إلى قلبه.

ظَهَرَ وجه النقيب شاديد على الشاشات، كانت عيناها مغرورقتين بالدموع ومليئتين بالغضب، كانت صورة مألوفة لامرأةٍ مسؤولةٍ استيقظت من نومها مُبكرًا.

قالت: « سيداتي وسادتي، أيًّا كان ما تفعلونه، اتركوه فورًا وعودوا إلى الأقسام لتلقي أوامِر الطوارئ، لدينا وضع طارئ منذ عشر دقائِق،

وصلت رسالة موقَّعة وغير مُشفَّرة من الاتجاه الوعر لكوكب زُحل. لم نؤكِّد صحة الأمر بعد؛ لكن التوقيع يُطابِق المفاتيح المُسجَّلة. لقد أوقفتها؛ لكن لنفترض أن هناك أحمق ما سيرفعها على الشبكة، وسيُجن جنون الجميع بعد ذلك بخمس دقائِق. إذا كُنت بجوار أحد المدنيين، فأغلِق جهازك اللوحي الآن، أما بالنسبة لبقيتكم... فهذا ما نواجهه».

تحرَّكَت شاديد جانبًا، وهي تضغط أزرار واجهة نظامها، احتلَّ اللون الأسود الشاشة، وبعد لحظات، ظهر وجه وكتفا رجل كان يرتدي بدلة فضائية برتقالية دون خوذة، رجل أرضي في بداية الثلاثينات من عُمره. ببشرةٍ شاحبةٍ، وعيون زرقاء، وشعر قصير داكِن، وحتى قبل أن يفتَح الرجل فمه، استشفَّ ميلر الغضب والصدمة في عينيه، وفي الطريقة التي يميل بها رأسه إلى الأمام.

قال الرجل: «اسمي جيمس هولدن».

(٥)

هولدن

بدأ رأس هولدن يؤلمه بعد قضاء عشر دقائِق في جاذبية مقدارها (٢ ج)؛ لكن ماكدويل طلب منهم العودة بسُرعةٍ. كانت (كانتيربيري) تُجهِّز مُحرِّكها الهائِل للعمل، ولم يرغَب هولدن في تفويت رحلته.

***

- «يبدو أن لدينا مُشكلة يا جيم! ».
- «تحدَّث إليَّ».
- «وجدت بيكا شيئًا ما، وكان من الغرابة بما يكفي ليجعل خصيتي تختفي. سنرحل من هنا فورًا».

***

سأل هولدن أليكس للمرَّة الثالِثة خلال عشر دقائِق: «كم تبقى حتى نصِل يا أليكس؟».

- «أكثر من ساعة. هل تُريد أن تشرَب العصير؟».

كان مُصطلح (تشرَب العصير) هو مُصطلح خاص بالطيَّارين ويعني: أن ينطلِقوا بالسرعة القصوى في جاذبيةٍ عاليةٍ لدرجة أنه من شأنه أن يُفقِد الإنسان غير المُعالَج وعيه، و(العصير) المُشار إليه هو: عبارة عن كوكتيل من الأدوية سيحقِنه بها كُرسي الطيَّار ليظل واعيًا، مُتيقظًا، وخاليًا

من الخلطات عندما يزن جسده خمسمائة كيلوجرام. كان هولدن قد شَرِب العصير في عدَّة مُناسبات عندما كان يخدم في البحرية الفضائية، وكان النزول بعد تناوله أمرًا غير سارٍّ.

قال: «ليس إلا إذا اضطررنا إلى ذلك».

***

عاد ليسأل ماكدويل: «أي نوع من الأمور الغريبة؟».

- «افتحي قناة اتصال مرئي معه يا بيكا. أريدك أن ترى ما نراه يا جيم».

***

تناوَل هولدن حبَّة مُسكِّن بلسانه عبر خوذة بدلته وهو يعيد بث جهاز استشعار بيكا للمرَّة الخامِسة. كانت تلك البُقعة من الفضاء تقع على بُعد مائتي ألف كيلومتر من (كانتيربيري)، وعندما قامَت بمسحها، أظهرت القراءة تقلُّبًا؛ حيث طوَّر اللون الرمادي الداكِن الزائِف حدًّا دافِئًا. كان ارتفاعًا بسيطًا في درجة الحرارة، أقل من درجتين. شعر هولدن بالدهشة لأن بيكا كانت قادرةً على رصده. ذكَّر نفسه بالثناء عليها في المرَّة القادِمة التي تترشَّح فيها لنيل ترقية.

***

سأل هولدن: «من أين جاء هذا؟».

قالت بيكا: «لا أعرف. إنها مُجرَّد بُقعة أكثر دفئًا من الخلفية، كُنت أرغَب في أن أقول إنها سحابة غاز؛ لأن أشعة الرادار لا ترتد عنها؛ لكن ليس من المُفترض أن تكون أي سحب غاز هنا. أقصِد، من أين ستأتي؟».

سأله ماكدويل: «هل هناك أي احتمال بأن تكون (سكوبيولي) قد قضت على المركبة التي دمَّرتها يا جيم؟ هل يُمكِن أن تكون سحابة بُخار ناتِجة عن مركبة مُدمَّرة؟».

- «لا أعتقِد ذلك يا سيدي. لم تكُن (سكوبيولي) مُسلَّحة من الأساس، وتسبَّبت شُحنة خارِقة في الثقب الموجود في جدارها الجانبي، لم يكُن هذا بسبب صاروخ، لذلك لا أعتقِد أنهم قاوموا حتى. قد يكون ذلك هو المكان الذي نفثت فيه (سكوبيولي) عادمها؛ لكن... ».
- «وربما لا. عودوا إلى الحظيرة يا جيم. فورًا».

***

قال هولدن: «ما الشيء الذي ترتفِع درجة حرارته ببطءٍ دون أن يعكِس أشعة الرادار أو اللادار عندما يمسحونه يا ناعومي؟ مسموح بالتخمينات الجنونية هنا».

منحت ناعومي نفسها وقتًا كافيًا للتفكير قبل أن تقول: «أي شيء كان يمتص الطاقة من حزمة المُستشعِر لن يعكِس الأشعة؛ لكنه قد يزداد سخونةً عندما يتخلَّص من الطاقة التي امتصَّها».

توهَّجت شاشة الأشعة تحت الحمراء الموجودة على وحدة الاستشعار المجاوِرة لمقعد هولدن مثل الشمس. أطلَق أليكس سبةً بصوتٍ عالٍ عبر قناة الاتصال العامَّة. قبل أن يقول: «هل ترى ذلك؟».

تجاهله هولدن، وفتح قناة اتصال مع ماكدويل.

قال هولدن: «لقد حصلنا للتو على ارتفاعٍ هائلٍ في الأشعة تحت الحمراء يا قبطان».

مرَّت ثوان طويلة دون أن يأتيه رد، وعندما تحدَّث ماكدويل عبر القناة، كان صوته مليئًا بالصرامة. لم يسمَع هولدن القائِد يبدو خائِفًا من قبل.

قال ماكدويل: «لقد ظهرت مركبة للتو في تلك البُقعة الدافئة يا جيم. إنها تشع حرارةً بشكلٍ غير طبيعي، من أين جاء هذا الشيء بحق الجحيم؟».

كاد هولدن يجيبه، قبل أن يسمَع صوت بيكا يأتيه خافتًا عبر سمَّاعة رأس القُبطان، قالت: «ليس لديَّ أي فكرة يا سيدي؛ لكنها أصغر من توقيعها الحراري، يُظهِر الرادار أنها بحجم فرقاطة».

قال ماكدويل: «كيف أتت؟ هل كانت مُختفية؟ أم أنها انتقلَت إلى هنا آنيًّا عبر ثقب دودي سحري؟».

قال هولدن: «لقد تكهَّنت ناعومي هنا أن الحرارة التي نرصدها ربما تكون ناتِجة عن مواد تمتص الطاقة -مواد خاصَّة بالتخفي- مما يعني أن تلك المركبة كانت مُختفية عن قصد، وهذا يعني أن نواياها ليست جيدة».

وتصديقًا على ما قال، ظهرت ستة أشكال على شاشة راداره، ظهرت في البداية كأيقونات صفراء اللون قبل أن تتحوَّل إلى اللون البرتقالي والنظام يُميِّز تسارُعها. صرخت بيكا في (كانتيربيري): «سريعي حركة! لدينا ستة أجساد جديدة سريعة الحركة تنطلِق فِي مسارٍ تصادمي!».

- «هل أطلَقَت علينا هذه المركبة مجموعة من الصواريخ لتوِّها بحق المسيح؟ هل يحاوِلون إسقاطنا؟».

قالت بيكا: «أجل يا سيدي».

- «الوقت المُقدَّر للوصول؟».

أجابته: «أقل من ثماني دقائِق يا سيدي».

أطلَق ماكدويل سبةً بصوتٍ خافتٍ.

- «إنهم قراصِنة يا جيم».

حاوَل هولدن أن يبدو هادِئًا ومُحترفًا وهو يقول: «ماذا تُريد منَّا أن نفعل؟».

قال القُبطان: «أريدك أن تُغلِق اللاسلكي، وأن تترُك طاقمي يعمَل. لديك ساعة قبل أن تصل إلى هنا على أفضل تقدير، وستصل تلك الصواريخ إلينا في غضون ثماني دقائِق. ماكدويل انتهى الحديث».

أغلَق قناة الاتصال تاركًا هولدن يُنصِت السمع إلى هسيس ساكِن وخافت.

ضجَّت القناة العامَّة بالأصوات، طالَب أليكس بشُرب العصير لمُسابقة الصواريخ وصولًا إلى (كانتيربيري)، بينما ثرثرت ناعومي عن استراتيجيات التشويش على الصواريخ، أما أموس فسبَّ المركبة الشبح، وشكك في نسب أفراد طاقمها، في حين احتفظ شيد بهدوئه.

صاح هولدن عبر سمَّاعته: «اخرسوا جميعًا!». سيطر صمت مصدوم على المركبة، أضاف: «حدِّد أسرَع مسار يصل بنا إلى (كانت) دون أن نتعرَّض للقتل يا أليكس، وأخبرني عندما تنتهي من الأمر، ابدئي قناة اتصال ثلاثية بيني وبينكِ وبين بيكا يا ناعومي. سنُساعِدهم قدر استطاعتنا. استمر في الشتيمة يا أموس؛ لكن أغلِق ميكروفونك».

انتظر وعقارِب الساعة تدُق نحو التصادُم.

قالت ناعومي: «أنشأت القناة».

استطاع هولدن سماع مجموعتين مُميَّزتين من ضوضاء الخلفية عبر قناة الاتصال.

- «أنا جيم يا بيكا، وناعومي معنا في القناة أيضًا. أخبرينا بما نستطيع فعله للمُساعدة. تحدَّثت ناعومي عن تقنيات التشويش؟».

قالت بيكا -بصوتٍ هادئ بشكلٍ مُذهل-: «أنا أبذل قصارى جهدي، إنهم يحدِّدون موقعنا باستخدام الليزر. سأقوم ببث الكثير من الهراء لتشتيته؛ لكن لديهم مُعدَّات لعينة جيدة للغاية. إذا كُنا قد اقتربنا أكثر من ذلك؛ لسبَّب الليزر ثقبًا في هيكلنا».

سألتها ناعومي: «ماذا عن التخفيف المادي؟ هل يُمكِنك أن تتخلصي من الجليد؟».

وبينما انهمكت ناعومي وبيكا في الحديث، انتقل جيم إلى قناة اتصال خاصَّة مع آدي. قال: «مرحبًا، إنه أنا، جيم. أليكس يبحث عن حل بأقصى سُرعة لنصل إليكم قبل أن... ».

قالت آدي: «قبل أن تحوِّلنا الصواريخ إلى عجينة؟ فكرة رائِعة. الأسر من قِبَل القراصنة أمر لا ترغَب في تفويته».

كان بإمكانه أن يسمَع الخوف الذي يختبئ خلف السخرية الموجودة في حديثها.

- «أريد أن أقول شيئًا ما يا آدي من فضلكِ... ».

قالت ناعومي عبر القناة الأخرى: «ما رأيك يا جيم؟».

أطلَق هولدن سبَّة، وقال كيلا ينتبه أحد للأمر: «رأيي في أي شيء؟».

قالت ناعومي: «استخدام (الفارِس) لمحاولة لفت انتباه تلك الصواريخ».

سألها: «هل يُمكِننا القيام بذلك؟».

- «ربما. هل كُنت تسمعنا من الأساس؟».

قال هولدن: «حدث شيء ما هنا فشتَّت انتباهي للحظةٍ. أخبريني بالأمر مرَّة أخرى! ».

قالت ناعومي كأنها تتحدَّث مع طفل: «نحاوِل أن نُطابِق تردُّد الضوء المُرتد عن (كانتيربيري) لنبثَّه عبر مصفوفة اتصالاتنا، فقد تعتقِد الصواريخ أننا الهدف وليس هُم».

- «وسيقومون بتفجيرنا بعد ذلك؟».

قالت ناعومي: «كُنت أفكِّر في الهروب أثناء جذبنا للصواريخ نحونا، ثُم عندما نجذبها بعيدًا بما فيه الكفاية عن (كانتيربيري)، نستطيع إغلاق مصفوفة الاتصالات، قبل أن نحاوِل الاختفاء خلف الكويكب».

قال هولدن وهو يتنهَّد: «لن تنجح تلك الخطة؛ لأنهم يتبعون مُبعثر الليزر الاستهدافي للحصول على الإرشادات العامَّة؛ لكنهم يأخذون أيضًا لقطات تلسكوبية للهدف عند الاستحواذ، سيلقون نظرةً واحدة علينا قبل أن يعرفوا أننا لسنا هدفهم».

- «ألا يستحِق هذا المحاولة؟».
- «حتى لو نجحنا في الأمر، فتلك الصواريخ المُصمَّمة لتعطيل (كانت) ستجعلنا عبارة عن هريسة في وسط الفضاء».

قالت ناعومي: «حسنًا، ماذا لدينا أيضًا؟».

قال هولدن بصوتٍ عالٍ وكأنه يعترِف بالأمر لنفسه: «لا شيء. لقد سَبَقَ وفكَّر الأذكياء الموجودون فِي مُختبرات البحرية الفضائية بالفعل فِي كُل ما سنُفكِّر فيه خلال ثماني الدقائِق القادِمة».

سألته ناعومي: «ماذا نفعل هنا إذن يا جيم؟».

قالت بيكا وصوتها لا يزال هادئًا بشكلٍ مُخيفٍ: «سبع دقائِق».

قال هولدن: «لنصل إلى هناك. ربما يُمكِننا أن نُخرِج بعض الأشخاص من المركبة بعد اصطدامها، أو أن نُساعِد فِي السيطرة على الضرر، هل وجدت ذلك المسار يا أليكس؟».

أجابه أليكس: «أجل أيها المُدير التنفيذي. تمَّ تفعيل وضع الانطلاق بالسرعة القصوى، نزيف الجاذبية، والانقلاب. سنقترب بمسارٍ جانبي كيلا تترُك شُعلتنا ثقبًا في هيكل (كانت). جاهزون للانطلاق؟».

قال هولدن: «أجل، اجعلِ الموجودين عندك يرتدون أحزمة الأمان استعدادًا للجاذبية العالية». ثُم فتح قناة اتصال مع القُبطان ماكدويل قائلًا: «نحن قادمون بأقصى سُرعة يا قُبطان. حاولوا النجاة، وسيكون (الفارس) موجودًا في المحطَّة من أجل التقاطكم، أو من أجل المُساعدة في السيطرة على الضرر».

قال ماكدويل: «عُلِم»، ثُم أغلق القناة.

فتح هولدن قناة اتصاله مع آدي مرَّة أخرى وقال: «سنأتي بأقصى سُرعة يا آدي؛ لذلك لن أتحدَّث؛ لكن اتركي القناة مفتوحة من أجلي، حسنًا؟ أخبريني بما يحدُث! اللعنة، دندني! الدندنة شيء لطيف. أريد فقط أن أعرف أنكِ بخير».

قالت آدي: «حسنًا يا جيم».

تركت القناة مفتوحة على أي حال؛ لكنها لم تُدندن. كان قادرًا على سماع صوت تنفُّسها.

بدأ أليكس العد التنازُلي عبر قناة الاتصال العامَّة، قام هولدن بفحص أحزمة الأمان الموجودة على أريكة التحطُّم الخاصَّة به قبل أن يضغط على زر حقن العصير. اخترقت عشرات الإبر ظهره عبر أغشية بدلته. ارتجف قلبه والمكوِّنات الكيميائية تعتصِر دماغه بقبضةٍ من حديد. شعر بعموده الفقري يتجمَّد، وبوجهه يحمر جرَّاء درجة الحرارة العالية. ضرب ذراع الأريكة بقبضته. وعلى الرغم من أنه كان يكره هذا الجُزء، فإنه كان يعرِف أن القادِم أسوأ. صاح أليكس عبر القناة العامة والعقاقير تدخُل إلى نظامه. كان الآخرون الموجودون في الطوابِق السفلية يتلقون جُرعة العقاقير؛ لتمنعهم من الموت؛ ولتبقيهم تحت تأثير التخدير رغم كونه أسوأ من الموت.

قال أليكس: «واحِد».

شعر هولدن أنه يزن خمسمائة كيلوجرام. صَرَخَت الأعصاب الموجودة في مؤخرة محجر عينه تحت وزن مقل عينيه الهائِل. تحطَّمت خصيتاه على فخذيه. ركَّز كيلا يبلع لسانه. صرخت المركبة وأنَّت من حوله. صَدَح دوي مُزعِج من الطوابِق السفلية؛ لكن لم يتحوَّل أي شيء على لوحته إلى اللون الأحمر. يُمكِن لشُعلة مُحرِّك (الفارِس) أن تُقدِّم كثيرًا من قوى الدفع؛ لكن على حساب مُعدَّل حرق الوقود الهائِل؛ لكن إذا تمكَّنوا من إنقاذ (كانت)، فلن يكون ذلك مُهمًّا.

شعر بأذنيه تنبضان، كان بإمكان هولدن أن يسمَع صوت تنفُّس آدي اللطيف، ونقرها على لوحة المفاتيح. تمنى لو كان بإمكانه النوم وهو

يسمَع هذا الصوت؛ لكن العصير كان يسخَن ويحترِق في دماثه. كان أكثر يقظةً مما كان عليه في أي وقت مضى.

سَمِع صوت آدي تقول عبر قناة الاتصالات: «أجل يا سيدي».

استغرق الأمر هولدن ثانيةً ليُدرِك أنها كانت تتحدَّث إلى ماكدويل، رفع مستوى الصوت ليسمَع ما يقوله القُبطان.

- «... شغِّلي مصادِر الطاقة الرئيسية بكامِل قوتها».

أجابته آدي: «نحن نعمل بكامِل قوَّتنا بالفعل يا سيدي، إذا حاولنا الانطلاق بهذه القوَّة، فسيتمزَّق المُحرِّك إربًا».

لا بُدَّ أن ماكدويل طَلَب منها أن تقوم بتشغيل مُحرِّك إبشتاين.

قال ماكدويل: «لدينا... أربع دقائق يا سيدة توكونبو. إذا كسرتِ المُحرِّك، لن أجعلكِ تدفعي ثمنه».

قالت آدي: «حسنًا يا سيدي. سنقوم بتشغيل مصادِر الطاقة بأكملها. بقوة الحرق القصوى».

كان بإمكان هولدن أن يسمَع إنذار تحذير الجاذبية المُرتفعة يدوي بصوتٍ عالٍ. قبل أن يسمَع صوت طقطقة أعلى، وآدي تُغلِق حزام أمانها.

قالت آدي: «ستعمَل مصادِر الطاقة الرئيسية خلال ثلاث... اثنين... واحِد... الآن».

أنَّت (كانتيربيري) بصوتٍ عالٍ لدرجة أن هولدن اضطرَّ لخفض مستوى صوت قناة الاتصال. تأوَّهت وصرخت كروح شريرة لعدَّة ثوان، ثُم دوى صوت تحطُّم عال. سَحَبَ الرؤية الخارجية، مُحاربًا التعتيم

الناتِج عن الجاذبية المُستحدثة، والذي يحتل حافة رؤيته. كانت (كانتيربيري) لا تزال قطعةً واحدةً.

قال ماكدويل مُتلعثمًا: «ماذا حدث بحق الجحيم يا آدي؟».

قالت آدي: «تمزَّقت إحدى دُعامات المُحرِّك، وتوقَّفت مصادِر الطاقة الرئيسية عن العمل يا سيدي». لكنها لم تُضِفْ: كما قُلت إنه سيحدث!

سألها ماكدويل: «وإلى أين أوصلنا هذا؟».

قالت آدي: «ليس الكثير؛ حيث إن سُرعة الصواريخ قد وصلت لأربعين كيلومترًا في الثانية الآن، وتتزايد باستطرادٍ، بينما نعتمِد على مُحرِّكات دفع المناورات الآن».

قال ماكدويل: «اللعنة».

قالت آدي: «سيصطدِمون بنا يا سيدي».

قال ماكدويل وصوته يصدح فجأة عبر قناة الاتصال المُباشرة التي فتحها: «سنسقط يا جيم، ولا توجد طريقة للتغلُّب على الأمر، اضغط مرتين إذا فهمت الأمر».

ضغط جيم على زر اللاسلكي الخاص به مرَّتين.

قال ماكدويل: «حسنًا، نحن الآن بحاجةٍ للتفكير في طريقة للنجاة بعد الاصطدام. إذا كانت نيَّتهم هي إصابتنا بالعُطل قبل الصعود على متن مركبتنا، فسيأخذون مُحرِّكنا ومصفوفة الاتصالات الخاصَّة بنا. بدأت بيكا في بث نداء الاستغاثة منذ انطلقت الصواريخ نحونا؛ لكنني أريدك أن تستمِر في ذلك إذا ما توقَّف نداء الاستغاثة. إذا عرفوا أنك هناك، فقد

تقل احتمالات إلقائهم لكُل الموجودين هنا من غُرف مُعادلة الضغط؛ لأن هناك شهودًا كما تعلَم».

ضغط جيم على زر اللاسلكي الخاص به مرَّتين.

- «استدِر يا جيم. اختبئ خلف الكويكِب. واطلُب المُساعدة. هذا أمر».

ضغط جيم على زر اللاسلكي الخاص به مرَّتين، قبل أن يأمُر أليكس بالتوقُّف. تبخَّر العملاق الجاثِم على صدره فورًا، ولم يشعُر بشيءٍ آخر يحل محلَّه. كان ذلك التغيير المُفاجئ ليجعله يتقيأ إن لم تكُن الأدوية مُضادة الغثيان تجري في عروقه.

قال أليكس: «ماذا حدث؟».

قال هولدن وأسنانه تصطك ببعضها بعضًا بسبب العصير: «لدينا مهمة جديدة، سنطلُب المُساعدة، وستتفاوَض على إطلاق سراح الأسرى بمُجرَّد أن يحتل الأشرار (كانت). عُد بنا إلى هذا الكويكب. بما أنه أقرَب شيء يُمكِننا الاحتماء به».

قال أليكس: «عُلِم ويُنفَّذ يا زعيم». قبل أن يُضيف بصوتٍ خافتٍ: «مُستعِد أن أُقتَل من أجل زوج من المدافِع، أو مدفع رشَّاش مُثبَّت في بطن مركبتي الآن».

- «أتفهَّم شعورك».
- «هل ستوقِظ الأولاد الموجودين في الطابق الأسفل؟».
- «اتركهم نائِمين».

قال أليكس: «عُلِم ويُنفَّذ». قبل أن يُغلِق القناة.

شغَّل هولدن نداء استغاثة (الفارِس) قبل أن تبدأ الجاذبية المُرتفِعة في العمل مرَّة أخرى. كانت قناة الاتصال مع آدي لا تزال مفتوحة، وكان بإمكانه أن يسمع صوت تنفُّسها مرَّة أخرى، بعد أن أغلَق ماكدويل قناة اتصاله. قام برفع مستوى الصوت واستلقى للخلف، وهو ينتظِر أن يُسحَق مرَّة أخرى. لم يُخيِّب أليكس ظنّه.

قالت آدي بصوتٍ عالٍ لدرجة أن صوتها أتاه مشوَّهًا عبر مُكبرات الصوت: «دقيقة واحدة».

لم يخفض هولدن مستوى الصوت. كان صوتها هادئًا بشكلٍ مُثيرٍ للإعجاب، وهي تبدأ العد التنازلي لحدوث التصادُم.

- «ثلاثون ثانية».

أراد هولدن أن يتحدَّث بشدةٍ، أن يقول شيئًا مُريحًا، أن يُصرِّح بتأكيدات سخيفة وغير صحيحة عن الحُب. ضَحِك العملاق الجاثِم على صدره بصوت قعقعة شُعلة الانصهار.

- «عشر ثوانٍ».

قال ماكدويل: «استعدوا لإيقاف المُفاعِل ولعب دور الموتى بعد اصطدام الصواريخ بنا. إذا لم نُشكِّل تهديدًا، فلن يضربونا مرَّة أخرى».

قالت آدي: «خمسة».

«أربعة».

«ثلاثة».

«اثنان».

«واحِد».

ارتجفت (كانتيربيري) واحتلَّ اللون الأبيض الشاشة. أخذت آدي شهيقًا حادًّا، انقطع فجأة عندما توقَّف الاتصال. كاد صوت الشوشرة الإستاتيكية يُمزِّق طبلة أذن هولدن. قام بخفض الصوت، وضغط على زر اللاسلكي لأليكس.

انخفضت قوَّة الدفع فجأة إلى قوةٍ مقبولةٍ، وتوهَّجَت جميع أجهزة استشعار المركبة تحت تأثير الحمولة الزائِدة. تدفَّق ضوء لامِع من خلال فتحة غُرفة مُعادلة الضغط الصغيرة.

صرخ هولدن: «قدم لي تقريرًا يا أليكس، قدم تقريرك! ماذا حدث؟».

قال أليكس بصوتٍ خفيضٍ ضعيفٍ: «يا إلهي. لقد دمَّروها. لقد دمَّروا (كانت) ».

- «ما حالتها؟ قدم لي تقريرًا عن (كانتيربيري)! ليس لديَّ أي أجهزة استشعار هنا. اللون الأبيض يُسيطر على كُل شيء! ».

مرَّت دقيقة من الصمت قبل أن يقول أليكس: «ليس لديَّ أي أجهزة استشعار هنا أيضًا يا زعيم؛ لكن يُمكِنني أن أقدم لك تقريرًا عن حالة (كانت). فبإمكاني أن أراها».

- «تراها؟ من هنا؟».
- «أجل، لقد تحوَّلَت إلى سحابةٍ من البُخار بحجم جبل أوليمبوس مونز. لقد انتهى الأمر يا زعيم. لقد دمَّروها».

لم يستوعِب عقل هولدن الأمر: لا يُمكِن أن يكون هذا صحيحًا. لا يُدمِّر القراصنة ناقلات المياه. لا يُحقِّق أحد النصر بهذه الطريقة. لا يتلقى

أحد أجرًا على القيام بذلك، وإذا كُنت تُريد قتل خمسين شخصًا، فمن الأسهل لك أن تدخُل إلى مطعمٍ وأنت تحمل مدفعًا رشَّاشًا.

أراد أن يصرُخ بذلك، أن يصرُخ في أليكس أنه مُخطئ؛ لكن كان عليه أن يتماسَك. لقد أصبحت المسؤول الآن.

قال هولدن: «حسنًا. مهمة جديدة يا أليكس. نحن الآن شهود على جريمة قتل. عُد بنا إلى هذا الكويكب. سأبدأ بنشر بث عام؛ لنوقِظ الجميع. لا بد أن يعرفوا ما حَدَث، سأعيد تشغيل أجهزة الاستشعار».

قام بإغلاق أجهزة الاستشعار وبرامجها. انتظر دقيقتين، ثُم أعاد تشغيلها مرَّة أخرى. كانت يداه ترتعدان، كما كان يشعُر بالغثيان. شَعَر جسده وكأنه كان يُديره من مكانٍ بعيدٍ، لم يكُن يعرف مقدار جُرعة العصير الموجودة في دمه، ولم يعرِف مقدار صدمته.

عادَت أجهزة الاستشعار للحياة. تمَّ تقوية (الفارِس) ضد الإشعاعات، مثل أي مركبة أخرى تُحلِّق في الممرَّات الفضائية؛ حيث إنه لا يُمكِنك الاقتراب من الحزام الإشعاعي الضخم الخاص بكوكب المُشتري إلا إذا كانت قد تمَّت تقويتك؛ لكن هولدن شكَّ في أن مُصممي المركبة كان لديهم نصف دزينة من الأسلِحة النووية تنفجِر في مكانٍ قريبٍ عندما وضعوا مواصفاتها؛ لكن الحظ حالفهم، وقد يكون الفضاء حماهُم من النبضات الكهرومغناطيسية؛ لكن لا يزال من المُمكِن أن يتسبَّب إشعاع الانفجار في قلي كُل أجهزة الاستشعار الموجودة على متن المركبة.

وبمُجرَّد عودة المصفوفة، قام بمسح الفضاء الذي كانت تقف فيه (كانتيربيري). لم يكُن هناك شيء أكبر من حجم الكُرة الليِّنة. نظر إلى

المركبة التي قتلتها، والتي كانت تطير في اتجاه الشمس بسُرعةٍ كبيرةٍ. شعر هولدن بالغضب يستعِر في صدره.

لم يكُن خائِفًا. تسبَّب الغضب الذي يشعُر به في تمدُّد الأوعية الدموية، والتي جعلت صدغيه ينبُضان وقبضتيه تُغلقان حتى شعر بأوتاره تؤلِمه. فتح جهاز الاتصالات وصوَّب شُعاعه نحو المركبة المُنسحِبة.

- «هذه الرسالة موجَّهة لمن أمرَ بتدمير (كانتيربيري)، مركبة شحن الجليد المدنية التي فجَّرتها لتوِّك وحوَّلتها إلى سحابة من الغاز. لا يُمكِنك الهروب، يا قاتِل يا ابن العاهِرة. لا أهتم بدوافعك؛ لكنك قتلت لتوِّك خمسين صديقًا من أصدقائي. عليك أن تعرف هوياتهم، سأرسِل لك أسماء وصور كُل شخص مات لتوِّه في تلك المركبة. ألقِ نظرةً فاحصةً على ما فعلت. فكِّر في الأمر حتى أعمل على اكتشاف هويتك».

أغلَق القناة الصوتيَّة، وسحب ملفات طاقم (كانتيربيري)، وبدأ في نقل ملفَّات الطاقم إلى المركبة الأخرى.

سألته ناعومي من خلفه، وليس عبر مُكبِّرات صوت خوذته: «ماذا تفعل؟». كانت تقِف خلفه بخوذةٍ مفتوحةٍ، والعرق يُلصِق شعرها الأسود الكثيف برأسها وعنقها. لم يستطع تبيُّن مشاعرها. خَلَع خوذته بدوره.

قال والعصير يجعل صوته أقل ثباتًا مما أراد: «أريهم أن (كانتيربيري) كانت مكانًا حقيقيًّا يعيش به أناس حقيقيون. بشر لهم أسماء وعائِلات، إذا كان هناك أي شيء يُشبِه الإنسان يُصدِر الأوامِر على متن تلك المركبة، آمُل أن يُطارِده ذلك حتى اليوم الذي سيضعونه فيه في جهاز إعادة التدوير لارتكابه جريمة قتل».

قالت ناعومي وهي تُشير إلى اللوحة الموجودة خلفه: «لا أعتقِد أنهم يُقدِّرون قيامك بذلك».

كانت مركبة العدو ترسمهم بأشعة الليزر المُستهدفة. حَبَس هولدن أنفاسه؛ لكن الصواريخ لم تنطلِق، وبعد بضع ثوان، أطفأت المركبة الشبح الليزر الخاص بها قبل أن يزأر المُحرِّك وهُم ينطلقون بقوة دفع كبيرة، سَمِعَ ناعومي وهي تُطلِق نفسًا مُرتعدًا.

سألته ناعومي: «هل تحطَّمت (كانتيربيري) إذن؟».

أومأ هولدن برأسه.

قال أموس: «اللعنة علينا».

وقف أموس وشيد معًا بجوار سلم الطاقم. كان وجه أموس مصبوغًا باللونين الأحمر والأبيض، بينما كان يفتَح يديه الضخمتين ويُغلِقهما مرَّة أخرى، انهار شيد على ركبتيه، مُصطدِمًا بالسطح بقوةٍ بسبب قوَّة الدفع الكبيرة؛ لكنه لم يبكِ. نظر إلى هولدن وقال: «أعتقِد أن كاميرون لن يحصل على تلك الذراع أبدًا». ثُم دفن وجهه بين يديه، وبدأ في البُكاء.

قال هولدن عبر قناة الاتصال: «تمهَّل يا أليكس. لا داعي للعجلة الآن». انخفضت قوى تسارُع المركبة إلى (١ ج).

سألته ناعومي وهي تحدجه بنظرةٍ قاسيةٍ: «ماذا سنفعل الآن، يا قُبطان؟».

أنت المسؤول الآن. تصرَّف بهذه الطريقة.

أجابها هولدن: «سيكون تفجيرهم في الفضاء هو خياري الأول؛ لكن بما أننا لا نملك أي أسلِحة... فسنتبعهم. ستبقى أعيننا عليهم حتى نعرف إلى أين هُم ذاهبون. قبل أن نكشِف سرَّهم للجميع».

قال أموس بصوتٍ عالٍ: «اللعنة».

قالت ناعومي دون أن تنظُر إليه: «اصطحِب شيد إلى الأسفل، واجعله يرقُد على أريكة يا أموس، وإذا ما اضطررت إلى ذلك، أعطِه شيئًا ما لينام».

قال أموس -وهو يضع ذراعًا غليظةً حول وسط شيد، ويصحبه للأسفل-: «حسنًا أيتها المُديرة».

وعندما ابتعد عن الأنظار، استدارت ناعومي إلى هولدن.

- «لا يا سيدي، لن نُطارِد تلك المركبة. سنطلُب المُساعدة، ثُم سنذهب إلى أي مكان تطلُب منا المُساعدة الذهاب إليه».

قال هولدن: «أنا... ».

قالت ناعومي وهي تقترِب منه: «أجل أنت المسؤول، وهذا يجعلني المُديرة التنفيذية، ووظيفة المُديرة التنفيذية هي إخبار القُبطان عندما يتصرَّف بحماقةٍ، وأنت تتحامَق يا سيدي. لقد حاوَلت حثَّهم على قتلنا بذلك البث بالفعل، والآن... تُريد مُطاردتهم؟ وماذا ستفعل إذا سمحوا لك بالإمساك بهم؟ ستقوم ببثٍّ عاطفي آخر؟ سننقِل الأربعة المُتبقين من طاقمك إلى بر الأمان، وهذا ما سيحدُث، وعندما نكون بأمانٍ، يُمكِنك أن تذهب في حملتك الصليبية يا سيدي».

فكَّ هولدن حزام الأمان الذي يربطه بالأريكة ووقف. كان تأثير العصير قد بدأ ينحسِر، ليترك جسده ينفَق ويمرض. رفعت ناعومي ذقنها ولم تتراجَع.

قال: «سعيد بوجودكِ يا ناعومي، اذهبي لترى بقية الطاقم. لقد أمرني ماكدويل بشيءٍ أخير».

نظرت إليه ناعومي بشكٍّ؛ كان بإمكانه أن يرى عدم ثقتها. لم يُدافِع عن نفسه؛ بل انتظر حتى انتهت. أومأت برأسها قبل أن تهبط السلم نحو الطابق السفلي.

بدأ يعمل بشكلٍ منهجي بمُجرَّد رحيلها، قام بتجميع حزمة البث التي تتضمَّن كُل بيانات المُستشعِر من (كانتيربيري) و(الفارِس). هبط أليكس من قُمرة القيادة، وجلس بتثاقُل على المقعد المجاوِر له.

قال بصوتٍ مُرتعِدٍ من أثر العصير مثل هولدن: «كُنت أفكِّر في بعض الأمور يا قُبطان».

لم ينفجر هولدن غضبًا عندما صمت أليكس، قال: «فيم كُنت تُفكِّر؟».

- «في المركبة الشبح».

توقَّف هولدن عمّا كان يفعله.

- «أخبرني».
- «لا أعرف أي قراصِنة لديهم مثل هذه التقنية».
- «استمر في الحديث».

قال أليكس: «في الواقِع، كانت المرَّة الأولى التي رأيت فيها مثل تلك التقنية عندما كُنت ضمن قوَّات البحرية، كُنا نعمل على مركبات مزوَّدة بهياكِل تمتص الطاقة وأحواض حرارة داخلية. كان هذا سلاحًا استراتيجيًّا أكثر من كونه تكتيكيًّا، لا يُمكِنك إخفاء مُحرِّك نَشِط؛ لكن إذا تمكَّنت من الوصول إلى الموقع المُناسِب، وإيقاف المُحرِّك، وتخزين كُل الحرارة المُهدرة داخليًّا، ستتمكَّن من إخفاء نفسك بشكلٍ جيدٍ. أضِف إلى ذلك الهيكل الذي يمتص الطاقة، ولن ترصدك أجهزة الرادار واللادار وأجهزة الاستشعار. هذا بالإضافة إلى صعوبة الحصول على صواريخ نووية خارِج الجيش».

- «هل تريد أن تقول إن قوَّات البحرية الفضائية المريخية هي من فعلت ذلك؟».

أخذ أليكس نفسًا مُرتعدًا عميقًا.

قال: «إذا كُنا نمتلِك تلك التقنية، فأنت تعلَم أن القوَّات الأرضية كانت تعمل عليها أيضًا».

نظرا إلى بعضهما بعضًا عبر المساحة الضيِّقة، كانت النتائج أثقل من مُعدَّل حرق (١٠ ج). جذب هولدن جهاز الاستقبال، والبطارية اللذين أخذهما من على متن (سكوبيولي) من جيب فخذ بدلته، وبدأ في تفكيكهما بحثًا عن ختم أو إشارة. راقبه أليكس وهو يتحلى بالهدوء للمرة الأولى. كان المُرسِل عامًّا، يُمكِن أن يكون قد أتى من أي غُرفة اتصالات لأي مركبة في النظام الشمسي. كما كانت البطارية عبارة عن كُتلة رمادية لا وصف لها. مدَّ أليكس يده فأعطاها له هولدن. قشَّر أليكس الغطاء الرمادي البلاستيكي وقلَّب البطارية المعدنية بين يديه. رفع الجُزء السفلي

أمام وجه هولدن دون أن ينبس ببنت شفة. كان هناك ختم أسود أسفل البطارية، عبارة عن رقم تسلسلي يبدأ بالحروف (بـ. مـ. جـ. م).

قوَّات بحرية مجلس الجمهورية المريخي.

***

كان قد تمَّ ضبط اللاسلكي للبث بكامِل قوَّته، وكانت حزمة البيانات جاهزة للإرسال، وقف هولدن أمام الكاميرا مائلًا للأمام قليلًا.

قال: «اسمي جيمس هولدن، ودُمِّرَت مركبتي (كانتيربيري) بواسطة مركبة حربيَّة مزوَّدة بتقنية التخفي، وبأجزاءٍ يبدو أنها مختومة بالأرقام التسلسلية الخاصَّة بقوَّات البحرية الفضائية المريخية. ستتدفَّق البيانات بعد البث».

(٦)
ميلر

أسرَعت العربة عبر النفق، أخفَى صوت السارينة أزيز المُحرِّك. تركوا رائحة الاحتراق لتُصاحِب المدنيين الفضوليين خلفهم. مال ميلر للأمام في مقعده، آملًا في أن تسير العربة بسُرعةٍ أكبر. كانوا على بُعد أربعة كيلومترات وأسفل مقر القسم بثلاثة طوابِق.

قال هافلوك: «حسنًا، أنا آسف؛ لكنْ هناك شيء لا أفهمه هنا».

قال ميلر: «ماذا؟». كان يقصِد: ما الذي تُثرثِر بشأنه؟ لكن هافلوك فهمها على أنها: ما الذي لا تفهمه؟

- «لماذا نحن في حالة تأهُّب قصوى، بسبب ناقِلة مياه تبخَّرَت على بُعد مليون كيلومتر من هنا؟ ستدوم صهاريجنا لشهورٍ دون حتى أن نحتاج إلى تقنين. كما أن هناك الكثير من ناقِلات المياه بالخارِج، لماذا تُشكِّل هذه أزمةً؟».

التفت ميلر ونَظَر إلى شريكه مُباشرةً. بجسده الصغير المُمتلئ، وعظامه التي زاد سُمكها بفضل طفولته التي قضاها فِي الجاذبية الكامِلة. يبدو تمامًا مثل الأحمق الذي قام بالبث. لا يفهمان الأمر. لو كان هافلوك هو الموجود في مكان جيمس هولدن هذا، لقام بنفس الهراء الغبي،

والأحمق، وغير المسؤول. وفي غمضة عين، لم يعودا رجلي أمن؛ بل لم يعودا شريكين. لقد أصبحا أرضيًّا وحزاميًّا. أشاح ميلر بنظره قبل أن يلاحِظ هافلوك التغيير الذي يغزو عينيه.

قال ميلر: «هذا الأحمق هولدن؟ الذي كان في البث؟ لقد أعلن للتو الحرب على المريخ من أجلنا».

انحرفت العربة وتمايلت، تكيَّف الحاسوب الداخلي الخاص بها مع بعض الزحام الافتراضي في حركة المرور على بُعد نصف كيلومتر أمامهم. بدَّل هافلوك جلسته، مُمسكًا بالدعامة. صعدا على مُنحدرٍ نحو الطابق التالي، أفسَح المدنيون السائرون على الأقدام الطريق لهما.

قال ميلر: «ربما تكون قد نشأت في مكانٍ بمياهٍ قذرةٍ؛ لكنها تسقُط من السماء من أجلك، وبهواءٍ قذرٍ؛ لكنه لن يختفي إذا تعطَّلت أختام بابك؛ لكن الأمر ليس كذلك هنا بالخارِج».

قال هافلوك: «لكننا لسنا على متن الناقِلة، ولسنا بحاجةٍ إلى الجليد، ولسنا تحت التهديد».

تنهَّد ميلر وهو يدعَك عينيه بإصبعه حتى ظَهَرت أمام عينيه أشباح من الألوان الزائِفة.

قال ميلر: «عندما كُنت ضمن صفوف مُكافحة جرائِم القتل، كان هناك ذلك الرجل -اختصاصي إدارة المُمتلكات الذي يعمَل بعقدٍ خارج لونا- أحرق شخص ما نصف جلده، وألقى به من غُرفة مُعادلة الضغط. تبيَّن أنه كان مسؤولًا عن صيانة ستين غُرفة في الطابق الثلاثين. في أحد الأحياء الرديئة. كان يقوم بكُل الأعمال غير القانونية. لم يستبدِل فلاتِر

الهواء لُمدة ثلاثة أشهر. كما كان هناك عفن ينمو في ثلاث وحدات. وهل تعرف ماذا اكتشفنا بعد ذلك؟».

سأله هافلوك: «ماذا وجدتم؟».

- «لم نجد شيئًا لعينًا؛ لأننا توقَّفنا عن البحث. بعض الناس يجب أن يموتوا، وكان هو أحدهم. تولَّى الرجل التالي مُهَّمة تنظيف نظام الأنابيب وتغيير الفلاتِر في الوقت المُحدَّد. هكذا هو الحال في الحزام. كُل من جاء إلى هنا ولم يُبد الأنظمة البيئية على كُل شيء، مات شابًّا، وكُل الموجودين هنا بالخارِج هُم من يهتمون».

قال هافلوك: «هذا تأثير انتقائي؟ هل تُجادلني حقًّا لصالِح التأثير الانتقائي؟ لم أتخَيَّل أبدًا أنني سأسمعك تنطِق بهذا الهراء».

- «ما هذا؟».

قال هافلوك: «نوع من هراء الدعاية العُنصرية، ذلك النوع الذي يقول إن الاختلاف البيئي قد غيَّر سُكَّان الحزام كثيرًا لدرجة أنهم بدلًا من أن يكونوا مجموعة من البشر النُحفاء المُصابين بالوسواس القهري، لم يعودوا بشرًا بعد الآن».

قال ميلر، مُتشكِّكًا في أن هذا بالضبط ما كان يقوله: «لم أقُل ذلك، الأمر فقط أن سُكَّان الحزام لا يتمتَّعون ببُعد النظر عندما تفسد الموارِد الأساسية. يُمثِّل الماء الهواء المُستقبلي، والكُتلة الدافِعة، ومياه الشُرب الخاصَّة بنا. لا نمزح بهذا الصدد أبدًا».

صعدت العربة على مُنحدرٍ مصنوع من شبكةٍ معدنيةٍ. ابتعد الطابق السفلي تحتهم. ظلَّ هافلوك صامتًا.

قال هافلوك في النهاية: «هذا الرجل المدعو هولدن لم يقُل إن المريخ هو من فعلها؛ بل قال إنهم وجدوا بطارية مريخيَّة فقط، وتعتقِد أنهم... سيشنون حربًا؟ بناءً على صورة رجل ما لإحدى البطاريات؟».

- «لا يُمثِّل هؤلاء الذين ينتظرون الحصول على القصة كاملة مُشكلة لنا».

قال لنفسه: ليس الليلة على الأقل. فبمُجرَّد وصول القصة كاملة، ستتبيَّن موقفنا.

كان مقر القسم نصف مُمتلئ أو يزيد تقريبًا، وقف رجال الأمن في مجموعاتٍ، وهُم يومئون إلى بعضهم بعضًا، بأعينٍ ضيِّقة وأفواه مشدودة. ضحك أحد رجال مُكافحة الرذيلة على شيءٍ ما، كانت ضحكته عالية، مُكرَهة، وتفوح بالخوف. لاحَظ ميلر تغير هافلوك أثناء سيرهم نحو مكتبيهما عبر المنطقة المُشتركة. عزا هافلوك رد فعل ميلر إلى أنه رجل مُفرط الحساسية؛ بل هي غُرفة كامِلة من مُفرطي الحساسية، أو قسم كامِل منهم. اتسعت عين هافلوك، بحلول الوقت الذي وصلا فيه إلى مقعديهما.

دخلت النقيب شاديد. اختفت النظرة الضبابية التي كانت تحتل عينيها. شدَّت شعرها إلى الخلف، كان زيها الرسمي مفرودًا باحترافيةٍ، بينما كان صوتها هادئًا كجراحٍ في مُستشفى ميدانية وسط ساحة معركة. صعدت فوق أول مكتب صادفها؛ لتصنع منه منبرًا مُرتجلًا.

قالت: «سيداتي وسادتي، لقد رأيتم الإرسال. هل لديكم أي أسئلة؟».

صرخ شخص ما: «من الذي ترك أرضيًّا لعينًا بالقُرب من لاسلكي؟».

رأى ميلر هافلوك يضحَك مع الحشد؛ لكن الضحكة لم تشُق طريقها إلى عينيه. عبست شاديد فصمت الحشد.

قالت: «إليكم الوضع، لا توجد طريقة تُمكننا من التحكُّم في هذه المعلومات. لقد تمَّ بثها في كُل مكان. ولدينا خمسة مواقِع على شبكة الإنترنت الداخلية تُعيد بثها، وعلينا أن نفترِض أن العامة قد أصبحوا على علمٍ بها منذ عشر دقائِق. مُهِمتنا الآن هي تقليل أعمال الشغب إلى الحد الأدنى، وضمان سلامة المحطَّة حول الميناء. ستُساعدنا في ذلك الأقسام رقم (خمسين) و(اثنين- ثلاثة عشر) أيضًا. سرَّحَت سُلطة الموانئ جميع المركبات التي تحتوي على سجلات كواكِب داخلية؛ لكن هذا لا يعني أنهم قد ذهبوا جميعًا. فلا يزال عليهم أن يجمعوا أفراد طواقمهم؛ لكن هذا يعني أنهم سيذهبون».

قال ميلر بصوتٍ عالٍ بما فيه الكفاية ليصل لها: «ماذا عن المكاتِب الحكومية؟».

قالت شاديد: «ليست ضمن مشاكلنا، حمدًا لله، لديهم بنية تحتيَّة في المكان. لقد خفضوا الأبواب المقاوِمة للانفجار وأغلقوها. كما أنهم انفصلوا عن الأنظِمة البيئية الرئيسية؛ ولذلك فلم نعُد نتنفَّس هواءهم بعد الآن».

قال يافجيني من بين مجموعة مُحقِّقي جرائِم القتل: «حسنًا، من الجيد معرفة ذلك».

قالت شاديد: «والآن، مع الأخبار السيئة». سَمِع ميلر صوت حبس أنفاس مائة وخمسين شُرطيًا. أضافَت: «لدينا ثمانون عميلًا معروفون لـ (أوبا) في المحطَّة. جميعهم موظَّفون ووجودهم قانوني، وأنتم تعلَمون أن هذا هو نوع الأمور التي كانوا ينتظرونها. لدينا أمر من الحاكِم ألا نقوم بأي اعتقال استباقي. لا تعتقِلوا أحدًا حتى يفعل شيئًا».

تصاعَدت جوقة من الأصوات الغاضِبة.

صاح شخص ما من الخلف: «من يظُن نفسه».

صاحت شاديد بشدةٍ تعقيبًا على التعليق: «الحاكِم هو من تعاقَد معنا من أجل أن يعمَل هذا القسم، وسوف نتبع أوامِره».

رأى ميلر إيماءة هافلوك ضمن نطاق رؤيته. تساءل عن رأي الحاكِم في مسألة استقلال الحزامين. ربما لم يكُن (أوبا) هُم فقط الذين كانوا بانتظار حدوث شيء كهذا. تابعت شاديد حديثها موضحةً الاستجابة الأمنية المسموح بها. استمع إليها ميلر بنصف انتباه، غرق في بحر التكهُّن بسياسة ما وراء الموقِف، لدرجة أنه لم يتنبه تقريبًا عندما نادَت شاديد عليه.

- «سيأخُذ ميلر الفريق الثاني إلى طابق الميناء وسيكون مسؤولًا عن تأمين القطاعات من (١٣) إلى (٢٤). على حين سيكون كاساجاوا مسؤولًا عن الفريق الثالث، وعن القطاعات من (٢٥) إلى (٣٦). وهكذا. هذا يعني أن كُل فريق سيكون مكوَّنًا من عشرين رجلًا، باستثناء فريق ميلر».

قال ميلر: «أستطيع التعامُل مع الأمر بفريق مكوَّن من تسعة عشر رجلًا». ثُم أضاف إلى شريكه بصوتٍ خافتٍ: «يبدو أنك لن تُشارِك في الأمر يا شريكي. لن يجعل وجود أرضي مُسلَّح بالخارج الأمور أفضل».

قال هافلوك: «أجل، توقَّعت ذلك».

قالت شاديد: «حسنًا، تعرفون الإجراءات جميعًا. لنتحرَّك».

جمع ميلر فريق مُكافحة الشغب الخاص به. كانوا جميعًا من الوجوه المألوفة، كُلهم من الرجال والنساء الذين عمل معهم في قطاع الأمن على مدار السنوات. رتَّبهم في ذهنه بكفاءةٍ شبه تلقائية. يتمتَّع براون وجيلبفيش بخبرةٍ في القوَّات الخاصَّة؛ ولذلك سيقودان الأجنحة إذا وَصَل الأمر لضرورة السيطرة على الحشود. وكان لدى أبيرفورث ثلاثة تقارير عن العُنف المُفرِط منذ أن تمَّ القبض على طفلها بتُهمة التجارة في المُخدِّرات في جانيميد، ولذلك ستكون بديلًا قويًّا يُمكِنها التعامُل مع مشكلات التحكُّم في الغضب في وقتٍ لاحقٍ. سَمِعَ قادة الفرق الأخرى الموجودين حوله في القسم وهُم يتخذون قرارات مُماثِلة.

قال ميلر: «حسنًا، لنرتدي أزياءنا».

تحرَّكوا في مجموعةٍ نحو مرفق المُعدَّات. توقَّف ميلر. ظلَّ هافلوك مُتكئًا على مكتبه بذراعين معقودين، وعينين ثابتتين للأمام. وجد ميلر نفسه حائرًا بين التعاطُف مع الرجل، وبين نفاد صبره تجاهه. من الصعب أن تكون في الفريق دون أن تنضم للفريق؛ لكن على صعيدٍ آخرَ، ماذا كان يتوقَّع بحق الجحيم، عندما قبل بالعمل في الحزام؟ رفع هافلوك رأسه للأعلى، ونظر في عيني ميلر. أومآ إلى بعضهما بعضًا، وكان ميلر أول من تحرَّك مُبتعدًا.

كان مرفق المُعدَّات عبارة عن جزء من مستودع، وجزء من قبو بنك، صمَّمه شخص ما كان يهتَم بشأن المساحة أكثر مما كان يهتَم بإخراج الأشياء بكفاءةٍ. صبغت المصابيح -الليد البيضاء المُريحة- الجدران الرمادية بصبغةٍ جدباء. بينما ردَّدت الجدران الحجرية الفارِغة كُل صوت ووقع قدم. اصطفَّت مجموعات الذخيرة والأسلِحة الناريَّة، أكياس الأدلة ولوحات الاختبار، والخوادِم الاحتياطية والأزياء الرسمية البديلة على الجدران لتملأ مُعظَم المساحة الداخلية. بينما كانت مُعدَّات مُكافحة الشغب في انتظارهم بغُرفةٍ جانبيةٍ، داخِل خزائن فولاذية مزوَّدة بأقفال إلكترونية عالية الأمان. كان الزي الرسمي المُعتاد عبارة عن درع بلاستيكي قوي التأثير، والهراوات الكهربائية، وواقيات السيقان، ودروع الصدر والفخذ المُضادة للرصاص، والخوذات المزوَّدة بحمايةٍ مُعزَّزةٍ للوجوه، كُل هذا مُصمَّم لتحويل مجموعة من رجال أمن المحطَّة إلى قوةٍ غير إنسانيةٍ مُخيفةٍ.

أدخل ميلر رمز الدخول الخاص به، فُتِحَت الأقفال؛ وانفتحت الخزانات.

قال ميلر بصوتٍ عالٍ: «حسنًا، اللعنة عليَّ».

كانت الخزانات فارِغة، توابيت رمادية خالية بعدما اختفت جُثثها. سمع أحد أعضاء الفرق الأخرى يصرُخ غاضبًا من الطرف الآخر من الغُرفة. قام ميلر بفتح خزانات مُكافحة الشغب التي تمكَّن من الوصول إليها واحدةً تلو الأخرى، وكانت جميعها بنفس الحال. ظهرت شاديد بجواره، بوجهٍ شاحبٍ مليءٍ بالغضب.

سألها ميلر: «ما الخطة الاحتياطية؟».

بصقت شادید علی الأرض، ثُم أغلقت عينيها، تحرَّكت عيناها تحت جفنها كما لو كانت تحلم، أخذت نفسين عميقين قبل أن تفتح عينيها.

- «تحقق من خزائن الفرق الخاصَّة. لا بُدَّ أن يكون هناك ما يكفي لتجهيز شخصين من كُل فريق».

قال ميلر: «قنَّاصة؟».

قالت شادید: «هل لديك فكرة أفضل أيها المُحقِّق؟». ضغطت على حروف الكلمة الأخيرة.

رفع ميلر يديه في استسلامٍ. كان الهدف من مُعدَّات مُكافحة الشغب هو التخويف والسيطرة، بينما الهدف من مُعدَّات الفرق الخاصَّة هو القتل بأكبر قدر مُمكِن من الكفاءة، وعلى ما يبدو أن الأمر المفوضين به قد اختلف للتو.

***

قد ترسو ألف مركبة في محطَّة سيريس في أي يوم من الأيام، ونادرًا ما يتباطأ النشاط هناك؛ لكنه لم يتوقَّف أبدًا. يُمكِن أن يستوعِب كُل قطاع عشرين مركبة، وحركة البشر والشحن، وعربات النقل، والرافعات المتوسِّطة، والرافعات الشوكيَّة الصناعية، وكانت فرقته مسؤولة عن عشرين قطاعًا.

فاحَت رائحة الزيت والمُبرِّدات في الهواء، كانت الجاذبية أعلى من (٠,٣) بقليلٍ، أضفت المحطة التي تدور بمُفردها إحساسًا بالظُّلم والخطر على المكان. لم يكُن ميلر مُعجبًا بالميناء. جعله الفضاء القريب المُنتشِر تحت قدميه يشعُر بالتوتُّر. لم يكُن يعرف إذا كان يجب أن يعبَس أو أن يبتسِم وهو يمُر بعُمَّال الموانئ وطواقم النقل؛ فقد كان هنا ليُخيف

الناس، ويدفعهم للتصرُّف بطريقةٍ جيدةٍ، وليُطمئنهم أيضًا بأن كُل شيء تحت السيطرة. استقرَّ بعد الانتهاء من الثلاثة قطاعات الأولى على الابتسام، كان هذا هو نوع الكذب الذي يُجيده.

كانوا قد وصلوا لتوِّهم إلى تقاطُع القطاعين (١٩) و(٢٠) عندما سمعوا الصراخ. جَذَبَ ميلر جهازه اللوحي من جيبه، اتصلَ بشبكة المُراقبة المركزية، وطلب مُشاهدة مصفوفة كاميرات المُراقبة. استغرقه الأمر بضع ثوانٍ حتى عَثَرَ على السبب: حشد مكوَّن من خمسين أو ستين مدنيًّا يمتد تقريبًا على طول النفق؛ ليغلِقوا حركة المرور في كلا الجانبين. ارتفعت الأسلِحة فوق الرؤوس–سكاكين، وهراوات، كما كان هناك مُسدَّسان على الأقل– لاحت القبضات في الهواء، وفي مُنتصف الحشد، كان هناك رجل ضخم بلا قميص يضرب شخصًا ما حتى الموت.

قال ميلر وهو يُلوِّح لفريقه إلى الأمام حتى يُسرِعوا: «حان وقت العرض».

كان لا يزال على بُعد مائة متر من المُنعطف الذي سيقودهم إلى بؤرة العُنف البشري عندما رأى الرجل عاري الصدر يُسقِط فريسته أرضًا، قبل أن يطأ على عنقها، التوى الرأس جانبًا بزاوية لا تعني سوى شيء واحد فقط. أبطأ ميلر من حركة فريقه قليلًا. سيكون القبض على القاتِل وهو مُحاط بحشدٍ من أصدقائه صعبًا بما فيه الكفاية دون أن تتعقَّد الأمور.

كان الضغط على وشك الانفجار الآن، وكان بإمكان ميلر أن يشعُر بذلك. كان الحشد على وشك الخروج نحو المحطَّة، نحو المركبات، وإذا بدأ الناس بالانضمام إلى الفوضى... فما المسار الذي من المُرجَّح أن يسلكوه؟ كان هناك بيت دعارة من المستوى الأول على بُعد نصف كيلومتر في عكس اتجاه الدوران يخدم أنواع الكواكِب الداخلية، وكان

مُفتِّش التعريفة الخاص بالقطاع (٢١) متزوِّجًا بفتاةٍ من لونا، وكان يتفاخَر بالأمر في كثيرٍ من الأحيان.

قال ميلر لنفسه: هناك الكثير من الأهداف. وعلى الرغم من أنه أشار إلى قناصته بالانتشار، فإنه استمرَّ في التفكير في نار الغضب إذا أخمدها هنا، فلن يتعرَّض أي شخص آخر للقتل.

عقدت كانديس ذراعيها في مُخيِّلته وقالت: ما الخطة الاحتياطية؟

وصل الحشد الغاضِب إلى حافة النفق قبل أن يصل إليهم ميلر. تحرَّكت موجة الأجساد والتهديدات. أمال ميلر قبعته إلى الخلف. كانوا رجالًا ونساءً. ببشرةٍ داكنة، شاحِبة، بنية تميل للون الذهبي، وجميعهم يتمتعون ببنية سُكَّان الحزام الطويلة والنحيفة، يفتحون أفواههم المُربعة بغضبٍ مثل شمبانزي على وشك أن يخوض حربًا.

قال جيلبفيش عبر جهازه اللوحي: «دعنا نقبض روحين منهم يا سيدي؛ لنزرع الخوف الإلهي في نفوسهم».

قال ميلر وهو يبتسِم إلى الحشد الغاضِب: «سنفعل هذا قريبًا، سنفعل هذا».

تحرَّك الوجه الذي كان يتوقعه في الأمام عاري الصدر– الرجل الضخم الذي لوَّثت الدماء يديه وتناثرت على وجنتيه– بذرة بلورة الشغب.

سأله جيلبفيش: «هل أقتله؟». كان ميلر يعرِف أن نُقطة من الأشعة تحت الحمراء كانت تُزيِّن جبهة عاري الصدر، حتى وهو يحدِّق في ميلر وفي فريقه الذي يقف خلفه.

قال ميلر: «لا، سيثير هذا غضب الآخرين فحسب».

سأله براون: «ماذا سنفعل إذن؟».

كان ذلك سؤالًا صعبًا.

قال جيلبفيش: «أبدى اللعين الضخم وشم (أوبا) على كتفه الأيسر يا سيدي».

قال ميلر: «حسنًا، إذا ما تحتَّم عليك أن تُطلِق عليه النار، فابدأ من هناك».

تقدَّم للأمام، ربط جهازه اللوحي بالنظام المحلي، متجاوزًا الإنذار. صدح صوته عندما تحدَّث عبر مُكبِّرات الصوت العلوية.

قال: «أنا المُحقِّق ميلر. أقترح أن يتشتَّت شملكم ما لم ترغبوا في أن يتم حبسكم؛ للمُشاركة في جريمة قتل». ثُم أطفأ ميكروفون جهازه اللوحي وهو يقول لعاري الصدر: «ليس أنت أيها الرجل الضخم، سنُطلِق عليك النار لو تحرَّكت قيد أنملة».

ألقى أحد الموجودين في الحشد بمفتاح ربط، انطلق المعدن الفضي في الهواء مستهدفًا رأس ميلر. كاد يبتعِد عن طريقه؛ لكن المقبض اصطدم بأذنه. امتلأ رأسه بأصوات الأجراس، وسالت الدماء لتُبلِّل عنقه.

صاح ميلر: «لا تطلِقوا النار، لا تطلِقوا النار».

ضَحِكَ الحشد، كما لو كان يتحدَّث معهم -الحمقى- تقدَّم عاري الصدر للأمام مُتشجِّعًا. كانت المُنشِّطات قد نفخت فخذيه بشدةٍ لدرجة أنه سار مُتبخترًا. أعاد ميلر تشغيل الميكروفون الموجود في جهازه اللوحي. كان الحشد يُحدِّق بهم مُباشرةً الآن، لم يكسِّروا الأشياء بعد. لم تنتشِر نيران الغضب. ليس بعد.

قال ميلر: «إذن فأنت تضرب العاجزين فقط حتى الموت يا صديقي، أم يُمكِن لأي شخص أن يُشارِك؟».

تردَّد صدى صوته عبر مُكبِّرات صوت الطابق وكأنه ينطِق بكلمات الله.

قال عاري الصدر: «بم تنبح بحق الجحيم أيها الكلب الأرضي؟».

قال ميلر ضاحكًا: «أرضي؟ ألا يبدو أنني نشأت في درجة جاذبية مُطابقة لما نشأت فيها تمامًا؟ لقد وُلِدت على تلك الصخرة».

قال عاري الصدر: «لقد سخَّرَك سُكَّان الكواكِب الداخلية أيها العاهر، أنت كلبهم».

- «هل تعتقد ذلك؟».

قال عاري الصدر: «أجل بحق اللعنة». تراقَصت عضلات صدره، قمع ميلر رغبته في الضحك.

قال ميلر: «إذن فقتل الوغد المسكين كان لصالِح المحطَّة؟ لصالِح الحزام؟ لا تكُن أحمق يا فتى. إنهم يتلاعبون بك. يريدونكم أن تتصرَّفوا كزمرة من المُشاغبين الأغبياء حتى يكون لديهم سبب لإغلاق هذا المكان».

قال عاري الصدر بألمانية تشوبها لكنة سُكَّان الحزام وهو يميل للأمام: «تبًّا لكم أيها العاهرون!».

قال ميلر لنفسه: هذه هي المرَّة الثانية التي ينعتني فيها بالعاهر.

قال ميلر: «فجِّروا ركبتيه». انفجرت رُكبتا الرجل عاري الصدر في شلالين من الدماء القرمزية قبل أن يسقُط وهو يعوي. سار ميلر متجاوزًا جسده الملتوي، مُتقدِّمًا نحو الحشد.

قال: «هل تتلقون أوامركم من هذا الأحمق؟ استمعوا إليَّ، نعرف جميعًا ما سيحدُث بعد ذلك. نعلم أن الرقص على وشك أن يبدأ الآن، وسيجن جنون الجميع، أليس كذلك؟ لقد دمَّروا الأمر، وجميعنا نعرف الإجابة. الإلقاء من غُرف مُعادلة الضغط، أليس كذلك؟».

كان يرى الأمر في وجوههم: الخوف المُفاجئ من القنَّاصة، ثُم الارتباك، استمرَّ في الضغط، دون أن يمنحهم الوقت للتفكير. عاد إلى لُغة المستوى الأدنى، لُغة التعليم، والسُّلطة.

- «هل تعرفون ما الذي يُريده المريخ؟ يريدونكم أن تفعلوا ما تفعلونه. يريدونكم أن تقوموا بهذا الهراء ليتأكَّدوا من أن الجميع سينظر إلى الحزاميين على أنهم مجموعة من المُختلين الذين يدمِّرون محطَّتهم الخاصَّة. يريدون إقناع أنفسهم بأننا مثلهم تمامًا. حسنًا، لسنا مثلهم. نحن سُكَّان الحزام، وسنعتني بأنفسنا».

اختار رجلًا من حافة الحشد. لم يكُن ضخمًا مثل عاري الصدر؛ لكنه كان ضخمًا، كان يمتلك وشم الدائرة المفتوحة الخاص بـ (أوبا) على ذراعه.

قال ميلر: «هل تريد القِتال من أجل الحزام؟».

قال الرجل: «أجل».

قال ميلر وهو يُشير بإصبعٍ مُرتجفٍ نحو عاري الصدر: «أراهِن أنك تُريد ذلك. كان يرغب في ذلك أيضًا؛ لكنه أصبح مشلولًا الآن، وسيُحاكَم بتُهمة القتل. لقد خسرنا واحدًا للتو. هل ترى الأمر؟ إنهم يقلبوننا ضد بعضنا بعضًا. لا يُمكِننا أن نسمَح لهم بالقيام بذلك. يجب أن ألقي القبض عليكم جميعًا، أو أن أشلكم، أو أن أقتلكم، وهذا أقل ما يُمكِن أن نفعله عندما يأتي اليوم المنشود، وها قد أتي؛ لكن ليس الآن. هل تفهمون ما أقول؟».

عبس رجل الـ (أوبا). تفرَّق الحشد مُبتعدًا عنه، أفسحوا له الطريق. لم يشعُر ميلر أن هذا التيَّار ضده. كانوا يتحوَّلون.

قال رجل الـ (أوبا): «وعندما يأتي اليوم يا رجل، هل تعرف إلى أي جانِب تنتمي؟».

بدا صوته وكأنه يحمل تهديدًا بين كلماته؛ لكنه لم يكُن يمتلك القوَّة لتنفيذه. تنفَّس ميلر ببطءٍ. لقد انتهى الأمر.

قال: «دائمًا ما سأنضم إلى جانِب الملائكة، لماذا لا تعودون جميعًا إلى العمل؟ لقد انتهى العرض هنا، ولدينا جميعًا الكثير من الأمور التي نرغب في فعلها».

انكسر الزخم، وتفرَّق الحشد. رحل أول وثاني شخص من على الحواف، ثُم فكَّت العُقدة نفسها بنفسها مرَّة واحدة. وبعد خمس دقائِق من وصول ميلر، كان الشيء الوحيد الذي يدُل على حدوث أي شيء هنا هو عويل عاري الصدر وسط بركة من دمائه، والجرح الموجود في أذن ميلر، وجُثة امرأة مدنيَّة خمسينية شاهدها الجميع وهي تُضرَب حتى الموت، كانت قصيرة وترتدي بدلة فضائية خاصَّة بخط الشحن المريخي.

قال ميلر لنفسه بمرارةٍ: لم يمُت سوى شخص واحد. مما يجعلها ليلةً سعيدةً.

سار نحو الرجل الساقِط أرضًا. كان وشم (أوبا) قد اصطبغ باللون الأحمر. ركع ميلر على ركبتيه بجواره.

قال: «أنت رهن الاعتقال لقتلك تلك السيدة الموجودة هناك يا صديقي، أيًّا من كانت. لست مُجبرًا على الخضوع للاستجواب بدون حضور مُحامٍ أو مُمثِّل نقابي، وإذا حتى ما نظرت لي بشكلٍ خاطئٍ، فسألقيك في الفضاء. هل نفهم بعضنا بعضًا؟».

عرف ميلر أن الرجل كان يفهمه، بناءً على النظرة التي لاحت في عينيه.

(٧)

هولدن

كان بإمكان هولدن أن يشرب القهوة في نصف درجة الجاذبية. جلس مُمسكًا الكوب تحت أنفه تاركًا الرائحة تنجرِف للأعلى. شربها ببطءٍ دون أن يحرق لسانه. كان شُرب القهوة أحد الأنشِطة التي انتقلَت للجاذبية الصغرى بشكلٍ جيدٍ؛ لكنه كان على ما يُرام في نصف درجة الجاذبية.

جلس في مطبخ (الفارِس) الصغير الذي يُخيِّم الصمت عليه، وهو يحاول جاهدًا أن يُفكِّر في القهوة والجاذبية. حتى أليكس الثرثار بطبعه كان هادئًا، بينما وَضَع أموس مُسدَّسه الكبير على الطاوِلة وهو يُحدِّق فيه بتركيزٍ مُخيفٍ، أما شيد فاستسلم للنوم. جلست ناعومي عبر الغُرفة وهي تشرب كوبًا من الشاي، كانت تُحدِّق في اللوحة المُعلَّقة على الحائِط بجوارها؛ حيث إنها كانت قد وجَّهَت العمليات إليها.

فلم يكُن بحاجةٍ للتفكير في شهقة آدي الأخيرة المليئة بالخوف قبل أن تتحوَّل إلى بُخارٍ متوهِّجٍ، طالما صبَّ جام تركيزه على قهوته.

أفسَدَ أليكس الصمت بحديثه.

قال: «يجب أن نُقرِّر إلى أين سنذهب في مرحلةٍ ما».

أومأ هولدن برأسه، ورشف رشفةً من قهوته، وأغلق عينيه. ارتعدت عضلاته كالأوتار المقطوعة، وكانت رؤيته المُحيطية مُرقَّطة بنقاطٍ من الضوء الوهمي. بدأ يشعُر بالوخزات الأولى لانهيار ما بعد العصير، وكان من الواضِح أنه سيكون انهيارًا سيئًا. أراد الاستمتاع بهذه اللحظات القليلة المُتبقيَّة قبل أن يضربه طوفان الألم.

قالت ناعومي: «إنه مُحِق يا جيم، لا يُمكِننا الطيران في دائرةٍ كبيرةٍ بقوى تسارُع مقدارها نصف درجة للأبد».

لم يفتَح هولدن عينيه. كانت الظُّلمة الموجودة خلف جفنيه مُشرِقة، ونشِطة، ومُثيرة للغثيان.

قال: «لن ننتظِر للأبد، سننتظِر خمسين دقيقة إلى أن تُعيد محطة زُحل الاتصال بي لتُخبرني بما سأفعله بمركبتهم. فلا يزال (الفارِس) من مُمتلكات شركة المياه، ولا زلنا موظَّفين فيها. أردتِ مني أن أقوم بطلب المُساعدة، وهو ما فعلته، وعلينا الانتظار الآن لنرى ما سيحدُث».

سأل أموس ناعومي: «ألا يجب أن نبدأ بالطيران نحو محطّة زُحل إذن يا مُديرة؟».

أصدَر أليكس صوتًا مُستهزئًا.

قال: «لن يُسعِفنا مُحرِّك (الفارِس) للقيام بذلك. فحتى لو كان لدينا الوقود اللازِم للقيام بهذه الرحلة، وهو ما لا نمتلكه، فلا أريد أن أجلِس في هذه العلبة المعدنية للأشهُر الثلاثة المُقبِلة، إذا كُنا سنذهب إلى مكانٍ ما الآن، فلا بُدَّ أن يكون الحزام أو المُشتري فنحن أقرب إليهما من حبل الوريد».

قالت ناعومي: «سأصوِّت على استكمال طريقنا نحو سيريس، فلا يزال لدى شركة المياه مكاتِب هناك، بينما لا نعرف أي شخص في مُجمَّع المُشتري».

هزَّ هولدن رأسه دون أن يفتح عينيه.

- «لا، سننتظر أن يعاوِدوا الاتصال بنا».

أصدرت ناعومي صوتًا غاضبًا. قال لنفسه: هذا مُضحِك، كيف يُمكِنك تمييز صوت شخص ما من أصغر الأصوات سُعال، أو تنهيدة، أو حتى شهقة صغيرة قبل أن توافيه المنيَّة.

استقام هولدن وفَتَح عينيه، وضع كوب قهوته على الطاولة بحرصٍ، بيدين كانتا على وشك الإصابة بالشلل.

- «لا أريد الطيران باتجاه الشمس نحو سيريس؛ لأن هذا هو الاتجاه الذي طارَت نحوه مركبة الصواريخ، وقد أخذت وجهة نظركِ بشأن مُطاردتهم في الاعتبار يا ناعومي، ولا أريد أن أطير نحو المُشتري؛ لأن وقودنا يكفي للقيام برحلةٍ واحدةٍ فقط، وسنكون في حُكم المحبوسين، بمُجرَّد أن نطير في هذا الاتجاه لقليلٍ من الوقت. سنجلس هنا ونشرب القهوة لأنني بحاجةٍ لاتخاذ قرار، وسيكون لشركة المياه رأي في هذا القرار، ولذلك سننتظر إجابتهم، قبل أن أتخذ قراري».

نهض هولدن ببطءٍ وحذرٍ، وبدأ في الحركة نحو سلم الطاقم وهو يقول: «سأذهب لأنهار لبضع دقائِق، لأتخلَّص من أسوأ الارتعاشات. دعوني أعرِف، إذا اتصلت بنا شركة المياه».

***

ابتلع هولدن حبوبًا مُسكِّنة -كانت حبوبًا رفيعة، ومرَّة تُخلِّف طعمًا يُشبه طعم عفن الخُبز- لكنه لم ينم. وضع ماكدويل يده على ذراعه وناداه باسمه مرارًا وتكرارًا، وضحكت بيكا وهي تطلِق السباب كالبحَّارة. بينما تفاخَر كاميرون ببراعته في التعامُل مع الجليد.

وشهقت آدي.

كان هولدن قد طار في جولة (سيريس - زُحل) على متن (كانتيربيري) تسع مرَّات -رحلتان ذهابًا وإيابًا في العام، لمُدة خمس سنوات تقريبًا- كان مُعظَم أفراد الطاقم متواجدين طوال الوقت. قد يكون الطيران على متن (كانت) هو أسوأ ما يُمكِن أن يحدُث؛ لكن هذا يعني أنه لا يوجد مكان آخر ليذهب إليه. بقي الناس، وجعلوا من المركبة وطنًا لهم. أعرَب عن توقه للاستقرار، بعد عمليات التنقُّل شبه المُستمرَّة في البحرية الفضائية. فجعل منها وطنًا بدوره، قال ماكدويل شيئًا لم يستطِع فهمه، أنَّت (كانت) وكأنها تنطلِق بسُرعتها القصوى.

ابتسمت آدي وغمزت له.

أصاب أسوأ شد عضلي في التاريخ جميع عضلات جسده في آنٍ واحدٍ، عضَّ هولدن بقوةٍ على حامي الفم المطَّاطي وهو يصرُخ، صاحَب الألم النسيان الذي كان بمنزلة الراحة له، توقَّف عقله عن التفكير، غارقًا في احتياجات جسده. بدأت المُسكِّنات في القيام بعملها، سواء كان هذا من حُسن حظِّه أو من سوء حظِّه. استرخت عضلاته. توقَّفت أعصابه عن الصراخ، وعاد إلى وعيه مثل تلميذ مُتردِّد. شعر بألم فكَّيه وهو يُخرِج حامي الأسنان. تركت أسنانه أثرًا في المطَّاط.

فكَّر في ذلك النوع من الرجال الذي اتبع أمرًا بقتل مركبة مدنية في ضوء المقصورة الأزرق الخافِت.

كان قد فَعَل بعض الأشياء التي حرمته من النوم ليلًا أثناء وجوده في البحرية الفضائية، وأطاع بعض الأوامِر التي لم يوافِق عليها؛ لكن استهداف مركبة مدنية تحمل على متنها خمسين شخصًا، وضغط زر إطلاق ستة صواريخ نووية؟ كان سيرفُض القيام بذلك، وإذا ما أصرَّ قائِده على الأمر، لأعلَن أن الأمر غير قانوني، وطالَب المُدير التنفيذي الخاص بالمركبة بالسيطرة عليها والقبض على القُبطان، وكان سيتحتَّم عليهم إطلاق النار عليه لإبعاده عن مركز السلاح.

وعلى الرغم من ذلك، فقد كان يعرِف نوع الناس الذين سيتبعون هذا الأمر، قال لنفسه إنهم كانوا مُختلين وحيوانات، وليسوا أفضل من القراصِنة الذين صعدوا على متن مركبتك، وخلعوا مُحرِّكك، وفرَّغوا هواءك، لم يكونوا بشرًا.

ولكن حتى وكراهيته تتزايد، والغضب الذي عزَّزته المُخدرات التي كانت تعرض تقديم وسائِل راحة عدمية، لم يستطِع تصديق مدى غبائهم. تماسكت الحكَّة الموجودة في مؤخِّرة رأسه بموقفها. لماذا؟ ما الذي سيكسبه أي شخص من تدمير ناقِلة جليد؟ ومن الذي سيدفع من أجل هذا؟ لطالما كان هناك من يدفع.

سأجدك. سأجدك وأقتلك؛ لكن قبل أن أفعل ذلك، سأجعلك تشرح لي سبب قيامك بهذا.

انفجرت الموجة الثانية من الأدوية في مجرى دمائه، كانت درجة حرارته مُرتفِعة وأطرافه تؤلِمه، امتلأت عروقه بالدواء. وقبل أن تفقده الأدوية وعيه، ابتسمت له آدي وغمزت. قبل أن تنفجِر مثل الغُبار.

***

أصدَرت قناة الاتصال صوت رنين، وصدح صوت ناعومي وهي تقول: «لقد جاء رد شركة المياه أخيرًا يا جيم. هل تُريد مني أن أرسله إليك؟».

كافَح هولدن لفهم الكلمات. رمش. كان هناك شيء خاطئ بشأن فراشه. بشأن المركبة. بدأ يتذكَّر ببطءٍ.

- «جيم؟».

قال: «لا، أريد أن أراه في غُرفة العمليات معكم. منذ متى وأنا فاقِد الوعي؟».

قالت: «ثلاث ساعات».

- «يا إلهي! لقد أخذوا وقتهم كاملًا قبل أن يردوا علينا، أليس كذلك؟».

تدحرج هولدن فوق أريكته ومَسَح القشرة التي ربطت رموشه بعضها بعضًا. كان يبكي أثناء نومه. أخبر نفسه أن هذا كان بسبب انهيار ما بعد انحسار العصير. بينما كان الألم العميق الموجود في صدره نتيجة إجهاد الغضروف فقط.

تساءل: ما الذي كانوا يفعلونه لُمدة ثلاث ساعات قبل أن يعاوِدوا الاتصال بهم؟

انتظرته ناعومي في محطَّة الاتصالات، كان هناك وجه رجل على وشك النطق بكلمةٍ ما ثابِت على الشاشة الموجودة أمامها. بدا مألوفًا.

- «هذا ليس مُدير العمليات».

قالت ناعومي: «لا. إنه مُستشار شركة المياه القانوني في محطة زُحل. الشخص الذي ألقى الخطاب بعد حملة سرقة الإمدادات؟ الذي قال: عندما تسرقوننا فكأنكم تسرقون أنفسكم، هذا الرجل».

قال هولدن مُتجهّمًا: «مُحامٍ، إذن فستكون هذه أخبارًا سيئةً».

شغَّلت ناعومي الرسالة، وبدأ المُحامي في الحركة.

«مرحبًا يا جيمس هولدن، أنا والاس فيتز من محطة زُحل.

لقد تلقَّينا طلبك للمُساعدة، وتقريرك عن الحادِثة، كما تلقَّينا بثَّك الذي يتهم كوكب المريخ بتدمير (كانتيربيري). وكان هذا غير حكيمٍ على أقل تقدير، كان مُمثِّل المريخ في محطة زُحل فِي مكتبي بعد أقل من خمس دقائِق من استقبال بثِّك، كما أن مجلس الجمهورية المريخي مستاء للغاية مما يعتبرونه اتهامًا لا أساس له من الصحة لحكومتهم بالقرصنة.

ولنتمكَّن من القيام بمزيدٍ من التحقيق فِي الأمر، وللمُساعدة فِي اكتشاف المُخالفين الحقيقيين، إذا ما كان هناك مُخالفون، فستقوم قوّات البحرية الخاصَّة بمجلس الجمهورية المريخي بإرسال إحدى مركباتها إلى نظام المُشتري لاصطحابك. اسم هذه المركبة هو: (دوناجير). أصدرت لك شركة المياه الأوامِر التالية: ستطير بأقصى سُرعة مُمكِنة إلى نظام المُشترى، وستتعاوَن بشكلٍ كاملٍ مع التعليمات التي ستمنحها لك المركبة (دوناجير)، أو أي ضابِط بحرية بمجلس الجمهورية المريخي، وستُساعدهم في تحقيقهم بشأن تدمير (كانتيربيري)، وستمتنِع عن القيام بأي بث آخر إلا إلينا أو لـ (دوناجير).

وإذا فشلت في اتباع تعليمات الشركة أو الحكومة المريخية، فسيتم إنهاء تعاقُدك مع شركة المياه، وسيتم اتهامك بالحيازة غير القانونية لمركبة

مكوكيَّة خاصَّة بشركة المياه، وسنقوم بعد ذلك بمُقاضاتك إلى أقصى حد يسمَح به القانون.

انتهى والاس فيتز من الحديث»

عبس هولدن وهو ينظُر إلى الشاشة، قبل أن يهز رأسه.

- «لم أقُل أبدًا إن المريخ هو من فعل ذلك».

أجابته ناعومي: «لقد فعلت ذلك نوعًا ما».

- «لم أقُل شيئًا ليس واقعيًّا أو مدعومًا بالبيانات التي أرسلتها، ولم أشارِك في أي تكهُّنات حول هذه الحقائِق».

قالت ناعومي: «ماذا سنفعل إذن؟».

***

قال أموس: «مُستحيل، هذا مُستحيل».

كان المطبخ ضيِّقًا، وامتلأ بخمستهم بشكلٍ غير مُريحٍ، وأظهرت الجُدران المُصفَّحة ذات اللون الرمادي فقاعات من الخدوش اللامِعة في الأماكِن التي نما فيه العفن ذات مرَّة، وتم تنظيفها بالموجات مُتناهية الصغر والصوف الفولاذي. جَلَسَ شيد مُسندًا ظهره على الحائِط، بينما جلست ناعومي عبر الطاوِلة، ووقف أليكس بجوار المدخَل، وكان أموس قد بدأ يسير بخطى سريعة في الخلفيَّة -خطوتان سريعتان، ثُم استدارة- قبل أن يُنهي المُحامي جُملته الأولى.

قال هولدن وهو يُشير إلى شاشة عرض المطبخ: «لست سعيدًا بذلك أيضًا؛ لكن هذا هو قرار المكتب الرئيس، لم أقصِد توريطكم في أي مشكلات».

أجابه شيد وهو يُمرِّر يده عبر شعره الأشقر الخَشِن: «لا توجد مشكلات يا هولدن. ما زلت أعتقِد أنك فعلت الشيء الصحيح، ماذا تعتقِد أن المريخيين سيفعلون بنا إذن؟».

قال أموس: «أعتقِد أنهم سيقومون بتعذيبنا حتى يعود هولدن إلى اللاسلكي، ويقول إنهم ليسوا المسؤولين عن ذلك، ما هذا بحق الجحيم؟ لقد هاجمونا! والآن... يجب أن نتعاوَن معهم؟ لقد قتلوا القُبطان! ».

قال هولدن: «أموس».

قال أموس: «آسف يا هولدن -يا قُبطان- لكنهم يتلاعبون بنا هنا بحق المسيح. إنهم يضاجِعوننا، وليس بطريقةٍ لطيفةٍ. لن نفعل هذا، أليس كذلك؟».

قال هولدن: «لا أريد أن أختفي للأبد في إحدى مركبات السجن المريخي، وجهة نظري أن لدينا خيارين: إما أن نفعل ما أمرونا به، وهو ما يعني أننا سنكون تحت رحمتهم، أو نهرب ونحاوِل الوصول إلى الحزام، والاختباء هناك».

قالت ناعومي معقودة الذراعين: «أصوِّت للذهاب إلى الحزام».

رفع أموس يده ليدعم قولها، كما رفع شيد يده ببطءٍ.

هزَّ أليكس رأسه.

قال: «أنا أعرِف (دوناجير)، إنها ليست مركبة سفر بين الكواكِب. إنها المركبة الرئيسية لأسطول كوكب المُشتري التابع لقوّات بحرية مجلس الجمهورية المريخي. مركبة حربيَّة تزن ربع مليون طنٍّ من الأخبار السيئة. هل سبق لك أن خدمت في مركبةٍ بهذا الحجم؟».

قال هولدن: «لا، لم أكُن في شيءٍ أكبر من المُدمِّرة من قبل».

- «لقد خدمت في (باندون) مع الأسطول الرئيس، لن يُمكِننا الذهاب إلى أي مكان لا تستطيع هذه المركبة أن تجدنا فيه. تمتلك أربعة مُحرِّكات رئيسية، كُل واحد منهم أكبر من مركبتنا بأكملها، تمَّ تصميمها لقضاء فترات طويلة في جاذبيةٍ مُرتفعةٍ مع سريان العصير في عروق كُل بحَّار على متنها. لا يُمكِننا الهروب يا سيدي، وحتى لو فعلنا ذلك، يُمكِن لحزمة المُستشعِر الخاصَّة بها أن تتعقَّب كُرة جولف، وتضربها بصاروخٍ من مُنتصف النظام الشمسي تقريبًا».

قال أموس وهو يقِف: «اللعنة على ذلك يا سيدي، لقد فجَّرت تلك القضبان المعدنية النحيفة (كانتيربيري)! سأصوِّت للهرب؛ لنُصعِّب الأمر عليهم».

وضعت ناعومي إحدى يديها على ساعِد أموس، فتوقَّف الميكانيكي الضخم عن الحديث، وهزَّ رأسه، قبل أن يجلِس. عمَّ الصمت على المطبخ. تساءل هولدن عمَّا إذا كان قد تحتَّم على ماكدويل أن يتخذ قرارًا مثل هذا من قبل، وعمَّا كان الرجل المسؤول سيفعله.

قالت: «جيم، هذا قرارك».

لكن نظرة عينيها كانت قاسية.

لا، ما ستفعله هو نقل الأربعة المُتبقين من طاقمك إلى بر الأمان، وهذا كُل شيء.

أومأ هولدن برأسه وربت بإصبعه على شفتيه.

قال هولدن: «لن تدعمنا شركة المياه في هذا القرار. لا يُمكِننا الهروب؛ لكنني لا أريد أن أختفي قسريًّا كذلك، أفكِّر في أننا يجب أن نذهَب؛ لكننا لن نذهَب بهدوءٍ. لماذا لا نعصي روح الأمر؟».

***

أنهت ناعومي العمل على لوحة الاتصالات، كان شعرها يطفو حولها مثل سحابة سوداء في حالة انعدام الجاذبية في الوقت الحالي.

قالت: «حسنًا يا جيم، سوف ألقي بكُل شيء في مصفوفة الاتصالات. سيحصلون على إجابتنا بصوتٍ عالٍ وصريحٍ طوال الطريق إلى تيتانيا».

مدَّ هولدن يده ليُمرِّرها في شعره المليء بالعرق. الذي جعلته حالة انعدام الجاذبية يلتصِق بكُل شيء. رفع سحاب بدلته الفضائية وضغط على زر التسجيل.

«أنا جيمس هولدن، الذي كان يعمَل سابقًا في (كانتيربيري)، والموجود حاليًا على متن المكوك (الفارِس). نريد أن نتعاوَن في التحقيق لكشف هوية مُدمِّر (كانتيربيري)، وكجزء من هذا التعاوُن، نوافِق على أن يتم نقلنا على متن مركبتكم (دوناجير) التابِعة لقوَّات البحرية الخاصَّة بمجلس الجمهورية المريخي. نأمل ألا يعني هذا التعاوُن أن نُسجَن، أو أن نتعرَّض للأذى. لن يؤدي أي إجراء من هذا القبيل إلا إلى تعزيز فكرة أن هناك مركبة مريخية دمَّرت (كانتيربيري). انتهى جيمس هولدن من الحديث».

مال هولدن للخلف وهو يقول: «أرسلي هذا على أوسع نطاق يا ناعومي».

قال أليكس: «هذه خُدعة قذرة يا زعيم، أصبح من الصعب للغاية أن نختفي الآن».

قال هولدن: «أنا أومِن بالمثل الأعلى للمُجتمع الشفَّاف يا سيد كمال». ابتسم أليكس، قبل أن يطفو في الممر مُبتعدًا. ضغطت ناعومي على لوحة الاتصالات، وهي تُصدِر صوتًا صغيرًا يُعبِّر عن الرضا من مؤخرة حلقها.

قال هولدن: «ناعومي». استدارت، مما جعل شعرها يطفو بتكاسُلٍ، وكأنهما يغرقان: «سأحتاجكِ إذا ما ساءت الأمور... سأحتاجكِ كي...».

قالت: «كي أضحي بك، كي ألومك على كُل شيء، وكي أعيد الآخرين إلى محطة زُحل بأمانٍ».

قال هولدن: «أجل، لا تحاولي لعب دور البطل».

لم تقُل أي شيء حتى تبخَّرَت السخرية من حروف كلماته.

قالت: «لم يخطر هذا ببالي يا سيدي».

***

قالت المرأة حادة الملامِح التي ظهرت على شاشة جهاز الاتصالات:

«إلى الموجودين على متن (الفارِس)، أنا القُبطان تيريزا ياو من مركبة (دوناجير) التابِعة لقوَّات البحرية الخاصَّة بمجلس الجمهورية المريخي. لقد تلقينا رسالتكم. يرجي الامتناع عن مزيد من البث العام. سيرسل الملَّاح الخاص بي معلومات المسار قريبًا. من فضلك اتبع نفس الطريق بالضبط. انتهت ياو من الحديث».

ضَحِكَ أليكس.

قال: «أعتقِد أنك أثرت غضبها، لقد تلقيت معلومات المسار، سيلتقون بنا خلال ثلاثة عشر يومًا. سيمنحها هذا الوقت كي تستشيط غضبًا».

تنهَّد هولدن وهو يسترخي في أريكته قائلًا: «ثلاثة عشر يومًا قبل أن يحرقوني بالمكواة، ويغرسون الإبر تحت أظافري، حسنًا، من الأفضل أن نبدأ رحلتنا نحو السجن والتعذيب. تستطيع نقلنا إلى الطريق المُحدَّد يا سيد كمال».

قال أليكس: «عُلم ذلك يا زعيم؛ لكن... ».

- «هل هناك مُشكلة؟».

قال أليكس: «حسنًا، لقد قام (الفارِس) بالمسح الضوئي المُسبَق بحثًا عن أجساد لتفادي التصادُم، وهناك ستة أجسام تابِعة للحزام تعترِض مسارنا».

- «أجسام تابعة للحزام؟».

أجابه أليكس: «أجسام سريعة الحركة دون إشارة إرسال، إنها مركبات تطير وسط الظلام، سيُمسِكون بنا قبل أن تفعل (دوناجير) بيومين».

سحب هولدن الشاشة، ظهرت ستة أجساد صغيرة، لونها برتقالي مصفر يتحوَّل إلى الأحمر، تنطلِق بالسرعة القصوى.

قال هولدن موجِّهًا حديثه إلى الشاشة: «حسنًا، من أنتم بحق الجحيم؟».

(٨)
ميلر

قالت المرأة المُقنَّعة عبر شاشة جهاز ميلر اللوحي: «العدوان ضد الحزام هو ما تعيش عليه الأرض والمريخ. ضعفنا هو قوتهم». كانت الدائِرة المقسومة الخاصَّة بـ (أوبا) مرسومة خلفها، مثل رسم ما على ورقةٍ. أضافَت: «لا تخافوهم، فخوفكم هو مصدر قوَّتهم الوحيد».

قال هافلوك: «حسنًا، هذا، بالإضافة إلى ما يقرب من مائة مركبة حربيَّة».

قال ميلر: «مما سمعته، إذا ما صفَّقت بيديك مثل الأطفال وقُلت إنك تُصدِّقهم، فلن يتمكَّنوا من إطلاق النار عليك».

- «يجب أن أُجرِّب ذلك في يومٍ ما».

قالت المرأة وهي تصرُخ بوحشيةٍ: «يجب أن نستعِد للقتال! يجب أن نحصُد مصيرنا قبل أن يُسلَب منا! تذكَّروا ما حدث لـ (كانتيربيري)! ».

أغلَق ميلر جهاز المُعاينة واسترخى للخلف في مقعده. كان القسم مُزدحِمًا بسبب ميعاد تغيير الورديات، تصاعَدت الأصوات لتُغطي على بعضها بعضًا؛ حيث حثَّ رجال شُرطة الوردية السابِقة رجال الوردية

الجديدة على الإسراع، واشتعَلَت حدَّة المُنافسة بين رائِحة القهوة الطازجة ورائِحة دُخان السجائِر.

قال هافلوك وهو يُشير برأسه نحو شاشة الجهاز اللوحي المُغلَقة: «هناك العشرات مثلها على الأرجَح، إلا أنها المُفضَّلة لديَّ. أُقسِم لك أن هناك أوقاتًا تستشيط فيها غضبًا».

سأله ميلر: «كم عدد الملفَّات المُتبقيَّة؟».

هزَّ هافلوك كتفيه وهو يقول: «مائتان أو ثلاثمائة». سَحَبَ نفسًا من سيجارته. كان قد عاد للتدخين مرَّة أخرى. أضاف: «وهناك ملف جديد يظهَر كُل بضع ساعات. لا يأتون من مكانٍ واحدٍ، ويتم بثها عبر الراديو في بعض الأحيان، وأحيانًا ما تظهَر الملفات على الأقسام العامَّة. وجدت أورلان بعض الرجال في إحدى حانات الموانئ يوزِّعون حبار الواقِع الافتراضي الصغير وكأنها منشورات».

- «هل اعتقلتهم؟».

قال هافلوك كما لو لم يكُن الأمر مُهِمًّا: «لا».

مرَّ أسبوع منذ أن أعلَن جيمس هولدن -الشهيد الذي نصَّب نفسه بنفسه- بفخرٍ أنه سيتحدَّث هو وطاقمه إلى شخصٍ ما من البحرية الفضائية المريخيَّة بدلًا من الاكتفاء بإلقاء اللوم وانتظار التبعات. كانت لقطة تدمير (كانتيربيري) في كُل مكان، واحتدمَت النقاشات حول كُل إطار، وتباينت الآراء حول إذا كانت ملفَّات السجلَّات التي وثَّقت الحادثة شرعية تمامًا، أو إذا كان من الواضِح أنه قد تمَّ التلاعُب بها، وإذا كانت الصواريخ التي دمَّرت الناقِلة نوويَّة، أو صواريخ قراصِنة اعتيادية

اخترَقَت المُحرِّك عن طريق الخطأ، أو أن الأمر كُله كان خُدعة من لقطاتٍ قديمةٍ قد تمَّ رفعها للتغطية على هوية قاتِل (كانت) الحقيقية.

استمرَّت أعمال الشغب لمُدة ثلاثة أيام مُتقطِّعة، كانت مثل النيران المُستعِرة الساخِنة بدرجةٍ كافيةٍ لتعود للحياة في كُل مرَّة يُنفَخ فيها الهواء مرَّة أخرى. أعيد فتح المكاتِب الإدارية في ظل حراسة مُشدَّدة. تأخَّرت الموانئ؛ لكنها كانت ستلحق بالركب. كان الوغد عاري الصدر الذي أمر ميلر بإطلاق النار عليه في حجز مستوصَف ستار هيليكس؛ ليحصُل على رُكبتين جديدتين، ويملأ تقريرًا ضد ميلر، ويستعِد للمُحاكمة بسبب ارتكابه لجريمة قتل.

اختفت ستمائة متر مُكعَّب من النيتروچين من مستودع في القطاع الخامِس عشر، وتعرَّضَت عاهِرة غير مُرخَّصة للضرب، واحتُجِزَت في مخزنٍ، سيتم القبض عليها بمُجرَّد الانتهاء من شهادتها بشأن مُهاجميها. كما أنهم أمسكوا الأطفال الذين كسروا كاميرات المُراقبة في الطابق السادِس عشر. كان كُل شيء يسير كالمُعتاد بشكلٍ ظاهري.

لكن ذلك كان بشكلٍ ظاهري فقط.

كان الهدوء السريالي لعائِلات الضحايا، أحد الأشياء التي صدمت ميلر عندما بدأ العمل في مُكافحة جرائِم القتل. الأشخاص الذين فقدوا للتو زوجاتهم، وأزواجهن، وأطفالهم، وأحباءهم. الأشخاص الذين وُسِمَت حيواتهم بالعُنف للتو. كانوا يقدِّمون المشروبات بمُنتهى الهدوء في أغلَب الأحيان، ويجيبون عن الأسئلة، ويجعَلون المُحقِّقين يشعرون بالترحيب، وقد يُخطئ أحد المدنيين غير مُدركين فهم الأمر برمته بسبب الطريقة الدقيقة التي يتماسكون بها، بينما كان بإمكان ميلر أن يرى في

أعينهم مدى عُمق الضرر الذي يشعرون به في الربع ثانية الذي يحتاجونه للتركيز.

كانت محطَّة سيريس تتماسَك بصعوبةٍ، وتحتاج عيونها لربع ثانية من أجل التركيز. كان الناس من الطبقة الوُسطى -أصحاب المتاجِر، عُمَّال الصيانة، وفني الحاسوب- يتجنَّبونه في المترو كما يفعل صِغار المُجرمين. توقَّفت المُحادثات عند اقتراب ميلر، وكان الشعور بالحِصار يتنامى في المحطَّة. فقبل شهر كان ميلر وهافلوك، كوب وريختر، والبقية يُمثِّلون يد القانون الصارِمة، أما الآن فهُم موظَّفون في شركة مقاولات أمن أرضية.

وعلى الرغم من أن الاختلاف كان طفيفًا، فإنه كان عميقًا، وجعله يرغب في أن يزداد طولًا؛ كي يُثبِت بجسده أنه من سُكَّان الحزام، أنه ينتمي إلى هناك. جعله يرغب في كسب رأي الناس الجيد، وربما أن يُجذِّر مجموعة الرجال الذين ينشرون الأكاذيب في الواقِع الافتراضي.

لم يكُن ذلك دافعًا ذكيًّا.

سأله ميلر: «ما القضايا المطروحة أمامنا؟».

قال هافلوك: «عمليتا سطو مُتماثلتان تمامًا، ولا يزال الصراع المحلي الذي حدث الأسبوع الماضي بحاجةٍ إلى إغلاق التقارير. كما حدث هجوم قوي للغاية على اتحاد استيراد ناكانيش؛ لكن شاديد كانت تتحدَّث إلى دايسون وباتيل عن ذلك الأمر؛ ولذلك ربما تمَّ تولي الأمر بالفعل».

- «إذن فأنت تُريد أن... ».

نظر هافلوك للأعلى وللخارِج في محاولةٍ لإخفاء حقيقة أنه كان ينظُر بعيدًا، وكان ذلك شيئًا يفعله كثيرًا منذ أن ساءت الأمور.

قال هافلوك: «علينا كتابة تلك التقارير حقًّا، وليس فقط التقارير المحليَّة. هناك أربعة أو خمسة ملفات لا تزال مفتوحة فقط؛ لأنها بحاجةٍ إلى مُراجعتها وإنهائها».

قال ميلر: «أجل».

منذ أن بدأت أعمال الشغب، وهو يُشاهِد تقديم الخدمة للجميع في الحانة قبل هافلوك. رأى كيف بدأ رجال الشرطة بدءًا من شاديد، ووصولًا إلى أصغر رُتبة فيهم في طمأنة ميلر أنه أحد الرجال الجيدين، وهو الأمر الذي كان بمنزلة اعتذارٍ ضمني لإثقال كاهله بالأرضي، ورأى هافلوك وهو يرى نفس الأمر.

جعل ذلك ميلر يرغَب في حماية الرجل، وأن يسمَح لهافلوك أن يقضي أيامه في أمان الأعمال الورقيَّة والقهوة الخاصَّة بالقسم، وأن يُساعِد الرجل في التظاهُر بأنه ليس مكروهًا لأنه نشأ في جاذبيةٍ مُختلفةٍ.

لم يكُن ذلك دافعًا ذكيًّا أيضًا.

سأله هافلوك: «وماذا عن قضيتك التافِهة؟».

- «ماذا؟».

رفع هافلوك أحد الملفَّات -قضية جولي ماو- مهمة الاختطاف. العرض الجانبي. أومأ ميلر برأسه ودعك عينيه، صرخ شخص ما أمام مقر القِسم، وضحك شخص آخر.

قال ميلر: «أجل، لا، لم أتطرَّق إليها بعد».

ابتسم هافلوك وأرسل له الملف، وافق ميلر على الملف، وفتحه. ابتسمت له الفتاة ذات الأسنان المثالية التي تبلُغ من العُمر ثمانية عشر عامًا.

قال ميلر: «لا أريد أن أثقِل كاهلك بكُل الملفات الموجودة على المكتب».

- «أنت لست الشخص الذي يُبعدني عن الأمر برمَّته. إنه قرار شاديد، وعلى أي حال... إنها مُجرَّد أعمال ورقيَّة لا تقتل أحدًا. إذا ما كُنت تشعُر بالذنب، فبإمكانك شراء بيرة لي بعد العمل».

ضغط ميلر الحافِظة على طرف مكتبه، أبقى الضغط الخفيف محتويات الملف داخل ثنيته.

قال: «صحيح، سأذهب لُمتابعة بعض الأمور في هذه القضية التافِهة، سأعود بحلول وقت الغداء، اكتب شيئًا ما لتُبقي المُديرة سعيدة».

قال هافلوك: «سأكون هنا». ثُم أضاف وميلر يقف: «مهلًا. انظر. لم أرغَب في قول شيء حتى أتأكَّد من الأمر؛ لكنني أيضًا لا أريدك أن تسمع به في مكانٍ آخرَ... ».

قال ميلر: «هل قدَّمت طلب انتقال؟».

قال هافلوك: «أجل، تحدَّثت إلى بعض مقاولي بروتوجين الذين مررت بهم، قالوا إن مكتبهم في جانيميد بحاجةٍ إلى مُحقِّق رئيسٍ جديدٍ، وفكَّرت أن... ».

قال ميلر: «إنها خطوة جيدة».

قال هافلوك، دون أن تستطيع كُل التظاهُر بالذكورة اللازِمة لعمل الشرطة منع الحُزن الموجود في صوته: «أريد فقط أن أذهَب إلى مكانٍ ما له سماء، حتى لو نظرت إليها عبر القِباب».

قال ميلر مرَّة أخرى: «إنها خطوة جيدة».

***

كانت غُرفة جولييت أندروميدا ماو تقع في الطابق التاسِع من نفق يتكوَّن من أربعة عشر طابقًا بالقُرب من الميناء. كان شكل حرف الـ (V) الضخم المقلوب على بُعد نصف كيلومتر تقريبًا في الجُزء العلوي، وبعرض الأنبوب الاعتيادي في الجُزء السفلي، وهو التعديل التحديثي لواحدةٍ من عشرات غُرف التفاعُل الجماعية من السنوات التي سبقت منح الكويكب جاذبيته الزائِفة. أما الآن، فحُفِرَت آلاف الحُفر الرخيصة التي تُمَثِّل الغُرف في الجدران، المئات في كُل طابق، مُمتدَّة إلى الخلف مثل حُفر الطلقات النارية. كان الأطفال يلعبون في الشوارِع المُتدرِّجة يصرخون ويضحكون على اللا شيء، وكان شخص ما في الأسفل مشغولًا بتطيير طائرة ورقية في نسيم الدوران اللطيف المُستمِر، وكانت ماسة مايلر اللامِعة تميل وتتقافَز في اضطراباتٍ دقيقةٍ. فَحَصَ ميلر جهازه اللوحي مُقابِل الأرقام المرسومة على الحائِط -(٥١٥١ – آي)- منزل الفتاة الغنية الصغيرة المسكينة.

قام بتشغيل متجاوِز الأقفال الخاص به، فَتَحَ الباب الأخضر القذِر أقفاله سامحًا له بالمرور.

استقرَّت الحُفرة في بدن المحطَّة. مكوَّنة من ثلاث غُرف: غُرفة معيشة عامة في المُقدِّمة، ثُم غُرفة نوم لا تتسِع لأكبر من سرير الأطفال الموجود

بها، ثُم مقصورة بها دُش، ومرحاض، ونصف حوض بمساحة ذراع. كان هذا تصميمًا اعتياديًّا، وكان قد رآه آلاف المرَّات.

وقف ميلر لدقيقةٍ، دون أن ينظُر لأي شيء على وجه الخصوص، مُستمِعًا للهسيس المُطمئِن للهواء المُعاد تدويره وهو يمُر داخِل مجاري الهواء. احتفظ بحُكمه لنفسه، مُنتظرًا أن يكوِّن دماغه انطباعًا عن المكان، وعن طريقه، يكوِّن انطباعًا عن الفتاة التي كانت تعيش فيه.

لم تكُن كلمة (مُتقشِّف) هي الكلمة المُناسبة. أجل، كان المكان بسيطًا، وكانت الزخارِف الوحيدة الموجودة فيه عبارة عن لوحة صغيرة مؤطَّرة مرسومة بألوان الماء لوجه امرأة شارِدة بعض الشيء، موضوعة فوق طاوِلة الغُرفة الأمامية، ومجموعة من البراويز الصغيرة بحجم بطاقات اللعب مُعلَّقة فوق سرير الأطفال الموجود في غُرفة النوم. اقترَب ليقرأ الوصف الصغير. جائِزة رسمية منحها مركز سيريس للجوجوتسو لجولي ماو -وليس جولييت- تتمثَّل في الحزام الأرجواني، وأخرى تقول إنها قد حصلَت على الحزام البني. كان الفارِق بينهما عامين، لقد كانت مدرسة صعبة إذن. وضع يده في المساحة الخالية على الحائِط حيث كان من المُفترَض أن تكون شهادة الحزام الأسود موجودة. لم يكُن هناك أي تصنُّع يغلب على الجو العام للغُرفة -لم يكُن هناك نجوم رمي مُنمنمة أو سيوف مُقلَّدة، مُجرَّد اعتراف صغير بأن جولي ماو قد فعلت ما فعلته- أعطاها نقاطًا على ذلك.

كانت الأدراج تحتوي على طقمين من الملابِس، أحدهما من قُماشٍ قطني ثقيلٍ، والآخر من الكتَّان الأزرق بوشاحٍ حريري. أحدهما للعمل، والآخر للهو. كان هذا أقل مما يمتلكه ميلر، والذي كان لا يهتَم بهذه الأمور.

لم يكُن وجود رمز الدائرة المقسومة الخاص بـ (أوبا) على جواربها وعلى أستِك ملابسها الداخلية العريض مُفاجأة بالنسبة لفتاةٍ أدارت ظهرها للثروة والنفوذ كي تعيش في مكبٍ كهذا. احتوَت الثلاجة على صندوقين للوجبات الجاهِزة مليئين بالطعام الفاسِد، وزجاجة من البيرة المحليَّة.

تردَّد ميلر قبل أن يشرَب البيرة. جَلَسَ على الطاوِلة وسحب جهاز الغُرفة اللوحي. فُتِح قسم جولي بكلمة مرور ميلر تماشيًا مع ما قالته له شاديد.

كانت الخلفيَّة المُخصَّصة عبارة عن سباق للمركبات الفضائيَّة، على حين كان قد تمَّ تخصيص الواجِهة بأيقونات صغيرة مقروءة. أيقونات التواصُل، والترفيه، والعمل، والأيقونات الشخصيَّة. (أنيقة). كانت هذه هي الكلمة المُناسِبة، ليست مُتقشِّفة؛ بل أنيقة.

تنقَّل سريعًا وسط ملفاتها المهنيَّة، سامحًا لدماغه بأخذ فكرة عامة، تمامًا كما فعل مع غُرفة المعيشة. سيكون هناك وقت للتدقيق، وعادةً ما سيكون الانطباع الأول أكثر فائدةً من دائِرة المعارِف. كان هناك مقاطِع فيديو تدريبية لها وهي على متن مركبات نقل خفيفة مُختلِفة، وبعض الأرشيفات السياسيَّة؛ لكن لا شيء يرفع رايات الخطر. مُجلَّد شعري ممسوح ضوئيًّا لبعض مستوطني الحزام الأوائِل.

انتقَل إلى مُراسلاتها الشخصيَّة، كان كُل شيء أنيقًا ومُرتَّبًا كعادة الحزاميين، قُسِّمَت كُل الرسائِل الوارِدة إلى ملفاتٍ فرعيةٍ: ملفات العمل، وشخصية، وبث، وتسوُّق، نقر على الشاشة ليفتَح ملف البث، كان بداخله مئتان أو ثلاثمائة موجز إخباري سياسي، ومُلخَّصات مجموعات المُناقشة، والنشرات، والإعلانات. شوهِد عدد قليل هنا أو هناك؛ لكن لا

شيء به أي نوع من أنواع المُلاحظة الدينية. كانت جولي من النوع الذي سيُقدِّم التضحية من أجل قضية ما؛ ولكنها لم تكُن من النوع الذي سيسعَد بقراءة الدعاية، وضع ميلر ذلك الملف جانبًا.

كان ملف التسوُّق عبارة عن تتبُّع طويل لرسائل التجارة البسيطة، وبعض الإيصالات، وبعض الإعلانات، وبعض طلبات السلع والخدمات، لَفَت انتباهه إلغاء حلقات الحزام الفردية. أعاد ميلر فرز المُراسلات ذات الصِلة، كانت جولي قد اشتركت في خدمة (جاذبية مُنخفِضة، وضغط مُنخفِض) الخاصَّة بالمواعَدة في شهر فبراير من العام الماضي، وألغت اشتراكها في شهر يونيو دون أن تستخدِمها.

كان الملف الشخصي أكثر تنوُّعًا، وبتخمينٍ تقريبي، كان هناك ستون أو سبعون ملفًّا فرعيًّا مُقسَّمين بناءً على الاسم، كان بعضها أسماء أشخاص: ساشا لويد نافارو، وإيرين مايكلز، أما البعض الآخر فكان تدوينات شخصيَّة، حلقات قِتال خاصَّة بـ (أوبا).

شعر بكثيرٍ من هراء الذنب.

قال للغُرفة الفارِغة: «حسنًا، يُمكِن أن يكون هذا مُثيرًا للاهتمام».

خمسون رسالة يعود تاريخها إلى خمس سنوات مضت، تم وضع علامة عليها جميعًا على أنها تعود إلى محطة ماو -كويكويسكي التجارية في الحزام وفي لونا. على عكس الملفات السياسية، التي تمَّ فتحها جميعًا ما عدا واحدًا.

أخذ ميلر رشفةً من البيرة وفكَّر في آخر رسالتين -الأحدَث- اللتين لم يتم قراءتهما، والمُرسلتين من (جـ. بـ. م). جولز بيير ماو مثلًا. كانت في

الرسالة التي تسبقها ثلاث ردود مسودة، لم يتم إرسال أحدهم، كانت من أريادن. الأم.

لطالما احتوَت مهنة المُحقِّق على ميزة استراق النظر. كان من القانوني أن يتواجَد هنا، وأن يتجوَّل في الحياة الخاصَّة لامرأةٍ لم يُقابِلها بعد. كان جزءٌ من تحقيقه المشروع أن يعرِف أنها كانت وحيدة، وأن أدوات الاستخدام الشخصي الوحيدة الموجودة في الحمَّام كانت خاصَّة بها، وأنها كانت فخورة بنفسها. لن يُقدِّم أي شخص شكوى على ما يفعله، وعلى الأقل لن يكون لذلك أي تداعيات على وظيفته، حتى لو قرأ كُل رسالة خاصَّة في القسم الخاص بها، كان شُرب بيرتها هو أكثر شيء غير أخلاقي قام به منذ قدومه.

تردَّد لثوانٍ قليلةٍ قبل أن يفتح الرسالة قبل الأخيرة.

تبدَّلت الشاشة، كان سيستحيل تمييز ما ظهر أمامه عن الورقة الحقيقية إذا ما كان لديه مُعدَّات أفضل؛ لكن الخطوط ارتجفت وتسرَّب توهج خافِت على الركن الأيسر لنظام جولي الرخيص. كان خط اليد جيدًا ومقروءًا، سواء كان قد تمَّ كتابته باستخدام برنامج خط جيد بما فيه الكفاية لتغيير شكل الحروف وعرض الخط، أو كان خط يد شخص آخر.

«حبيبتي:

أتمنى أن يكون كُل شيء على ما يُرام بالنسبة لكِ. أتمنى أحيانًا لو تكتبين لي من نفسكِ. أشعُر أنني يجب أن أقدِّم طلبًا من ثلاث نُسَخ فقط للاطمئنان على ابنتي. أعرِف أن مُغامرتكِ تدور حول الحريَّة والاعتماد على الذات؛ لكن من المؤكَّد أنه لا يزال هناك مجال لمُراعاة مشكلات الآخرين.

أردت التواصُل معكِ خصوصًا وأن والدكِ يمُر بإحدى مراحِل توحيد الشركات مرَّة أخرى، ونُفكِّر في بيع رازورباك. أعلَم أنها كانت مُهمَّة لك ذات يوم؛ لكنني أفترِض أننا قد يئسنا جميعًا من سباقاتكِ مرَّة أخرى. إنه فقط يزيد من رسوم التخزين التي يجب أن ندفعها، فلا داعي للتصرُّف بشكلٍ عاطفي»

كانت موقَّعة بالأحرُف الأولى: أ. م.

فكَّر ميلر في الكلمات، كان يتوقَّع أن تكون ابتزازات الأثرياء الأبوية أكثر دقة من ذلك بطريقةٍ ما. كأن يقول: إذا لم تفعلي ما نطلُبه منكِ، ستتخلَّص من ألعابكِ. وإذا لم تكتبي لنا، وإذا لم تعودي إلى المنزل، وإذا لم تُحبينا.

فَتَح ميلر المسودة الأولى غير المُكتمِلة:

«أمي، إذا كان هذا ما تُطلقينه على نفسكِ:

شكرًا جزيلًا على إسقاطكِ لغائطٍ آخرَ لتلويث يومي. لا أستطيع تصديق مدى أنانيتكِ وتفاهتكِ وفظاظتكِ. لا أستطيع تصديق أنكِ تنامين ليلًا، أو أنك تظنين أنني أستطيع القيام بذلك...»

قرأ ميلر بقية الرد سريعًا. بدت مُتماسكةً. أما مسودة الرد الثانية فقد كانت بعد يومين. بدأ في قراءتها.

«أمي:

يؤسِفني أننا نشعُر بالغُربة الشديدة في السنوات القليلة الماضية. أعلم أن هذا كان صعبًا عليكِ وعلى والدي. آمل أن تتمكَّني من فهم أن القرارات التي اتخذتها لم تكُن تهدف لإيذاء أي منكما.

بشأن رازورباك، أتمنى أن تضعا في الحُسبان أنها كانت مركبتي الأولى، وأنني...»

انقطع الرد هنا. مال ميلر للخلف

قال لجولي الموجودة في خياله: «تماسكي يا فتاة». قبل أن يفتح المسودة الأخيرة.

«أرادين:

افعلي ما شئتِ.

جولي».

ضَحِك ميلر ورفع زجاجته في نخبٍ إلى الشاشة. لقد عرفوا المكان الذي يجب أن يضربوها فيه كي تشعُر بالألم، وقد تلقّت جولي الضربة. إذا أمسَك بها وأعاد إرسالها إليهم، فسيكون يومًا سيئًا لكليهما. لهم جميعًا.

أنهى البيرة، ألقى الزجاجة في أنبوب إعادة التدوير، وفتح الرسالة الأخيرة. شعر بنصف خوف لمعرفة مصير رازورباك النهائي؛ لكن وظيفته كانت معرفة أكبر قدر مُمكِن من المعلومات.

«جولي:

هذه ليست مزحة، وليست واحدة من نوبات دراما والدتكِ. لديَّ معلومات مؤكَّدة أن الحزام على وشك أن يُصبح مكانًا غير آمن للغاية، ومهما كانت الخلافات بيننا، يُمكِننا العمل عليها في وقتٍ لاحقٍ.

عودي للمنزل الآن؛ لسلامتكِ».

عبس ميلر. همهم جهاز إعادة تدوير الهواء، وأطلَق أحد الأطفال المحليين الموجودين بالخارج صفيرًا عاليًا ومُرتفعًا، نقر على الشاشة، وأغلَق رسالة الشعور بالذنب الأخيرة، قبل أن يفتحها مرَّة أخرى.

كان قد تمَّ إرسالها من لونا قبل أسبوعين من قيام جيمس هولدن بـ (كانتيربيري) برفع رايات الحرب بين المريخ والحزام.

كان هذا العرض الجانبي مُثيرًا للاهتمام.

(٩)
هولدن

قالت ناعومي وهي تضغط على بعض المفاتيح بالترتيب على لوحة الاتصالات: «لا تزال المركبات لا تستجيب».

قال هولدن: «لم أكُن أعتقِد أنهم سيفعلون؛ لكنني كُنت أريد أن ترى (دوناجير) أننا قلقون من أن تتم مُلاحقتنا. نفعل كُل شيء في هذه المرحلة كيلا نتعرَّض للوم».

برز عمود ناعومي الفقري وهي تتمطَّى، أخرَج هولدن لوح بروتين من صندوقٍ فوق قدميه، وألقاها نحوها وهو يقول: «كُلي شيئًا».

فتحتها بينما صَعَد أموس على السلم، وألقى بنفسه على الأريكة المجاوِرة لها. كان معطفه قذِرًا للغاية لدرجة أنه كان يلمَع. لم يُساعِده وجوده لمُدة ثلاثة أيام على متن المكوك الضيِّق في الحِفاظ على نظافته الشخصية، مثله مثل الآخرين. رفع هولدن يده وحكَّ شعره الدهني بنفورٍ. كان (الفارِس) أصغر من أن يحتوي على مغاسِل، وكانت الأحواض مُنعدِمة الجاذبية أصغر من أن تُغطِّس رأسك بها. حلَّ أموس مُشكلة غسل الشعر بحلاقة شعره بالكامِل فأصبَح لديه حلقة من القش

تُحاصِر صلعته الصغيرة. ظلَّ شعر ناعومي لامعًا وخاليًا من الزيوت بطريقةٍ ما. تساءل هولدن عن الطريقة التي فعلت بها ذلك.

قال أموس: «ألقِ لي بعض الطعام أيها المُدير التنفيذي».

صحَّحَت له ناعومي اللقب: «قُبطان».

ألقى هولدن بلوح بروتين إليه. أمسَك به أموس في الهواء، ثُم نَظَر إلى العبوة الطويلة النحيفة بكراهيةٍ.

قال أموس: «اللعنة يا مُديرة، سأتخلى عن خصيتي اليُسرى من أجل أن أتناوَله لا يبدو مثل القضيب الصِناعي». ثُم ضَرَب طعامه بطعام ناعومي في نخبٍ زائِفٍ.

قال هولدن: «ما وضع المياه لدينا؟».

- «حسنًا، لقد كُنت أزحف بين الهياكِل طوال اليوم، ربطت كُل ما يُمكِن ربطه، ووضعت لاصِق الإيبوكسي على كُل ما لا يُمكِن ربطه، ولهذا فنحن لا نقطِّر المياه بعد الآن».

قالت ناعومي: «لن يظهَر الأمر سوى في النهاية يا جيم، فأنظِمة إعادة التدوير في (الفارِس) عبارة عن هراء، ولم تكُن مُصنَّعة لإعادة تدوير نفايات خمسة أشخاص إلى مواد صالِحة للشرب لمُدَّة أسبوعين على الإطلاق».

- «أستطيع التعامُل مع الأمر حتى النهاية. سنتعلَّم كيف نتعايَش مع رائِحة بعضنا بعضًا. كُنت قَلِقًا بشأن أننا غير قريبين من أي مكان بها فيه الكفاية».

قال أموس: «بمُناسبة الحديث عن هذا الأمر، سأعود إلى مكاني وأرُش المزيد من مُزيل العرق، فبعد الزحف في أحشاء المركبة طوال اليوم، تبقيني رائحتي الكريهة مُستيقظًا طوال الليل».

ابتلع أموس آخر قضمة من طعامه، ولعق شفتيه بتلذُّذٍ زائِفٍ، ثُم قام من فوق أريكته وهبط سلم الطاقم. قضم هولدن قضمة من لوح بروتينه. بدا طعمه مثل الورق المقوى المُشبَّع بالدهن.

سألها: «كيف يُبلي شيد؟ لقد كان هادئًا للغاية».

عبست ناعومي، وضعت لوحها نصف المأكول فوق لوحة الاتصالات.

- «أردت أن أتحدَّث إليك بشأنه، إنه لا يُبلي حسنًا يا جيم. فمن بيننا جميعًا، هو الذي يقضي أصعب أوقاته مع... ما حدث. فأنت وأليكس كُنتما من قوَّات البحرية الفضائية، ودربوكما على التعامُل مع رُفقاء المركبة غير المُتزنين، بينما طار أموس لوقتٍ طويلٍ، وصدِّق أو لا تُصدِّق، فهذه هي المركبة الثالِثة التي يقضي وقته عليها».

قال هولدن مُتظاهرًا بالمرح: «وأنتِ مصنوعة بالكامِل من الحديد الصلب والتيتانيوم».

قالت ناعومي بنصف ابتسامة: «ليس بالكامِل. حوالي ثمانون أو تسعون بالمائة. وعلى الرغم من ذلك، أريدك أن تتحدَّث إليه حقًّا».

- «ماذا سأقول له؟ أنا لست طبيبًا نفسيًّا. تتضمَّن نُسخة البحرية الفضائية لهذا الخطاب الحديث عن الواجِب، والتضحية بشرفٍ، والانتقام للرِّفاق الذين سقطوا، ولا يجدي ذلك نفعًا

عندما يتعرَّض أصدقاؤك للقتل بدون سبب واضِح، دون أن تكون هناك أي فرصة لفعل أي شيء حيال الأمر».

- «لم أقُل إن عليك إصلاحه، كُل ما قُلته أنك بحاجةٍ للتحدُّث معه».

نهض هولدن من أريكته وهو يؤدي لها التحيَّة العسكرية.

قال وهو يتوجَّه نحو السلم: «أمرك يا سيدتي، وشكرًا لكِ مرَّة أخرى يا ناعومي، أنا حقًّا... ».

قالت وهي تعود للوحتها، وتستدعي شاشة عمليات المركبة: «أعرِف، اذهب وقُم بواجبك كقُبطان، سأستمِر في التلويح لجيراننا».

***

وَجَد هولدن شيد في مرفق (الفارِس) الطبي الصغير الذي كان أقرَب لخزانة طبيَّة. فبخلاف الفِراش المقوى، خزانات الإمدادات، وست قطع من المُعدَّات المُثبَّتة على الحائِط، لم تكُن هناك مساحة كافية سوى لمقعدٍ واحدٍ مُثبَّت إلى الأرض بأقدامٍ مغناطيسيةٍ. جَلَس شيد عليه.

قال هولدن: «مرحبًا يا صديق، هل تُمانِع دخولي؟».

هل قُلت لتوي: (مرحبًا يا صديق) حقًّا؟

هزَّ شيد كتفيه، وعرض شاشة المخزن على لوحة الحائِط، فَتَح الأدراج وحدَّق في محتوياتها. مُتظاهرًا بأنه مُنهمِك في فعل شيء ما.

قال هولدن: «انظر يا شيد، إن ما حَدَثَ مع (كانتيربيري) ترك أثره على الجميع بشدةٍ». التفت شيد، وهو يُمسِك بأُنبوبٍ أبيض.

قال شيد: «محلول حمض الخليك بتركيز ثلاثة بالمائة، لم أُدرِك أن لدينا هذا هُنا. لقد نفذ مخزون (كانت) منه، وكان لديَّ ثلاثة مُصابين بالـ (ث. تـ) كانوا بحاجةٍ شديدةٍ إليه. أتساءل لماذا وضعوه على متن (الفارِس)».

كُل ما استطاع هولدن أن يقوله هو: «الـ (ثـ. تـ)؟».

- «الثآليل التناسُلية. محلول حمض الخليك هو علاج لأي ثآليل مرئية -يكويهم- يؤلِم كالجحيم؛ لكنه يؤدي غرضه. لا يوجد سبب لإبقائه على متن المكوك. لطالما كان المخزون الطبي فوضويًّا للغاية».

فَتَح هولدن فمه ليتحدَّث؛ لكنه لم يجد شيئًا ليقُوله، فأطبق فاه مرَّة أخرى.

قال شيد وصوته يرتفِع باطرادٍ: «لدينا كريم حمض الخليك؛ لكن لا يوجد شيء لتسكين الألم، أيهما تعتقِد أنك ستحتاج أكثر على متن مكوك إنقاذ؟ إذا ما كُنا قد وجدنا أي شخص على متن هذا الحُطام يُعاني من ثآليل تناسُلية، فسنكون قادرين على مُساعدته؛ لكن إذا ما وجدنا شخصًا بقدمٍ مكسورةٍ؟ حظك سيئ. عليك أن تتحمَّل الألم».

قال هولدن محاوِلًا التأثير عليه: «انظر يا شيد».

- «عجبًا، انظر إلى هذا. لا يوجد مُضاد للتخثُّر، ما هذا بحق الجحيم؟ مهلًا، لا توجد أي فُرصة ليُصاب أي شخص في مُهمة إنقاذ بالنزيف كما تعرِف. هل توجد ثآليل حمراء على ذراعك؟ بالتأكيد علاجك موجود؛ لكن هل تنزِف؟ مُستحيل! أعني أن لدينا أربع حالات مرضى بالزُهري على متن (كانت) في الوقت الحالي. أحد أقدَم الأمراض في التاريخ،

دون أن نكون قادرين على التخلُّص منه. لقد أخبرت هؤلاء الرجال أن العاهرات الموجودات في محطة زُحل تُضاجعن كُل رجل موجود في المدار، لذا ارتدوا الواقي الذكري؛ لكن هل استمعوا لي؟ لا. ها نحن أولاء مع مرض الزُهري ولا يوجد ما يكفي من السيبروفلوكساسين».

شعر هولدن بفكه يتحرَّك. أمسَك بجانبي الباب ومال إلى داخِل الغُرفة.

قال هولدن بكلماتٍ واضحةٍ وقويةٍ ووحشيةٍ: «مات كُل ما كان على متن (كانت)، جميعهم موتى. لا يحتاج أحد إلى مُضادات حيويَّة. لا يحتاج أحد إلى مراهِم ثآليل».

توقَّف شيد عن الحديث، تهاوى وكأنه لُكِم في بطنه ففرَّغ كُل الهواء الموجود بداخله. أغلق أدراج خزانة الإمدادات، وأغلَق شاشة المخزون بحركاتٍ صغيرةٍ دقيقةٍ.

قال بصوتٍ خافتٍ: «أعرف هذا، لست غبيًّا. أنا فقط بحاجةٍ لبعض الوقت».

- «كُلنا بحاجةٍ لذلك؛ لكننا عالقون في هذه العُلبة المعدنية الصغيرة معًا. سأكون صادقًا معك، لقد أتيت إلى هنا لأن ناعومي قَلِقة بشأنك؛ لكنك تُخيفني بشدة الآن، بعد أن أصبحت هنا. وهذا جيد؛ لأنني القُبطان الآن وهذه هي وظيفتي؛ لكن لا يُمكِنني أن أسمح لك بأن تُخيف أموس أو أليكس. أمامنا عشرة أيام قبل أن تقبض علينا مُقاتِلة حربية مريخية، وهذا مُخيف بما فيه الكفاية دون أن ينهار الطبيب».

قال شيد بصوتٍ ضعيفٍ للغاية: «لست طبيبًا، أنا مُجرَّد فني».

- «بالنسبة لأربعتنا الموجودين هنا معك على متن المركبة، أنت طبيبنا، حسنًا؟ أنت طبيبنا. وإذا ما بدأ أليكس يُعاني من نوبات إجهاد ما بعد الصدمة، وكان بحاجةٍ إلى الأدوية للحِفاظ على تماسُكه، فسيأتي إليك. إذا ما كُنت بالأسفل هنا تهذي حول الثآليل، فسيستدير ويذهب إلى قُمرة القيادة ويقوم بعملٍ سيئ للغاية في الطيران. هل تريد البُكاء؟ ابكِ معنا. سنجلس سويًّا في المطبخ ونثمل، ونبكي كالأطفال؛ لكننا سنفعل ذلك سويًّا في مكانٍ آمنٍ. لا مزيد من الاختباء هنا».

أومأ شيد برأسه.

قال: «هل يُمكننا فعل ذلك؟».

سأله هولدن: «فعل ماذا؟».

- «أن نثمل، ونبكي كالأطفال؟».
- «طبعًا. لقد خطَّطنا للقيام بذلك الليلة. أثبِت حضورك في المطبخ بحلول الساعة الثامِنة مساءً يا سيد جارفي، أحضر كوبك معك».

بدأ شيد بالرد عندما عاد نظام الاتصالات للحياة، وصدح صوت ناعومي عبره وهي تقول: «عُد إلى غُرفة العمليات يا جيم».

أمسَك هولدن بكتف شيد لوهلةٍ، قبل أن يُغادِر.

عادَت ناعومي إلى شاشة الاتصالات الموجودة في غُرفة العمليات مرَّة أخرى، كانت تتحدَّث إلى أليكس بصوتٍ خفيضٍ، بينما كان الطيَّار يهز رأسه عابسًا، وخريطة تتوهَّج على شاشتها.

سألها هولدن: «ما الأمر؟».

أجابته ناعومي: «نتلقى حزمة مُركّزة من الطاقة يا جيم. تم استقبالها وبدأ نقل المعلومات منذ دقيقتين».

- «من (دوناجير)؟».

كانت المُقاتِلة الحربيّة المريخية هي الشيء الوحيد الذي يُمكِن أن يُفكِّر في أنه قد يكون داخِل نطاق اتصالات الليزر.

قالت ناعومي: «لا، من الحِزام، وليس من سيريس، أو من إيروس، أو من بالاس أيضًا، وليس من أي من المحطّات الكُبرى».

أشارَت إلى نُقطة صغيرة على شاشتها وهي تقول: «تأتي من هنا».

قال هولدن: «هذه مساحة خالية».

- «لا، لقد فَحَصَ أليكس هذا، إنه موقِع مشروع بناء كبير تابع لشركة تايكو، ليس هناك الكثير من التفاصيل حول الأمر؛ لكن الأشعة العائِدة إلى الرادار قويّة للغاية».

قال أليكس: «هناك شيء ما لديه مصفوفة اتصالات يضع علينا نقطة بحجم فتحة الشرج من على مسافةٍ تزيد على ثلاث وحدات فلكية».

سأله هولدن: «حسنًا، عجبًا، هذا مُثير للإعجاب، وماذا تقول تلك النُقطة التي بحجم فتحة الشرج؟».

قالت ناعومي وهي تبدأ التشغيل: «لن تُصدِّق هذا أبدًا».

ظَهَر على الشاشة رجل أرضي ذو بشرة سمراء وعظام وجه بارِزة. اشتعل رأسه شيبًا، وتركت العضلات القديمة أثرها في عُنقه. ابتسم وهو يقول:

- «مرحبًا جيمس هولدن. اسمي فريد جونسون».

ضغط هولدن على زر الإيقاف المؤقَّت.

قال: «يبدو هذا الرجل مألوفًا. ابحثي عن ذلك الاسم في قاعدة بيانات المركبة».

لم تتحرَّك ناعومي قيد أنملة، حدَّقت فيه بنظرةٍ مليئةٍ بالحيرة تحتل قسمات وجهها.

قال: «ماذا؟».

قالت: «هذا فريدريك جونسون».

- «حسنًا».

- «العقيد فريدريك لوسيوس جونسون».

ربما يكون صمته قد دام للحظةٍ، وربما يكون قد دام لساعةٍ.

كُل ما استطاع هولدن التفكير في قوله هو: «يا إلهي! ».

كان الرجل الذي يحتل الشاشة هو أحد أكثر الضُبَّاط حصولًا على الأوسِمة في جيش الأمم المُتحدة، قبل أن تنتهي مسيرته بواحد من أكثر إخفاقاته حرجًا. كان عُمدة نوتينجهام الأرضي الذي تحوَّل إلى روبن هود بالنسبة لسُكَّان الحزام، وكان البطل الذي توقَّف عن كونه صالحًا بالنسبة للأرضيين.

بدأ فريد جونسون رحلة صعوده على سلم الشهرة بسلسلة من اللقطات البارِزة للقبض على قراصِنة الحزام أثناء إحدى فترات التوتُّر بين الأرض والمريخ، والتي بدا أنها تتصاعَد كُل بضعة عقود قبل أن تتلاشى مرَّة أخرى، وكُلما تلاقَت سيوف قوَّتي النظام العظيمتين في مواجهة

بعضها بعضًا، وارتفعت نسبة الجريمة في الحزام، دمَّر العقيد جونسون – أو القُبطان جونسون آنذاك- هو وسربه الصغير المكوَّن من ثلاث فرقاطات صاروخية عشرات من مركبات القراصِنة وقاعدتين رئيستين في غضون عامين. وبحلول الوقت الذي توقَّف فيه التحالُف عن المناوشات، وانخفضت نسبة القرصنة في الحزام، وتردَّد اسم فريد جونسون على شفاه الجميع، كان قد ترقَّى وتولى قيادة قوَّات بحرية التحالف المُكلَّفة بمُراقبة الحزام؛ حيث استمرَّ في الخدمة بامتيازٍ.

إلى أن وقع حادِث محطَّة أندرسون.

وهي مستودَع شحن صغير على الجانِب الآخر من الحزام من ميناء سيريس الرئيس، لا يتمكَّن مُعظم الأشخاص -بما فيهم مُعظَم سُكَّان الحزام- من تحديد موقِع محطة أندرسون على الخريطة. كانت أهميتها الوحيدة تتمثَّل في كونها محطَّة توزيع ثانوية للمياه والهواء لواحدةٍ من أقل امتدادات الحزام. حَصَل أقل من مليون من سُكَّان الحزام على هوائهم الخاص من محطَّة أندرسون.

قرَّر جوستاف ماركوني -وهو بيروقراطي مُحترِف في التحالُف في المحطَّة- تطبيق رسوم إضافية بقيمة ثلاثة بالمائة على الشُحنات التي تمُر عبر المحطَّة على أمل زيادة الأرباح. كانت نسبة أقل من خمسة بالمائة من سُكَّان الحزام الذين يشترون هواءهم من محطَّة أندرسون يعيشون على حد الكفاف؛ ولذلك فقد يضطَر أقل من خمسين ألفًا من سُكَّان الحزام إلى قضاء يوم كامِل من كُل شهر دون تنفُّس؛ لكن نسبة صغيرة من هؤلاء الخمسين ألفًا كانت تفتقِر إلى مساحةٍ في أنظمة إعادة التدوير؛ لتغطية هذا النقص الطفيف، وشعر جزء صغير من بين هؤلاء أن التمرُّد المُسلَّح هو المسار الصحيح،

ولهذا السبب، حَضَر مائة وسبعون مُسلحًا من سُكَّان الحزام من بين المليون المُتضرِّرين إلى المحطَّة، واستولوا عليها، وألقوا بماركوني من غُرفة مُعادلة الضغط، وطالبوا بضمانٍ حكومي بعدم إضافة أي رسوم شحن إضافية على سعر الهواء والماء القادمين عبر المحطَّة.

وأرسَل التحالُف العقيد جونسون.

أبقى سُكَّان الحزام كاميرات المحطَّة تعمَل أثناء مذبحة محطَّة أندرسون؛ لتبث إلى النظام الشمسي طوال الوقت. شاهَد الجميع قوَّات مُشاة البحرية الفضائية التابِعة للتحالُف، وهي تخوض معركةً طويلةً شنيعةً من ممرٍّ إلى ممرٍّ ضد رجال ليس لديهم ما يخسرونه وليس لديهم سبب للاستسلام. انتصرت قوَّات التحالُف -وهي النتيجة المتوقَّعة-؛ لكن الأمر استغرق ثلاثة أيام من بث المذبحة. لم تكُن صورة الفيديو الأيقونية هي أحد مشاهِد المعركة؛ بل كانت اللقطة الأخيرة التي بثَّتها كاميرات المحطَّة قبل أن تتوقَّف عن العمل: العقيد جونسون يقِف في غُرفة عمليات المحطَّة، تُحيط به جُثث سُكَّان الحزام الذين قضوا آخر لحظاتهم فِي هذا المكان، يتأمَّل المذبحة من حوله بنظرةٍ مُسطحةٍ ويداه مُرتخيتان إلى جانبه.

حاوَلت الأمم المُتحدة الحفاظ على سرية استقالة العقيد جونسون؛ لكنه كان شخصيَّة عامَّة أكثر من اللازِم. تصدَّر فيديو المعركة الشبكات لأسابيع طويلةٍ، ولم يتخلَّ عن الصدارة إلا عندما أدلى العقيد جونسون –سابقًا– ببيان اعتذار علني عن المذبحة مُعلنًا أن العلاقة بين الحزام وبين الكواكِب الداخلية يتعذَّر الدفاع عنها وتتجه نحو مأساة أكبر من أي وقت مضى.

ثُم اختفى. كاد أن يُنسى، على هامِش تاريخ المذبحة البشرية، إلى أن قامَت ثورة مُستعمرة بالاس بعد أربع سنوات، هذه المرَّة قام عُمَّال المعادِن في المصفاة بطرد مُحافِظ التحالُف من المحطَّة، بدلًا من أن تكون محطَّة صغيرة بها مائة وسبعون مُتمردًا، كان هذه المرَّة جلمود صخر رئيس على متنه أكثر من مائة وخمسين ألف شخص، وعندما أمر التحالُف قوَّات البحرية الفضائية بالتدخُل، توقَّع الجميع حمَّام دم.

ظَهَر العقيد جونسون من العدم وتحدَّث مع عُمَّال المعادِن، وتحدَّث مع قادة التحالُف وطلب منهم كبح جماح قوَّات مُشاة البحرية حتى يتم تسليم المحطَّة بشكلٍ سلمي، أمضى أكثر من عام في التفاوُض مع مُحافِظ التحالُف لتحسين ظروف العمل في المصافي، وفجأة، أصبح سفَّاح محطَّة أندرسون بطل الحزام ورمزه.

وهذا الرمز يبُث رسائِل خاصَّة إلى (الفارِس).

ضغط هولدن زر التشغيل، فقال فريد جونسون:

«أعتقِد أنك سقطت فريسة لعملية تلاعُب يا سيد هولدن. اسمح لي أن أقول بصراحةٍ؛ إنني أتحدَّث إليك بصفتي المُمثِّل الرسمي لتحالُف الكواكِب الخارجية. لا أعرِف ما الذي سمعته عنَّا؛ لكننا لسنا مجموعةً من رُعاة البقر الذين يتوقون للحصول على فُرصةٍ لإطلاق النار من أجل نيل الحُرية. لقد أمضيت السنوات العشر الماضية في العمل لجعل الحياة أفضل لسُكَّان الحزام دون إطلاق النار على أي شخص. أنا أعتنِق هذه الفكرة تمامًا لدرجة أنني تخليت عن مواطنتي الأرضية عندما جئت إلى هنا.

أخبرك بذلك حتى تعرف قدر استثماري في الأمر. ربما أكون الشخص الوحيد في النظام الشمسي على الأقل الذي يريد أن تنشب الحرب، ولديَّ تأثير على مجالِس (أوبا).

ربما تكون قد سَمِعت بعض الإذاعات وهي تدق طبول الحرب، وتدعو للانتقام من المريخ على ما حدث لمركبتك. لقد تحدَّثت إلى كُل قائِد خلية من قادة (أوبا) أعرفه، ولم يُعلِن أحد مسؤوليته عن الأمر.

هناك من يعمَل بجدٍّ كي تنشب الحرب. إذا ما كان كوكب المريخ هو المسؤول عن الأمر، فعندما ستطأ قدمك تلك المركبة، فلن تقول كلمةً أخرى في العلن دون أن يُلقِّنها لك مُعالجو المريخ. لا أريد أن أعتقِد أن المريخ هو المسؤول. لا أستطيع أن أرى كيف سيستفيدون من نشوب الحرب؛ لذلك آمل أن يكون لا يزال بإمكانك المُشاركة فيما هو قادِم بعدما تقلك (دوناجير).

سأرسِل لك كلمةً رئيسيةً، وفي المرَّة القادِمة التي تقوم بها بالبث العلني، استخدم الكلمة المقصودة في أي موضع في الجُملة الأولى من البث للإشارة إلى أنك لست مُجبرًا، وإذا لم تستخدمها سأفترض أنك مُجبر على البث. في كلتا الحالتين، أريدك أن تعرف أن لديك حلفاء في الحزام.

لا أعرِف من كُنت أو ماذا كُنت قبل ذلك؛ لكن صوتك مُهِم في الوقت الحالي. إذا ما كُنت ترغَب في استخدام هذا الصوت لتحسين الأمور، فسأبذل قصارى جهدي لمُساعدتك على القيام بذلك. تواصَل معي على العنوان التالي إذا ما نلت حُريتك. أعتقِد أنه ربما يكون لدينا الكثير لنتحدَّث عنه.

انتهى جونسون من الحديث».

***

جَلَس الطاقم في المطبخ مُنهمكين في شُرب زجاجة من التيكيلا الاصطناعية التي وجدها أموس في مكانٍ ما، احتسى شيد الشراب من كوبٍ صغيرٍ وهو يحاوِل إخفاء تكشيرته فِي كُل مرَّة، بينما شَرِبَ أموس وأليكس مثل البحَّارة: بمقدار إصبع من قاع الكوب، وتجرعه كُل على مرَّةٍ واحدةٍ. اعتاد أليكس على قول: «يا ولدا!» بعد كُل جُرعة، بينما استخدم أموس ألفاظًا نابية مُختلِفة في كُل مرَّة، وصل إلى كوبه الحادي عشر دون أن يُكرِّر سبَّة مما قال.

حدَّق هولدن في ناعومي، أدارت التيكيلا في كوبها وهي تُحدِّق به، وجد نفسه يتساءل عن نوع المزيج الجيني الذي نتجت عنها ملامحها. بالتأكيد بعض الجينات الأفريقية والأمريكية الجنوبية. بينما لَمَّح اسمها الأخير إلى أصولٍ يابانيَّةٍ، وهو الأمر الذي كان بالكاد ملحوظًا، مثل طيَّة جلدية طفيفة.

لم يكُن جمالها تقليديًّا أبدًا؛ لكن إذا ما نظرت لها من الزاوية المُناسِبة فستجدها مُذهِلة إلى حدٍّ ما.

اللعنة، أنا ثمل أكثر مما اعتقدت.

قال في محاولةٍ لإخفاء الأمر: «إذن... ».

أجابته ناعومي: «إذن فالعقيد جونسون يتصل بك الآن. لقد أصبحت رجلًا مُهِمًّا للغاية يا سيدي».

وضع أموس كأسه بحذرٍ شديدٍ.

سأله: «كُنت أريد أن أسأل في هذا الشأن يا سيدي، هل هناك أي فُرصة لأن نوافِق على عرضه للمُساعدة، ونعود إلى الحزام؟ لا أعرف

بشأنك؛ لكن بوجود هذه المُقاتِلة المريخية أمامنا، ونصف دزينة المركبات الغامِضة من خلفنا، فقد بدأت أشعُر بحصارٍ لعينٍ».

قال أليكس مُستهزئًا: «هل تمزح؟ إذا ما انقلبنا الآن، فسنكون على وشك التوقُّف بحلول الوقت الذي ستلحق بنا (دوناجير) فيه. إنها تنطلِق بأقصى سُرعة لتلحق بنا قبل أن تفعل مركبات سُكَّان الحزام. وإذا ما بدأنا بالانطلاق نحوهم، فقد تعتبِر (دوني) هذا كعلامة على أننا بدَّلنا ولاءنا، وسنخسر الكثير».

قال هولدن: «أتفِق مع السيد كمال، لقد اخترنا مسارنا وسنتعامَل مع ما سيحدُث فيه، لن أفقِد معلومات التواصُل مع فريد في أي وقت قريب. بالمُناسبة، هل مسحتِ رسالته بعد يا ناعومي؟».

- «أجل يا سيدي، لقد مسحتها من ذاكِرة المركبة تمامًا. لن يعرِف المريخيون أبدًا أنه قد تحدَّث إلينا».

أومأ هولدن برأسه، وفتح سحاب بدلته الفضائية قليلًا. بدأت درجة حرارة المطبخ في الارتفاع مع وجود خمسة أشخاص سكارى يحتلون جنباته. رفعت ناعومي حاجبها، وهي تنظُر إلى قميصه القديم الذي لم يُغسَل منذ أيام، أغلَق سحابه مرَّة أخرى وهو يشعُر بالإحراج.

قال أليكس: «لا يبدو لي وجود هذه المركبات منطقيًّا يا زعيم، نصف دزينة من المركبات تطير في مهام انتحارية مزوَّدة بأسلحةٍ نوويةٍ مربوطةٍ في هياكلها قد تُسبِّب ثقبًا في مُقاتِلة حربية كـ(دوني)؛ لكنها لم تفعل الكثير بخلاف هذا. يُمكِن لها أن تفتَح شبكة دفاعاتها وأسلحتها، كما يُمكِنها إنشاء منطقة حظر طيران عبر آلاف الكيلومترات. يُمكِن أن تقتل تلك المركبات الستة بالصواريخ، إلا أنني أعتقِد أنها مُرتبِكة بشأن هويتهم مثلنا تمامًا».

قال هولدن: «سيعرفون أنهم لا يستطيعون اللحاق بنا قبل أن تفعل (دوناجير)، ولا يُمكِنهم الصمود أمامها في قِتالٍ، لذلك لا أعرِف ما الذي سيفعلونه».

سكب أموس ما تبقى من التيكيلا في أكواب الجميع، ورفع كوبه في نخبٍ.

- «أعتقِد أننا سنكتشِف ذلك بحق اللعنة».

(١٠)
ميلر

اعتادت النقيب شاديد على الربت بطرف إصبعها الوسطى على إبهامها عندما تشعُر بالضيق. كان صوتها هادِئًا، خافتًا مثل مخالِب القطَّة؛ لكن منذ أن لاحظ ميلر عادتها للمرة الأولى، بدا صوتها أعلى. كان بإمكان صوتها أن يملأ فراغ المكتب، على الرغم من هدوئها.

قالت وهي تبتسِم كما لو كانت تقصِد ذلك: «نشعُر جميعًا بالتوتُّر هذه الأيام يا ميلر، هذه أوقات صعبة وعصيبة».

قال ميلر وهو يخفِض رأسه مثل الظهير الذي يوشِك أن يشُق طريقه بين المُدافعين: «أجل يا سيدتي؛ لكنني أعتقِد أن هذا مُهِم بما فيه الكفاية ليكون أقرَب... ».

قالت شاديد: «إنها مُجرَّد خدمة لأحد حملة الأسهُم، أصبح والدها عصبيًّا للغاية، لا يوجد سبب للاعتقاد أنه قصد أن يقول إن المريخ هو المسؤول عن تدمير (كانتيربيري)، والتعريفة الجُمركية ترتفِع مرَّة أخرى. كما أن هناك لَغَمًا قد انفجر في إحدى عمليات القمر الأحمر، وهناك مُشكلة تواجِه مزرعة خميرة إيروس. لا يمُر يوم واحِد علينا دون أن يحدُث شيء في الحزام ليزيد من خوف الأب على زهرته الصغيرة الغالية».

- «أجل يا سيدتي؛ لكن التوقيت...».

زادَت وتيرة الربت على أصابعها. عضَّ ميلر على شفته. لقد انتهت القضية.

قالت شاديد: «لا تلهث خلف المؤامرات، لدينا مجموعة كامِلة من الجرائِم التي نعرف أنها حقيقية. السياسة، والحرب، ومجموعات من عصابات أشرار الكواكِب الداخلية على مستوى النِظام يبحثون عن طُرق للعبث معنا؟ هذا ليس تفويضنا. قدِّم لي تقريرًا يقول إنك تبحث فقط، وسأرسله إليهم، وسيُمكِننا العودة إلى وظائِفنا».

- «حسنًا يا سيدتي».
- «هل من شيء آخر؟».
- «لا يا سيدتي».

أومأت شاديد برأسها، وعادَت إلى جهازها اللوحي. التقط ميلر قُبعته من على ركن مكتبها، واتجه إلى الخارِج. كان أحد مُرشِّحات الهواء في مقر القِسم قد تعطَّل أثناء عُطلة نهاية الأسبوع، ومَنَح البديل رائِحة مُطمئِنة من البلاستيك الجديد والأوزون في الغُرف. جلس ميلر خلف مكتبه، شبَّك أصابِعه خلف رأسه، وحدَّق في مصباح الإضاءة الذي يتدلى فوقه. لم تنحل العُقدة التي تجتاح معدته، وكان هذا سيئًا للغاية.

سأله هافلوك: «لم يسِر الأمر جيدًا إذن؟».

- «كان يُمكِن أن تسير بشكلٍ أفضل».
- «هل سحبت القضية منك؟».

هزَّ ميلر رأسه: «لا، لا تزال قضيتي. إنها تُريدني أن أفعل ذلك بنصف تركيز».

- «كان يُمكِن للأمور أن تكون أسوأ. على الأقل يُمكِنك معرفة ما حَدث، وربما تمكَّنت من قضاء بعض الوقت بعد ساعات العمل الرسمية في العمل على القضية من أجل التدريب فحسب، هل تفهمني؟».

قال ميلر: «أجل، من أجل التدريب».

كان مكتباهما نظيفين بشكلٍ غير طبيعي، مكتبه ومكتب هافلوك. كان حاجِز الأعمال الورقية الذي بناه هافلوك بينه وبين المحطَّة قد تآكل، كان بإمكانه أن يعرف من النظرة الموجودة في عيني شريكه، والطريقة التي تتحرَّك بها يداه أن الشُرطي الموجود داخِل هافلوك أراد العودة إلى الأنفاق. لم يستطِع معرفة إذا ما أراد القيام بذلك لإثبات نفسه قبل انتقاله، أم لمُجرَّد تهشيم بعض الرؤوس، وربما كانتا طريقتين لقول نفس الشيء.

قال ميلر لنفسه: لا تتسبَّب في قتلك قبل أن تخْرُج من هنا. قبل أن يقول بصوتٍ عالٍ: «ماذا لدينا؟».

قال هافلوك: «شكوى ابتزاز في متجر خردوات. في الطابق الثالِث من القطاع الثامِن».

جَلَس ميلر للحظةٍ، اعتبر أن تردُّده كان يخُص شيئًا آخرَ. كان الأمر كما لو أن شاديد قد منحت كلبًا قضمة واحدة من اللحم الطازِج، قبل أن تعيده لتناوُل الطحين. ازدهر الإغراء بداخله لتجاهُل قضية متجر الخردوات، وكاد أن يستسلِم له للحظةٍ، ثُمَّ تنهَّد، وهو يقف على قدميه.

قال: «حسنًا إذن، لنذهب كي نجعل هذه المحطَّة آمنة من أجل التجارة».

قال هافلوك وهو يتفحَّص مُسدَّسه، وهو الأمر الذي كان يفعله كثيرًا مؤخَّرًا: «هذه هي الكلمات التي أحيا من أجلها».

كان المتجر مُرخَّصًا للترفيه. يعرض مُعدَّات بيضاء نظيفة للمنصات المُتخصِّصة للبيئات التفاعُليَّة: مُحاكاة المعركة، وألعاب الاستكشاف، والجنس. صدح صوت امرأة عبر نظام الصوت، يتأرجح بين خشوع أذان الصلاة الإسلامي، وبين نشوة قرع الطبول. كانت نصف العناوين مكتوبة باللغة الهندية بترجمات صينية وإسبانية. في حين كُتب النصف الآخر بالإنجليزية مع وجود الهندية كلُغة ثانية. كان الموظَّف قد تخطى مرحلة الصبا لتوِّه. فتى يبلُغ من العُمر ستة عشر أو سبعة عشر عامًا له لحية سوداء كثيفة يفخر بها كثيرًا.

قال الفتى وهو ينظر إلى هافلوك بازدراءٍ، وقليل من الاحتقار: «هل يُمكِنني مُساعدتك؟». أخرَج هافلوك بطاقة هويته، وتأكَّد من أن الفتى قد رأى مُسدَّسه وهو يفعل ذلك.

ألقى ميلر نظرةً سريعةً على نموذج الشكوى الموجود على شاشة جهازه اللوحي وهو يقول: «نرغَب في التحدُّث مع... آشر كاماماتسو. هل هو هنا؟».

كان المُدير رجلًا سمينًا، بالنسبة لكونه من سُكَّان الحزام، وكان أطوَل من هافلوك، ربى الرجل دهونًا حول بطنه وعضلات سميكة حول كتفيه، ذراعيه، وعُنقه، وإذا ما أحكَم ميلر النظر، فسيستطيع رؤية الفتى البالِغ من العُمر سبعة عشر عامًا بعدما تعرَّض لطبقات من الوقت وخيبات الأمل، ويبدو شبيهًا للغاية بالموظَّف الموجود بالأمام. كان المكتَب صغيرًا للغاية على أن يتواجَد ثلاثتهم بداخله، ومليئًا بصناديق البرامِج الإباحية.

قال المُدير: «هل أمسكت بهم؟».

أجابه ميلر: «لا، ما زلت أحاوِل معرفة هوياتهم».

- «اللعنة، لقد أخبرتكم بذلك بالفعل، وهناك صورة لهم من كاميرا المتجر. كما أنني أخبرتكم باسم اللعين».

نظر ميلر إلى جهازه اللوحي. كان اسم المُشتبه به ماتيو جود، عامِل رصيف له سجل إجرامي غير مُثير للدهشة.

قال ميلر: «أنت تعتقِد أنه هو فقط إذن، حسنًا، سنُمسِك به ونلقيه في السجن. لا نملك سببًا يدفعنا لاكتشاف هوية الشخص الذي يعمَل لصالحِه. ربما لن يفهمنا أحد بشكلٍ خاطئ للقيام بذلك على أي حال. أستطيع أن أخبرك أنه بناءً على تجربتي مع مُحصلي الجباية، أنه يتم استبدالهم كُلما سقط أحدهم؛ لكن بما أنك متأكِّد من أن هذا الرجل يُمثِّل المُشكلة برمَّتها... ».

وضَّح التعبير السيئ الذي ظَهَر على وجه المُدير أن ميلر قد جعل وجهة نظره واضِحةً. ابتسم هافلوك، وهو يتكئ على كومة من الصناديق التي كُتِب عليها شيء بلُغةٍ غريبةٍ.

قال ميلر: «لماذا لا تُخبرني بما تُريد».

أجابه المُدير: «سبق وأن أخبرت الشرطي السابِق».

- «أخبرني».
- «كان يبيعنا خطَّة تأمين خاصَّة. مدتها مائة شهر، مثل الرجل الأخير تمامًا».

سأله هافلوك: «الرجل الأخير؟ إذن فقد حدث هذا من قبل؟».

قال المُدير: «بالطبع، فكما تعلَم، يتعيَّن على الجميع أن يدفعوا القليل، ثمن إدارة الأعمال».

أغلَق ميلر جهازه اللوحي عابسًا وهو يقول: «فلسفي؛ لكن إذا كان هذا هو ثمن إدارة الأعمال، فلماذا نحن هنا؟».

- «لأنني اعتقدت أنكم... أنكم تسيطرون على هذا الهراء. منذ أن توقَّفنا عن الدفع لـ (لوكا)، تمكَّنا من تحقيق ربح جيِّد، والآن بدأ كُل شيء مرَّة أخرى».

قال ميلر: «انتظر، هل تُخبرني أن لوكا جريجا توقَّف عن فرض الإتاوات؟».

- «بالتأكيد، وليس هنا فقط. نصف الرجال الذين أعرفهم في (الغُصن) توقَّفوا عن الظهور. اعتقدنا أن رجال الشُرطة قد قاموا بدورهم لمرَّة، والآن ظهر هؤلاء الأوغاد الجُدد، وأصبحنا نُعاني من ذلك الأمر اللعين مرَّة أخرى».

شعر ميلر بقشعريرةٍ تشق طريقها إلى عُنقه. نظر إلى هافلوك، الذي هزَّ رأسه. لم يسمَع بالأمر بدوره. عصابة الغُصن الذهبي، طاقم سوهيرو، لوكا جريجا. تُعاني الجريمة المُنظَّمة في سيريس من نفس الانهيار البيئي، والآن يريد شخص جديد أن ينتقِل إلى المكان الذي تم إخلاؤه، قد يكون هذا انتهازيًّا. وقد يكون هذا شيئًا آخر. لم يكُن يريد طرح الأسئلة التالية. سيعتقِد هافلوك أنه مُصاب بجنون العظمة.

سأله ميلر: «كم من الوقت مضى منذ أن حصَّل الرجال القدامى الجباية منكم؟».

- «لا أعرف. كثير من الوقت».

- «قبل أم بعد تدمير المريخ لناقِلة المياه؟».

عَقَد المُدير ذراعيه الغليظين؛ ضيَّق عينيه.

قال: «قبلها، ربما بشهرٍ أو اثنين. ما علاقة ذلك بأي شيء؟».

قال ميلر: «أحاوِل فقط ضبط الجدوَل الزمني، هذا الرجل الجديد، ماتيو. هل أخبرك من الذي كان يدعَم خطة التأمين الجديدة الخاصَّة به؟».

- «وظيفتك هي أن تكتشف ذلك، أليس كذلك؟».

تجهَّم وجه المُدير لدرجة أن ميلر تخيَّل أنه كان قادرًا على سماع صوت قسمات وجهه. أجل، يعرف آشر كاماماتسو من الذي كان ينهبه. لديه من الجرأة ما يكفي ليصيح بالأمر؛ لكنه ليس بها يكفي ليتهم شخصًا ما.

هذا مُثير للاهتمام.

قال ميلر وهو ينهَض: «حسنًا، شكرًا على ذلك، سنخبرك بما سنتوصَّل إليه».

قال الرجل وهو يبادله السخرية بسُخرية: «سعيد لأنك تتولى القضية».

توقَّف ميلر في النفق الخارجي. كان الحي يتأرجح بين كونه دنيئًا وبين كونه مُحترمًا. تُظهِر العلامات البيضاء الأماكِن التي رُسم فيها الجرافيتي. كان الرجال الذين يركبون الدرَّاجات يتأرجحون ويميلون، والعجلات المصنوعة من الفوم تهمهم فوق الحجر المصقول. سار ميلر ببطءٍ، وعيناه مُثبَّتتان على السقف المُرتفِع فوقهم حتى وجد كاميرا المُراقبة. أخرج جهازه اللوحي، انتقَل إلى السجلات التي تُطابِق رمز الكاميرا، وراجَع

الإطار الزمني الخاص بلقطات المتجر الثابتة. قام بتحريك عناصِر التحكُّم للحظةٍ، سرَّع حركة الناس ذهابًا وإيابًا. إلى أن وجد ماتيو وهو يخرُج من المتجر. شوَّهت ابتسامة مُتعجرفة ملامِح وجه الرجل. قام ميلر بتثبيت الصورة، وتحسين جودتها. أطلَق هافلوك الذي كان يُراقِب ما يفعله صفيرًا خافتًا.

كانت الدائِرة المقسومة الخاصَّة بـ (أوبا) تظهر جليةً على شارة ذراع رجل العصابات نفس الشارة التي كان قد وجدها في غُرفة جولي ماو.

قال ميلر لنفسه: ما نوع الشركة التي انضممتِ إليها يا فتاة؟ أنتِ أفضل من أن تتورَّطي في هذا. يجب أن تعرفي أنكِ أفضل من ذلك.

قال بصوتٍ عالٍ: «هل تعتقِد أن بإمكانك كتابة تقرير عن تلك المُقابلة يا شريكي؟ فهناك ما أود القيام به، وقد لا يكون وجودك هناك أمرًا ذكيًّا للغاية. لا أقصِد التقليل من شأنك».

ارتفع حاجبا هافلوك حتى كادا يختبئان في شعره.

- «هل ستذهب لتستجوِب (أوبا)؟ ».

قال ميلر: «سأذهب للبحث عن بعض الإجابات».

***

كان ميلر يظُن أن مُجرَّد كونه مُتعاقدًا أمنيًّا في حانة معروفة بانتمائها لـ (أوبا) سيكون كافيًا لجذب الانتباه إليه. كانت نصف الوجوه التي تعرَّف إليها في ضوء نادي روك جنتلمينز الخافِت من المواطنين العاديين في هذه الحالة، وكان أكثر من واحِد منهم يعمَل بستار هيليكس، مثله تمامًا، عندما كانوا لا يزالون في الخدمة. كانت الموسيقى خاصَّة بسُكَّان الحزام، قرع أجراس خافِت ممزوج بموسيقى القانون والجيتار بكلمات بنصف

دزينة من اللغات. كان يحتسي بيرته الرابِعة، بعد ساعتين من انتهاء ورديته، وعلى وشك التخلي عن خطته الفاشِلة عندما جَلَسَ رجل طويل ونحيف على المقعد المجاورِ له. أعطت الخدود المليئة بحب الشباب الوجه المُتضرِّر إحساسًا أنه على وشك أن يضحَك. لم تكُن هذه أول شارة يد خاصَّة بـ (أوبا) يراها في تلك الليلة؛ لكنه كان يرتديها بمزيجٍ من التحدي والسلطة. أومأ ميلر برأسه.

قال الرجل: «سمعت أنك كُنت تسأل عن (أوبا)، هل أنت مُهتَم بالانضمام إليهم؟».

ابتسم ميلر ورفع كأسه، وهي لفتة غير واضِحة قام بها عمدًا.

سأل بصوتٍ خافتٍ: «هل أنت من سأتحدَّث معه لو رغبت في ذلك؟».

- «قد أكون قادرًا على المُساعدة».

قال: «ربما تكون قادرًا على أن تخبرني بشيئين آخرين إذن». ثُم أخرَج جهازه اللوحي ووضعه على المنضدة المصنوعة من الخيزران الزائِف بصوتٍ مسموعٍ. تألَّقت صورة ماتيو جود على الشاشة. عبس رجل الـ (أوبا)، أمسك الشاشة ليتمكَّن من رؤيتها بشكلٍ أفضل.

قال ميلر: «أنا شخص واقعي، عندما كان تشاكي سنيلز يجمع الجباية، لم أكُن أتحدَّث إلى رجاله. وبعدها تولَّت (اليد) الأمر، ثُمَّ عصابة الغُصن الذهبي من بعدهم. وظيفتي ليست منع الناس من خرق القواعِد؛ بل الحفاظ على استقرار سيريس. هل تفهم ما أقوله؟».

قال الرجل مشوَّه الوجه بفعل الحبوب: «لا أستطيع أن أقول إنني أفهَم». قبل أن يُضيف بلهجة جعلته أكثر أدبًا مما توقَّع ميلر: «من هذا الرجل؟».

- «اسمه ماتيو جود. بدأ في فرض الإتاوات في القِطاع الثامِن. يقول إن (أوبا) تدعمه».
- «يقول الناس الكثير من الأشياء أيها المُحقِّق. أنت مُحقِّق، أليس كذلك؟ لكنك كُنت تتناقَش بواقعيةٍ».
- «إذا ما كانت (أوبا) تقوم بخطوةٍ نحو الاقتصاد الأسود الخاص بسيريس، فإن من الأفضل للجميع أن نكون قادرين على الحديث مع بعضنا بعضًا. على التواصل».

ضحك الرجل ودفع الجهاز اللوحي للخلف. مرَّ النادِل بخطواتٍ سريعةٍ، وفي عينيه يتقافَز سؤال عَمَّا إذا كان بحاجةٍ لأي شيء؛ لكنه لم يكُن يقصد ميلر.

قال الرجل: «أعترِف أنني مُعجَب بطريقتك المُباشِرة، فقد سَمِعت أن هناك مستوى مُعيَّنًا من الفساد في ستار هيليكس. سأكون واضحًا معك. (أوبا) ليست مُنظَّمة إجرامية».

- «حقًّا؟ إنه خطئي إذن. لقد اكتشفت من طريقة قتلهم للكثير من الناس... ».

قال الرجل: «أنت تستفزني. نحن ندافِع عن أنفسنا ضد من يرتكبون الإرهاب الاقتصادي ضد الحزام: الأرضيين، والمريخيين. نحن نعمل على حماية سُكَّان الحزام، وحتى على حمايتك أنت أيها المُحقِّق».

قال ميلر: «إرهاب اقتصادي؟ يبدو هذا مُبالغًا فيه بعض الشيء».

- «هل تعتقِد ذلك؟ تنظُر إلينا الكواكِب الداخلية على أننا قوتهم العامِلة. يفرضون علينا الضرائِب. يملون علينا ما يجب أن نقوم به. يفرضون قوانينهم، ويتجاهلون قوانيننا بحجة الاستقرار. ضاعفوا الضرائِب على تيتانيا العام الماضي. خمسة آلاف شخص على كُرة جليدية تدور حول نبتون، على بُعد أشهُر من أي مكان. الشمس مُجرَّد نجم لامِع بالنسبة لهم. هل تعتقِد أنهم في وضع يسمَح لهم بالحصول على الإنصاف؟ لقد منعوا أي شركة شحن حزامية من الحصول على عقود يوروبا. يتقاضون منَّا ضعف المبلغ للرسو في جانيميد، ومحطة علوم فيبي؟ غير مسموح لنا حتى بالدوران من حولها. لا يوجد أي من سُكَّان الحزام في المكان. لن نكتشِف ما يفعلونه هناك إلا عندما يبيعوا لنا التكنولوچيا مرَّة أخرى، بعد عشر سنوات من الآن».

تناوَل ميلر رشفةً من بيرته، وأومأ برأسه نحو الجهاز اللوحي.

- «إذن فهذا ليس أحد رجالكم؟».
- «لا. ليس أحد رجالنا».

أومأ ميلر برأسه ووضع الجهاز اللوحي في جيبه. الغريب أنه صدَّق الرجُل. لم يكبح جماح نفسه مثل رجل العصابات. لم يشُب التبجح حديثه. الشعور بمحاولة إقناع العالَم. لا، كان هذا الرجُل واثِقًا من نفسه ومُستمتعًا، وفوق كُل شيء، كان مُتعبًا للغاية. كان ميلر يعرف جنودًا من هذا القبيل؛ لكنه لم يعرف مجرمين هكذا.

قال ميلر: «هناك شيء آخر، أنا أبحث عن شخص ما».

- «تحقيق آخر؟».

- «لا، ليس بالضبط. جولييت أندروميدا ماو. معروفة باسم جولي».
- «هل يجب أن أعرِف الاسم؟».

هزَّ ميلر كتفيه قائلًا: «إنها من (أوبا) ».

قال الرجل: «هل تعرف كُل الموجودين في ستار هيليكس؟». قبل أن يُضيف عندما لم يُجِبه ميلر: «نحن أكبر من مؤسَّستكم بكثير».

قال ميلر: «هذه نُقطة عادِلة؛ لكن سأكون مُمتنًّا لك إذا ما أنصت السمع بشأن هذا الأمر».

- «لا أعرف إذا ما كُنت في موقعٍ يسمَح لك بتوقُّع الخدمات».
- «لا ضرر في السؤال».

ضَحِك ذو الوجه المشوَّه من أثر الحبوب، ثُم وضع يده على كتف ميلر قائلًا: «لا تعُد إلى هنا أبدًا أيها المُحقِّق». قبل أن يسير مُبتعدًا وسط الحشد.

رشف ميلر رشفةً أخرى من بيرته عابسًا. تسلَّل شعور غير مُريح لقيامه بالخطوة الخاطِئة في مؤخِّرة دماغه. كان على يقينٍ من أن (أوبا) تقوم بشيءٍ ما على سيريس، يستفيدون من تدمير ناقِلة المياه، وتصاعُد الخوف في الحزام، وزادَت كراهية الكواكِب الداخليَّة؛ لكن كيف يتناسَب ذلك مع والِد جولي ماو وقلقه المُريب في التوقيت المُناسِب؟ أو مع اختفاء إمدادات محطَّة سيريس من المُشتبه بهم المُعتادين في المقام الأول؟ كان التفكير في الأمر مثل مُشاهدة مقطع فيديو غير واضِح. كان الشعور بالأمر يكاد يكون موجودًا؛ لكن بالكاد فقط.

قال ميلر: «الكثير من النقاط، ولا توجد كثير من الخطوط الكافية».

أجابه البارمان: «أفندم؟».

قال ميلر وهو يدفع الزجاجة نصف الفارِغة عبر الطاوِلة: «لا شيء، شكرًا لك».

شغَّل ميلر بعض الموسيقى في غُرفته، صدحت الترانيم الغنائية التي أحبَّتها كانديس، عندما كانا شبابًا، ربما لم تكُن مُفعَمة بالأمل؛ لكنها على الأقل كانت أكثر بهجةً في قدرهما، خفَّف الإضاءة إلى النصف تقريبًا، على أمل أنه إذا استرخى، إذا تخلى عن الشعور المُزعِج بأنه قد فوَّت بعض التفاصيل لبضع دقائِق، فقد تأتيه القطعة المفقودة من تلقاء نفسها.

كان يتوقَّع أن تظهَر كانديس في خياله، تتنهَّد وتنظُر إليه بفظاظةٍ كما كانت تفعل عندما كانت على قيد الحياة؛ لكن وجد نفسه يتحدَّث مع جولي ماو بدلًا من ذلك. تخيَّلها بنصف وعي بفعل الكحول والإرهاق، وهي تجلِس على مكتب هافلوك. كانت في سنٍّ خاطئ، أصغر من المرأة الحقيقية. كانت في سن الطفلة المُبتسِمة في صورتها. الطفلة التي خاضَت السباق بـ (رازورباك) وفازت. كان يشعُر بوجوب طرح الأسئلة عليها، وكانت إجاباتها ستأتيه بقوَّة الوحي. بدا كُل شيء منطقيًّا. ليس فقط بشأن عصابة الغُصن الذهبي وقضية خطفها؛ لكن أيضًا بشأن نقل هافلوك، وتدمير ناقِلة الجليد، وحياة ميلر الخاصَّة وعمله. حلم بجولي ماو وهي تضحَك، واستيقظ مُتأخِّرًا ومُصابًا بالصداع.

كان هافلوك ينتظره على مكتبه. بدا وجهه الأرضي الواسِع القصير مُريبًا بشكلٍ غريبٍ؛ لكن ميلر حاوَل التخلُّص من ذلك الشعور.

قال هافلوك: «تبدو في حالةٍ سيئةٍ، هل كانت ليلة مُزدحمة؟».

قال ميلر: «بل هو التقدُّم في السن، وشُرب البيرة الرخيصة».

صرخت إحدى نوّاب الشُرطة بشيءٍ ما عن كون ملفاتها مُغلقة مرَّة أخرى بغضبٍ، فهرع أحد فنيي الحاسوب عبر مقر القِسم كصرصور متوتِّر. مال هافلوك مُقتربًا، وعلى وجهه يرتسِم تعبير خطير.

قال هافلوك: «حقًّا يا ميلر، لا نزال شُركاء، وبصراحة... أعتقِد أنك قد تكون الصديق الوحيد الذي حصلت عليه على متن هذه الصخرة. يُمكِنك أن تثِق بي. إذا ما كان هناك أي شيء تُريد إخباري به، فأنا أريد سماعك».

قال ميلر: «هذا عظيم؛ لكنني لا أعرِف ما الذي تتحدَّث عنه. لم تكُن الليلة الماضية أكثر من مُجرَّد حفلة سُكر».

- «لا شيء عن (أوبا)؟ ».
- «إذا ما سرت في طرقات هذا القسم، فستصطدِم بثلاثة من رجال (أوبا)؛ لكن لا توجد أي معلومات جيدة».

استرخى هافلوك، زمَّ شفتيه حتى أصبحت رقيقة وخالية من الدماء. طَرَحَت هزَّة كتفي ميلر سؤالًا، وأومأ الأرضي نحو اللوحة برأسه. تصدَّرَت جريمة قتل جديدة القائِمة. حدثت في الثالثة صباحًا بينما كان ميلر في مُحادثات غير مُكتمِلة في أحلامه، قام شخص ما باقتحام غُرفة ماتيو جود وأطلَق خرطوشة بندقيَّة مليئة بالجيل الباليستي في عينه اليُسرى.

قال ميلر: «حسنًا، سأقول إنها جريمة خاطِئة».

قال هافلوك: «أيها؟».

أجابه ميلر: «لا تتحرَّك (أوبا) نحو المُجرمين، إنهم يتنقلون لرجال الشُّرطة».

(١١)
هولدن

كانت (دوناجير) مركبةً قبيحةً.

كان هولدن قد شاهَد صورًا ومقاطِع فيديو لقوّات البحرية عابرة المُحيطات الأرضية القديمة، وحتى في العصر الحديدي، لطالما كان هناك شيء جميل بشأنهم. كانت طويلة وأنيقة، وتبدو كشيء ما يميل في مواجهة الريح، مخلوق بالكاد مُقيَّد. لم تتمتَّع (دوناجير) بأي من هذا. كان قد تمَّ بناؤها على شكل (برج إداري) مثل جميع المركبات الفضائية التي تطير في رحلاتٍ فضائية: يتكوَّن كُل دور من طابق من المباني، والسلالِم أو المصاعِد التي تهبط إلى المحوَر، وتعتمِد على قوة الدفع بدلًا من الجاذبية.

لكن (دوناجير) بدت مثل مبنى إداري يرقُد على جانبه. مُربَّعة وسميكة، وبها نتوءات بصليَّة صغيرة في أماكِن تبدو عشوائية، يبلُغ طولها حوالي خمسمائة متر، وبحجم مبنى مكوَّن من مائة وثلاثين طابقًا. قال أليكس إن وزنها يبلُغ مائتين وخمسين ألف طنٍّ؛ لكنها تبدو أثقل من ذلك. غرق هولدن في التأمُّل، ليس للمرَّة الأولى، في كيفية تشكيل الكثير من حس الإنسان الجمالي في الوقت الذي كانت الأشياء الأنيقة تتقاطَع فيه في الهواء. لم تتحرَّك (دوناجير) في أي شيء أكثر سُمكًا من الأوساط البين

نجميَّة، ولذلك كانت المُنحنيات، والزوايا مضيعة للفضاء، وكانت النتيجة قبيحة.

لكنها كانت مُخيفةً كذلك، وبينما كان هولدن يُشاهِدها من مقعده بجوار أليكس في قُمرة قيادة (الفارِس)، كان مسار البارِجة الضخمة يتقاطَع مع مسارهم، تلوح في الأفق مُقتربةً قبل أن تبدو وكأنها تتوقَّف فوقهم. انفتح خليج رسو المركبات، ظهر مُربع من الضوء الأحمر الخافِت في بطن (دوناجير) الأسود المُسطَّح. أطلَق (الفارِس) صفيرًا مُستمرًّا، ليُذكره بأشعة الليزر المُستهدفة التي تجتاح هيكلهم. بحث هولدن عن مراكِز المدافِع الدفاعية المصوَّبة إليه؛ لكنه لم يستطِع العثور عليهم.

قفز هولدن فزعًا عندما تحدَّث أليكس.

قال الطيَّار: «عُلِم ويُنفَّذ يا (دوناجير)، لدينا قفل للمقوَد. سأوقِف قوَّة الدفع».

اختَفى ما تبقى من الوزن. كانت كلتا المركبتين لا تزالان تتحرَّكان بسُرعة مئات الكيلومترات في الدقيقة؛ لكن المسارات المُتقاطِعة بدت وكأنها ساكنة.

- «حصلت على إذن لرسو المركبة يا قُبطان، هل أرسو بها؟».

قال هولدن: «يبدو أن وقت الهروب قد تأخَّر يا سيد كمال». تخيَّل ارتكاب أليكس لخطأ ستُفسِّره (دوناجير) على أنه تهديد، لتُطلِق مراكِز المدافِع الدفاعية عليهم مئات الآلاف من قطع الفولاذ المطليَّة بالتيفلون.

قال: «ببطءٍ يا أليكس».

قالت ناعومي عبر قناة الاتصالات من غُرفة العمليات في الطابق السفلي: «يقولون إن بإمكان واحدة من هؤلاء أن تُدمِّر كوكبًا».

أجابها هولدن: «يُمكِن لأي شخص أن يُدمِّر كوكبًا من المدار، لا تحتاج حتى لاستخدام القنابِل. ما عليكِ سوى دفع السندان خارج غُرفة مُعادلة الضغط فحسب. يُمكِن لهذا الشيء أن يُدمِّر... اللعنة... أي شيء».

غيَّرت لمسات صغيرة مكانهم عندما أُطلِقت صواريخ المناوَرة. كان هولدن يعرف أن أليكس يقودهم إلى الداخِل، إلا أنه لم يستطِع التخلُّص من الشعور بأن (دوناجير) تبتلعهم.

***

استغرَق الرسو ما يقارب الساعة، وبمُجرَّد دخول (الفارِس) إلى المرقق، أمسكه ذراع مناور ضخم، ووضعه على جزءٍ فارغٍ من سطح المركبة، أمسَكت المشابِك به، ردَّد صدى هيكل (الفارِس) دوي انفجار معدني ذكَّر هولدن بجسر خلية القفل المغناطيسي.

قامَت المركبة المريخية بمد أنبوب رسو مركبات من أحد الجدران؛ ليشتبِك مع غُرفة مُعادلة ضغط (الفارِس). اجتمع هولدن بالطاقم عند الباب الداخلي.

قال: «لا أسلِحة، ولا سكاكين، ولا أي شيء قد يبدو كسلاح، على الأرجح سيكونون على ما يُرام مع الأجهزة اللوحية؛ لكن أطفئوها تحسُّبًا لأي شيء، وسلموها دون تذمُّر، إذا ما طلبوها. فقد يعتمِد بقاؤنا هنا على اعتقادهم أننا مطيعون للغاية».

قال أموس: «أجل، لقد قتل الملاعين ماكدويل؛ لكن علينا التصرُّف بلُطفٍ... ».

كاد أليكس يُجيبه؛ لكن هولدن قاطعه مُتسائِلًا: «بما أنك قُمت بعشرين رحلة مع قوّات البحرية الفضائية المريخية. هل هناك شيء آخر يجب أن نعرفه؟».

أجابه أليكس: «نفس الأشياء التي قُلتها يا زعيم، أجل يا سيدي، لا يا سيدي، ونفِّذ عندما تتلقى أمرًا. سيكون المُجنَّدون على ما يُرام؛ لكن الأمر سيختلِف مع الضُبّاط».

نَظَر هولدن إلى طاقمه الصغير، آمل ألا يكون قد قتلهم جميعًا عندما أحضرهم إلى هنا. قام بإدارة القفل لفتحه، وانجرفوا إلى الأسفل في أنبوب الرسو في حالة انعدام جاذبية، وعندما وصلوا إلى غُرفة مُعادلة الضغط في النهاية -مُركَّبات رمادية مُسطَّحة ونظيفة للغاية- اندفع الجميع للأسفل نحو الأرضية. تشبَّثت بها أحذيتهم المغناطيسية. أُغلِقت غُرفة مُعادلة الضغط وصدر منها صوت هسيس استمرَّ لعدة ثوان قبل أن تُفتَح على غُرفة أكبر تحتوي على عشرة أشخاص. تعرَّف هولدن على القُبطان تيريزا ياو. كان هناك العديد من الأشخاص الآخرين الذين يرتدون أزياء البحريَّة الفضائية، والذين كانوا جزءًا من طاقمها، رجل يرتدي زيًّا عسكريًّا يُحدِّق بهم بنظرة نفاذ صبر خفيَّة، وستة من مُشاة البحرية الفضائية يرتدون دروعًا قتاليةً ثقيلةً، ويحملون بنادِق قتاليَّة. رفع هولدن يديه؛ لأن البنادِق كانت مصوَّبة نحوهم.

قال -وهو يبتسِم محاولًا أن يبدو غير مؤذٍ-: «لسنا مُسلَّحين».

لم تتحرَّك البنادِق؛ لكن القُبطان ياو تقدَّمت للأمام.

قالت: «مرحبًا بكم على متن (دوناجير)، تحقَّق منهم أيها القائِد».

تقدَّم الرجل الذي يرتدي زيًّا عسكريًّا وربَت عليهم جميعًا بسُرعةٍ واحترافيةٍ. قبل أن يرفع إبهامه نحو أحد المُشاة. انخفضت فوَّهات البنادِق، وقاوَم هولدن بشدةٍ كيلا يتنهَّد بارتياحٍ.

سألها هولدن بصوتٍ خافتٍ: «والآن ماذا أيتها القُبطان؟».

نظرت ياو إلى هولدن بنظرةٍ انتقاديةٍ لثوانٍ قبل أن تُجيبه. كان شعرها معقوصًا للخلف بإحكامٍ، وشكَّلت الشعيرات الرمادية القليلة خطوطًا مُستقيمةً. كان يُمكِنك أن ترى بأم عينك تجاعيد السن حول فكها وفي أركان عينيها، وامتلأ تعبير وجهها القاسي بالغطرسة الهادِئة التي يتشاركها جميع قباطِنة البحرية الفضائية الذين عرفهم في حياته. تساءل عمَّا رأت وهي تنظر إليه. قاوَم الرغبة في تمشيط شعره الدهني.

أجابته: «سيصحبكم القائِد جاندرسون إلى غُرفكم، وسيُساعدكم على الشعور بالراحة، وسيحضُر شخص ما لاستجوابكم».

بدأ القائِد جاندرسون في قيادتهم خارِج الغُرفة عندما تحدَّثت ياو مرَّة أخرى، بدا صوتها قاسيًا فجأة.

قالت: «إذا كُنت تعرف أي شيء عن المركبات الست التي كانت تتبعك يا سيد هولدن، فتحدَّث الآن، أعطيناهم مُهلة ساعتين لتغيير المسار منذ حوالي ساعة، ولم يفعلوا ذلك حتى الآن، وسآمُر بإطلاق الصواريخ في غضون ساعة. إذا كانوا أصدقاءك، فيُمكنك أن توفِّر عليهم قدرًا كبيرًا من الألم».

هزَّ هولدن رأسه بشكلٍ قاطعٍ.

قال هولدن: «كُل ما أعرفه هو أنهم أتوا من الحزام عندما بدأتم في رحلة مُقابلتنا أيتها القُبطان، لم يتحدَّثوا معنا. أفضل تخميناتنا هو أنهم

مواطنون من الحزام يشعرون بالقلق، قرَّروا أن يأتوا لُمشاهدة ما سيحدُث».

أومأت ياو برأسها. إذا ما كانت قد وجدت أن فكرة وجود الشهود مُقلِقة، فإنها لم تُظهِر ذلك.

قالت وهي تستدير مُبتعدة: «اصحبهم إلى الأسفل أيها القائِد».

أطلَق القائِد جاندرسون صفيرًا خافتًا، وأشار نحو أحد البابين. تبعه طاقم هولدن، وتذيَّل مُشاة البحرية الفضائية المجموعة. ألقى هولدن نظرة عن كثب أثناء تحرُّكهم عبر (دوناجير) على المركبة المريخيَّة الضخمة. لم يسبِق له أن خَدَم في مركبةٍ حربيةٍ عندما كان في بحرية الأمم المُتحدة الفضائية، وقد وطِئ متنها ثلاث مرَّات فقط خلال سبع سنوات، وكان فوق السطح فِي كُل مرَّة منهم، وعادةً ما كان مدعوًّا لحفلةٍ. كان كُل إنش من (دوناجير) أكثر حدةً بقليل من أي مركبة تابِعة للأمم المُتحدة سبق وأن خَدَم عليها. يبني المريخ مركباته أفضل مما نبني خاصتنا بالتأكيد.

قال أموس من خلفه: «اللعنة أيها المُدير التنفيذي، إنهم يحافِظون على نظافة قرفهم للغاية بكُل تأكيد».

قال أليكس: «ليس هناك الكثير للقيام به أثناء الرحلة الطويلة بالنسبة لُمعظم أفراد الطاقم يا أموس؛ ولذلك فعندما لا تجد ما تفعله، تتولى عملية النظافة».

قال أموس: «لهذا السبب أعمل في الناقِلات، أنظِّف الأسطُح، أو أثمل، أو أمارِس الجنس، ولديَّ الأولوية في القيام بذلك».

بدأت المركبة فِي الاهتزاز برفقٍ أثناء سيرهم عبر متاهة من الممرَّات، وعادت الجاذبية إلى الظهور ببطءٍ. كانوا تحت تأثير قوَّة الدفع. استخدم

هولدن كعبيه ليلمِس أدوات التحكُّم في الانزلاق الموجودة في حذائه؛ ليطفأ المغناطيس.

لم يروا أي أحد تقريبًا، والقلة القليلة التي رأوها تحرَّكوا سريعًا وقالوا قليلًا، بالكاد اختلسوا النظر إليهم. لا بُدَّ أن الجميع موجودون في مراكِز عملهم، خصوصًا مع وجود ست مركبات تقترب منهم. عندما قالت القُبطان ياو إنها ستأمر بإطلاق الصواريخ خلال ساعة، لم يكُن هناك أي تلميح بالتهديد يسكُن صوتها. كان مُجرَّد بيان صريح بالحقيقة، وبالنسبة لُمعظَم البحَّارة الشباب الموجودين على متن هذه المركبة، فمن المُحتمل أن تكون هذه هي المرَّة الأولى التي يجدون أنفسهم في حالة قتال مُباشِر فيها - إذا ما وَصَلَت الأمور لهذه الدرجة- وهو الأمر الذي لم يُصدِّق هولدن أنه سيحدُث.

تساءل عمَّا يجب فعله بحقيقة أن ياو تستعِد لتدمير حفنة من مركبات الحزام لُمجرَّد أنهم يقتربون بهدوءٍ. لم يُشِر هذا إلى أنهم كانوا ليتردَّدون في تدمير ناقِلة مياه، مثل (كانت)، إذا ما اعتقدوا أن هناك سببًا للقيام بذلك.

أمرهم جاندرسون بالوقوف أمام باب مطبوع عليه رقم (و. ك. ١١٧). مرَّر بطاقة عبر القفل، وأشار للجميع بالدخول.

قال شيد بانبهارٍ: «أفضل مما توقَّعت».

كانت المقصورة كبيرة بمعايير المركبات، كانت تحتوي على ست أرائِك عالية الجاذبية، ومنضدة صغيرة بها أربعة مقاعِد مُثبَّتة على السطح بأقدامٍ مغناطيسيةٍ. كَشَف باب مفتوح في أحد الحواجِز عن مقصورة أصغر مزوَّدة بحوض ومرحاض. تبع الطاقم جاندرسون والُملازِم البحري إلى الداخِل.

قال القائِد: «هذا هو مقرُّكم في الوقت الحالي، هناك لوحة اتصال مُعلَّقة على الحائِط. سيتمركز اثنان من قوَّات المُلازم كيلي في الخارِج. استدعوهم وسيرسلون لكم أي شيء تريدونه».

قال أموس: «ماذا عن بعض الطعام؟».

قال جاندرسون: «هناك بعض الطعام قادِم إليكم. ستظلون هنا حتى يتم استدعاؤكم، هل هناك أي شيء تُريد أن تُضيفه أيها المُلازِم كيلي؟».

حدَّق بهم المُلازِم البحري.

قال: «الرجال الموجودون بالخارِج هنا لحمايتكم؛ لكنهم سيتصرَّفون بشكلٍ غير سار إذا ما تسبَّبتم في أي مشكلات، هل تفهمونني؟».

قال هولدن: «بمُنتهى الوضوح أيها المُلازِم، لا تقلق. سيكون طاقمي أسهل ضيوف حلوا في منزلكم».

أومأ كيلي برأسه نحو هولدن بما بدا أنه امتنان حقيقي. لقد كان مُحترفًا يقوم بعملٍ غير سار. تعاطَف هولدن معه. كما كان يعرف عددًا كافيًا من مُشاة البحرية الفضائية ليعرف كيف يُمكِن أن يُصبِح الأمر مُزعِجًا إذا ما شعروا بالتحدي.

قال جاندرسون: «هل يُمكِنك اصطحاب السيد هولدن إلى موعده أثناء خروجك أيها المُلازِم؟ أود إبعاد هؤلاء الأشخاص».

أومأ كيلي برأسه، وأمسك بكوع هولدن. قال: «تعالَ معي يا سيدي».

- «أين سأذهب أيها المُلازِم؟».

- «طلب المُلازِم لوبيز رؤيتك، بمُجرَّد هبوطك سأصحبك إليه».

حرَّك شيد ناظريه بعصبيةٍ بين رجل المُشاة وبين هولدن. بينها أومأت ناعومي برأسها. أخبر هولدن نفسه بأنهم سيرون بعضهم بعضًا مرَّة أخرى. حتى إنه كان يظُن أن الأمر صحيحًا.

قاد كيلي هولدن عبر المركبة بخطواتٍ سريعةٍ. لم تعُد بندقيته مُتأهِّبة للعمل؛ بل كانت مُعلَّقة من كتفه بشكلٍ غير مُحكم. فإما أنه قرَّر أن هولدن لن يتسبَّب في المتاعِب، أو أن بإمكانه التغلُّب عليه بمُنتهى السهولة إذا ما فعل.

- «هل يُمكِنني أن أسأل من هو المُلازِم لوبيز؟».

قال كيلي: «إنه الرجل الذي طلب رؤيتك».

توقَّف كيلي أمام باب رمادي بسيط، طرقه مرَّة، ثُم أخذ هولدن داخِل غُرفة صغيرة بها منضدة ومقعدان غير مُريحين. كان هناك رجل داكِن الشعر يجلِس أمام جهاز تسجيل، لوَّح بشكلٍ غامضٍ باتجاه أحد المقاعِد. جَلَس هولدن. كان المقعد غير مُريح أكثر مما بدا عليه.

قال الرجل الذي افترض هولدن أنه لوبيز: «يُمكِنك الذهاب يا سيد كيلي». فغادر كيلي وأغلَق الباب.

عندما انتهى لوبيز، جلس على المنضدة في مواجهة هولدن ومدَّ يده. صافحه هولدن.

- «أنا المُلازِم لوبيز، ربما أخبرك كيلي بهذا. أعمل في المُخابرات البحريَّة الفضائيَّة، وهو ما لم يُخبرك به بالتأكيد. وظيفتي ليست سريَّة؛ لكنهم يدرِّبون هؤلاء الأغبياء على الالتزام بالصمت».

مدَّ لوبيز يده في جيبه، أخرج عبوة صغيرة من المُستحلبات البيضاء، وضع واحدة منها في فمه. لم يعرِض واحدة على هولدن. تقلَّص بؤبؤ عين لوبيز إلى نقاطٍ بيضاء أثناء استحلابه للحبة. أدوية للتركيز. سيُراقِب كُل تحرُّكات وجه هولدن أثناء الاستجواب، وسيكون من الصعب الكذب عليه.

قال: «المُلازِم أول جيمس ر. هولدن، من مونتانا». لم يكُن هذا سؤالًا؛ لكن هولدن قال على أي حال: «أجل يا سيدي».

- «قضيت سبع سنوات في البحرية الفضائية الخاصَّة بالأمم المُتحدة، وآخر شيء خدمت عليه هو المُدمِّرة (زانج في) ».
- «هذا أنا».

قال لوبيز: «تقول ملفَّاتك إنه تمَّ القبض عليك بسبب الاعتداء على ضابطٍ كبيرٍ، هذا أمر مُبتذل للغاية يا هولدن، هل لكمت المسؤول؟ حقًّا؟».

- «لا، لقد أخطأته، كسرت يدي على حاجزٍ».
- «كيف حدث هذا؟».

أجابه هولدن: «كان أسرَع مما توقَّعت».

- «لماذا حاوَلت القيام بهذا؟».

قال هولدن: «كُنت أسقِط كراهيتي لذاتي عليه. إنها ضربة حظ أن الأمر انتهى بإيذائي للشخص المُناسِب بالفعل».

قال لوبيز دون أن يُحرِّك بؤبؤ عينه عن وجه هولدن أبدًا: «يبدو أنك فكَّرت في الأمر لبعض الوقت منذ ذلك الحين، هل خضعت للعلاج النفسي؟».

أجابه هولدن: «كان هناك الكثير من الوقت للتفكير على متن (كانتيربيري) ».

تجاهَل لوبيز الافتتاحية الواضِحة وهو يقول: «وما الذي توصَّلت إليه عبر كُل هذا التفكير؟».

- «أن التحالُف ظلَّ يطأ رقاب الناس هناك لأكثر من مائة عام حتى الآن، ولم أُحِب كوني الحذاء».

قال لوبيز دون أن يتغيَّر التعبير الذي يحتل ملامحه: «أنت مُتعاطِف مع (أوبا) إذن؟».

- «لا، لم أبدِّل ولائي. لقد توقَّفت عن اللعب فقط. لن أتخلى عن مواطنتي. أنا أحب مونتانا، وأنا هنا لأنني أحب الطيران، ولن يوظِّفني إلا مصيدة صدأ حزامية مثل: (كانتيربيري) ».

ابتسم لوبيز للمرة الأولى وهو يقول: «أنت رجل صريح للغاية يا سيد هولدن».

- «أجل».
- «لماذا زعمت أن مركبة عسكرية مريخيَّة دمَّرت مركبتك؟».
- «لم أفعل. شرحت الأمر برمَّته في البث. لقد استخدمت تقنية لا تتوفَّر إلا في أساطيل الكواكِب الداخلية، ووجدت قطعة تعود إلى قوَّات البحرية الفضائية المريخية في الجهاز الذي خدعنا للتوقُّف».
- «نريد أن نرى تلك القطعة».
- «لا مانع لديَّ».

قال لوبيز وكأنهم لم يتوقَّفوا عن الحديث عن ماضي هولدن أبدًا: «يُشير ملفُّك إلى أنك كُنت الطفل الوحيد لعائلةٍ مُشتركةٍ».

- «أجل، خمسة آباء، وثلاث أمهات».

قال لوبيز وهو يفتح غُلاف حبة استحلاب أخرى: «الكثير من الآباء والأمهات لطفلٍ واحدٍ». كان المريخ يُقدِّر العائلات التقليدية كثيرًا.

قال هولدن: «يسمَح الإعفاء الضريبي لثمانية من البالغين يمتلكون طفلًا واحدًا بامتلاك اثنين وعشرين فدَّانًا من الأراضي الزراعية اللائقة. يوجد أكثر من ثلاثين مليار شخص على الأرض. وتُمثِّل اثنان وعشرون فدانًا حديقةً وطنيةً، كما أن مزيج الحمض النووي أمر مشروع. إنهم ليسوا آباء وأمهات بالاسم فقط».

- «كيف قرَّروا الأم التي حملت بك؟».
- «الأم إليزا لديها أوسَع فخذين».

وضع لوبيز الحبة الثانية في فمه، وامتصَّها لبضع ثوانٍ. اهتزَّ سطح المركبة قبل أن يتمكَّن من الحديث مرَّة أخرى. اهتزَّ مُسجِّل الفيديو بين ذراعيه.

قال هولدن: «إطلاق صواريخ؟ يبدو أن هذه المركبات الحزامية لم تُغيِّر مسارها».

- «أي أفكار عن ذلك الأمر يا سيد هولدن؟».
- «فقط يبدو أنكم تتوقون بشدةٍ لتدمير مركبات الحزام».
- «لقد وضعتنا في موقفٍ لا نستطيع أن نبدو ضُعفاء فيه. هناك الكثير من الناس الذين لا يوفوننا قدرنا بعد اتهامك».

هزَّ هولدن كتفيه. إذا كان الرجل يبحث عن الشعور بالذنب أو عن ندم هولدن، فلن يجد ضالته. كانت مركبات الحزام تعرف ما تتجه إليه، ولم يبتعدوا؛ لكن لا يزال هناك شيء يُزعِجه.

قال هولدن: «قد يكرهون شجاعتكم المُفرِطة؛ لكن من الصعب أن تجد عددًا كافيًا من الأشخاص الانتحاريين لتملأ ست مركبات. ربما كانوا يعتقِدون أن صواريخكم قد نفذت».

لم يتحرَّك لوبيز، ظلَّ جسده ثابتًا بشكلٍ خارقٍ للطبيعة مع كمية أدوية التركيز التي تمُرُّ في عروقه.

قال لوبيز: «نحن... ».

قاطعه صوت الإنذار الرئيسي. كان يصُم الآذان داخِل المقصورة المعدنيَّة الصغيرة.

سأله هولدن: «اللعنة، هل أطلقوا صواريخهم ردًّا عليكم؟».

هزَّ لوبيز جسده، مثل رجل يفيق من حلم يقظة. نهض وضرب زر الاتصال الموجود بجوار الباب. دخل جُندي من مُشاة البحرية الفضائية بعد ثوانٍ.

قال لوبيز وهو يُغادِر الغُرفة مُسرِعًا: «خُذ السيد هولدن إلى مهجعه».

أشار له الجُندي نحو الممر بفوَّهة سلاحه. كان تعبير وجهه جامدًا.

قال هولدن لنفسه: يكون الأمر عبارة عن ألعاب ومرح، حتى يطلِق شخص ما صواريخه ردًّا عليهم.

***

ربتت ناعومي على الأريكة الخالية المجاوِرة لها وابتسمت.

سألته: «هل وضعوا الشظايا تحت أظافرك؟».

أجابها هولدن: «لا، في الواقِع، كان عطوفًا بشكلٍ مُفاجئ بالنسبة لأحد رجال المُخابرات الفاسدين؛ لكنه كان يبدأ لتوِّه بالطبع. هل سمعتم أي شيء عن المركبات الأخرى؟».

قال أليكس: «لا، لكن هذا الإنذار يعني أنهم يأخذونهم على محمَل الجد بشكلٍ مُفاجئ».

قال شيد بهدوءٍ: «هذا جنون، الطيران في الأرجاء داخِل هذه الفقَّاعات المعدنيَّة، ثُم محاولة إحداث ثقوب في بعضهم بعضًا. هل رأيت يومًا ما يفعله تخفيف الضغط والتعرُّض للبرد على المدى الطويل؟ يُكسر هذا كُل الشُّعيرات الدموية في عينيك وبشرتك. كما يُمكِن أن يتسبَّب تلف الأنسِجة في الرئتين في حدوث التهاب رئوي حاد يتسبَّب في ندبةٍ تُشبه ندبات انتفاخ الرئة. أعني، هذا في حالة أنك لم تمُت فحسب».

قال أموس: «حسنًا، هذا مُبهِج للغاية أيها الطبيب، شكرًا على ذلك».

اهتزَّت المركبة فجأة بإيقاعٍ مُتزامِنٍ فائِق السرعة. نَظَر أليكس إلى هولدن بعينين واسعتين.

قال: «هذا هو مركز فتح شبكة الدِّفاع. هذا يعني بدأ وصول الصواريخ، من الأفضل ربط أحزِمة الأمان يا أطفال. فقد تبدأ المركبة في القيام ببعض المناورات العنيفة».

كانوا جميعًا يربطون أحزِمة الأمان فوق الأرائِك ما عدا هولدن. الذي ربط حزامه بدوره.

قال أليكس: «هذا مُقرِف. كُل الأحداث الحقيقية تحدُث على بُعد آلاف الكيلومترات من هنا، دون أن نمتلِك الأدوات اللازِمة لنُشاهدها، لن نعرِف إذا انزلق شيء ما عبر الدرع الواقي حتى يتمزَّق الهيكل».

قال أموس بصوتٍ عالٍ: «يحظى الجميع بكومةٍ لعينةٍ من المرح في الوقت الحالي». كان وجه شيد شاحبًا، وعيناه غريبتين. هزَّ هولدن رأسه.

قال: «لن يحدُث هذا. فهذا الشيء لا يُقتَل. بغض النظر عن تلك المركبات، يُمكنهم القيام بعرضٍ جيدٍ؛ لكن هذا كُل شيء».

قالت ناعومي: «مع كامِل احترامي لك أيها القُبطان؛ لكن أيًّا كانت تلك المركبات، فيجب أن تكون ميتة بالفعل؛ لكنها لم تمُت بعد».

استمرَّت ضوضاء القِتال البعيد. صوت قعقعة عرضيَّة لإطلاق صاروخ. الاهتزاز شبه المُستمِر لمدافِع الدِّفاع فائِقة السُّرعة. لم يُدرِك هولدن أنه قد نام حتى استيقظ من نومه بسبب هدير يصم الآذان. كان أموس وأليكس يصيحان. بينما كان شيد يصرُخ.

صاح هولدن فوق الضوضاء: «ماذا يحدُث؟».

قال أليكس: «لقد تعرَّضنا للضرب أيها القُبطان، كانت هذه ضربة صاروخ! ».

انخفضت الجاذبية فجأة. أوقفَت (دوناجير) مُحرِّكاتها، أو أنها تدمَّرَت. كان أموس لا يزال يصرُخ فوق كُل شيء: «اللعنة، اللعنة، اللعنة». لكن على الأقل توقَّف شيد عن الصراخ، كان يجلس فوق أريكته ويُحدِّق بعينين واسعتين، ووجهٍ أبيض، فكَّ هولدن حزام أمانه واندفع نحو لوحة الاتصالات. صاحت به ناعومي: «ماذا تفعل يا جيم؟».

قال هولدن دون أن يلتفِت لها: «نحتاج إلى معرفة ما يحدُث».

عندما وَصَل إلى الحاجِز المجاوِر للباب، ضغط زر الاتصال في لوحة الاتصالات؛ لكن لم يكن هناك رد. ضغطه مرَّة أخرى قبل أن يبدأ بضرب الباب بيديه؛ لكن أحدًا لم يأتِ.

قال: «أين مُشاة البحرية الفضائية اللُّعناء؟».

خفتت الأضواء، ثُم عادَت مرَّة أخرى، ثُم تكرَّر الأمر مرَّة أخرى، وأخرى بإيقاعٍ بطيء. قال أليكس برهبةٍ: «هذه ضربات المُعدَّات الثقيلة. اللعنة. هذه معركة قريبة النِّطاق».

لم تدخُل أي مركبة رئيسية في تاريخ التحالُف في معركةٍ قريبة النطاق؛ لكن ها هُم ذا يُطلِقون مدافِع المركبة الثقيلة، وهو ما يعني أن النِّطاق كان قصيرًا بما يكفي بحيث يكون السلاح غير الموجَّه قابلًا للاستخدام. مئات أو حتى عشرات الكيلومترات، وليس الآلاف. نَجَت مركبات الحزام بطريقةٍ ما من وابِل صواريخ (دوناجير). سأله أموس والذعر يتسلَّل إلى صوته: «هل يعتقِد أي شخص آخر أن هذا غريب بشكلٍ يدعو لليأس؟».

بدأت (دوناجير) تدُق مثل جرس يُطرَق بمطرقةٍ عملاقةٍ مرارًا وتكرارًا. إنهم يتبادلون إطلاق النار.

لم تتسبَّب طلقة جاوِس التي قتلت شيد في أي ضوضاء، وكأنها خدعة سحريَّة، ظهرت فتحتان دائريتان تمامًا على جانبي الغُرفة في خط يتقاطَع مع أريكة شيد. في لحظةٍ، كان المُسعِف هنا، وفي اللحظة التالية، اختفى رأسه من فوق عُنقه. اندفع شلال من الدم عبر شرايينه، مُنقسِمًا إلى خطين نحيلين، واندفعا نحو الثُّقبين الموجودين في جدران الغُرفة مع اندفاع الهواء للخارِج.

(١٣)
ميلر

عَمَل ميلر في الأمن لثلاثين عامًا. كان العُنف والموت رفيقين مألوفين له. موت الرجال، والنساء، والحيوانات، والأطفال. أمسك بيد امرأة ذات يوم بينما كانت تنزِف حتى الموت، وقتل شخصين، ولا يزال بإمكانه رؤيتهما يموتان إذا ما أغلَق عينيه وفكَّر في الأمر، وإذا سأله أي شخص، لقال إنه لم يتبقَّ كثير من الأمور التي من شأنها أن تصدِمه.

لكنه لم يُشاهِد الحرب تندلِع من قبل.

كانت صالة هياسينث الشهيرة في حالة نشاط؛ بسبب وقت تغيير الوردية، وكانت مليئة بالرجال والنِساء الذين يرتدون الزي الأمني – أغلبهم من العاملين في ستار هيليكس؛ لكنّ عددًا قليلًا كان من العاملين في الشركات الأصغر بعض الشيء– كانوا إما يشربون الخمر بعد العمل، أو يسترخون، أو يقومون برحلاتٍ نحو بوفيه الإفطار لتناوُل القهوة، والفطر المغطى بصوص السُّكَّر، والنقانِق التي تحتوي على جزءٍ من الألف من اللحم. مَضَغ ميلر النقانِق وهو يُشاهِد شاشة العرض المُعلَّقة على الحائِط. بدا رئيس العلاقات الخارجية في ستار هيليكس هادئًا حقًّا، كان سلوكه يشع بالهدوء واليقين وهو يشرَح كيف ساءت كُل الأمور.

- «تُشير عمليات المسح الأولويَّة أن الانفجار كان نتيجة محاوَلة فاشِلة لربط جهاز نووي بمحطَّة الرسو. أشار مسؤولون من الحكومة المريخيَّة إلى الحادِث على أنه (عمل إرهابي مزعوم)، ورفضوا التعليق في انتظار مزيد من التحقيق».

قال هافلوك من خلفه: «حادث آخر، سيستطيع أحد هؤلاء الحمقى التعامُل مع الأمر بشكلٍ صحيحٍ في النهاية كما تعلَم».

استدار ميلر في مقعده، ثُم أومأ برأسه إلى المقعَد المجاوِر له، فجَلَسَ هافلوك.

قال ميلر: «سيكون هذا يومًا مُثيرًا للاهتمام، كُنت على وشك الاتصال بك».

قال شريكه: «أجل، آسف، لقد تأخَّرت نوعًا ما».

- «هل من جديد بشأن طلب النقل؟».

قال هافلوك: «لا، أظُن أن طلبي عالِق على مكتب في مكانٍ ما في أوليمبوس. ماذا عنك؟ هل من جديد بشأن مشروعك الخاص بالفتاة؟».

قال ميلر: «ليس بعد، انظُر، سبب رغبتي في الاجتماع قبل أن ندخُل... أنني أحتاج إلى بضعة أيام، أريد أن أتعقَّب بعض الأدلة المُحتمَلة في قضية جولي. لا تُريدني شاديد أن أفعل أكثر من التظاهُر بالتحقيق في الأمر، خصوصًا مع كُل القرف الآخر الذي يحدُث».

قال هافلوك: «لكنك ستتجاهَل ذلك». لم يكُن هذا سؤالًا.

- «لديَّ شعور تجاه هذا الأمر».
- «كيف يُمكِنني المُساعدة إذن؟».

- «أريدك أن تتستَّر عليَّ».

سأله هافلوك: «كيف سأفعل ذلك؟ ليس الأمر وكأن بإمكاني أن أخبرهم بأنك مريض. لديهم إمكانية الوصول إلى ملفَّاتك الطبيَّة مثل سجلات الآخرين».

قال ميلر: «أخبرهم أنني كُنت في حالة ثمالة شديدة، وأن كانديس قد جاءت، إنها زوجتي السابِقة».

مَضَغَ هافلوك نقانِقه بجبينٍ مُجعَّدٍ. هزَّ الأرضي رأسه ببطءٍ -ليس رفضًا؛ بل تمهيدًا لسؤالٍ- انتظره ميلر.

- «هل تخبرني أنك تُفضِّل أن تجعَل رئيستك تعتقِد أنك تتغيَّب عن العمل لأنك تُعاني من خلل وظيفي، وقلبٍ مفطورٍ على أن تعرِف أنك تقوم بالعمل الذي كلَّفتك به؟ لا أفهم الأمر».

لعق ميلر شفتيه مُتكئًا للأمام، وأسند مرفقيه على المنضدة ذات اللون الأبيض الفاتِح. قام شخص ما بخدش التصميم الموجود في البلاستيك؛ ليرسم دائرة مقسومة. في قلب حانة رجال شُرطة.

قال ميلر: «لا أعرف ما الذي أنظُر إليه، هناك مجموعة من الأشياء التي تنتمي إلى بعضها البعض بطريقةٍ ما، ولست مُتأكِّدًا حتى الآن مما هي عليه. أحتاج لعدم لفت الانتباه إلى نفسي حتى أعرف المزيد. رجل يُعاني من مُشكلةٍ مع زوجته السابِقة، اضطرَّ لمُعاقرة الخمر لبضعة أيام؟ لن يُثير هذا انتباه أي شخص».

هزَّ هافلوك رأسه مرَّة أخرى، هذه المرَّة في عدم تصديق خفيف. إذا كان من سُكَّان الحِزام، لقام بتلك الإيماءة بيديه، حتى تتمكَّن من رؤيتها عندما ترتدي بدلتك البيئية. طريقة أخرى من بين مئات الطُّرق الصغيرة

التي يفضح بها الشخص الذي لم ينشأ في الحِزام نفسه. ظهرت صورة امرأة شقراء ترتدي زيًّا صارمًا على الشاشة المُعلَّقة على الحائِط. كانت رئيسة العلاقات الخارجية تتحدَّث عن الرد التكتيكي للبحريَّة الفضائيَّة المريخيَّة، وما إذا كان (أوبا) هو المسؤول عن أعمال التخريب المُتزايدة. كان هذا ما أسماه محاولة السيطرة على مُفاعِل اندماج مُحمَّل فوق طاقته أثناء نصب فخ سخيف لمُدمِّرة مركبات التخريب.

قال هافلوك: «هذا الهراء لا يُتَّبع». لم يعرِف ميلر للحظةٍ إذا ما كان يقصِد أعمال حرب عصابات سُكَّان الحزام، أو الرد المريخي، أو الخدمة التي طلبها. تابع حديثه قائِلًا: «أين الأرض حقًّا؟ كُل هذا القرف الذي يحدُث، دون أن نسمَع منهم شيئًا».

سأله ميلر: «لماذا سنتحدَّث؟ إن المريخ والحزام متورِّطان في الأمر معًا».

تنهَّد هافلوك ثُم قال: «متى كانت آخر مرَّة سمحت فيها الأرض بحدوث أي شيء كبير دون أن تكون في مُنتصف الأمر؟ حسنًا، أنت ثَمِل للغاية لدرجة أنك لا تستطيع أن تُشارِك بالأمر. حياتك العاطفية مليئة بالفوضى، سأحاوِل التستُّر عليك».

- «لبضعة أيام فقط».
- «تأكَّد من عودتك قبل أن يُقرِّر شخص ما أنها فُرصة مثالية لإطلاق النار بشكلٍ عشوائي من أجل إبعاد الشُّرطي الأرضي عن الأمر».

قال ميلر وهو يقِف: «سأفعل ذلك، انتبه لنفسك».

قال هافلوك: «لا حاجة لأن تخبرني بذلك مرَّتين».

***

كان مركز الجو جيتسو الخاص بسيريس بالأسفل قريبًا من الميناء، حيث كانت جاذبية الدوران أقوى. كانت الغُرفة عبارة عن مساحة تخزين تمَّ تحويلها قبل الدوران الكبير. تمَّ تسطيح الأسطوانة في المكان الذي تمَّ وضع الأرضية فيه على ارتفاع ثُلث الطريق من القاع. تدلَّت الرفوف التي حملت على عاتقها أشياء مُتباينة الطول، من العِصي، وسيوف الخيزران، والسكاكين البلاستيكية من السقف المُقبَّب. ردَّد الحجر المصقول صدى شخير الرجال العاملين على خطٍّ من آلات المقاوَمة، وصوت هدير خافِت لامرأة تلكم حقيبة ثقيلة في الخلف، وقف ثلاثة طُلَّاب على البساط الرئيس وهم يتبادلون أطراف الحديث بصوتٍ خافتٍ.

ملأت الصور الجدار الأمامي على جانبي الباب. صور جنود يرتدون الزي العسكري، وكلاء أمن نصف دزينة من الشركات الحِزامية. لم يكُن بينهم الكثير من أنواع الكواكِب الداخلية؛ بل القليل منهم فقط. ودروع تذكارية خاصَّة بالمُسابقات، وصفحة بحجمٍ صغيرٍ تحمل تاريخ الأستوديو.

صَرَخَت إحدى الطالبات وانهارت، حاملةً معها أحد الآخرين إلى البساط. صفَّق الشخص الذي كان لا يزال واقفًا وساعدهما على النهوض. بحث ميلر في جدار الصور، على أمل أن يجد جولي.

- «هل يُمكِنني مُساعدتك؟».

كان الرجل أقصَر قليلًا من ميلر وضعف عرضه تقريبًا، كان يجب أن يجعله هذا يبدو كأرضي؛ لكن كُل شيء آخر بشأنه كان يقول إنه حزامي. كان العرق الفاتِح يغمر بشرته ليجعلها تبدو أعمَق. كانت ابتسامته فضولية وهادِئة مثل حيوان مُفترس يتغذى جيدًا، أومأ ميلر برأسه.

قال: «أنا المُحقّق ميلر، أعمَل مع أمن المحطَّة، أرغب في الحصول على بعض المعلومات عن أحد طُلَّابك».

سأله الرجل: «هل هذا تحقيق رسمي؟».

قال ميلر: «أجل، أخشى أنه كذلك».

- «إذن فلديك مُذكّرة».

ابتسم ميلر. فابتسم الرجل.

قال: «لا نُعطي معلومات عن طُلَّابنا دون أمر قضائي، إنها سياسة الأستوديو».

قال ميلر: «وأنا أحترِم ذلك، لا، أنا أحترم ذلك حقًّا. الأمر فقط...أن بعض أجزاء هذا التحقيق المُحدَّد قد تكون أكثر رسميةً من غيرها بقليلٍ. الفتاة ليست في مُشكلةٍ. لم تفعل أي شيء لكن لديها عائلة في لونا ترغَب في العثور عليها».

قال الرجل وهو يعقِد ذراعيه: «مهمة خطف». تلاشَت ملامِحه الهادِئة دون أن يتحرَّك قيد أنملة.

قال ميلر: «الجزء الرسمي فقط، يُمكِنني الحصول على أمرٍ قضائي، ويُمكِننا أن نفعل كُل شيء عبر القنوات الشرعيَّة؛ لكن بعد ذلك يجب أن أخبِر مُديرتي، وكلما ازداد مقدار ما تعرفه، قلَّت المساحة التي يجب أن أتحرَّك فيها».

لم يُظهِر الرجل أي ردة فعل. كان ثباته مُثيرًا للقلق، قاوَم ميلر كيلا يتململ. قامَت المرأة التي كانت تعمَل مع الحقيبة الثقيلة في الجُزء البعيد من الأستوديو بموجةٍ من الضربات، وهي تصرُخ مع كُل ضربة منهم.

سأله الرجل: «من هي؟».

قال ميلر: «جولي ماو». كان رد الفعل الذي أبداه الرجل يقول: إنه قد سأله لتوِّه عن والدة بوذا. أضاف: «أعتقِد أنها في ورطة».

- «ولماذا تهتَم إذا كانت كذلك؟».

قال ميلر: «لا أعرِف إجابة هذا السؤال، أنا أهتم فحسب. إذا ما كُنت لا تُريد مُساعدتي، فلا تُساعدني».

- «وستذهب للحصول على أمرٍ قضائي لتفعل ذلك عبر القنوات الشرعيَّة».

خلع ميلر قُبعته، وحكَّ رأسه بيدٍ طويلةٍ ونحيلةٍ، قبل أن يُعيد القُبعة إلى مكانها.

قال: «على الأرجح لا».

قال الرجل: «دعني أرَ هويتك». أخرَج ميلر جهازه اللوحي وترك الرجل يتأكَّد من هويته، أعاده الرجل إليه، وأشار إلى بابٍ صغيرٍ خلف الحقائِب الثقيلة. فعل ميلر ما قيل له.

كانت غُرفة المكتب مُكتظةً، بها مكتب صفيحي صغير تستقِر خلفه كُرة ناعِمة بدلًا من المقعَد. وكُرسيان يبدو أنهما قادمان من حانة. خزانة ملفَّات مزوَّدة بطابعةٍ صغيرةٍ تفوح منها رائِحة الزيت والأوزون، ربما كان هذا هو المكان الذي تُصنَع فيه اللوح والشهادات.

قال الرجل وهو يجلِس على الكُرة: «لماذا تُريدها الأسرة؟». كانت الكُرة تحل محل المقعَد لكنها بحاجةٍ إلى توازنٍ مُستمِرٍّ. مكان للراحة دون راحة فعليَّة.

- «يعتقِدون أنها في طريقها للأذى. هذا ما يقولونه على الأقل، وليس لديَّ سبب لعدم تصديقهم حتى الآن».
- «أي نوع من أنواع الأذى؟».

قال ميلر: «لا أعرف، أعرِف أنها كانت في المحطَّة، أعرِف أنها شُحِنت للخارِج نحو تايكو؛ لكنني لا أعرِف أي شيء بعد ذلك».

- «تريدها عائلتها أن تعود إلى محطَّتهم؟».

كان الرجل يعرف من عائِلتها. نحا ميلر المعلومات جانبًا دون أن يفوِّت أي شيء.

قال ميلر: «لا أعتقِد ذلك، آخر رسالة تلقَّتها منهم تمَّ توجيهها عبر لونا».

قال: «بالأسفل». قالها بطريقةٍ جعلت الأمر يبدو كمرض.

- «أنا أبحث عن أي شخص يعرِف هوية الذين كانت تُشحَن معهم. إذا كانت هارِبة، فإلى أين ستذهب ومتى تُخطِّط للوصول إلى هناك، وإذا كانت في نطاق حزمة نقل بيانات».

قال الرجل: «لا أعرف شيئًا عن ذلك».

- «هل تعرِف أي شخص يجب أن أسأله؟».

صمت الرجل قليلًا.

- «ربما. سأفعل ما في وسعي من أجلك».
- «هل هناك شيء آخر يُمكِنك إخباري به عنها؟».
- «بدأت في التردُّد على الأستوديو منذ خمس سنوات. كانت... غاضِبة عندما أتت إلى هنا لأول مرَّة، غير مُنضبِطة».

قال ميلر: «لقد تحسَّنت، ونالَت الحزام البني، أليس كذلك؟».

ارتفع حاجِبا الرجل.

قال ميلر: «أنا شُرطي، أعرف كيف أكتشِف الأشياء».

قال مُعلِّمها: «لقد تحسَّنَت، بعدما تعرَّضَت للهجوم، بعد أن جاءت إلى الحزام بقليلٍ، كانت ترى أن ذلك لن يحدُث مرَّتين».

قال ميلر وهو يُحلِّل نبرة صوت الرجل: «تعرَّضَت للهجوم، هل تمَّ اغتصابها؟».

- «لم أسأل. لقد تدرَّبت بجدٍّ، حتى عندما كانت خارِج المحطَّة. يُمكِنك معرفة متى ينسَ الناس الأمر يعودوا بعدها أضعَف، وهذا لم يحدُث قط».

قال ميلر: «لقد كانت فتاة قويَّة، هذا جيد. هل كان لديها أصدقاء أو أعداء؟».

- «القليل. لا يوجد عُشَّاق على حد معرفتي، بما أن ذلك سيكون سؤالك التالي».
- «هذا غريب مع فتاة من هذا القبيل».
- رأي قبيل أيها المُحقِّق؟».

قال ميلر: «فتاة جميلة، صالِحة، ذكية، مُتفانية، من منَّا لا يُريد أن يكون مع شخص كهذا؟».

- «ربما لم تُقابِل الشخص المُناسِب».

قالها الرجل بقليلٍ من الاستمتاع. هزَّ ميلر كتفيه، وشعر بعدم الارتياح يتسلَّل إليه.

سأله: «ما نوع العمل الذي كانت تقوم به؟».

- «كانت تعمَل في مركبات الشحن الخفيفة. لا أعرِف أي شُحنة مُعيَّنة. تولَّد لديَّ انطباع أنها كانت تشحن أينما كانت هناك حاجة لذلك».
- «لم تسلك مسارًا عاديًّا إذن؟».
- «هذا هو انطباعي».
- «على أي مركبات عملت؟ هل هناك مركبة شحن خفيفة مُعيَّنة، أم أيًّا ما كان متوفرًا؟ هل هناك شركة مُعيَّنة؟».

قال الرجل: «سأعرِف ما في وسعي من أجلك».

- «هل كانت تعمَل كساعي لـ (أوبا)؟ ».

قال الرجل: «سأعرف... ما في وسعي».

***

كانت أخبار بعد ظُهر اليوم تدور حول فيبي. تعرَّضَت المحطَّة العلميَّة الموجودة هناك -والتي لا تسمَح بوجود سُكَّان الحزام بالرسو بها- للقصف. وذَكَر التقرير الرسمي أن نصف سُكَّان القاعدة قد لقوا حتفهم بينما كان النصف الآخر في عداد المفقودين، ولم يُعلِن أحد مسؤوليته عن الحادِث حتى الآن؛ لكن المعرفة الشائِعة تقول إن مجموعة من سُكَّان الحزام -ربما (أوبا)، وربما شخص آخر- قد تمكَّنوا أخيرًا من القيام بعمل (تخريبي) نَتَجَ عنه عدد من الجُثث. جلس ميلر في غُرفته، وهو يُشاهِد البث ويشرَب.

كانت الأمور كُلها تزداد سوءًا. تبحث أطقُم القراصنة الخاصَّة بـ (أوبا) عن الحرب. تزايدت وطأة حرب العصابات. كُل شيء يزداد

سوءًا. كان الوقت الذي لن يتجاهلهم فيه المريخ بعد الآن قادمًا، وعندما سيتخذ المريخ إجراءً، فلا يهم إذا اتبعت الأرض نفس الشيء، فستكون أول حرب حقيقية تضع أوزارها في الحِزام. كانت الكارِثة على وشك الحدوث، ولا يبدو أن أيًّا من الجانبين يفهم مدى ضعفهما، ولا يوجد أي شيء -أي شيء لعين واحد- يُمكِن أن يفعله لإيقاف الأمر. لم يستطِع حتى أن يُبطئ من وتيرة الأمور.

ابتسمت جولي ماو في وجهه عبر الصورة الثابِتة، ومركبتها الفضائية تلوح خلفها. قال الرجل إنها قد تعرَّضَت لهجوم. لم يكُن هناك أي شيء عن الأمر في سجلاتها. ربما كانت قد تعرَّضَت للسطو، وربما كان شيئًا أسوأ. كان ميلر يعرف الكثير من الضحايا، وكان قد قام بتصنيفهم إلى ثلاثة أنواع: النوع الأول هو النوع الذي يتظاهَر بأن شيئًا لم يحدُث، أو أن كُل ما حدث لا يهم حقًّا، وكان هذا أكثر من نصف الأشخاص الذين تحدَّث إليهم، ثُم كان هناك المُحترفون، الأشخاص الذي اعتبروا الإيذاء الذي تعرَّضوا له بمنزلة إذن للتصرُّف بالطريقة التي يرونها مُناسبة، وهو النوع الذي احتلَّ مُعظم النسبة الباقية.

وربما نسبة خمسة بالمائة، أو ربما أقل، من الناس الذين تمكَّنوا من التعامُل مع الأمر، وتعلَّموا الدرس، وتجاوَزوا الأمر. الصالحين. أمثال جولز.

دقَّ بابه بعد مرور ثلاث ساعات من انتهاء ورديته الرسميَّة. وقف ميلر، أقل ثباتًا على قدميه مما كان يتوقَّع، عدَّ الزجاجات التي استقرَّت على المنضدة. كان هناك عدد أكبر مما اعتقد. تردَّد لوهلةٍ، حائرًا ما بين إجابة الطارِق على الباب، أو إلقاء الزجاجات في جهاز إعادة التدوير. دقَّ الباب مرَّة أخرى، ذهب ليفتحه. إذا ما كان الطارِق شخصًا ما من

المحطَّة، فسيتوقَّعون أن يجدوه مخمورًا على أي حال. لا داعِي ليُخيِّب توقعاتهم.

كان الوجه مألوفًا. حفر فيه حب الشباب أخاديد. شارة اليد الخاصَّة بـ (أوبا) من الحانة. الرجل الذي قَتَل ماتيو جود.

الشُّرطي.

قال ميلر: «مساء الخير».

قال الرجل ذو حب الشباب: «أعتقِد أننا بدأنا بدايةً خاطِئةً أيها المُحقِّق، كُنت آمُل أن نتمكَّن من المحاولة مرَّة أخرى».

- «صحيح».
- «هل يُمكنني الدخول؟».

قال ميلر: «أحاوِل ألا أصحَب الرجال الغُرباء إلى المنزل، أنا لا أعرِف اسمك حتى».

قال الرجل ذو حب الشباب: «أندرسون دوز، أنا مسؤول اتصالات سيريس بمُنظمة تحالُف الكواكِب الخارجية، أعتقِد أنه يُمكِننا مُساعدة بعضنا بعضًا. هل يُمكِنني الدخول؟».

تراجَع ميلر، وسار الرجل ذو حب الشباب -دوز- إلى الداخِل. تأمَّل دوز الغُرفة في الوقت اللازِم ليأخُذ نفسين عميقين، ثُم جَلَس كما لو أن الزجاجات ورائِحة البيرة لم يمثلوا شيئًا يُمكِنه التعليق عليه. جلس ميلر في مواجهته وهو يلعن نفسه ويرجو رصانة لم يشعُر بها.

قال دوز: «أحتاج خدمةً منك، وأنا على استعدادٍ لدفع ثمنها. ليس بالنقود بالطبع. بل بالمعلومات».

سأله ميلر: «ماذا تُريد؟».

- «توقَّف عن البحث على جوليت ماو».
- «لا توجد تخفيضات؟».

قال دوز: «أحاوِل أن يعم السلام أيها المُحقِّق، يجب أن تسمعني».

اتكأ ميلر إلى الأمام، وأسند مرفقيه على المنضدة. هل كان السيد هادئ، مُعلِّم الجو جيتسو يعمل في (أوبا)؟ يبدو أن توقيت زيارة دوز يؤكِّد الأمر، نحى ميلر هذا الاحتمال جانبًا؛ لكنه لم يقُل شيئًا.

قال دوز: «تعمل ماو معنا؛ لكنك خمَّنت ذلك بالفعل».

- «إلى حدٍّ ما. هل تعرف أين هي؟».
- «لا نعرِف، نحن نبحث عنها، ويجب أن نكون من يجدها، وليس أنت».

هزَّ ميلر رأسه. كان هناك رد، الشيء الصحيح الذي يجب قوله. تردَّد صداه في مؤخرة دماغه، إن لم يكُن فقط يشعُر بهذا الدوار...

- «أنت أحدهم أيها المُحقِّق، ربما تكون قد عشت حياتك بأكملها هنا؛ لكن راتبك تدفعه شركة من شركات الكواكِب الداخلية. لا، انتظر. أنا لا ألومك. أنا أفهم الأمر. كانوا يقومون بالتوظيف، وكُنت بحاجةٍ إلى وظيفة؛ لكن... نحن في وضعٍ حرجٍ هنا. (كانتيربيري). عناصِر الحزام الهامشية التي تدعو إلى الحرب».
- «محطَّة فيبي».
- «أجل، سيلوموننا على ذلك أيضًا، بالإضافة إلى ابنة شركة لونا التائهة... ».

- «هل تعتقِد أن شيئًا ما قد حدث لها».

قال دوز: «لقد كانت على متن (سكوبيولي) »، وعندما لم يُجِبه ميلر على الفور، أضاف: «مركبة الشحن التي استخدمها المريخيون كطعم عندما دمَّروا (كانتيربيري) ».

فكَّر ميلر في ذلك لوقتٍ طويلٍ، قبل أن يُطلِق صفيرًا خافتًا.

قال دوز: «لا نعرف ما حدث، وحتى نعرف ذلك، لا يُمكِنني أن أتركك تُحرِّك الماء، إنه موحِل بما فيه الكفاية في الوقت الحالي».

سأله ميلر: «وما المعلومات التي تُقدِّمها في مُقابِل ذلك؟ هذه هي الصفقة، أليس كذلك؟».

قال دوز: «سأخبرك بما سنعرفه، بعد أن نجدها». ضَحِك ميلر، بينما استمرَّ رجل (أوبا) في الحديث: «إنه عرض سخي، مع أخذ هويتك في الاعتبار. أنت موظَّف مريخي، وشريك لأرضي. قد يعتقِد بعض الناس أن هذا أكثر من كافٍ لجعلك عدوًّا أيضًا».

قال ميلر: «لكن ليس أنت».

- «أعتقِد أن لدينا نفس الأهداف الأساسية، أنا وأنت. الاستقرار. الأمان. الأوقات الغريبة تصنع تحالفات أغرب».
- «لديَّ سؤالان».

فَرَد دوز ذراعيه مُرحبًا بهما.

سأله ميلر: «من الذي أخذ مُعدَّات مُكافحة الشغب؟».

- «مُعدَّات مُكافحة الشغب؟».

- «سرق شخص ما مُعدَّات مُكافحة الشغب الخاصَّة بنا قبل تدمير (كانتيريري)، ربما أراد تسليح الجنود للسيطرة على الحشود، وربما لا يريد أن تتم السيطرة على حشودنا. من الذي أخذهم؟ ولماذا؟».

قال دوز: «لم نكُن من أخذهم».

- «لم تكُن تلك إجابةً. جرِّب هذه. ما الذي حدث لعصابة الغُصن الذهبي؟».

لم يكُن لدى دوز أي إجابات.

سأله ميلر: «لوكا جريجا؟ سوهيرو؟».

فتح دوز فمه، قبل أن يُغلقه مرَّة أخرى، ألقى ميلر زجاجة البيرة الخاصَّة به في جهاز إعادة التدوير.

قال: «لا تأخُذ هذا على محمل شخصي يا صديقي؛ لكن أساليب التحقيق التي تستخدمها لا تُثير إعجابي، ما الذي يجعلك تعتقِد أن بإمكانك العثور عليها؟».

قال دوز: «لم يكُن هذا اختبارًا عادلًا، امنحني بضعة أيام، وسأحضر لك بعض الإجابات».

- «تحدَّث معي حينئِذ، سأحاوِل ألا أبدأ حربًا شاملةً، بينما تفعل ذلك؛ لكنني لن أتوقَّف عن البحث عن جولي. بإمكانك أن تذهب الآن».

وقف دوز وهو يبدو مستاءً.

قال: «أنت ترتكِب خطأً».

- «لن يكون خطئي الأول».

جلس ميلر على منضدته، بعد رحيل الرجل. لقد كان غبيًّا، والأسوأ من ذلك، أنه كان مُنغمِسًا في ملذَّاته. شرب في ذهولٍ بدلًا من القيام بعمله. بدلًا من إيجاد جولي. لكنه يعرِف المزيد الآن. (سكوبيولي). (كانتيربيري). المزيد من الخطوط بين النقاط.

قام بتنظيف زجاجاته، استحم، وأخرج جهازه اللوحي، بحث عمَّا كان هناك عن مركبة جولي، وبعد ساعة، خطرت له فكرة جديدة، خوف صغير نما كُلما نَظَر إليه. وقُرب مُنتصف الليل، أجرى مُكالمة مع غُرفة هافلوك.

استغرق الأمر شريكه دقيقتين كاملتين ليُجيبه، وعندما فعل، كان شعره مُتشابكًا وعيناه غائمتين.

- «ميلر؟».
- «هل لديك أي إجازات مُدخرة يا هافلوك؟».
- «القليل».
- «إجازات مرضية؟».

قال هافلوك: «بالطبع».

قال ميلر: «استخدمها، خُذها الآن، اخرج من المحطَّة، اذهب إلى أي مكان آمن يُمكِنك العثور عليه. إلى مكانٍ لن يبدؤوا في قتل الأرضيين من أجل القرف والضحك إذا ما ساءت الأمور».

- «لا أفهم. ما الذي تتحدَّث عنه؟».

- «لقد حظيت بزيارةٍ قصيرةٍ من أحد وكلاء (أوبا) الليلة. كان يحاوِل إقناعي بالتخلي عن مُهمة الخطف. أعتقد...أعتقد أنه متوتِّر. أعتقِد أنه خائِف».

ظلَّ هافلوك صامتًا للحظةٍ ريثما تسرَّبت الكلمات إلى عقله الذي أثمله النوم.

قال: «يا إلهي! ما الذي يُخيف (أوبا)؟ ».

(١٣)

هولدن

تجمَّد هولدن في مكانه وهو يُشاهِد نافورة الدماء التي انفجرت من عُنق شيد، ثُم تنحسِر بعيدًا كالدُّخان نحو مروحة العوادِم. بدأت أصوات القِتال تخفُت والهواء يخرُج من الغُرفة. شعر بأذنيه تنبُضان ثُم تؤلمانه وكأن هناك من يضع ألواح ثلج فيهما. نظر إلى أليكس وهو يخوض شجارًا مع الأحزمة التي تربطه إلى أريكته. كان الطيَّار يصرُخ بشيءٍ ما؛ لكن الهواء الرقيق لم يحمله إليه. كانت ناعومي وأموس قد تحرَّرا من قيود أرائكهما بالفعل، وانطلقا، طارا عبر الغُرفة نحو الفتحتين. كان أموس يُمسِك بصينية العشاء البلاستيكية في إحدى يديه. بينما ناعومي كانت تُمسِك بملفٍّ أبيض به ثلاث حلقات. حدَّق بهما هولدن لنصف ثانية قبل أن يفهم ما يفعلانه. ضاق العالم، وغرقت رؤيته المُحيطية في بحرٍ من النجوم والظلام.

بحلول الوقت الذي تحرَّر فيه، كان أموس وناعومي قد سدَّا الفتحتين برقعتيهما المؤقَّتين. كانت الغُرفة مليئة بصوت صفيرٍ عالٍ بسبب الهواء الذي كان يحاوِل أن يجد طريقه عبر الأختام غير المُحكَمة. بدأ بصر هولدن يعود عندما بدأ ضغط الهواء يرتفِع. كان يلهث بشدةٍ، يشهق وهو

يحاوِل التنفُّس. أدار شخص ما مقبض الصوت في الغُرفة ببطءٍ، فأصبح نداء ناعومي طلبًا للمُساعدة مسموعًا.

صرخت به: «افتح خزانة الطوارئ يا جيم! ».

كانت تُشير إلى لوحةٍ صغيرةٍ باللونين الأحمر والأصفر على الحاجِز القريب من أريكته. جعلته سنوات من التدريب على متن المركبات قادرًا على شق طريقه عبر نقص الأكسجين، وانعدام الضغط، سحب لسان قفل الخزانة وفتح الباب. استقرَّت بداخلها مجموعة إسعافات أوليَّة بيضاء يُزيِّنها رمز الصليب الأحمر القديم، ونصف دزينة من أقنعة الأكسجين، وحقيبة مُغلَقة من الأقراص البلاستيكية المقوَّاة مُتصِلة بمُسدَّس غراء. عدَّة أختام الطوارئ. انتزعها.

صرخت به ناعومي: «أعطني المُسدَّس فحسب». لم يكُن مُتأكِّدًا مما إذا كان صوتها بعيدًا بسبب قلَّة الهواء، أو بسبب انخفاض ضغط طبلة أذنه.

انتزع هولدن المُسدَّس من حقيبة الأقراص وألقاه نحوها. وضعت حبة من غراء الختم الفوري على حافة الملف. وألقت بالمُسدَّس نحو أموس، الذي أمسَك به بحركةٍ خلفيةٍ بسهولةٍ ووضع ختمًا فوق صينية العشاء. توقَّف صوت الصفير، وحلَّ محله صوت هسيس نظام الغلاف الجوي الذي كان يعمَل على إعادة الضغط إلى طبيعته. استمرَّ لمُدة خمس عشرة ثانية.

نَظَر الجميع إلى شيد. الذي كان دمه يتدفَّق في كُرة حمراء فوق عُنقه بدون قوَّة الشفط، كرسم هزلي قبيح حلَّ محل رأسه.

قال أموس وهو يُشيح بنظره نحو ناعومي: «يا إلهي يا مُديرة». أطبق فمه بصوتٍ مسموعٍ وهزَّ رأسه قبل أن يُضيف: «ماذا... ».

قال أليكس: «طلقة جاوِس، هذه المركبات مزوَّدة بمدافِع قوية».

قال أموس: «مركبات حزامية مزوَّدة بمدافِع قوية؟ هل لديهم قوَّات بحرية فضائية لعينة دون أن يُخبرني أحد؟».

قالت ناعومي: «البهو الموجود بالخارِج والمقصورة الموجودة في الناحية الأخرى كلاهما يتعرَّض لتفريغ الهواء يا جيم، لقد تمَّ اختراق هذه المركبة».

بدأ هولدن في الرد، قبل أن ينظر نظرةً جيدةً إلى الملف الذي ثبَّتته ناعومي على الخرق. كانت هناك حروف سوداء مطبوعة على غلافه الأبيض، تقول: إجراءات طوارئ قوَّات البحرية الفضائية المريخية. اضطرَّ لكبت ضحكة كادت تنطلِق من بين شفتيه.

قالت ناعومي وقد بدأ القلق يحتل صوتها: «جيم؟».

أجابها هولدن: «أنا بخير يا ناعومي». ثُم أخذ نفسًا عميقًا قبل أن يُضيف: «لكم من الوقت ستصمُد تلك الرُّقع؟».

هزَّت ناعومي يديها، ثُم بدأت تجذب شعرها إلى ما خلف رأسها قبل أن تربطه بشريطٍ مطاطي أحمر.

- «أطوَل مما سيدوم الهواء إذا ما تعرَّض كُل شيء حولنا لتفريغ الهواء، فهذا يعني أن هذه المقصورة تعمَل على خزانات الطوارئ -بدون أجهزة إعادة تدوير الهواء- لا أعرف كم خزَّانًا تمتلك كُل غُرفة؛ لكن لن يزيد ذلك على ساعتين».

سألها أموس: «يجعلكِ هذا تتمنين لو أننا نرتدي بدلاتنا اللعينة، أليس كذلك؟».

قال أليكس: «لم أكُن لأهتم بذلك الشأن، فإذا ما أتينا هنا ونحن نرتدي بدلاتنا الفضائية، لأخذوها منا على أي حال».

قال أموس: «كان يُمكِن لنا أن نحاوِل».

- «حسنًا، إذا ما أردت العودة في الزمن وفعل ذلك، فتفضَّل يا شريكي».

قالت ناعومي بحدةٍ: «مهلًا». لكنها لم تقُل أي شيء آخر.

لم يتحدَّث أحد عن شيد. بذل الجميع قصارى جهدهم كيلا ينظروا إلى الجسد. سعل هولدن فجذب انتباه الجميع، ثُم طاف نحو أريكة شيد، جاذبًا عيونهم معه. توقَّف لوهلةٍ، سامحًا للجميع بإلقاء نظرة مُتفحِّصة على الجُثة مقطوعة الرأس، قبل أن يجذِب بطانية من درج التخزين الموجود تحت الأريكة ويُثبِّتها فوق جسد شيد باستخدام أحزمة الأمان.

قال هولدن وهو ينظُر إلى كُل فرد من أفراد طاقمه على حدة: «لقد قُتِل شيد. نحن في خطرٍ بالغٍ. لن يُطيل الجدال حيواتنا ولو للحظةٍ واحدةٍ، ماذا سنفعل؟».

لم ينبس أحدهم ببنت شفة. استدار هولدن لمواجهة ناعومي أولًا.

سألها: «ما الذي سيُبقينا على قيد الحياة لفترةٍ أطول مما نملك الآن يا ناعومي؟».

- «سأرى إذا ما كان بإمكاني العثور على هواء الطوارئ. هذه الغُرف مُخصَّصة لستة أفراد، ولا يوجد سوى... سوى أربعتنا. قد أكون قادرةً على خفض مُعدَّل التدفُّق وإطالته لمُدَّةٍ أطوَل».
- «جيد، شكرًا لك. أليكس؟».
- «إذا كان هناك أي شخص غيرنا على قيد الحياة، فسيأتي بحثًا عن ناجين. سأبدأ بالضرب على الجدران. لن يسمعوها وسط تفريغ الهواء؛ لكن إذا ما كانت هناك أي مقصورة تحتوي على هواء، فسينتقِل الصوت عبر المعدن».

قال هولدن: «خطة جيِّدة. أرفض تصديق أننا الوحيدون المُتبقون على قيد الحياة على متن هذه المركبة». نظر نحو أموس قائلًا: «أموس؟».

أجابه أموس: «دعني أفحص لوحة الاتصالات تلك. لربما كُنت قادرًا على الاتصال بغُرفة القيادة أو التحكُّم في الضرر أو... اللعنة... أي شيء».

قال هولدن: «شكرًا. سأحِب أن يعرف شخص ما أننا ما زلنا هنا».

تحرَّك الناس للقيام بأعمالهم بينما طاف هولدن في الهواء بجوار شيد. بدأت ناعومي في سحب لوحات الوصول عن الحواجِز. بينما ضَغَط أليكس على الأريكة بيديه من أجل الحصول على قوَّة، استلقى على السطح وبدأ في ركل الحاجِز بحذائه. اهتزَّت الغُرفة قليلًا مع كُل ركلة قويَّة. أما أموس فأخرج أداة مُتعدِّدة الاستخدامات من جيبه، وبدأ في تفكيك لوحة الاتصالات.

وعندما تأكَّد هولدن من انشغال الجميع، وضع يدًا على كتف شيد، أسفل البُقعة الحمراء المُنتشِرة على البطانية.

همس للجسد: «أنا آسف». شعر بعينيه تحرقانه، ضغط عليهما بظهري إبهاميه.

كانت وحدة الاتصالات تتدلى من الحاجِز وهي مُعلَّقة بالأسلاك عندما رنَّت فجأة بصوتٍ عالٍ. صَرَخَ أموس وانطلق بقوةٍ كبيرةٍ بما فيه الكفاية ليطير عبر الغُرفة. أمسَك به هولدن، أذى كتفه وهو يحاوِل القبض على الميكانيكي الأرضي الذي يبلُغ وزنه مائة وعشرين كيلوجرامًا. رنَّت وحدة الاتصالات مرَّة أخرى. ترك هولدن أموس وطاف نحوها. توهَّج المؤشِّر الأصفر الموجود بجوار زر الوحدة أبيض اللون. ضغط هولدن على الزر. طقطقت وحدة الاتصالات وهي تعود إلى الحياة لتصدح بصوت المُلازِم كيلي.

قال: «ابتعدوا عن الباب، نحن قادمون».

صَرَخَ هولدن في طاقمه: «تمسَّكوا بشيءٍ ما». ثُم أمسك حزام أمان الأريكة ولفَّه حول يده وساعده.

توقَّع هولدن أن ينسحِب كُل هواء الغُرفة إلى الخارِج عندما يُفتَح الباب؛ لكنه سمع دوي تصدُّع عالٍ وانخفض الضغط قليلًا لثانيةٍ واحدةٍ. تم تثبيت ألواح بلاستيكية سميكة على الجدران الموجودة بالخارِج في الممر، مما أدى لإنشاء غُرفة مُعادلة ضغط مُرتجلة. تقوَّست جدران الغُرفة الجديدة بشكلٍ خطيرٍ تحت تأثير ضغط الهواء؛ لكنها صمدت. وقف المُلازِم كيلي وثلاثة من مُشاة البحرية الفضائية داخِل الغُرفة التي تمَّ إنشاؤها حديثًا، وهُم يرتدون دروعًا ثقيلة مُقاوِمة لتفريغ الهواء، ويحملون أسلحة كافية لخوض عدَّة حروب صغيرة.

تحرَّك المُشاة سريعًا إلى داخل الغُرفة، شاهرين أسلحتهم، قبل أن يُغلِقوا الباب من خلفهم. ألقى أحدهم بحقيبةٍ كبيرةٍ نحو هولدن.

قال كيلي: «خمس بدلات مقاوِمة لتفريغ الهواء». قبل أن تتحرَّك عيناه نحو البطانيَّة الملوَّثة بالدماء التي تُغطي شيد، ثُم إلى الرقعتين المُرتجلتين. قبل أن يُضيف: «ضحية؟».

أجابه هولدن: «مُسعِفنا، شيد جارفي».

قال أموس بصوتٍ عالٍ: «أجل، من الذي أطلَق النار على مركبتك الفاخِرة بحق اللعنة؟».

لم تقُل ناعومي وأليكس شيئًا، جذبوا بدلتين من الحقيبة وبدآ في ارتدائهما.

قال كيلي: «لا أعرِف؛ لكننا سنُغادِر الآن. لقد أُمِرت بإجلائكم عن هذه المركبة باستخدام مركبة هروب، لدينا أقل من عشر دقائِق للوصول إلى مرفق الحظيرة، والاستيلاء على مركبة، والخروج من منطقة القِتال تلك. ارتدوا بدلاتكم سريعًا».

ارتدى هولدن بدلته، بينما تدفَّقت تداعيات إجلائهم في ذهنه.

سأله: «هل هذه المركبة على وشك الانفجار أيها المُلازِم؟».

- «ليس بعد؛ لكن تم اقتحامها».
- «لماذا نُغادِر إذن؟».
- «نحن نخسَر القِتال».

لم يطرُق كيلي بقدمه وهو ينتظِرهم لإغلاق بدلاتهم؛ خمَّن هولدن أن ذلك كان لأن مُشاة البحرية الفضائية قاموا بتشغيل أحذيتهم المغناطيسية فقط، وبمُجرَّد أن أشار الجميع بإبهامهم للأعلى، قام كيلي بفحصٍ لاسلكي سريعٍ لكُل بدلة، ثُم توجَّه إلى الممر. ضاقَت بهم غُرفة مُعادلة الضغط الصغيرة، بوجود ثمانية أشخاص فيها، أربعة منهم يرتدون

دروعًا مُعزَّزةً بالطاقة. سحب كيلي سكينًا ثقيلة من غمد في صدره وفَتَح به الحاجِز البلاستيكي بحركةٍ واحدةٍ سريعةٍ. أغلِق الباب من خلفهم، واختفى الهواء الموجود في الممر في موجةٍ صامتةٍ عبر اللوحات البلاستيكية. اندفع كيلي إلى الممر وتدافَع الطاقم ليواكِب خطواته.

قال كيلي عبر اللاسلكي: «نحن نتحرَّك بأقصى سُرعة نحو مجموعة مصاعِد المركبة، تمَّ إغلاقهم بسبب إنذار الصعود إلى متن المركبة؛ لكن يُمكِنني فتح الأبواب في آنٍ واحدٍ، وسنطفو لأسفل العمود نحو مرفق الحظيرة. يجب أن تتحرَّكوا سريعًا. إذا رأيتم أي مُقتحمين، فلا تتوقَّفوا. استمروا في الحركة طوال الوقت. سنتعامَل مع الأعداء. مفهوم؟».

زفر هولدن قائلًا: «عُلم ويُنفَّذ أيها المُلازِم، لماذا صعدوا على متن مركبتكم؟».

قال أليكس: «من أجل الوصول إلى مركز معلومات القيادة، إنها الكأس المُقدَّسة. تحتوي على الرموز، والنشرات، وقلب أجهزة الحاسوب، والأعمال. إن الحصول على مركز معلومات القيادة الخاص بمركبة حربية هو حلم حياة الاستراتيجيين».

قال كيلي: «توقَّفوا عن الثرثرة».

تجاهله هولدن وهو يقول: «هذا يعني أنهم سوف يُفجِّرون القلب بدلًا من ترك ذلك يحدُث، أليس كذلك؟».

أجابه أليكس: «بلى، عمليات اعتيادية للمُقتحمين. يتحمَّل مُشاة البحرية الفضائية مسؤولية غُرفة القيادة، مركز معلومات القيادة، وغُرفة المُحرِّكات، وإذا تمَّ اختراق أي من الثلاثة، تُقلَب المفاتيح الموجودة في المكانين الآخرين، وتتحوَّل المركبة إلى نجمةٍ لبضع ثوانٍ».

زأر كيلي قائلًا: «المسؤولون عن العمليات الاعتيادية أصدقائي».

أجابه أليكس: «آسف أيها المُلازِم، لقد خدمت على متن (باندون)، لم أقصِد أن أقلِّل من شأنهم».

داروا حول مُنعطَف فظهرت مجموعة المصاعِد. كانت جميع أبواب الثمانية مصاعِد مُغلقة ومختومة. أُغلِقَت أبواب الضغط الشديد عندما ثُقِبَت المركبة.

قال كيلي: «قُم بتشغيل الممر الجانبي يا جوميز، احميا تلك الممرات يا مولي أنت ودوكي».

انتشر اثنان من مُشاة البحرية الفضائية، راقبا الممرَّات عبر منظاري سلاحيهما، بينما تحرَّك الثالِث إلى باب أحد المصاعِد وبدأ في فعل شيء مُعقَّد في عناصِر التحكُّم. أشار هولدن إلى طاقمه ليقتربوا من الحائِط بعيدًا عن خطوط إطلاق النار. اهتزَّ سطح المركبة قليلًا تحت قدميه من حينٍ إلى آخرَ. لن تستمِر مركبات العدو في إطلاق النيران، خصوصًا وجنودهم بالداخِل. لا بُدَّ أنهم يطلِقون نيران الأسلِحة الصغيرة والمُتفجِّرات الخفيفة؛ لكن بينما وقفوا هناك في هدوءٍ تامٍّ من الفضاء، بدا وأن كُل ما يحدُث يُخلِّف شعورًا بعيدًا وسرياليًّا. أدرك هولدن أن عقله لا يعمَل بالطريقة التي ينبغي أن يعمَل بها. هذا بسبب تأثير الصدمة، بسبب تدمير (كانتيربيري)، وموت آدي وماكدويل، والآن قتل شخص ما شيد في أريكته. كان هذا أكبر من قُدرته على الاحتمال، لم يستطِع استيعاب الأمر، شعر أن المشهد الذي يدور من حوله يبتعِد باستمرارٍ.

نَظَر هولدن خلفه إلى ناعومي، أليكس، وأموس -طاقمه- بادلوه النظر، بوجوهٍ رماديةٍ وشاحبةٍ بفعل ضوء شاشات بدلاتهم الأخضر.

لوَّح جوميز بقبضته في انتصارٍ عندما فُتِح باب الضغط الخارجي، كاشفًا عن أبواب المصعَد، أشار كيلي إلى رجاله.

استدار الشخص الذي يُدعى مولي، وبدأ في السير نحو المصعَد عندما انفجر وجهه في رذاذٍ مليءٍ بقطع مُصفَّحة على شكل حصوات من الدم والزجاج. انفجَر جذعه المُدرَّع وحاجِز الممر الموجود بجواره في مئات الانفجارات الصغيرة ونُفث الدُخان. ارتجف جسده وترنَّح؛ لكنه بقي مُتصلًا بالأرض بواسطة الحذاء المغناطيسي.

تلاشى إحساس هولدن بالواقعية بفعل الأدرينالين. اندفعت طلقات سلاح سريع الإطلاق عبر الجدار وجسد مولي الذي تمَّ تفجيره. امتلأت قناة الاتصال بصراخ رجال المُشاة وصرخات طاقم هولدن. وعن يساره، سَحَب جوميز أبواب المصعد ليفتحها باستخدام قوَّة درعه المُعزَّز بالطاقة القوية، كاشفًا عن عمود المصعد الخالي الذي يختبئ خلفهم.

صاح كيلي: «إلى الداخِل! ليدخُل الجميع! ».

تراجَع هولدن، دفع ناعومي، ثُم أليكس. أطلق آخر جنود المُشاة - الذي ناداه كيلي بدوكي- بندقيته بكامِل قوَّتها على هدفٍ قريبٍ من هولدن. عندما توقَّفت نيران السلاح، سقط جُندي المُشاة على رُكبةٍ واحدةٍ، وأخرَج الخزنة في نفس الحركة. فعلها بأسرع مما يُمكِن لهولدن مُتابعته، جذب خزنة سلاح جديدة من حزامه وثبَّتها إلى سلاحه، وبدأ في إطلاق النار مرَّة أخرى بعد أقل من ثانيتين بعد نفاد ذخيرته للمرَّة الأولى.

صرخت ناعومي في هولدن كي يدلف إلى عمود المصعَد، ثُم أمسكت يدٌ قويةٌ بكتفه، وسحبت حذاءه المغناطيسية من على الأرض، وألقت به من خلال أبواب المصعد المفتوحة.

صاح المُلازِم كيلي: «تسبَّب في قتل نفسك في وقتٍ آخرَ بخلاف الذي أقوم بمُجالستك فيه».

اصطدموا بجدران عمود المصعَد، وطافوا للأسفل في النفق الطويل نحو مؤخَّرة المركبة. ظلَّ هولدن ينظر إلى الخلف نحو الباب المفتوح، وهو يبتعد من خلفهم.

قال: «لم يتبعنا دوكي».

أجابه كيلي: «إنه يُغطي خروجنا».

أضاف جوميز: «من الأفضل أن نبتعِد إذن، لنجعل تضحيته تعني شيئًا ما».

أمسك كيلي، الذي كان يتقدَّم المجموعة، بسلمٍ مُثبَّت على جدار العمود وتوقَّف، وحذا الجميع حذوه.

قال كيلي: «هذا هو مخرجنا، اذهب وتحقَّق منه يا جوميز، إليك الخطَّة يا هولدن. سنأخُذ إحدى المركبات الحربية من حظيرة الطيران».

كان هذا منطقيًّا بالنسبة لهولدن. كانت فرقاطة خفيفة من طراز كورڤيت. مركبة مرافِقة للأسطول، كانت أصغَر مركبة بحريَّة فضائية مزوَّدة بمُحرِّك إبشتاين. ستكون سريعة بما فيه الكفاية للسفر إلى أي مكان في النظام وتجاوُز مُعظَم التهديدات. كان دورها الثانوي بمنزلة قاذِفة صواريخ، ولذلك ستُشكِّل خطورةً أيضًا. أومأ هولدن برأسه داخِل خوذته نحو كيلي، ثُم أشار إليه ليواصِل. انتظر كيلي إلى أن انتهى جوميز من فتح أبواب المصعَد ودخل إلى مرفق الحظيرة.

- «حسنًا، لقد حصلت على بطاقة المِفتاح ورمز التفعيل لإدخالنا وتشغيل المركبة. سأتجه إليها مُباشرةً، لذا عليكم أن تظلُّوا

خلفي مُباشرةً. تأكّدوا من أن الأحذية المغناطيسية الخاصّة بكم مُغلَقة، سنندفع نحو الحائِط ونرتد من عليه مُباشرةً، لذا أحكِموا التصويب وإلا ستفوتكم الرحلة، هل يفهمني الجميع؟».

جاءته التأكيدات من كُل حدب وصوب.

- «مُمتاز. كيف يبدو الأمر هناك يا جوميز؟».

همس له جوميز: «لدينا مُشكلة أيها المُلازِم. نصف دزينة من جنودهم يفحصون المركبات الموجودة في الحظيرة. يرتدون دروعًا مُعزَّزةً بالطاقة، بحزم مناوَرة مُنخفضة الجاذبية، وأسلحة ثقيلة. مُجهَّزين لردع الهجوم». يهمس الناس دائمًا عندما يختبؤون. كان جوميز ملفوفًا ببدلةٍ فضائيةٍ ومُحاطًا بالفضاء، يُمكِن لجوميز أن يُطلِق الألعاب النارية داخِل درعه دون أن يسمعه أحد؛ لكنه كان يهمس.

قال كيلي: «سنركُض نحو المركبة ونُطلِق النار أثناء قيامنا بذلك، سأحضر المدنيين خلال عشر ثوانٍ يا جوميز، أطلِق النار لتُغطي تقدُّمنا، أطلِق النار وغيِّر مكانك، حاول أن تجعلهم يعتقِدون أنك فصيلة صغيرة».

قال جوميز: «هل تقصِد أنني صغير يا سيدي؟ هناك ستة حمقى ميتون في الطريق إليك».

تبع هولدن، وأموس، وأليكس، وناعومي، كيلي في طريقه خارِج عمود المصعَد وصولًا إلى مرفق الحظيرة، توقَّفوا خلف كومة من الصناديق العسكرية ذات اللون الأخضَر، اختلس هولدن النظر إليهم، ورَصَد المُقتحمين على الفور، كانوا في مجموعتين من ثلاثة أفراد بالقُرب

من (الفارِس)، سارت مجموعة فوقه، بينما وقفت الأخرى على السطح تحته، كانوا يرتدون دروعًا سوداء مُسطَّحة. لم يرَ هولدن هذا التصميم من قبل.

أشار كيلي إليهم ونَظَر إلى هولدن. فأومأ هولدن برأسه نحوه. أشار كيلي عبر الحظيرة إلى فرقاطة سوداء سميكة على بُعد حوالي خمسة وعشرين مترًا، في مُنتصف الطريق بينهم وبين (الفارِس). رفع يده اليُسرى وبدأ العد التنازُلي من رقم خمسة على أصابعه، وعندما وصل لرقم اثنين، توهَّجت الغُرفة كصالة الديسكو، فَتَح جوميز النار من على بُعد عشرة أمتار منهم. أصاب قصفه الأول اثنين من الجنود الموجودين فوق (الفارِس) وتسبَّب في دورانهما، وبعد لحظة، أطلَق دفقةً ثانيةً من النيران من على بُعد خمسة أمتار من المكان الأول الذي رآه فيه هولدن، كاد يُقسِم أنهما رجلان مُختلفان.

طوى كيلي إصبعه الأخير، ووضع قدمه على الحائِط، ودفع نفسه نحو مركبتهم الكورفيت. انتظَر هولدن أليكس، وأموس، وناعومي، ثُم اندفع في النهاية، وبحلول الوقت الذي بدأ فيه في الحركة، أطلق جوميز النار من مكانٍ جديدٍ. صوَّب أحد الجنود المتواجدين على السطح سلاحًا كبيرًا باتجاه وميض فوَّهة سلاح جوميز. اختفى جوميز والصندوق الذي كان يختبئ خلفه وسط عاصفة من النيران والشظايا.

كانوا في مُنتصف الطريق إلى المركبة عندما بدأ هولدن يُفكِّر في أنهم قد ينجحون عندما عبر خط من الدُخان الغُرفة وتقاطَع مع مسار كيلي، واختفى المُلازِم في وميضٍ من الضوء.

(١٤)

ميلر

تمَّ تدمير (زينجلينج) بطريقةٍ غبيةٍ. بعد ذلك، عَرَف الجميع أنها كانت واحدة من آلاف مركبات التنقيب المؤقَّتة التي تتنقَّل بين الكواكِب. تعامَل الحزام بخسةٍ معهم؛ حيث تم جمع خمس أو ست عمليات عائلية سويًّا بما يكفي لدفع دفعة أولى وإقامة العمليات، وعندما حدث ذلك، تأخَّروا بثلاث دفعات، ووضع مصرفهم -بنك المُقتنيات والاستثمارات الموحَّدة- رهنًا على المركبة، وهو، كما تقتضي الحكمة، كان سببًا في تعطيل جهاز الإرسال والاستقبال الخاص بها. فأصبحوا مُجرَّد أشخاص صادقين داخِل دلو صدِئ يحاوِلون الاستمرار في الطيران.

إذا كُنت ستصنع مُلصقًا لحلم الحزاميين، فلا بُدَّ أن يكون (زينجلينج).

كان من المُقرَّر أن تتجه (سكوبيو أفريكانوس)، وهي مُدمِّرة دورية إلى المريخ في نهاية جولتها التي استمرَّت لمُدة عامين في الحِزام. توجَّهَت كلتاهُما إلى جسم مُذنب تمَّ أسره على بُعد مئات آلاف الكيلومترات من شيرون للتخلُّص من مياههما.

عندما ظَهَرت مركبة التنقيب للمرَّة الأولى في النطاق، لم ترَ (سكوبيو) سوى مركبة سريعة الحركة تنطلِق بلا هُدى وتتجه نحوهم إلى حدٍّ ما. ذكَرَت جميع البيانات الصحفيَّة الرسميَّة المريخيَّة أن (سكوبيو) حاولت مرارًا وتكرارًا أن تُرحِّب بها، وقالت جميع فرق القراصنة التابعة لـ (أوبا) إن هذا محض هراء، وأنه لم تسمَع أي محطة استماع في الحِزام شيئًا من هذا القبيل. اتفَقَ الجميع على أن (سكوبيو) قد فتحت مدافعها الدفاعية وحوَّلت مركبة التنقيب إلى ركامٍ متوهِّجٍ.

كان رد الفعل متوقعًا مثل الفيزياء البسيطة. حوَّل المريخ اتجاه بعض عشرات من المركبات للمُساعدة في (الحِفاظ على النظام). دعا الرؤساء المُتحدِّثون المُتشدِّدون في (أوبا) إلى حربٍ مفتوحةٍ، ولم يختلِف معهم سوى أقل القليل من المواقِع المُستقِلَّة والطواقِم. اقترَبَت ساعة الحرب العُظمى القاسية خطوةً واحدةً في اتجاه الحرب المفتوحة.

بينما عرَّضَ شخص ما في سيريس مواطنًا مريخي المولِد يُدعى إنريكي دوس سانتوس للتعذيب لمُدَّة ثماني ساعات أو تسع قبل أن يُثبِّت بقاياه على جدارٍ بالقُرب من أعمال استصلاح المياه بالقِطاع الحادي عشر. تعرَّفوا إلى شخصيته من جهازه اللوحي الذي تُرِك على الأرض مع خاتم زواجه، ومحفظة من الجلد الصناعي الرقيق، والتي كانَت تحتوي على بيانات الوصول إلى ائتمانه وثلاثين ألف ينٍّ جديد. تمَّ تثبيت المريخي الميت على الحائِط باستخدام مِسمار تنقيب أحادي الشحنة، وحتى بعد مرور خمس ساعات، كان القائِمون على جهاز إعادة تدوير الهواء لا يزالون يعمَلون على إخراج الرائِحة الحمضيَّة. أخَذَ فريق الطب الشرعي عيناتهم، كانوا على وشك كشط هذا الوغد المسكين.

لطالما تفاجأ ميلر بالطريقة التي يبدو بها الموتى مُسالمين. بدا الهدوء الذي شقَّ طريقه إلى ملامحهم كالنوم، مهما كانت الظروف مؤذية، وجعله هذا يتساءل عمَّا إذا كان سيشعُر بالاسترخاء فعلًا عندما يأتي دوره.

قال: «ماذا عن كاميرات المُراقبة؟».

قالت شريكته الجديدة: «متوقِّفة عن العمل منذ ثلاثة أيام، لقد أفسدهم الأطفال».

كانت أوكتافيا موس في الأصل من قسم الجرائم ضد الأشخاص، قبل أن تقوم ستار هيليكس بتقسيم وحدة العُنف إلى تخصُّصاتٍ أصغر، ومن وقتها، خدمَت في فرقة الاغتصاب، ثُم قضت شهرين في قسم الجرائم ضد الأطفال. إذا كانت المرأة لا تزال تمتلِك روحًا، فقد تمَّ ترقيقها بما فيه الكفاية للرؤية من خلالها، لم يظهَر في عينيها أي شيء أكثر من مُفاجأةٍ خفيفةٍ.

- «هل نعرف هؤلاء الأطفال؟».

قالت: «بعض الأشرار من الطوابِق العلويَّة، تم حجزهم، تغريمهم، وإطلاقهم سراحهم».

قال ميلر: «يجب أن نقبض عليهم مرَّة أخرى، سيكون من المُثير للاهتمام معرفة ما إذا كان شخص قد دفع بهم مُقابِل تعطيل هذه الكاميرات تحديدًا».

- «سأراهِن على ذلك».
- «لا بُدَّ أن من فعل ذلك كان يعرف أن الكاميرات متوقِّفة عن العمل إذن».
- «شخص ما يعمَل في قسم الصيانة؟».

- «أو شُرطي».

ضربت موس شفتيها بقوَّة وهزَّت يديها، كانت من الجيل الثالِث من سُكَّان الحِزام، وكانت عائلتها مُعتادة على ركوب مركبات مثل تلك التي دمَّرتها (سكوبيو). لم يُمثِّل الجلد والعظام والغضاريف المُعلَّقة أمامها أي مُفاجأة بالنسبة لها. عندما ستُلقي بمطرقةٍ تحت تأثير قوَّة الدفع، فستسقُط على السطح. ذبحت حكومتك ست عائلات من المُنقبين الصينيين الأصليين، فقام شخص ما بتثبيتك على صخرة سيريس الحيَّة على ارتفاع ثلاثة أقدام بمسمار من سبائِك التيتانيوم. نفس الشيء.

قال ميلر: «ستكون هناك عواقِب». كان يقصِد أن هذه ليست مُجرَّد جُثة، إنها لوحة إعلانيَّة، دعوة للحرب.

قالت موس: «لن يحدُث أي شيء». وضعت الحرب أوزارها هنا على أي حال، سواء كانت هناك راية أو لا.

قال ميلر: «أجل، أنتِ مُحقَّة. لن يحدُث شيء».

- «هل تُريد أن تُبلِّغ أقارِبه؟ سأذهب لإلقاء نظرة على الفيديو البعيد، لم يحرِقوا أصابعه هنا في الممر، لا بُدَّ أنهم اضطروا لنقله من مكانٍ ما».

قال ميلر: «أجل، لديَّ خطاب تعاطُف يُمكِنني أن أنقِل أجزاءً منه، هل لديه زوجة؟».

قالت: «لا أعرف، لم أتحقَّق».

بالعودة إلى مقر القسم، جلس ميلر وحيدًا على مكتبه. كانت موس تمتلِك مكتبها الخاص بالفعل، تعلوه بمقصورتين، ومُخصَّص لها بالطريقة التي تُحبُّها. كان مكتب هافلوك فارغًا بعد أن تمَّ تنظيفه مرتين، كما لو أن

خدمات الحراسة أرادَت إزالة رائِحة الأرضي من على مقعدهم الحزامي الجيد، قام ميلر بسحب ملف القتيل، وجد أقرب أقربائه: جون يي دوس سانتوس، التي تعمَل فِي جانيميد، دام زواجهما لست سنوات دون أطفال. حسنًا، على الأقل، هذا شيء جعله يشعُر بالسعادة على الأقل، إذا ما كُنت ستموت، فلا يجب أن تترُك أثرًا على الأقل.

نقل الموجود في نموذج الخِطاب، وضع اسم الأرملة الجديدة وعنوان الاتصال:

«عزيزتي السيدة دوس سانتوس، يؤسفني جدًّا أن أخبركِ أن إلخ... إلخ... إلخ. كان زوجكِ (نقل هذا الجزء من القائمة) عضوًا فعالًا ومُحترمًا في مُجتمع سيريس، وأؤكِّد لكِ أنه سيتم القيام بكُل شيء مُمكِن لرؤية (ارتجل ميلر هذا الجُزء) قاتله أو قتلته يدفعون ثمن ذلك. المُخلِص لكِ...».

كان هذا أمرًا غير إنساني، كان غير بشريٍّ وبارِدًا وفارِغًا مثل الفضاء. فقد كانت قطعة اللحم المُثبَّتة على جدار الممر رجلًا حقيقيًّا له شغف ومخاوِف مثل أي شخص آخر، أراد ميلر أن يتساءل عمَّا قيل عنه إنه يُمكِنه تجاهُل هذه الحقيقة بسهولةٍ؛ لكن الحقيقة هي أنه يعرِف. أرسَل الرسالة وحاول ألا يُسهِب التفكير فِي الألم الذي كان على وشك أن يُسبِّبه.

كانت اللوحة الإعلانية عريضة، وكان عدد الحوادِث ضعف ما ينبغي أن يكون. قال لنفسه: هذا ما يبدو الأمر عليه. دون أعمال شغب. دون عسكريين أو رجال بحريَّة فضائية ينتقِلون من غُرفةٍ إلى غُرفةٍ في الممرَّات. الكثير من جرائِم القتل التي لم تُحَل فحسب.

ثُمَّ صحَّح لنفسه: هذا ما يبدو الأمر عليه حتى الآن.

لم يجعَل هذا مُهمته التالية أسهَل.

كانت شاديد في مكتبها.

سألته: «كيف يُمكِنني أن أخدِمك؟».

قال: «أحتاج إلى تقديم بعض الطلبات من أجل محاضِر الاستجواب؛ لكنها غريبة بعض الشيء، وكُنت أفكِّر أنه قد يكون من الأفضل أن يأتي الأمر عن طريقكِ».

جلست شاديد على مقعدها.

قالت: «سأنظر في الأمر، ما الذي نحاوِل العثور عليه؟».

أومأ ميلر برأسه، كما لو كان يومئ لنفسه، يُمكِنه جعلها تقول نفس الأمر.

- «جيم هولدن، الأرضي الذي كان موجودًا على متن (كانتيربيري)، يجب أن يكون المريخ قد وَصَل إلى رجاله الآن، وأنا بحاجةٍ لتقديم التماس للحصول على تفريغ الاستجوابات».
- «هل تتولى التحقيق في قضية لها علاقة بـ (كانتيربيري)؟ ».

قال: «أجل، يبدو ذلك».

قالت: «أخبرني، أخبرني بذلك فورًا».

- «إنها القضية الجانبية. جولي ماو. لقد كُنت أبحث في... ».
- «لقد رأيت تقريرك».

- «إذن فأنتِ تعلمين أنها مُرتبِطة بـ (أوبا)، ومما وجدته، يبدو أنها كانت على متن مركبة شحن خفيفة كانت تقوم بدور البريد السريع لديهم».
- «هل لديك دليل على ذلك؟».
- «لديَّ رجل من (أوبا) قال ذلك».
- «بشكلٍ رسمي؟».

قال ميلر: «لا. كان الأمر غير رسمي».

- «وكيف يتعلَّق الأمر بتدمير البحرية الفضائية المريخية لـ (كانتيربيري)؟ ».

قال ميلر: «كانت على متن (سكوبيولي)، التي تمَّ استخدامها كطُعم لإيقاف (كانتيربيري). الأمر هو، أنكِ عندما تنظرين إلى البث الذي قام به هولدن، ستجدين أنه قد تحدَّث عن منارة بحريَّة فضائيَّة مريخيَّة، ولم يتحدَّث عن الطاقم».

- «وهل تعتقِد أن هناك شيئًا في تلك التفريغات سيُساعدك؟».

قال ميلر: «لن أعرِف ذلك حتى أراهُم؛ لكن إذا لم تكُن جولي على متن مركبة الشحن تلك، فلا بد أن شخصًا ما قد اختطفها».

لم تشُق ابتسامة شاديد طريقها إلى عينيها.

- «وتُريد أن تطلُب من البحرية الفضائية المريخية تسليم كُل ما حصلوا عليه من هولدن».
- «إذا رأى شيئًا ما على متن هذه المركبة، فيُمكِن لهذا الشيء أن يُعطينا فكرة عمَّا حدث لجولي ولبقية الـ.. ».

قالت شاديد: «لم تُفكِّر في الأمر مليًّا، دمَّرت البحرية الفضائية (كانتيربيري)، وفعلوا ذلك لاستفزاز الحزام بالقيام برد فعل حتى يكون لديهم عُذر للتدخُّل وللسيطرة علينا. السبب الوحيد خلف (استجواب) الناجين هو حتى لا يتمكَّن أحد من الوصول إلى الأوغاد المساكين أولًا، وإما أن هولدن وطاقمه قد ماتوا، أو أن مُتخصصي الاستجواب المريخيين قد أفقدوهم عقولهم بحلول هذا الوقت».

- «لا يُمكِننا أن نتأكَّد من ذلك... ».
- «وحتى لو كان بإمكاني الحصول على سجلٍّ كاملٍ لما قالوه عندما تمَّ اقتلاع كُل أظافِر قدميه، فلن يُفيدك ذلك في أي شيء يا ميلر. لن تسأله البحرية الفضائية المريخية عن (سكوبيولي)، إنهم يعرفون بما حدث للطاقم جيدًا. فهُم من زرعوا (سكوبيولي) ».

سألها ميلر: «هل هذا هو الموقِف الرسمي لستار هيليكس؟». خرجت الكلمات من فمه بالكاد قبل أن يُدرِك خطأه، تجهَّم وجه شاديد للغاية. رأى التهديد الضمني الذي حملته كلماته بعدما نطق بها.

قالت شاديد: «أنا فقط أشير إلى مسألة موثوقية المصدَر، نحن لا نذهَب إلى المُشتبه بهم لنسألهم أين يجب أن نبحث بعد ذلك. كما أن استرجاع جولييت ماو ليس أولويتك الأولى».

قال ميلر مُنزعجًا لسماع النبرة الدفاعية تتسلَّل إلى كلماته: «ليس هذا ما أقصده».

- «لدينا لوحة مُمتلئة بالقضايا هنا، ولا تزال القضايا تتزايَد فوقها. أولويتك الأولى هي سلامة واستمرارية الخدمات. إذا لم

يكُن ما ستفعله مُرتبط بذلك بشكلٍ مُباشرٍ، فهناك أشياء أفضل عليك القيام بها».

- «هذه الحرب... ».

قالت شاديد: «ليست مُهمتنا، مُهِمتنا هي سيريس، قدِّم لي تقريرك النهائي عن جولييت ماو، وسأرسله عبر القنوات الشرعيَّة. لقد بذلنا قصارى جهدنا».

- «لا أعتقِد أن... ».

قالت شاديد: «أنا أعتقِد ذلك، لقد بذلنا قصارى جُهدنا، توقَّف الآن عن كونك مُزعجًا، وعُد إلى هناك، لتقبض على الأشرار أيها المُحقِّق».

قال ميلر: «حسنًا أيتها النقيب».

كانت موس جالسة في مكتب ميلر عندما عادت إليه، تُمسِك بكوبٍ في يدها يحتوي على شاي قوي أو قهوة ضعيفة. أومأت برأسها نحو شاشة حاسوبه، التي كان يظهر عليها ثلاثة من سُكَّان الحزام -رجلان وامرأة- يخرجون من باب مستودع، ويحملون حاوية شحن بلاستيكية برتقالية بينهم. رفع ميلر حاجبيه.

- «موظفون في شركة نقل الغاز المُستقِلَّة ينقلون النيتروچين والأكسجين -مكوِّنات الغلاف الجوي الأساسية- لا أي شيء غريب. يبدو أنهم أخذوا الوغد المسكين إلى أحد مستودعات الشركة. لقد أرسلت الطب الشرعي إلى هناك لمعرفة إذا ما كان بإمكاننا الحصول على أي بقع دم للتأكيد».

قال ميلر: «عمل جيد».

هزَّت موس يديها، بدا وكأنها تقول: عمل مُناسِب.

سألها ميلر: «أين الجُناة؟».

قالت: «شُحِنوا بالأمس، تقول سجلات الطيران إنهم يتوجَّهون إلى آيو».

- «آيو؟».

قالت موس: «تحالُف الأرض والمريخ المركزي، هل تُريد الرهان على إذا ما كانوا سيظهرون هناك؟».

قال ميلر: «بالتأكيد، سأراهن بخمسين على أنهم لن يظهروا».

ضحكت موس حقًّا.

قالت: «لقد وضعتهم في نظام الإنذار، وأينما حلُّوا سيكون لدى السُكَّان المحليين تنبيه وأرقام تتبُّع لقضية دوس سانتوس».

قال ميلر: «لقد تمَّ إغلاق القضية إذن».

وافقت موس على ذلك قائلةً: «نقطة جديدة لصالِح الأخيار».

كان بقية اليوم عصيبًا. ثلاثة اعتداءات، اثنان منها سياسيان بشكلٍ علني وواحد محلي. مَسَحت موس وميلر الثلاثة من على اللوحة قبل انتهاء الوردية، سيكون هناك المزيد بحلول يوم غد.

توقَّف ميلر عند عربة طعام بالقُرب من إحدى محطَّات المترو بعد أن أنهى عمله، اشترى وعاء من الأرز والبروتين الرخو الذي يُشبِه دجاج الترياكي. كان مواطنو سيريس العاديون الموجودون في كُل مكان حوله في الأنبوب يقرأون نشرات الأخبار، ويستمعون إلى الموسيقى. اقترب زوجان شابان على بُعد نصف سيارة منه من بعضهما بعضًا، يتمتمان بشيءٍ ما ويتبادلان الضحكات، ربما كانا في السادسة عشرة من عُمرهما، أو

السابِعة عشرة. رأى يد الفتى تتسلَّل تحت قميص الفتاة التي لم تعترِض، بينما نامَت امرأة عجوز على الجانِب الآخر في مواجهة ميلر، ورأسها يتلل على سيارةٍ، بالكاد كان صوت شخيرها مسموعًا.

قال ميلر لنفسه إن الأمر يدور حول هؤلاء الناس- الناسُ العاديون الذين يعيشون حياة صغيرة فوق صخرة مُحاطة بفراغٍ صلبٍ- إذا سمحوا للمحطَّة بالتحوُّل إلى منطِقة أعمال شغب، إذا سمحوا بإسقاط النظام، فستتحوَّل كُل هذه الأرواح إلى عجينٍ مثل قطة صغيرة سقطت في مفرمة لحوم، وكان التأكُّد من عدم حدوث ذلك يقع على عاتِق أناس مثله، ومثل موس؛ بل حتى ومثل شاديد.

قال صوت صغير في مؤخرة دماغه: لماذا لا تتمثل وظيفتك في أن تمنع المريخ من إلقاء سلاح نووي لكسر سيريس نصفين كالبيضة إذن؟ ما الشيء الذي يُمثِّل تهديدًا أكبر لهذا الرجل الذي يقف هناك، بعض العاهِرات غير المُرخَّصات أو حرب بين المريخ والحزام؟

ما الضرر الذي يُمكِن أن تتسبَّب به معرفة ما حدث لـ (سكوبيولي)؟

لكنه كان يعرف الإجابة عن ذلك بالطبع. لم يكُن بإمكانه أن يحكُم على مدى خطورة الحقيقة حتى يعرفها، وهو الذي كان سببًا جيدًا للاستمرار بحد ذاته.

كان أندرسون دوز، رجل الـ (أوبا)، يجلِس على مقعدٍ قُماشي قابِل للطي خارِج غُرفة ميلر، وهو يقرأ كتابًا، كان كتابًا حقيقيًّا، صفحات من قشر البصل مُجلَّدة بما بدا كجلد حقيقي. كان ميلر قد رأى صورًا لكُتبٍ من قبل؛ لقد صدمته فكرة مدى ثقل هذا الوزن الكبير الذي تُقابِله مساحة ميجا بايت.

- «أيها المُحقِّق».
- «سيد دوز».
- «كُنت آمل أن نتمكَّن من التحدُّث».

شعر ميلر بالسعادة، عندما دخلا سويًّا؛ لأنه كان قد نظَّف الغُرفة بعض الشيء. ألقى بجميع زجاجات البيرة في جهاز إعادة التدوير، كما نظَّف جميع الطاوِلات والخزائِن، بينما تمَّ إصلاح جميع الوسائِد الموجودة على الأرائِك أو استبدالها. أدرك ميلر عندما جلس دوز أنه قد قام بالأعمال المنزليَّة تحسُّبًا لهذا الاجتماع، ولم يُدرِك ذلك حتى الآن.

وَضَع دوز كتابه على المنضدة، مد يده في جيب معطفه، وأعطاه وحدة تخزين فيديو سوداء رفيعة، التقطها ميلر.

سأله: «ماذا سأجد فيها؟».

أجابه دوز: «لا شيء لا يُمكِنك التأكُّد منه من السجلات».

- «أي شيء مُفبرك؟».

قال دوز دون أن تبذل ابتسامته جهدًا في تحسين مظهره: «أجل؛ لكن ليس من جانبنا. لقد سألت عن مُعدَّات مُكافحة الشغب الخاصَّة بالشرطة، وقَّع الرقيب بولين تريكولوسكي أمر نقلها إلى وحدة الخدمات الخاصَّة رقم (٢٣)».

- «وحدة الخدمات الخاصَّة رقم (٢٣)؟».

قال دوز: «أجل، لا وجود لها، ولا لتريكولوسكي. كانت جميع المُعدَّات مُعبأة في صناديق، موقَّع عليها، ومُسلَّمة إلى الرصيف، كانت مركبة الشحن الخفيفة الموجودة عند الرصيف في ذلك الوقت تابِعة لشركة بلاك كات البُرتغالية».

- «بلاك كات؟».
- «هل تعرفهم؟».

هزَّ ميلر كتفيه وهو يقول: «إنها شركة استيراد وتصدير مثل بقية الشركات، لقد حقَّقنا معهم باعتبارهم وجهة مُحتَملة للوكا جريجا؛ لكننا لم نقُم بتقييدهم قط».

- «كُنتم مُحقين».
- «هل أثبت ذلك؟».

قال دوز: «هذه ليست وظيفتي؛ لكن هذا قد يُثير اهتمامك، إن سجلات الرسو الآلية الخاصة بالمركبة تُشير أنها أخف وزنًا بمقدار ثلاثة أطنان ما بين مُغادرتها من هنا وبين وصولها إلى جانيميد، دون حتى أن نحسب استهلاك كُتلة المُفاعِل. كما أنها استغرقت وقتًا أطول من توقعات الميكانيكا المدارية في العبور».

قال ميلر: «قابلها شخص ما في الطريق، ونقل المُعدَّات إلى مركبةٍ أخرى».

قال دوز: «هاك إجابتيك، كليهما، تمَّت سرقة مُعدَّات مُكافحة الشغب من المحطَّة من قِبَل مُنظَّمة جريمة محليَّة. لا توجد سجلات لدعم هذه النظرية؛ لكنني أعتقِد أنه من الآمن أن نفترِض أيضًا أنهم قاموا بنقل موظفين لاستخدام هذا العتاد».

- «إلى أين؟».

رفع دوز يديه. أومأ ميلر برأسه. لقد خرجوا من المحطَّة، وتمَّ إغلاق القضية. نقطة أخرى لصالِح الأخيار.

اللعنة.

قال دوز: «لقد التزمت بالجزء الخاص بي من صفقتنا، لقد طلبت معلومات، وأحضرتها لك، والآن، هل ستحافِظ على الجزء الآخر من الصفقة؟».

قال ميلر: «ترك التحقيق في قضية ماو». لم يكُن هذا سؤالًا، ولم يتصرَّف دوز وكأنه سؤال، استرخى ميلر للخلف في مقعده.

تحوَّلت جولييت أندروميدا ماو، من وريثة عائلة النظام الداخلي، إلى ساعية لـ (أوبا)، مُتسابقة المركبات الفضائية، الحاصِلة على الحزام البني، والتي تتوق للحصول على الحزام الأسود.

قال: «بالتأكيد، بحق الجحيم، ليس الأمر وكأنني سأعيدها إلى المنزل إذا وجدتها».

- «لن تفعل؟».

حرَّك ميلر يديه في إيماءة تعني: بالطبع لا.

قال ميلر: «إنها فتاة جيدة، بم ستشعُر عندما تكبر، وتجد والدتك لا تزال تجذبك من أذنك إلى المنزل؟ لقد كانت مهمة خرائية منذ البداية».

ابتسم دوز مرَّة أخرى، هذه المرَّة ساعدت ابتسامته قليلًا.

- «أنا سعيد لسماعك تقول ذلك أيها المُحقِّق، ولن أنسى بقية اتفاقنا، سأخبرك عندما نجدها، أعدك بذلك».

قال ميلر: «أقدِّر لك ذلك».

كانت هناك لحظة صمت، لم يُقرِّر ميلر إذا ما كان ذلك لطيفًا أو مُحرجًا، وربما كان هناك مُتسَع لكليهما، نهض دوز، مدَّ يده، صافحه ميلر،

فغادر دوز. اثنان من رجال الشرطة يعملان في جوانِب مُختلِفة، وربما كان لديهما شيء مُشترك.

لم يعنِ ذلك أن ميلر كان غير مُرتاح للكذب على الرجل.

فَتَح برنامج التشفير الموجود في جهازه اللوحي، ووجهه إلى مجموعة الاتصالات الخاصَّة به، وبدأ يتحدَّث إلى الكاميرا.

- «نحن لم نلتقِ من قبل يا سيدي؛ لكنني أتمنى أن تجِد بضع دقائِق لمُساعدتي. أنا المُحقِّق ميلر من شركة أمن ستار هيليكس. أنا ضمن التعاقُد الأمني الخاص بسيريس، وكُلِّفت بمُهمَّة العثور على ابنتك، ولديَّ سؤالان».

(١٥)
هولدن

أراد هولدن الإمساك بناعومي، كافَح لتوجيه نفسه بينما كان الاثنان يدوران عبر المرفق بدون أي شيء يندفعان من عليه أو أي شيء يعترِض طريق تحليقهما، كانوا في مُنتصف الغُرفة بدون غطاء.

ألقى الانفجار بكيلي لخمسة أمتار في الهواء إلى جانِب صندوق تعبِئة؛ حيث كان يطفو في الوقت الحالي بحذاءٍ مغناطيسي ملتصِق بجانِب الصندوق، والآخر يُكافِح للالتصاق بالسطح. كان أموس قد سَقَطَ أرضًا، واستلقى هناك، كانت ساقه السُّفلية تميل بزاويةٍ مُستحيلةٍ. وأليكس يجثم بجواره.

رفع هولدن رأسه لينظُر نحو المُهاجمين. كان الجنود يقفون هناك مُمسكين بقاذِفة القنابِل التي فجَّرت كيلي، ويصوِّبون نحوهم لإطلاق النار. قال هولدن لنفسه: نحن في عداد الموتى، قامَت ناعومي بإيماءةٍ بذيئةٍ.

ارتعد الرجل الذي كان يحمِل قاذِفة القنابِل قبل أن ينحل في رذاذٍ من الدماء والانفجارات الصغيرة.

صَرَخَ جوميز عبر اللاسلكي: «اذهبوا إلى المركبة! ». كان صوته عاليًا ومليئًا بالانزعاج، تتقاسمه أوجاع الألم ونشوة القِتال.

سحب هولدن حبل الربط من بدلة ناعومي.

قالت ناعومي: «ماذا... ».

قال: «ثقي بي». ثُم وضع قدمه على معدتها، ودفعها بقوةٍ، اصطدم بالسطح بينما دارت هي نحو السقف، شغَّل مغناطيسية حذائه، ثُم جذب الحبل ليجذبها نحوه.

اشتعلت النيران في الغُرفة نتيجة إطلاق نيران مدفع رشَّاش. قال هولدن: «انخفضوا». ثُم ركض بأقصى سُرعة سمح له حذاؤه المغناطيسي بها نحو أليكس وأموس، حرَّك الميكانيكي أطرافه بضعفٍ، لا يزال على قيد الحياة إذن، أدرك هولدن أنه لا يزال يُمسك بنهاية حبل ناعومي في يده؛ لذلك قام بربطه في حلقةٍ على بدلته. لا مزيد من الانفصال.

رفع هولدن أموس من على السطح، ثُم فحص القصور الذاتي، شخر الميكانيكي وتمتم بشيءٍ بذيءٍ. علَّق هولدن حبل أموس في بدلته أيضًا، كان سيحمل الطاقم بأكمله إذا ما تطلَّب الأمر هذا، جذب أليكس حبل بدلته دون أن ينبس ببنت شفة، وأعطاه لهولدن وهو يرفع إبهامه للأعلى بإرهاقٍ.

قال أليكس: «كان هذا... أعني أنه... اللعنة».

قال هولدن: «أجل».

قالت ناعومي: «انظر يا جيم! ».

تَبِعَ هولدن نظرتها، كان كيلي يترنَّح مُتجهًا نحوهم، تمَّ سحق درعه بشكلٍ واضحٍ على الجانِب الأيسَر من جذعه، بينما يتسرَّب سائِل هيدروليكي من بدلته في قطراتٍ تطفو خلفه؛ لكنه كان يتحرَّك نحو الفرقاطة.

قال هولدن: «حسنًا، لنذهب».

تحرَّك خمستهم كمجموعة نحو المركبة، امتلأ الهواء من حولهم بصناديق التعبئة التي تطايرت بسبب المعركة المُستمرَّة. شعر هولدن بلسعة دبور في ذراعه، وأخبرته شاشة العرض الخاصَّة ببدلته أنها قد أغلقت خرقًا بسيطًا، شعر بشيءٍ دافئ يسيل على عضلاته.

كان جوميز يصرخ بهم عبر الراديو كالمجنون وهو يندفِع حول الحافة الخارجيَّة للمرفق، ويُطلِق النيران بعُنفٍ، كانت نيران الرد ثابتةً. رأى هولدن جُندي المُشاة وهو يتلقى الضربات مرارًا وتكرارًا، اندلعت الانفجارات الصغيرة وسُحب الغُبار من بدلته حتى كاد هولدن لا يُصدِّق أن هناك أي شيء بداخلها لا يزال على قيد الحياة؛ لكن جوميز استمرَّ في جذب انتباه العدو، ريثما أصبح هولدن والطاقم قادرين على وضع نصف غطاء على باب حُجرة مُعادلة الضغط الخاصة بالكورفيت.

سَحَب كيلي بطاقة معدنيَّة صغيرة من جيب درعه، فتحت سحبة من البطاقة الباب الخارجي، جذب هولدن جسد أموس المُحلِّق إلى الداخِل، تبعته ناعومي، وأليكس، وجُندي المُشاة المُصاب إلى الداخِل، مُحدِّقين في بعضهم بعضًا بذهولٍ بينما دارت غُرفة مُعادلة الضغط وفُتِحَت الأبواب الداخلية.

قال ألكيس: «لا أستطيع أن أصدِّق أننا...». ثُم تلاشى صوته.

صاح كيلي: «ستتحدَّث عن الأمر لاحقًا، لقد خدمت على متن مركبات تابِعة للقوّات البحرية الفضائية المريخية يا أليكس كمال، هل يُمكِنك الطيران بهذا الشيء؟».

أجابه أليكس: «بالطبع أيها المُلازِم». قبل أن يسأله بشكلٍ مُباشر: «لماذا أنا؟».

قال كيلي وهو يُسلِّمه البطاقة المعدنيَّة: «لقد قُتِل طيارنا الآخر بالخارِج، خُذ هذه، أما بقيتكم، فارتدوا أحزِمة الأمان! لقد ضيَّعنا الكثير من الوقت».

كان الضرر الذي أصاب درع كيلي أكثر وضوحًا عن قُرب، لا بُدَّ أنه مُصاب بجروحٍ خطيرةٍ في صدره. ولم يكُن كُل السائِل المُتدفّق من البدلة عبارة عن سائِل هيدروليكي، فقد كانت هناك دماء كذلك بالتأكيد.

قال هولدن وهو يقترِب منه: «دعني أساعدك».

قال كيلي بغضبٍ أثار دهشة هولدن: «لا تلمسني، ارتدِ حزام أمانك، واخرس بحق الجحيم، حالًا».

لم يُجادِله هولدن، قام بفك الحبال عن بدلته، وساعَد ناعومي على مناورة أموس نحو أرائِك التحطُّم وربطه بحزام الأمان. بقي كيلي على سطح المركبة العلوي؛ لكن صوته صدح عبر جهاز اتصال المركبة.

قال: «هل نحن مُستعدون للطيران يا سيد كمال؟».

- «عُلِم أيها المُلازِم، كان المُفاعِل ساخنًا بالفعل عندما أتينا إلى هنا».

- «كانت المركبة (تاتشي) مُستعِدة وجاهزة، ولهذا السبب أخذناها، والآن انطلِق. انطلِق بسُرعتك القصوى، بمُجرَّد أن نخرُج من الحظيرة».

قال ألكيس: «عُلِم ويُنفَّذ».

عادَت الجاذبية في دفقاتٍ صغيرةٍ في أماكِن مُختلِفة، بينما ارتفع أليكس بالمركبة عن السطح ودار بها نحو باب المرفق. انتهى هولدن من وضع حزام أمانه وتحقَّق من جاهزية واستعداد ناعومي وأموس قبل الطيران، كان الميكانيكي يأن وهو يُمسِك بحافة الأريكة بقبضةٍ قويةٍ.

قال هولدن: «هل ما زلت معنا يا أموس؟».

- «بحالٍ رائـ -بحق اللعنة- ـــعةٍ أيها القُبطان».

قال أليكس عبر قناة الاتصال: «اللعنة، أستطيع رؤية جوميز، لقد سقط، اللعنة عليكم أيها الأوغاد! إنهم يطلِقون النار عليه حتى وهو ساقِط! يا أبناء العاهرة! ».

توقَّفَت المركبة عن الحركة، وقال أليكس بصوتٍ خافتٍ: «خذوا هذا أيها الحمقى».

اهتزَّت المركبة لنصف ثانية، ثُم توقَّفت مؤقتًا قبل أن تستمِر في رحلتها نحو الباب.

سأله هولدن: «المدافِع الدفاعيَّة؟».

زأر أليكس قائلًا: «عدالة الطريق الشاعرية».

تخيَّل هولدن ما ستفعله عدَّة مئات من طلقات التنجستن المطلي بالتفلون، والتي تنطلِق بسُرعة خمسة آلاف متر في الثانية بالأجساد

البشرية عندما دفع هولدن رافعة الوقود، فأطبقت غُرفة مليئة بالأفيال على صدره.

***

استيقظ هولدن في حالة انعدام جاذبية. آلمته تجاويف عينيه وخصيتيه، لا بُدَّ أنهم ينطلِقون بقوة دفع عالية لوهلةٍ إذن. قال جهاز الحائِط اللوحي المُعلَّق بجواره إن الأمر استغرق نصف ساعة تقريبًا. تحرَّكت ناعومي على أريكتها؛ لكن أموس كان فاقدًا للوعي، والدماء تتدفَّق من ثقبٍ في بدلته بمُعدلٍ ينذر بالخطر.

قال هولدن بصوتٍ أجش وهو يشعُر بألمٍ في حلقه بسبب هذا الجُهد: «تحققي من أموس يا ناعومي، قدِّم لي تقريركَ يا أليكس».

قال أليكس بصوتٍ خفيضٍ: «لقد انفجرت (دوني) خلفنا أيها القُبطان، أعتقِد أن جنود المُشاة لم يصمدوا، لقد انتهى أمرها».

- «والست مركبات المُهاجِمة؟».
- «لم أرَ أثرًا لهم منذ حدث الانفجار، أعتقِد أنهم تحمَّصوا

رأومأ هولدن برأسه لنفسه: العدالة الشاعرية بالفعل، الصعود على متن مركبة كان واحدًا من أخطر المناورات في القتال البحري الفضائي، كان الأمر في الأساس عبارة عن سباق بين الصاعدين إلى متن المركبة الذين يُسرِعون نحو غُرفة المُحرِّكات، وبين الإرادة الجماعية لأولئك الذين يضعون أصابعهم على زر التدمير الذاتي، وكانت نظرة واحدة على القُبطان ياو كافية كي يستطيع هولدن معرفة من الذي سيخسَر هذا السباق.

ومع ذلك، اعتقد شخص ما أن الأمر يستحِق المُخاطرة.

خلع هولدن أحزمة أمانه وطاف نحو أموس، فتحت ناعومي مجموعة أدوات الطوارئ وبدأت تقطع بدلة الميكانيكي بمقصٍ ثقيلٍ، كانت نهاية عظمة ساق أموس المكسورة تطل خارج الثقب بسبب اندفاع البدلة نحوها تحت ضغط جاذبية بلغ قدرها اثنتي عشرة درجة.

عندما انتهت من قطع البدلة، نظرت ناعومي إلى الفوضى: الدماء والعظام التي تحوَّل إليها الجزء السفلي من ساق أموس بوجهٍ شاحبٍ.

سألها هولدن: «ماذا سنفعل؟».

حدَّقت به ناعومي فحسب، ثُم انفجرت في ضحكةٍ قاسيةٍ.

قبل أن تقول: «ليس لديَّ أي فكرة».

حدَّق بها هولدن قائلًا: «لكنك... ».

قاطعته قائلةً: «إذا كان مصنوعًا من المعدن؛ لكنت طرقته حتى استقام ثُم لحمت كُل شيء في مكانه».

- «أنا... ».

تابعت وصوتها يرتفِع حتى وَصَل إلى حد الصراخ: «لكنه ليس مصنوعًا من قطع غيار المركبات، فلماذا تسألني إذن ماذا سنفعل؟».

رَفَع هولدن يديه في إيماءة تهدئة وهو يقول: «حسنًا، لقد فهمت، لنوقِف النزيف مؤقتًا، حسنًا؟».

- «إذا قُتِل أليكس، هل ستطلُب مني أن أطير بهذه المركبة أيضًا؟».

كاد هولدن يجيبها قبل أن يتوقَّف. كانت مُحقَّة. كلما وجد نفسه لا يعرف ماذا يفعل، سلَّم زمام الأمور إلى ناعومي، لطالما فعل ذلك

لسنواتٍ، كانت ذكيَّة، قادرة على تدبُّر الأمور، وعادة ما تكون ثابتة الجنان. لقد أصبحت عكازًا يستنِد إليه، وقد مرَّت بنفس الصدمة التي مرَّ بها، وإذا لم يبدأ في الانتباه، فقد يكسرها، ولم يكُن بحاجةٍ لفعل ذلك.

قال: «أنت مُحِقَّة، سأعتني بأموس، اصعدي واطمئني على كيلي، سأكون هناك خلال بضع دقائِق».

حدَّقت به ناعومي حتى هدأ روعها، ثُم قالت: «حسنًا»، وتوجَّهت نحو سلم الطاقم.

قام هولدن برش ساق أموس بمُعزِّز التخثُّر، ولفها بشاشٍ كان في مجموعة الإسعافات الأولية، ثُم استدعى قاعدة بيانات المركبة على جهاز الحائِط اللوحي وقام بالبحث عن الكسور المُركَّبة. كان يقرأ عنها بقلقٍ مُتزايدٍ عندما اتصلت ناعومي

قالت بصوتٍ خافتٍ: «لقد مات كيلي».

شعر هولدن بالخوف، وتنفَّس ثلاث مرَّات حتى يتغلَّب على الفزع الذي كان يطل من بين كلماته.

- «حسنًا، سأحتاج إلى مُساعدتك في ترميم هذه العظمة، عودي إلى الأسفل. هلَّا أعطيتني قوى تسارُع مقدارها نصف (ج)، بينما نعمَل على أموس يا أليكس؟».

سأله أليكس: «هل هناك اتجاه مُعيَّن أيها القُبطان؟».

- «لا أهتَم، فقط أعطني قوى تسارُع مقدارها نصف (ج)، وابتعد عن اللاسلكي حتى آمرك بخلاف ذلك».

هبطت ناعومي على السلم بينما بدأت قوة الجاذبية في التزايُد.

قالت: «يبدو أن كُل ضلوع كيلي اليُسرى قد تهشَّمت، لا بُدَّ أن قوَّة الدفع قد ثقبت جميع أعضائه».

قال هولدن: «لا بُدَّ أنه كان يعرف أن هذا سيحدُث».

- «أجل».

كان من السهل عليه أن يحَسَر من جنود المُشاة البحرية الفضائية عندما لم يكونوا يستمعون إليه. كانت السُخرية منهم في الأيام التي قضاها هولدن في البحرية الفضائية أمرًا طبيعيًّا مثل الشتم واللعن؛ لكن أربعة منهم قد لقوا حتفهم أثناء إبعاده عن متن (دوناجير)، واتخذ ثلاثة منهم قرارات بالقيام بذلك وهُم في كامِل قواهم العقلية، وعد هولدن نفسه ألا يسخَر منهم مرَّة أخرى.

- «يجب أن نشد العظمة لتستقيم قبل أن نُرمِّمها، أمسكيه، وسأجذب قدمه، دعيني أعرف عندما تستقيم العظمة وتستقِر في مكانها مرَّة أخرى».

بدأت ناعومي تحتج على ما قاله.

إلا أنه قال: «أعرِف أنكِ لست طبيبة، إن هذا هو أفضل تخمين لدينا».

لقد كانت واحدة من أفظَع الأشياء التي فعلها هولدن على الإطلاق. استيقظ أموس وبدأ يصرُخ أثناء العملية، اضطرَّ لجذب الساق مرَّتين؛ لأن العظام لم تستقِر في مكانها في المرَّة الأولى، وعندما تركها، عادت نهاية العظمة المكسورة لتخترِق الثقب وسط رذاذ من الدماء. لحُسن الحظ، فقد أموس وعيه بعد ذلك وتمكَّنوا من القيام بالمحاولة الثانية دون صراخ. بدا وأن الأمر قد نَجَح. رشَّ هولدن الجرح بالمُطهِّرات ومُخثِّرات الدماء. قام

بتدبيس الثقب لإغلاقه وغطَّاه بضمادة تحفيز نمو، ثُم أنهى الأمر بضمادة هوائيةٍ سريعةٍ ولاصقة مُضاد حيوي على فخذ الميكانيكي.

انهار بعد ذلك على سطح المركبة واستسلَم للاهتزازات، صعدت ناعومي إلى أريكتها وبكت، كانت هذه هي المرَّة الأولى التي يراها هولدن فيها وهي تبكي.

***

طاف هولدن، وأليكس، وناعومي في مُثلَّثٍ فضفاض حول أريكة التحطُّم التي رَقَدَ عليها جسد المُلازِم كيلي، كان أموس راقدًا في نومٍ عميقٍ بفعل المُخدِّر في الطابق السفلي، انجرَفَت (تاتشي) في الفضاء دون وجهة مُحدَّدة، وللمرة الأولى منذ وقت طويل لم يتبعهم أحد.

عرَف هولدن أن الاثنين الآخرين ينتظرانه، كانا ينتظِران سماع كيف سيُنقذهم، نظرا إليه بترقُّبٍ. حاوَل أن يبدو هادِئًا ورصينًا؛ لكنه كان يشعُر بالفزع بداخله، لم يكُن لديه أي فكرة عن إلى أين سيذهَب، أو أي فكَّرة عمَّا سيفعل. فقد تحوَّلت كُل الأماكِن التي كانت يجب أن تكون آمنةً إلى أفخاخٍ مُميتةٍ منذ أن عثروا على (سكوبيولي). (كانتيربيري)، و(دوناجير). كان هولدن مرعوبًا من الذهاب إلى أي مكان، خوفًا من أن يتم تفجيره بعد لحظات.

افعل شيئًا، كما قال مُعلِّم قبل عقد من الزمان لضُبَّاطه الشباب. ليس من الضروري أن تكون على حق؛ لكن يجب أن تفعل شيئًا ما.

قال هولدن: «سيُحقِّق شخص ما فيما حدث لـ (دوناجير)، ستتسابَق المركبات المريخية للوصول إلى هذا المكان ونحن نتحدَّث. سيعرفون أن

(تاتشي) قد فرَّت من هناك بالفعل؛ لأن جهاز الإرسال والاستقبال لدينا يُثرثِر ببقائنا في النظام الشمسي بشكلٍ عام».

قال أليكس: «لا، لا يفعل».

- «اشرح لي ذلك يا سيد كمال».
- «هذه قاذِفة صواريخ. هل تعتقِد أنهم يريدون منها أن تُرسِل إشارة إرسال ليلتقِطها العدو عندما يتم إطلاقها نحو مركبة رئيسة من مركبات العدو؟ هناك زر في متناوَل اليد في قُمرة القيادة مكتوب عليه (لإغلاق جهاز الإرسال والاستقبال) لقد أغلقته قبل أن نطير. نحن مُجرَّد جسم مُتحرِّك آخر من بين مليون جسم مُتحرِّك آخر».

ظلَّ هولدن صامتًا لثانيتين قبل أن يقول: «قد يكون هذا أعظم شيء قام به أي شخص على الإطلاق في تاريخ الكون بأسره يا أليكس».

قالت ناعومي: «لكن لن يُمكِننا الهبوط يا جيم، أولًا: لن يسمَح أي ميناء فضائي باقتراب مركبةٍ لا توجد بها إشارة إرسال واستقبال منها، وثانيًا: بمُجرَّد أن يرونا، سيكون من الصعب إخفاء حقيقة أننا مركبة مريخية حربيَّة».

وافقها أليكس قائلًا: «أجل، هذا هو الجانِب السلبي».

قال هولدن: «لقد أعطانا فريد جونسون عنوان الشبكة لنتمكَّن من التواصُل معه، أعتقِد أن (أوبا) قد تكون المجموعة الوحيدة التي ستسمَح لنا بإنزال مركبتنا المريخية الحربيَّة المسروقة في مكانٍ ما».

قال أليكس: «إنها ليست مسروقة، إنها عملية إنقاذ شرعي الآن».

- «أجل، يُمكِنك تقديم هذه الحجَّة للقوَّات البحرية الفضائية المريخية عندما يقبضون علينا؛ لكن دعنا نحاوِل التأكُّد من أنهم لن يقبضوا علينا».

سأله أليكس: «سننتظِر هنا حتى يأتي العقيد جونسون إلينا إذن؟».

- «لا، سأنتظِر، بينما سيُعِد كلاكما المُلازِم كيلي للدفن. لقد كُنت ضمن القوَّات البحرية الفضائية المريخية من قبل، أنت تعرف التقاليد اللازِمة، قُم بذلك مع مرتبة الشرف الكامِلة، وقُم بتسجيل الأمر في السجل. لقد مات ليُخرجنا من هذه المركبة، وسنمنحه كُل الاحترام اللازِم، وبمُجرَّد أن نهبط في أي مكان، سنضع السجل كاملًا تحت تصرُّف القوَّات البحرية الفضائية المريخية حتى يتمكَّنوا من القيام بذلك بشكلٍ رسمي».

أومأ أليكس برأسه قائلًا: «سنقوم بذلك بشكلٍ صحيحٍ يا سيدي».

***

أجاب فريد جونسون رسالته بسُرعةٍ شديدةٍ لدرجة أن هولدن تساءل عمَّا إذا كان يجلس في محطَّته بانتظارها. تألَّفت رسالة جونسون من إحداثيات وكلمة (حزمة نقل بيانات). صوَّب هولدن مجموعة الليزر إلى الموقِع المُحدَّد -كان نفس الموقِع الذي أرسَل منه فريد رسالته الأولى- ثُم شغَّل ميكروفونه قائلًا: «فريد؟».

كانت الإحداثيات التي تلقَّاها على بُعد أكثر من إحدى عشرة دقيقة ضوئية. استعدَّ هولدن للانتظار اثنتي عشرة دقيقة لتلقي الرد. قام بإرسال الموقِع إلى قُمرة القيادة من أجل القيام بشيءٍ ما، وأخبر أليكس أن

يطير في ذلك الاتجاه بتسارُع مقداره واحد (ج) في الثانية بمُجرَّد أن ينتهي من أمر المُلازِم كيلي.

شعر بقوة الدفع بعد عشرين دقيقة، وصعدت ناعومي على السلم. خلعت بدلتها الفضائية وارتدت بدلة المريخ الحمراء التي كان أقصر منها بنصف قدم وأكبر من قياسها بثلاث مرَّات. بدا وجهها وشعرها أكثر نظافةً.

قالت: «هذه المركبة تحتوي على صنبور استحمام. هل يُمكِننا الاحتفاظ بها؟».

- «كيف سارَ الأمر؟».
- «لقد تدبرنا أمره. كان هناك مستودَع بضائع بحجمٍ لائِق بالأسفل بجوار غُرفة المُحرِّكات. لقد وضعناه هناك حتى نجد طريقة ما لنُرسله إلى وطنه. لقد أغلقت خاصيَّة التكيُّف البيئي هناك؛ كي يبقى محميًّا».

مدَّت يدها، وأسقطت مُكعبًا أسود صغيرًا في حجره.

قالت: «كان هذا في جيب تحت درعه».

أمسك هولدن بالشيء، بدا وكأنه جهاز تخزين بيانات من نوعٍ ما.

سألها: «هل يُمكنك معرفة ما يوجد بداخله؟».

- «بالتأكيد، امنحني بعض الوقت».
- «ماذا عن أموس؟».

قالت ناعومي: «ضغط الدم ثابِت، لا بُدَّ أن هذا شيء جيد».

رنَّ جهاز الاتصالات، وبدأ هولدن التشغيل.

صدح صوت فريد وهو يقول: «لقد بدأت أخبار (دوناجير) تنتشِر كالنار في الهشيم في الشبكات يا جيم. أعترِف أنني مُندهِش للغاية بسبب اتصالكم، ما الذي يُمكِنني أن أفعله من أجلكم؟».

صمت هولدن للحظةٍ وهو يُجهِّز رده في دماغه أولًا. كان تشكُّك فريد واضحًا؛ لكنه كان قد أرسل لهولدن كلمة مُفتاحيَّة لاستخدامها لهذا السبب بالضبط.

- «بينما أصبح أعداؤنا في كُل مكان، أصبحت قائمة أصدقائنا قصيرة نوعًا ما يا فريد. في الواقِع، أنت الوحيد -تقريبًا- في هذه القائِمة. نحن على متن مركبة مسروقة... ».

سعل أليكس ليلفت انتباهه.

استمرَّ هولدن في الحديث: «نحن على متن مركبة إنقاذ بحرية مريخيَّة مُسلَّحة، أنا بحاجةٍ إلى طريقة لإخفاء هذه الحقيقة، أحتاج إلى مكانٍ أذهب إليه دون أن يُطلِقوا النار عليَّ بمُجرَّد ظهوري. ساعدني في القيام بذلك».

مرَّت نصف ساعة قبل أن يأتيه الرد.

قال فريد: «لقد أرفقت ملف بيانات في قناةٍ فرعيةٍ، فيه رمز الإرسال والاستقبال الجديد الخاص بكم، وتوجيهات حول كيفية تثبيته، سيتم تسجيل الرمز في جميع السجلات. إنه شرعي. كما يحتوي الملف على إحداثيات ستوصِّلك إلى ميناءٍ آمنٍ، سألاقيك هناك، لدينا الكثير لنتحدَّث عنه».

قالت ناعومي: «رمز إرسال واستقبال جديد؟ كيف حصلت (أوبا) على رموز إرسال واستقبال جديدة؟».

قال هولدن: «سواء اخترقوا البروتوكولات الأمنيَّة لتحالُف الأرض والمريخ، أو لديهم جاسوس في مكتب التسجيل، وفي كلتا الحالتين، لقد أصبحنا نلعَب مع الكِبار الآن».

(١٦)
ميلر

شاهَد ميلر البث القادِم من المريخ مع بقية المحطَّة. اكتَسَت المنصَّة باللون الأسود، وهو الأمر الذي كان بمنزلة علامة سيئة. تم تعليق علم مجلس الجمهورية المريخي الذي رصَّعته نجمة واحد وثلاثين شريطًا في الخلفية، ليست مرَّة واحدة، بل ثماني مرَّات، وهو ما كان أسوأ.

قال رئيس المريخ: «لا يُمكِن أن يحدُث هذا دون تخطيط دقيق، كانت المعلومات التي سعوا إلى سرقتها ستُعرِّض أمن أسطول المريخ للخطر بطريقةٍ عميقةٍ وجوهريةٍ. لقد فشلوا في مسعاهم؛ لكن الثمن كان أرواح ألفين وستة وثمانين مريخيًّا. كان الحزام يُخطِّط لهذا العدوان منذ سنوات طويلة على الأقل».

لاحظ ميلر ما قاله، لقد قال الحِزام، ليس (أوبا)؛ بل الحزام.

«شهدنا ثلاثين عملية توغُّل داخِل مراكِز مركبات وقواعِد المريخ الأمنية، في الأسبوع الذي أعقَب أول خبر عن ذلك الهجوم، بما في ذلك محطَّة بالاس. إذا ضاعَت هذه المصافي، فقد يُعاني اقتصاد المريخ من أضرار لا رجعة فيها. ليس لدينا خيار في مواجهة قوَّة حرب العصابات المُسلَّحة والمُنظَّمة سوى فرض طوق عسكري على محطَّات، وقواعد،

ومركبات الحزام. أصدَر المجلس أوامر جديدة لجميع العناصِر البحرية الفضائية غير المُشاركة حاليًا في مهام التحالُف النشِطة، ونأمل أن يوافِق إخوتنا وأخواتنا على الأرض على مناورات التحالُف المُشتركة بأقصى سُرعة مُمكِنة.

تتمثَّل المهمة الجديدة للبحرية الفضائية المريخية في تأمين سلامة جميع المواطنين الشرفاء؛ لتفكيك البنية التحتية للأشرار الذين يختبؤون حاليًا في الحزام، وتقديم المسؤولين عن هذه الهجمات إلى المُحاكمة، كما يُسعدني أن أقول إن إجراءاتنا الأوليَّة قد أدَّت إلى تدمير ثماني عشرة مركبة حربيَّة غير شرعيَّة و..»

قام ميلر بإيقاف البث، كان هذا هو الأمر إذن، أصبحت الحرب السريَّة تدور في العَلَن الآن. كان الأب ماو مُحقًّا في رغبته في إخراج جولي من الأمر؛ لكن فات الأوان. ستضطر ابنته الحبيبة للمُخاطرة بفُرصها، تمامًا مثل أي شخص آخر.

لا بُدَّ أن هذا يعني حظر التجوُّل وتعقُّب الأفراد على أقل تقدير في جميع أنحاء محطة سيريس. كانت المحطَّة مُحايدة بشكلٍ رسمي. لم تكُن ملكًا لـ (أوبا) أو لأي جهة أخرى. بينما كانت ستار هيليكس شركةً تابعةً للأرض، وليست مُلزَمة بأي تعاقُد أو مُعاهدة تجاه المريخ، وسيُبقي المريخ و(أوبا) معركتهما خارج المحطَّة في أحسن الأحوال، أو سيكون هناك المزيد من أعمال الشغب، والمزيد من الموت في سيريس في أسوأ الأحوال.

لا، لم يكُن هذا صحيحًا. ففي أسوأ الأحوال، قد يُصدِر المريخ أو (أوبا) بيانًا بإلقاء حجر أو حفنة من الرؤوس الحربيَّة النوويَّة، أو حتى بتفجير مُحرِّك اندماج مركبة راسية، وإذا ما خرجت الأمور عن السيطرة،

فقد يعني هذا وفاة ست أو سبع ملايين نسمة، ونهاية كُل ما يعرفه ميلر على الإطلاق، ومن الغريب أنه كاد يشعُر بالراحة.

ولأسابيع، كان ميلر يعرف. كان الجميع يعرف؛ لكن ذلك لم يحدُث بالفعل؛ ولذلك بدت كُل مُحادثة، وكُل نكتة، وكُل فُرصة تفاعل وإيماءة شبه مجهولة ولحظة مُهذَّبة من المزاح الخفيف في المترو وكأنها هروب من الواقِع. لم يكُن بإمكانه علاج سرطان الحرب، ولم يستطِع حتى إبطاء انتشاره؛ لكن على الأقل كان بإمكانه الاعتراف بحدوث ذلك. تمدَّد، وأكل آخر قضمة من خُثارته الفطرية، وشرب بقايا شيء لا يختلِف أبدًا عن القهوة، وتوجَّه للحفاظ على السلام في زمن الحرب.

حيَّته موس بإيماءةٍ غامضةٍ عندما وَصَل إلى مقر القسم، كانت اللوحة مليئة بالقضايا جرائِم لا بد من التحقيق فيها، وتوثيقها، وإغلاقها، ضعف عدد قضايا اليوم السابِق.

قال ميلر: «ليلة سيئة».

قالت موس: «كان يُمكِن أن تكون أسوأ».

– «حقًّا؟».

«كان يُمكِن أن تكون ستار هيليكس شركة مريخيَّة، على الأقل لا يتعيَّن علينا أن نقوم بعمل البوليس السري، طالما حافظت الأرض على حيادها».

– «وإلى متى تظنين أنه سيدوم؟».

سألته: «كم الساعة الآن؟ سأخبرك بشيء، عندما ينتهي هذا الحياد، سأحتاج للتوقُّف بجوار القلب. هناك ذلك الرجل الذي لم نتمكَّن من التغلُّب عليه عندما كُنت في قسم مُكافحة جرائِم الاغتصاب».

سألها ميلر: «ولماذا الانتظار؟ بإمكاننا أن نذهب، ونزيِّن جسده برصاصةٍ، ونعود قبل موعد الغداء».

قالت: «أجل؛ لكنك تعرف كيف تجري الأمور، نحاوِل أن نظل مُحترفين. على أي حال، إذا ما فعلنا ذلك، فسيتعيَّن علينا التحقيق في الأمر، ولا يوجد مكان لذلك على اللوحة».

جَلَسَ ميلر على مكتبه. كان هذا مُجرَّد حديث مهني. ذلك الحديث الجامِد الذي تقوم به عندما يكون يومك مليئًا بالعاهرات القاصِرات والمُخدرات الملوَّثة، وعلى الرغم من ذلك، كان التوتُّر لا يزال يُسيطِر على أجواء القسم. ظهر ذلك في الطريقة التي تبادلوا بها الضحكات، وفي الطريقة التي تماسكوا بها. كانت هناك المزيد من جرابات المُسدسات ظاهرة للعيان أكثر من المُعتاد، كما لو أن إظهار أسلحتهم سيجعلهم يشعرون بالأمان.

سألته موس بصوتٍ خفيضٍ: «هل تعتقِد أن (أوبا) هي المسؤولة عن الأمر؟».

- «هل تقصدين تدمير (دوناجير)؟ من غيرهم يستطيع القيام بذلك؟ وبالإضافة إلى ذلك، ينسبون الفضل في ذلك إليهم».
- «بعضهم يفعل ذلك. هناك أكثر من (أوبا) هذه الأيام، حسبما سمعت. لا يعرِف تابعو المدرسة القديمة الكثير عن أي من هذا. يشعرون جميعًا بالخوف الشديد، ويحاولون تعقُّب فرق القراصِنة التي تنسب الفضل إليها في ذلك».

سألها ميلر: «حتى يتمكَّنوا من فعل ماذا؟ يُمكنكِ إغلاق كُل فم ثرثار في الحزام؛ لكن ذلك لن يُغيِّر أي شيء».

نظرت موس إلى اللوحة قبل أن تقول: «إذا حدث انقسام داخِل (أوبا)، على الرغم من... ».

إذا حدث انقسام داخِل (أوبا)، فإن اللوحة كما يرونها الآن لن تعني شيئًا. عاش ميلر خلال حربي عصابات كبيرتين. الأولى عندما غيَّرت عصابة لوكا جريجا مكانها، ودمَّرت عصابة آريان فلايرز، ثُم عندما انقسمت عصابة الغُصن الذهبي. كانت (أوبا) أكبر، وأكثر لؤمًا، وأكثر احترافيةً من أي منهم. ستدور رحى حرب أهلية داخِل الحزام.

قال ميلر: «قد لا يحدُث ذلك».

خرجت شاديد من مكتبها، مسحَت مقر القسم بعينيها، خفتت حدَّة المُحادثات، التقت عيناها بعيني ميلر، قامت بإيماءةٍ حادةٍ تعني: إلى المكتب.

قالت موس: «لقد تمَّ القبض عليك».

جلس أندرسون دوز مُسترخيًا على أحد المقاعِد بداخِل المكتب. شعر ميلر بجسده يتشنَّج عندما استقرَّت هذه المعلومات في مكانها. المريخ والحزام في صراعٍ مُسلحٍ مفتوحٍ، ويُمثِّل (أوبا) على متن سيريس يجلِس مع نقيب قوَّة الأمن.

قال لنفسه: هذا ما تبدو عليه الأمور إذن.

قالت شاديد وهي تجلس في مقعدها: «أنت تعمَل في قضية ماو». لم تعرِض على ميلر خيار الجلوس، لذا شبَّك يديه خلفه.

قال: «لقد أسندتِها إليّ».

قالت: «وأخبرتك أنها ليست أولوية».

قال ميلر: «لم أوافِق على ذلك».

ابتسم دوز. لقد كان تعبيرًا دافئًا بشكلٍ مُدهشٍ، مُقارنةً مع تعبير وجه شاديد.

قال دوز: «أنت لا تفهم ما يحدث هنا أيها المُحقِّق ميلر. نحن نجلس على مكوك ضغط، وأنت لا تنفك تضربه بفأسٍ، يجب أن تتوقَّف عن القيام بذلك».

قالت شاديد: «أنت معفي من التحقيق في قضية ماو، هل تفهم ذلك؟ أنت خارج هذا التحقيق بشكلٍ رسمي اعتبارًا من الآن، وإذا ما قُمت بأي تحقيقات إضافية، فسأقوم بمُعاقبتك بسبب العمل خارِج نطاق القضايا الخاصَّة بك، وسوء استخدام موارِد ستار هيليكس، كما أنك ستُعيد لي أي مواد تتعلَّق بالقضية، وستقوم بمسح أي بيانات لديك في قسمك الشخصي، وستفعل ذلك قبل نهاية الوردية».

دار دماغ ميلر؛ لكن وجهه ظلَّ ثابتًا، كانت تأخُذ جولي بعيدًا، ولم يكُن ليسمَح لها بذلك، كان هذا مُعطى؛ لكنه لم يكُن المُشكلة الأساسية.

قال: «لديَّ بعض التحقيقات تجري حاليًا... ».

قالت شاديد: «لا، ليس لديَّ شيء، كانت رسالتك الصغيرة إلى والديها خرقًا للسياسة، فأي اتصال مع حملة الأسهُم يجب أن يتم من خلالي».

قال ميلر: «هل تخبرينني أنها لم تصل إليهما؟». وكان يقصِد: هل تُراقبينني؟

قالت شاديد: «لم تصِل». وكانت تقصِد: أجل، أنا أراقبك، ماذا ستفعل حيال ذلك؟

ولم يكُن هناك أي شيء يُمكِنه فعله.

قال ميلر: «ماذا عن تفريغ استجواب جيمس هولدن؟ هل خرج هذا قبل أن... ».

قبل أن تُدمِّر (دوناجير)، لتأخُذ معها الشهود الأحياء على ما حدث لـ (سكوبيولي) وإغراق النظام في الحرب؟ كان ميلر يعرف أن السؤال بدا وكأنه أنين، انقبض فكا شاديد، لم يكُن ليتفاجأ إذا ما سمع صوت طحين أسنانها، قرَّر دوز أن يكسر هذا الصمت.

قال: «أعتقِد أن بإمكاننا أن نجعل هذا أسهل قليلًا، إذا ما كُنت قد سمعتك بشكلٍ صحيحٍ أيها المُحقِّق، فأنت تعتقِد أننا ندفن القضيَّة، لا نفعل ذلك؛ ولكن ليس من مصلحة أي شخص أن تكون ستار هيليكس هي الجهة التي ستجد الإجابات التي تبحث عنها. فكِّر في الأمر. فربما تكون أنت من سُكَّان الحِزام؛ لكنك تعمل في مؤسَّسةٍ أرضيةٍ، وفي الوقت الحالي، فالأرض هي القوَّة الرئيسية الوحيدة التي لا تنتمي لجهةٍ ما، القوَّة الوحيدة التي يُمكِنها التفاوُض مع جميع الأطراف».

قال ميلر: «ولماذا لا يريدون معرفة الحقيقة إذن؟».

قال دوز: «ليست هذه هي المُشكلة، المُشكلة أن ستار هيليكس والأرض لا يُمكِن أن تتورَّطا في الأمر بطريقةٍ أو بأخرى. يجب أن تظلا على الحياد، وستؤدي هذه المُشكلة إلى إلغاء عقدكم. جولييت ماو ليست على متن سيريس، وربما كان هناك وقت كان بإمكانك القفز فيه على متن مركبة مُسافِرة إلى أي مكان ستجدها فيه وتقوم بعملية الاختطاف؛ لتقوم بتسليمها، أو استخلاصها، أو أي كان ما تطلقونه على الأمر؛ لكن فات أوان هذا العمل. ستار هيليكس هي سيريس، وهي جزء من جانيميد،

من بضع عشرات من كويكبات المستودعات. وإذا ما غادرت ذلك، فأنت ذاهِب إلى منطقة العدو».

قال ميلر: «لكن (أوبا) ليست كذلك».

أومأ دوز برأسه قائلًا: «لدينا الموارِد اللازِمة للقيام بذلك بشكلٍ صحيحٍ، إن ماو واحدة منا. و(سكوبيولي) واحدة من مركباتنا».

قال ميلر: «كما أن (سكوبيولي) كانت الطعم الذي تسبَّب في تدمير (كانتيربيري)، و(كانتيربيري) كانت الطعم الذي تسبَّب في تدمير (دوناجير). فلماذا بالتحديد سيكون أي شخص أفضل حالًا إذا كُنت أنت الوحيد الذي تُحقِّق في شيء ما ربما تكون قد قُمت به؟».

قال دوز: «هل تعتقِد أننا فجَّرنا (كانتيربيري)؟ أن (أوبا) هو من فعلها بمركباته الحربية المريخية الحديثة؟».

- «لقد أخرجتم (دوناجير) حيث يُمكِن مُهاجمتها. لن يُمكِن لأحد أن يصعد على متنها، لو ظلَّت مع الأسطول».

تجهَّم وجه دوز.

قال: «هذه مُجرَّد نظريات مؤامرة يا سيد ميلر، لم نكُن لنخسر، إذا ما كان بإمكاننا إخفاء مركبة حربية مريخية».

- «لقد كان لديكم ما يكفي لتدمير (دوناجير) بست مُقاتِلات فحسب».
- «لا، لم نفعل. تكشِف نُسختنا من تدمير (دوناجير) عن ذهاب مجموعة كامِلة من مركبات التنقيب غير النظامية المُحمَّلة بالأسلِحة النووية في مُهمةٍ انتحاريةٍ. لدينا الكثير والكثير من الموارِد. ولم يكُن ما حدث لـ (دوناجير) جزءًا منها».

لم يكسر الصمت سوى همهمة جهاز إعادة تدوير الهواء. عقد ميلر ذراعيه.

قال: «لكن... لا أفهم، إن لم تكُن (أوبا) هي من بدأت ذلك، فمن الذي فعلها؟».

قالت شاديد: «هذا ما يُمكِن أن تُخبرنا به جولييت ماو وطاقم (سكوبيولي)، هذه هي الأسئلة المطلوب إجابتها يا ميلر. من ولماذا وكيف بحق المسيح سنتمكَّن من إيقافه».

قال ميلر: «ولا تُريد أن تجدهم؟».

قال دوز: «لا أريدك أنت أن تجدهم، ليس في حالة وجود شخص آخر يستطيع القيام بذلك بشكلٍ أفضل».

هزَّ ميلر رأسه. كان يتمادى في الأمر، وكان يعرف ذلك، وعلى صعيدٍ آخرَ، فقد يُخبرك التمادي بشيءٍ ما كذلك.

قال: «أنا لا أُباع».

قالت شاديد: «لا يجب عليك أن تُباع، فهذه ليست مفاوضات، لم نُحضرك إلى هنا لنطلُب منك معروفًا لعينًا، أنا رئيستك في العمل، وهذا ما آمرك به، هل تُميِّز هذه الكلمات؟ آمُرك... به».

قال دوز: «هولدن لدينا».

قال ميلر وشاديد في آنٍ واحدٍ: «ماذا؟». قبل أن تقول شاديد: «ليس من المُفترض أن تتحدَّث عن ذلك».

رفع دوز ذراعه نحو شاديد في تعبيرٍ جسدي خاص بالحزام يتمثَّل في إخبار شخص ما بالتزام الهدوء، ولدهشة ميلر، فقد انصاعَت لما أمرها به رجل الـ(أوبا).

- «هولدن لدينا، لم يمُت هو وطاقمه، وهُم على وشك أن يكونوا في عهدة (أوبا)، وربما كانوا في عهدتنا بالفعل. هل تفهم ما أقوله أيها المُحقِّق؟ هل تفهم وجهة نظري؟ يُمكِنني إجراء هذا التحقيق لأن لديَّ الموارِد اللازِمة للقيام بالأمر، بينما لا يُمكِنك حتى معرفة ما حدث لمُعدَّات مُكافحة الشغب الخاصَّة بك».

كانت هذه صفعةً على وجهه. نظر ميلر إلى حذائه. لقد نكث عهده مع دوز بشأن ترك القضية، بينما لم يطرح الرجل ذلك الأمر حتى الآن. كان عليه أن يُعطي (أوبا) نقاطًا مؤثرةً على ذلك، وبالإضافة إلى ذلك، إذا كان جيمس هولدن لدى دوز حقًّا، فلن تكون هناك فرصة لوصول ميلر إلى الاستجواب.

كان صوت شاديد لطيفًا بشكلٍ مُدهشٍ عندما تحدَّثت.

قالت: «حدثت ثلاث جرائِم قتل بالأمس، وتمَّ اقتحام ثمانية مستودعات، على الأرجح من قِبل نفس المجموعة من الأشخاص، لدينا ست أشخاص مُصابين بانهيارٍ عصبي في عنابِر المُستشفيات في جميع أنحاء المحطَّة بسبب مجموعة سيئة من بسيدوهيروين الاستحمام. المحطَّة بأكملها غارقة في حالةٍ من التوتُّر، هناك الكثير من الأشياء الجيدة التي يُمكِنك القيام بها يا ميلر. اذهب واقبض على بعض الأشرار».

قال ميلر: «بالتأكيد أيتها النقيب، يُمكِنك المُراهنة على ذلك».

اتكأت موس على مكتبها في انتظاره بذراعين معقودين، وعيون يسكنهما الضجر تحدقّان به مثلما كانت جُثة دوس سانتوس المُعلّقة في جدار الممر تنظر له.

سألته: «وغد جديد؟».

- «أجل».
- «كاد الأمر يقترِب من نهايته. أعطِه الوقت فحسب. لقد حصلت لنا على جريمة قتل، تم تفجير رأس مُحاسِب متوسّط المستوى في شركة (ناووبي - شيرز) خارِج حانة، بدا الأمر مُمتعًا».

أخرج ميلر جهازه اللوحي، وأخذ البيانات الأساسية؛ لكنه لم يكُن مُهتمًا بالأمر.

قال: «لديَّ سؤال يا موس».

- «تفضَّل».
- «ماذا تفعلين عندما تتولين قضية لا تريدين حلَّها؟».

عبست شريكته الجديدة، أمالت رأسها، وهزَّت يديها.

قالت: «أسلِّمها لأحد المُستجدين، كان هناك رجل عندما كُنت في قسم الجرائم ضد الأطفال، كُنَّا نعطيه القضايا دائمًا عندما نعرف أن الجاني هو أحد المُخبرين الخاصِّين بنا».

قال ميلر: «حسنًا».

أكملت موس حديثها قائلةً: «أما في هذا الصدد، فسأحتاج لشخصٍ ما ليتولى أمر الشريك السيئ، وأفعل الشيء نفسه، كما تعرف، شخص ما

لا يُحب أحد العمل معه؟ لديه رائِحة نفس سيئة أو شخصية كريهة أو أي كان؛ لكنه بحاجةٍ إلى شريكٍ؛ لذلك السبب اخترت الرجل الذي ربما كان جيدًا، قبل أن يحصُل على الطلاق، وبدأ في شُرب الخمر، الرجل الذي لا يزال يعتقِد أنه ماهِر في عمله، يتصرَّف بهذه الطريقة باستثناء أن أرقامه ليست أفضل من أرقام أي شخص آخر، أعطه القضايا السيئة، والشريك السيئ».

أغلق ميلر عينيه وشعر بألمٍ في معدته.

سألها: «ماذا فعلتِ؟».

قالت موس: «كي ينتهي بي الأمر معك؟ قام أحد القدامى بالتقرُّب مني فصددته».

- «إذن فأنتِ عالقة معي».

قالت موس: «أجل، بحقك يا ميلر. كان عليك أن تعرف، فأنت لست غبيًّا».

كان يجب أن يعرف أنه محط سُخرية مقر القِسم، الرجل الذي اعتاد أن يكون جيدًا، قبل أن يفقد رباطة جأشه.

لا، في الواقِع لم يكُن عليه أن يعرف ذلك. فتح عينيه، لم تبدُ موس سعيدةً أو تعيسةً، مسرورةً بألمه أو حزينةً عليه بشكلٍ خاصٍّ. كان كُل هذا مُجرَّد عمل بالنسبة لها، الموتى، والجرحى، والمُصابون، لم تهتَم، كان عدم الاهتمام هو طريقتها في مرور يومها.

قال ميلر: «ربما ما كان يجب أن تصديه».

قالت موس: «أنت لست بهذا السوء، كما أنه كان لديه شعر في ظهره، وأنا أكره شعر الظهر».

قال ميلر: «سعيد لسماع ذلك، لنذهب لتحقيق بعض العدالة».

***

قال الوغد: «أنت ثمِل».

قال ميلر وهو يطعن الهواء بإصبعه: «أنا شُرطي، لا تعبث معي».

- «أعرِف أنك شُرطي، لقد اعتدت أن تأتي إلى حانتي لُمدة ثلاث سنوات. هذا أنا. حسيني، وأنت ثمِل يا صديقي، ثمِل بشكلٍ خطيرٍ حقًّا».

نظر ميلر حوله. لقد كان في حانة الضفدع الأزرق بالفعل. لم يتذكَّر قدومه إلى هنا، وها هو ذا على الرغم من ذلك، وكان الوغد هو حسيني بعد كُل شيء.

قال ميلر: «أنا... ». لكنه فَقَدَ تسلسُل أفكاره.

قال حسيني وهو يُحيطه بذراعه: «تعالَ، سأعيدك إلى المنزِل، منزلك ليس ببعيد».

سأله ميلر: «كم الساعة؟».

- «مُتأخِّر».

كانت الكلمة تحمل مغزى عميقًا. مُتأخِّر. لقد كان مُتأخِّرًا. فاتته كُل طُرق تصحيح الأمور بشكلٍ أو بآخرَ. كان النظام في حالة حرب، ولم يكُن أحد يعرف السبب. سيبلُغ ميلر الخمسين من عُمره في شهر يونيو القادِم. لقد كان مُتأخِّرًا. مُتأخِّرًا على البدء من جديد. مُتأخِّرًا في إدراك

عدد السنوات التي قضاها وهو يسير في الطريق الخاطئ. قاده حسيني نحو عربة كهربائية احتفظت بها الحانة لُمناسباتٍ مثل هذه. هاجمته رائِحة الشحوم الساخِنة القادِمة من المطبخ.

قال ميلر: «انتظر».

سأله حسيني: «هل ستتقيأ؟».

فكَّر في الأمر للحظةٍ. لا، لقد كان مُتأخِّرًا على التقيؤ. ترنَّح للأمام. أعاده حسيني إلى العربة، وشغَّل المُحرِّكات، وتوجَّهوا مصحوبين بأنينٍ نحو الممر. كانت الأضواء خافتةً فوقهم. اهتزَّت العربة أثناء بمرورها بتقاطعٍ تلو الآخر، أو ربما لم تفعل، ربما كان هذا جسده فحسب.

قال: «كُنت أعتقِد أنني جيد. كُنت أعتقِد أنني على الأقل جيد طوال هذا الوقت».

قال حسيني: «أنت تُبلي حسنًا، لقد حصلت على وظيفةٍ سيئةٍ فحسب».

- «لقد كُنت أُبلي حسنًا فيها».

كرَّر حسيني: «أنت تُبلي حسنًا ». كما لو أن قول تلك الجُملة سيجعلها حقيقية.

استلقى ميلر على فراش العربة. غُرس قوس العجلة البلاستيكي عميقًا في جانبه. آلمه هذا؛ لكن الحركة كانت ستتطلَّب الكثير من الجُهد، والتفكير يتطلَّب الكثير من الجُهد. لقد نجح في اجتياز يومه، وموس بجواره. كان قد قام بتسليم البيانات والمواد الخاصَّة بجولي، ولم يكُن لديه ما يستحِق أن يعود إلى غُرفته من أجله، أو ليعود إلى أي مكان آخر.

تداخَلت الأضواء داخِل وخارِج مجال رؤيته. تساءل عمّا إذا كان هذا هو الشكل الذي يبدو عليه النظر إلى النجوم. لم ينظُر إلى السماء قط. ألهمته الفكرة دوارًا مُحدَّدًا. بينما كان شعور الرُّعب اللا مُتناهي لطيفًا بعض الشيء.

سأله حسيني عندما وصلا إلى غُرفة ميلر: «هل هناك أي شخص يُمكِنه الاعتناء بك؟».

- «سأكون بخير. لقد... مررت بيومٍ سيئ فحسب».

قال حسيني وهو يومأ برأسه: «جولي».

سأله ميلر: «كيف عرفت بشأن جولي؟».

قال حسيني: «لقد كُنت تتحدَّث عنها طوال الليل، إنها فتاة وقعت في غرامها، أليس كذلك؟».

أبقى ميلر يده على العربة عابسًا. جولي. كان يتحدَّث عن جولي. كان هذا كُل ما في الأمر. لا يتعلَّق الأمر بوظيفته، ولا بسُمعته. لقد سلبوه جولي. قضيته الخاصَّة. القضية التي يهتم بشأنها.

قال حسيني: «أنت مُغرَم بها».

قال ميلر: «أجل، نوعًا ما». شقَّ شيء مثل الوحي طريقه عبر الكحول، أضاف: «أعتقِد أنني مُغرَم بها».

قال حسيني: «هذا من سوء حظِّك».

(١٧)
هولدن

كانت منطقة مطبخ (تاتشي) تحتوي على مطبخٍ كاملٍ، وطاولة بمساحةٍ تكفي لاثني عشر شخصًا، كما أنها كانت تحتوي على وعاء قهوة كبير الحجم يُمكِنه تحضير أربعين كوبًا من القهوة في أقل من خمس دقائِق، سواء كانت المركبة في حالة انعدام جاذبية، أو حتى تنطلِق بقوى تسارُع قدرها (خمسة ج). تلا هولدن صلاة شُكر صامِتة على الميزانيات العسكرية المُتضخِّمة وضغط زر التحضير. كان عليه أن يكبح جماح نفسه عن التمسيد على الغطاء الفولاذي المقاوِم للصدأ، بينما كان يُصدِر صوت تقطير خافِت.

بدأت رائِحة القهوة تحتل الهواء، وتتنافَس مع رائِحة خبز أيًّا كان ما وضعه أليكس في الفُرن. بينما انهمك أموس في الدوران حول المنضدة وهو يضع جبيرته الجديدة، وهو يوزِّع أطباقًا بلاستيكية وأدوات مائِدة فضيَّة معدنيَّة حقيقية، أما ناعومي فكانت تخلِط شيئًا ما تفوح منه رائِحة الثوم بالحُمُّص. تولَّد لدى هولدن إحساس بالسلام والأمان عميق بما فيه الكفاية ليتركه مُسترخيًا، وهو يُشاهِد الطاقم يعمل في هذه المهام المنزليَّة.

كانوا في حالة فرار لأسابيع حتى الآن، مُطارَدين طوال الوقت بمركبةٍ غامضةٍ أو بأخرى. وللمرَّة الأولى منذ تدمير (كانتيربيري)، لم يكُن أحد يعرف مكانهم. لا أحد يُطالِبهم بأي شيء. وطبقًا لما فهمه النظام الشمسي؛ فقد كانوا ضحايا من بين الآلاف الذين كانوا موجودين على متن (دوناجير). ذكَّرته رؤية قصيرة لرأس شيد وهو يختفي مثل خدعة سحريَّة مروعة بأن أحد أفراد طاقمه على الأقل سَقَط ضحية. ومع ذلك، فقد كان شعورًا جيدًا أن يُصبِح سيد قراره مرَّة أخرى، حتى إن الندم لم يستطع أن يسلُبه منه بالكامِل.

رنَّ جهاز المؤقِّت، فأخرَج أليكس صينية مُغطَّاة بخبزٍ رقيقٍ مُسطَّحٍ، وبدأ يقطعه إلى شرائح، بدأت ناعومي تفرِد عليها معجونًا يبدو في الواقِع مثل الحُمُّص قبل أن يضعه أموس في الأطباق الموزَّعة حول المنضدة، بينما صبَّ هولدن قهوة طازجة في أكوابٍ تحمِل اسم المركبة على جانبها، ووزعها عليهم. كانت هناك لحظة محُرِجة، بينما كان الجميع يحُدِّقون في المنضدة المُنظَّمة بدقةٍ دون أن يتحرَّكوا قيد أنملة، وكأنهم يخشون تدمير كمال المشهَد.

أنهى أموس الأمر بقوله: «أنا جائع كذُبٍّ لعينٍ». ثُمَّ جلس بدوي عالٍ مُستكمِلًا حديثه: «ليُمرِّر لي شخص ما هذا الفلفل، بعد إذنكم؟».

لم يتحدَّث أحد لعدَّة دقائِق؛ تناولوا طعامهم فحسب. قضم هولدن قضمةً صغيرةً من الخبز المُسطَّح المُغطى بالحُمُّص، أصابته النكهات القويَّة بالدوار بعد أسابيع من تناوُل ألواح البروتين التي لا طعم لها قبل أن يحشوها في فمه بسُرعةٍ كبيرةٍ لدرجة أن غُدده اللعابيَّة انفجرت بألمٍ شديدٍ. نظر حول المنضدة محُرجًا؛ لكن الجميع كانوا يأكلون بنفس السرعة، فتخلى عن الكياسة وصبَّ تركيزه على الطعام، وعندما أنهى الفُتات

الأخير الموجود في طبقه، استرخى للخلف بتنهيدةٍ، على أمل أن تستمِر القناعة لأطوَل فترة مُمكِنة، ارتشف أليكس قهوته بعينين مُغمضتين. بينما أكل أموس آخر قضمة حُمُّص موجودة في وعاء التقديم بملعقته. أما ناعومي فرمقت هولدن بنظرةٍ ناعسةٍ من عينيها نصف المُغلقتين فبدت فجأة مُثيرة للغاية. نحى هولدن هذه الفكرة جانبًا ورفع كوبه.

قال: «لمُشاة البحرية الفضائية التابعين لكيلي. الأبطال حتى النهاية، ليرحمهم الله».

ردَّد جميع من حول المنضدة: «لمُشاة البحرية الفضائية». ثُم صدح دوي قعقعة الأكواب قبل أن يشربوا.

رَفَعَ أليكس كوبه قائلًا: «إلى شيد».

قال أموس بصوتٍ خافتٍ: «أجل، إلى شيد، ليحترِق الأوغاد الذين قتلوه في الجحيم، بجوار الأحمق الذي دمَّر (كانت) مُباشرةً».

تعكَّر المزاج العام على الطاولة، وشعر هولدن أن اللحظة الهادِئة تتلاشى بهدوءٍ كما حلَّت.

قال: «أخبرني عن مركبتنا الجديدة إذن يا أليكس؟».

- «إنها حُلوة يا قُبطان، لقد أسرعت بها على سُرعة (١٢ ج) لمُدَّة نصف ساعة تقريبًا عندما غادرنا (دوني)، إنها تقر مثل القطة طوال الوقت. كما أن كُرسي الطيَّار مُريح للغاية».

أومأ هولدن برأسه.

سأله: «هل واتتك الفُرصة لتُلقي نظرة على غُرفة المُحرِّكات الخاصَّة بها بعد يا أموس؟».

أجابه الميكانيكي: «أجل، نظيفة كالصفَّارة، ستكون هذه حفلة مُمِلَّة لعاشقٍ للشحم مثلي».

قال هولدن: «لا بأس بقليلٍ من الملل، ما رأيك يا ناعومي؟».

ابتسمت وهي تقول: «أنا أحبُّها، لديها أفضل صنابير استحمام رأيتها على متن مركبة بهذا الحجم، وبالإضافة إلى ذلك، فهي تحتوي على مرفق طبي رائع حقًّا به نظام محوسَب خبير يعرف كيفية مُعالجة المُشاة المُصابين، كان لا بد لنا من العثور عليه عوضًا عن مُعالجة أموس بأنفسنا».

ضرب أموس جبيرته بعُقلة إصبع قبل أن يقول: «لقد قُمتما بعملٍ رائعٍ يا مُديرة».

نظر هولدن من حوله إلى طاقمه النظيف ومرَّر يده في شعره، دون أن يسحبها بعيدًا وهي مُغطاة بالشحم للمرَّة الأولى منذ أسابيع.

- «أجل، الاستحمام، وعدم الاضطرار لمُعالجة ساق مكسورة يبدوان أمرين جيدين، هل من شيءٍ آخرَ؟».

أمالت ناعومي رأسها للخلف، تحرَّكت عيناها كما لو كانت تقوم بقراءةٍ سريعةٍ لقائمة في عقلها.

قالت: «لدينا خزَّان ماء مُمتلئ، والحاقِنات تحتوي على كُريات وقود تكفي لتشغيل المُفاعِل لمُدَّة ثلاثين عامًا تقريبًا، والمطبخ مُجهَّز بالكامِل، سيتحتَّم عليك أن تُقيِّدني هنا إذا كُنت تُخطِّط لإعادتها إلى البحرية الفضائية، أنا أحبُّها».

قال هولدن مُبتسمًا: «إنها مركبة صغيرة بارِعة، هل حظيت بفُرصةٍ للنظر إلى الأسلِحة؟».

قالت ناعومي: «أنبوبان وعشرون صاروخًا بعيدو المدى، مزوَّدة برؤوسٍ حربيةٍ تحتوي على بلازما، أو على الأقل، هذا ما يقوله الكتالوج. يقومون بتلقيم هؤلاء من الخارِج؛ لذلك لا يُمكِنني التحقُّق بشكلٍ مادي دون تسلُّق الهيكل».

قال أليكس: «تقول لوحة الأسلِحة نفس الشيء يا قبطان، وبحمولاتٍ كاملةٍ في جميع المدافِع باستثناء... ».

باستثناء الدفقة التي أطلقتها على الرجال الذين قتلوا جوميز.

قالت ناعومي: «وأيضًا أيها القُبطان، عندما وضعنا كيلي في عنبر الشحن، وجدت صندوقًا كبيرًا بالحروف (حـ. هـ. مـ) على جانبه، ووفقًا للكتالوج، فهذه الحروف تعني: (حزمة هجوميَّة محمولة)، وطبقًا للُغة البحرية فهذا يعني صندوق أسلِحة كبيرًا».

قال أليكس: «أجل، إنها مُعدَّات كامِلة تكفي لثمانية من مُشاة البحرية الفضائية».

قال هولدن: «حسنًا، إذن فبوجود مُحرِّك إبشتاين الخاص بالأساطيل، لدينا أقدام، وإذا كُنتم على حقٍّ بخصوص الأسلِحة المُحمَّلة، فلدينا أنياب أيضًا. السؤال التالي: ماذا سنفعل بها؟ أنا أميل إلى قبول عرض اللجوء المُقدَّم من العقيد جونسون. هل من مُقترحاتٍ؟».

قال أموس: «أنا أؤيِّد ذلك بشكلٍ كُلي يا قُبطان، لطالما اعتقدت أن سُكَّان الحِزام لا يحظون بالعدالة، أعتقِد أنني سأصبح ثوريًّا لبعض الوقت».

سألت ناعومي مُبتسمةً: «ثِقَل رجال الأرض يا أموس؟».

- «ماذا يعني هذا بحق اللعنة حتى؟».

قالت: «لا شيء، أغيظك فحسب، أعلم أنك تُحِب جانبنا لأنك تُحب سرقة نسائنا فحسب».

بادلها أموس الابتسامة، فَهِمَ تورطه في النكتة فجأة.

قال: «حسنًا، فنساؤكم لديها أقدام أطوَل لترتفِع في الهواء».

قال هولدن وهو يرفع يده: «حسنًا، هذا يكفي، إذن صوتان لقبول عرض فريد، هل من أي شخص آخر؟».

رفعت ناعومي يدها.

قالت: «أصوِّت لقبول عرض فريد».

سأل هولدن: «ما رأيك يا أليكس؟».

استرخى الطيَّار المريخي في مقعده وحكَّ رأسه.

قال: «ليس لدي مكان أحتاج للتواجُد فيه على وجه الخصوص، لذلك أعتقِد أنني سأبقى معكُم يا رفاق؛ لكن آمُل ألا يتحوَّل هذا إلى جولة أخرى من إخباري بما يجب القيام به».

قال هولدن: «لن يحدُث هذا، فلديَّ مركبة مزوَّدة بالأسلِحة الآن، وسأستخدمها في المرَّة القادِمة التي يأمُرني أحدهم فيها بالقيام بشيءٍ ما».

***

قام هولدن بجولةٍ مُتأنيةٍ طويلةٍ في مركبته الجديدة، فتح كُل باب، ونظر في كُل خزانة، وفَتح كُل لوحة، وقرأ كُل قراءة، وقف في غُرفة المُحرِّكات بجوار مُفاعِل الاندماج وأغلق عينيه، معتادًا على الاهتزاز اللا شعوري الذي يُحدثه، يُريد أن يشعُر بأي خطأ سيحدُث في قادِم الأوقات في عظامه قبل أن ينطلِق أي تحذير. توقَّف ولمس جميع الأدوات الموجودة

في ورشة الآلات المُجهَّزة جيدًا، ثُم تسلَّق إلى طابق الأفراد وتجوَّل في مقصورات الطاقم إلى أن وجد مقصورة أحبَّها، وأفسد ترتيب الفراش ليُظهر لهم أنه قد تمَّ حجزه، وجد مجموعة من البدلات التي تبدو مُناسبة لقياسه، ثُم نقلهم إلى الخزانة الموجودة في غُرفته الجديدة، أخذ حمامًا ثانيًا وترك الماء الساخِن يُدلك العقد التي تبلُغ من العُمر ثلاثة أسابيع والتي تسكُن ظهره، مرَّر أصابعه على طول الجدار، بينما كان يتجوَّل عائدًا إلى مقصورته، شاعرًا بنعومة الرغوة المقاوِمة للحريق والحِزام المُضاد للتشظي القابع فوق الجُزء العلوي من الحواجِز الصلبة المُدرَّعة، وعندما وَصَل إلى مقصورته، وجد أليكس وأموس قد استقرَّا في مقصورتيهما.

سألهما: «أي مقصورة اختارت ناعومي؟».

هزَّ أموس كتفيه وهو يقول: «ما زالت في غُرفة العمليات بالأعلى، تعبث بشيءٍ ما».

قرَّر هولدن تأجيل النوم لوهلةٍ، وركِبَ مصعد السلم -لدينا مصعَد!- للصعود إلى سطح العمليات. كانت ناعومي جالسةً على الأرض، وأمامها لوحة حاجِز مفتوحة وما يُشبه مئات الأجزاء الصغيرة، والأسلاك تقبع حولها في أنماطٍ دقيقةٍ، وكانت تُحدِّق في شيءٍ ما داخِل اللوحة المفتوحة.

- «مرحبًا يا ناعومي، يجب أن تحظي بقسطٍ من النوم حقًّا. ما الذي تعمَلين عليه؟».

أشارت إلى اللوحة بشكلٍ غامضٍ.

قالت: «جهاز الإرسال والاستقبال».

تحرَّك هولدن وجلس بجوارها على الأرض.

- «أخبريني كيف أساعدكِ».

أعطته جهازها اللوحي؛ كانت تعليمات فريد لتغيير إشارة جهاز الإرسال والاستقبال مفتوحة على الشاشة.

- «إنه جاهِز للانطلاق، لقد قُمت بتوصيل وحدة التحكُّم بمنفذ بيانات جهاز الإرسال والاستقبال كما يقول، وقُمت بإعداد جهاز الحاسوب لتشغيل التجاوُز الذي يصفه. كما أن كود جهاز الإرسال والاستقبال وبيانات تسجيل المركبة جاهزان للإدخال، ووضعت الاسم الجديد. هل كان فريد هو من اختاره؟».
- «لا، بل كان الاسم من اختياري».

«حسنًا إذن؛ لكن... ». خَفَتَ صوتها، ولوَّحت مرَّة أخرى نحو جهاز الإرسال والاستقبال.

سألها هولدن: «ما المُشكلة؟».

- «إنهم يصنعون هذه الأشياء كيلا يتم العبث بها يا جيم. تصهر النسخة المدنيَّة من هذا الجهاز نفسها إلى كُتلةٍ صلبةٍ من السيليكون إذا شعرت أنه يتم العبث بها. من يدري ما طريقة النسخة العسكرية من نظام الحماية من الفشل؟ إسقاط الزجاجة المغناطيسية في المُفاعِل؟ تحويلنا إلى نجمٍ مُستعِرٍ؟».

التفتت ناعومي لتنظُر إليه.

قالت: «لقد أعددت كُل شيء، وأصبحت جاهزة للانطلاق؛ لكنني لا أعتقِد أننا يجب أن نفتح المِفتاح الآن، فنحن لا نعرِف عواقِب الفشل».

نهض هولدن من على الأرض، وانتقل إلى وحدة التحكُّم في الحاسوب. كان البرنامج الذي أطلقت عليه ناعومي اسم (ترانس ٠١) ينتظر أن يتم تشغيله. تردَّد لثانيةٍ، ثُم ضغط زر التنفيذ. فشلت المركبة في التبخُّر.

قال: «أعتقد أن فريد يريدنا على قيد الحياة إذن».

انهارت ناعومي أرضًا وهي تُطلِق زفيرًا مُمتدًّا صاخبًا.

قالت: «هل رأيت؟ هذا هو السبب في أنني لا أستطيع أن أتولى القيادة أبدًا».

- «لا تحبين اتخاذ قرارات صعبة بمعلوماتٍ غير كامِلة؟».

أجابته: «بل غير قادرة على تحمُّل مسؤولية الانتحار». ثُم بدأت ببطءٍ في إعادة تجميع جهاز الإرسال والاستقبال.

ضغط هولدن على نظام الاتصالات المُعلَّق على الحائط وهو يقول: «حسنًا أيها الطاقم، مرحبًا بكم على متن مركبة شحن الغاز (روسينانت)».

قالت ناعومي بعد أن ترك زر الاتصال: «ماذا يعني هذا الاسم حتى؟».

قال هولدن دون أن يلتفِت إليها وهو يتوجَّه إلى المصعَد: «يعني أننا بحاجةٍ للبحث عن بعض طواحين الهواء، بما أن هذا كان اسم حصان دون كيشوت».

***

كانت شركة تايكو للتصنيع والهندسة واحدة من أولى الشركات الكُبرى التي انتقلت إلى الحزام، استولى مُهندسو تايكو وأسطول من المركبات على مُذنبٍ صغيرٍ في أيام التوسُّع الأولى، وصفّوه في مدارٍ مُستقرٍّ كنُقطة إعادة إمداد بالمياه قبل أن تبدأ مركبات مثل (كانتيربيري) في جلب الجليد من الحقول اللانهائية من حلقات زُحل بعقود من الزمان، وكان هذا يُعتبر العمل الأكثر صعوبةً وتعقيدًا في الهندسة واسِعة النِّطاق الذي حقَّقته البشرية على الإطلاق حتى الشيء التالي الذي قاموا به.

وعلى سبيل الاستحضار، بنت تايكو مُحرِّك المُفاعِل الضخم في صخرة سيريس وإيروس، وأمضت أكثر من عقدٍ من الزمان في تعليم الكويكبات كيفية الدوران، وكان من المُقرَّر أن ينشئوا شبكة من المُدن السابِحة في الغلاف الجوي المُرتفِع فوق كوكب الزُّهرة قبل أن تسقُط حقوق التطوير في دوامةٍ من الدعاوى القضائية التي تدخُل عقدها الثامِن الآن. دار بعض النقاش حول المصاعِد الفضائية الخاصَّة بالمريخ والأرض؛ لكنها لم تُثمِر عن شيء. وإذا كان لديك مُهمة هندسية مُستحيلة يجب القيام بها في الحزام، وكُنت قادرًا على تحمُّل تكاليفهم، فلتوظِّف تايكو للقيام بها.

كانت محطة تايكو، المقر الرئيس للشركة في الحزام، عبارة عن محطَّة دائرية ضخمة تمَّ بناؤها حول كُرة بعرض نصف كيلومتر، مع وجود أكثر من خمسة وستين مليون كيلومتر مُكعَّب من مساحة التخزين والتصنيع بالداخِل. بينما تتسِع مساحة حلقتي السكن المُتعاكستين اللتين تدوران حول الكُرة بما يكفي لخمسة عشر ألف عامِل وعائلاتهم. كما تمَّ تزيين الجُزء العلوي من منطِقة التصنيع بنصف دزينة من مناوِرات البناء الضخمة، والتي بدت وكأن بإمكانها شق مركبة شحن ثقيلة إلى قسمين. ويحتوي الجُزء السفلي من الكُرة على بروز بصلي الشكل يبلُغ عرضه

خمسين مترًا، ويحتوي على مُفاعل اندماج ونظام قيادة خاص بالمركبات الضخمة، مما جَعَل محطَّة تايكو أكبر منصَّة بناء مُتنقِّلة في النظام الشمسي؛ حيث تمَّ بناء كُل جزء داخِل الحلقات الضخمة على نظامٍ دوَّارٍ يسمح بإعادة توجيه الغُرف لدفع الجاذبية عندما تتوقَّف الحلقات عن الدوران، وبتوجيه المحطَّة إلى موقِع عملها التالي.

كان هولدن يعرِف كُل هذا، ورغم ذلك فقد كانت رؤيته الأولى للمحطَّة قادرة على حبس أنفاسه. لم يكُن هذا بسبب حجمها؛ بل بسبب فكرة أن أربعة أجيال من أذكى الناس الموجودين في النظام الشمسي كانوا يعيشون ويعملون هناك؛ ليُساعِدوا في جر البشرية إلى الكواكِب الخارجية عبر قوَّة الإرادة المُطلَقة.

قال أموس: «تبدو مثل حشرة كبيرة».

كاد هولدن يحتج؛ لكنها كانت تُشبه العنكبوت العملاق نوعًا ما بالفعل: بجسدٍ مُنتفخٍ سمينٍ وأرجُل تنبُت من قمَّة رأسه.

قال أليكس: «انسوا أمر المحطة، انظروا إلى ذلك الوحش».

جعلت المركبة التي تبنيها المحطة تبدو كقزمة. قالت الأشعة المُرتدَّة عن اللادار إن طول المركبة يزيد عن الكيلومترين وبعرض نصف كيلومتر مُستديرة وقصيرة، وتبدو كأنها عُقب سيجارة فولاذي. كما كشفت العوارِض الهيكلية عن المقصورات والآلات الداخلية في مراحل مُختلِفة من البناء؛ لكن المُحرِّك بدا مُكتمِل الصُّنع، والهيكل كان مُجمعًا فوق مُقدِّمة المركبة، وكانت كلمة (ناوفو) مرسومة بأحرف بيضاء ضخمة عليه.

سأله أموس بعد أن أطلق صفيرًا طويلًا: «إذن فسيركَب المورمون هذا الشيء على طول الطريق إلى تاو سيتي؟ الأوغاد الجريئون، لا توجد ضمانات حتى بوجود كوكَب يستحِق كُل هذا العناء في الطرف الآخر من تلك الرحلة التي ستدوم مائة عام».

أجابه هولدن: «يبدون مُتأكِّدين للغاية، كما أنك لا تجني المال الكافي لبناء مركبة بهذا الحجم عندما تكون غبيًّا. فأنا -على سبيل المثال- لا أتمنى لهم سوى الحظ الجيد».

قالت ناعومي: «سيصِلون إلى النجوم، ألا تغبطهم على ذلك؟».

قال أموس: «ربما سيصِل أحفاد أحفادهم إلى النجوم إذا لم يتضوَّروا جوعًا حتى الموت، وهُم يدورون حول صخرة لا يُمكِنهم الاستفادة منها، دعينا لا نُبالِغ في الأمر هنا».

أشار إلى مجموعة الاتصالات الكبيرة بشكلٍ مُثيرٍ للإعجاب والتي تبرُز من جناح (ناوفو) وهو يقول: «هل تُريد أن تُراهِن على أن هذا هو ما أرسَل إلينا رسالة عبر نقطة بحجم فتحة الشرج؟».

أومأ أليكس برأسه وهو يقول: «إذا كُنت ترغَب في أن تُرسل رسائِل خاصَّة إلى المنزل من على بُعد بضع سنين ضوئية، فأنت بحاجةٍ إلى شعاع تماسُك جاد، وربما تمَّ خفض حدة الشعاع لتجنُّب التسبُّب في ثقبٍ فينا».

نهض هولدن من أريكة مُساعِد الطيَّار وتجاوز أموس.

- «اكتشِف إذا كانوا سيسمحون لنا بالهبوط يا أليكس».

***

كان الهبوط سلسًا بشكلٍ مُدهشٍ. وجَّهتهم وحدة التحكُّم في المحطَّة إلى منفذٍ لرسو المركبات على جانب الكُرة وظلُّوا على الخط؛ ليقودوهم إلى الداخل، حتى دلف أليكس إلى أنبوب الرسو ووصل إلى باب غُرفة مُعادلة الضغط. لم يُشِر بُرج المُراقبة إلى أن لديهم الكثير من الأسلِحة للنقل أو إلى عدم وجود أي خزانات لنقل الغاز المضغوط، لقد وجَّههم للهبوط، ثُم تمنى لهم يومًا سعيدًا.

ارتدى هولدن بدلة الغلاف الجوي الخاصَّة به وقام برحلةٍ سريعةٍ إلى مرفق الشحن، ثُم التقى بالآخرين داخِل باب غُرفة مُعادلة الضغط الداخلي الخاصَّة بالمركبة (روسينانت)، ومعه حقيبة كبيرة مصنوعة من القُماش الخَشِن.

«ارتدوا بدلاتكم، فهذه ستكون العمليات الاعتيادية لهذا الطاقم في أي وقت نذهَب فيه إلى مكانٍ جديدٍ، وخذوا واحدًا من هؤلاء». أخرج من الحقيبة مُسدَّسات وأمشاط ذخيرة قبل أن يُضيف: «قوموا بإخفائها في جيوبكم أو في حقائبكم إذا أردتم؛ لكنني سأحملهم علانيةً».

عبست ناعومي وهي تنظُر إليه.

- «يبدو هذا... صداميًّا بعض الشيء، أليس كذلك؟».

قال هولدن: «لقد سئمت التعرُّض للتنمُّر، تُمثِّل (روسي) بداية جيِّدة نحو الاستقلال، وسأصطحِب قطعة صغيرة منها معي، اعتبروا هذا نوعًا من أنواع سحر الحظ الجيد».

قال أموس وهو يضع أحد المُسدَّسات حول فخذه: «موافِق للغاية».

وضع أليكس مُسدَّسه في جيب بدلته الفضائية، بينما جعَّدت ناعومي أنفها وهي تلوِّح له ليُبعِد المُسدس الأخير، وضعه هولدن في حقيبته مرَّة أخرى، وقاد طاقمه إلى غُرفة مُعادلة الضغط الخاصَّة بـ (روسينانت)، وضغط زر التدوير. انتظرهم على الجانِب الآخر رجل مُسن ذو بشرة داكِنة ويتمتَّع ببنيةٍ قويةٍ. ابتسم لهم أثناء خروجهم.

قال جزَّار محطَّة أندرسون: «مرحبًا بكم في محطَّة تايكو، نادوني بفريد».

(١٨)
ميلر

ضَرَب تدمير (دوناجير) سيريس كالمِطرقة التي تضرب جرسًا. غلَّفت نشرات الأخبار نفسها بصور تلسكوبيَّة عالية الجودة للمعركة، مُعظمها إن لم يكُن كُلها مُزيَّفة، وأغرقت الثرثرة الحِزام حول أسطول (أوبا) السري. كما تمَّ الترحيب بالست مركبات التي أسقطت المركبة الحربيَّة المريخيَّة كأبطال وشُهداء، وبرزت شعارات مثل: (فعلناها مرَّة ويُمكِننا أن نفعلها مرَّة أخرى) و(أسقطوا بعض الصخور) بغتةً حتى في الأماكِن التي تبدو غير ضارَّة.

سَلَبَ ما حدث لـ (كانتيربيري) رضا الحزام عن نفسه؛ لكن (دوناجير) فعلت ما هو أسوأ. لقد قضت على الخوف. حقَّق فريق الحزاميين نصرًا ساحقا مُفاجئًا وغير متوقَّع. وبدا كُل شيء مُمكِنًا، فأغواهُم الأمل.

وكان ذلك ليُثير خوف ميلر أكثر لو كان مُتيقِّظًا.

كان جرس منبِّهه يدُق منذ عشر دقائِق. أخذت الضجَّة المُزعِجة نغمات فرعيَّة وتوافُقيَّة عندما أنصَت السمع إليها لفترةٍ طويلةٍ بما فيه الكفاية. تصاعَدت النغمة بشكلٍ مُستمرٍّ، ورفرفة الإيقاع تخفق من تحتها،

وحتى الموسيقى الهادِئة اختبأت تحت الدوي. الأوهام، الهلاوِس السمعيَّة، صوت الإعصار.

كانت زُجاجة البوربون الفطري من الليلة السابِقة تقبع على المنضدة الموجودة بجوار الفراش؛ حيث اعتاد دورق المياه على الانتظار. كانت لا تزال تحتوي على مقدار إصبعين من الأسفل. فكَّر ميلر في السائِل البني الفاتِح، وفي ملمسه على لسانه.

قال لنفسه: الشيء الجميل في توقُّف هلاوِسك، أنه يتحتَّم عليك أن تتوقَّف عن التظاهُر. كُل هذه السنوات التي أخبر نفسه فيها أنه مُحتَرَم، وأنه جيد في وظيفته، وأنه قدَّم كُل تضحياته لسببٍ ما قد تلاشَت وتركته بمعرفةٍ واضحةٍ وغير مشوَّشةٍ لكونه مُدمِنًا على الكحول بشكلٍ جزئي، وأنه قد اقتطع كُل شيء جيِّد من حياته لإفساح المجال أمام المُخدِّر. اعتقدت شاديد أنه كان مُزحة، واعتقدت موس أنه الثمن الذي كان يجب أن تدفعه لعدم نومها مع شخص لا تُحبُّه. ربما يكون الشخص الوحيد الذي يُكِّن له أي احترام هو هافلوك، الأرضي: كان هذا مُهدِّئًا بطريقته الخاصَّة؛ حيث كان يُمكِنه التوقُّف عن بذل الجُهد لمواكبة المظاهِر. إذا بقي في الفراش يستمِع إلى صوت المنبِّه، سيرقى إلى مستوى التوقُّعات، ولا عيب في ذلك.

وعلى الرغم من ذلك، فلا يزال هناك عمل ينبغي القيام به. مدَّ يده وأغلَق جرس المنبِّه، وقبل أن يتوقَّف تمامًا، سمع صوتًا يختبئ بداخله، صوت خافت ولكنه مُلِح. صوت أنثوي. لم يعرِف ما كانت تقوله. لكن ربما تحصُل على فُرصةٍ أخرى في وقتٍ لاحقٍ، بما أنها كانت تسكُن رأسه فحسب.

اعتدل في فراشه، امتصَّ بعض المُسكِّنات ومُضادات الجفاف، ترنَّح نحو صنبور الاستحمام، واستهلك حصَّة يوم ونصف من الماء الساخِن أثناء وقوفه هناك، يُراقِب قدميه تتحوَّلان إلى اللون الوردي. ارتدى آخر ما لديه من الملابِس النظيفة. كان الإفطار عبارة عن لوح من الخميرة المضغوطة ومُحلي العنب. ألقى البوربون الموجود فوق المنضدة المجاوِرة للفراش في جهاز إعادة التدوير دون أن يُكمِّله؛ ليُثبِت لنفسه أنه كان قادرًا على فعل ذلك.

كانت موس في انتظاره على المكتب. رفعت رأسها نحوه عندما جَلَسَ.

قالت: «ما زلت أنتظِر تقرير المعمَل حول جريمة اغتصاب ذات الثمانية عشر عامًا، لقد وعدوا بإصداره بحلول وقت الغداء».

قال ميلر: «سنرى».

- «لدي شاهدة مُحتَملة. الفتاة التي كانت مع الضحية في وقتٍ مُبكِّرٍ من المساء قالت شهادتها إنها غادرت قبل أن يحدُث أي شيء؛ لكن كاميرات الأمن لا تدعم شهادتها».

سألها ميلر: «هل تُريدينني في الاستجواب؟».

- «ليس بعد، لكن إذا احتجت إلى بعض الأداء المسرحي، سأطلب حضورك».
- «هذا عادِل بما فيه الكفاية».

لم يُراقبها ميلر وهي تبتعِد. جَذَبَ سطح مكتبه الصلب، بعد لحظة طويلة من التحديق في اللا شيء، راجَع ما لا يزال يتعيَّن عليه القيام به، وبدأ في تنظيف المكان.

أعاد عقله المُقابلة البطيئة والمُهينة مع شاديد ودوز للمرَّة المليون أثناء عمله. قال دوز: لدينا هولدن؛ لكن لا يُمكِننا حتى معرفة ما حدث لمُعدَّات مُكافحة الشغب الخاصَّة بكم. ضغط ميلر على الكلِمات مثلما يفعل اللسان في فجوة أحد الأسنان المفقودة، بدا الأمر صحيحًا مرَّة أخرى.

وعلى الرغم من ذلك، فمن المُمكِن أن يكون هذا محض هراء. ربما كانت قصَّة مُختلقة لجعله يشعُر بالضآلة، فبعد كُل شيء، لم يكُن هناك دليل على أن هولدن وطاقمه قد نجوا، وماذا يُمكِن أن يكون هذا الدليل؟ لقد انفجرت (دوناجير)، وانفجرت كُل سجلاتها معها. كان لا بد من أن تكون هناك مركبة قد نجحت في الخروج. إما مركبة إنقاذ أو إحدى مركبات المُرافقة المريخيَّة. لم يكُن هناك أي طريقة يُمكِن أن تخرُج بها مركبة، دون أن تملأ أخبارها المُحبَّبة في كُل نشرة إخباريَّة، ولا طاقم قراصِنة منذ ذلك الحين، لا يُمكِنك إخفاء أخبار شيء كهذا.

أو بإمكانك أن تفعل ذلك بكُل تأكيد؛ لكن لن يكون الأمر سهلًا، حدَّق في الهواء الخالي الذي يحتَل مركز القِسم، والآن. كيف يُمكِنك التستُّر على مركبةٍ ناجيةٍ؟

قام ميلر بسحب مُخطَّطات ملاحة رخيصة كان قد اشتراها قبل خمس سنوات -ظهرت أوراق النقل في قضيَّة تهريب- ورسم تاريخ وموضِع تدمير (دوناجير). كان أي شيء يعمَل تحت قوَّة دفع غير إبشتاين سيظل موجودًا، وكانت المركبات الحربيَّة المريخيَّة إما ستلتقِطها أو ستُفجِّرها لتحوِّلها إلى إشعاع بحلول ذلك الوقت؛ لذلك إن لم يكُن دوز يُخبِره بما هو محض هراء، فسيعني هذا أنها مزوَّدة بمُحرِّك إبشتاين. أجرى عدَّة

عمليات حسابية سريعة. يُمكِن أن يصل المرء إلى سيريس في أقل من شهرٍ إذا كان يُجيد القيادة. قُل ثلاثة أسابيع لتكون بأمانٍ.

نَظَر إلى البيانات لُمدَّة عشر دقائِق تقريبًا؛ لكن الخطوة التالية لم تخطر له، لذلك نحى الأمر جانبًا، جلب بعض القهوة، وسحب المُقابلة التي أجراها هو وموس مع الوغد الحزامي عضو طاقم المُشاة. كان وجه الرجل طويلًا وشديد النحول ومُغرقًا في القسوة. لم يكُن لدى المُسجِّل تركيز جيّد، لذلك استمرَّت الصورة في الارتداد. سألت موس الرجل عمَّا رآه، وانحنى ميلر للأمام كي يقرأ الإجابات المكتوبة؛ ليتحقَّق من الكلمات التي تمَّ التعرُّف إليها بشكلٍ غير صحيحٍ. بعد ثلاثين ثانية، قال الوغد (العاهرة المُقطَّعة) بينما كُتِب في الملف (المقص). قام ميلر بتصحيحها؛ لكن الجُزء الخلفي من عقله ظلَّ يزبد بعُنفٍ.

ربما حطَّت ثمانمائة أو تسعمائة مركبة في سيريس في يومٍ مُعيَّن. ربما وَصَل عددها لألفٍ كي نكون بأمانٍ. زد يومين على كُلٍّ من جانبي المُهلة الزمنيَّة البالِغة ثلاثة أسابيع، وهو الأمر الذي يعني أربعة آلاف عملية دخول. أمر مُزعِج بالتأكيد؛ لكنه ليس مُستحيلًا. ستكون جانيميد العاهرة الحقيقيَّة الأخرى. فبفضل الزراعة، ستكون هناك المئات من وسائِل النقل يوميًّا، ومع ذلك، فلن يُضاعِف ذلك عبء العمل. إيروس، تايكو، بالاس. كم عدد المركبات التي ترسو على بالاس كُل يوم؟

فاته ما يقرُب من دقيقتين من التسجيل، بدأه مرَّة أخرى، وأجبر نفسه على التركيز هذه المرَّة، وبعد نصف ساعة، استسلم.

بلغ مجموع المركبات التي حطَّت في الموانئ العشرة الأكثر ازدحامًا مع الأخذ في الاعتبار زيادة اليومين على جانبي موعِد الوصول التقديري

للمركبات ذات مُحرِّكات الإبشتاين التي نشأت عندما دمرَت (دوناجير) ثمانية وعشرين ألف سجل لرسو المركبات، أكثر أو أقل قليلًا؛ لكن بإمكانه أن يُقلِّص هذا الرقم إلى سبعة عشر ألفًا إذا استبعد المحطَّات والموانئ التي يُديرها الجيش المريخي ومحطَّات البحث التي تضُم سُكَّان جميع الكواكِب الداخلية أو مُعظمها تقريبًا. كم من الوقت سيستغرقه إذن للتحقُّق من جميع سجلات النقل بشكلٍ يدوي، مُتظاهرًا لدقيقةٍ بالغباء الكافي ليفعل ذلك؟ قُل مائة وثمانية عشر يومًا - إذا لم يأكُل أو ينام، ويُمكِن أن يستغرقه الأمر أقل من عام تقريبًا، بمُجرَّد العمل لُمدَّة عشر ساعات يوميًّا، دون أن يقوم بأي شيءٍ آخرَ أقل من عام قليلًا.

باستثناء أن لا؛ لأنه كانت هناك طُرق لتضييق نِطاق البحث، كان سيبحث عن مركبات مزوَّدة بمُحرِّكات إبشتاين، ستكون مُعظَم حركة المرور في أي من تلك الموانئ محليَّة. يقود المُنقِّبون والساعون إلى القفزات القصيرة مركبات مزوَّدة بمُحرِّكات الاشتعال، وقلَّلت الحالة الاقتصاديَّة عدد الرحلات الفضائية بشكلٍ نسبي؛ لتجعل من المركبات الكبيرة نسبيًّا الإجابة الصحيحة للرحلات الطويلة. لذلك قام بإزالة ثلاثة أرباعها بشكلٍ مُتحفظٍ، وعاد إلى نطاقٍ قريبٍ من أربع آلاف مركبة مرَّة أخرى، ولا يزال الأمر يحتاج لمئات من ساعات العمل؛ لكن إذا كان بإمكانه التفكير في أي مُرشَّح آخر من شأنه أن يُقرِّب أي مُشتبه به مُحتمل من قبضة يده... على سبيل المثال، إذا لم تكُن المركبة قادِرة على تقديم خطَّة طيران قبل تدمير (دوناجير).

كانت واجهة طلب سجلَّات الميناء قديمة غير مُريحة، ومُختلفة ببراعةٍ من إيروس إلى جانيميد إلى بالّاس وهلُم جرًّا. لَحِق ميلر بطلبات المعلومات لسبع حالاتٍ مُختلفةٍ، بما في ذلك قضيَّة بارِدة لُمدة شهر لم يكُن فيها أكثر من مُستشارٍ. كانت سجلَّات الميناء عامَّة ومفتوحة، لذلك لم

يكُن بحاجةٍ خاصَّةٍ إلى وضعه كمُحقِّق ليُخفي أفعاله. فمع أي حظ، لن تمتد مُراقبة شاديد له إلى ذلك المستوى المُنخفِض عند البحث في السجلَّات العامَّة، وحتى لو حدث ذلك، فقد يحصُل على الإجابات قبل أن تكتشِف ما يفعله.

لن تعرِف أبدًا إذا ما كان لديك أي حظ مُتبقٍّ إلا إذا جرَّبت حظَّك، بالإضافة إلى ذلك، لم يكُن هناك الكثير ليخسره.

كاد يقفِز من مكانه، عندما فُتِح الاتصال من المُختبر في جهازه اللوحي. كانت الفنيَّة امرأة ذات شعر رمادي ووجه شاب بشكلٍ غير طبيعي.

- «ميلر؟ هل موس بصُحبتك؟».

قال ميلر: «لا، إنها تقوم باستجوابٍ».

كان مُتأكِّدًا للغاية من أن هذا ما قالته. هزَّت الفنيَّة كتفيها.

- «حسنًا، إنها لا تُجيب على نظامها، أردت أن أخبركم أننا حصلنا على تطابُقٍ في جريمة الاغتصاب التي أرسلتموها إلينا، لم يكُن الصديق الحميم؛ بل كان رئيسها في العمل هو من فعل ذلك».

أومأ ميلر برأسه قبل أن يسألها: «هل أرسلتم في طلب مُذكِّرة للقبض عليه؟».

قالت: «أجل، إنها موجودة في الملف بالفعل».

سحب ميلر الملف: تُصرِّح وتُفوِّض شركة ستار هيليكس بالنيابة عن محطَّة سيريس باعتقال (إيمانويل كورفوس دود) في انتظار تسوية الحادِث الأمني رقم (CCS - ٤٩٤٩٢٣١).

زيَّن توقيع القاضي الرقمي الملف باللون الأخضر، شعر بابتسامةٍ بطيئةٍ تتسلَّل إلى شفتيه.

قال: «شُكرًا».

سأله أحد نوَّاب الشرطة عن وجهته، في طريقه للخروج من المحطَّة. فقال: الغداء.

امتلكت مجموعة أرانها للمُحاسبة مجموعة مكاتِب في الجزء اللطيف من الحي الحكومي بالقِطاع السابع، لم تكُن هذه هي الأماكِن التي اعتاد ميلر أن يطأها؛ لكن سُلطة المُذكِّرة كانت تسري في المحطةِ بأكملها. ذهب ميلر إلى السكرتيرة الجالِسة في مكتب الاستقبال -حزاميَّة حسنة المظهَر ترتدي سُترة مُطرَّز على صدرها نمط انفجار نجمي- وأخبرها أنه بحاجةٍ للتحدُّث مع إيمانويل كورفوس دود، اكتَسى وجه السكرتيرة ذات اللون البنيِّ الداكِن بالغضب، تراجع ميلر للخلف، دون أن يسد المخرج؛ لكنه كان قريبًا.

بعد حوالي عشرين دقيقة، دلف رجل كبير في السن يرتدي حلَّة جيدة من الباب الأمامي، توقَّف أمام ميلر، ونَظَرَ إليه من الأعلى إلى الأسفل.

قال الرجل: «المُحقِّق ميلر؟».

قال ميلر بمرحٍ: «لا بُدَّ أنك مُحامي دود».

- «أنا مُحاميه بالفعل، وأود أن... ».

قال ميلر: «حقًّا، هل يجب أن نفعل ذلك الآن؟».

كان المكتب نظيفًا ويفيض بالجدران الزرقاء فاتِحة اللون التي أضاءت نفسها من الداخِل. جلس دود على المنضدة، كان شابًّا بما فيه الكفاية لدرجة أنه كان لا يزال يبدو مُتعجرفًا؛ لكنه كبير بما فيه الكفاية ليبدو خائِفًا، أومأ ميلر برأسه إليه.

سأله: «أنت إيمانويل كورفوس دود؟».

قال المُحامي: «قبل أن تستكمِل حديثك أيها المُحقِّق، يجب أن تعرِف أن موكلي مُشارِك في مفاوضات رفيعة المستوى، وتضم قاعدة عُملائه بعضًا من أهم الأشخاص العاملين في المجهود الحربي، ويجب أن تُدرِك قبل توجيه أي اتهامات أنه يُمكِنني مُراجعة كُل ما فعلته، وهذا ما سأقوم به، وإذا كان هناك خطأ واحِد، فستتحمَّل المسؤولية».

قال ميلر: «ما سأفعله بك سيكون حرفيًّا النقطة الوحيدة المُضيئة في يومي يا سيد دود، إذا كان بإمكانك أن ترى طريقًا واضِحًا لمقاوَمة الاعتقال، فسأكون مُمتنًّا لذلك حقًّا».

نَظَر دود إلى مُحاميه قبل أن يقول بصوتٍ مُتهدجٍ: «هاري؟».

هزَّ المُحامي رأسه.

وعندما عادوا إلى عربة الشرطة، تمهَّل ميلر دقيقةً بحيث يُمكِن للجميع أن يروا دود الذي كان صامتًا ويداه مُقيَّدتان إلى الخلف. قام ميلر بإخراج جهازه اللوحي، ودوَّن وقت الاعتقال، واعتراضات المُحامي، وبعض التعليقات غير المهمة الأخرى، تردَّدت امرأة شابَّة ترتدي زيًّا احترافيًّا من الكتان الكريمي عند باب قسم المُحاسبة. لم يتعرَّف إليها ميلر؛ لم تكُن أحد المتورِّطين في قضية الاغتصاب، ولم تكُن الشخص

الذي تم اغتصابه على الأقل، كسا وجهها الخالي من التعبيرات ملامِح مُقاتِل هادِئ. استدار، لفَّ رقبته لينظُر إلى دود، لم يُبادِله الرجل المُهان النظر، حرَّكت المرأة عينيها إلى ميلر، أومأت برأسها مرَّة، شكرًا لك.

أومأ لها بدوره: أنا أقوم بعملي فحسب.

دخلت من الباب.

بعد ساعتين، انتهى ميلر من آخر الإجراءات الورقيَّة، وأرسل دود إلى الزنازين.

وبعد ثلاث ساعات ونصف، جاء أول طلبات الرسو الخاصَّة به.

وبعد خمس ساعات، انهارت حكومة سيريس.

***

وعلى الرغم من أن مقر القِسم كان مُمتلئًا، فإنه كان صامتًا. احتشد المُحقِّقون وصِغار المُحقِّقين، ورجال الدوريات، وعمال المكاتِب، المُهمُّون وغير المُهمِّين أمام شاديد.،وقفت على المنصَّة، وشعرها مشدود إلى الخلف، كانت ترتدي زي ستار هيليكس الرسمي؛ لكنها لم تكُن ترتدي شارتها، كان صوتها مُرتعدًا.

- «لا بُدَّ أنكم سمعتم جميعًا بما حدث بحلول هذا الوقت؛ لكن بدءًا من الآن أصبح الأمر رسميًّا، لقد استجابت الأمم المُتحدة لطلبات المريخ، وانسحبت من الإشراف على محطَّة سيريس... ومن حمايتها. هذا انتقال سُلطة سلمي، وليس انقلابًا. سأقول ذلك مرَّة أخرى: هذا ليس انقلابًا، ستنسحِب الأرض من هنا، ولن ندفع».

صاح شخص ما: «هذا هراء يا سيدتي». فرفعت شاديد يدها.

قالت شاديد: «هناك الكثير من الأحاديث الفضفاضة، لا أريد أن أسمع منكم أي شيء. سيصدِر الحاكِم الإعلان الرسمي في بداية الورديَّة التالية، وسنحصل على مزيدٍ من التفاصيل آنذاك، لا يزال عقد ستار هيليكس ساريًا، إلى أن نسمَع خلاف ذلك، سيتم تشكيل حكومة مؤقَّتة من أعضاء سيتم اختيارهم من رجال الأعمال المحليين ومُمثلي النقابات، ما زلنا قوَّة قانون سيريس، وأتوقع منكم أن تتصرَّفوا بشكلٍ مُناسبٍ، ستكونون هنا جميعًا من أجل وردياتكم، وستحضرون إلى هنا في الوقت المُناسِب، وستتصرَّفون باحترافيةٍ وضمن نِطاق المُمارسة النموذجية».

نظر ميلر إلى موس، كان شعر شريكته لا يزال أشعث بفعل الوسادة، كان الوقت قد تجاوَز مُنتصف الليل بالنسبة إلى كليهما.

قالت شاديد: «أي أسئلة؟». قالتها بصوتٍ يدُل على أنه لا ينبغي أن تكون هناك أيها.

فكَّر ميلر: من سيدفع رواتِب العاملين بستار هيليكس؟ وما القوانين التي سنُطبِّقها؟ ما الذي تعرفه الأرض، والذي من شأنه أن يجعل الابتعاد عن أكبر ميناء في الحِزام خطوة ذكيَّة؟

من الذي سيتفاوَض بشأن مُعاهدة السلام الخاصَّة بكم الآن؟

ابتسمت موس، وهي تُبادِل ميلر النظر.

قال ميلر: «أعتقِد أننا وصلنا إلى طريقٍ مسدودٍ».

وافقته موس قائلةً: «كان لا بد لهذا أن يحدُث، من الأفضل أن أذهب. لديَّ شيء يجب أن أتوقَّف لفعله».

- «عند القلب؟».

لم تُجِبه موس؛ لأنها لم تكُن مُضطرَّة لذلك. لم تكُن سيريس تخضع لقوانين. كان بها شُرطة. عاد ميلر إلى حُجرته. همهمت المحطَّة، اهتزَّ الحجر من تحته بفعل العدد الذي لا يُحصى من مشابِك رسو المركبات ونوى المُفاعلات، والأنابيب، وأجهزة إعادة التدوير، والهواء المضغوط. كان الحجر على قيد الحياة، وقد نسي العلامات الصغيرة التي تُثبِت ذلك. لقد عاش هنا ستة ملايين نسمة، تنفَّسوا هذا الهواء. أقل مما عليه الحال في مدينة متوسِّطة الحجم على الأرض، تساءل عمَّا إذا كانت قابلة للاستهلاك.

هل تطوَّر الأمر لدرجة أن أحد الكواكِب الداخليَّة كان على استعدادٍ لخسارة محطَّة رئيسية؟ بدا الأمر كما لو كانت الأرض قد تخلَّت عن سيريس. ستتدخَّل (أوبا)، سواء أرادت القيام بذلك أم لا. كانت قوَّة الفضاء عظيمة للغاية، ثُم سيُطلِق المريخ على ما حدث لقب (انقلاب أوبا). ثُم... ثُم ماذا؟ الحجز عليها ووضعها تحت الأحكام العُرفيَّة؟ ستكون هذه هي الإجابة النموذجيَّة. قصفها بالسلاح النووي حتى تتحوَّل إلى غُبارٍ؟ لم يستطِع إقناع نفسه بذلك أيضًا، فقد كان هناك الكثير من المال. فمن شأن رسوم الرسو وحدها أن تُغذي الاقتصاد الوطني الصغير، وكانت شاديد ودوز -بقدر ما كان يكره الاعتراف بذلك- على حقٍّ. كانت سيريس هي أفضل أمل بموجب عقد الأرض للتوصُّل إلى سلامٍ متفاوَضٍ عليه.

هل كان هناك شخص على الأرض لا يرغَب في حلول هذا السلام؟ شخص ما أو شيء ما قوي بما فيه الكفاية لدفع بيروقراطيَّة الأمم المُتحِدة الجليدية لاتخاذ إجراء؟

قال للهواء الخالي: «إلامَ أنظُر يا جولي؟ ماذا رأيتِ هناك يستحِق أن يقتل المريخ والحِزام بعضهم بعضًا من أجله؟».

همهمت المحطَّة إلى نفسها بصوتٍ هادئ، وثابتٍ، وخافتٍ للغاية بالنسبة له ليسمع الأصوات التي تسكنه.

***

لم تأتِ موس إلى العمل في الصباح؛ لكن كانت هناك رسالة على نظامه تُخبره فيها بأنها ستتأخَّر، كان (التنظيف) هو التفسير الوحيد الذي قدَّمته.

لم يتغيَّر أي شيء في مقر القِسم بالنظر إليه. نفس الأشخاص يأتون إلى نفس المكان للقيام بالشيء نفسه. لا، لم يكُن هذا صحيحًا، فقد كانت الطاقة عالية، كان الناس يبتسمون، يضحكون، ويمزحون. كان جنونًا طائِشًا، الفزع الذي يضغط نفسه يعبُر من خلال قناع قطني للحياة الطبيعية، لن يدوم هذا الأمر.

لقد كانوا كُل ما يفصِل بين سيريس وبين الفوضى، كانوا يد القانون، والفارِق بين بقاء ستة ملايين شخص على قيد الحياة، وبين وغد مجنون يفتح أبواب كُل غُرف مُعادلة الضغط بالغصب، أو تسميم القائمين على إعادة التدوير لإزاحة ما يُقارِب الثلاثين ألف شخص. أشخاص مثله. ربما تحتَّم عليه أن يحشد، أن يرتقي إلى المُناسبة مثله مثل البقيَّة. كانت الحقيقة هي أن تلك الفكرة جعلته يشعُر بالتعب.

سارت شاديد بجواره وهي تربت على كتفه، تنهّد وهو يقف من فوق مقعده، تبعها. كان دوز في مكتبها مرَّة أخرى، يبدو مُهتزًّا وبحاجةٍ إلى

النوم. أومأ ميلر برأسه إليه. عقدت شاديد ذراعيها، كانت نظرة عينيها أنعم وأخف وطأة مما اعتادت عليه.

قالت: «سيكون هذا صعبًا، نحن نواجِه أمرًا أصعب من أي شيء اضطررنا إلى فعله من قبل، أحتاج إلى فريق يُمكِنني ائتمانه على حياتي، نحن نمُر بظروفٍ استثنائيةٍ، هل تفهم ذلك؟».

قال: «أجل، أفهم ذلك، سأتوقَّف عن الشرب، وألملم شتات نفسي».

«أنت لست شخصًا سيئًا يا ميلر. كان هناك وقت كُنت فيه شرطيًّا جيدًا للغاية؛ لكنني لا أثق بك، وليس لدينا وقت للبدء من جديد». أضافت بصوتٍ أرق من أي مرَّة سمعها فيها: «أنت مطرود».

(١٩)
هولدن

وقف فريد وحيدًا، مادًّا يده، وابتسامة واسعة دافِئة تُزيِّن وجهه العريض. لم يكُن هناك حُرَّاس يقفون خلفه مُمسكين ببنادق هجوميةٍ. صافح هولدن يد فريد قبل أن ينفجِر ضاحكًا. ابتسم فريد وبدا مُرتبِكًا؛ لكنه ترك هولدن يُمسِك بقبضة يده في انتظار أن يشرح هولدن ما هو مُضحِك للغاية.

قال هولدن: «أنا آسف؛ لكن ليس لديك أي فكرة عن مدى روعة هذا الأمر، فهذه حرفيًّا هي المرَّة الأولى التي أهبط فيها من مركبةٍ دون أن تنفجِر من ورائي منذ أكثر من شهر».

ضَحِكَ فريد معه الآن ضحكة من القلب، بدا وأنها نشأت من مكانٍ ما في بطنه.

قال الرجل بعد لحظة: «أنت في أمانٍ تامٍّ هنا، نحن في أكثر المحطَّات حمايةً في الكواكِب الخارجيَّة».

سأله هولدن: «لأنكم (أوبا)؟».

هزَّ فريد رأسه.

قال: «لا، نحن نُقدِّم مُساهمات في الحملات الانتخابية لسياسيِّ الأرض والمريخ بمبالغ لا يُمكِن لك أن تتوقَّعها، إذا حاول أي شخص تفجيرنا، فإن نصف مجلِس الأمم المُتحِدة وكُل أعضاء مجلِس الجمهورية المريخي سيصرخون من أجل إراقة الدماء، هذه هي مُشكِلة السياسة، أعداؤك هُم حلفاؤك في كثيرٍ من الأحيان، والعكس صحيح».

أشار فريد إلى مدخلٍ خلفه قبل أن يُشير ليتبعه الجميع، كانت رحلةً قصيرةً؛ لكن في مُنتصف الطريق، عادَت الجاذبية للظهور، مُتسبِّبةً في دوارٍ مُربكٍ، تعثَّر هولدن، وبدا فريد مُنزعِجًا.

- «أنا آسف. كان لا بد أن أحذِّركم بشأن هذا، انعدام جاذبية المحوَر المركزي، وقد يكون الانتقال إلى جاذبية الحلقة الدورانية أمرًا مُربكًا في المرَّة الأولى».

قال هولدن: «أنا بخير». ربما كانت ابتسامة ناعومي الصغيرة مُجرَّد محض خيال.

انفتح باب المصعَد بعد لحظة على ممرٍّ عريضٍ مُغطى بالسجَّاد، وتحيط به جدران خضراء باهِتة، تفوح منه رائِحة مُهدِّئة من أجهزة تنقية الهواء وغراء السجَّاد الجديد، لم يكُن هولدن ليتفاجأ إذا اكتشف أنهم ينقِلون رائِحة (محطَّة فضائية جديدة) في الهواء، كانت الأبواب المؤدية إلى الممر مصنوعة من الخشب الزائِف الذي يُمكِن تمييزه عن الخشب الحقيقي فقط لأنه لا أحد يمتلِك هذا القدر من المال. ومن بين طاقمه، كان هولدن هو الوحيد الذي نشأ في منزلٍ به أثاث وتركيبات خشبية حقيقية. نشأ أموس في بالتيمور، ولم يروا شجرةً هناك منذ أكثر من قرنٍ.

خَلَع هولدن خوذته واستدار ليُخبِر أعضاء فريقه أن يفعلوا الشيء نفسه؛ لكنهم كانوا قد خلعوا خوذاتهم بالفعل، نظر أموس على طول الممر وهو يُطلِق صفيرًا.

قال: «حفريات جميلة يا فريد».

أجابه فريد وهو يقودهم إلى نهاية الممر: «اتبعوني، سأوصلكم إلى مُستقرِّكم». أضاف بينما كان يسير: «فكما تتخيَّلوا، خضعت محطَّة تايكو لعدد من عمليات التجديد على مدار المائة عام الماضية؛ لكن الأساسيات لم تتغيَّر كثيرًا، لقد كان التصميم الأولي رائعًا؛ كان مالثوس تايكو مُهندسًا عبقريًّا، يُدير بريدون –حفيده– الشركة في الوقت الحالي، إنه ليس في المحطَّة في الوقت الحالي، هبط إلى لونا للتفاوُض بشأن الصفقة الكبيرة التالية».

قال هولدن: «يبدو أن لديك الكثير من الأشياء لتتعامَل معها بالفعل، مع ذلك الوحش الذي يقِف بالخارِج، وكما تعلم...الحرب التي تدور رحاها».

مرَّت مجموعة من الأشخاص الذين يرتدون بدلات فضائية مُختلِفة الألوان ويتبادلون أطراف الحديث بحماسٍ، كان الممر واسعًا لدرجة أن أحدًا لم يضطر إلى التحرُّك من مكانه، أشار فريد إليهم أثناء مرورهم قال: «لقد انتهت الوردية الأولى للتو، ولذلك فهذه هي ساعة الذروة، وقد حان وقت البدء في عملٍ جديدٍ بالفعل، فقد أوشكت (ناوفو) على الانتهاء، وسيقومون بوضع المُستعمرين على متنها في غضون ستة أشهُر، ولا بد أن يكون المشروع التالي في انتظار دوره، تُنفِق تايكو أحد عشر مليون دولار من دولارات الأمم المُتحدة في كُل يوم تعمل فيه، سواء كُنا

نجني المال في ذلك اليوم أو لا، إنها شبكة إنفاق واسِعة يجب تغطيتها، والحرب... حسنًا، نأمل أن يكون ذلك أمرًا مؤقتًا».

قال هولدن: «والآن تستقبلون اللاجئين، لن يُساعِدكم هذا!».

ضحك فريد فحسب وهو يقول: «لن يضعنا أربعة أشخاص آخرون تحت خط الفقر في أي وقت قريب».

توقَّف هولدن، مُجبرًا الآخرين على الوقوف خلفه، مرَّت عدة خطوات قبل أن يُلاحظ فريد ما حدث، ثُم استدار بنظرةٍ مشوَّشةٍ.

قال هولدن: «أنت تتهرَّب من الإجابة، ليس لدينا أي شيء يُعتبَر ذا قيمة، بخلاف المركبة الحربيَّة المريخية المسروقة التي تبلُغ قيمتها مليارِي دولار، يعتقِد الجميع أننا قد مُتنا، وأي محاولة دخول إلى حساباتنا ستُفسِد هذا الأمر، ولا أعيش في عالمٍ يتدخَّل فيه الأب الغني ذو النفوذ ليجعل كُل شيء على ما يُرام بدافِع طيبة قلبه، ولذلك، فإما أن تُخبرنا بالسبب الذي يجعلك تُخاطِر بوضعنا هنا، أو سنعود إلى مركبتنا ونحاول التوصُّل إلى اتفاقٍ مع القراصِنة».

صاح أموس من مكانٍ ما خلفها: «سيطلِقون علينا آفة الأسطول التجاري المريخي». بدا مسرورًا.

رفع فريد يديه. التمعت القسوة في عينيه؛ لكنها شاركت عينيه مع الاحترام المُسلي.

قال: «لا يوجد أي خِداعٍ في الأمر، أعدك بهذا، أنت مُسلَّح، وستسمَح لك قوَّات أمن المحطَّة بحمل السلاح وقتما تشاء، من شأن هذا وحده أن يطمئنكم لأنني لا أخطِّط لأي أعمال كريهة؛ لكن دعني أوصلكم إلى مُستقركم قبل أن نتحدَّث أكثر، حسنًا؟».

لم يتحرَّك هولدن من مكانه قيد أنملة، مرَّت مجموعة أخرى من العُمَّال العائدين في الممر، راقبوا المشهَد بفضولٍ أثناء مرورهم، صاح أحد الأشخاص من وسط الحشد: «هل كُل شيء على ما يُرام يا فريد؟».

أومأ فريد برأسه، ولوَّح لهم بنفاد صبر وهو يقول: «دعونا نُغادِر الممر على الأقل».

أجابه هولدن: «لن نقوم بتفريغ أمتعتنا حتى نحصُل على بعض الإجابات».

قال فريد: «حسنًا، كدنا نصِل». ثُم قادهم مرَّة أخرى بوتيرةٍ أسرع إلى حدٍّ ما، توقَّف عند مدخل صغير في جدار الممر به بابان، انفتح أحدهما عندما مرَّت البطاقة فيه، قاد أربعتهم إلى جناح سكني كبير مزوَّد بمساحة معيشة واسِعة، والكثير من المقاعِد.

قال فريد: «الحمام هو ذلك الباب الموجود هناك على اليسار، أما غُرفة النوم فتلك الموجودة على اليمين، حتى إن هناك مساحةً لمطبخٍ صغيرٍ هنا». كان يُشير إلى كُل شيء وهو يتحدَّث.

جلس هولدن في مقعدٍ كبيرٍ من الجلد الصناعي البُني واسترخى للخلف، كان جهاز التحكُّم عن بُعد ينتظره في جيب مسنَد الذراع، افترض أنه كان يتحكَّم بالشاشة الكبيرة بشكلٍ مُثيرٍ للإعجاب التي احتلَّت مُعظم الجدار، جلست ناعومي وأموس على أريكة كانت تتماشى مع مقعده، بينما لفَّ أليكس نفسه فوق مقعد مزدوج بألوان كريمية مُتناقِضة جميلة.

سأله فريد وهو يجذب أحد المقاعِد بعيدًا عن منضدة الطعام ذات الستة مقاعِد، ويجلِس في مواجهة هولدن: «هل تشعُر بالراحة؟».

قال هولدن مُدافعًا عن نفسه: «الأمر على ما يُرام، كانت مركبتي تحتوي على صانعة قهوة جميلة حقًّا».

- «أفترض أن الرشاوى لن تُجدي نفعًا، هل تشعرون جميعًا بالراحة؟ لدينا جناحان مُخصَّصان لكم، كلاهما بتصميم أساسي، على الرغم من أن الجناح الآخر يحتوي على غُرفتين، لم أكُن مُتأكِّدًا من ترتيبات النوم... ».

تباطأ فريد وهو يشعُر بالارتباك، قال أموس وهو يغمز بعينه نحو ناعومي: «لا تقلقي أيتها المُديرة، يُمكِنكِ أن تُشاركيني الفراش».

ابتسمت ناعومي ابتسامةً خافتةً.

قالت: «حسنًا يا فريد، ها نحن أولاء بعيدون عن الشارع، والآن... أجِب عن أسئلة القُبطان».

أومأ فريد برأسه، ثُم وقف وسعل لينظِّف حلقه، بدا وكأنه يُراجِع شيئًا ما، وعندما تحدَّث، اختفت روح المُحادثة من صوته، وحلَّ محلها سُلطة قاتِمة.

- «الحرب بين الحزام والمريخ انتحار، حتى لو كان كُل مُتنقِّل بين الكواكِب في الحزام مُسلَّحًا، فسنكون لا نزال غير قادرين على مُنافسة البحرية الفضائية المريخيَّة. قد نقتُل القليل منهم باستخدام الحيل والعمليات الانتحاريَّة، وقد يشعُر المريخ أنه مُجبر على تفجير إحدى محطَّاتنا لإثبات وجهة نظر ما؛ لكن يُمكِننا نصب الصواريخ الكيميائية على بضع مئات من الصخور بحجم فراش بطابقين وإمطار نهاية العالم على مُدن قُبة المريخ».

توقَّف فريد، كما لو كان يبحث عن الكلمات المُناسِبة، قبل أن يجلس على مقعده.

- «يتجاهَل كُل الدعاة للحرب هذا الأمر، إنه الفيل الذي يملأ فضاء الغُرفة، فأي شخص لا يعيش على متن مركبة فضائية مُعرَّض للخطر من الناحية الهيكلية. تايكو، إيروس، بالّاس، سيريس. لا يُمكِن للمحطَّات أن تتهرَّب من الصواريخ القادِمة، ولا يتعيَّن علينا حتى أن نُحكِم التصويب بشكلٍ جيدٍ، خصوصًا مع وجود جميع مواطني العدو الذين يعيشون في قاع آبار الجاذبية الهائلة، كان آينشتاين مُحقًّا، سنخوض الحرب القادِمة بالصخور؛ لكن الحزام لديه صخور كافية لتحويل سفح المريخ إلى بحرٍ مُنصهِرٍ. لا يزال الجميع يلعبون أوراقهم بشكلٍ لطيفٍ في الوقت الحالي، ويُطلِقون النار على المركبات فحسب، وهذا شيء مُهذَّب جدًّا؛ لكن عاجلًا أو آجلًا، سيتم الضغط على أحد الجانبين للقيام بشيءٍ يائِسٍ».

انحنى هولدن إلى الأمام، أصدر سطح بدلته الفضائية الأملس صوت صرير مُحرِج على المقعد المصنوع من الجلد؛ لكن أحدًا لم يضحَك.

سأله: «أوافقك الرأي؛ لكن ما علاقة ذلك بنا؟».

قال فريد: «لقد أُريقت الكثير من الدماء بالفعل».

شيد.

جفل هولدن من التورية الكئيبة غير المقصودة؛ لكنه لم يقُل شيئًا.

تابع فريد حديثه قائلًا: «(كانتيربيري)، (دوناجير). لن ينسى الناس تلك المركبات، ولا آلاف الأرواح البريئة هذه».

قال أليكس: «يبدو أنك استبعدت لتوِّك الخيارين الوحيدين يا زعيم، لا حرب، ولا سلام».

قال فريد: «هناك بديل ثالِث، لدى المُجتمع المُتحضِّر طريقة أخرى للتعامُل مع مثل تلك الأشياء، كالمُحاكمة الجنائية».

هزَّ صوت شخير أموس الهواء، تحتَّم على هولدن أن يقاوِم نفسه كيلا يضحَك.

سأله أموس: «هل أنت جاد حقًّا بحق اللعنة؟ وكيف سيُمكِنك تقديم مركبة شبح مريخية لعينة للمُحاكمة؟ هل سنذهب لاستجواب جميع المركبات الشبحية في أماكِن تواجدهم، ونتحقَّق من أعذار غيابهم؟».

رفع فريد يده.

قال: «توقَّفوا عن التفكير في تدمير (كانتربيري) على أنه عمل من أعمال الحرب، إن ما حدث جريمة، يُبالِغ الناس في ردَّة فعلهم في الوقت الحالي؛ لكن بمُجرَّد أن يسوء الوضع، ستهدأ النفوس، وسيرى الناس في كلا الجانبين إلى أين سيقودهم ذلك الطريق وسيبحثون عن مخرج آخر، وهناك نافِذة حيث يُمكِن للعناصِر التي تتمتَّع بصوتِ العقل التحقيق في الأحداث، والتفاوُض على الاختصاص القضائي، وإلقاء اللوم على بعض الأطراف أو الجهات التي يُمكِن أن يتفِق عليها الطرفان، المُحاكمة، إنها الطريقة الوحيدة التي لا تتضمَّن ملايين الوفيات، وانهيار البنية التحتيَّة البشرية».

هزَّ هولدن كتفيه، وهي اللفتة التي كانت بالكاد ظاهرة للعيان بسبب البدلة الفضائية الثقيلة التي يرتديها.

- «سنذهب إلى المحكمة إذن، ما زلت لم تُجِب عن سؤالي».

أشار فريد إلى هولدن، ثُم إلى كُل فرد من أفراد الطاقم واحدًا تلو الآخر.

- «أنتم الورقة الرابِحة، فأربعتكم هُم شهود العيان الوحيدون على تدمير كلتا المركبتين، وعندما يأتي موعِد المُحاكمة، سأحتاج إليكم وإلى شهاداتكم، لديَّ قدرة على التأثير من خلال اتصالاتنا السياسية؛ لكن يُمكِن لكم أن تضمنوا وجودي على طاوِلة صُنَّاع القرار. ستحدُث مجموعة جديدة كاملة من المُعاهدات بين الحزام وبين الكواكِب الداخلية، يُمكِننا أن نفعل في شهور ما كُنت أحلم بفعله منذ عقود».

قال هولدن: «وتُريد الاستفادة من قيمتنا كشهود كي تشُق طريقك في العملية حتى تتمكَّن من جعل تلك المُعاهدات تبدو بالطريقة التي تُريدها».

- «أجل، وأنا على استعدادٍ لمنحكم الحماية، والمأوى، وحُرية التجوُّل في محطتي لأطول فترة مُمكِنة للوصول إلى هناك».

أخذ هولدن نفسًا عميقًا، ووقف، وبدأ في فتح سحَّاب بدلته.

قال: «أجل، حسنًا. هذه مُجرَّد خدمة ذاتية بما فيه الكفاية لتصديق الأمر، لنستقر هنا».

***

كانت ناعومي تُغني الكاريوكي، ومُجرَّد التفكير في الأمر جعل رأس هولدن يدور. ناعومي. كاريوكي. حتى في أخذ كُل ما حدث لهم خلال الشهر الماضي في الاعتبار، صعدت ناعومي على خشبة المسرَح وهي تُمسِك بميكروفون في إحدى يديها، ونوع من المارتيني الفوشيا في اليد الأخرى، صرخت بنشيدٍ حزامي بذيء خاص بفريق (المُرشَّحات العفِنة)، وكان هذا أغرَب شيء رآه على الإطلاق، انتهت وسط تصفيق مُنتثِر وعدد قليل من الهتافات، ثُم ترنَّحت هابطة عن المسرح قبل أن تنهار أمامه في الكُشك.

رفعت مشروبها، سكبت نصفه تقريبًا على المنضدة، ثُم تجرعت النصف الآخر على مرةٍ واحدةٍ.

سألته ناعومي وهي تلوِّح للبارمان ليأتي لها بكأسٍ آخرَ: «ما رأيك؟».

أجابها هولدن: «كان هذا فظيعًا».

- «لا، حقًّا».
- «لقد كانت حقًّا واحدة من أفظع عمليات الأداء لواحِدة من أفظع الأغاني التي سمعتها على الإطلاق».

هزَّت ناعومي رأسها، وهي تُصدِر صوتًا استهزائيًّا غاضبًا في وجهه، تساقط شعرها الداكِن على وجهها، وعندما أحضر لها النادِل كأسًا مارتينيًّا أخرى ذات لون زاهٍ، أُحبِطت كُل محاولاتها للشرب، في النهاية أمسكت بشعرها ورفعته فوق رأسها في كُتلةٍ بينما تشرَب.

قالت: «أنت لا تفهَم، من المفْترض بالأمر أن يكون فظيعًا. فهذا هو بيت القصيد».

قال هولدن: «إذن فقد كانت هذه أفضل نُسخة من تلك الأغنية سمعتها على الإطلاق».

«أنت مُحِق للغاية». تلفَّتت ناعومي لتنظُر في أنحاء الحانة قبل أن تسأله: «أين أموس وأليكس؟».

- «وَجَد أموس ما أنا مُتأكِّد من أنها أغلى عاهرة رأيتها في حياتي، وأليكس يلعَب لعبة رمي السهام بالخلف، قدَّم بعض الادعاءات حول تفوُّق لاعبي السهام المريخيين، أفترِض أنهم سيقتلونه ويلقون به من غُرفة مُعادلة الضغط».

كان هناك مُغنٍّ ثانٍ على خشبة المسرَح، وهو يُدندِن نوعًا من الأغاني الشعبيَّة الفيتنامية. راقبت ناعومي المُغني لبعض الوقت وهي تحتسي مشروبها، ثُم قالت: «ربما يجب أن نذهب لإنقاذه».

- «أيهما؟».
- «أليكس، لماذا سيحتاج أموس للإنقاذ؟».
- «لأنني مُتأكِّد أنه أخبر العاهرة باهظة الثمن أن فريد هو من سيدفع الحساب».

قالت ناعومي وهي تشرب بقية مشروبها: «لنقُم بمهمة إنقاذ؛ بإمكاننا أن ننقِذ كليهما، أنا بحاجةٍ للمزيد من وقود الإنقاذ رغم ذلك».

بدأت تلوِّح للنادِل مرَّة أخرى؛ لكن هولدن أمسَك يدها وثبَّتها على المنضدة.

قال: «ربما ينبغي لنا أن نأخُذ استراحةً بدلًا من ذلك».

اشتعل وجهها في نفحةٍ من الغضب الشديد لفترةٍ وجيزةٍ، جذبت يدها.

قالت ناعومي: «لتأخُذ أنت الاستراحة، لقد فقدت لتوي مركبتين ومجموعة من الأصدِقاء، وقضيت ثلاثة أسابيع من الوقت الضائِع في الطيران للوصول إلى هنا، لذلك لا. سأتناوَل مشروبًا آخر، ثُم سأقوم بمجموعة أغانٍ أخرى، لقد أحبني الجمهور».

- «ماذا عن مهمة الإنقاذ الخاصَّة بنا؟».
- «قضية خاسِرة، ستقتل العاهرات الفضائيات أموس؛ لكنه على الأقل سيلقى حتفه بالطريقة التي عاش بها».

شقَّت ناعومي طريقها من على المنضدة، أمسكت بكأس المارتيني الخاص بها من على الحانة، وتوجَّهت نحو منصة الكاريوكي، راقبها هولدن وهي تمضي، ثُم أنهى كأس السكوتش الذي كان يرضعه طوال الساعتين الماضيتين وقام.

وللحظةٍ هناك واتته رؤية لهما يعودان إلى الغُرفة سويًّا، ثُم يخلُدان إلى الفراش، سيكره نفسه في الصباح لاستغلال الفُرصة؛ لكنه كان لا يزال سيفعلها، كانت ناعومي تنظُر إليه من فوق المسرَح، وأدرك أنه كان يُحدِّق بها، لوَّح لها تلويحةً صغيرةً، ثُم خرج من الباب برفقة الأشباح -آدي، والقُبطان ماكدويل، وجوميز، وكيلي، وشيد- كي يحظى برفقةٍ.

***

كان الجناح مُريحًا، وضخمًا، ومُثيرًا للاكتئاب، رقد في الفراش أقل من خمس دقائِق قبل أن ينهض ويَخرُج من الباب مرَّة أخرى، سار في الممر لمُدة نصف ساعة، قبل أن يجد التقاطُعات الكبيرة المؤدية لأجزاء أخرى من الحلقة، وجد متجرًا للإليكترونيات ومقهى وما تبيَّن بعد الفحص الدقيق أنه بيت دعارة باهِظ الثمن، رفض قائِمة الفيديو الخاصَّة بالخدمات التي قدَّمها له عامِل الاستقبال وتجوَّل في الخارج مرَّة أخرى، مُتسائلًا عمَّا إذا كان أموس في مكانٍ ما بالداخِل.

كان في مُنتصف ممر لم يرَه من قبل عندما مرَّت بجواره مجموعة صغيرة من المُراهقات، لم تزِد وجوههم عن أربعة عشر عامًا؛ لكنهن كُنَّ يُماثلنه طولًا، التزمن الصمت عندما مرَّ بجوارهن، ثُم انفجرن ضاحِكات عندما أصبح خلفهن، وأسرَعن مُبتعدات، كانت تايكو مدينة، وشعر فجأة وكأنه أجنبي، غير مُتأكِّد من أين يجب أن يذهب؟ أو ماذا يجب أن يفعل؟.

لم يكُن مُفاجئًا بالنسبة له عندما رفع ناظريه أثناء تجواله واكتشف أنه وصل إلى المصعَد في منطقة الرسو. ضرب الزر ودلف إليه، مُتذكِّرًا أن يقوم بتشغيل مغناطيسية حذائه في الوقت المُناسِب تمامًا لتجنُّب ارتفاع قدميه عندما تلتوي الجاذبية جانبًا وتتوقَّف.

وعلى الرغم من أنه لم يمتلك المركبة سوى لثلاثة أسابيع فحسب، فإن صعوده إلى متن (روسينانت) جعله يشعُر وكأنه يعود إلى المنزل، شقَّ طريقه صعودًا إلى قُمرة القيادة، بلمساتٍ خفيفةٍ على سلم العارِضة، جذب نفسه إلى أريكة مُساعِد الطيَّار، ربط حزام الأمان، وأغلق عينيه.

كانت المركبة غارِقة في الصمت، لم يكُن هناك أي شيء يتحرَّك على الإطلاق، خصوصًا مع فصل المُفاعِل عن الطاقة، نقل أنبوب الرسو المرِن

الذي يربُط (روسي) بالمحطَّة اهتزازًا ضئيلًا جدًّا للمركبة. كان بإمكان هولدن أن يُغلِق عينيه، وينجرف فِي أحزمة الأمان، وينفصل عن كُل شيء من حوله.

كان من المُمكِن أن يكون هذا مُهدِّئًا باستثناء أنه في كُل مرَّة يُغلِق فيها عينيه خلال الشهر الماضي، كانت الأضواء الشبحيَّة الباهِتة الموجودة خلف جفنيه تتحوَّل إلى آدي، وهي تغمِز قبل أن تنفجِر وتتحوَّل إلى غُبارٍ. وكان الصوت الذي يحتل مؤخرة دماغه هو صوت ماكدويل وهو يحاوِل إنقاذ مركبته حتى اللحظة الأخيرة، تساءل عمَّا إذا كانوا سيلازمونه لبقية حياته، ويخرجون لمُطاردته في كُل مرَّة يقتنِص فيها لحظة هدوء.

تذكَّر زملاءه القدامى من أيام وجوده في البحرية الفضائية، الجنود الذين خطَّ الشيب رؤوسهم، والذين بإمكانهم النوم بهدوءٍ بينما هُم على بُعد مترين من زُملائهم في المركبة المُنهمكين في لعبة بوكر صاخِبة، أو يُشاهِدون مقاطِع الفيديو بأعلى صوت مُمكِن. افترض في ذلك الوقت أن هذا مُجرَّد سلوك مُكتسب؛ حيث يتكيَّف الجسد ليتمكَّن من الحصول على قسطٍ كافٍ من الراحة فِي بيئةٍ لم تشهَد أي فترة سكون، والآن تساءل عمَّا إذا كان هؤلاء المُحاربون القدامى يرون أن الضوضاء المُستمِرَّة هي الأفضل. طريقة لتنحية زملائهم المفقودين، ربما عادوا إلى المنزل بعد انتهاء فترة العشرينات من عُمرهم ولم يحصلوا على قسطٍ من النوم مرَّة أخرى، فَتَح عينيه وشاهد مؤشِّرًا أخضر صغيرًا يومِض على وحدة تحكُّم الطيَّار.

كان الضوء الوحيد في الغُرفة، ولم يكُن يُضيء شيئًا؛ لكن خفوته البطيء إلى الداخِل وإلى الخارِج كان مُريحًا إلى حدٍّ ما. ضربات قلب المركبة الهادِئة.

أخبر نفسه أن فريد كان مُحقًّا؛ وأن المُحاكمة هي الشيء الصحيح الذي نأمله؛ لكنه أراد وضع تلك المركبة الشبح في مرمى نيران أليكس. أراد أن يعيش هذا الطاقم المجهول تلك اللحظة المُرعِبة عندما تفشَل جميع الإجراءات المُضادة، والصواريخ على بُعد ثوانٍ من الاصطدام، دون أن يقدِر أي شيء على إيقافها.

أرادهم أن يشهقوا نفس شهقة الخوف الأخيرة التي سمعها عبر ميكروفون آدي.

ولبعض الوقت، استبدل الأشباح التي تسكُن رأسه بخيالات الانتقام العنيفة. وعندما توقَّفوا عن العمل، طفا فوق سطح الأفراد، ربط نفسه في فراشه، وحاول النوم، غنَّت له (روسينانت) تهويدة النوم عبر أجهزة إعادة تدوير الهواء والصمت.

(٣٠)
ميلر

جَلَسَ ميلر في مقهى مفتوح، بينما اتسَع النفق من فوقه، نما العُشب طويلًا وباهتًا في الأماكِن العامَّة، وتوهَّج السقف بالكامِل باللون الأبيض، كانت محطَّة سيريس غير مُقيَّدة، وتُبقيها الميكانيكا المدارية والقصور الذاتي حيث كانت دائمًا؛ لكن القصص التي تدور حولها كانت قد تغيَّرت، كانت النِّقاط الدفاعية هي نفسها، وكانت قوة الشد الخاصَّة بأبواب الميناء الانفجارية هي نفسها. كان درع الوضع السياسي المؤقَّت هو ما فقدوه، وكان يُمثِّل كُل شيء.

انحنى ميلر إلى الأمام ورشف قهوته.

كان هناك أطفال يلعبون في الأماكِن العامَّة، فكَّر فيهم كأطفال، على الرغم من أنه تذكَّر أنه كان يُفكِّر في نفسه كشخصٍ بالغٍ عندما كان في هذا السن -خمسة عشر، أو ستة عشر عامًا- كانوا يرتدون شارات ذراع (أوبا)، تحدَّث الأطفال بصوتٍ عالٍ وغاضبٍ عن الحُرية والاستبداد، راقبت الفتيات الأولاد وهُم يتبخترون. قصة الحيوانات القديمة، نفس الشيء سواء كان على صخرةٍ دوَّارةٍ مُحاطة بفضاءٍ واسعٍ، أو محميَّات طبيعيَّة للشمبانزي بحجم الطوابع على الأرض، وحتى في الحِزام،

صاحَب الشباب الحصانة والخلود والقناعة الراسِخة التي لا تتزعزع بأن الأمور ستختلِف بالنسبة لك. ستعطيك قوانين الفيزياء راحةً، ولن تضربك الصواريخ أبدًا، ولن يحمل الهواء أي أصوات هسيس على الإطلاق، ربما يحدُث هذا لأشخاصٍ آخرين -المركبات القتالية المُرقَّعة الخاصَّة بـ (أوبا)، وناقِلات المياه، والمركبات الحربيَّة المريخية، (سكوبيولي)، (كانتيربيري)، (دوناجير)، ومئات المركبات الأخرى التي انفجرت في أحداثٍ صغيرةٍ منذ أن حوَّل النظام نفسه إلى ساحة حرب- لكن لن تحدُث لك، وعندما كان الشباب محظوظين بما فيه الكفاية للنجاة من تفاؤلهم، كان كُل ما تبقى لميلر هو القليل من الخوف، القليل من الحسد، وشعور غامِر بهشاشة الحياة؛ لكنه كان لديه صك دفع أجور يُعادِل ثلاثة أشهُر في حسابهن والكثير من وقت الفراغ، ولم تكُن القهوة سيئة.

سأله النادِل: «هل تحتاج إلى أي شيء يا سيدي؟». لم يكُن أكبر من الأطفال الذين يلعبون عند العُشب، هزَّ ميلر رأسه.

مرَّت خمسة أيام منذ أن أبطلت ستار هيليكس عقدها، استقال حاكِم سيريس، وتمَّ تهريبه على مركبة نقل قبل انتشار الأخبار، أعلَن تحالُف الكواكِب الخارجية عن إدراج سيريس ضمن العقارات الرسمية التي تمتلكها (أوبا)، ولم يقُل أحد شيئًا غير ذلك، أمضى ميلر يومه الأول في البطالة في حالة سُكْر؛ لكن ثمالته كان بها شعور شكلي غريب، لقد فرَّ إلى الزجاجة لأنها كانت مألوفة، لأنها كانت ما تُعاقِره عندما تخسَر مسيرتك المهنيَّة التي تُعرِّفك.

قضى يومه الثاني يجتاز صُداع الخمر، وشعر بالملل في يومه الثالِث، فقد كانت قوَّات الأمن في كُل أرجاء المحطَّة تروِّج للعرض الذي كان

يتوقَّعه، حفظ السلام الوقائي. انفضَّت التجمُّعات والاحتجاجات السياسية القليلة بسُرعةٍ وبصعوبةٍ، ولم يهتَم مواطنو سيريس كثيرًا. كانت أعيُنهم مُثبَّتة على شاشاتهم، على الحرب، تمَّ إلقاء عدد قليل من السكارى المحليين في السجن دون توجيه أي تُهَم دون سابِق إنذار، ولم يكُن ميلر مسؤولًا عن أيٍّ من ذلك بشكلٍ شخصي.

في اليوم الرابع، فحص جهازه اللوحي ليكتشِف أن ثمانين بالمائة من طلبات سجلَّات الرسو قد وصلته قبل أن تُغلِق شاديد إمكانية ولوجه. ما يزيد عن الألف إدخال، يُمكِن لأي واحد منهم أن يكون الدليل الوحيد المُتبقي لجولي ماو، وحتى الآن، لم تكُن هناك أي أسلِحة نووية مريخيَّة في طريقها لدك سيريس، ولا مطالِب بالاستسلام، ولا قوَّات اقتحام؛ لكن يُمكِن أن يتغيَّر في لحظةٍ؛ لكن حتى يحدُث ذلك، سيشرَب ميلر القهوة ويفحص سجلَّات المركبات، بمُعدَّل واحد كُل خمس عشرة دقيقة. اعتقد ميلر أنه إذا كان هولدن على متن آخر مركبة في السجل، فسيستغرق حوالي ستة أسابيع لإيجاده.

رَسَت (أدريانوبول)، وهي مركبة تنقيب من الجيل الثالِث، في بالّاس ضمن نافِذة الوصول المُحدَّدة. فَحَصَ ميلر التسجيل المفتوح، مُحبطًا مرَّة أخرى من قلَّة المعلومات المتوفِّرة مُقارنةً بقواعِد البيانات الأمنية، كانت مملوكة للقائِد العام أنتوني أبراموِيتز، ثمانية شواهِد قانونية للصيانة دون المستوى، محظورة من إيروس وسيريس لأنها تُمثِّل خطرًا على الميناء، هناك أحمق على وشك أن يتسبَّب بحادثٍ؛ لكن خطَّة الطيران بدت مشروعة، وتاريخ المركبة عميق بما فيه الكفاية لعدم شم رائِحة جديدة، مسح ميلر الإدخال.

(القاسية اللعينة)، ناقِلة شحن تقوم بمُثلَّث بين لونا، جانيميد، والحزام، تملكها شركة (MYOFB) الموجودة خارِج لونا، أظهر استعلام القواعِد العامَّة في جانيميد أنها غادرت الميناء هناك في الوقت المذكور دون أن تُكلِّف نفسها عناء تقديم خطة طيران. نقر ميلر على الشاشة بظفره. لم تكُن هذه هي الطريقة التي سيطير بها تحت الرادار؛ حيث يُمكِن لأي شخص يتمتَّع بالسلطة أن يقضي على هذه المركبة لمُجرَّد مُتعة القيام بالأمر، مسح الإدخال.

دقَّ جهازه اللوحي. رسالة وارِدة. فَتَحها ميلر، ضحكت فتاة في أحد الأماكِن العامَّة فضحِك الآخرون، صار عصفورًا وأجنحته تُرفرِف في النسيم الذي يُحرِّكه جهاز إعادة تدوير الهواء باستمرارٍ.

بدا هافلوك أفضل مما كان عليه عندما كان في سيريس -أكثر سعادةً- اختفت الهالات السوداء التي تُحيط بعينيه، وكان شكل وجهه قد خفَّ بشكلٍ أكثر براعة، وكأن حاجته لإثبات نفسه في الحزام قد غيَّرت عظامه، وعاد الآن إلى شكله الطبيعي.

قال التسجيل: «ميلر! لقد سمعت عن مُقاطعة الأرض لسيريس قبل أن تصلني رسالتك. حظ سيئ. يؤسفني سماع أن شاديد طردتك. بيني وبينك، هي مُجرَّد بلهاء غبيَّة، لقد سمعت شائِعات أن الأرض تفعل كُل ما في وسعها للبقاء بعيدةً عن الحرب، بما في ذلك التخلي عن أي محطَّة تتوقَّع أن تكون نُقطة خلاف، أنت تعرِف كيف يدور الأمر، فعندما يكون هناك كلب بيت بول عن يمينك وكلب روت فايلر عن يسارك، فإن أول ما ستفعله هو ترك شريحة اللحم».

قهقه ميلر.

«لقد وقَّعت مع شركة أمن بروتوجين، شركة خاصَّة تافِهة كبيرة خاصَّة بالجيش. لكن الأجر يستحِق تحمُّل أوهام العظمة، من المُفترض أن يكون العقد على جانيميد؛ لكن مع استمرار الهراء الذي يحدُث في الوقت الحالي، فمن يدري كيف سينتهي الأمر حقًّا؟ اتضح أن بروتوجين قد حصلت على قاعدة تدريب في الحزام. لم أسمَع عنها من قبل؛ لكن من المُفترض أن تكون صالة للألعاب الرياضية، أعرِف أنهم يقومون بالتوظيف، ويُسعدني أن أضع توصية بك، دعني أعرف فقط، وسأرتِّب اجتماعًا بينك وبين المُجنَّد التعريفي؛ لنخرجك من تلك الصخرة اللعينة».

ابتسم هافلوك.

قال الأرضي: «اعتنِ بنفسك يا شريكي، وابقَ على اتصالٍ».

بروتوجين. بينك ووتر. العبيق. قوَّات أمن الشركات الصغيرة التي تستخدمها الشركات عبر المدارية الكبيرة كجيوشٍ خاصَّةٍ، وقوَّات مُرتزقة قابِلة للإيجار حسب الحاجة، كانت شركة (أنانسيك) تمتلِك عقد بالآس الأمني، ولطالما فعلت ذلك منذ سنوات؛ لكن مقرُّها كان في المريخ، ربما كانت (أوبا) توظِّف؛ لكنها لن توظِّفه هو بالطبع.

لقد مرَّت سنوات منذ أن حاوَل العثور على عملٍ. لقد افترَض أن هناك صراعًا مُعيَّنًا يدور من خلفه، وأنه سيموت وهو يعمَل بعقدِ أمن بمحطَّة سيريس، والآن بعد أن تسبَّبت الأحداث في طرده، سيطر على كُل شيء شعور غريب بالطفو، مثل الفجوة التي تفصِل بين التعرُّض للضرب والشعور بالألم، كان بحاجةٍ إلى العثور على وظيفةٍ أخرى، كان بحاجةٍ للقيام بما هو أكثر من إرسال بعض الرسائِل إلى شركائه القدامى. فقد كانت هناك شركات توظيف. كما كان هناك حانات في سيريس تقوم

بتوظيف ضُبَّاط الشرطة السابقين للعمل كحُرَّاسٍ، وكان هناك أسواق رمادية من شأنها أن تأخُذ أي شخص قادر على منحهم مظهرًا خادِعًا من الشرعية.

آخر شيء بدا منطقيًّا كان الجلوس، والنظر إلى الفتيات في الحديقة، ومُطاردة الأدلَّة في قضيةٍ لم يكُن من المُفترض به أن يُتابِعها في المقام الأول.

جاءت (داجون) إلى سيريس قبل وقت قصير من نافِذة الوصول المُحدَّدة، مملوكة لشركة (جلابيون المُشتركة)، والتي كان واثقًا للغاية من أنهم واجهة لـ (أوبا)، وجعلها هذا مُناسبةً بشكلٍ جيدٍ، باستثناء أن خطة الطيران التي تمَّ وضعها بعد ساعات قليلة من انفجار (دوناجير)، وبدا سجل خروجها من آيو مُتماسكًا. قام ميلر بتحويلها إلى ملفٍّ كان يحتفِظ به للمركبات التي تستحِق إلقاء نظرة أخرى.

بينما كانت (روسينانت)، المملوكة لشركة (سيلينكيوكس كورنت القابِضة) في لونا. ناقِلة غاز رَسَت في تايكو قبل ساعات فقط من إغلاق نافِذة الوصول المُحدَّدة. كانت (سيلينكيوكس كورنت) كيانًا مؤسَّسيًّا متوسِّط الحجم ليس له علاقات واضِحة مع (أوبا)، وكانت خطَّة الطيران من بالّاس جديرة بالتصديق، وضع ميلر ظفره على زر الحذف، ثُم توقَّف، واعتدل في مجلسه.

لماذا كانت ناقِلة غاز ترتحِل بين بالّاس وتايكو؟ فكلتا المحطَّتين مُستهلِكة للغاز. والطيران من مُستهلِكٍ إلى مُستهلِكٍ دون التوقُّف عند مزوِّد في مُنتصف الطريق طريقة جيِّدة لعدم تغطية رسوم الرسو. قدَّم طلبًا لخطة الطيران التي نقلت (روسينانت) إلى بالّاس من أي مكان كانت فيه قبل ذلك، ثُم جلس مُنتظرًا. إذا كان قد تمَّ تخزين السجلَّات مؤقتًا في خوادِم سيريس، فلن يستغرِق الطلب أكثر من دقيقة أو اثنتين.

قدَّر شريط الإشعارات الوقت المُستغرَق بساعةٍ ونصف، مما يعني أنه سيتم إعادة توجيه الطلب إلى أنظِمة الرسو في بالّاس. لم يكُن مُخزَّنًا في النسخة الاحتياطية المحليَّة.

حكَّ ميلر ذقنه؛ كانت خمسة أيام من الشعر غير المحلوق قد بدأت تكوِّن لحيةً، شعر بابتسامةٍ تبدأ. أجرى بحثًا عن معنى كلمة (روسينانت)، والتي كانت تعني: (لم يعُد حصانًا عاملًا) بشكلٍ حرفي، وكان أول إدخال ظهر أمامه هو اسم حُصان دون كيشوت.

ابتسم ميلر في مواجهة الشاشة وهو يقول: «هل هذا أنت يا هولدن؟ هل أنت بالخارِج تُحارِب طواحين الهواء؟».

قال النادِل: «سيدي؟». لكن ميلر لوَّح له ليصرفه.

كان هناك المئات من الإدخالات التي لا يزال يجب النظر فيها، والعشرات على الأقل في ملف النظرة الثانية. تجاهلهم ميلر، وحدَّق في الادخال كما لو كان بإمكانه عرض المزيد من المعلومات على الشاشة بقوة الإرادة المُطلَقة، ثُم سحب رسالة هافلوك ببطءٍ، ضغط زر الرد، ونظر إلى الثقب الأسود الصغير الخاص بكاميرا الجهاز اللوحي.

قال: «مرحبًا يا شريكي، شكرًا على العرض، قد أتطرَّق إلى الأمر؛ لكن هناك بعض مكامِن الخلل التي يجب أن أعالجها قبل أن أقفز من هنا، أنت تعلَم كيف يتم الأمر؛ لكن إذا كان بإمكانك أن تُقدِّم لي معروفًا، فأنا... بحاجةٍ لتعقُّب مركبة، وليس لديَّ سوى قواعِد البيانات العامة لأعمل من خلالها، بالإضافة إلى أن سيريس قد يكون في حالة حرب مع المريخ في الوقت الحالي. من يعرف؟ على أي حال، إذا كان بإمكانك تقديم طلب مُراقبة من المستوى الأول على أي خطة طيران خاصَّة بها،

وإرسال مُلاحظة لي إذا ظهر أي شيء... فسأشتري لك مشروبًا في وقتٍ ما».

توقَّف. لا بُدَّ أن يكون هناك المزيد ليقوله.

- «اعتنِ بنفسك يا شريكي».

استعرض الرسالة، بدا مُرهقًا على الشاشة، وبدت الابتسامة مُزيَّفة بعض الشيء، والصوت أعلى قليلًا مما بدا في رأسه؛ لكنها قالت كُل ما كان بحاجةٍ إلى قوله. أرسلها.

هذا ما تمَّ اختزاله إليه. بدون تصريح دخول، ومُصادرة سلاح الخدمة -على الرغم من أنه لا يزال لديه سلاحان في غُرفته- وماله ينفد. كان عليه البحث عن سُبل لتعزيز مصلحته الذاتية، وأن يطلُب الأشياء التي كان يجب أن تكون روتينية كمعروف، وأن يفوق النظام في التفكير في أي شيء، لقد كان شُرطيًّا، وحوَّلوه إلى فأرٍ، ولا يزال -كما اعتقد- جالسًا في المقعد، وهو عمل جيد جدًّا بالنسبة إلى فأرٍ.

جاء صوت التفجير من اتجاه الدوران، فتصاعدت حدة الأصوات في غضبٍ. أوقَف الأطفال الذين يعلبون في الأماكِن العامَّة لعبة: (المسني والِمسك) وحدَّقوا. وقف ميلر. كان هناك دُخان؛ لكنه لم يستطِع رؤية ألسنة اللهب. احتشد النسيم بينما رفعت أجهزة تنظيف الهواء الخاصَّة بالمحطَّة مُعدَّل الجريان لامتصاص الجُسيمات؛ كيلا تعتقِد المُستشعرات أن هناك خطر حريق. صدح دوي ثلاث طلقات في تتابُعٍ سريعٍ، وتجمَّعت الأصوات في ترنيمةٍ حادةٍ، لم يستطِع ميلر تبيُّن كلماتها؛ لكن الإيقاع أخبره بكُل ما يحتاج إلى معرفته، ليست كارثة، ولا حريقًا، ولا خرقًا. مُجرَّد شغب.

بدأ الأطفال يمشون نحو الشغب، أمسك ميلر إحداهُن من مرفقها، لا يُمكِن أن تكون قد تجاوَزت السادِسة عشرة من عُمرها، وعيناها شبه سوداء، ووجهها على شكل قلب مثالي.

قال: «لا تذهبوا إلى هناك، اجمعي أصدقاءكِ وسيروا في الاتجاه الآخر».

نظرت إليه الفتاة، وإلى يده المُمسِكة بذراعها، وإلى الشغب البعيد.

قال: «لا يُمكِنكم مد يد المُساعدة».

وجذبت ذراعها.

قالت: «لا بد أن نحاول، أليس كذلك؟». وبإمكانك أن تفعل أيضًا، كما تعرف.

قال ميلر وهو يضع جهازه اللوحي في حافِظته قبل أن يسير مُبتعدًا: «لقد فعلت للتو». من خلفه، تصاعدت أصوات الشغب؛ لكنه كان يعتقِد أنه بإمكان الشرطة أن تهتَم بالأمر.

***

أبلغت شبكة النظام عن وقوع خمسة أعمال شغب في المحطَّة خلال الأربع عشرة ساعة التالية، وعن حدوث بعض الأضرار الهيكلية الطفيفة، وأعلن شخص لم يسمَع به من قبل عن حظر تجوال مكوَّن من ثلاث مراحِل؛ وأن الأشخاص الذين سيخرجون من غُرفهم قبل ساعتين من بدء ورديات عملهم أو بعدها سيتعرَّضون للاعتقال، يعتقِد أيٌّ كان من يُدير العرض الآن أنه يُمكِن أن يحبِس ستة ملايين شخص ليخلِق الاستقرار والسلام، وتساءل عن رأي شاديد في ذلك.

وكانت الأمور تزداد سوءًا خارِج سيريس؛ حيث كانت مجموعة من المُنقِّبين المُتعاطفين مع (أوبا) تشغل مُختبرات علم الفلك الدقيق الموجودة في تريتون، والذين قاموا بتحويل المصفوفة إلى داخِل النظام لتقوم ببث موقِع كُل مركبة مريخية في النظام جنبًا إلى جنبٍ مع صور عالية الجودة لسطح المريخ، وصولًا إلى حمامات الشمس الخاصَّة بعُراة الصدر في حدائِق القُبَّة. كانت القصة تقول إن هناك وابلًا من القنابِل النوويَّة في طريقه إلى المحطَّة، وأن المصفوفة ستتحوَّل إلى غُبارٍ لامعٍ في غضون أسبوع. وكان تقليد الأرض للحلزون يسير بخطى واسِعة؛ حيث تراجَعت الشركات القائِمة على الأرض وعلى لونا إلى الأسفل في سلم الجاذبية. ليس كُلهم، ولا حتى نصفهم؛ لكن عدد كافٍ ليُرسِل رسالةً إلى تيران: لا تضعونا في الحُسبان، وناشَد المريخ من أجل التضامُن؛ بينما طالَب الحزام بتحقيق العدالة أو طلب -في كثيرٍ من الأحيان- من مسقط رأس البشرية أن تذهب إلى الجحيم.

لم يخرُج الأمر عن السيطرة بعد؛ لكن الأحداث كانت تتصاعَد. بضع حوادِث قليلة أخرى، ولن يهم كيف بدأ الأمر، ولن يهم ماهية المخاطِر. كان المريخ يعرِف أنه لا يُمكِن أن ينتصِر الحزام، والحزام يعرف أنه ليس لديه ما يخسره، لقد كانت وصفة للموت على نطاقٍ لم تره البشرية من قبل.

ومثل سيريس، لم يكُن هناك الكثير مما يُمكِن أن يفعله ميلر حيال ذلك أيضًا؛ لكن يُمكِن له أن يجد جيمس هولدن، وأن يكتشِف ما حدث لـ (سكوبيولي)، واتباع الأدلة للوصول إلى جولي ماو، لقد كان مُحقِّقًا، وكان هذا ما يفعله.

تحدَّث معها بينما كان يحزِم الموجودات في حُجرته، ويُلقي بالمُخلَّفات التي جمَّعها والتي نَمَت على مدى عقود مثل قشرة، حاول أن يشرَح سبب تخليه عن كُل شيء من أجل العثور عليها. بالكاد استطاع تجنُّب كلمة (دونكيشوتي) بعدما اكتشف أمر (روسينانت).

ضحكت جولي الخيالية أو تأثَّرت، لقد اعتقدت أنه رجل صغير حزين ومُثير للشفقة، نظرًا لأن تعقُّبها كان أقرب ما يكون إلى هدفٍ في الحياة يُمكِنه إيجاده، وبَّخته لكونه أداة لوالديه، بكت وطوَّقته بذراعيها، جلست معه في صالة مُراقبة لا يُمكِن تصوُّرها تقريبًا وراقبا النجوم.

كان يضع كُل ما لديه في حقيبة كتف، قطعتان من الملابِس، وأوراقه، وجهازه اللوحي، صورة قديمة لكانديس في أيامٍ أفضل، كُل النُسخ المطبوعة لقضية جولي ماو، والتي صنعها قبل أن تحذِف شاديد قسمه، بما في ذلك ثلاث صور لجولي، كان يعتقِد أن كُل ما عاشه يجب أن يُضاف إلى المزيد، ثُم غيَّر رأيه، ربما كان على وشك أن يكون مُحقًّا.

أمضى يومًا أخيرًا مُتجاهلًا حظر التجوُّل، وقام بجولاته في المحطَّة؛ ليودِّع عددًا قليلًا من الناس الذين قد يفتقِدهم أو يفتقِدونه، ولدهشته، فقد انهارت موس -التي وجدها في حانة شُرطة موتَّرة وغير مُريحة- في البُكاء، واحتضنته حتى أنَّت ضلوعه من الألم.

حجز تصريح سفر على متن وسيلة نقل إلى تايكو، كلَّفه سرير المبيت الخاص به ربع مُدَّخراته المُتبقية، خطر بباله -ليس للمرَّة الأولى- أنه كان عليه أن يجد جولي بسُرعةٍ كبيرةٍ، أو أن يجد وظيفة تدعمه ماديًّا خلال

التحقيق؛ لكن ذلك لم يحدُث بعد، ولم يعُد الكون مُستقرًّا بما فيه الكفاية لجعل التخطيط بعيد المدى أكثر من مُجرَّد مزحة ثقيلة.

دقَّ جهازه اللوحي، كما لو كان يُثبِت تلك النقطة، وهو في طابور الصعود إلى وسيلة النقل.

قال هافلوك: «مرحبًا يا شريكي، بشأن ذلك المعروف الذي طلبته؟ لقد حصلت على شيء، لقد قدَّمت حزمتك الخاصَّة خطة طيران إلى إيروس للتو، وأرسلت مُرفق بيانات الوصول العام، لقد أحضرت لك الأشياء الجيدة؛ لكن هؤلاء الرجال الموجودين في بروتوجين مُتشدِّدون، لقد ذكرتك لمسؤول التجنيد وبدا مُهتمًّا. دعني أعرف رأيك إذن؟ حسنًا، ستتحدَّث قريبًا».

إيروس.

رائع.

أومأ ميلر برأسه للمرأة التي تقف خلفه، وخرج من الصف، وتوجَّه إلى الكُشك، وبحلول الوقت الذي فُتِحَت فيه الشاشة، كانوا يوجِّهون النداء الأخير للصعود على متن وسيلة النقل المُتجِهة إلى تايكو. سلَّم ميلر تذكرته، وحَصَل على استرداد رمزي، وأنفق ثُلث المبلغ المُتبقي في حسابه على تذكرة إلى إيروس، ومع ذلك، كان يُمكِن للأمور أن تكون أسوأ. كان يُمكِن أن ينطلِق في طريقه قبل أن يتلقى رسالة هافلوك. كان عليه أن يبدأ في التفكير في الأمر على أنه حظ جيِّد، وليس سيئًا.

جاء تأكيد تصريح السفر على شكل رنين مثل مُثلث مضروب برقٍ.

قال لجولي: «آمل أن أكون مُحقًّا بشأن ذلك، إن لم يكُن هولدن هناك، فسأشعُر بالغباء الشديد».

ابتسمت بحُزنٍ في خياله.

وقالت: إن الحياة مُخاطرة.

(٣١)
هولدن

كانت المركبات صغيرة، لطالما كانت المساحة أمرًا استثنائيًّا، وحتى في وحش مثل: (دوناجير)، كانت الممرَّات والمقصورات ضيِّقة وغير مُريحة، وعلى متن (روسينانت) كانت الغُرف الوحيدة التي تمكَّن فيها هولدن من فرد ذراعيه دون لمس جدارين هي المطبخ ومرفق الشحن، ولم يكُن أي من المُسافرين من أجل لُقمة العيش مُصابًا برهاب الأماكِن المُغلَقة؛ ولكن حتى المُنقِّبون الأكثر صلابة في الحزام يُمكِنهم التعرُّف إلى التوتُّر المُتزايد لكونهم مُرتبطين بالمركبات. كانت استجابة التوتُّر القديمة للحيوان المُحاصَر، معرفة العقل الباطِن بأنه حرفيًّا لا يوجد مكان تذهب إليه لا يُمكنك رؤيته من حيث تقف بالفعل، بينما كان الهبوط من على متن المركبة إلى الميناء بمنزلة تحرير مُفاجئ ومُثير للدوار في بعض الأحيان.

وغالبًا ما كان يأخُذ شكل لعبة الشرب.

فمثل جميع البحارة الفضائيين المُحترفين، فأحيانًا ما كان هولدن يُنهي الرحلات الطويلة وهو يشرب حتى الثمالة، وأكثر من مرَّة كان يذهب للتجوُّل داخِل بيت دعارة، ولم يُغادِره سوى عندما يطردونه وقد فرغ حسابه، بقضيبٍ مُلتهبٍ، وبروستاتا جافَّة مثل الصحراء، ولذلك عندما

دخل أموس إلى غُرفته بعد ثلاثة أيام قضاها على متن المحطَّة، كان هولدن يعرف بالضبط ما يشعُر به الميكانيكي الكبير.

كان هولدن وأليكس يتشاركان الأريكة، ويُشاهدان موجز الأنباء. كان هناك اثنان من المُراسلين يتناقشون في أفعال الحزاميين بكلماتٍ مثل: الإجرامية، والإرهابية، والتخريبية، وأن المريخيين (دُعاة سلام). كانت قناة إخبارية مريخيَّة. أصدر أموس صوتًا استنكاريًّا وهو ينهار على الأريكة. قام هولدن بكتم صوت الشاشة.

سأله هولدن مُبتسمًا: «هل حصلت على إجازةٍ جيدةٍ على الشاطئ أيها البحَّار؟».

زمجر أموس قائلًا: «لن أشرب مرَّة أخرى أبدًا».

قال أليكس: «ناعومي قادمة في الطريق ببعض الطعام التي أحضرته من مطعم سوشي، سمك نِي لطيف ملفوف في أعشاب بحرية مُزيَّفة».

زمجر أموس مرَّة أخرى.

قال هولدن: «هذا ليس لطيفًا يا أليكس، دع كبد الرجل يموت بسلامٍ».

انفتح باب الجناح مرَّة أخرى، ودخلت ناعومي وهي تحمل كومة طويلة من الصناديق البيضاء.

قالت: «لقد حضر الطعام».

فتح أليكس جميع الصناديق، وبدأ في توزيع الأطباق الصغيرة التي تُستخدم لمرَّةٍ واحدةٍ.

قال هولدن وهو يبدأ في وضع الطعام في طبقه: «تجلبين لفائف السلمون، في كُل مرَّة يحين فيها دورِكِ لإحضار الطعام، يُظهِر هذا نقصًا في الخيال».

أجابته ناعومي: «أنا أحِب السلمون».

سيطر الهدوء على الغُرفة وهُم يتناولون الطعام؛ كانت الأصوات الوحيدة هي أصوات طقطقة عيدان الطعام البلاستيكية، وصوت السحق الرطب للأشياء التي تُغمَس في الواسابي وصوص الصويا، وعندما انتهى الطعام، مسح هولدن عينيه، وشعر بسيلان من الحرارة في جيوبه الأنفيَّة، واسترخى في مقعده تمامًا. استخدم أموس إحدى عيدان الطعام في حك تحت الجبيرة الموجودة على ساقه.

قال: «لقد قُمتم بعملٍ جيدٍ جدًّا بوضع هذه الجبيرة يا رِفاق، إنها أقل ما يؤلِمني في جسدي على الأقل الآن».

التقطت ناعومي جهاز التحكُّم عن بُعد من مسند ذراع هولدن، وأعادت تشغيل الصوت، بدأت تتنقَّل عبر النشرات الإخبارية المُختلِفة. أغلق أليكس عينيه واستلقى على المقعد المزدوج، شبك أصابعه فوق بطنه وتنهَّد برضا. شعر هولدن بانزعاجٍ مُفاجئ وغير عقلاني من عضو طاقمه لكونه مُرتاحًا للغاية.

قال: «هل انتهى الجميع من مص حلمة فريد بعد؟ أنا أعلم أنني انتهيت من ذلك».

قال أموس وهو يهز رأسه: «ما الذي تتحدَّث عنه بحق الجحيم؟ لقد بدأت لتوي».

قال هولدن: «أعني أنه إلى متى سنظل نتسكَّع في تايكو، ونشرَب، ونزني، ونأكُل السوشي على حساب فريد؟».

قال أليكس: «قدر ما أستطيع؟».

قالت: «لديك خطَّة أفضل إذن».

- «ليس لديَّ خطَّة؛ ولكنني أريد العودة إلى اللعبة. لقد كُنا مليئين بالغضب الصالِح وأحلام الانتقام عندما وصلنا إلى هنا، وبعد مص القضيب وصُداع ما بعد تناوُل الكحول لعدَّة مرَّات، لم يحدُث أي شيء على الإطلاق».

قال أليكس: «يتطلَّب تحقيق الانتقام وجود شخص ما لننتقم منه يا زعيم، ونحن نفتقِر إلى هذا القسم، في حال لم تُلاحظ ذلك».

قال هولدن: «تلك المركبة لا تزال موجودة في مكان ما هناك، وكذلك الأشخاص الذين أمروهم بإطلاق النار».

أجابه أليكس ببطءٍ: «إذن فأنت تُريد أن نُقلِع ونبدأ في الدوران في دوائِر حتى نصطدِم بهم؟».

ضحكت ناعومي، وألقت بعبوة صوص صويا عليه.

قال هولدن: «لا أعرف ما سنفعله؛ لكن الجلوس هنا بينما يقوم الأشخاص الذين دمَّروا مركبتنا بفعل كُل ما يفعلونه يكاد يصيبني بالجنون».

قالت ناعومي: «نحن هنا منذ ثلاثة أيام، نستحِق بعض الأسرَّة المُريحة والطعام اللائِق وفُرصة للحصول على قسطٍ من الراحة، لا تحاوِل أن تجعلنا نشعُر بالسوء لاستغلال تلك الفُرصة».

قال أموس: «بالإضافة إلى ذلك، فقد قال فريد إننا سنجعل هؤلاء الأوغاد يخضعون للمُحاكمة».

أجابه هولدن: «إذا كانت هناك مُحاكمة. إذا تعني أن هذا لن يحدُث قبل شهور أو ربما حتى سنوات، وحتى آنذاك، سينظُر فريد بشأن تلك المُعاهدات، وقد يكون العفو ورقة مساوَمة أخرى، أليس كذلك؟».

قالت ناعومي: «لقد كُنت سريعًا بما فيه الكفاية لتوافِق على شروطه يا جيم، هل غيَّرت رأيك؟».

- «إذا كان فريد يُريد الوثائِق مُقابل السماح لنا بإنهاء النزاع والحصول على قسطٍ من الراحة، فهذا ثمن رخيص، ولا يعني هذا أنني أعتقِد أنه من شأن المُحاكمة أن تُصلِح كُل شيء، أو أنني أريد أن أوضع على الهامِش حتى يحدُث ذلك».

أشار إلى الأريكة المصنوعة من الجلد الصناعي، والجدار الضخم الذي يُحيط بهم.

- «علاوةً على ذلك، يُمكِن أن يكون هذا سجنًا، صحيح أنه سجن لطيف؛ لكن فريد يمتلِكنا، طالما يتحكَّم في سلاسِل النقود، هذا لا ريب فيه».

تقطَّب جبين ناعومي، واتسعت عينيها بجدية.

سألته: «وما الخيارات التي نملكها يا سيدي؟ الرحيل؟».

عقد هولدن ذراعيه، بينما قلَّب عقله كُل شيء قاله وكأنه يسمعه للمرَّة الأولى، إن قول الأشياء بصوتٍ عالٍ يجعلها أكثر وضوحًا في الواقِع.

قال: «أفكِّر في أننا يجب أن نبحث عن عمل، لدينا مركبة جيِّدة، والأهم من ذلك، أن لدينا مركبة مُستَتِرَة. إنها سريعة. يُمكِننا التحرُّك بدون جهاز إرسال واستقبال إذا رغبنا في ذلك، سيحتاج الكثير من الناس لنقل الأشياء من مكانٍ إلى آخرَ مع استمرار الحرب، سيعطينا هذا شيئًا لنفعله أثناء انتظار مُحاكمة فريد، وطريقة لضخ الأموال في جيوبنا حتى نتمكَّن من التخلُّص من الإعانة، ويُمكِننا أن نُبقي أعيُننا وآذاننا مفتوحة أثناء تجولنا من مكانٍ إلى آخرَ، لا نعرِف أبدًا ما سنجده. وبجديةٍ، كم من الوقت يُمكِن لثلاثتكم احتمال أن تكونوا فئران محطَّة؟».

ساد الصمت للحظةٍ.

قال أموس: «يُمكِنني أن أظل فأر محطَّة لِمُدة... أسبوع آخر؟».

قال أليكس وهو يومئ برأسه: «إنها ليست فكرة سيئة يا زعيم».

قالت ناعومي: «إنه قرارك يا قُبطان، سأظل معك، أحب فكرة الحصول على أموالي مرَّة أخرى؛ لكن آمُل ألا تكون في عجلةٍ من أمرك، يُمكِنني التمتُّع ببضعة أيام من الإجازة».

صفَّق هولدن بيديه وقفز واقفًا على قدميه.

قال: «لا، يصنع وجود خطة كُل الفارِق، من الأسهَل الاستمتاع بالإجازة عندما أعرِف أنها ستنتهي».

نهض أليكس وأموس سويًّا وتوجَّها نحو الباب، كان أليكس قد فاز ببضعة دولارات من لعبة رمي الأسهُم، وكان هو وأموس بصدد تحويلها إلى مزيد من النقود على طاولات لعب البطاقات.

قال أموس لناعومي: «لا تسهري في انتظاري يا مُديرة، أشعر أنني محظوظ اليوم».

غادرا، واتجه هولدن إلى المطبخ الصغير ليُحضِّر بعض القهوة، تبعته ناعومي إلى الداخل،

قالت: «هناك شيء آخر».

فتح هولدن عبوَّة القهوة المُحكمة الإغلاق، فتصاعَدت رائحتها القويَّة لتملأ الجو.

قال: «إليَّ به».

- «يتولى فريد جميع الترتيبات بشأن جسد كيلي، سيحتفِظ به هنا حتى نُعلِن عن نجاتنا، ثُم سيعيده إلى المريخ».

ملأ هولدن صانع القهوة بماءٍ من الصنبور وشغَّل الماكينة، فأصدرت أصوات بقبقة خافِتة.

- «جيِّد، يستحِق المُلازِم كيلي كُل الاحترام والإجلال الذي من المُمكِن أن نُقدِّمهم له».
- «جعلني هذا أفكِّر في مُكعَّب البيانات الذي كان معه. لم أتمكَّن من اختراقه. إنه نوع من التشفير الفائِق العسكري الذي جعل رأسي يؤلمني. لذلك... ».

قال هولدن عابسًا: «قوليها فحسب».

- «أريد أن أعطيه لفريد، أعلَم أنها مُخاطرة، وليس لدينا أي فكرة عمَّا يوجد بداخله، وعلى الرغم من سحره وكرم ضيافته، فإن فريد لا يزال من الـ (أوبا)؛ لكنه أيضًا كان عسكريًّا رفيع المستوى في الأمم المُتحدة، ويتمتَّع بثقةٍ ذهنيةٍ جادةٍ هنا في المحطَّة، ربما يكون قادرًا على فك شفرته».

فكَّر هولدن للحظةٍ، قبل أن يومئ برأسه.

- «حسنًا، دعيني أفكِّر في ذلك مليًّا. أريد أن أعرف السبب الذي جعل ياو تحاوِل تهريب ذلك من المركبة؛ لكن... ».
- «أجل».

تشاركا الصمت اللطيف أثناء تخمير القهوة، وعندما انتهت، صبَّ هولدن كوبين وأعطى واحدًا إلى ناعومي.

قالت: «أيها القُبطان». ثُم توقَّفت قبل أن تُضيف: «جيم، لقد كُنت مُديرًا تنفيذيًّا سيئًا حتى الآن، لقد شعرت بالتوتُّر والخوف بلا هوادة في حوالي ثمانين بالمائة من الوقت».

أجابها هولدن: «تقومين بعملٍ رائعٍ لإخفاء هذه الحقيقة».

أومأت ناعومي برأسها لتنحي المُجاملة جانبًا.

- «على أي حال، لقد كُنت مُتشدِّدة بشأن بعض الأشياء التي لم يُفترض بي أن أتشدَّد بشأنها».
- «هذا ليس أمرًا مهمًّا».

قالت: «حسنًا، دعني أُنهِ حديثي، أريدك أن تعرف أنني أعتقِد أنك قُمت بعملٍ رائعٍ في إبقائنا على قيد الحياة. جعلتنا نصب تركيزنا على المشكلات التي يُمكِننا حلُّها بدلًا من الشعور بالأسف على أنفُسنا، تُبقي الجميع في المدار حولك، لا يُمكِن لأي شخص القيام بذلك، لم أستطِع القيام بذلك، وكُنَّا جميعًا بحاجةٍ إلى هذا الاستقرار».

شعر هولدن بقبسٍ من الفخر. لم يكُن يتوقَّع ذلك، ولم يثق به؛ لكنه شعر بالارتياح على الرغم من ذلك.

قال هولدن: «شكرًا».

- «لا يُمكِنني التحدُّث نيابةً عن أموس وأليكس؛ لكني أنوي الاستمرار في ذلك. أنت لست القُبطان ماكدويل فقط لأنه مات. أنت قائِدنا بالنسبة لي. فقط كي تعرِف».

نظرت إلى الأسفل، احمرَّت خجلًا وكأنها اعترفت بشيءٍ ما. ربما فعلت.

قال: «سأحاوِل ألا أتفاخَر بذلك».

- «سأقدِّر لك ذلك يا سيدي».

***

كانت غُرفة مكتب فريد تُشبه شاغِلها: كبيرة، ومُخيفة، ومليئة بالأشياء التي ينبغي القيام بها. وصلت مساحة الغُرفة بسهولةٍ إلى مترين ونصف متر مُربَّع، مما جعلها أكبر من أي مقصورة في (روسينانت). بينما كان مكتبه مصنوعًا من الخشب الحقيقي، بدا أن عُمره لا يقل عن مائة عام، وفاحَت منه رائحة زيت الليمون. جلس هولدن على مقعدٍ مُنخفِض أكثر بقليلٍ عن مقعد فريد، ونظر إلى أكوام حافظات الملفَّات والأوراق التي غطَّت كُل الأسطح المستوية.

أرسل له فريد ثُم أمضى الدقائق العشر الأولى بعد وصوله وهو يتحدَّث في الهاتِف. بدا أيًّا ما كان يتحدَّث عنه تقنيًّا. افترض هولدن أن الأمر يتعلَّق بمركبة الأجيال العملاقة الموجودة بالخارِج. لم يُزعِجه أن يتم تجاهله لبضع دقائِق؛ لأن الجدار الذي كان موجودًا خلف فريد كان مُغطى بالكامِل بشاشةٍ عالية الدقَّة تتظاهَر بكونها نافِذة، كانت تعرض

مظهرًا رائِعًا لـ (ناوفو) وهي تتحرَّك جانبًا بينما تدور المحطَّة، أفسد فريد المنظر عندما وضع سمَّاعة الهاتِف.

قال: «آسف بشأن ذلك، لقد كان نظام مُعالجة الغُلاف الجوي كابوسًا منذ اليوم الأول، وعندما تعتمِد لما يزيد على مائة عام على الهواء الذي يُمكِنك إحضاره معك، فإن تحمُّل الخسارة يكون...أكثر صرامةً من المُعتاد. في بعض الأحيان يكون من الصعب التأثير على أهمية تفاصيل المقاولين الدقيقة».

قال هولدن وهو يُشير إلى الشاشة: «كُنت أستمتِع بالمنظر».

- «بدأت أتساءل عمَّا إذا كُنا سنقدر على إنجازها في الوقت المُحدَّد».
- «لماذا؟».

تنهَّد فريد واتكأ على مقعده الذي أصدر صوت صرير.

- «إنها الحرب التي تدور رحاها بين المريخ والحزام».
- «نقص في المواد إذن؟».
- «ليس ذلك فحسب. تعمل فرق القراصِنة التي تدعو للتحدُّث باسم (أوبا) في حالة جنونٍ مُستعرٍ، ويُطلِق مُنقِّبو الحزام صواريخ محليَّة الصُنع على المركبات الحربيَّة المريخيَّة، فيتم القضاء عليهم ردًّا على ذلك؛ لكن ينفجِر أحد هذه الصواريخ بين الحين والآخر ويقتل بعض المريخيين».
- «مما يعني أن المريخ هو من يبدأ بإطلاق النار أولًا».

أومأ فريد برأسه، ونهض، وبدأ يقطع الغُرفة ذهابًا وإيابًا.

قال: «وبعد ذلك، يبدأ بعض المواطنين الشرفاء الذين يعمَلون في أعمالٍ مشروعةٍ في القلق بشأن الخروج من المنزل، لدينا أكثر من عشر شُحنات مُتأخِّرة حتى الآن هذا الشهر، وأنا قلِق من أن يتوقَّفوا عن التأخير ويبدؤوا في الإلغاء».

قال هولدن: «هل تعرف أنني كُنت أفكِّر في نفس الشيء».

تصرَّف فريد وكأنه لم يسمَع.

قال فريد: «لقد كُنت في غُرفة القيادة تلك، ومركبة مجهولة قادِمة في اتجاهك، ولديك قرار لتتخِذه؟ لم يرغَب أي أحد في الضغط على الزر، لقد شاهدت حجم المركبة يزداد باطرادٍ عبر المنظار بينما كان إصبعي مُثبتًا على الزناد، أتذكَّر التوسُّل إليهم للتوقُّف».

لم يقُل هولدن شيئًا، فقد رأي ذلك بدوره. لم يكُن هناك ما يُقال. ترك فريد الصمت يُخيِّم على الغُرفة للحظةٍ، ثُم هزَّ رأسه وانتصب.

قال فريد: «أريد أن أسألك معروفًا».

أجابه هولدن: «يُمكِنك أن تسأل دائمًا يا فريد، لقد دفعت ثمن هذا».

- «أحتاج لاستعارة مركبتك».

قال هولدن: « (روسي)؟ لماذا؟».

- «أحتاج للحصول على شيءٍ ما وإيصاله إلى هنا، وأنا بحاجةٍ إلى مركبة يُمكِنها أن تظل هادِئة وتجتاز مركبات الطوارئ المريخية إذا لزم الأمر».
- « (روسينانت) بالتأكيد هي المركبة المُناسِبة إذن؛ لكنك لم تُجِب عن سؤالي. لماذا؟».

أدار فريد ظهره إلى هولدن ونظر إلى شاشة العرض. كانت مُقدِّمة (ناوفو) تختفي عن الأنظار. تحوَّل المنظر إلى اللون الأسود الدامِس المُسطَّح المُرصَّع بالنجوم.

قال: «أنا بحاجةٍ لالتقاط شخص ما من إيروس، شخص مُهِم. لديَّ أشخاص يُمكِنهم القيام بذلك؛ لكن المركبات الوحيدة التي لدينا هي مركبات الشحن الخفيفة، وزوج من المكوكات الصغيرة. لا نملك شيئًا يُمكِنه القيام بالرحلة بالسرعة الكافية، أو لديه أمل فِي الهروب إذا ما بدأت المشكلات».

- «هل يملك هذا الشخص اسمًا؟ أعني، لا تنفك تقول إنك لا ترغب في القِتال؛ لكن الشيء الفريد الآخر الموجود فِي مركبتي أنها الوحيدة هنا التي تمتلك أسلِحة، أنا مُتأكِّد من أن (أوبا) لديها قائِمة بالأشياء التي يرغبون في تفجيرها».
- «أنت لا تثِق بي».
- «لا».

استدار فريد وأمسك بظهر مقعده. كانت مفاصِل أصابعه بيضاء، تساءل هولدن عمَّا إذا كان قد تمادى كثيرًا.

قال هولدن: «انظر، أنت تتحدَّث عن السلام والتجارِب وكُل ذلك بطريقةٍ جيِّدةٍ على الرغم من أنها غير حقيقية. أنت تتبرَّأ من فرق القراصنة. لديك محطَّة جيِّدة مليئة بالناس اللُّطفاء. لديَّ كُل الأسباب للاعتقاد بأنك ما تقوله أنت؛ لكننا كُنا هنا لُمدَّة ثلاثة أيام، وفي المرَّة الأولى التي تُخبرني فيها عن خططك، تطلب استعارة مركبتي لُمهمَّةٍ سريَّةٍ. آسف. إذا كُنت جزءًا من هذا، فسأحصل على أحقية الوصول الكامِل دون أسرار، حتى لو كُنت أعرف حقيقة ما يحدُث، وهو ما لا أعرِفه، فليس

لديك شيء سوى النوايا الحسنة، وما زلت لا أوافِق على هراء المكائِد السريَّة».

حدَّق فريد في وجهه لبضع ثوانٍ، ثُم استدار حول مقعده وجَلَس، وجد هولدن نفسه ينقر بأصابعه بعصبيةٍ على فخذه قبل أن يُجبِر نفسه على التوقُّف، تحرَّكت عينا فريد لأسفل على يد هولدن ثُم تصعد للأعلى، واصل التحديق.

سعل هولدن لينظف حلقه.

- «انظر، أنت صاحِب السلطة هنا، وحتى لو لم أكُن أعرف من الذي اعتدت أن تكونه، ستُخيفني، لذلك لا تشعُر بالحاجة لإثبات ذلك؛ لكن بغض النظر عن مدى خوفي، فلن أتراجَع عن موقفي».

لم تأتِ الضحكة التي توقَّعها من فريد، حاول هولدن أن يبلع ريقه دون أن يُصدِر صوتًا.

قال فريد في النهاية: «أراهِن أن كُل قُبطان سبق وطُرِت تحت إمرته كان يعتقِد أنك مُزعج للغاية».

قال هولدن، محاولًا أن يُخفي ارتياحه: «أعتقِد أن سجلي يعكِس ذلك».

- «أحتاج إلى السفر إلى إيروس وإيجاد رجل يُدعى ليونيل بولانسكي، ثُم إعادته إلى تايكو».

قال هولدن وهو يقوم بإجراء العمليات الحسابية في رأسه: «لن يستغرِق ذلك أسبوعًا إذا ضغطنا على أنفُسنا».

- «لكن حقيقة أن ليونيل غير موجود في الحقيقة ستُعقِّد المهمة».

وافقه هولدن الرأي قائِلًا: «أجل، حسنًا، أنا الآن في حيرةٍ من أمري».

قال فريد بكلماتٍ تعكِس ضراوةً هادِئةً: «أنت تُريد الاشتراك؟ الآن أنت مُشترِك بالأمر. ليونيل بولانسكي موجود على الورق فقط، ويمتلك أشياء لا يُريد السيد تايكو امتلاكها بما في ذلك مركبة البريد السريع المُسماة بـ (سكوبيولي) ».

انحنى هولدن للأمام في مقعده، وتجهَّم وجهه.

قال: «لديك الآن اهتمامي الكامِل».

- «قام مالِك (سكوبيولي) غير الموجود بتسجيل الدخول إلى أحد الفنادِق الرخيصة في أحد الطوابِق السيئة في إيروس. تلقينا الرسالة فحسب. علينا أن نعمَل على افتراض أن أيًّا من حَصَل على الغُرفة يعرِف عملياتنا عن كثب، ويحتاج إلى مُساعدةٍ، ولا يُمكِنه طلب ذلك علانية».

قال هولدن بتلهُّفٍ: «يُمكِننا المُغادرة في غضون ساعة».

رفع فريد يديه في لفتةٍ كانت حزاميَّةً بشكلٍ مُدهشٍ بالنسبة لرجل أرضي.

سأله فريد: «متى تحوَّل هذا إلى مُغادرتك؟».

- «أنا لا أعير مركبتي؛ لكنني سأؤجرها بالتأكيد. في الواقِع، كُنا نتحدَّث أنا وطاقمي عن الحصول على وظائِفَ. وظَّفنا. اقتطِع كُل ما هو عادِل للخدمات التي قدَّمتها بالفعل».

قال فريد: «لا، أنا بحاجةٍ إليكم».

أجابه هولدن: «لا، أنت لست بحاجةٍ إلينا، أنت بحاجةٍ إلى شهاداتنا، ولن نجلِس هنا لننتظِر لعامٍ أو لعامين في انتظار الحكمة كي تسود، سنقوم جميعًا بتقديم إفادات عن طريق الفيديو، والتوقيع على أي إقرارات خطيَّة تُريدنا أن نُقدِّمها فيما يتعلَّق بصحتها؛ لكننا سنُغادِر للبحث عن عمل بطريقةٍ أو بأخرى، ويُمكِنك الاستفادة من ذلك أيضًا».

قال فريد: «لا، أنتم أكثر قيمةً من أن نُخاطِر بحيواتكم».

- «ماذا لو ألقيت بمُكعَّب البيانات الذي كان قُبطان (دوناجير) يحاوِل تهريبه؟».

سيطر الصمت؛ لكن مذاقه كان مُختلِفًا.

قال هولدن وهو يستمِر في الضغط عليه: «انظر، أنت بحاجةٍ إلى مركبةٍ مثل (روسي)، ولديَّ واحدة. أنت بحاجةٍ لطاقمٍ لها، ولديَّ واحد أيضًا، وأنت نَهِم لمعرفة ما يوجد على هذا المُكعَّب مثلي».

- «لا أحب المُخاطرة».
- «خيارك الآخر هو أن تُلقي بنا في السجن، وتذهب لقيادة المركبة، وهناك بعض المخاطِر في ذلك أيضًا».

ضحك فريد، فشعر هولدن بنفسه يسترخي.

قال فريد: «ستظل تواجِه نفس المُشكلة التي جلبتك إلى هنا، أن مركبتك تبدو كمركبةٍ حربيةٍ، بغض النظر عمَّا يقوله جهاز الإرسال والاستقبال».

قفز هولدن وأخذ ورقة من على مكتب فريد، بدأ يكتب عليها بقلمٍ انتزعه من وسط مجموعة أقلام مُزخرَفة.

قال وهو يرسم مُخطَّطًا تقريبيًّا للمركبة: «لقد كُنت أفكِّر في ذلك، لديك مرافِق تصنيع كاملة هنا، ومن المُفترض بنا أن نكون مركبة شحن خفيفة، لذلك...سنقوم بلحام مجموعة من صهاريج الغاز المضغوط الفارِغة في شريطين حول الهيكل، وسنستخدمهم لإخفاء أنابيب الإطلاق، وسنعيد طلاء كُل شيء، كما سنقوم بلحام بعض التقديرات لتفكيك ملف تعريف الهيكل وإخفائنا من برامِج التعرُّف على المركبات. سيبدو الأمر كنوعٍ من الهراء وسيُفسِد الديناميكا الهوائية؛ لكننا لن نكون قريبين من الغِلاف الجوي في أي وقت قريب، وسيبدو الأمر تمامًا كما هو: شيء ما صنعه حفنة من الحزاميين في عجلةٍ من أمرهم».

سلَّم الورقة إلى فريد، الذي بدأ يضحك بجديةٍ، إما بسبب الرسم الرهيب، أو بسبب عبثية الأمر برمته.

قال: «سيُمكِنكم أن تفاجئوا القراصِنة أيما مُفاجأة، إذا فعلت ذلك، فستُسجِّل أنت وطاقمك شهاداتي، وسيتم توظيفكم كمقاولين مُستقلِّين لمهام مثل: تشغيل إيروس، والظهور نيابة عني عندما تبدأ مفاوضات السلام».

- «حسنًا».
- «أريد الحق في التفوُّق على أي شخص آخر يحاوِل توظيفكم، لا عقود دون عقدي المُضاد في مواجهتهم».

مدَّ هولدن يده، فصافحه فريد.

- «من الجيد التعامُل معك يا فريد».

وعندما غادر هولدن المكتب، كان فريد بالفعل في اتصالٍ مع العاملين بمتجر الآلات، أخرج هولدن جهازه اللوحي واتصل بناعومي.

أجابته: «أجل».

- «جهزي الأولاد، سنذهب إلى إيروس».

(٣٣)
ميلر

كانت وسيلة نقل الناس إلى إيروس صغيرة، رخيصة، ومُزدحِمة، وفاحَت أجهزة إعادة تدوير الهواء براِئحة البلاستيك والصمغ الخاص بالنماذِج الصناعية طويلة العُمر التي ربطها ميلر بالنماذِج ومستودعات الوقود. كما كانت المصابيح عبارة عن مصابيح ليد رخيصة بلونٍ وردي زائِفٍ كان من المُفترض أن يُسايِر لون البشرة؛ لكنه جعل الجميع يبدون وكأنهم لحم بقري غير مطبوخ جيدًا بدلًا من ذلك. لم يكُن هناك مقصورات، مُجرَّد صف تلو الآخر من المقاعِد الصفيحيَّة المُشكَّلة، وجداران طويلان يحتويان على خمسة أكوام من الأسرَّة التي يُمكِن للرُكَّاب تشارُكها سويًّا، لم يكُن ميلر على متن مركبة نقل رخيصة من قبل؛ لكنه كان يعرف كيف تعمَل، وإذا حدث قتال، فسيقوم طاقم المركبة بضخ غاز الشغب في المقصورة؛ ليفقِد الجميع وعيهم، ويضعوا أي شخص شارَك في المُشاجرة في الحجز، لقد كان نظامًا شديد القسوة؛ لكنه يميل إلى إبقاء الرُكَّاب مُهذَّبين. لطالما كانت الحانة مفتوحة والمشروبات رخيصة، وكان ميلر ليجد هذا الأمر مُغريًا منذ وقت ليس ببعيدٍ.

جَلَس في أحد المقاعِد الطويلة بدلًا من ذلك، وفتح جهازه اللوحي، توهَّج ملف قضية جولي -أو ما أعاد تكوينه منه- أمامه. صورتها وهي

مُبتسمة وتشعُر بالفخر أمام (رازورباك)، التواريخ والسجلّات، تدريب الجيو جيتسو الخاص بها. بدت البيانات قليلةً للغاية، مع الوضع في الاعتبار حجم نمو المرأة في حياته.

زحف موجز أنباء صغير أسفل جانِب الجهاز اللوحي الأيسَر، تصاعدت حدَّة الحرب بين المريخ والحزام، بعد حادثة تلو الأخرى؛ لكن انفصال محطَّة سيريس كان يتصدَّر أهم الأنباء، وبَّخ المُعلِّقون المريخيون الأرض على فشلهم في الوقوف مُتحدين مع زملائهم من الكوكب الداخلي، أو على الأقل لعدم تسليم عقد تأمين سيريس إلى المريخ. أدى رد فعل الحزام العشوائي إلى سلسلةٍ كاملةٍ من مُتعة رؤية تأثير الأرض وهي تتراجَع في بئر الجاذبية، وإلى حالةٍ من الذُّعر الشديد من فُقدان حياد سيريس، وإلى نظريات المؤامرة التي تقول إن الأرض كانت تُحرِّض على الحرب من أجل غاياتها الخاصَّة.

احتفظ ميلر بحكمه على الأمر لنفسه.

- «أفكِّر دائمًا في الكراسي».

نظر ميلر للأعلى، كان الرجل الذي يجلس بجواره في نفس عُمره تقريبًا؛ أشيب الفودين ببطنٍ مُمتلئ. أخبرت ابتسامة الرجل ميلر أنه كان مُبشِّرًا، يُنقِذ الأرواح في الفضاء، أو ربما عرَف من بطاقة الاسم والكتاب المُقدَّس.

قال المُبشِّر: «أقصِد المقاعِد، لطالما جعلوني أفكِّر في الذهاب إلى الكنيسة، بالطريقة التي يصطفُّون بها، صفًّا تلو الآخر، الفارِق الوحيد هو أنه لدينا أسرَّة بدلًا من المنبر».

قال ميلر: «سيدتنا التي ننام فيها». كان يعرِف أنه بذلك يغرق في تفاصيل المُحادثة؛ لكنه كان غير قادرٍ على منع نفسه. ضَحِكَ المُبشِّر.

قال: «شيء من هذا القبيل، هل ترتاد الكنيسة؟».

قال ميلر: «لم أفعل منذ سنوات، كُنت ميثوديًّا عندما كُنت أومِن بالأديان، ما النكهة التي تبيعها؟».

رفع المُبشِّر يديه في إشارةٍ لأنه لا ينوي التسبُّب في أي أذى، وهي لفتة تعود إلى السهول الأفريقيَّة في العصر الجليدي. لا أحمِل أي أسلِحة، ولا أبحث عن قتال.

قال: «أنا عائِد للتو إلى إيروس بعد أن حضرت مؤتمرًا في لونا، لقد ولَّت أيام التبشير الخاصَّة بي منذ زمن بعيد».

قال ميلر: «لم أكُن أعتقِد أن هذا سينتهي على الإطلاق».

- «لن ينتهوا، ليس رسميًّا؛ لكنك ستجد نفسك بعد بضعة عقود في مكانٍ تُدرِك فيه أنه لا يوجد فرق حقًّا بين المحاولة وعدم المحاولة. ما زلت أسافِر، وما زلت أتحدَّث إلى الناس. أحيانًا نتحدَّث عن يسوع المسيح، وأحيانًا أخرى نتحدَّث عن الطبخ، وإذا كان هناك شخص ما مُستعِد لتقبُّل المسيح، فلن يتطلَّب مني الأمر الكثير من الجُهد لمُساعدته، وإذا لم يفعلوا، فلن يُفيد أي قدر من إرهابهم. فلم المحاولة إذن؟».

سأله ميلر: «هل يتحدَّث الناس عن الحرب؟».

قال المُبشِّر: «في كثيرٍ من الأحيان».

- «وهل يفهمها أحد؟».

- «لا، لا أعتقِد أن الحرب يُمكِن أن تكون مفهومة على الإطلاق. إنها جنون في طبيعتنا. يتكرَّر في بعض الأحيان، وينحسِر في أحيانٍ أخرى».
- «يبدو وكأنه مرض».

قال المُبشِّر ضاحكًا: «أبسط نوع من الهربس؟ أفترِض أن هناك طرقًا أسوأ للتفكير في الأمر، أخشى أنه سيكون معنا، طالما نحن بشر».

نظر ميلر إلى وجه القمر الواسِع المُستدير.

قال: «طالما نحن بشر؟».

قال المُبشِّر: «يعتقِد البعض أننا سنُصبِح ملائكة في نهاية المطاف».

- «ليس الميثوديين».

قال الرجل: «وحتى هم، في النهاية؛ لكن ربما لن يذهبوا أولًا، وما الذي أتى بك إلى سيدتنا التي ننام فيها؟».

تنهَّد ميلر، وهو يسند ظهره إلى الكُرسي الراسِخ الذي لا يتزعزع، صرخت امرأة شابة تجلِس خلفه بصفَّين في زوج من الصبية كي يتوقفا عن القفز فوق المقاعِد فتجاهلاها، بينما سَعَل رجل كان يجلِس خلفهم. أخذ ميلر نفسًا طويلًا وتركه يخرُج ببطءٍ.

قال: «لقد كُنت شُرطيًّا في سيريس».

- «آه. تغيير العقد».

قال ميلر: «هذا هو السبب».

- «وترغب في العمل في إيروس إذن؟».

قال ميلر: «بل أبحث عن صديق قديم». ثُم، ولدهشته، استمرَّ في الحديث قائلًا: «لقد وُلِدت على متن سيريس، وعشت هناك طوال حياتي، وهذه هي المرَّة... الخامِسة؟ أجل، المرَّة الخامِسة التي أغادِر فيها المحطَّة».

- «هل تُخطِّط للعودة؟».

قال ميلر وهو يبدو أكثر يقينًا مما يعرف: «لا، لا، أعتقِد أن هذا الجُزء من حياتي قد انتهى لدرجةٍ كبيرةٍ».

قال المُبشِّر: «لا بُدَّ أن هذا مؤلم».

صمت ميلر مؤقتًا، وترك التعليق يستقِر، كان الرجل مُحقًّا؛ لا بُدَّ أن هذا مؤلِم، كان كُل شيء قد انتهى. وظيفته، ومُجتمعه، لم يعُد شرطيًّا بعد الآن حتى، على الرغم من مُسدَّسه الذي تم فحصه وسط الأمتِعة، لن يأكُل في العربة الهندية الشرقية الموجودة على حافة القِطاع التاسِع مرَّة أخرى، لن تهز موظَّفة استقبال القسم رأسها بتحيةٍ له وهو يتجه إلى مكتبه مرَّة أخرى، لن يقضي المزيد من الليالي في الحانة مع ضُبَّاط الشرطة الآخرين، ولا مزيد من القصص غير الطبيعية عن التماثيل النصفيَّة التي أصبحت غريبة، ولا مزيد من الأطفال الذين يُطيِّرون الطائِرات الورقيَّة في الأنفاق العالية، فحص نفسه كطبيبٍ يبحث عن الالتهاب. هل يؤلمك هنا؟ هل تشعُر بالخسارة هناك؟

لم يشعُر بشيء. لم يكُن هناك سوى إحساس بالارتياح العميق لدرجة أنه اقترب من الدوار.

قال المُبشِّر مُرتبكًا: «أنا آسف، هل قُلت شيئًا مُضحِكًا؟».

***

يضُم إيروس بين جنباته سُكَّانًا يبلُغ عددهم مليونًا ونصف نسمة، وهو عدد يزيد قليلًا عن عدد زوَّار سيريس في أي وقت. كان على شكل ثمرة بطاطِس تقريبًا، وكان تدويره أمر أكثر صعوبةً، وكانت سُرعته السطحيَّة تفوق سُرعة سيريس بكثيرٍ عند نفس درجة الجاذبية الداخلية. كانت أحواض بناء السفن القديمة بارِزة من الكويكِب، والشبكات العنكبوتيَّة الفولاذية الكبيرة والشبكات الكربونية المُرصَّعة بأضواء تحذير ومصفوفة استشعار لصرف أي مركبة قد تقترِب منه للغاية، كما كانت كهوف إيروس الداخلية هي مسقط رأس الحزام من المعادِن الخام النفيسة، مرورًا بأفران الصهر، ومنصَّة التلدين، ثُم إلى العمود الفقري لناقِلات المياه، وحاصِدات الغاز، ومركبات التنقيب. كان إيروس يُمثِّل نقطة انطلاق للجيل الأول من توسُّع البشريَّة، ومن هناك، كانت الشمس نفسها مُجرَّد نجم لامِع من بين المليارات.

تطوَّرت اقتصاديات الحزام؛ حيث نشأت محطَّة سيريس بأرصفةٍ أحدث، ودعم صناعي أكثر، وعدد أكبر من الناس، فانتقلت تجارة الشحن إلى سيريس، بينما ظلَّت إيروس مركزًا لتصنيع المركبات وتصليحها. وجاءت النتائج متوقَّعة مثل الفيزياء. في سيريس، كان قضاء وقت أطوَل على الرصيف يعني خسارة الأموال، وعَكَس هيكل رسوم الرصيف ذلك. أما في إيروس، فقد تنتظِر المركبة لأسابيعَ أو لشهورٍ دون إعاقة حركة المرور، وإذا أراد الطاقم مكانًا للاسترخاء، وللتمدُّد، وللابتعاد عن بعضهم بعضًا لفترةٍ من الوقت، فإن إيروس هو ميناء الرسو المؤقَّت المطلوب. ومع انخفاض رسوم الرسو، وجدت محطَّة إيروس طرقًا أخرى لامتصاص الأموال من زوَّارها مثل: الكازينوهات، وبيوت الدعارة، وصالات إطلاق النار، وجدت الرذيلة بجميع أشكالها

التجارية منزلًا لها في إيروس، الذي يزدهر اقتصاده المحلي مثل الفطريات التي تُغذّيها رغبات الحزاميين.

تسبَّبت حادثة سعيدة لميكانيكا المدارات في وضع ميلر هناك مُتقدِّمًا على (روسينانت) بيومٍ ونصف. تجوَّل في الكازينوهات الرخيصة، وحانات الأفيون ونوادي الجنس، وفي مناطِق العروض القتاليَّة؛ حيث يتظاهَر الرجال والنساء بضرب بعضهم بعضًا دون منطِق من أجل مُتعة الجماهير. تخيَّل ميلر أن جودي تسير برفقته، وأن ابتسامتها السخيفة تتوافَق مع ابتسامته وهو يقرأ العروض المُتحرِّكة الرائِعة. راندولف ماك، حامِل لقب بطولة الحزام في القتال الحُر لمُدَّة ست سنوات، في مواجهة حتى الموت مع المريخي كيڤرين كارميشيل!

قالت جولي بشكلٍ جافٍّ في ذهنه: بالتأكيد لن يتم إصلاحها.

قال لنفسه: أتساءل عمَّن سيفوز، وتخيَّلها وهي تضحَك.

توقَّف عند عربة معكرونة، وحَصَل على مخروط بقيمة ينين جديدين مليء بمكرونة البيض المُغطَّاة بصلصةٍ سوداءَ تتصاعَد منها الأبخِرة، عندما قبضت يد على كتفه.

قال صوت مألوف: «أعتقِد أنك خارِج نطاق سُلطتك القضائية أيها المُحقِّق ميلر».

قال ميلر: «لماذا بينما أنا أحيا وأتنفَّس، تقوم أنت بجعل المرء يرتعِد بسبب تسلُّلك بهذه الطريقة أيها المُفتِّش سيماتيمبا».

ضَحِك سيماتيمبا، كان رجلًا طويلًا، حتى بالنسبة لمعايير الحزاميين، بأكثر بشرة داكِنة رآها ميلر على الإطلاق، كان سيماتيمبا وميلر قد نسقا سويًّا قبل سنوات في قضيةٍ قبيحةٍ بشكلٍ خاص. انشقَّ مُهرِّب يحمل

شُحنة من مُثيرات البهجة عن مورِّده، وتمَّ القبض على ثلاثة أشخاص على متن سيريس في تبادُل لإطلاق النار، بينما فرَّ المُهرِّب إلى إيروس. كادت المُنافسة التقليدية وانعزال قوَّات الأمن التابِعة للمحطَّتين تتسبَّبان في هروب المُجرِم، ولم يكُن هناك سوى ميلر وسيماتيمبا فقط على استعدادٍ للتنسيق خارِج قنوات الشركة.

قال سيماتيمبا وهو يتكئ على درابزين فولاذي رفيع مُشيرًا نحو النفق: «ما الذي أتى بك إلى سُرَّة الحزام، المجد والقوَّة التي يمثلها إيروس؟».

قال ميلر: «أطارِد دليلًا».

قال سيماتيمبا: «لا يوجد أي شيء جيِّد هنا، فمنذ انسحاب بروتوجين، والأمور تتحوَّل من سيئ إلى أسوأ».

امتصَّ ميلر عود معكرونة.

سأله: «من الذي يملك العقد الجديد؟».

قال سيماتيمبا: «ك. ب. ل».

- «لم أسمع عنهم من قبل».

قال سيماتيمبا بوجهٍ مُتجهِّم: «كارني بور لاماشينا، يتمتَّعون بذكورةٍ خادِعةٍ مُبالغ فيها». ضرب على صدره وزأر، ثُم عاد لطبيعته وهو يهز رأسه قائلًا: «شركة جديدة من شركات لون، أغلبهم من مُشاة الحزامين. يتظاهرون بكونهم جميعًا من القُساة؛ لكنهم في الغالِب هواة، دائمو التبجُّح دون شجاعة حقيقية. كان بروتوجين من الكواكِب الداخلية، وكانت تلك مُشكلة؛ لكنهم كانوا جادين للغاية. يهشِّمون الرؤوس؛ لكنهم يحافظون على السلام، أما هؤلاء المُتسكِّعون الجُدد، فأغلبهم من

أكثر السفَّاحين الذين عملت معهم فسادًا على الإطلاق، لا أعتقِد أن مجلِس المُحافظين سوف يُجدِّد التعاقُد معهم عندما ينتهي عقدهم، لم أقُل ذلك؛ لكنه صحيح».

قال ميلر: «وقَّع شريكي السابِق مع بروتوجين».

قال سياتيمبا: «إنهم ليسوا سيئين، أتمنى لو كان بإمكاني اختيارهم بعدما انتهى العقد، هل تفهم قصدي؟».

سأله ميلر: «لماذا لم تفعل؟».

- «تعرِف كيف تُدار الأمور، فأنا من هُنا».

قال ميلر: «أجل».

- «إذن فأنت لست هنا للبحث عن عمل، بما أنك لم تكُن تعرف من الذي يُدير العرض؟».

قال ميلر: «لا، أنا في إجازة، أقوم ببعض السفر لنفسي هذه الأيام».

- «هل تمتلِك المال الكافي للقيام بذلك؟».
- «ليس الكثير؛ لكنني لا أُمانِع في السفر بثمنٍ بخسٍ لفترة من الوقت على الأقل، هل سمعت أي شيء عن جولييت ماو؟ المعروفة بجولي؟».

هزَّ سياتيمبا رأسه.

قال ميلر: «شركة ماو كويكويسكي التجارية، صعدت بئر الجاذبية وذهبت لموطنها. (أوبا). لقد كانت قضية اختطاف».

- «كانت؟».

اتكأ ميلر إلى الخلف، رفعت جولي الموجودة في خياله حاجبيها.

قال ميلر: «لقد تغيَّرت قليلًا منذ أن توليتها، ربما تكون مُتصِلة بشيءٍ ما، شيء ضخم».

قال سيماتيمبا وقد اختفت كُل آثار المزاح من تعبيرات وجهه: «ما حجم الضخامة التي تتحدَّث عنها؟». كان قد تحوَّل إلى شُرطي في الوقت الحالي، وكان أي شخص باستثناء ميلر سيجد وجه الرجل الفارغ والغاضِب مُخيفًا.

قال ميلر: «الحرب». فعقد سيماتيمبا ذراعيه.

قال: «هذه مزحة سيئة».

- «أنا لا أمزح».

قال سيماتيمبا: «أنا اعتبرتنا أصدقاء أيها الرجل العجوز؛ لكنني لا أريد أي مشكلات هنا، الأمور غير مُستقِرَّة كما هي».

- «سأحاوِل ألا ألفِت الأنظار».

أومأ سيماتيمبا برأسه قبل أن يدوي جرس إنذار في نهاية النفق، جرس إنذار أمني فحسب، وليس صوت إنذار بيئيًّا، نَظَر سيماتيمبا إلى نهاية النفق كما لو كان التحديق سيسمَح له بالرؤية عبر ضغط الناس، والدراجات، وعربات الطعام.

قال وهو يستعِد للانصراف: «من الأفضل أن أذهب لألقي نظرة، فربما كان بعض زملائي من ضُبَّاط حفظ السلام يُهشِّمون النوافِذ من أجل المُتعة».

قال ميلر: «من الرائِع أن تكون جزءًا من فريقٍ كهذا!».

قال سياتيمبا مُبتسمًا: «كيف لك أن تعرِف ذلك؟ إذا كُنت بحاجةٍ لأي شيء... ».

قال ميلر وهو يُراقِب الشُّرطي يخوض بحر الفوضى والبشرية: «وأنت كذلك». كان رجلًا ضخمًا؛ لكن شيئًا ما بشأن الصمم العام للحشد المار عند سماع صوت الإنذار جعله يبدو أصغر حجمًا، غرقت العبارة كحجرٍ في قلب المحيط، كنجمةٍ بين الملايين.

فحص ميلر الوقت، ثُم استدعى سجلات الرسو العامة، ظهرت (روسينانت) كما في الوقت المُحدَّد. تم إدراج رقم رصيف الرسو. امتصَّ ميلر آخر عيدان مكرونته، قبل أن يُلقي بالمخروط المصنوع من الفوم والمُلطَّخ بطبقةٍ رقيقةٍ من الصلصة السوداء في جهاز إعادة تدوير عام، وجد أقرب دورة مياه خاصَّة بالرجال، وعندما أنهى ما فعله هناك، تحرَّك نحو طابق الكازينو.

تغيَّرت بنية إيروس منذ نشأته؛ حيث كان في السابِق مثل سيريس - شبكة من الأنفاق التي تقود على طول مسار الاتصال الأكثر اتساعًا- قبل أن يتعلَّم إيروس من تدفُّق الأموال أن كُل الطرق يجب أن تؤدي إلى طابق الكازينو إذا أردت الذهاب إلى أي مكان، فيجب عليك أن تعبُر عبر بطن الحوت الواسعة المكوَّنة من الأضواء وشاشات العرض؛ حيث البوكر، والبلاك جاك، والروليت، وخزَّانات الأسماك الطويلة المليئة بسمك السلمون المرقَّط الذي يجب صيده وشق بطنه، والفتحات الميكانيكية، والفتحات الإليكترونية، وسباقات الكريكت، وألعاب النرد، واختبارات المهارات المُزيَّفة؛ حيث تجذِب الأضواء الساطِعة، ومهرجو النيون الراقصون، وإعلانات شاشات الفيديو العيون. بينما يؤكِّد لك الضحك الاصطناعي عالي الصوت، والصافِرات والأجراس المرِحة أنك

ستقضي أفضل وقت في حياتك. كُل هذا وسط رائحة آلاف البشر المُحتشدين في مساحةٍ صغيرةٍ للغاية والتي تتنافَس مع رائِحة اللحوم المُتبَّل في وعاء بُهارات شديدة القوَّة في العربات المُنتشِرة في الممر؛ حيث حوَّل الجشع وتصميم الكازينو إيروس إلى سباق ماشية هندسي.

وكان هذا هو ما يحتاجه ميلر بالضبط.

كان لمحطة المترو التي وصلت من الميناء ستة أبواب عريضة، تم تفريغ راكبيها على أرضية الكازينو، قَبِل ميلر مشروبًا من امرأة يبدو عليها الإرهاق ترتدي لباسًا داخليًّا رفيعًا وثديين مكشوفين قبل أن تجد شاشة يتيح له الوقوف عندها رؤية جميع الأبواب الستَّة، لم يكُن أمام طاقم (روسينانت) خيار سوى عبور أحد هذه الأبواب، فحص جهازه اللوحي، كشفت سجلات الرسو أن المركبة قد وصلت قبل عشر دقائِق، تظاهر ميلر بشرب شرابه، وطفق ينتظر.

(٢٣)
هولدن

كان طابق الكازينو في إيروس يُمثّل هجومًا شامِلًا على الحواس، وكَرِه هولدن ذلك الأمر.

قال أموس مُبتسِمًا: «أنا أحب هذا المكان».

شقَّ هولدن طريقه عبر حشد من المُقامرين المخمورين متوسطي العُمر -الذين كانوا يتبادلون الضحكات والصرخات- إلى مساحةٍ صغيرةٍ خاليةٍ بالقُرب من صفٍّ من الأجهزة اللوحيَّة المدفوعة المُعلَّقة على الحائِط.

قال: «أموس، سنذهب إلى مستوى سياحي أقل، لذا احمِ ظهورنا، إن الفُندق الرخيص الذي نبحث عنه يقع في حي قاسٍ».

أومأ أموس برأسه قائلًا: «اعتمِد عليّ يا قُبطان».

مدَّ هولدن يده خلف ظهره ليُعدِّل وضع المُسدَّس المُعلَّق في حزام خصره المشدود بشكلٍ غير مُريحٍ، بينما وقفت ناعومي، وأليكس، وأموس حائلًا بينه وبين رؤية الناس له؛ حيث كان رجال الشُّرطة في إيروس يشعرون بالتوتُّر الشديد حيال الأشخاص الذين يتجوَّلون

بالمُسدَّسات؛ لكن لم يكُن هناك أي طريقة للوصول إلى (ليونيل بولانسكي) وهُم غير مُسلَّحين، كان كُل من أموس وأليكس مُسلَّحين كذلك، على الرغم من أن أموس احتفظ بسلاحه في جيب معطفه الأيمن الذي لم تُغادره يده قط، كانت ناعومي هي الوحيدة التي رفضت أن تحمل سلاحًا بشكلٍ قاطعٍ.

قاد هولدن المجموعة نحو أقرب سلَّم مُتحرِّك، بينما استمرَّ أموس في النظر إلى الخلف بشكلٍ عرضي وهو يسير في المؤخِّرة. بدا وكأن كازينوهات إيروس تمتد لثلاثة طوابِق لا نهاية لها، وعلى الرغم من أنهم تحرَّكوا بأسرع ما يُمكِن، فإن الأمر استغرق نصف ساعة للابتعاد عن الضوضاء والحشود. كان المستوى الذي يعلوهم عبارة عن حي سكني هادئ ومُرتَّب بعد ضوضاء الكازينو وفوضاه. جَلَسَ هولدن على حافة حوض زراعي به مجموعة لطيفة من السراخِس والتقط أنفاسه.

قالت ناعومي وهي تجلِس بجواره: «أتفق معك يا قُبطان، خمس دقائِق في هذا المكان كافية لتُصيبني بالصداع».

قال أموس: «هل تمزحين؟ أتمنى لو كان لدينا المزيد من الوقت، فقد حصدت أنا وأليكس حوالي ألف من هؤلاء المُستجدين على طاولة لعبة البطاقات بتايكو، ومن المُحتمل أن نخرج من هنا كمليونيرات لعينين».

قال أليكس وهو يلكُم الميكانيكي الضخم في كتفه: «أنت تعرِف ذلك».

قال هولدن: «حسنًا، إذا تبيَّن أن بولانسكي هذا محض هراء، فلديك إذني للذهاب وكسب مليون دولار على طاولة لعب البطاقات، وسأنتظركما على متن المركبة».

توقَّف نظام المترو عند طابق الكازينو الأول، ولم يبدأ مرَّة أخرى حتى الطابق الذي وصلوا إليه. يُمكِنك اختيار عدم إنفاق أموالك على الطاوِلات؛ لكنهم تأكَّدوا من مُعاقبتك على قيامك بذلك، وبمُجرَّد أن صعد الطاقم إلى العربة وبدأوا رحلتهم نحو فُندق ليونيل، جلس أموس بجوار هولدن.

قال: «هناك من يتبعنا يا قُبطان، لم أكُن مُتأكِّدًا حتى صعد على متن عربة تبعُد عنا بعربتين، يتبعنا من عند الكازينوهات كذلك».

تنهَّد هولدن وهو يدفن وجهه بين يديه.

قال: «حسنًا، كيف يبدو؟».

- «حزامي في الخمسينيات، أو ربما في الأربعينيات، وقضى الكثير من الوقت في السفر، يرتدي قميصًا أبيض، وسروالًا داكِنًا، وقبعة حمقاء».
- «شُرطي؟».

قال أموس: «أجل؛ لكن لا يُمكِنني أن أرى جراب مُسدَّسه».

قال هولدن: «حسنًا، راقبه؛ لكن لا داعي للقلق، لا نقوم بأي شيء غير قانوني هنا».

سألته ناعومي: «هل تقصِد بخلاف وصولنا إلى هنا على متن مركبتنا الحربيَّة المريخيَّة المسروقة يا سيدي؟».

أجابها هولدن بابتسامةٍ رقيقةٍ: «هل تقصدين مركبة شحن الغاز الشرعية تمامًا والتي تقول جميع الأوراق، وبيانات التسجيل إنها شرعية تمامًا؟ أجل، حسنًا، إذا اكتشفوا الحقيقة التي تتوارى خلف ذلك؛ لأوقفونا عند الرصيف دون أن يتبعونا في الأرجاء».

عرضت شاشة إعلانيَّة مُعلَّقة على الحائِط منظرًا مُذهلًا لغيوم مُتعدِّدة الألوان تموج بومضاتٍ من البرق، مما شجَّع هولدن على القيام برحلةٍ إلى مُنتجعات القُبة المُذهلة في تيتان، لم يسبِق له أن ذهب إلى تيتان. فجأة، أراد الذهاب إلى هناك بشدةٍ. بدت له بضعة أسابيع من النوم حتى وقت مُتأخِّر، وتناوُل الطعام في المطاعم الفاخِرة، والاستلقاء على أرجوحةٍ شبكيةٍ، ومُشاهدة عواصِف تيتان الملوَّنة من فوقه كالجنة. اللعنة، طالما أنه يتخيَّل، سارت ناعومي إلى أرجوحته الشبكيَّة وهي تحمل اثنين من مشروبات الفواكِه في يديها؛ لكنها أفسدت الأمر بحديثها، قالت: «هذه محطتنا».

قال هولدن وهو ينهض متوجِّهًا إلى الباب: «راقِب صديقنا يا أموس، انظر إذا هبط من القِطار برفقتنا».

بعد أن هبطوا وساروا عشرات الخطوات في الممر، همس له أموس من خلفه: «أجل». اللعنة. حسنًا، هذا مُطارِد بالتأكيد؛ لكن لم يكُن هناك حقًّا أي سبب يمنعهم من المضي قدمًا والتحقُّق من ليونيل، لم يطلُب منهم فريد أن يفعلوا أي شيء مع أي شخص يتظاهَر بأنه مالك (سكوبيولي)، ولا يُمكِن القبض عليهم لأنهم طرقوا بابًا. أطلَق هولدن صفيرًا عاليًا ومرحًا أثناء سيره، سامحًا لطاقمه ولأي كان من يتبعه بمعرفة أنه ليس قلقًا بشأن أي شيء.

توقَّف عندما رأى الفُندق الرخيص.

كان مُظلِمًا وقذرًا، وكان هذا بالضبط هو نوع الأماكِن التي يتعرَّض فيها الناس للسرقة أو لما هو أسوأ. خلقت الأضواء المكسورة أركانًا مُظلِمةً، ولم يلُح أي سائِح في الأفق، التفت لينظُر إلى أموس وأليكس

نظرةً ذات مغزى، فحرَّك أموس يده في جيبه، بينما مدَّ أليكس يده تحت معطفه.

كانت الردهة عبارة عن مساحة خالية تقريبًا، يحتل زوج من الأرائِك أحد طرفيها بجوار منضدة مُغطاة بالمجلات. جلست امرأة عجوز تبدو نَعِسة لتقرأ واحدةً منهم، كانت المصاعِد غارقة في الحائِط البعيد بجوار باب مكتوب عليه: (السلالِم)، بينما استقرَّ مكتب تسجيل الدخول في المُنتصف؛ حيث توجد -بدلًا من موظَّفٍ بشري- شاشة جهاز لوحي تعمل باللمس تسمَح للضيوف بدفع ثمن غُرفهم.

توقَّف هولدن بجوار المكتب، وتلفَّت حوله لينظُر إلى المرأة التي تجلِس على الأريكة. رمادية الشعر؛ لكنها كانت تتمتَّع بملامح جيِّدةٍ وبنيةٍ رياضيَّةٍ. كان وجودها في فندقٍ رخيصٍ كهذا، يعني أنها عاهرة وصلت إلى نهاية عُمرها الافتراضي، تجاهلت تحديقه به بكُل وضوح.

سأل هولدن بصوتٍ خافتٍ: «هل لا يزال مُطاردنا معنا؟».

أجابه أموس: «توقَّف في مكانٍ ما بالخارِج، ربما يُراقب الباب فحسب في الوقت الحالي».

أومأ هولدن برأسه وضغط على زر الاستعلامات على شاشة تسجيل الدخول، ستسمَح له قائِمة بسيطة بإرسال رسالة إلى غُرفة ليونيل بولانسكي؛ لكن هولدن خرج من النظام، كانوا يعلَمون أن ليونيل لا يزال موجودًا في قائِمة الدخول، وقد أعطاهم فريد رقم الغُرفة، وإذا كان أحدهم يقوم بخدعةٍ ما، فلا داعي لإرساله رسالة تحذيرية له قبل أن يطرُق هولدن بابه.

قال هولدن: «حسنًا، إنه لا يزال هنا، لذلك دعونا... ». توقَّف عندما رأي المرأة التي كانت تجلس على الأريكة تقِف خلف أليكس تمامًا، لم يسمعها أو يرها وهي تقترِب.

قال بصوتٍ أجش: «يجب أن تأتي معي، امشِ إلى بئر السلم ببطءٍ، ابقَ أمامي بثلاثة أمتار على الأقل طوال الوقت، قُم بذلك الآن».

سألها هولدن دون أن يتحرَّك: «هل أنتِ شُرطية؟».

قالت: «أنا الشخص الذي يحمل السلاح». ظهر سلاح صغير في يدها اليُمني كالسحر، صوَّبته نحو رأس أليكس وهي تُضيف: «لذلك افعل ما أقول».

كان سلاحها صغيرًا، وبلاستيكيًّا، ومزوَّدًا بنوعٍ من البطاريات، أخرج أموس قاذِفه الثقيل وصوَّبه إلى وجهها.

قال: «سلاحي أكبر حجمًا».

«أموس، لا تفعل... ». كان هذا كُل ما قالته ناعومي قبل أن يُفتَح باب بئر السلم، ويندفع عبره نصف دزينة من الرجال والسيدات المُسلَّحين بأسلحةٍ آليةٍ مُدجَجةٍ إلى الغُرفة، وهُم يصرخون بهم ليلقوا أسلحتهم.

بدأ هولدن يرفَع يديه عندما فتح أحدهم النار، أطلَق السلاح طلقاته بسُرعةٍ كبيرةٍ لدرجة أن صوتها بدا مثل صوت تمزيق ورق الحائِط، كان من المُستحيل سماع صوت الطلقات مُنفرِدة، ألقى أموس بنفسه على الأرض. خيّط الصاعِق الكهربائي صفًّا من ثقوب الرصاصات زيَّن صدر المرأة ببعضهم بعضًا، فسقطت إلى الخلف بصوتٍ خافتٍ أخير.

أمسَك هولدن بإحدى يدي ناعومي وجذبها خلف مكتب تسجيل الدخول. صَرَخ أحد أفراد المجموعة الأخرى: «أوقفوا إطلاق النار. أوقفوا إطلاق النار». لكن أموس كان يُطلِق النار من موقعه بالفعل مُنبطحًا على الأرض، أخبرت صرخة ألم وسبّة هولدن أنه من المُحتمَل أنه أصاب شخصًا ما، تدحرج أموس جانبًا خلف المكتب، في الوقت المُناسِب لتفادي وابِل من الطلقات التي مزَّقت الأرض والجدار وجعلت المكتب يرتج.

مدَّ هولدن يده نحو مُسدَّسه، نظر للأمام، فاشتبكت يده في حزام خصره، انتزعها، مُمزِّقًا ملابسه الداخليَّة، ثُم زحف على رُكبتيه وصولًا إلى حافة المكتب ونظر إلى الخارِج. كان أليكس مُمدَّدًا على الأرض على الجانِب الآخر من إحدى الأريكتين دون سلاح وبوجهٍ أبيض، بدا لهولدن أن دفقة من النيران قد أصابت الأريكة، مما أدى إلى تناثُر حشوتها في الهواء والتسبُّب في خطٍّ من الثقوب في الجُزء الخلفي من الأريكة على ارتفاع عشرين سنتيمترًا تقريبًا فوق رأس أليكس. مدَّ الطيَّار مُسدَّسة حول زاوية الأريكة وأطلق نصف دزينة من الطلقات بشكلٍ أعمى، وهو يصرُخ في نفس الوقت.

صرخ أموس: «الأوغاد اللُّعناء!». ثُم تدحرج وأطلق طلقتين آخرتين وتراجَع قبل بدء إطلاق النار.

صرخ فيه هولدن: «أين هُم؟».

صرخ أموس بصوتٍ يعلو فوق صوت إطلاق النار: «سقط اثنان منهم، والبقية في بئر السلم!».

ومن العدم، ارتدَّت دفقة من الطلقات عن الأرض متجاوِزةً ركبة هولدن. صرخ أموس: «اللعنة، هناك من يُحاصِرنا! ». ثُم تحرَّك مُبتعدًا عن المكتب وبعيدًا عن الطلقات.

زحف هولدن إلى الجانِب الآخر من المكتب، وألقى نظرةً خاطفةً. تحرَّك شخص ما مُنخفض وبسُرعةٍ نحو مدخل الفُندق، مال هولدن للخارِج وأطلق نحوه رصاصتين؛ لكن ثلاث بنادِق انفتحت من بئر السلم وأجبرته على التراجُع خلف المكتب.

صرخ هولدِن بعلو صوته: «هناك من يتحرَّك نحو المدخل يا أليكس!». على أمل أن يتمكَّن الطيَّار من إطلاق النار قبل أن يتم تقطيعهم إلى أشلاءٍ وسط تبادُل إطلاق النار.

أطلق مُسدَّس ما ثلاث طلقات عند المدخل، خاطَر هولدن بإلقاء نظرةٍ، جثم مُطاردهم ذو القُبعة الحمقاء بجوار الباب، مُمسكًا بمُسدَّسٍ في يده، والبُندقية الرشَّاشة التي كان يحملها مُهاجمهم تقبع تحت قدميه دون حراك، وبدلًا من أن ينظُر إليهم، كان مُطاردهم يوجِّه فوَّهة سلاحه نحو بئر السلم.

صاح هولدن وهو يتحرَّك عائدًا إلى حافة المكتب: «لا تطلقوا النار على الرجل الذي يرتدي القُبعة! ».

أسند أموس ظهره إلى المكتب وهو ينتزع مشط الذخيرة من مُسدَّسه. وقال بينما كان يبحث في جيبه عن آخر: «ربما يكون هذا الرجل شرطيًّا».

قال هولدن: «لا تطلِقوا النار على أي من رجال الشُّرطة على وجه الخصوص! ». ثُم أطلق بضع طلقات نحو بئر السلم.

قالت ناعومي التي أمضت المعركة النارية بأكملها حتى الآن مُستلقية على الأرض ويداها فوق رأسها: «ربما يكونون جميعًا من رجال الشُّرطة».

أطلق هولدن بضع طلقات أخرى قبل أن يهز رأسه.

قال: «لا يحمل رجال الشُّرطة بنادِق آلية صغيرة يسهُل إخفاؤها، ولا ينصبون الكمائِن للناس في آبار السلالِم، نحن نسمي هذه فرقة إعدامٍ». على الرغم من أن مُعظم كلماته غرقت وسط دوي إطلاق النار القادِم من بئر السلم، فإن بضع لحظات من الصمت جاءت بعد ذلك.

انحنى هولدن للخارج في الوقت المُناسِب ليرى الباب يتأرجح مُغلقًا.

قال وهو يصوِّب سلاحه إلى الباب على أي حال: «أعتقِد أن الخوف قد تملَّكهم، لا بُدَّ أن لديهم مخرجًا آخرَ في مكانٍ ما، أبقِ عينيك على ذلك الباب يا أموس، إذا فُتِح، ابدأ بإطلاق النار». ربت على كتف ناعومي وهو يُضيف: «ابقِي مُنخفِضة».

نهض هولدن من خلف مكتب تسجيل الدخول المُدمر الآن. تشقَّقت واجهة المكتب وظهر حجر الأساس عبرها. رفع هولدن فوَّهة سلاحه، وفتح يديه، وقف الرجل الذي يرتدي القُبعة، وهو ينظُر إلى الجُثة المُستلقية تحت قدميه، ثُم رفع ناظريه إلى الأعلى عندما اقترب هولدن.

- «شكرًا، اسمي جيم هولدن، وأنت؟».

لم يتحدَّث الرجل للحظةٍ، وعندما فعل، أتى صوته هادئًا، ومليئًا بالضجر تقريبًا وهو يقول: «سيأتي رجال الشُّرطة إلى هنا قريبًا، أحتاج إلى إجراء مُكالمة، أو سنذهب إلى السجن جميعًا».

سأله هولدن: «أولست من رجال الشُّرطة؟».

ضَحِك الرجل الآخر ضحكة مريرة، وقصيرة؛ لكنها كانت تحمل بعض المرح الحقيقي خلفها، على ما يبدو أن هولدن قال شيئًا مُضحِكًا.

قال: «كلا، اسمي ميلر».

(٣٤)
ميلر

نظر ميلر إلى الرجُل الميّت -الرجل الذي قتله للتو- وحاول أن يشعُر بشيءٍ ما، كان لا يزال اندفاع الأدرينالين يزيد من ضربات قلبه. كما كان يُخالِجه شعور بالدهشة من الدخول في معركةٍ ناريةٍ غير متوقَّعةٍ. بعد ذلك، كان عقله قد سقط بالفعل في فخ عادة التحليل القديمة. فرد مزروع في الغُرفة الرئيسية كيلا يرى هولدن وطاقمه أي شيء خطير للغاية، وحفنة من المتوحّشين الذين يشعرون بالسعادة لضغط الزناد يقفون في بئر السلم لدعمها، لقد سارت الأمور على ما يُرام.

لقد كان جهدًا مبذولًا على عجلٍ، وتمَّ نصب الكمين من قِبَل أشخاص إما أنهم لا يعرفون ما يفعلونه، أو أنه لم يكُن لديهم الوقت أو الموارِد الكافية للقيام بذلك بشكلٍ صحيحٍ، وإذا لم يكُن كمينًا مُرتجلًا، لكان هولدن ورفاقه الثلاثة قد خُطِفوا أو قُتِلوا، وهو كذلك معهم.

وقف الناجون الأربعة من (كانتيربيري) وسط بقايا تبادُل إطلاق النار مثل المُبتدئين بعد قتالهم الأول. شعر ميلر أن عقله يتراجَع إلى الخلف نصف خطوة بينما كان يُراقِب كُل شيء دون أن يُراقِب أي شيء على وجه الخصوص. كان هولدن أصغر حجمًا مما كان يتوقَّعه من مقاطِع الفيديو،

ولم ينبغِ أن يكون هذا الأمر مُفاجئًا؛ فقد كان الرجل أرضيًّا، كما كان يتمتَّع بوجهٍ سيئ في إخفاء الأشياء.

- «شكرًا، اسمي جيم هولدن، وأنت؟».

فكَّر ميلر في ست إجابات مُختلِفة قبل أن يُنحيهم جميعًا جانبًا. أحد الآخرين -رجل ضخم، قوي، برأسٍ حليقٍ، كان يندفع مُسرعًا خارِج الغُرفة، وكانت عيناه تفتقِدان إلى التركيز مثل ميلر تمامًا، فمن بين أربعتهم، كان هذا هو الرجل الوحيد الذي شهد إطلاق نار جاد من قبل.

قال ميلر: «سيأتي رجال الشُّرطة إلى هنا قريبًا، أحتاج إلى إجراء مُكالمة، أو سنذهب إلى السجن جميعًا».

كان الرجل الآخر -أنحف، وأطول منه، ويبدو من مظهره أنه من الهند الشرقية- يختبئ خلف أريكة. يجلِس على مؤخِّرته الآن، عيناه واسعتان ومليئتان بالذُّعر. كان لدى هولدن بعض ذلك المظهر؛ لكنه كان يقوم بعملٍ أفضل في الحفاظ على السيطرة، قال ميلر لنفسه: تلك هي أعباء القيادة.

- «أولست من رجال الشُّرطة؟».

ضَحِكَ ميلر.

قال: «كلا، اسمي ميلر».

قالت المرأة: «حسنًا، حاول هؤلاء الناس قتلنا للتو، لماذا فعلوا ذلك؟».

تقدَّم هولدن نحو صوتها نصف خطوة قبل حتى أن يلتفِت لينظُر إليها. كان وجهها مُحتقِنًا، تزُم شفتيها الشاحبتين المُمتلئتين. كشفت ملامحها عن مزيج عرقي بعيد المنال، كان غير مُعتاد حتى في بوتقة الحزام، لم تكُن يداها ترتعِدان. كان لدى الشخص الكبير أكبر قدر من الخبرة؛ لكن ميلر صنَّف المرأة على أنها تتمتَّع بأفضل الغرائز.

قال ميلر: «أجل، لقد لاحظت ذلك».

أخرج جهازه اللوحي وفتح رابط اتصال مع سيماتيمبا، وافق الشُّرطي بعد ثوانٍ قليلة.

قال ميلر: «أنا آسف حقًّا على ذلك يا سيمي؛ لكن هل تعرِف كيف كُنت أحاوِل ألا ألفِت الانتباه؟».

قال الشُّرطي المحلي وهو يُقسِّم الكلمة إلى ثلاثة مقاطِع صوتيَّة: «أجـل؟».

- «لم يفلح هذا. كُنت متوجِّهًا إلى اجتماعٍ مع صديق... ».

كرَّر سيماتيمبا: «اجتماع مع صديق». كان بإمكان ميلر أن يتخيَّل ذراعي الرجل المُتقاطعتين اللتين لم تظهرا في الصورة.

- «وحدث أن رأيت مجموعة من السيَّاح في الوقت الخطأ وفي المكان الخطأ، فخرجت الأمور عن السيطرة».

سأله سيماتيمبا: «أين أنت؟». أخبره ميلر بطاقم المحطَّة والعنوان. كانت هناك فترة توقُّف بينما انهمك سيماتيمبا في استشارة بعض برامِج الاتصال الداخلية التي كانت تُشكِّل جزءًا من مجموعة أدوات ميلر ذات يوم. تنهَّد الرجل بصوتٍ صاخبٍ قبل أن يقول: «لا أرى أي شيء، هل كانت هناك طلقات نارية؟».

نَظَر ميلر إلى الفوضى والخراب الذين يحيطان بهم، كان من المُفترَض أن يتم إطلاق ألف إنذار مُختلِف مع إطلاق أول سلاح للنار. كان يجب أن يتدفَّق الأمن في اتجاههم.

قال: «قليلًا».

قال سيماتيمبا: «هذا غريب، ابقَ مكانك، أنا قادِم إليك».

قال ميلر وهو يُنهي الاتصال: «سأفعل».

قال هولدن: «حسنًا، من كان هذا؟».

قال ميلر: «رجال الشُّرطة الحقيقيون، سيكونون هنا قريبًا، وسيكون كُل شيء على ما يُرام».

أعتقِد أن كُل شيء سيكون على ما يُرام، خَطَر له أنه كان يتعامَل مع الموقِف كما لو كان لا يزال في الداخِل، ترس من الآلة، ولم يعُد هذا صحيحًا بعد الآن، وقد يكون هناك عواقِب للتظاهُر بهذا.

قالت المرأة لهولدن: «لقد كان يتبعنا». ثُم قالت لميلر: «لقد كُنت تتبعنا».

قال ميلر: «كُنت أتبعكُم». لم يعتقِد أنه بدا حزينًا؛ لكن الرجل الضخم هزَّ رأسه.

قال الرجل الضخم: «القُبعة، لقد كانت بارِزة بعض الشيء».

خلع ميلر قُبعته وتأمَّلها، بالطبع كان الرجل الضخم هو من لاحظه، فالثلاثة الآخرون كانوا هواة على قدرٍ من الكفاءة، وكان ميلر يعرف أن هولدن قد قضى بعض الوقت في قوَّات بحرية الأمم المُتحدة الفضائية.

لكن ميلر كان مستعدًّا على الرهان بأن فحص خلفية الرجل الضخم سيكون قراءةً مُمتعةً.

سأله هولدن: «لماذا كُنت تتبعنا؟ أعني، أقدِّر الجُزء الذي أطلقت فيه النار على هؤلاء الذين كانوا يُطلِقون علينا النار؛ لكنني ما زلت أرغب في معرفة الجُزء الأول».

قال ميلر: «أردت التحدُّث إليك، أنا أبحث عن شخص ما».

كانت هناك وقفة. ابتسم هولدن.

سأله: «أي شخص على وجه الخصوص؟».

قال ميلر: «أحد أفراد طاقم (سكوبيولي) ».

قال هولدن: « (سكوبيولي)؟ ». بدأ ينظُر إلى المرأة قبل أن يمنع نفسه، كان هناك شيء ما، فقد كانت (سكوبيولي) تعني له شيئًا يتجاوَز ما رآه ميلر في الأخبار.

قالت المرأة: «لم يكُن هناك أحد على متنها عندما وصلنا إليها».

قال الرجل المُرتعِد الذي يجلِس خلف الأريكة: «اللعنة». كانت هذه الكلمة هي أول ما نطق به منذ أن انتهى القِتال، وكرَّرها خمس أو ست مرَّات في تتابُعٍ سريعٍ.

سأله ميلر: «ماذا عنك؟ انتهى بك تدمير (دوناجير) في تايكو، والآن أنت هنا. ما الذي يحدُث؟».

سأله هولدن: «كيف عرفت ذلك؟».

قال ميلر: «إنها وظيفتي، حسنًا، كانت وظيفتي».

لم يبدُ أن تلك الإجابة قد أرضَت الأرضي. وقف الرجل الضخم خلف هولدن، واعتلت قسمات وجهه رسالة وديَّة: لا توجد مُشكلة، ما لم تُرِد أن توجد مُشكلة، وربما تجد بعد ذلك الكثير من المتاعِب. أومأ ميلر برأسه، نصف إيماءة للرجل الضخم، ونصف إيماءة لنفسه.

قال ميلر: «كان لديَّ مصدر في (أوبا) أخبرني أنك لم تمُت على متن (دوناجير)».

سألته المرأة والغضب يسكُن صوتها: «هل أخبروك بذلك فحسب؟».

قال ميلر: «لقد كان يُشير إلى أمرٍ ما في ذلك الوقت، على أي حال، لقد قال ذلك، وتوليت الأمر من هناك، وسأحرص في غضون عشر دقائِق تقريبًا على ألا يلقي بكم أمن إيروس في حُفرةٍ، وأنا بصُحبتكم، لذلك إذا كان هناك أي شيء تُريدون إخباري به -مثل ما تفعلونه هنا على سبيل المثال- فسيكون هذا هو الوقت المُناسِب».

لم يكسر الصمت سوى صوت أجهزة إعادة تدوير الهواء التي تعمَل على إزالة الدخان والغُبار الناتِج عن تبادُل إطلاق النار. وقف الرجل المُرتعِد، كان هناك شيء في الطريقة التي تماسَك فيها يبدو عسكريًّا، خدم في شيءٍ ما في وقتٍ سابقٍ؛ لكنه لم يكُن جُندي مُشاة، ربما خدم في البحرية الفضائية المريخية كتخمينٍ، كان لديه خنة صوتيَّة تأثر بعضها.

قال الرجل الضخم: «اللعنة على ذلك يا قُبطان، لقد أطلَق النار على الرجل الذي كان يُحاصِرنا. قد يكون أحمق، إلا أنه على ما يُرام بالنسبة لي».

قال هولدن: «شكرًا لك يا أموس». سجَّل ميلر ذلك، الرجل الضخم هو أموس. وضع هولدن يديه خلف ظهره، وأعاد المُسدَّس إلى حزام خصره.

قال: «نحن هنا للبحث عن شخص ما أيضًا، ربما يكون شخصًا من (سكوبيولي)، كُنا فقط نتحقَّق من الغُرفة عندما قرَّر الجميع البدء في إطلاق النار علينا».

قال ميلر: «هنا؟». تدفَّق شيء ما مثل العاطِفة في عروقه، ليس الأمل؛ بل الرهبة. أضاف: «يوجد شخص ما من (سكوبيولي) في هذا الفُندق الرخيص الآن؟».

قال هولدن: «نعتقِد ذلك».

نظر ميلر خارِج أبواب ردهة الفُندق الرخيص الأمامية. بدأ حشد صغير فضولي في التجمُّع في النفق. بأيدٍ معقودةٍ، ونظراتٍ عصبيةٍ كان يعرِف بم يشعرون. سيماتيمبا وشُرطته قادمون في الطريق، ولم يشن المُسلَّحون الذي هاجموا هولدن وطاقمه هجومًا آخر؛ لكن هذا لم يكُن يعني أنهم رحلوا. قد تكون هناك موجة هجومية أخرى، كان من المُمكِن أن يتراجعوا إلى موقعٍ هجومي أفضل في انتظار تقدُّم هولدن.

لكن ماذا لو كانت جولي هنا الآن؟ كيف يُمكِن له أن يصل إلى هذا الحد ويتوقَّف في الردهة؟ ولدهشته، كان لا يزال شاهرًا سلاحه، كان هذا تصرفًا غير مهني، كان لا بُدَّ أن يضعه في جرابه، كان الشخص الوحيد الذي لا يزال شاهرًا سلاحه هو المريخي، هزَّ ميلر رأسه. هذه زلة. كان بحاجةٍ إلى إيقاف ذلك.

وعلى الرغم من ذلك، فقد كان لديه أكثر من نصف مشط ذخيرة مُتبقٍّ في مُسدَّسه.

سأله: «أي غُرفة؟».

***

كانت ممرَّات الفُندق الرخيص نحيلة وضيِّقة، بينما كانت الجدران مطليَّة بطلاء مستودعات ذي لمعان لا يتأثَّر، والسجَّادة عبارة عن نسيج من سيليكات الكربون التي من شأنها أن تبلى ببطءٍ أكثر من الحجر المكشوف. ذهب ميلر وهولدن أولًا، ثُم المرأة والمريخي -اللذان كان اسماهما ناعومي وأليكس- ثُم أموس، في المؤخرة وينظُر إلى الخلف من فوق كتفه. تساءل ميلر عمَّا إذا كان أي شخص سواه هو وأموس يفهَم كيف يُحافِظ على سلامة الآخرين. بدا أن هولدن يعرف ذلك ويشعُر بالغضب منه؛ استمرَّ في التقدُّم.

كانت أبواب الغُرف عبارة عن شرائح مُتطابِقة من الألياف الزجاجية، رقيقة بما يكفي لتحطيمها إلى آلاف القطع، كان ميلر قد ركل مائة مثلها خلال مسيرته المهنيَّة، تمَّ تزيين عدد قليل منها هنا وهناك من قِبَل السُّكَّان الدائمين برسمٍ من المُحتمَل له أن يكون زهورًا حمراء، وكان هناك إعادة رسم رخيصة لرسمٍ كاريكاتوري فاحشٍ على سبورة بيضاء بخيطٍ كان هناك قلم مُعلَّقًا به من قبل، يبدو وكأن مزحته تتوهَّج بخفوتٍ في حلقةٍ لا نهائية.

كان كابوسًا من الناحية التكتيكيَّة؛ حيث يُمكِن أن يُذبَح خمستهم في ثوانٍ، إذا خرجت قوَّات الكمين من أي من الأبواب الموجودة أمامهم أو خلفهم؛ لكن لم تتطايَر أي طلقات نارية، وخرج رجل هزيل طويل اللحية بعينين غير سليمتين وفم مُتهدِّل من الباب الوحيد الذي فُتِح،

أومأ ميلر برأسه إلى الرجل أثناء مرورهم، فأومأ له بدوره، وبدا أنه ربما تفاجأ لاعتراف شخص ما بوجوده أكثر مما تفاجأ بالمُسدَّسات المُشهرة. توقَّف هولدن.

تمتم: «هذه هي، هذه هي الغُرفة».

أومأ ميلر برأسه، اقترب الآخرون في حشدٍ جماعي، بينما تسكَّع أموس في الخلف بشكلٍ عرضي، وعينيه على الممر المُمتد من خلفهم، فحص ميلر الباب. سيكون من السهل اقتحامه. مُجرَّد ضربة قوية فوق آلية المزلاج مُباشرةً، ثُمَّ يُمكِنه أن يذهَب إلى الأسفل وعن اليسار، وأموس إلى الأعلى وعن اليمين. تمنى لو أن هافلوك كان هنا، كانت التكتيكات أبسط للأشخاص الذين تدرَّبوا سويًّا. أشار إلى أموس ليقترِب.

طرق هولدن الباب.

همس ميلر بشراسةٍ: «ماذا تـ...؟ »؛ لكن هولدن تجاهله.

صاح هولدن: «مرحبًا؟ هل هناك أي شخص هنا؟».

توتَّر ميلر؛ لكن شيئًا لم يحدُث، لا صوت، ولا طلقات نارية، لا شيء، بدا هولدن مرتاحًا تمامًا للمُخاطرة التي تعرَّض لها للتو، فهم ميلر من التعبير الذي احتلَّ وجه ناعومي أن هذه ليست المرَّة الأولى التي يفعل بها الأشياء بهذه الطريقة.

قال أموس: «هل تُريد فتح ذلك؟».

قال ميلر: «نوعًا ما». في نفس اللحظة التي قال فيها هولدن: «أجل، حطِّمه».

حرَّك أموس عينيه من واحدٍ إلى آخرَ، لم يتحرَّك إلا عندما أومأ له هولدن برأسه. تحرَّك أموس ليقف أمامهم، وفتح الباب بركلةٍ واحدةٍ، وارتدَّ إلى الخلف وهو يُطلِق سبةً.

سأله ميلر: «هل أنت بخير؟».

أومأ الرجل الضخم برأسه مرَّة من وسط تجهُّم شاحِب.

قال: «أجل، لقد كسرت ساقي منذ فترة، لقد فككت الجبيرة لتوي، ولا أنفك أنسى ذلك».

دخل ميلر إلى الغُرفة، وبالداخِل، كانت مُظلِمة مثل كهف دون أي أضواء مُضاءة، ولا حتى وهج شاشات أو أجهزة حسيَّة خافِت. تقدَّم ميلر شاهرًا سلاحه. كان هولدن قريبًا خلفه، أصدرت الأرضية صوت طحن الحصى تحت أقدامهم، وفاحت في الهواء رائِحة مُقبِضة غريبة ربطها ميلر بالشاشات المكسورة، وتقبع خلفها رائِحة أخرى أقل إمتاعًا، اختار عدم التفكير في تلك الرائِحة.

قال ميلر: «مرحبًا؟ هل هناك أحد هنا؟».

قالت ناعومي من خلفه: «افتحوا الأضواء». سمع ميلر هولدن يربت على لوحة الحائِط؛ لكن الضوء لم يُفتَح.

قال هولدن: «الضوء لا يعمل».

لم يكشِف لهم الضوء الخافِت القادِم من الممر عن أي شيء تقريبًا. أبقى ميلر مُسدَّسه ثابتًا في يده اليُمنى، مستعدًّا لتفريغه في اتجاه الفوَّهة التي ستومض إذا فتح أي شخص النيران من وسط الظلام. بينما أخرج جهازه اللوحي بيده اليُسرى، وضع إبهامه على الإضاءة الخلفية، وفتَحَ

لوح كتابة أبيض فارِغًا. غرقت الغُرفة في إضاءة أحادية اللون، وبجواره فعل هولدن نفس الشيء.

قبعَ سرير مضغوط رقيق بجوار أحد الجدران، وبجواره صينية ضيِّقة. كانت الشراشِف معقودة كبقايا ليلة من النوم السيئ. بينما وقفت الخزانة مفتوحة، وفارِغة، واستلقى الهيكل الضخم لبدلة فضائية فارِغة مثل مانيكان دون رأس. كما كانت هناك وحدة ترفيه قديمة مُعلَّقة على الحائِط مُقابِل الفراش الصغير، تحطَّمت شاشتها بنصف دزينة من الضربات، كان الجدار مُنبعجًا حيث تلقى الضربات التي كانت تهدف إلى تحطيم حاملات المصابيح الليد قبل أن تخطئها، أضاف جهاز لوحي آخر وهجه، ثُم آخر. بدأت تلميحات من الضوء تتدفَّق إلى الغُرفة، ذهب الجدران الرخيص، ولون الملاءات والبطانيات الأخضر. لمع شيء ما تحت الفراش الصغير، جهاز لوحي قديم الطراز، جثم ميلر بينما تقدَّم الآخرون.

قال أموس: «اللعنة».

قال هولدن: «حسنًا، لا يلمسنَّ أحدكم شيئًا. لفترةٍ. لا شيء». وبدا هذا أكثر شيء منطقي سمع ميلر الرجل يقوله.

تمتم أموس: «خاض أحدهم قتالًا مريرًا».

قال ميلر: «لا». ربما كان هذا تخريبًا مُتعمَّدًا، لم يكُن صراعًا، أخرج كيس أدلة رقيقًا من جيبه وقلبه رأسًا على عقبٍ على يده مثل القفَّاز قبل أن يلتقِط الجهاز اللوحي، قبل أن يقلِب البلاستيك فوقه، ويُحكِم إغلاقه.

سألته ناعومي وهي تُشير إلى المرتبة الإسفنجية الرقيقة: «هل هذه... دماء؟». تجمَّعت خطوط رطبة فوق الملاءة والوسادة، عرضها ليس أكثر

من عرض الأصابع، إلا أنها كانت داكِنة. داكِنة للغاية حتى بالنسبة إلى دماء.

قال ميلر وهو يضع الجهاز اللوحي في جيبه: «لا».

شكَّل السائِل مسارًا رفيعًا نحو الحَمَّام. رفع ميلر يده، دفع الآخرين للخلف وهو يتسلَّل نحو الباب نصف المفتوح، وبداخِل دورة المياه، كانت الرائِحة الكريهة التي تقبع في الخلفية أكثر قوَّةً. رائِحة شيء عميق، وعضوي، وحميم كالسماد في الدفيئة، أو ما بعد مُمارسة الجنس، أو المسلخ، أو كُل ما سبق. كان المرحاض مصنوعًا من الفولاذ المصقول، ومن نفس الطراز الذي يستخدمونه في السجون. والحوض مُطابِق له تمامًا، أما المصباح الذي يعلوه والآخر المُعلَّق في السقف فكانا مُدمَّرين، وعلى ضوء جهازه اللوحي، الذي يتوهَّج مثل ضوء شمعة واحدة، وكانت الآثار السوداء تصل من حوض الاستحمام نحو الأضواء المُدمَّرة، تنثني وتتفرَّع مثل أوراق الهيكل العظمي.

وفي حوض الاستحمام، قبعت جولييت أندروميدا ماو ميِّتة.

كانت عيناها مُغلقتين، وكان هذا نوعًا من الرحمة، كانت قد صفَّفت شعرها بطريقةٍ مُختلفةٍ منذ أن التقطت الصور التي شاهدها ميلر، مما غيَّر شكل وجهها؛ لكنها كانت هي بشكلٍ لا ريب فيه، كما أنها كانت عارية، وبالكاد بشرية؛ حيث انسكبت دفقات من النمو المُعقَّد من فمها، وأذنيها، وفرجها، بينما نمت ضلوعها وعمودها الفقري كالسكاكين التي شدَّت بشرتها الشاحِبة، كانت على استعداد لتقطيع طريق خروجها للتحرُّر منها. بينما امتدَّت الأنابيب من ظهرها وحلقها، وزحفت على الحوائِط من خلفها. تسرَّب منها سائل بني داكِن، ليملأ حوض

الاستحمام بارتفاع ثلاثة سنتيمترات، جلس بصمتٍ مُتمنيًا ألا يكون الشيء الموجود أمامه حقيقيًّا، محاولًا إجبار نفسه على الاستيقاظ.

قال لنفسه: ماذا فعلوا بكِ؟ ماذا فعلوا بكِ يا فتاة؟

قالت ناعومي من خلفه: «يا إلهي! ».

قال: «لا تلمسوا أي شيء، اخرجوا من الغُرفة، توجَّهوا إلى الردهة، حالًا».

تلاشى الضوء في الغُرفة المجاوِرة مع تراجُع الأجهزة اللوحية، منحت الظلال الملتوية جسدها إيحاءً بالحركة للحظاتٍ، قبع ميلر منتظرًا؛ لكن القفص الصدري لم يرتفِع بفعل أي نفس، ولم يمس أي وميض حياة جفنيها. لم يحدُث أي شيء. وقف، فحص أصفاده وحذاءه بعنايةٍ، وخرج إلى الممر.

لقد رأوها جميعًا. كان بإمكانه معرفة ذلك من تعبيراتهم، لقد رأوها جميعًا، ولم يعرفوا أي شيء أكثر مما عرفه، أغلق الباب المكسور بلُطفٍ، وطفق ينتظر سيماتيمبا، ولم يطُل انتظاره.

شقَّ خمسة رجال يرتدون دروع مُكافحة الشغب الخاصَّة بالشُّرطة، ويحملون بنادقهم طريقهم من نهاية الممر، تقدَّم ميلر إلى الأمام لمُقابلتهم، كان وضعه أفضل من أي شارة، كان بإمكانه رؤيتهم وهُم يسترخون، جاء سيماتيمبا من خلفهم.

قال: «ما هذا بحق الجحيم يا ميلر؟ اعتقدت أنك قُلت إنك ستبقى مكانك».

قال: «لم أُغادِر، هؤلاء الموجودون في الخلف هناك هُم المدنيون، هاجمهم القتلى الموجودون بالأسفل في الردهة».

سأله سيماتيمبا: «لماذا؟».

قال ميلر: «ومن يعرِف؟ أرادوا قتلهم من أجل الحصول على أعضائهم، ليست هذه هي المُشكلة».

ارتفع حاجبا سيماتيمبا وهو يقول: «لديَّ أربع جُثث بالأسفل، وهذه ليست المُشكلة».

أومأ ميلر برأسه نحو نهاية الممر.

قال: «والخامِسة في انتظارك هناك، إنها الفتاة التي كُنت أبحث عنها».

خفتَ تجهُّم سيماتيمبا وهو يقول: «أنا آسف».

قال ميلر: «لا». لم يستطِع قبول التعاطُف، لم يستطِع قبول الراحة، وكانت أي لمسة لطيفة ستُحطِّمه، لذا بقي جامدًا بدلًا من ذلك وهو يُضيف: «لكنك سترغب في استدعاء الطبيب الشرعي من أجل تلك الجُثة».

- «هل هي بهذا السوء إذن؟».

قال ميلر: «ليست لديك أي فكرة، اسمع يا سيمي، أنا لا أفهم أي شيء هنا، حقًّا، هؤلاء الرجال المُسلَّحون الموجودون بالأسفل، إذا لم يكونوا مُرتبطين بقوّات الأمن الخاصّة بكم، لدوت أجراس الإنذار بمُجرَّد إطلاق الرصاصة الأولى، أنت تعلَم أن هذا كان مُعدًّا، وأنهم كانوا بانتظار هؤلاء الأربعة. وهل ترى هذا الرجل السمين ذا الشعر الداكِن؟ إنه جيمس هولدن، لا يجب أن يكون على قيد الحياة حتى».

قال سيماتيمبا: «هولدن الذي بدأ الحرب؟».

قال ميلر: «هذا هو، أنا أغرق، وأزداد غرقًا، وتعرف ماذا يقولون عن الدخول لإنقاذ رجل غريق، أليس كذلك؟».

نظر سيماتيمبا إلى نهاية الممر. وأومأ برأسه.

قال سيماتيمبا: «دعني أساعدك»؛ لكن ميلر هزَّ رأسه.

- «لقد تورَّطت في الأمر بشدةٍ، انساني، ما حدث هو أنك تلقيت مُكالمة، ووجدت المكان. أنت لا تعرفني، ولا تعرفهم، وليس لديك أدنى فكرة عمَّا حدث، وإلا سأجذبك لتغرق معي، هذا اختيارك».
- «لن تُغادِر المحطَّة دون أن تُخبرني؟».

قال ميلر: «حسنًا».

قال سيماتيمبا: «يُمكِنني قبول ذلك». ثُم أضاف بعد لحظة: «هل هذا هولدن حقًّا؟».

قال ميلر: «اتصل بالطبيب الشرعي، ثق بي».

(٣٥)

هولدن

أشار ميلر إلى هولدن وتوجَّه إلى المصعد دون أن ينتظِر لمعرفة إذا ما كان يتبعه، ضايقه الافتراض؛ لكنه ذهب على أي حال.

سأله هولدن: «إذن فقد كُنا في تبادُل إطلاق نيران حيث قتلنا ثلاثة أشخاص على الأقل، والآن نحن على وشك المُغادرة دون استجواب أو الإدلاء بإفادةٍ؟ كيف يحدُث ذلك بالضبط؟».

قال ميلر: «مُجاملة مهنيَّة». ولم يستطِع هولدن معرفة إذا ما كان يمزَح.

انفتح باب المصعد بصوت رنين مكتوم، وتبع هولدن والبقية ميلر إلى الداخِل، كانت ناعومي هي أقربهم للوحة، لذلك مدَّت يدها لتضغط على زر البهو؛ لكن يدها كانت ترتعِد بشدةٍ لدرجة أنها اضطرَّت إلى التوقُّف قبل أن تُغلِقها إلى قبضةٍ، مدَّت إصبعها الآن بثباتٍ بعد أن أخذت نفسًا عميقًا وضغطت على الزر.

قال هولدن لميلر من الخلف: «هذا هراء، كونك شرطيًّا سابِقًا لا يُعطيك ترخيصًا للتورُّط في معارِك بالأسلِحة النارية».

لم يتحرَّك ميلر؛ لكنه بدا وكأنه ينكمِش قليلًا، وأتت تنهيدته ثقيلة وحُرَّة، كما بدت بشرته أكثر رماديةً من ذي قبل.

- «يعرف سيماتيميا النتيجة، نصف العمل يتمثَّل في معرفة متى ننظُر إلى الناحية الأخرى، وبالإضافة إلى ذلك، لقد وعدته بأننا لن نُغادِر المحطَّة دون إخباره».

قال أموس: «اللعنة على ذلك، لا تُقدِّم وعودًا بالنيابة عنَّا يا صديقي».

وصل المصعد إلى وجهته وانفتح بابه كاشفًا عن المشهد الدموي الناتِج عن المعركة النارية، كانت هناك دزينة من رجال الشُّرطة في الغُرفة، أومأ ميلر لهم برأسه فأومأوا له بدورهم، قاد الطاقم إلى الممر الموجود خارِج البهو، ثُم استدار.

قال ميلر: «يُمكِننا العمل على ذلك لاحقًا، أما الآن، فلنذهب إلى مكانٍ يُمكِننا التحدُّث فيه».

وافقه هولدن الرأي بهزَّة كتف وهو يقول: «حسنًا؛ لكنك ستدفع».

توجَّه ميلر إلى نهاية الممر باتجاه محطَّة مترو الأنفاق.

وبينما يتبعوه، وضعت ناعومي يدها على ذراع هولدن وبطأت من سُرعته قليلًا حتى يتمكَّن ميلر من المضي قدمًا، وعندما أصبح بعيدًا بما فيه الكفاية قالت: «إنه يعرفها».

- «من يعرف من؟».

قالت ناعومي وهي تُشير إلى ميلر: «هو». ثُم أومأت برأسها للخلف نحو مسرح الجريمة القابع خلفهم وهي تُضيف: «يعرفها».

قال هولدن: «كيف تعرفين ذلك؟».

- «لم يتوقَّع أن يجدها هناك؛ لكنه كان يعرِف هويتها، ورؤيتها بهذه الطريقة كانت بمنزلة الصدمة».
- «عجبًا، لم أرَ ذلك على الإطلاق، لقد بدا واثقًا من نفسه طوال كُل ذلك».
- «لا، لقد كانوا أصدِقاء أو شيئًا من هذا القبيل، إنه يواجِه مُشكلة في التعامُل مع الأمر، لذلك فربما لا تضغط عليه بشدةٍ، فقد نحتاجه».

***

كانت غُرفة الفُندق التي حَصَل عليها ميلر أفضل قليلًا من الغُرفة التي عثروا فيها على الجُثة. توجَّه أليكس إلى الحمَّام على الفور وأغلَق الباب؛ لكن هدير المياه المُتدفِّقة في الحوض لم يكُن مُرتفعًا بما فيه الكفاية لتغطية صوت تهوُّع الطيَّار.

استلقى هولدن على لحاف الفراش الصغير القذِر، مما أجبر ميلر على الجلوس على مقعد الغُرفة الوحيد غير المُريح، جلست ناعومي بجوار هولدن على الفراش؛ لكن أموس ظلَّ واقفًا على قدميه، يتجوَّل في أرجاء الغُرفة مثل حيوان متوتِّر.

قال هولدن لميلر: «تحدَّث إذن».

أجابه ميلر بإيماءةٍ نحو الحمَّام: «لننتظِر حتى ينتهي بقية أفراد العِصابة».

خَرَج أليكس بعد لحظات قليلة، ووجهه لا يزال أبيض اللون؛ لكنه كان قد غُسِل حديثًا.

سألته ناعومي بصوتٍ خافتٍ: «هل أنت بخير يا أليكس؟».

قال أليكس: «بخير حال أيتها المُديرة التنفيذية». ثُم جلس على الأرض ودفن وجهه بين يديه.

حدَّق هولدن في ميلر وانتظر، جلس الرجل الأكبر سنًّا وهو يعبث في قُبعته لدقيقةٍ، ثُم ألقى بها على مكتب بلاستيكي رخيص كان ناتئًا من الحائِط.

قال ميلر: «كيف كُنت تعرِف أن جولي كانت في تلك الغُرفة؟».

أجابه هولدن: «لم نكُن نعرف أن اسمها جولي، كُنا نعلَم أنها شخص ما من (سكوبيولي) فحسب».

قال ميلر وحدة مُخيفة تلتمِع في عينيه: «يجب أن تُخبرني كيف عرفت بذلك».

توقَّف هولدن للحظةٍ، لقد قتل ميلر شخصًا ما كان يحاوِل قتلهم، وقد ساعَد ذلك بالتأكيد في إثبات أنه كان صديقًا؛ لكن هولدن لم يكُن على وشك بيع فريد ومجموعته بسبب حدس، تردَّد، ثُم ذهب إلى مُنتصف الطريق.

قال: «لقد سجَّل مالك (سكوبيولي) الخيالي دخوله في ذلك الفُندق الرخيص، وكان من المنطقي أن يكون أحد أفراد الطاقم يُطلِق تنبيهًا».

أومأ ميلر برأسه قبل أن يقول: «من الذي أخبرك بذلك؟».

أجابه هولدن: «لست مرتاحًا لإخبارك بذلك، اعتقدنا أن المعلومات كانت دقيقة، فقد كانت (سكوبيولي) هي الطعم الذي استخدمه شخص

ما لتدمير (كانتيربيري)، واعتقدنا أن شخصًا ما من (سكوبيولي) قد يعرف سبب استمرار محاولة الجميع قتلنا».

قال ميلر: «اللعنة». ثُم استرخى للخلف على مقعده مُحدِّقًا في السقف.

قالت ناعومي بنبرةٍ لا تدُل على سؤالٍ: «كُنت تبحث عن جولي، وكُنت تأمل في أن نكون نبحث عنها أيضًا، وأننا نعرف شيئًا».

قال ميلر: «أجل».

جاء دور هولدن ليسأل: «لماذا؟».

قال ميلر: «أرسل والداها عقدًا إلى سيريس من أجل البحث عنها لإعادتها إلى المنزل، لقد كانت قضيتي».

- «إذن فأنت تعمَل في أمن سيريس؟».
- «ليس بعد الآن».

سأله هولدن: «إذن ما الذي تفعله هنا؟».

أجابه ميلر: «كانت عائلتها مُرتبطة بشيءٍ ما، وأنا بطبعي أكره الغموض».

- «وكيف عرِفت أن الأمر أكبر من مُجرَّد فتاة مفقودة؟».

كان التحدُّث إلى ميلر أشبه بالحفر في الجرانيت بإزميلٍ مطاطي. ابتسم ميلر ابتسامة تفتقِر إلى الحس الفكاهي.

- «لقد طردوني لأنني كُنت أبحث أكثر من اللازِم».

قرَّر هولدن -بإدراكٍ- ألا يغضب من عدم إجابة ميلر: «دعنا نتحدَّث إذن عن فرقة الإعدام التي كانت في الفُندق».

قال أموس وقد توقَّف عن التجوُّل: «أجل، حقًّا، ما هذا بحق اللعنة؟». أخرج أليكس رأسه من بين يديه، ونظر للأعلى باهتمامٍ للمرَّة الأولى. حتى ناعومي انحنت للأمام نحو حافَّة الفراش.

أجابه ميلر: «ليس لديَّ أي فكرة؛ لكن أحدهم كان يعرف أنكم قادمون».

قال أموس بسُخريةٍ: «أجل، شكرًا على عمل الشُّرطة الرائِع، لقد كان من المُستحيل أن نتوصَّل لذلك بمُفردنا».

تجاهله هولدن قائلًا: «لكنهم لم يكونوا يعرِفون السبب، أو أنهم كانوا قد صعدوا إلى غُرفة جولي بالفعل وحصلوا على ما يريدون».

قالت ناعومي: «هل يعني هذا أن فريد قد تعرَّض للاختراق؟».

سألها ميلر: «فريد؟».

قال هولدن: «أو ربما اكتشف شخص ما أمر بولانسكي أيضًا؛ لكن لم يكُن لديه رقم الغُرفة».

قال أموس: «لكن لماذا خرجوا ببنادِق مفتوحة بهذه الطريقة؟ ليس من المنطقي إطلاق النار علينا».

قال ميلر: «لقد كان هذا خطأً، لقد رأيت الأمر يحدُث، لقد أخرَج أموس سلاحه فبالَغ شخص ما في رد فعله، لقد كانوا يصرخون من أجل وقف إطلاق النار حتى بدأتم في إطلاق النار عليهم».

بدأ هولدن يعد بعض النِّقاط على أصابعه.

- «إذن فقد اكتشف أحدهم أننا متوجِّهون إلى إيروس، وأن الأمر مُرتبِط بـ (سكوبيولي)، حتى إنهم كانوا يعرِفون الفُندق؛ لكن ليس رقم الغُرفة».

قالت ناعومي: «ولم يعرفوا أنه ليونيل بولانسكي أيضًا، كان بإمكانهم البحث عن الاسم في مكتب الاستقبال، مثلما فعلنا تمامًا».

- «صحيح، إذن فقد كانوا في انتظار ظهورنا، وكان لديهم مجموعة من المُسلَّحين المُستعدين لاستقبالنا؛ لكن الأمور ساءت وتحوَّلت إلى معركةٍ بالأسلِحة النارية في البهو، لم يروا ذلك قادمًا بكُل تأكيد أيها المُحقِّق، إذن فلم يكونوا على علمٍ بكُل شيء».

قال ميلر: «صحيح، يصرُخ الأمر برمته أنه حدث في اللحظة الأخيرة، أن يقبضوا عليكم ويكتشفوا ما تبحثون عنه يا رفاق، لو كان لديهم المزيد من الوقت، لكان بإمكانهم البحث في الفُندق فحسب، ربما استغرق الأمر يومين أو ثلاثة؛ لكن كان من المُمكِن أن ينتهي إلا أنهم لم يفعلوا، وهذا يعني أن الإمساك بكم كان أسهل».

أومأ هولدن برأسه قبل أن يقول: «أجل؛ لكن هذا يعني أن لديهم فرقًا هنا بالفعل، لم يبدو كسُكَّانٍ محليين بالنسبة لي».

توقَّف ميلر، وبدا مُرتبكًا.

وافقه الرأي قائلًا: «أرى الأمر الآن بعدما ذكرته».

قال هولدن: «إذن فأيًّا من كانوا، فلديهم فرق مُسلَّحة في إيروس بالفعل، ويُمكِنهم إعادة نشرهم ليأتوا في أي لحظة لاصطحابنا».

قال ميلر: «ولديهم من السيطرة على الأمن ما يكفي لخوض معركة نارية دون أن يظهَر أحد، ودون أن تعلَم الشُّرطة أن أي شيء كان يحدُث حتى اتصلت بهم».

حرَّك هولدن رأسه جانبًا، ثُم قال: «اللعنة، نحتاج حقًّا للخروج من هنا».

قال أليكس بصوتٍ عالٍ: «انتظر لحظة، انتظر لحظة لعينة هنا فحسب. كيف لا يتحدَّث أحد هنا عن عرض الرُّعب المتحوِّر الذي كان في تلك الغُرفة؟ هل كُنت الوحيد الذي رأى ذلك؟».

قال أموس بخفوتٍ: «أجل، بحق المسيح، ماذا كان كُل هذا؟».

مدَّ ميلر يده في جيب معطفه وأخرج كيس الأدلة الذي يحتوي على جهاز جولي اللوحي.

سألهم: «هل أي منكم فني يا رفاق؟ ربما يُمكِننا معرفة ذلك».

قالت ناعومي: «ربما يُمكِنني اختراقه؛ لكن مُستحيل أن ألمس هذا الشيء حتى أعرف ما الذي فعل بها ذلك، وأنه غير مُعدٍ لن أجازِف بحظي عبر التعامُل مع أي شيء قد لمسته».

- «لا يتحتَّم عليكِ أن تلمسيه، أبقي الكيس مُغلقًا، استخدميه عبر البلاستيك فحسب، لا بُدَّ أن تظل الشاشة تعمَل باللمس».

توقَّفت ناعومي للحظةٍ، ثُم مدَّت يدها وأخذت منه الكيس.

قالت: «حسنًا، أعطِني دقيقة».

مال ميلر للخلف على مقعده مرَّة أخرى، وترك تنهيدة ثقيلة أخرى تفر من بين شفتيه.

قال هولدن: «إذن، هل كُنت تعرف جولي من قبل؟ يبدو أن ناعومي تعتقِد أن العثور عليها وهي ميِّتة بهذا الشكل قد سبَّب لك صدمة شديدة».

هزَّ ميلر رأسه ببطءٍ قبل أن يقول: «عندما تتولى قضية من هذا القبيل، تبحث عن هويتها، عن الأشياء الشخصيَّة كما تعرِف، تقرأ بريدها الإليكتروني، تتحدَّث مع الأشخاص الذين يعرِفونها، تحصُل على صورةٍ».

توقَّف ميلر عن الحديث وفرك عينيه بإبهاميه، لم يضغط عليه هولدن؛ لكنه بدأ يتحدَّث مرَّة أخرى على أي حال.

قال ميلر كما لو كان يعترف بشيءٍ ما: «لقد كانت جولي فتاة جيدة، كانت تُحلِّق بمركبة سباق وضيعة، أنا فقط... أردت إعادتها وهي على قيد الحياة».

قالت ناعومي وهي تُمسِك بالجهاز اللوحي: «لديه كلمة سر، بإمكاني اختراق الجهاز؛ لكن يجب أن أفتَح الكيس».

مدَّ ميلر يده وقال: «دعيني أجرِّب ذلك».

سلَّمته ناعومي الجهاز، نقر على بضع حروف على الشاشة قبل أن يُعيده إليها.

قالت ناعومي: «رازورباك، ما هذا؟».

أجابها ميلر: «إنها زلَّاجة».

قال أموس وهو يُشير بذقنه إلى ميلر: «هل يتحدَّث إلينا؟ لأنه لا يوجد أحد هنا؛ لكنني أكاد أقسِم أنني لا أعرِف ما الذي يتحدَّث عنه بحق الجحيم نصف الوقت».

قال ميلر: «آسف، لقد كُنت أعمَل بشكلٍ مُنفردٍ إلى حدٍّ ما، ويتسبَّب هذا في عاداتٍ سيئةٍ».

هزَّت ناعومي كتفيها وعادت للعمل بينما نظر هولدن وميلر من فوق كتفيها.

قالت ناعومي: «لديها الكثير من الأشياء هنا، من أين أبدأ؟».

أشار ميلر إلى ملفٍّ نصي كُتِب عليه ببساطةٍ (مُلاحظات) كان يستقِر على سطح مكتب الجهاز اللوحي.

قال: «ابدئي من هنا، لقد كانت مهووسة بوضع الأشياء في المُجلَّدات الصحيحة، إذا ما تركت ذلك على سطح المكتب، فهذا يعني أنها لم تكُن مُتأكِّدة من المكان الذي يجب أن تضعه فيه».

نقرت ناعومي على الملف لفتحه، فتوسَّع إلى مجموعةٍ نصيَّةٍ مُنظَّمةٍ تبدو كيوميَّات شخص ما.

أولًا: استجمعِي شتات نفسك فالفزع لن يُساعدكِ، لن يُساعِد أبدًا، تنفسي بعُمقٍ، حاولي فهم الأمر، وقومي بالحركات الصحيحة فالخوف يقتُل العقل، حسنًا أيتها المهووسة.

إيجابيات المكوك:

لا مُفاعِل، مُجرَّد بطاريات مُنخفِضة الإشعاع.

يحتوي على مؤن تكفي لثمانية أشخاص.

والكثير من كُتلة التفاعُل.

سلبيات المكوك:

دون إبشتاين، ودون شُعلة.

لم يتم تعطيل نظام الاتصالات فحسب، بل تمَّت إزالته بالكامِل (هل تشعرون ببعض الخوف بشأن التسريبات يا رفاق؟).

أقرب ترانزيت هو إيروس، هل هذا المكان الذي كُنا ذاهبين إليه؟ وربما نذهب إلى مكانٍ آخرَ؟ على متن غلاية الشاي، ستكون هذه مركبة بطيئة، وسيُضيف أي ترانزيت آخر سبعة أسابيع أخرى، إذن فهو إيروس.

لا بُدَّ أنني أصِبت بفيروس فيبي، لا شك في ذلك. لست مُتأكِّدة كيف؛ لكن هذه الأشياء اللعينة بُنيَّة اللون موجودة في كُل مكان، إنها تعيش دون أوكسجين، لا بد أن بعضها لمسني، حلي المُشكلة فحسب، بغض النظر عن الطريقة.

لقد نمت لِمُدة ثلاثة أسابيع لتوي، لم أستيقظ حتى للتبوُّل، ما هذا؟

لقد ساءت أموري للغاية.

أشياء يجب أن تتذكَّرها:

- (بـ أ ٨٣٤٠٢٤١١٢).

- الإشعاع يقتُل، لا يوجد مُفاعِل على متن هذا المكوك؛ لكن أبقِ الأضواء مُغلقة، وارتدِ بدلتك الفضائية، لقد قال الأحمق في الفيديو إن هذا الشيء يتغذى على الإشعاع، لا تطعميه.

• أرسلي تنبيهًا، احصلي على بعض المُساعدة، أنتِ تعملين لحساب أذكى الأشخاص في النظام. سوف يكتشِفون شيئًا ما.

• ابقي بعيدة عن الناس. لا تنشري المرض. لم أسعل السائِل البني اللزِج بعد، وليس لديَّ أي فكرة عن الوقت الذي سيبدأ فيه ذلك.

• ابتعدي عن الأشرار كما لو كُنتِ تعلمين هويتهم. حسنًا، ابقي بعيدة عن الجميع إذن، تخفي خلف اسم. هممم. بولانسكي؟

اللعنة. أستطيع أن أشعُر به. درجة حرارتي مُرتفعة طوال الوقت، وأتضوَّر جوعًا، لا تأكُلي. لا تُغذيه. أطعمي البرد، واجعلي الإنفلونزا تتضوَّر جوعًا؟ هل هناك طريقة أخرى؟ إيروس على بُعد يوم، ومن ثمَّ فالمُساعدة في الطريق. استمري في القتال.

أنا بأمانٍ على متن إيروس، وأرسلت طلب المُساعدة. آمل أن يكون المكتب الرئيس يُراقِب. رأسي يؤلمني. هناك شيء ما يحدُث في ظهري. أشعُر بألمٍ في كليتي. تحوَّل لعابي إلى ذلك السائِل البني. هل سأتحوَّل إلى بدلة مليئة بالهلام؟

أنا مريضة الآن. بدأت الأشياء تخرُج من ظهري وبدأ ذلك السائِل البني يتسرَّب في كُل مكان. يجب أن أخلع هذه البدلة. إذا كُنت تقرأ هذا، فلا تدع أي شخص يلمس تلك الأشياء بنيَّة اللون. احرقوا جسدي. أنا أحترِق بالفعل.

وضعت ناعومي الجهاز اللوحي جانبًا؛ لكن أحدًا لم يتحدَّث للحظةٍ. في النهاية، قال هولدن: «هل لدى أي شخص فكرة عن فيروس فيبي؟».

قال ميلر: «لقد كانت هناك محطَّة علمية في فيبي، مكان خاص بالكواكِب الداخلية، غير مسموح بتواجُد الحزاميين فيه تعرَّضت للقصف، ومات الكثير من القتلى؛ لكن... ».

قالت ناعومي: «لقد تحدَّثت عن كونها على متن مكوك، لم يكُن لدى (سكوبيولي) أي مكوك».

قال أليكس: «لقد كانت هناك مركبة أخرى، ربما حصلت على المكوك منها».

قال هولدن: «صحيح، لقد صعدوا على متن مركبة أخرى، أصيبوا بفيروس فيبي هذه، وبقية الطاقم... لا أعرف. ماتوا؟».

تابعت ناعومي الحديث قائلةً: «لقد خرجت، ولم تُدرِك أنها مُصابة حتى أصبحت على متن المكوك، أتت إلى هنا، وأرسلت طلب المُساعدة إلى فريد، وماتت بسبب العدوى في غُرفة الفُندق تلك».

قال هولدن: «ومع ذلك، فلم تتحوَّل إلى مادةٍ لزجةٍ؛ لكنها تحوَّلَت إلى تلك الحالة السيئة من...لا أعرِف هذه الأنابيب والنتوءات العظمية، أي نوع من الأمراض يفعل ذلك؟».

ظلَّ السؤال مُعلَّقًا في الهواء، لم يتحدَّث أحد مرَّة أخرى، كان هولدن يعرف أنهم يُفكِّرون جميعًا في نفس الشيء، لم يلمسوا أي شيء في غُرفة الفُندق الرخيص. هل يعني ذلك أنهم كانوا في مأمن من ذلك المرض؟ أم أنهم أصيبوا بفيروس فيبي، أيًّا ما كان هذا بحق الجحيم؟ لقد قالَت إنها تعيش دون أوكسجين. كان هولدن مُتأكِّدًا تمامًا من أن هذا يعني أنك لا تستطيع الإصابة به عن طريق استنشاقه عبر الهواء. مُتأكِّد تمامًا من...

سألت ناعومي: «إلى أين سنذهب من هنا يا جيم؟».

قال هولدن بصوتٍ أعلى وأشد مما كان يتوقَّع: «ماذا عن كوكب الزهرة؟ لا يحدُث أي شيء مُثير للاهتمام على متن كوكب الزهرة».

قالت ناعومي: «حقًّا».

- «حسنًا، بجديةٍ، أعتقِد أن ميلر يجب أن يسمَح لصديقه الشُّرطي أن يعرِف القصَّة، ثُم نُغادِر هذه الصخرة اللعينة، لا بُدَّ أن يكون هذا سلاحًا بيولوجيًّا، أليس كذلك؟ سرقه شخص ما من مُختبر علوم مريخي، وزرع هذا القرف داخِل قُبة، وبعد شهر مات كُل الموجودين في المدينة».

قاطعه أموس بصوتٍ استنكاري.

قال أموس: «هناك الكثير من الثغرات في هذه القصة أيها القُبطان، مثل ما علاقة هذا بحق الجحيم بتدمير (كانت) و(دوناجير)؟ ».

نظر هولدن في عيني ناعومي وقال: «لدينا مكان لنبحث فيه الآن، أليس كذلك؟».

قالت: «أجل، لدينا، (بـ أ ١١٢٤٠٢٤٣٨). هذا اسم صخرة».

سأله أليكس: «ماذا يوجد في الخارِج برأيك؟».

أجابه هولدن: «إذا كُنت مُقامِرًا، فسأقول إنها المركبة التي سرقت منها ذلك المكوك».

قالت ناعومي: «يبدو هذا منطقيًّا، فقد تمَّ رسم خرائِط لكُل صخرة في الحزام، وإذا أردت إخفاء شيء ما، فسيتحتَّم عليك أن تضعه في مدارٍ مُستقرٍّ بجوار صخرة، وسيظل بإمكانك العثور عليه في وقتٍ لاحقٍ».

التفت ميلر إلى هولدن بوجهٍ حازمٍ.

قال: «إذا كُنتم ستذهبون إلى هناك، فأريد الانضمام إليكم».

سأله هولدن: «لماذا؟ لا تؤاخذني؛ لكنك وجدت فتاتك، وانتهت مُهمتك، أليس كذلك؟».

نظر ميلر إليه وهو يزم شفتيه قبل أن يقول: «هذه قضية مُختلِفة، يتعلّق الأمر الآن بمعرفة من قتلها».

(٣٦)
ميلر

قال هولدن وهو يبدو غاضبًا: «لقد وَضَع صديقك الشُّرطي أمر تقييد على مركبتي».

كان مطعَم الفُندق مُزدحمًا من حولهم، اختلطت بائعات هوى الوردية السابِقة مع سُيَّاح ورجال أعمال الوردية التالية في بوفيه رخيص وردي اللون. كان الطيَّار والرجل الضخم -أليكس وأموس- يتنافسان على الكعكة الأخيرة، بينما جلست ناعومي بجوار هولدن، وعقدت يديها، بينما استقرَّ أمامها فنجان من القهوة السيئة ليبرَد.

قال ميلر بلُطفٍ: «لقد قتلنا بعض الناس».

قال هولدن: «كُنت أعتقِد أنك أخرجتنا من ذلك بمُصافحة الشُّرطة السريَّة الخاصَّة بك، فلماذا إذن تم وضع أمر تقييد على مركبتي؟».

قال ميلر: «هل تتذكَّر عندما قال سيماتيمبا إنه لا ينبغي لنا أن نُغادِر المحطَّة دون أن نُخبره؟».

قال هولدن: «أتذكَّر أنك عقدت صفقة من نوعٍ ما؛ لكنني لا أتذكَّر موافقتي عليها».

- «انظر، سيُبقينا هنا حتى يتأكَّد من أنه لم يُطرَد لأنه سَمَح لنا بالرحيل، وسيُزيل أمر التقييد، بمُجرَّد أن يعرِف أنه في أمانٍ تامٍّ. دعنا نتحدَّث إذن عن الجُزء الذي سأستأجر فيه مساحةً على مركبتك».

تبادل جيم هولدن ومُديرته التنفيذية نظرةً واحدة من تلك الاتصالات البشرية الصغيرة المُتدفِّقة التي يُمكِن أن تقول أكثر مما يُمكِن أن تُعبِّر عنه الكلِمات، لم يكُن ميلر يعرف أيهما بشكلٍ جيِّدٍ بما فيه الكفاية ليفك شفرة نظرتهما؛ لكنه خمَّن أنهما كانا يشعُران بالشك.

وكان لديهما سبب ليشعُرا بذلك. فحص ميلر رصيده الائتماني قبل أن يتصل بهما، لديه ما يكفي لقضاء ليلة أخرى في الفُندق، أو لتناوُل عشاءٍ جيِّدٍ؛ لكن ليس ليفعل كلا الأمرين، كان سيصرف هذا المبلغ على إفطارٍ رخيصٍ لم يكُن هولدن وطاقمه بحاجةٍ إليه وربما لن يستمتِعوا به؛ لكنه أظهَر حُسن نيَّته بذلك.

قال هولدن والرجل الضخم -أموس- يعود ليجلِس في مواجهته وهو يحمل الكعكة: «أريد أن أتأكَّد تمامًا من أنني أفهم ما تقوله، هل تقول إن صديقك سيُبقينا هنا، ما لم أدعك تصعَد على متن مركبتي؟ لأن هذا تهديد».

قال أموس: «ابتزاز».

قال هولدن: «ماذا؟».

قالت ناعومي: «هذا ليس تهديدًا، سيكون تهديد إذا هدَّد بفضح معلومات لا نُريد لأحد أن يعرفها، أما إذا كان مُجرَّد وعيد، فهو ابتزاز».

قال ميلر: «وهذا ليس ما أتحدَّث عنه، مُغادرة المحطَّة أثناء استمرار التحقيق؟ هذه ليست مُشكلة؛ لكن الخروج من منطقة الاختصاص القضائي شيء آخر، لا يُمكِنني احتجازكم هنا أكثر مما أستطيع تحريركم، أنا فقط أبحث عن رحلة بينما تُغادِرون».

قال هولدن: «لماذا؟».

قال ميلر: «لأنكم ذاهبون إلى كويكب جولي».

قال هولدن: «أنا على استعداد للمُراهنة على عدم وجود ميناء هناك، هل خطَّطت للذهاب إلى أي مكان بعد ذلك؟».

- «لديَّ نقص في الخطط المُحكَمة، لم يكُن لديَّ واحدة حتى حدث ذلك بالفعل».

قال أموس: «أسمع أنه قد تمَّ مُضاجعتنا بثماني عشرة طريقة مُختلِفة منذ أن تورَّطنا في هذا الأمر».

طوى هولدن يديه على الطاوِلة، وبدأ يدُق إيقاعًا مُعقدًا بإصبع واحدٍ على السطح الخرساني ذي النسيج الخشبي، ولم تكُن هذه علامة جيِّدة.

- «يبدو أنك... حسنًا، في الواقِع مثل رجل عجوز غاضِب وعنيف؛ لكنني أعمل على متن ناقِلات الماء منذ خمس سنوات. وهذا يعني أنك ستندمِج معنا».

قال ميلر: «لكن... ». وترك الكلمة مُعلَّقة هناك.

قال هولدن: «لكن تمَّ إطلاق النار عليَّ كثيرًا في الآونة الأخيرة، وكانت المدافِع الرشَّاشة بالأمس هي أقل الأشياء التي كان عليَّ التعامُل

معها فتكًا، لن أسمَح لأي شخص لا آمَنه على حياتي بالصعود على متن مركبتي، وأنا لا أعرفك فِي الواقِع».

قال ميلر وهو يشعُر بمعدته تنقبِض: «يُمكِنني الحصول على المال، يُمكِنني تغطيَة الأمر إذا ما كان يتعلَّق بالمال».

قال هولدن: «لا يتعلَّق الأمر بالتفاوُض على السعر».

قالت ناعومي وهي تضيق عينيها: «الحصول على المال؟ الحصول على المال بمعنى أنك لا تملكه فِي الوقت الحالي؟».

قال ميلر: «أعاني من عجزٍ بسيط، إنه أمر مؤقَّت».

قالت ناعومي: «هل لديك مصدر للدخل؟».

قال ميلر: «بل لديَّ ما هو أشبه باستراتيجية، هناك بعض المُضاربين المُستقِلين على الرصيف بالأسفل، لطالما تواجدوا في أي ميناء؛ ليُديروا ألعابًا جانبيةً كالقتال، وأشياء من هذا القبيل، ويدفع مُعظمهم الإتاوات. يدور الأمر عن كيف تدفع الرشاوى لرجال الشُّرطة دون أن تدفع الرشاوى لرجال الشُّرطة».

قال هولدن والشك يحتل صوته: «هذه هي خطتك؟ أن تذهب لجمع بعض رشاوى الشُّرطة؟».

تثاءبت عاهرة ترتدي قميص نوم أحمر بشكلٍ مُذهلٍ عبر المطعم؛ فعبس الزبون الذي يجلِس أمامها على المنضدة.

قال ميلر دون حماس: «لا، سألعب على الرهانات الجانبية، بمعنى أنني سأقوم برهانٍ جانبي عندما يدخُل ضابِط شُرطة على أنه سيُحقِّق الفوز. أنا أعرِف من هُم رجال الشُّرطة في الغالِب، وكذلك المنزل

يعرفون لأنهم يدفعون لهم الرشاوى. تُلعَب الرهانات الجانبية مع المُستجدين الذي يشعرون بالتوتُّر؛ لأنهم يلعبون دون ترخيص».

كان ميلر يعرف مدى ضعف الفكرة، حتى عندما قالها. أتى الطيَّار أليكس، وجَلَس بجوار ميلر، بدت رائحة قهوته حمضيَّة ومُشرِقة.

سألهم أليكس: «ما الاتفاق؟».

قال هولدن: «ليس هناك اتفاق، لم يكُن هناك واحد من قبل، ولا يوجد واحد حتى الآن».

قال ميلر بشجاعةٍ: «يمضي الأمر بشكلٍ أفضل مما تعتقِد». دقَّت أربعة أجهزة لوحيَّة في آنٍ واحدٍ. تبادَل هولدن وناعومي نظرة أخرى أقل تواطؤًا وأخرجا جهازيهما اللوحيين. كان أموس وأليكس قد أخرجا جهازيهما بالفعل. لَمح ميلر الإطار الأحمر والأخضر الذي كان يعني أنها إما رسالة ذات أولويَّة أو أنها بطاقة عيد ميلاد مُبكِّرة. سيطرت لحظة من الصمت بينما قرأ الجميع شيئًا ما؛ قبل أن يُطلِق أموس صفيرًا مُنخفضًا.

قالت ناعومي: «المرحلة الثالِثة؟».

قال أليكس: «لا أستطيع أن أقول إنني أُحِب وقع ذلك».

قال ميلر: «هل تُمانِعون لو سألت؟».

مرَّر هولدن جهازه اللوحي عبر المنضدة، كانت رسالة عادية غير مُشفَّرة من تايكو.

«قبضنا على جاسوسٍ في محطَّة اتصالات تايكو، تمَّ تسريب حضوركم ووجهتكم إلى أشخاص غير معروفين في إيروس، توخوا الحذر».

قال ميلر: «فات أوان ذلك بعض الشيء».

قال هولدن: «استمر بالقراءة».

«سَمَح حصولنا على كود تشفير الجاسوس باعتراض البث الفرعي القادِم من إيروس قبل خمس ساعات.

قالت الرسالة المُعترضة: فرَّ هولدن لكن تمَّ استرداد عيِّنة الحمولة. نُكرِّر: تمَّ استرداد العيِّنة. جاري الانتقال إلى المرحلة الثالِثة».

سأله هولدن: «هل لديك أي فكرة عمَّا يعنيه ذلك؟».

قال ميلر وهو يُعيد الجهاز اللوحي إليه: «ليس لديَّ أي فكرة، إلا إذا...إذا كانت عيِّنة الحمولة هي جُثة جولي».

قال هولدن: «وهو ما أعتقِد أنه يُمكِننا افتراضه».

نَقَرَ ميلر على سطح الطاوِلة بأُطراف أصابعه، قلَّد إيقاع هولدن دون وعي، وبدأ عقله يعمَل من خلال التركيبات.

قال ميلر: «هذا الشيء، السلاح البيولوجي أو أيًّا كان كانوا يشحنوه إلى هنا. لذلك فهو هنا الآن. حسنًا، ليس هناك سبب لتدمير إيروس، ليس له أي قدر من الأهميَّة للحرب بشكلٍ خاصٍّ عندما تصمُد أمام سيريس، أو جانيميد، أو حوض بناء السفن الموجود في كاليستو، وإذا كُنت تُريده ميتًا، فهناك طرق أسهل كأن تُفجِّر قُنبلة اندماجية على السطح، وتكسره مثل البيضة».

قالت ناعومي: «إنه ليس قاعِدة عسكرية؛ لكنه مركز للشحن، وعلى عكس سيريس، فهو ليس تحت سيطرة (أوبا) ».

قال هولدن: «إذن فهُم يشحِنوها إلى الخارِج، إنهم يأخذون عيِّنتهم ليُصيبوا أيًّا ما كان هدفهم الأصلي، ولا توجد طريقة لإيقاف الأمر بمُجرَّد خروجهم من المحطَّة».

هزَّ ميلر رأسه، هناك شيء ما يبدو خاطئًا بشأن تسلسُل المنطِق، كان يفتقِد شيئًا. ظهرت جولي الخيالية عبر الغُرفة؛ لكن عينيها كانتا داكنتين، والشعيرات السوداء تتساقط على وجنتيها مثل الدموع.

فكَّر: ما الذي أنظُر إليه هنا يا جولي؟ أرى شيئًا ما هنا؛ لكنني لا أعرف ماهيته.

كان الاهتزاز طفيفًا وصغيرًا، أقل من لجلجة مكابح مترو النقل. اهتزَّت بعض الأطباق؛ وتراقصت القهوة الموجودة في فنجان ناعومي في سلسلةٍ من الدوائِر مُتحدة المركز. خيَّم الصمت على جميع الموجودين في الفُندق عندما اشترك آلاف الأشخاص في حالةٍ من الفزع بعدما أدركوا هشاشتهم في نفس اللحظة.

قال أموس: «حسنًا، ماذا كان ذلك بحق اللعنة؟». وبدأت صافِرات الإنذار في الصراخ.

قال ميلر بصوتٍ يعلو الضوضاء: «أو ربما تكون المرحلة الثالِثة شيئًا آخر».

***

كان نظام الخطاب العام مشوَّشًا بطبيعته. صدح نفس الصوت عبر وحدات التحكُّم ومُكبِّرات الصوت التي ربما كانت قريبة من بعضها بعضًا بمترٍ، أو بعيدة بقدر ما يُمكِن أن تسمعهم الآذان مما جعل كُل كلمة يتردَّد صداها في صدى زائفٍ، وبسبب ذلك، ينطِق صاحِب صوت نظام البث في حالات الطوارئ الكلمات بحرصٍ بالغٍ، كما ينطِق كُل كلمة على حدة.

«برجاء الانتباه من فضلكم. محطَّة إيروس في حالة إغلاق طارئ. انتقِلوا فورًا إلى طابق الكازينو لحجز الأمان الإشعاعي. برجاء التعاوُن مع جميع موظفي الطوارئ. برجاء الانتباه من فضلكم. محطَّة إيروس في حالة إغلاق طارئ...».

وستتكرَّر الجُملة في حلقةٍ مُستمرةٍ، إذا لم يتجاوز أي شخص التشفير، حتى يتحوَّل كُل رجل، وامرأة، وطفل، وحيوان، وحشرة في المحطَّة إلى غُبارٍ ورطوبةٍ. لقد كان سيناريو كابوسيًّا، وقام ميلر بكُل ما درَّبته عليه فترة حياته الطويلة على متن الصخور المضغوطة. نهض من خلف المنضدة، وخرج إلى الممر، وتوجَّه نحو الممرَّات الأوسَع التي سدَّتها الأجساد بالفعل، وكان هولدن وطاقمه في أعقابه.

قال أليكس: «كان هذا انفجارًا، محُرِّك مركبة على الأقل، وربما كان انفجارًا نوويًّا».

قال هولدن ونوع من الرهبة يجتاح صوته: «سيُدمِّرون المحطَّة، لم أعتقِد أبدًا أنني سأفتقِد الجُزء الذي يفجِّرون فيه المركبات التي أكون على متنها؛ لكنهم يدمِّرون المحطَّات الآن».

قال ميلر: «لم يكسروها».

سألته ناعومي: «كيف تكون مُتأكِّدًا من ذلك؟».

قال ميلر: «لأنني أستطيع سماعكِ تتحدَّثين، وهذا يُخبرني أن هناك هواءً».

قال هولدن: «هناك غُرف مُعادلة الضغط، إذا ثُقِبت المحطَّة وأغلِقت الأقفال... ».

دفعت امرأة كتف ميلر بقوَّةٍ، وهي تشُق طريقها إلى الأمام. إذا لم يتوخوا الحذر، فسيكون هناك تدافُع، كان هذا قدرًا كبيرًا من الخوف في مساحةٍ غير كافيةٍ. لم يحدُث ذلك بعد؛ لكن حركة الحشد التي تفتقِد إلى الصبر، والتي بدت مثل اهتزاز الجُزيئات في الماء الذي يوشِك على الغليان، جعلت ميلر يشعُر بعدم الارتياح بشدةٍ.

قال ميلر: «هذه ليست مركبة، إنها محطَّة، إننا على متن صخرة. أي شيء كبير بما فيه الكفاية للوصول إلى أجزاء المحطَّة عبر الغلاف الجوي سيشقق هذا المكان مثل البيضة. بيضة كبيرة عظيمة مضغوطة».

توقَّف الحشد، وامتلأ النفق، كانوا بحاجةٍ إلى السيطرة على الحشود، وسيحتاجون إليها بسُرعةٍ، وتمنى ميلر للمرَّة الأولى منذ رحيله عن سيريس، أن يكون لديه شارة، دفع شخص ما أموس جانبًا، ثُم

تراجَع عبر الضغط عندما زمجر الرجل الضخم.

قال ميلر: «بالإضافة إلى ذلك، فهذا خطر إشعاعي، لست بحاجةٍ إلى فقد الهواء لقتل جميع من في المحطَّة. احرق بضع كوادريليونات من النيترونات الاحتياطية عبر المكان في النقطة (ج)، ولن تكون هناك أي مُشكلة في إمداد الأكسجين».

قال أموس: «مُبهِج لعين».

قالت ناعومي: «إنهم يبنون المحطَّات داخل الصخور لسببٍ، ليس من السهل أن يشُق الإشعاع طريقه عبر هذه الأمتار العديدة من الصخور».

قال أليكس وهُم يتقدَّمون وسط الحشد الكثيف: «لقد قضيت شهرًا في ملجأ إشعاعي ذات مرَّة، حين تعرَّضت المركبة التي كُنت على متنها لانخفاض احتواء مغناطيسي، وفشلت جميع عمليات القطع الأوتوماتيكية، وظلَّ المُفاعِل قيد التشغيل لمُدة ثانية تقريبًا، انصهرت غُرفة المُحرِّك. وقُتِل خمسة من أفراد الطاقم الموجود في الطابق الذي يعلوها قبل أن يعرفوا أن لدينا مُشكِلة، واستغرقهم الأمر ثلاثة أيام لنحت الجُثث من على السطح المُنصهِر لتحريرها من أجل دفنها، انتهى بنا الأمر، نحن الثمانية عشر المُلتزمون بالبقاء في الملجأ لمُدة ستة وثلاثين يومًا ريثما تطير قاطرة لإحضارنا».

قال هولدن: «يبدو هذا رائِعًا».

قال أليكس: «تزوَّج ستة منهم في نهاية الأمر، ولم يتحدَّث البقية مع بعضهم بعضًا مرَّة أخرى».

صرخ شخص ما أمامهم -لم يكُن في حالةٍ من القلق أو حتى الغضب- حقًّا لقد كان إحباطًا، خوفًا، الأشياء التي لم يكُن ميلر يرغَب في سماعها بالتحديد.

قال ميلر: «قد لا تكون هذه هي مُشكلتنا الكُبرى»؛ لكن قبل أن يتسنى له الوقت ليتمكَّن من الشرح، صدح صوت جديد؛ ليطغى على تكرار نداء الاستجابة للطوارئ.

- «حسنًا أيها الجميع، نحن قوّات أمن إيروس، حسنًا، لدينا حالة طوارئ، لذلك افعلوا ما نُخبركم به، ولن يتأذى أحد».

قال ميلر لنفسه: في الوقت المُناسِب.

قال الصوت الجديد: «إليكم القاعِدة، سأطلِق النار على الأحمق التالي الذي سيقوم بدفع أي شخص. تحرّكوا بطريقةٍ مُنظّمةٍ. الأولوية الأولى: مُنظَّمة. الأولوية الثانية: تحرَّكوا! هيا، هيا، هيا! ».

في البداية لم يحدُث أي شيء؛ حيث تمَّ ربط عُقدة الأجساد البشرية بإحكام شديدٍ لدرجة أنه حتى أكثر قوّات السيطرة على الحشود قسوةً لم تكُن قادرةً على تحريرها بسُرعةٍ؛ لكن بعد دقيقة، رأى ميلر بعض الرؤوس أمامه في النفق وهي تبدأ في الململة، ثُم الابتعاد. كان الهواء الموجود في النفق يزداد كثافةً ووصلت إليه رائحة البلاستيك الساخِن الناتجة عن عمليات إعادة التدوير المُحمَّلة فوق طاقتها في الوقت الذي انفكَّت فيه العُقدة، وبدأت أنفاس ميلر تتدفَّق بسهولةٍ.

سألت امرأة تقف خلفهم رفيقها: «هل لديهم ملاجئ صلبة؟». قبل أن يُنحيها التيار جانبًا، شدَّت ناعومي كُم ميلر.

سألته: «هل لديهم؟».

قال ميلر: «لا بُدَّ أن لديهم، أجل، تكفي لرُبع مليون نسمة على الأرجح، وسيتم تسكين الموظَّفين الأساسيين والأطقُم الطبيَّة فيها أولًا».

قال أموس: «والبقية؟».

قال هولدن: «إذا نجوا من الأمر، فإن موظفي المحطَّة سيُنقِذون أكبر عدد مُمكِن من الناس».

قال أموس: «عجبًا». ثُم: «حسنًا، اللعنة على ذلك. نحن ذاهبون إلى (روسي)، أليس كذلك؟».

قال هولدن: «أجل، طبعًا».

أمامهم، كان الحشد سريع الحركة الموجود في نفقهم يختلط بتدفُّقٍ آخرَ من الناس القادمين من طابقٍ مُنخفضٍ. انهمك خمسة رجال يبدو عليهم القسوة ويرتدون ملابِس مُكافحة الشغب في التلويح للناس، شعر ميلر بإغراءٍ شديدٍ للتقدُّم وصفع الحمقى الصغار؛ حيث كان تصويب المُسدسات إلى الناس وسيلة رديئة لتجنُّب الرعب، كما كان أحد رجال الأمن أضخم بكثيرٍ من مُعداته؛ حيث كانت اللاصِقات الموجودة عند معدته تتلامَس مع بعضها بعضًا مثل العُشَّاق في لحظة الوداع.

نَظَر ميلر إلى الأرض وأبطأ خطواته؛ حيث أصبح الجُزء الخلفي من عقله مشغولًا فجأة وبقوةٍ. حرَّك أحد رجال الشُّرطة سلاحه فوق الحشد، بينما ضحك آخر -الرجل السمين- قبل أن يقول شيئًا ما باللغة الكورية.

ماذا قال سيماتيمبا عن القوَّة الأمنية الجديدة؟ دائمي التبجُّح، دون شجاعة حقيقية، شركة جديدة من شركات لونا أغلبهم من الحزاميين على الأرض فاسدون.

الاسم. كان لديهم اسم: (كـ. بـ. ل). كارني بور لاماشينا. لحم من أجل الآلة. خَفَضَ أحد رجال الشُّرطة المُسلَّحين سلاحه، وخَلَعَ خوذته، وحكَّ خلف أذنه بعُنفٍ، كان شعره أسود كثيفًا، برقبةٍ يُغطيها وشم، وندبة تمتد من أحد جفنيه هبوطًا إلى مفصل فكِّه.

كان ميلر يعرفه، كان قد اعتقله بتُهمة الاعتداء والابتزاز منذ عام ونصف، كما بدت له المُعدّات -الدروع، والهراوات، وبنادِق مُكافحة الشغب- مألوفة بشكلٍ مُزعجٍ، لقد كان دوز مُخطئًا، فقد كان ميلر قادرًا على العثور على مُعدَّاته المفقودة بعد كُل شيء.

وأيًّا ما كان هذا، فقد استمرَّ لوقتٍ طويلٍ قبل أن تتلقى (كانتيربيري) نداء الاستغاثة من (سكوبيولي). قبل وقت طويل من اختفاء جولي، وكان قد وضع مجموعة من بلطجية محطَّة سيريس كمسؤولين للسيطرة على الحشود في إيروس باستخدام مُعدَّات محطَّة سيريس المسروقة جزءًا من الخطَّة. كانت هذه هي المرحلة الثالِثة.

قال لنفسه: حسنًا. لا يُمكِن أن يكون هذا جيِّدًا.

تنحى ميلر جانبًا، تاركًا أكبر عدد مُمكِن من الأجساد يملأ الفراغ بينه وبين المُسلَّحين الذين يرتدون زي الشُّرطة.

صاح أحد المُسلحين في الحشد: «اهبطوا إلى طابق الكازينو، سننقلكم إلى الملاجئ الإشعاعية من هناك؛ لكن عليكم أن تصلوا إلى طابق الكازينو!».

لم يُلاحظ هولدن وطاقمه أي شيء غريب، كانوا يتبادلون أطراف الحديث فيما بينهم، يضعون الاستراتيجيات حول كيفية الوصول إلى مركبتهم وما سيفعلونه بمُجرَّد وصولهم إلى هناك، ويحاولون التكهُّن بهوية من هاجَم المحطَّة، وإلى أين قد تتجه جُثة جولي ماو الملتوية المُصابة، كافح ميلر الدافِع لمُقاطعتهم، كان بحاجةٍ لالتزام الهدوء، والتفكير في الأمور مليًّا، لا يُمكنهم أن يجذِبوا الانتباه، كان بحاجةٍ لانتظار اللحظة المُناسِبة.

استدار الممر واتسع، خفَّ ضغط الأجساد قليلًا، انتظر ميلر حتى وصلوا إلى منطقة عمياء بالنسبة لقوَّات السيطرة على الحشود، وهي مساحة لا يُمكِن لأي من رجال الأمن المُزيَّفين رؤيتها، أمسك بكوع هولدن.

قال: «لا تذهبوا».

(٣٧)
هولدن

سأل هولدن وهو يُحرِّر كوعه من قبضة ميلر: «ماذا تعني بـ (لا تذهبوا)؟ لقد قصف شخص ما المحطَّة بالأسلِحة النووية، لقد تصاعدت الأمور بما يتجاوَز قُدرتنا على الاستجابة، إذا لم نتمكَّن من الوصول إلى (روسي)، فسنفعل كُل ما يخبروننا به حتى نتمكَّن من ذلك».

تراجع ميلر خطوة إلى الخلف ورفع يديه؛ كان من الواضِح أنه يبذل قصارى جهده ليبدو أنه ليس مصدرًا للتهديد، وهو الأمر الذي أثار استياء هولدن أكثر، ومن خلفه، كان رجال قوَّات مُكافحة الشغب يوجِّهون الناس الذين يتخبَّطون في الممرَّات نحو الكازينوهات. تردَّدت أصداء أصوات الشُّرطة المُكبَّرة إلكترونيًّا وهي توجِّه الحشود وضجيج المواطنين الذين يشعرون بالقلق في الهواء، وفوق كُل ذلك، كان نظام الخطاب العام يُخبِر الجميع أن يتحلوا بالهدوء ويتعاونوا مع أفراد الطوارئ.

قال ميلر: «هل ترى ذلك الرجل الضخم الذي يرتدي ملابِس شُرطة مُكافحة الشغب هناك؟ اسمه جابي سمولز، وهو مُشرِف على بعض الأعمال الإجرامية الخاصة بحماية الغُصن الذهبي في سيريس، كما أنه يُدير

بعض الأعمال الجانبية أيضًا، وأظن أنه ألقى ببعض الأشخاص من غُرف مُعادلة الضغط».

نظر هولدن إلى الرجل عريض المنكبين، وضخم البطن الآن، وبعد أن أشار ميلر إليه، كان هناك شيء بخصوصه لا يبدو مُناسبًا لشُرطي.

قال هولدن: «لا أفهم ذلك».

- «منذ شهرين، عندما بدأت مجموعة من أعمال الشغب بقولك إن المريخ فجَّر ناقلة المياه الخاصَّة بك، اكتشفنا أن... ».
- «لم أقُل أبدًا أن... ».
- «اكتشفنا أن مُعظم مُعدَّات مُكافحة الشغب الخاصَّة بسيريس مفقودة، وقبل بضعة أشهر من ذلك، اختفت مجموعة من مُجرمي عالمنا السفلي الأقوياء، وقد اكتشفت لتوي مكان كليهما».

أشار ميلر إلى جابي سمولز الذي يرتدي مُعدَّات مُكافحة الشغب.

قال: «لن أذهب إلى أي مكان يُرسِل إليه الناس، لن أذهب حقًّا».

مرَّ تيار رقيق من الناس بجوارهم.

سألته ناعومي: «أين سنذهب إذن؟».

قال أليكس وهو يومئ بشكلٍ قاطعٍ إلى ناعومي: «أجل، أقصِد أنه إذا كان الاختيار بين الإشعاع والعصابات، فسأختار رجال العصابات».

أخرج ميلر جهازه اللوحي ورفعه عاليًا؛ ليتمكَّن الجميع من رؤية الشاشة.

قال: «ليس لديَّ أي تحذيرات إشعاعية، وهذا يعني أن أيًا كان ما حدث بالخارِج، فهو لا يُمثِّل أي خطر على هذا الطابق -على الأقل في الوقت الحالي- لذلك دعونا نهدأ ونتصرَّف بحكمةٍ».

أدار هولدن ظهره لميلر وأشار إلى ناعومي، جذبها جانبًا وقال بصوتٍ خافتٍ: «ما زلت أعتقِد أننا يجب أن نعود إلى المركبة ونخرُج من هنا، علينا أن نغتنِم فُرصنا في تجاوُز تلك العصابات».

قالت بإيماءةٍ: «إذا لم يكُن هناك أي خطر إشعاعي، فأنا موافِقة».

قال ميلر دون حتى أن يتظاهَر بأنه لم يكُن يسترِق السمع: «أنا لا أوافِق، فسيتعيَّن علينا السير عبر ثلاثة طوابِق من الكازينوهات المليئة بقوَّات مُكافحة الشعب، ورجال العصابات للقيام بذلك. سيأمروننا بالدخول إلى أحد تلك الكازينوهات لحمايتنا، وإذا لم نفعل، سيضربوننا حتى نفقِد الوعي، ويلقوا بنا إلى الداخِل على أي حال بحجة حمايتنا».

خَرَجَ حشد آخر من الناس من ممر جانبي، متوجِّهين إلى تواجُد الشُّرطة المُطمئِن وأضواء الكازينو البرَّاقة، وجد هولدن صعوبةً في عدم الانجراف مع الحشد، بينما اصطدم رجل يحمل حقيبتين ضخمتين بناعومي، وكاد يُسقِطها أرضًا، أمسك هولدن بيدها.

سأل ميلر: «وما البديل؟».

نظر ميلر إلى بداية ونهاية الممر، وبدا أنه يقيس مُعدَّل تدفُّق الناس، أومأ برأسه إلى فتحة مُخطَّطة باللونين الأصفر والأسود أسفل ممر صيانة صغير.

قال: «هذه الفتحة، مكتوب عليها (جُهد عالٍ)، ولهذا السبب لن يهتم الرجال الذين يبحثون عن المُتطرِّفين بها. إنه ليس من الأماكِن التي يختبئ بها المواطنون».

قال هولدن وهو ينظُر إلى أموس: «هل يُمكِنك فتح الباب بسُرعة؟».

- «هل يُمكِنني كسره؟».
- «إذا اضطررت لذلك».

قال أموس: «أكيد إذن». ثُم بدأ يشُق طريقه وسط الحشد نحو فتحة الصيانة، وعندما وَصَل إلى الباب، أخرج أداته مُتعدِّدة الاستخدامات، هشَّم غلاف قارئ البطاقات البلاستيكي الرخيص، وبعد أن قام بلف سلكين معًا، انفتحت الفتحة بهسيسٍ هيدروليكي.

قال أموس: «تفضَّلوا، لن يعمَل القارئ بعد الآن، لذلك سيدخُل أي شخص يرغَب في الدخول».

أجابه ميلر: «دعونا نقلق بشأن ذلك عندما يحدُث»، ثُم قادهم إلى الممر ذي الإضاءة الخافِتة.

امتلأ ممر الخدمة بكابلات كهربائية مُثبَّتة بأربطةٍ بلاستيكيةٍ. امتدَّ وسط الضوء الأحمر الخافِت لثلاثين أو أربعين قدمًا قبل أن يغرق في الظلام. جاء الضوء من مصابيح الليد المُثبَّتة على الدعامات المعدنيَّة التي تنبثِق من الحائِط كُل خمسة أقدام أو نحو ذلك لترفع الكابل. اضطرَّت ناعومي للانحناء لتتمكَّن من الدخول، كان هيكلها أطول من السقف بحوالي أربعة سنتيمترات، أسندت ظهرها إلى الحائِط وانزلقت على مؤخرتها.

قالت بانزعاجٍ: «كُنت لتظُن أنهم سيجعلون ممّرات الصيانة طويلة بما فيه الكفاية لكي يعمَل الحزاميون فيها».

لمس هولدن الجدار باحترامٍ تقريبًا، مُتتبِّعًا رقم تعريف الممر المنحوت على الحجر مُباشرةً.

قال: «لم يكُن الحزاميون الذين بنوا هذا المكان طوال القامة، هذه بعض خطوط الكهرباء الرئيسية، يعود هذا النفق إلى مُستعمرة الحزام الأولى أي: أن الناس الذي نحتوه نشأوا في وجود جاذبية».

جلس ميلر، الذي اضطر لأن يحني رأسه بدوره على الأرض، أصدر صوتًا اعتراضيًّا عندما طقطقت ركبتاه.

قال: «لنؤجِّل درس التاريخ لوقتٍ لاحقٍ، ونكتشِف طريقة لمُغادرة تلك الصخرة».

قال أموس من فوق كتفه، وهو يتفحَّص حزم الكابلات باهتمامٍ: «إذا رأيتم بُقعة مُهترِئة، فلا تلمسوها. تسري بهذا اللعين السميك الموجود هنا بضع ملايين من الفولتات سيذيبكم هذا بقوةٍ شديدةٍ».

جلس أليكس بجوار ناعومي، تجهَّم وجهه عندما اصطدمت مؤخرته بالأرضية الحجرية البارِدة.

قال: «كما تعلَمين، قد يفرِّغون كُل الهواء خارِج ممرات الصيانة تلك، إذا قرَّروا إغلاق المحطَّة».

قال هولدن بصوتٍ عالٍ: «أفهم ذلك، إنها بُقعة اختباء قذرة وغير مُريحة. لديك إذني لكي تصمت الآن بشأن هذا الأمر».

جلس القرفصاء في الممر في مواجهة ميلر قبل أن يقول: «حسنًا أيها المُحقِّق، والآن، ماذا؟».

قال ميلر: «الآن، سننتظِر حتى يمر الاجتياح بنا، ونتسلَّل من خلفه في محاولةٍ للوصول إلى الأرصِفة. من السهل تجنُّب الناس الموجودين في الملاجئ، فالملاجئ عميقة، ستكون الخُدعة هي عبور طوابِق الكازينوهات».

سأله أليكس: «ألا يُمكِننا استخدام ممرات الصيانة تلك للتنقُّل؟».

هزَّ أموس رأسه قائلًا: «لا نستطيع، ليس دون خريطة، وستكون في ورطةٍ إذا تُهت هنا».

قال هولدن وهو يتجاهلهما: «حسنًا، سننتظِر إذن حتى ينتقِل الجميع إلى ملاجئ الإشعاع ثُم نُغادِر».

أومأ ميلر برأسه، ثُم جلس الرجلان يُحدِّقان ببعضهما بعضًا للحظةٍ. وبدا وكأن كثافة الهواء الموجود بينهما تزداد، بينما كان للصمت هنا مغزى. هزَّ ميلر كتفيه وكأن المعطف يُسبِّب له الحكَّة.

قال هولدن أخيرًا: «لماذا تظن أن مجموعة من رجال عصابات سيريس ينقِلون الجميع إلى ملاجئ الإشعاع بينما لا يوجد خطر إشعاعي حقيقي؟ ولماذا تسمَح لهم شُرطة إيروس بالقيام بذلك؟».

قال ميلر: «هذا سؤال جيِّد».

- «إذا كانوا يستخدِمون هؤلاء المتوحِّشين، فقد يُساعِد هذا في تفسير سبب فشل محاولتهم للاختطاف في الفُندق، لا يبدون مثل المُحترفين».

قال ميلر: «لا، هذا ليس مجال خبرتهم المُعتاد».

قال ناعومي: «هلا هدأتما قليلًا؟».

وقاما بذلك لمُدَّة دقيقةٍ تقريبًا.

قال هولدن: «سيكون من الغباء حقًّا أن نُلقي نظرةً على ما يحدُث، أليس كذلك؟».

قال ميلر: «أجل، أيًّا ما كان يحدُث في تلك الملاجئ، فأنت تعلَم أن هذا هو المكان الذي سيكون فيه كُل الحُرَّاس والدوريات».

قال هولدن: «أجل».

قالت ناعومي بنبرةٍ مُحذِّرةٍ: «أيها القُبطان».

قال هولدن وهو يتحدَّث إلى ميلر: «رغم ذلك، فأنت تكره الغموض».

أجابه ميلر بإيماءةٍ وهو يبتسِم ابتسامةً خافتةً: «أكرهه بالفعل، وأنت يا صديقي، شخص فضولي للغاية».

- «قالوا لي هذا من قبل».

قالت ناعومي بصوتٍ خافتٍ: «اللعنة على ذلك».

سألها أموس: «ما الأمر يا مُديرة؟».

أجابته ناعومي: «لقد قام هؤلاء الاثنان للتو بانتهاك خطة هروبنا». ثُم قالت لهولدن: «ستُسبِّبان الضرر لبعضكما بعضًا يا رفاق، وبالتالي، لنا أيضًا».

أجابها هولدن: «لا، لن تأتي معنا. ستبقين هنا مع أموس وأليكس، أعطينا... ». نظر إلى جهازه اللوحي قبل أن يُضيف: «ثلاث ساعات لنلقي نظرةً ونعود، وإذا لم نعُد إلى هنا... ».

قالت ناعومي: «نترككم لأفراد العصابات، ونحصُل نحن الثلاثة على وظائِفَ فِي تايكو، ونعيش في سعادةٍ دائمةٍ».

قال هولدن مُبتسمًا: «أجل، لا تلعبي دور البطلة».

- «لم أضع ذلك في الحُسبان يا سيدي».

***

جثم هولدن في الظل خارِج فتحة الصيانة وطفق يُراقِب رجال عصابات سيريس الذين يرتدون أزياء شُرطة مُكافحة الشغب وهُم يقودون مجموعات صغيرة من مواطني إيروس بعيدًا، استمرَّ نظام الخطاب العام في الإعلان عن احتمال وجود خطر إشعاعي، وحث مواطني وضيوف إيروس على التعاوُن التام مع أفراد الطوارئ. انتقى هولدن مجموعةً ليتبعها وكان يستعِد للحركة عندما وضع ميلر يده على كتفه.

قال ميلر: «انتظِر، أريد إجراء مُكالمة».

وسُرعان ما اتصل برقمٍ على جهازه اللوحي، وبعد بضع دقائِق، ظهرت رسالة رمادية مُسطَّحة تُفيد بأن (الشبكة غير متوفِّرة).

سأله هولدن: «شبكة الاتصالات مُعطَّلة؟».

أجابه ميلر: «سيكون هذا أول ما أفعله أيضًا».

قال هولدن: «أرى ذلك». دون أن يفعل حقًّا.

قال ميلر: «حسنًا، أعتقِد أنه أنا وأنت فقط». ثُم أخرج مشط الذخيرة من سلاحه، وبدأ في إعادة تلقيمه بخراطيش أخرجها من جيب معطفه.

وعلى الرغم من أنه خاض بما فيه الكفاية من المعارِك النارية لتكفيه بقية حياته، أخرج هولدن سلاحه وفحص مشط ذخيرته بدوره. كان قد استبدله بعد تبادُل إطلاق النار الذي حدث في الفُندق، كان مُسدَّسه مُلقمًا بالكامِل. أعاده ووضعه في حزام وسط سرواله. لاحظ أن ميلر، قد أبقى مُسدَّسه خارجًا، مُمسكًا به بالقُرب من فخذه؛ حيث يُمكِن لمعطفه أن يغطيه تقريبًا.

كان من الصعب مُتابعة المجموعات التي تتحرَّك عبر المحطة نحو الأقسام الداخلية حيث كانت الملاجئ الإشعاعية. لم يُلقِ عليهما أي شخص نظرة متأنية، طالما استمرَّا بالحركة في نفس اتجاه الحشود، قام هولدن بتدوين مُلاحظات ذهنية عن العديد من تقاطُعات الممرَّات التي يقف فيها رجال يرتدون ملابِس مُكافحة الشغب ليحرسوها، ستكون العودة إلى الخلف أكثر صعوبةً.

عندما توقَّفت المجموعة التي كانوا يتبعونها في النهاية خارِج باب معدني كبير عليه رمز الإشعاع القديم، تنحى هولدن وميلر جانبًا واختبئا خلف حوض زرع كبير مليء بالسراخِس وزوج من الأشجار الواهِنة. شاهَد هولدن رجال شُرطة مُكافحة الشغب المُزيَّفين وهُم يأمرون الجميع بالدخول إلى الملجأ قبل أن يغلقوا الباب خلفهم بتمرير بطاقةٍ. غادروا جميعًا، باستثناء واحد منهم ظلَّ واقفًا خارِج الباب للحراسة.

همس ميلر: «دعنا نطلُب منه أن يسمَح لنا بالدخول».

أجابه هولدن: «اتبع خطواتي». قُم وقف وبدأ يسير نحو الحارِس.

قال الحارِس وهو يضع يده على مؤخرة بندقيته: «مهلًا أيها الوغد الأحمق، من المُفترض أن تكون إما في الملجأ أو في الكازينو، لذا عد إلى مجموعتك اللعينة».

رفع هولدن يديه بهدوءٍ، وابتسم وهو يستمِر في المشي، قال: «مرحبًا، لقد فقدت مجموعتي، اختلطت عليّ الأمور بطريقةٍ ما، وأنا لست من هنا كما تعلَم».

أشار الحارِس إلى نهاية الممر بهراوة الصعق التي كان يُمسِك بها بيُسراه.

قال: «اذهب من هذا الطريق حتى تصل إلى المُنحدرات».

بدا وكأن ميلر قد ظهر بغتةً من العدم في الممر ذي الإضاءة الخافِتة، كان قد أشهر سلاحه بالفعل وصوَّبه نحو رأس الحارِس، فتح زر الأمان بصوتٍ مسموعٍ.

قال: «ماذا لو انضممنا للمجموعة الموجودة بالداخِل بالفعل؟ افتح الباب».

نظر الحارِس إلى ميلر بطرف عينه، دون أن يُدير رأسه إليه، رفع يداه، ثُم أسقط الهراوة.

قال الشُّرطي المُزيَّف: «لا تُريد أن تفعل ذلك يا رجل».

قال هولدن: «أعتقِد أنه يُريد أن يفعل ذلك نوعًا ما، يجِب أن تفعل ما يقوله، إنه ليس شخصًا لطيفًا للغاية».

دفع ميلر ماسورة مُسدَّسه إلى رأس الحارِس وهو يقول: «هل تعرِف علامَ كُنا نُطلِق لقب (عديم العقل) في مقر القسم؟ إنه عندما تُطلق رُصاصة على الرأس لتُفجِّر العقل بالكامِل خارِج جُمجمة شخص ما، ويحدُث هذا عادةً عندما يتم تصويب مُسدَّس إلى رأس الضحية هنا لا يجد الغاز مكانًا ليذهب إليه، ويتدفَّق المُخ مُباشرةً عبر جرح الخروج».

قال الحارِس وهو يتحدَّث بسُرعةٍ كبيرةٍ لدرجة أنه نطق الكلمات كُلها خلف بعضها بعضًا: «لقد قالوا إنه لا يجب علينا أن نفتح تلك الأبواب بمُجرَّد أن يغلقوها يا رجل، لقد كانوا جادين للغاية بشأن ذلك».

قال ميلر: «هذه هي المرَّة الأخيرة التي سأطلُب فيها، في المرَّة القادِمة سأستخدم البطاقة التي سأنتزعها من جُثتك».

أدار هولدن الحارِس ليواجِه الباب وسَحَب المُسدس من جراب حزام الرجل، كان يأمل أن تكون تهديدات ميلر مُجرَّد تهديدات، على الرغم من أنه كان يشُك في أنها ليست مُجرَّد تهديدات.

قال هولدن للحارِس: «افتح الباب فحسب، وأعدك أننا سنترُكك تذهب».

أومأ الحارِس برأسه وتحرَّك نحو الباب، مرَّر بطاقته عبرها وضغط زرًّا على لوحة المفاتيح، انزلق باب الانفجار الثقيل جانبًا، ومن خلفه، كانت الغُرفة أكثر قتامةً من الممر الموجود بالخارِج، توهَّج عدد قليل من مصابيح الطوارئ باللون الأحمر الكئيب، وفي ظل الإضاءة الخافِتة، استطاع هولدن رؤية عشرات... بل مئات الجُثث المُتناثرة أرضًا دون حراك.

سأله هولدن: «هل ماتوا؟».

قال الرجل: «لا أعرف شيئًا عن ذلك... »؛ لكن ميلر قاطعه.

قال ميلر وهو يدفع الحارِس أمامه: «تقدَّم أنت أولًا».

قال هولدن: «انتظِر، لا أعتقِد أنها فكرة جيِّدة أن نندفِع إلى الداخِل هنا فحسب».

حدثت ثلاثة أشياء في آنٍ واحدٍ، تقدَّم الحارِس أربع خطوات إلى الأمام قبل أن يسقُط على الأرض، عطس ميلر مرَّة بصوتٍ عالٍ، ثُم بدأ يترنَّح وهو في حالة ثمالة، وبدأ جهازا هولدن وميلر اللوحيان يُصدِران أزيزًا كهربائيًّا غاضبًا.

ترنَّح ميلر وهو يقول: «الباب... ».

ضغط هولدن على الزر فانزلق الباب مُغلقًا مرَّة أخرى.

قال ميلر وهو يسعل: «غاز، هناك غاز بالداخِل».

أخرَج هولدن جهازه اللوحي لإيقاف الضجيج، بينما اتكأ الشُّرطي السابِق على جدار الممر وهو يسعل؛ لكن الإنذار الذي كان يومِض على شاشته لم يكُن تنبيهًا لتلوُّث الهواء؛ بل كانت الثلاثة أشكال المخروطيَّة التي تُشير إلى الداخِل إشعاعًا، تحوَّل الرمز الذي كان ينبغي أن يكون أبيض اللون عبر اللون البُرتقالي الداكِن إلى اللون الأحمر الداكِن بينما كان يُشاهِده.

أصبح تعبيرات وجه ميلر غير قابِلة للقراءة، بينما كان ينظُر إليه أيضًا.

قال هولدن: «لقد تمَّ تسميمنا».

قال ميلر بصوتٍ أجشّ بعد نوبة سُعال: «لم أرَ جهاز الكشف عن الإشعاع نشِطًا في الواقِع أبدًا، ماذا يعني لون ذلك الشيء الأحمر؟».

قال هولدن: «يعني أننا سننزِف من المُستقيم في غضون ست ساعات، علينا أن نصِل إلى المركبة، فهناك سنجد الأدوية التي نحتاجها».

قال ميلر: «ماذا... يحدُث... بحق اللعنة؟».

أمسَك هولدن بذراع ميلر وقاده إلى نهاية الممر نحو المُنحدرات، بدت بشرة هولدن دافئة ومُثيرة للحكة، لم يكُن يعرِف إذا ما كان ذلك بسبب الحرق الإشعاعي أو لسبب نفسي جسدي. كان من الجيد أن يكون لديه حيوانات منويَّة مُخبأة بعيدًا في مونتانا وفي أوروبا مع كمية الإشعاع التي تلقَّاها للتو، جعله التفكير في ذلك يشعُر بالحكَّة في خصيتيه.

قال هولدن: «لقد قصفوا المحطَّة بالأسلِحة النوويَّة، اللعنة، ربما تظاهروا فقط بقصفها بالأسلِحة النوويَّة، ثُم قاموا بجر الجميع إلى الأسفل هنا وإلقائهم في الملاجئ الإشعاعية المُشِعَّة من الداخِل فقط، وخدَّروهم بالغاز لإبقائهم هادئين».

قال ميلر وهو يلهث في شهقاتٍ مُمزَّقةٍ وهما يسيران إلى نهاية الممر: «هناك طُرق أسهل لقتل الناس».

قال هولدن: «إذن فلا بُدَّ أن الأمر يتعدى ذلك، الفيروس، أليس كذلك؟ الذي قتل تلك الفتاة، إنه...يتغذى على الإشعاع».

قال ميلر وهو يومئ برأسه بالموافقة: «الحاضنات».

وصلوا إلى أحد المُنحدرات نحو الطوابِق السفلية؛ لكن مجموعة من المواطنين الذين كانوا تحت قيادة اثنين من ضُبَّاط مُكافحة الشغب المُزيَّفين

اعترضت طريقهم، أمسَك هولدن بميلر وجذبه جانبًا إلى حيث يُمكِنهما الاختباء في ظل متجر مكرونة مُغلَق.

قال هولدن بصوتٍ خافتٍ في انتظار مرور المجموعة: «إذن فقد أصابوهم بالعدوى، أليس كذلك؟ ربما عن طريق دواء إشعاعي مُزيَّف يحتوي على الفيروس بداخله، ربما نشروا تلك المادة البنيَّة اللزِجة على الأرض فحسب، ثُم فإن أيًّا ما أصاب تلك الفتاة، جولي... ».

توقَّف عن الحديث عندما سار ميلر مُبتعدًا عنه نحو المجموعة التي صعدت المُنحدر للتو.

نادى ميلر أحد رجال الشُّرطة المُزيَّفين: «أيها الضابط».

توقف كلاهما، قبل أن يقول أحدهما: «من المُفترض أن تكون... ».

أطلق ميلر النار على حلقه، أسفل غطاء خوذته مُباشرةً. ثُم استدار بسلاسةٍ، وأطلق النار على الحارِس الآخر في باطِن فخذه، أسفل عضوه الذكري مُباشرةً، وعندما سقط الرجل للخلف، وهو يصرُخ في ألمٍ، سار ميلر وأطلق النار عليه مرَّة أخرى، هذه المرَّة في رقبته.

بدأ بعض المواطنين بالصراخ، صوَّب ميلر مُسدَّسه نحوهم، فالتزموا الصمت.

قال: «اهبطوا طابقًا أو اثنين وابحثوا عن مكانٍ للاختباء، لا تتعاونوا مع هؤلاء الرجال، على الرغم من أنهم يرتدون زي الشُّرطة، فإنهم لا يهتمون بكم على الإطلاق. اذهبوا».

تردَّد المواطنون، ثُم ركضوا، أخرج ميلر بعض الخراطيش من جيبه وبدأ في استبدال الثلاثة خراطيش التي أطلقها، بدأ هولدن في الكلام؛ لكن ميلر قاطعه.

- «اضربهم بالنار في الحلق إذا استطعت، لا يُغطي غطاء الوقت ودرع الصدر هذه الفجوة تمامًا عند كثير من الأشخاص، أما إذا كانت الرقبة مُغطاة، فأطلِق النار على باطِن الفخذ، الدرع رقيق للغاية هناك بسبب مُشكلة التنقُّل، يقتل هذا مُعظم الناس بطلقةٍ واحدةٍ».

أومأ هولدن برأسه، كما لو أن كُل ذلك منطقي.

قال هولدن بصوتٍ بدا أهدأ مما شعر به: «حسنًا، دعنا نعود إلى المركبة قبل أن ننزِف حتى الموت، حسنًا؟ لا مزيد من إطلاق النار على الناس إذا كان بإمكاننا ذلك».

قام ميلر بوضع مشط الذخيرة في سلاحه مرَّة أخرى وهو يسحب رصاصة إلى الماسورة.

قال: «أظن أن هناك الكثير من الناس بحاجةٍ إلى إطلاق النار عليهم قبل أن ينتهي هذا الأمر؛ لكن من المؤكَّد، أهم الأشياء أولًا».

(٣٨)
ميلر

كانت المرة الأولى التي يقتُل فيها ميلر أي شخص في عامه الثالِث من العمل الأمني، كان في الثانية والعشرين من عُمره، متزوِّجًا حديثًا، ويُخطِّط لإنجاب الأطفال، وكان يحصُل على الوظائِف القذرة بصفته الرجل الجديد في العقد: كتولي الدوريَّات في الطوابِق العالية للغاية لدرجة أن تأثير كوريوليس سيجعله يُصاب بدوار البحر، أو استقبال مُكالمات العُنف المنزلي في غُرفٍ لا يزيد عرضها عن صندوق تخزين، أو تولي حراسة زنزانة السكارى المُعتقلين؛ كي يمنع المُعتدين من اغتصاب فاقدي الوعي. المُضايقات العادية، كان يعرف أن عليه أن يتوقَّع ذلك، وظنَّ أن بإمكانه التعامُل مع الأمر.

جاءت المُكالمة من مطعم غير شرعي في مُنتصف الكُتلة تقريبًا، كانت الجاذبية أقل من العُشر، كما كانت أقل بكثيرٍ من مُجرَّد اقتراح، شعر بالارتباك والغضب يجتاحان أذنه الوُسطى بسبب تغيير الدوران، وإذا فكَّر في الأمر، سيجد أنه ما زال بإمكانه أن يتذكَّر صدى الأصوات المُرتفِعة التي تدوي بسُرعةٍ كبيرةٍ تُصبِح فيها الكلِمات مُبهمة، رائِحة الجُبن غير الشرعي، ضباب الدُخان الرقيق المُنبعِث من الشواية الكهربائية الرخيصة.

تطوَّرت الأمور سريعًا، خرج المُجرِم من الغُرفة وهو يحمل مُسدَّسًا في يده، ويجر امرأة من شعرها باليد الأخرى، صاح شريك ميلر، وهو مُحارِب قديم خدم لمُدة عشر سنوات يُدعى كارسون بالتحذير، استدار المُجرم، وأرجح البُندقية على طول ذراعه مثلما يفعل مؤدي المقاطِع الخطيرة في مقاطِع الفيديو.

قال المُدرِّبون طوال فترة التدريب إنه لا يُمكِنك معرفة ما ستفعله حتى تأتي اللحظة المنشودة، كان قتل إنسان آخر أمرًا صعبًا. ولا يستطيع بعض الناس القيام بذلك، ظهرت بندقية المُجرِم؛ ترك الرجل المُسلَّح وصرخ، تبيَّن أن الأمر على الأقل بالنسبة لميلر لم يكُن بهذه الصعوبة.

خضع بعد ذلك للاستشارة الإلزامية، بكى، عانى من الكوابيس والارتعاشات وكُل الأشياء التي عانى منها رجال الشُّرطة بهدوءٍ دون أن يتحدَّثوا عنها؛ لكن حتى حينذاك، بدا الأمر وكأنه يحدُث عن بُعد كما لو كان مخمورًا للغاية ويُراقِب نفسه وهو يتقيَّأ، كان مُجرَّد رد فعل جسدي، وسيمُر.

الأمر المُهِم هو أنه كان يعرف إجابة السؤال، أجل، يُمكِنه أن يقتل إذا ما احتاج إلى ذلك.

لم يشعُر ببهجة الأمر حتى الآن، وهو يسير في أروِقة إيروس، حتى إن القضاء على ذلك الوغد المسكين في تبادُل إطلاق النار الأول بدا ضمن نطاق حاجة العمل المُحزِنة، لم يشعُر بمُتعة القتل إلا بعدما حدث لجولي، ولم تكُن مُتعة حقًّا بقدر ما كانت إيقافًا وجيزًا للألم.

حمل سلاحه مُنخفضًا، بدأ هولدن يهبط على المُنحدر، وتبعه ميلر تاركًا الأرضي يتولى القيادة، سار هولدن أسرع منه وبرشاقةٍ غير مُبرَّرة لشخصٍ عاش في مجموعة متنوِّعة من درجات الجاذبية، تولَّد لدى ميلر

شعور بأنه جعل هولدن متوتِّرًا، وشعر بقليلٍ من الندم بسبب ذلك، لم يكُن ينوي القيام بذلك، وكان بحاجةٍ ماسةٍ للصعود على متن مركبة هولدن إذا كان سيفك شفرة أسرار جولي.

أو فيما يتعلَّق بهذه المسألة؛ كيلا يموت جرَّاء التسمُّم الإشعاعي في الساعات القليلة القادِمة، بدت تلك النقطة أكثر دقةً مما كانت عليه.

قال هولدن من أسفل المُنحدر: «حسنًا، نحن بحاجةٍ إلى التراجُع، وهناك الكثير من الحُرَّاس بيننا وبين ناعومي سيشعرون بكثيرٍ من الارتباك بسبب رجلين يسيران في الاتجاه الخاطئ».

وافقه ميلر الرأي قائلًا: «هذه مُشكلة».

- «هل لديك أي أفكار؟».

عبس ميلر ونظر إلى الأرض، كانت أرضيات إيروس مُختلِفة عن أرضيات سيريس، صفيح مُزيَّن بقطعٍ من الذهب.

قال: «مترو الأنفاق لا يعمَل، وحتى إذا كان يعمَل، سيكون في وضع الإغلاق، ولن يتوقَّف سوى عند المحطَّات المُحدَّدة في الكازينوهات، لذلك سنستبعِد هذه الفكرة».

- «ماذا عن ممَّرات الصيانة مرَّة أخرى؟».

قال ميلر: «إذا تمكَّنا من العثور على ممر صيانة يمُر عبر الطوابِق، وقد يكون هذا خادعًا بعض الشيء؛ لكن يبدو أنها رهان أفضل من شق طريقنا عبر بضع عشرات من الأوغاد الذين يرتدون الدروع عن طريق إطلاق النار، كم لدينا من الوقت قبل أن يُقلِع صديقك؟».

نظر هولدن إلى جهازه اللوحي، كان إنذار الإشعاع لا يزال أحمر داكِنًا، تساءل ميلر عن المُدَّة التي يستغرِقها الإشعاع لينحسِر.

قال هولدن: «أكثر بقليلٍ من ساعتين، لا ينبغي أن تكون هذه مُشكلة».

قال ميلر: «دعنا نرى ماذا يُمكِن أن نجد».

تمَّ إفراغ الممرَّات القريبة من ملاجئ الإشعاع -أفخاخ الموت، والحاضنات- بدت الممرَّات الواسِعة التي تمَّ بناؤها لاستيعاب مُعدَّات البناء القديمة التي نحتت إيروس إلى مساكن بشريةٍ غريبة دون أن يتردَّد فيها سوى صدى خطوات أقدام هولدن وميلر، وصوت طنين أجهزة إعادة تدوير الهواء، لم يُلاحظ ميلر متى توقَّفت إعلانات الطوارئ؛ لكن غيابها الآن بدا أمرًا يُنذِر بالسوء.

لو كان في سيريس، لعرَف إلى أين سيذهب، وإلى أين يؤدي كُل شيء، وكيف ينتقِل برشاقةٍ من مرحلةٍ إلى أخرى. أما في إيروس، فكُل ما لديه هو تخمين بارِع، لم يكُن ذلك سيئًا للغاية.

لكن كان بإمكانه أن يقول إن الأمر استغرق وقتًا طويلًا، والأسوأ من ذلك -أنهم لم يتحدَّثوا عن الأمر؛ لم يتحدَّث عنه أي أحد- كانوا يمشون ببطءٍ أكثر من المُعتاد، لم يتطوَّر الأمر لمستوى الوعي بعد؛ لكن ميلر كان يعرف أن جسديهما قد بدآ يشعُران بالضرر الإشعاعي، ولن تتحسَّن الأمور.

قال هولدن: «حسنًا، يجب أن يكون هناك عامود صيانة في مكانٍ ما هناك».

قال ميلر: «يُمكِننا أيضًا أن نُجرِّب مترو الأنفاق، تعمل السيارات في الفضاء؛ لكن ربما تكون هناك بعض أنفاق الخدمة التي تعمل بالتوازي معها».

- «ألا تعتقِد أنهم كانوا ليُغلِقوا هذا كجزءٍ من الجولة الكُبرى؟».

قال ميلر: «على الأرجح».

- «مهلًا! أنتما! ما الذي تعتقِدان أنكما تفعلانه هنا؟».

نظر ميلر إلى الخلف من فوق كتفه، كان هناك رجلان يرتديان زي مُكافحة الشغب يلوِّحان لهما مُهدِّدين، قال ميلر شيئًا ما حادًّا بصوتٍ خافتٍ، بينما ضيَّق هولدن عينيه.

كان الأمر هو أن هؤلاء الرجال كانوا هواة، شقَّت بداية فكرة طريقها في الجُزء الخلفي من عقل ميلر، وهو يُراقِب الرجلين يقتربان، لن ينجح قتلهما وأخذ مُعداتهما، لم يكُن هناك ما هو أكثر من علامات الحروق والدماء لتوضيح أن شيئًا ما قد حدث؛ لكن...

قال هولدن وصوته يكتسي بنبرةٍ تحذيريةٍ: «ميلر».

قال ميلر: «أجل، أعرِف».

قال أحد رجلي الأمن: «لقد قُلت ما الذي تفعلانه هنا بحق الجحيم؟ المحطَّة في حالة إغلاق، ويذهب الجميع إلى الأسفل نحو طابق الكازينو، أو إلى الأعلى إلى ملاجئ الإشعاع».

قال هولدن مُبتسمًا وهو يحاوِل ألا يبدو مصدرًا للتهديد: «نحن فقط نبحث عن طريق لـ... للهبوط إلى طابق الكازينو، لسنا من هنا، و... ».

ضرب أقرب الحارسين قدم هولدن بعقب بندقيته بشدةٍ، ترنَّح الأرضي، بينما أطلق ميلر النار على الحارِس من أسفل لوحة الوجه مُباشرةً، قبل أن يلتفِت إلى الرجل الذي كان لا زال واقفًا فاغِر الفاه.

سأله ميلر: «أنت ميكي كو، أليس كذلك؟».

ازداد وجه الرجل شحوبًا؛ لكنه أومأ برأسه، تأوَّه هولدن وهو يقف.

قال ميلر: «أنا المُحقِّق ميلر، قبضت عليك في سيريس منذ أربع سنوات، أفرطت في السعادة في أحد الحانات، أعتقِد أنها كانت حانة تابان؟ وضربت فتاة بعصا بلياردو؟».

قال الرجل بابتسامةٍ مليئةٍ بالخوف: «مرحبًا، أجل، أتذكَّرك، كيف حالك؟».

قال ميلر: «بخير، ولست على ما يُرام، أنت تعرِف كيف تبدو الأمور، أعطِ الأرضي سلاحك».

حرَّك كو ناظريه من ميلر إلى هولدن قبل أن يعود، لعق شفتيه وهو يُفكِّر في فُرصه، هزَّ ميلر رأسه.

قال ميلر: «بجديةٍ، أعطه السلاح».

- «أجل، بالتأكيد، بسيطة».

قال ميلر لنفسه: هذا هو نوع الرجل الذي قتل جولي، غبي، قصير النظر، رجل مولود مع إحساس بالفُرصة الخام بدلًا من روحه، هزَّت جولي الخيالية الموجودة في رأس ميلر رأسها في حالةٍ من الاشمئزاز والحُزن، قبل أن يجد ميلر نفسه يتساءل عمَّا إذا كانت تقصِد السفَّاح الذي

كان يُعطي هولدن سلاحه، أو تقصده هو نفسه، ربما كانت تقصدهما سويًّا.

سأله ميلر: «ما الذي يحدُث هنا يا ميكي؟».

قال الحارِس وهو يتظاهر بالغباء كما لو كانا في زنزانة استجواب: «ماذا تقصِد؟». كان يُماطِل مُلتزِمًا بالنص القديم الخاص بالضابِط والمُجرم كما لو كان لا يزال منطقيًّا، كما لو أن الأمور لم تتغيَّر، تفاجأ ميلر عندما شعر بمرارةٍ تجتاح حلقه، لم يكُن يعرِف سببًا لوجودها.

قال: «الوظيفة، ماذا عن الوظيفة؟».

- «لا أعرِف..».

قال ميلر بلُطفٍ: «لقد قتلت صديقك لتوي».

قال هولدن: «وهذا ثالِث قتيل له اليوم، لقد رأيته».

استطاع ميلر أن يراها في عيني الرجُل: المكر، والتحوُّل، والانتقال من استراتيجية إلى أخرى، لقد كان أمرًا قديمًا ومألوفًا ومن السهل التنبؤ به مثل انخفاض مستوى الماء.

قال كو: «مهلًا، إنها مُجرَّد وظيفة، لقد أخبرونا قبل حوالي عام كيف أننا سنقوم بانتقالٍ كبيرٍ، حسنًا؟ لكن أحدًا لم يعلَم إلى أين سننتقِل، وهكذا بدؤوا بنقل الرجال قبل بضعة أشهُر، تمَّ تدريبنا كما لو كُنا رجال شُرطة، هل تفهم قصدي؟».

قال ميلر: «من الذي درَّبكم؟».

قال كو: «الرجال الأواخر، أولئك الذين كانوا يعملون في العقد قبلنا».

- «بروتوجين؟».

قال: «شيء من هذا القبيل، أجل، ثُم أقلعوا، وتولينا المسؤولية، مُجرَّد عضلات، نقوم ببعض أنواع التهريب».

- «تهريب ماذا؟».

قال كو: «كُل أنواع الهراء». كان قد بدأ يشعُر بالأمان، وظهر هذا جليًّا في الطريقة التي يتماسك بها والتي يتحدَّث بها، أضاف: «مُعدَّات المُراقبة، مصفوفات الاتصالات، خوادِم جادة كالجحيم مزوَّدة ببعض برامِج الجيل الصغيرة المُدمَجة فيها بالفعل، والمُعدَّات العلميَّة أيضًا، أشياء لفحص الماء والهواء وهذه الأشياء، وبعض تلك الروبوتات القديمة التي يُمكِن التحكُّم فيها عن بُعد كما لو كانوا سيستخدمونها في التنقيب الفضائي، كل أنواع الهراء».

سأله هولدن: «إلى أين كانت ذاهبة؟».

قال هو وهو يُشير إلى الهواء، الصخور، والمحطَّة: «هنا، كُل شيء هنا، لقد قضوا شهورًا في تركيبها كُلها، وبعد ذلك...ولأسابيع، لم يحدُث شيء».

سأله ميلر: «ماذا تقصِد بلم يحدُث شيء؟».

- «بمعني أنه لم يحدُث أي شيء، قُمنا بكُل هذه الإنشاءات ثُم جلسنا دون أن نفعل شيئًا».

قال ميلر لنفسه: حدث خطأ ما، لم يصِل فيروس فيبي في موعِده، وبعد ذلك وصلت جولي، وعادت اللعبة إلى العمل، رآها مرَّة أخرى كما كانت في شقتها، والشُعيرات السوداء الطويلة أيًّا ما كانت تنتشِر، وعظامها تضغط على جلدها، وخيوط الرغبة السوداء تتدفَّق من عينيها.

قال كو بطريقةٍ فلسفية: «لكن الأجر جيِّد على الرغم من ذلك، وكان من الجيِّد قضاء بعض الوقت في إجازةٍ».

أومأ ميلر برأسه موافقًا قبل أن ينحني مُقتربًا، دسَّ فوهة سلاحه من تحت الدرع نحو معدة كو، وأطلق النار عليه.

قال هولدن وميلر يُعيد سلاحه إلى جيب معطفه: «ما هذا بحق الجحيم؟».

قال ميلر وهو يجلس بجوار الرجل مشجوج البطن: «ماذا كُنت تظُن أنه سيحدُث؟ ليس الأمر كما لو أنه كان سيتركنا نذهب».

قال هولدن: «أجل، حسنًا؛ لكن... ».

قال ميلر وهو يلف ذراعًا حول كتف كو: «ساعدني على إيقافه». صرخ كو عندما رفعه ميلر.

- «ماذا؟».

قال ميلر: «احمله من الجانِب الآخر، الرجل بحاجةٍ إلى عنايةٍ طبيةٍ، أليس كذلك؟».

قال هولدن: «بلى».

- «احمله من الجانِب الآخر إذن».

لم يكُن بعيدًا عن الملاجئ الإشعاعية كما توقَّع ميلر، وهو الأمر الذي كان له نقاط سلبية ونقاط إيجابية. أما الشق الإيجابي، فكان أن كو لا يزال على قيد الحياة ويصرُخ، كانت فُرص أن يكون ذلك واضحًا أفضل، ولم يكُن هذا ما قصده ميلر؛ لكن عندما اقتربوا من مجموعة الحراسة الأولى، بدت ثرثرة كو فوضوية أكثر من أن يُمكِنها التأثير.

صاح ميلر: «مهلًا! بعض المُساعدة ها هنا! ».

وعند رأس المُنحدر، نظر أربعة حُرَّاس إلى بعضهم بعضًا قبل أن يبدؤوا في التحرُّك نحوهم، تغلَّب الفضول على إجراءات التشغيل الرئيسية، كان هولدن يتنفَّس بصعوبةٍ، وكذلك ميلر، لم يكُن كو بذلك الثقَل، وكانت تلك علامةً سيئةً.

قال أحد الحُرَّاس: «ما هذا بحق الجحيم؟».

قال ميلر: « مجموعة من الناس مُختبئون هناك، مقاوَمة، اعتقدت أنكم اجتحتم هذا الطابق».

قال الرجل: «لم تكُن هذه وظيفتنا، نحن نتأكَّد من وصول مجموعات الكازينو إلى الملاجئ فقط».

صاح ميلر: «حسنًا، لقد أفسد شخص ما الأمر، هل لديكم وسيلة نقل؟».

نظر الحُرَّاس إلى بعضهم بعضًا مرَّة أخرى.

قال رجل يقف في الخلف: «يُمكِننا طلب واحدة».

قال ميلر: «لا تهتَم، اذهبوا يا رفاق، وابحثوا عن الجُناة».

قال الرجل الأول: «انتظر لحظة، من أنت بالضبط بحق الجحيم؟».

قال هولدن: «عمَّال التركيب من بروتوجين، كُنا نستبدل أجهزة الاستشعار التي توقَّفت عن العمل، وكان من المُفترض أن يُساعدنا هذا الرجل».

قال قائدهم: «لم أسمَع عن ذلك».

دسَّ ميلر إصبعه تحت درع كو وضغط، صرخ كو وحاول أن يبتعِد عنه.

قال ميلر: «تحدَّث مع رئيسك في العمل عن ذلك في وقت فراغك، هيا، دعونا نأخُذ هذا الأحمق إلى العيادة».

قال الحارِس الأول: «انتظر! ». تنهدَّ ميلر، هناك أربعة منهم إذا أسقط كو وقفز من أجل الحصول على مخبأ...؛ لكن لم يكُن هناك الكثير من الأماكِن التي تصلُح للاختباء، ومن يعرف ما الذي سيفعله هولدن بحق الجحيم؟

سأله الحارِس: «أين مُطلقو النار هؤلاء؟». منع ميلر نفسه من الابتسام.

قال ميلر: «هناك ثُقب على بُعد ربع كيلومتر ضد اتجاه الدوران، لا تزال جُثة الرجل الآخر هناك، لن تخطئها».

استدار ميلر نحو نهاية المُنحدر، ومن خلفه تبادل الحُرَّاس الحديث فيما بينهم، ويتناقشون فيما يجب فعله، وبمن سيتصِلون، ومن سيرسِلون إلى هناك.

قال هولدن فوق صوت بكاء كو شبه فاقِد الوعي: «أنت مجنون تمامًا».

وربما كان مُحقًّا.

***

تساءل ميلر: متى يتوقَّف شخص ما عن كونه إنسانًا؟ لا بُدَّ أن تكون هناك لحظة، أو قرار يتخِذه، وقبل ذلك تكون شخصًا؛ لكن بعد ذلك، تُصبح شخصًا آخر. تدلى جسد كو النازِف بينه وبين هولدن، وهُما يسيران عبر طوابِق إيروس، شعر ميلر بالتشوُّش. ربما كان يموت من أضرار الإشعاع، كان يشُق طريقه بالكذِب بين نصف دزينة من الرجال الذين سمحوا له بالمرور فقط؛ لأنهم اعتادوا على خوف الناس منهم في حين أنه لم يكُن خائِفًا. لقد قتل ثلاثة أشخاص خلال الساعتين الماضيتين، أربعة إذا أحصى كو، ربما من الآمن أن يقول أربعة إذن.

راقبه الجُزء التحليلي في عقله، ذلك الصوت الصغير الثابِت الذي صقله لسنواتٍ، وهو يتحرَّك وأعاد جميع قراراته، كان كُل ما فعله منطقيًّا للغاية في ذلك الوقت. إطلاق النار على كو، إطلاق النار على الثلاثة الآخرين، ترك مخبأ الطاقم الآمن من أجل التحقيق في أمر الإخلاء، كان كُل شيء واضحًا في ذلك الوقت من الناحية العاطفية، لم يبدُ الأمر خطيرًا إلا عندما فكَّر فيه من الخارِج إذا كان قد رآه في شخصٍ آخرَ -موس، وهافلوك، وسيماتيمبا- لما استغرقه الأمر أكثر من دقيقةٍ ليُدرِك أنهم قد ضلوا السبيل؛ لكن بما أنه هو، فقد استغرق وقتًا أطول لمُلاحظة ذلك؛ لكن هولدن كان مُحقًّا، لقد فقد نفسه في مكانٍ ما على طول الخط.

أراد أن يعتقِد فقط أنه كان يجد جولي، ويرى ما حدث لجسدها، مع العلم أنه لم يكُن قادرًا على إنقاذها؛ لكن هذا فقط لأنه بدا وكأنه لحظة عاطفية، كانت الحقيقة هي قرارته قبل ذلك الوقت -قبل ترك سيريس ليذهب في رحلة مُطاردة جامِحة لجولي، ويشرَب حتى يُطرَد من وظيفته، والبقاء شرطيًّا حتى ولو ليومٍ واحدٍ بعد جريمة القتل الأولى طوال تلك السنوات السابِقة- لم يبد أي من ذلك منطقيًّا، عند النظر إليه بموضوعيةٍ لقد خَسِرَ زواجه من امرأة أحبَّها ذات يوم، وعاش في أسوأ حالاته في

أسوأ ما يُمكِن أن تُقدِّمه البشرية، وتعلَّم بشكلٍ مُباشرٍ أنه قادِر على قتل إنسان آخر، ولا يُمكِن أن يقول في أي مكان على طول الخط أنه كان هناك، وفي تلك اللحظة، كان رجلًا سليمًا كاملًا، ولن يكون كذلك بعد ذلك.

ربما كانت عملية تراكُمية مثل تدخين السجائر، لا تفعل سيجارة واحِدة الكثير، ولا تفعل خمسة سجائِر أكثر من ذلك بكثيرٍ، كُل عاطِفة كان قد قام بإغلاقها، وكُل تواصُل بشري كان قد رفضه، وكُل حب وصداقة ولحظة تعاطُف أدار ظهره لها، كانت قد أبعدته عن نفسه بدرجةٍ كبيرةٍ، وحتى الآن، كان قادرًا على قتل الرجال والإفلات من العِقاب، وأن يواجِه موته بإنكارٍ يسمَح له بوضع الخطط واتخاذ الإجراءات.

وفي عقله، أمالَت جولي ماو رأسها، وهي تستمِع إلى أفكاره، وفي عقله: احتضنته، التصق جسدها بجسده في طريقةٍ مُريحةٍ أكثر منها جنسية بمواساة، بغُفران.

كان هذا هو سبب بحثه عنها، أصبحت جولي -ذلك الجُزء القادِر على الشعور الإنساني منه- رمزًا لما يُمكِن أن يكون عليه لو لم يكُن كذلك. لم يكُن هناك سبب للاعتقاد بأن جولي التي يتخيَّلها لديها أي شيء مُشترك مع المرأة الحقيقية، وكان لقاؤها سيكون بمنزلة خيبة أمل لكليهما.

كان عليه أن يُصدِّق ذلك بنفس الطريقة التي كان عليه أن يُصدِّق بها كُل ما كان قد قطعه عن الحُب من قبل.

توقَّف هولدن، أعاد ميلر جسد كو -الذي أصبح جُثة الآن- إلى نفسه.

قال ميلر: «ماذا؟».

أومأ هولدن برأسه نحو لوحة الوصول الموجودة أمامهم. نظر ميلر إليها بعدم استيعاب قبل أن يُميِّزها. لقد فعلوها، لقد عادوا إلى المخبأ.

قال هولدن: «هل أنت على ما يُرام؟».

قال ميلر: «أجل، كُنت غارقًا في أحلام اليقظة فحسب، آسف».

أسقط كو، فانزلق البلطجي على الأرض بدوي حزينٍ، شعر ميلر بتنميل ذراعه، هزَّه؛ لكن الوخز لم يختفِ، اجتاحته موجة من الدوار والغثيان، قال لنفسه: هذه هي الأعراض.

سأله ميلر: «ما أخبار الوقت؟».

قال هولدن: «لقد تجاوزنا الموعِد النهائي بقليلٍ -بخمس دقائِق- سيكون كُل شيء على ما يُرام». ثُم فتح الباب.

كانت المساحة الموجودة خلفه، والتي كان من المُفترض أن يكون فيها ناعومي وأليكس وأموس، خالية.

قال هولدن: «اللعنة عليَّ».

(٣٩)
هولدن

قال هولدن: «اللعنة عليّ». ثُم بعد لحظة: «لقد تركونا».

لا، لقد تركته، لقد قالت ناعومي إنها ستفعل ذلك؛ لكن هولدن أدرك بمواجهة حقيقة الأمر، أنه لم يُصدِّقها حقًّا؛ لكن ها هو ذا -الدليل. المساحة الخالية التي كان يجب أن تكون فيها- خفق قلبه وضاق حلقه، وتحوَّلت أنفاسه إلى شهقاتٍ، وكان الشعور بالمرض الذي يشعُر به في بطنه إما يأسًا أو أن قولونه قرَّر أن ينسلِخ من بطانته، كان سيموت جالسًا خارِج فندق رخيص في إيروس؛ لأن ناعومي فعلت بالضبط ما قالت إنها ستفعله، ما أمرها بنفسه أن تفعله، رفض امتعاضه أن يستمِع إلى صوت العقل.

قال وهو يجلِس على طرف حوض زراعة مليء بالسراخِس: «نحن في عداد الموتى».

سأله ميلر وهو ينظُر على طول الممر بينما كان يعبث بسلاحه: «كم تبقى لدينا من الوقت؟».

أجابه هولدن وهو يُشير بشكلٍ غامضٍ إلى رمز الإشعاع الأحمر الوامِض على جهازه اللوحي: «ليس لديَّ فكرة، أعتقِد أن لدينا ساعات

قبل أن نبدأ حقًّا في الشعور بذلك؛ لكنني لا أعرف، يا الله، كم أتمنى لو كان شيد لا يزال موجودًا».

- «شيد؟».

قال هولدن، دون أن يشعُر بالرغبة في قول المزيد: «صديق لي، فني طبي جيِّد».

قال ميلر: «اتصل بها».

نظر هولدن إلى جهازه اللوحي، وضغط على الشاشة عدة مرَّات.

قال: «لا تزال الشبكة مُعطَّلة».

قال ميلر: «حسنًا، لنذهب إلى مركبتك، لنرى إذا كانت لا تزال على الرصيف».

- «سيكونون قد ذهبوا، ستُحافِظ ناعومي على حياة الطاقم، لقد حذَّرتني؛ لكنني... ».

قال ميلر وهو ينقل وزنه من قدمٍ إلى أخرى وهو ينظُر إلى نهاية الممر: «دعنا نذهب على أي حال إذن».

قال هولدن: «ميلر». ثُم توقَّف، كان من الواضِح أن ميلر على حافة الانهيار، وقد أطلق النار على أربعة أشخاص، كان خوف هولدن من الشُّرطي السابِق يتزايد باطرادٍ، اقترب ميلر منه، كما لو كان يقرأ أفكاره، وقف الرجل الذي يبلُغ طوله مترين فوقه حيث كان جالسًا، ابتسم ميلر بأسى، بينما كانت عيناه لطيفتين بشكلٍ مُقلقٍ، كان هولدن يُفضِّل أن يكونا هُما مصدر التهديد تقريبًا.

قال ميلر: «من وجهة نظري، فهناك ثلاثة طُرق يُمكِن أن تسير بها الأمور، أولًا: أن نجد مركبتك لا تزال على الرصيف، ونحصُل على الأدوية التي نحتاجها، وربما نستطيع البقاء على قيد الحياة. ثانيًا: أن نحاوِل الوصول إلى المركبة، ونواجه مجموعات من مافيا العصابات على طول الطريق. ونموت بشكلٍ مجيدٍ وسط وابِل من الرصاصات. ثالثًا: أن نجلس هنا وننزف من أعيننا ومن فتحات مؤخراتنا».

لم يقُل هولدن شيئًا؛ حدَّق في الشُّرطي عابسًا فحسب.

قال هولدن بصوتٍ جعله يبدو وكأنه يعتذِر: «أحب الطريقتين الأوليين أكثر من الطريقة الأخيرة، ما رأيك في أن تأتي معي؟».

ضَحِك هولدن قبل أن يتمكَّن من التماسُك؛ لكن ميلر لم يبدُ وكأنه يشعُر بالإهانة.

قال هولدن: «بالتأكيد، كُنت بحاجةٍ فقط إلى الشعور بالأسف على نفسي لمُدة دقيقة، دعنا نذهب ونُقتَل من قِبَل المافيا».

قالها بشجاعةٍ أكثر مما كان يشعُر بها، كانت الحقيقة هو أنه لا يُريد أن يموت، وحتى خلال الفترة التي قضاها في البحرية الفضائية، كانت فكرة الموت أثناء تأدية الواجِب دائمًا ما تبدو بعيدة وغير واقعيَّة. لن يتم تدمير مركبته أبدًا، وحتى لو حدث ذلك، فسيصل إلى مكوك الهروب، لم يكُن للكون أي معنى بدونه على الإطلاق، لقد خاطَر ورأى أناسًا آخرين يموتون، حتى الأشخاص الذين أحبَّهم. أما الآن، وللمرة الأولى، فقد كان موته أمرًا حقيقيًّا.

نظر إلى الشُّرطي، كان يعرِف الرجل لُمدة أقل من يومٍ، ولم يثق به بعد، ولم يكُن مُتأكِّدًا من أنه يُحبُّه كثيرًا، وكان هذا هو من سيموت معه، ارتجف هولدن ووقف، وسحب بندقيته من حزام خصره، كان هناك شعور عميق بالهدوء يختبئ تحت الذعر والخوف، كان يأمل أن يدوم.

قال هولدن: «من بعدك، ذكرني أن أتصِل بأمهاتي إذا نجحنا في ذلك».

***

كانت الكازينوهات عبارة عن صندوق بارود ينتظِر عود ثقاب، من المُحتمَل أن يكون هناك مليون شخص أو أكثر محشورين في ثلاثة طوابِق من المحطَّة، إذا ما حقَّقت حملات الإخلاء نجاحًا مُعتدلًا. تحرَّك رجال قُساة المظهر يرتدون أزياء مُكافحة الشغب وسط الحشود، يطلبون من الجميع البقاء في أماكنهم حتى يتم نقلهم إلى الملاجئ الإشعاعية، مما يجعل الحشد خائِفًا، كما يتم اقتياد مجموعة صغيرة من المواطنين بعيدًا، تسبَّبت معرفة هولدن للمكان الذي يذهبون إليه بشعوره بحرقةٍ في معدته، أراد أن يصرُخ أن رجال الشُّرطة كانوا مُزيَّفين، وأنهم كانوا يقتلون الناس؛ لكن اندلاع الشغب وسط هذا العدد الكبير من الناس في مثل هذه المساحة الضيِّقة سيكون مفرمة للحم، ربما كان هذا أمرًا لا مفر منه؛ لكنه لن يكون الشخص الذي يبدأ ذلك.

شخص آخر فعل ذلك.

كان بإمكان هولدن أن يسمع الأصوات المُرتفِعة، ودمدمة الحشد الغاضِبة متبوعةً بصوت مُضخَّم إلكترونيًّا لشخص يرتدي خوذة مُكافحة الشغب وهو يصرُخ بالناس للتراجُع، ثُم دوي طلق ناري، وتوقُّف بسيط، ثُم صوت صِراع، صرخ الناس، واندفع الحشد بأكمله

من حول هولدن وميلر في اتجاهين مُتعارضين، اندفع بعضهم نحو صوت الصراع، بينما هرب منه الكثيرون منهم، دار هولدن وسط تيار الأجساد؛ مدَّ ميلر يده وأمسك بظهر قميصه، أحكم قبضته عليه وهو يصرُخ مُطالبًا هولدن بالبقاء على مقربةٍ منه.

اعترضت مجموعة من المواطنين طريق أحد رجال عصابات المافيا، بعد حوالي عشرة أمتار من نهاية الممر، في منطقة جلوس مقهى مفصولة بسياجٍ حديدي أسود بارتفاع الخصر أشهر سلاحه، كان يتراجَع وهو يصرُخ فيهم أن يتحرَّكوا جانبًا، استمرُّوا في التقدُّم، كانت وجوههم غاضِبة بعد ثمالة الحشد بجنون العُنف.

أطلق رجل المافيا الرصاص مرَّة واحِدة، وسقطت جُثة صغيرة إلى الأمام، قبل أن تسقُط على الأرض تحت قدمي البلطجي، لم يستطِع هولدن معرفة إذا كان صبيًّا أو فتاة؛ لكنه لا يُمكِن أن يكون يبلُغ من العُمر أكثر من ثلاثة عشر أو أربعة عشر عامًا. تحرَّك البلطجي إلى الأمام، ناظرًا إلى الجسد الصغير النحيل الساقِط تحت قدميه، قبل أن يوجِّه بندقيته إليهم مرَّة أخرى.

كان هذا أكثر من اللازِم.

وجد هولدن نفسه يركض في الممر نحو البلطجي، شاهرًا سلاحه وهو يصرُخ في الناس أن يبتعدوا عن الطريق، وعندما كان على بُعد حوالي سبعة أمتار، انقسم الحشد بما يكفي ليبدأ إطلاق النار، ضلَّت نصف طلقاته طريقها، ضربت منضدة المقهى وجدرانه، فجَّرت إحدى الطلقات كومة من الأطباق الخزفية لتتطاير في الهواء؛ لكن قلَّة منهم أصابوا البلطجي، ودفعوه إلى الخلف.

قفز هولدن من فوق السياج المعدني الذي يبلُغ ارتفاعه الخصر، وتوقَّف عن الانزلاق على بُعد ثلاثة أمتار من الشُّرطي المُزيَّف وضحيته، أطلق مُسدس هولدن طلقة أخيرة ثُم أُغلِقت الشريحة في وضع الفتح لتُخبره أنه أصبح فارغًا.

لم يسقُط البلطجي، اعتدل في وقفته، نظر للأسفل نحو جذعه قبل أن ينظُر للأعلى ويصوِّب سلاحه نحو وجه هولدن، كان لدى هولدن الوقت الكافي ليُحصي الرصاصات الثلاث التي تحطَّمت فوق درع الصدر الثقيل الخاص بمُكافحة الشعب الذي يرتديه البلطجي، قال لنفسه: سأموت بشكلٍ مجيدٍ وسط وابِل من الرصاصات.

قال البلطجي: «يا غبي يا ابن العاهـ... ». قبل أن يطير رأسه للخلف وسط وابل من الرذاذ الأحمر. ثُم سقط أرضًا.

قال ميلر من خلفه: «الفجوة الموجودة عند العُنق، هل تتذكَّر ذلك؟ درع الصدر سميك للغاية بالنسبة للمُسدَّس».

انحنى هولدن الذي شعر فجأةً بالدوار، وهو يلهث طلبًا للهواء، تذوَّق طعم الليمون في مؤخرة حلقه، واضطرَّ لبلع ريقه مرَّتين كي يمنع نفسه من التقيؤ، كان يخشى أن يكون قيؤه مليئًا بالدماء وبطانة المعدة، لم يكُن بحاجةٍ لرؤية ذلك.

نهض موجهًا رأسه نحو ميلر وهو يقول: «شكرًا».

أومأ ميلر برأسه بشكلٍ غامضٍ في اتجاهه، ثُم تقدَّم نحو الحارِس ودفعه بقدم واحدةٍ، وقف هولدن ونظر حول الممر مُنتظرًا الموجة الحتمية لانتقام مُنفِّذي المافيا كي تنهال عليهما، لم يرَ أي شيء. كان هو وميلر يقفان على متن جزيرة ساكِنة من الهدوء وسط نهاية العالم، وكانت أذرع

العُنف تتلوى في حالة تأهُّب قصوى من كُل مكانٍ من حولهم. كان الناس يركضون في جميع الاتجاهات؛ بينما يصرُخ رجال المافيا بأصواتٍ مُضخَّمةٍ وعاليةٍ ويهدِّدون بإطلاق النار بشكلٍ دوري؛ لكن لم يكُن هناك سوى المئات منهم، بينما كان هناك عدَّة آلاف من المدنيين الغاضبين الذين يشعرون بالذُّعر، أشار ميلر إلى الفوضى.

قال: «هذا ما يحدُث عندما تمنح مجموعة من المتوحِّشين المُعدَّات، ويعتقِدون أنهم يعرِفون ما يفعلونه».

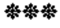
جَلَس هولدن القرفصاء بجوار الطفل الساقِط، كان صبيًّا، ربما في الثالثة عشر من عُمره بملامح آسيويةٍ وشعرٍ داكنٍ، كان في صدره جرح غائِر، والدماء تتدفَّق منه، لم يكُن لديه أي نبض يُمكِن أن يشعُر به هولدن، حمله هولدن على أي حال، وهو يبحث عن مكان ما ليأخذه إليه.

قال ميلر وهو يستبدِل الخرطوشة التي أطلقها: «لقد مات».

- «اذهب إلى الجحيم، لا نعرف ذلك بعد، إذا تمكَّنا من نقله إلى المركبة، فقد... ».

هزَّ ميلر رأسه، اكتسى وجهه بتعبير حُزن بعيد وهو ينظُر إلى الطفل المُستكين بين يدي هولدن.

قال ميلر: «لقد تلقى رصاصة من العيار الثقيل في مُنتصف صدره، لقد مات».



قال هولدن: «اللعنة عليَّ».

- «لا تنفك تقول ذلك».

ومضت لافتة نيون ساطِعة فوق الممر المؤدي إلى خارِج طوابِق الكازينو وعلى المُنحدرات وصولًا إلى الأرصفة. كُتِب عليها: (شكرًا لك على اللعب)، و(أنت دائمًا الفائِز في إيروس)، ومن تحتها سدَّت فرقتان من الرجال الذين يرتدون دروعًا قتاليةً الطريق، ربما تخلوا عن السيطرة على الحشود في الكازينوهات؛ لكنهم لن يتركوا أي شخص يمُر.

جثم هولدن وميلر خلف عربة قهوة مقلوبة على بُعد مائة متر من الجنود، وبينما كانوا يُراقِبون، اندفع عشرات الأفراد -أو نحو ذلك- إلى الحُرَّاس، وتمَّ إقصاؤهم سريعًا بنيران المدافِع الرشَّاشة، قبل أن يسقطوا على الرصيف بجوار هؤلاء الذين حاولوا من قبل.

قال ميلر: «لقد عددت ثلاثة وأربعين منهم، كم واحدًا يُمكِنك أن تتعامَل معهم؟».

دار هولدن حول نفسه في دهشةٍ؛ لكن وجه ميلر أخبره أن الشُّرطي السابِق لم يكُن يمزَح.

قال هولدن: «دون مزاح، كيف يُمكننا أن نتجاوَز ذلك؟».

قال ميلر: «من ثلاثين رجلًا يحملون بنادِق آلية، ويتمتَّعون بخط رؤية واضِح دون أي مكان للاختباء في العشرين مترًا الأخيرة أو نحو ذلك، لن نجتاز ذلك».

(٣٠)
ميلر

جلسا على الأرض وقد أسندا ظهريهما إلى مجموعةٍ من آلات الباتشينكو التي لم يكُن أحد يلعبها، يراقِبان مد العُنف وجذره من حولهما كما لو كانا يُشاهدان مُباراة كُرة قدم، كانت قُبعة ميلر مُثبَّتة على رُكبته المثنيَّة، شعر بالاهتزاز في ظهره عندما دارت إحدى الآلات لتبث نداءها المُخادِع. تألَّقت الأضواء وتوهَّجت. تنفَّس هولدن الجالِس بجواره بصعوبةٍ كما لو كان يركُض في سباقٍ، ومن خلفهما، استعدَّت طوابِق الكازينوهات في إيروس للموت، مثل لوحةٍ من لوحات هيرونيموس بوس.

لقد قضى زخم أعمال الشغب على نفسه في الوقت الحالي، واحتشد الرجال والنساء في مجموعاتٍ صغيرةٍ، وكان الحُرَّاس يتقدَّمون عبرهم، يُهدِّدون ويُفرِّقون شمل أي مجموعة أصبحت كبيرة للغاية أو جامِحة، وكان هناك شيء يحترِق بسُرعةٍ كبيرةٍ لدرجة أن أجهزة تنقية الهواء لم تتمكَّن من القضاء على رائِحة البلاستيك الذائِب، اختلطت موسيقى البانجرا بالبُكاء والصراخ وعويل اليأس، كان أحد الأغبياء يصرُخ في واحِدٍ من رجال الشُّرطة المزعومين: أنه كان مُحاميًا؛ وأنه كان يقوم بتصوير كُل هذا في فيديو؛ وأيًّا من كان المسؤول فسيكون في ورطةٍ كبيرةٍ،

راقَب ميلر مجموعة من الناس تبدأ في التجمهُر حول المواجهة، أنصت الرجل الذي كان يرتدي ملابس مُكافحة الشغب السمع، أومأ برأسه مرَّة، وأطلَق النار على المُحامي فِي رُكبته، فتفرَّق الحشد باستثناء امرأة واحدة، زوجة المُحامي أو حبيبته، التي انحنت فوقه وهي تصرُخ، بدأ كُل شيء ينهار ببطءٍ داخِل جُمجمة ميلر.

كان يُدرِك أن لديه عقلين مُختلفين: أحدهما هو ميلر الذي اعتاد عليه، والذي كان مألوفًا، والآخر الذي كان يُفكِّر فيما سيحدُث عند خروجه، وفي ماهية الخطوة التالية في ربط النقاط بين محطَّة فيبي، وسيريس، وإيروس، وجولييت ماو، وكيفية التعامُل مع القضية. كانت تلك النسخة منه تفحص الحشد بالطريقة التي ربما شاهَد بها الخط في مسرح الجريمة في انتظار بعض التفاصيل، وبعض التغييرات لجذب انتباهه؛ لتُرسِله في الاتجاه الصحيح لحل اللُغز. لقد كان الجُزء الغبي، وقصير النظر، الذي لا يستطيع تصوُّر انقراضه الشخصي، وكان يعتقِد بالتأكيد أن القصة ستستمِر بعد ذلك.

بينما كان ميلر الآخر مُختلفًا، أكثر هدوءًا، ربما كان حزينًا؛ لكنه كان في حالة سلام، كان قد قرأ قصيدة قبل سنوات عديدة تُدعى: (كينونة الموت)، ولم يفهم المُصطلح حتى الآن. انحلَّت العُقدة الموجودة في مُنتصف نفسيته. كانت كُل الطاقة التي بذلها في الحِفاظ على تماسُك الأشياء ببعضها بعضًا -سيريس، زواجه، مسيرته المهنيَّة، نفسه- تتحرَّر، لقد أطلق النار وقتل في اليوم السابِق عددًا أكبر من الرجال الذين قتلهم طوال مسيرته المهنية كشُرطي. لقد بدأ -فقط بدأ- يُدرِك أنه في الواقِع قد وقع في حُب موضوع بحثه بعد أن عَلِم على وجه اليقين أنه فقدها، لقد رأى بشكلٍ لا ريب فيه أن الفوضى التي كرَّس حياته للحِفاظ عليها كانت أقوى وأوسَع وأكثر طاقةً مما كان عليه في أي وقت مضى، ولن

يكون أي حل وسط يُمكِن تقديمه كافيًا، كانت كينونة موته تنكشِف فيه، ولم يأخُذ ازدهار الظلام أي جُهد، لقد كان ارتياحًا، استرخاءً، وزفيرًا طويلًا وبطيئًا ينطلِق بعد عقود من الاحتفاظ به.

لقد كان في حالة خراب؛ لكن هذا كان على ما يُرام، لأنه كان يحتضِر.

قال هولدن: «مرحبًا». كان صوته أقوى مما توقَّع ميلر أن يكون.

- «أجل».
- «هل سبق لك وأن شاهدت ميسكو وماريسكو عندما كُنت طفلًا؟».

عبس ميلر وهو يسأله: «برنامج الأطفال؟».

قال ميلر: «ذلك البرنامج الذي يحتوي على خمسة ديناصورات ورجل شرير بقُبعةٍ ورديةٍ كبيرةٍ». ثُم بدأ في همهمة لحن موسيقي مُبهِج، أغلق ميلر عينيه ثُم بدأ في الغناء، كان للموسيقى كلمات ذات مرَّة، أما الآن فقد أصبحت مُجرَّد سلسلة من الارتفاعات والانخفاضات على نطاقٍ واسعٍ للأعلى وللأسفل، مع كُل نغمة نشاز تمَّ حلها في النغمة التالية.

قال ميلر عندما وصلا إلى النهاية: «أعتقِد أنني لا بُدَّ أن أكون شاهدته».

قال هولدن: «لقد أحببت هذا البرنامِج، لا بُدَّ أنني كُنت في الثامِنة أو التاسِعة من عُمري عندما شاهدته لآخر مرَّة، من المُضحِك كيف تعلق بك هذه الأشياء».

قال ميلر: «أجل». ثُم سعل، أدار رأسه، وبصق شيئًا أحمر اللون. أضاف: «كيف تُبلي؟».

قال هولدن: «أعتقِد أنني بخيرٍ». قبل أن يُضيف بعد لحظة: «طالما لا أقِف».

- «هل تشعُر بالغثيان؟».
- «أجل، قليلًا».
- «وأنا أيضًا».

سأله هولدن: «ما هذا؟ أعني، ما هذا بحق الجحيم؟ لماذا يفعلون هذا؟».

لقد كان هذا سؤالًا عادلًا، فذبح إيروس -وذبح أي محطة في الحزام- كان أمرًا يسيرًا للغاية، ويُمكِن لأي شخص لديه مهارات ميكانيكا المدار أن يجد طريقةً لرمي صخرةٍ كبيرةٍ وسريعةٍ بما فيه الكفاية ليُشقِّق المحطة. كان بإمكان بروتوجين بالجهود التي بذلوها أن يدمِّروا مزوِّد الهواء، أو يخدروه، أو أي شيء يُريدونه بحق الجحيم، ولم تكُن هذه لتُصبِح جريمة، ولا حتى إبادة جماعية.

وبعد ذلك كانت هناك مُعدَّات المُراقبة، الكاميرات، مصفوفات الاتصالات، وحسَّاسات الهواء والماء، لم يكُن هناك سوى سببين فقط لهذا النوع من الهراء، أو أن أوغاد بروتوجين الملاعين انطلقوا وهُم يُشاهدون الناس يموتون، أو...

قال ميلر: «إنهم لا يعرفون».

- «ماذا؟».

التفت لينظُر إلى هولدن، كان ميلر الأول، المُحقِّق، المُتفائِل، الشخص الذي يحتاج إلى المعرِفة، هو الذي يتولى عملية القيادة الآن؛ لأن كينونة

موته لم تُقاتِله، بالطبع لم تفعل؛ لأنها لا تُقاتِل أي شيء. رفع ميلر يده كما لو كان يُلقي مُحاضرة على مُبتدئ.

- «إنهم لا يعرفون ما يدور حوله الأمر، أو... كما تعلم، على الأقل لا يعرفون ما الذي سيحدُث، لم يتم بناء هذا حتى مثل غُرفة تعذيب، وكُل هذا يتم مُراقبته، أليس كذلك؟ حسَّاسات الماء والهواء، إنها إناء مُختبري، إنهم لا يعرفون ما الذي يفعله ذلك القرف الذي قتل جولي، وهذه هي الطريقة التي يكتشِفون بها هذا».

عبس هولدن.

- «أليس لديهم مُختبرات؟ أماكِن يُمكِن أن تختبِر فيها هذا الهواء على بعض الحيوانات أو أشياء من هذا القبيل؟ لأن هذا يبدو وكأنه قد فسد بعض الشيء كتصميمٍ تجريبي».

قال ميلر: «ربما يحتاجون إلى عينةٍ كبيرة الحجم حقًّا، أو ربما لا يتعلَّق الأمر بالناس، ربما يتعلَّق الأمر بما يحدُث في المحطَّة».

قال هولدن: «يا لها من فكرة مُبهِجة».

نزعت جولي ماو التي تسكُن خيال ميلر خصلة شعر من عينها، كانت عابِسة، تبدو غارِقة في التفكير، مُهتمَّة، وقَلِقة، لا بُدَّ أن يكون لكُل شيء معنى، كان الأمر مثل إحدى مُشكلات ميكانيكا المدار الأساسية حيث بدت كُل عقبة وانحراف عشوائيين حتى تنزلِق جميع المُتغيِّرات في أماكنها، وأصبح كُل ما لا يُمكِن تفسيره حتميًّا، ابتسمت له جولي، كانت جولي كما كانت، كما كان يتصوَّر أنها كانت، بادلها ميلر الذي لم يستسلِم

حتى الموت الابتسامة، ثُم ذهبت بعد ذلك، انجرف عقله إلى الضوضاء الصادِرة من آلات الباتشينكو، ونحيب الحشد الشيطاني المُنخفِض.

اندفعت مجموعة أخرى -مكوَّنة من عشرين رجلًا، مُتحصنين على ارتفاعٍ مُنخفِضٍ، مثل الظهير الخطِّي- نحو المُرتزقة الذين يحرسون فتحة الميناء، فقام المُسلَّحون بالقضاء عليهم.

قال هولدن بعد أن خبا صوت المدافِع الرشَّاشة: «يُمكِننا النجاح في الأمر، إذا كان لدينا عدد كافٍ من الناس، لا يُمكِنهم قتلنا جميعًا».

قال ميلر: «هذا هو دور رجال الدوريَّة أن يتأكَّدوا من أن أحدًا لا يستطيع تنظيم دفعة كبيرة بما فيه الكفاية، يستمرُّون في تقليب القدر».

- «لكن إذا كان حشدًا، أعني: حشدًا كبير حقًّا، فبإمكانه... ».

وافقه ميلر الرأي قائِلًا: «ربما». نقر شيء ما في صدره بطريقةٍ لم تكُن هناك منذ دقيقة، أخذ نفسًا بطيئًا وعميقًا، ثُم تكرَّرت النقرة مرَّة أخرى، كان يشعُر بها في أعماق رئته اليُسرى.

قال هولدن: «على الأقل لقد فرَّت ناعومي».

- «هذا جيِّد».
- «إنها مُذهِلة، لم تكُن لتضع أموس وأليكس في خطرٍ أبدًا إذا ما تمكَّنت من ذلك. أعني: أنها جادَّة، مُحترِفة، قوية، هل تفهم قصدي؟ أعني أنها حقًّا... ».

قال ميلر: «جميلة للغاية، شعرها رائِع، كما أنني أحببت تلك العيون».

قال هولدن: «لا، لم يكُن هذا ما قصدته».

- «ألا تعتقِد أنها امرأة حسنة المظهر؟».

قال هولدن: «إنها مُديرتي التنفيذيَّة، إنها... كما تعلم...».

- «محظورة».

تنهَّد هولدن.

سأله هولدن: «لقد فرَّت، أليس كذلك؟».

- «بكُل تأكيد».

التزما بالصمت، سعل أحد المُهاجِين، وقف، وعرج عائدًا إلى الكازينو وهو يخلِّف خطًّا من الدماء من ثقبٍ بين ضلوعه، أفسحت موسيقى البانجرا الطريق أمام موسيقى أفريقية وصوت مُنخفِض مُتقِد يُغني بلُغات لم يعرِفها ميلر.

قال هولدن: «لقد انتظرتنا، ألا تعتقِد أنها كانت تنتظرنا؟».

قالت كينونة موت ميلر: «بكُل تأكيد». لم يكُن مهتمًّا على الإطلاق إذا كانت كذبة، فكَّر في الأمر للحظةٍ طويلةٍ، ثُم استدار ليواجه هولدن مرَّة أخرى قائلًا: «مهلًا، فقط حتى تعرف ذلك؟ أنا لست في أفضل حالاتي في الوقت الحالي».

- «حسنًا».
- «حسنًا».

تحوَّلت أضواء الإغلاق البرتقالية المتوهِّجة على مترو الأنفاق الموجود عبر الطابق إلى اللون الأخضر، اعتدل ميلر في جلسته مُبديًا اهتمامًا، شعر بظهره لزجًا؛ لكنه ربما كان مُجرَّد عرق، لاحظ أشخاص آخرون التغيير أيضًا، تحوَّل انتباه الحشود القريبة من المُرتزقة الذين يسدون طريق الميناء إلى أبواب مترو الأنفاق الفولاذية المصقولة كتيارٍ في خزان ماء.

فُتِحَت الأبواب، وظهر أول الزومبي، كانوا رجالًا ونساءً، بأعيُنٍ زجاجيةٍ وعضلاتٍ مُرتخية، يتعثَّرون خارج الأبواب المفتوحة، كان ميلر قد شاهد فيلمًا وثائقيًّا عن الحُمى النزفية كجزءٍ من تدريبه في محطة سيريس، كانت حركاتهم هي نفسها: خامِلة، ومُنساقة، ولا إرادية، مثل الكلاب المسعورة التي سلَّمت عقولها لمرضها بالفعل.

قال ميلر وهو يضع يده على كتف هولدن: «مهلًا، مهلًا، إنه يحدُث».

اقترب رجل أكبر سنًّا يرتدي رداء خدمات الطوارئ من الوافدين الجُدد، كانت يداه مُمتدَّتين أمامه، كما لو كان بإمكانه أن يطوِّقهم بقوَّة إرادته، نظر نحوه الزومبي الأول في الحشد بعينين فارغتين قبل أن يتقيأ رذاذًا من مادةٍ بُنيَّةٍ لزجةٍ مألوفةٍ.

قال هولدن: «انظر».

- «أرى ما يحدُث».
- «لا، انظر!».

كانت كُل أضواء إغلاق قطارات مترو الأنفاق على طول طابق الكازينو تنطفئ، والأبواب تنفتح، بدأ الناس يهرعون نحو أبواب القطارات المفتوحة، والوعد الضمني الفارغ بالهروب، وبعيدًا عن الرجال والنساء الموتى الذين يخرجون منها.

قال ميلر: «الزومبي المُتقيئون».

قال هولدن: «من ملاجئ الإشعاع، ذلك الشيء، الكائن الحي يزداد قوةً في الإشعاع، أليس كذلك؟ لهذا السبب كانت (أيًّا ما كان اسمها) مهووسة للغاية بشأن الأضواء والبدلة الفضائية».

قال ميلر: «اسمها جولي، وأجل، كانت تلك الحاضنات مصنوعة هنا لذلك الغرض». تنهَّد ميلر، فكَّر في الوقوف قبل أن يُضيف: «حسنًا، قد لا نموت من التسمُّم الإشعاعي بعد كُل شيء».

سأله هولدن: «لماذا لم يضخوا هذا القرف في الهواء فحسب؟».

قال ميلر: «لأنها كائنات لا هوائية، ألا تتذكَّر؟ قد يقتُلها الكثير من الهواء».

كان طبيب الطوارئ المُغطى بالقيء لا يزال يحاوِل مُعالجة الزومبي المُتهالكين كما لو كانوا مرضى، كما لو كانوا لا يزالون بشرًا، كانت هناك لطخات من المادة البُنية اللزِجة على ملابِس الناس، وعلى الجدران، فُتِحَت أبواب مترو الأنفاق مرَّة أخرى، ورأى ميلر نصف دزينة من الناس يندفعون إلى سيارة مترو مُغطاة باللون البُني، تحرَّك الحشد بعُنفٍ غير مُتأكِّدين مما يجب عليهم فعله، امتدَّ عقل المجموعة إلى ما بعد نُقطة الانهيار.

قفز شُرطي مُكافحة شغب إلى الأمام، وبدأ يُطلِق النار على الزومبي، نزفت جروح مداخِل ومخارِج الرصاصات حلقات رفيعة من الخيوط السوداء، وسقط الزومبي. ضَحِك ميلر قبل حتى أن يعرف ما الأمر المُضحِك، نظر إليه هولدن.

قال ميلر: «لم يكونوا يعرِفون الفتية المُتنمِّرين الذين يرتدون ملابِس مُكافحة الشغب؟ لن يتم إجلاؤهم عن هنا، لحوم من أجل الآلة، مثل بقيتنا تمامًا».

قام هولدن بإصدار صوت موافقةٍ صغيرٍ، أومأ ميلر برأسه؛ لكن شيئًا ما كان يتقافَز في مؤخرة دماغه، لقد تمَّ التضحية بمُجرمي سيريس

بدروعهم المسروقة؛ لكن هذا لا يعني أنه قد تمَّ التضحية بالجميع. انحنى للأمام.

كان الممر نحو الميناء لا يزال مأهولًا، اصطفَّ مُقاتلو المُرتزقة في تشكيلٍ، وبنادقهم على أتم الاستعداد. إذا كان هناك أي شيء قد تغيَّر، فهو أنهم بدوا أكثر انضباطًا الآن مما كانوا عليه من قبل، شاهَد ميلر الرجل الذي كان يقِف في الخلف والذي يزدان درعه بشارةٍ إضافية وهو يصرخ عبر ميكروفون.

كان ميلر يعتقِد أن الأمل قد مات، كان يعتقِد أنه كُل فُرصه قد حدثت؛ لكنها أخرجت نفسها من القبر بعد ذلك كالعاهرة.

قال ميلر: «انهض».

- «ماذا».
- «انهض، سوف يتراجعون».
- «من؟».

أومأ ميلر برأسه نحو المُرتزقة.

قال: «كانوا يعرِفون، انظر إليهم، إنهم لا يصابون بالفزع، إنهم ليسوا في حيرةٍ من أمرهم، لقد كانوا ينتظرون ذلك».

- «وهل تعتقِد أن هذا يعني أنهم سيتراجعون؟».
- «لن يتسكَّعوا، قِف».

وكما لو كان يوجِّه الأمر لنفسه تقريبًا، تأوَّه ميلر وأنَّ وهو يقِف على قدميه، كانت ركبتاه وعموده الفقري يؤلِمانه بشدةٍ، كان النقر الموجود في رئته يزداد سوءًا، أصدرت معدته ضجيجًا خافتًا ومُعقدًا كان من شأنه أن يُثير القلق في ظل ظروف مُختلِفة، وبمُجرَّد أن بدأ في الحركة، كان بإمكانه

أن يشعُر بمدى الضرر الذي وقع عليه، لم يعُد يشعُر بالألم في جلده بعد الآن لكنه كان يشعُر به في حدسه الداخلي مثل الفجوة التي تفصل بين الحروق الخطيرة والبثور التي تليها، سوف يؤلِمه ذلك، إذا ظلَّ على قيد الحياة.

سيؤلِمه كُل شيء، إذا ظلَّ على قيد الحياة.

شدَّته كينونة موته. بدا الشعور بالإفراج، والارتياح، والراحة وكأنه شيء ثمين يضيع، حتى في الوقت الذي ظلَّ فيه العقل الثرثار، المشغول، الشبيه بالآلات يطحن، ويلف، ويتقدَّم للأمام، حثَّه مركز روح ميلر المُصاب على التوقف، والجلوس، وترك المشاكل تختفي.

قال هولدن: «ما الذي نبحث عنه؟». كان واقفًا، انحسر وعاء دموي في عين الرجل اليُسرى، فتحوَّل لون بياض قرنيته إلى اللون الأحمر الزاهي.

ردَّدت كينونة الموت: ما الذي نبحث عنه؟

قال ميلر مُجيبًا على السؤال الأول: «سوف يتراجعون، وستتبعهم خارِج النطاق تمامًا؛ كيلا يشعر أيًّا من كان سينسحِب أخيرًا أنه مُضطر إلى إطلاق النار علينا».

- «ألن يفعل الجميع نفس الشيء؟ أعني، أنه بمُجرَّد أن يذهبوا، ألن يتجه كُل الموجودين في هذا المكان إلى الميناء؟».

قال ميلر: «آمُل ذلك، لذا دعنا نحاوِل التسلُّل قبل الاندفاع، انظر. هناك».

لم يكُن هذا كثيرًا، كان مُجرَّد تغيير في موقِف المُرتزقة، تحوُّل في مركز ثِقلهم الجمعي، سعل ميلر، آلمه هذا أكثر مما ينبغي.

سألته كينونة موته مرَّة أخرى: ما الذي نبحث عنه؟ بدا صوتها أكثر إلحاحًا. عن إجابة؟ عن العدالة؟ عن فُرصة أخرى كي يُعاقِبنا الكون؟ ما الذي يمُر عبر الممر وليس أسرع، وأنظف، وأقل إيلامًا من فوهة بندقيتنا؟

أخذ قُبطان المُرتزقة خطوة عرضيَّة إلى الخلف وسار في الممر الخارجي وبعيدًا عن الأنظار حيث كان، جلست جولي ماو، وهي تُراقِبه يمضي، نظرت إلى ميلر، لوَّحت له ليتحرَّك.

قال: «ليس بعد».

قال هولدن: «متى؟». فاجأ صوته ميلر، جفلت جولي الموجودة في رأسه، قبل أن يعود للعالم الواقعي.

قال ميلر: «سيأتي الوقت المُناسِب».

كان لا بُدَّ أن يُحذِّر الرجل، كان هذا عادلًا فحسب. لقد وصلت إلى مكانٍ سيئ، وعلى الأقل، أنت مدين لشريكك بإخباره بذلك. سعل ميلر ليُنظِّف حلقه، آلمه ذلك أيضًا.

من المُمكِن أن أبدأ بالهلوسة أو أن أصاب بميولٍ انتحاريةٍ، وقد تضطر إلى إطلاق النار عليَّ.

نظر إليه هولدن، ألقت عليه آلات الباتشينكو بالضوء الأزرق والأخضر قبل أن تصرُخ في بهجةٍ اصطناعيةٍ.

قال هولدن: «ماذا؟».

قال ميلر: «لا شيء، أستعيد توازني».

صرخت امرأة من خلفهم، نظر ميلر إلى الخلف ليراها وهي تدفع زومبي مُتقيأ بعيدًا عنها، وبقعة من اللون البني تُغطي المرأة الحيَّة بالفعل، تراجع المُرتزقة بهدوءٍ عند الممر، وانطلقوا في الممر.

قال ميلر: «هيا بنا».

سار هو وهولدن نحو الممر، ارتدى ميلر قُبعته، تصاعدت الأصوات العالية، والصرخات، صوت رطب مُنخفِض لأشخاصٍ يُعانون من مرضٍ شديدٍ، كانت أجهزة تنقية الهواء مُعطَّلة، واحتلَّت الهواء رائِحة نفاذَّة عميقة مثل رائِحة الحمض واللحم البقري. شعر ميلر أن هناك حجرًا فِي حذائه؛ لكن كان شبه مُتأكِّد أنه إذا نظر، فلن يرى سوى نُقطة احمرار حيث سيبدأ جلده في التقشُّر.

لم يُطلِق أحد النار عليهم، لم يأمُرهم أحد بالتوقُّف.

قاد ميلر هولدن نحو جدار الممر، ثُم مدَّ رأسه عبر الزاوية، كانت رُبع ثانية هي كُل ما استغرقه لمعرفة أن الممر الطويل الواسِع كان فارغًا، كان المُرتزقة قد انتهوا من العمل هنا وتركوا إيروس لمصيرها، كانت النافِذة مفتوحة، والطريق خالية.

قال لنفسه: الفُرصة الأخيرة، وكان يعني كُلًّا من الفُرصة الأخيرة للحياة والفُرصة الأخيرة للموت.

- «ميلر؟».

قال: «أجل، يبدو الأمر جيدًا، هيا بنا قبل أن يتفتَّق ذهن الجميع إلى الفكرة».

(٣١)
هولدن

تحرَّك شيء ما في أحشاء هولدن، تجاهله وأبقى عينيه مُثبَّتين على ظهر ميلر، انطلق المُحقِّق الهزيل في الممر نحو الميناء، وهو يتوقَّف بين الحين والآخر عند التقاطُعات لإلقاء نظرة خاطِفة على الزاوية تحقُّقًا من المشكلات ، أصبح ميلر آلة، بينما لم يكُن بإمكان هولدن سوى محاولة المواكبة.

لطالما ظلَّت المسافة التي تفصلهم عن المُرتزقة الذين كانوا يحرسون مخرج الكازينو ثابتة، عندما يتحرَّكون، يتحرَّك ميلر، وعندما يتباطؤون، يتباطأ ميلر، كانوا يُمهِّدون الطريق إلى الميناء؛ لكنهم إذا اعتقدوا أن أيًّا من المواطنين يقترِب أكثر من اللازِم، فربما يفتحون النار، بالتأكيد كانوا يُطلِقون النار على أي شخص يصطَدِمون به على طول الطريق، وقد أطلقوا النار بالفعل على شخصين ركضا نحوهم، وكان كلاهما يتقيَّأ مادة لزِجة بُنيَّة اللون. من أين أتى هؤلاء الزومبي المُتقيِّئون بهذه السرعة؟

قال من خلف ميلر: «من أين أتى هؤلاء الزومبي المُتقيِّئون بهذه السرعة بحق الجحيم؟».

هزَّ المُحقِّق يده اليُسرى، بينما أمسك مُسدَّسه بيُمناه.

أجابه دون أن يُبطئ سُرعته: «لا أعتقِد أن هناك ما يكفي من الفضلات التي خرجت من جولي لإصابة المحطَّة بأكملها، أظن أنهم كانوا الدفعة الأولى، تلك التي وضعوها في الحضانة للحصول على ما يكفي من المادة البُنيَّة اللزِجة لإصابة الملاجئ بالعدوى».

كان هذا منطقيًّا، وعندما ساءت أحوال الجُزء الخاضِع للرقابة من التجربة، قاموا بإطلاق سراحه على الجمهور، وبحلول الوقت الذي اكتشف فيه الناس ما يجري، كان نصفهم قد أصيب بالعدوى بالفعل، ثُم كان الباقي مسألة وقت فحسب.

توقفا لفترةٍ وجيزةٍ عند تقاطُع بين ممَّرين، وشاهدوا قائِد مجموعة المُرتزقة وهو يتوقَّف أمامهما على بُعد مائة متر، ويتحدَّث عبر اللاسلكي الخاص به لدقيقةٍ. كان هولدن يلهث ويحاوِل التقاط أنفاسه عندما بدأت المجموعة تتحرَّك مرَّة أخرى، وتحرَّك ميلر ليتبعهم، مدَّ يده وأمسك بحزام المُحقِّق، وترك ميلر يجذِبه، أين كان الحزامي النحيف يحتفِظ باحتياطي الطاقة هذا؟

توقَّف المُحقِّق، كان تعبير وجهه فارِغًا.

قال ميلر: «إنهم يتجادلون».

- «ماذا؟».

أجابه ميلر: «قائِد هذه المجموعة وبعض الرجال يتجادلون حول شيء ما».

سأله هولدن: «إذن؟». ثُم سعل شيئًا رطِبًا في يده، مسحها على ظهر سرواله، دون أن ينظُر ليرى إذا ما كانت دماء، من فضلكِ لا تكوني دماء.

هزَّ ميلر يديه مرَّة أخرى.

قال: «لا أعتقِد أن الجميع في نفس الفريق هنا».

انعطفت مجموعة الُمرتزقة في ممرٍّ آخرَ، وتبعهم ميلر، وهو يجذِب هولدن خلفه. كانت هذه هي الطوابِق الخارجية، المليئة بالمستودعات، ومستودعات إصلاح المركبات، وإعادة الإمداد، لم تتسِم تلك الطوابِق بالكثير من حركة السير على الأقدام في أفضل الأوقات. والآن، ردَّد الممر صدى خطوات أقدامهم مثل ضريح، وأمامهما، انعطفت مجموعة الُمرتزقة مرَّة أخرى، وقبل أن يصِل ميلر وهولدن إلى التقاطُع، لاح شخص وحيد في الأفق.

لم يبدُ مُسلَّحًا، ولذلك تحرَّك ميلر نحوه بحذرٍ، مد يده خلفه بفارغ الصبر وجذب يد هولدن من حزامه. وبمُجرَّد أن تحرَّر، مدَّ ميلر يده اليُسرى في إيماءةٍ شُرطيَّة لا لبس فيها.

قال: «هذا مكان خطير للتجوُّل فيه يا سيدي».

كان الرجل يتقدَّمهم بمسافة أقل من خمسة عشر مترًا، وبدأ يتحرَّك نحوهم مُترنِّحًا، كان يرتدي زيًّا مُناسبًا للحفلات مكوَّنًا من بدلة توكسيدو رخيصة وقميص مكشكش وربطة عُنق حمراء لامِعة، كما كان يرتدي حذاء أسود لامِعًا في قدمٍ، بينما كانت القدم الأخرى مُغطاة بجوربٍ أحمر فقط، والقيء البني يتساقَط من زوايا فمه ليُلطِّخ مُقدِّمة قميصه الأبيض.

قال ميلر وهو يرفع سلاحه: «تبًّا».

أمسك هولدن بذراعه وخفضها إلى الأسفل.

قال هولدن: «لا ذنب له في هذا». كان منظر الرجل المريض الُمصاب يحرق عينيه، أضاف: «لا ذنب له».

قال ميلر: «لا يزال قادِمًا».

قال هولدن: «امشِ بشكلٍ أسرع إذن، وإذا أطلقت النار على أي شخص آخر دون أن أسمح لك بذلك، فلن تصعد على متن مركبتي، هل تفهمني؟».

قال ميلر: «صدقني، الموت هو أفضل شيء يُمكِن أن يحدُث لذلك الرجل اليوم، أنت لا تُقدِّم له أي معروف».

أجابه هولدن وقد اكتست نبرته بغضبٍ حقيقي: «لا يُمكِنك أن تُقرِّر ذلك».

بدأ ميلر في الرد؛ لكن هولدن رفع يده ليُقاطِعه.

- «تُريد الصعود على متن (روسي)؟ أنا الرئيس إذن. لا أسئِلة، ولا هراء».

تحوَّلت ابتسامة ميلر المُتكلِّفة إلى ابتسامةٍ، وقال وهو يُشير إلى نهاية الممر: «حسنًا يا سيدي، إن مُرتزقتنا يتقدَّمون أمامنا».

أومأ ميلر برأسه وتحرَّك مرَّة أخرى بوتيرةٍ ثابتةٍ تُشبه الماكينة، لم يستدِرْ هولدن؛ لكن كان بإمكانه أن يسمع الرجل الذي كاد ميلر أن يُطلِق النار عليه وهو يصرُخ خلفه في الممر لفترةٍ طويلةٍ. وللتغطية على الصوت الذي ربما كان موجودًا في رأسه فقط بمُجرَّد قيامهما بانعطافين آخرين في الممر، بدأ يُدندِن اللحن الأساسي لـ (ميسكو وماريسكو) مرَّة أخرى.

كانت الأم إليز، التي كانت تبقى معه في المنزل عندما كان صغيرًا للغاية، تُحضِّر له شيئًا ليأكُله أثناء مُشاهدته، ثُم تجلِس بجانبه وهي تضع يدها على رأسه، وتعبث بشعره، كانت تضحَك على تصرُّفات الديناصور الطريفة أكثر مما يفعل، كما أنها جعلته في أحد أعياد الهالوين يرتدي قُبعة

وردية أكبر حتى من أن يرتديها الكونت مونجو الشرير، لماذا كان هذا الرجل يحاوِل صيد الديناصورات على أي حال؟ لم يكُن الأمر واضحًا أبدًا، ربما كان يُحِب الديناصورات، استخدم ذات مرَّة شُعاع الانكماش و...

اصطدم هولدن بظهر ميلر، توقَّف المُحقِّق فجأةً وبدأ يتحرَّك بسُرعةٍ الآن نحو أحد جانبي الممر، ربض مُنخفِضًا ليختبئ في الظل، حذا هولدن حذوه، فأمامهما، وعلى بُعد حوالي ثلاثين مترًا، كبرت مجموعة المُرتزقة وانقسمت إلى فصيلتين.

قال ميلر: «أجل، يمر الكثير من الناس بأوقاتٍ سيئةٍ حقًّا اليوم».

أومأ هولدن برأسه ومسح شيئًا رطبًا عن وجهه -كانت دماء- لم يكُن يعتقِد أنه اصطدم بظهر ميلر بقوةٍ كافيةٍ لتنزِف أنفه، وكان لديه شك في أن النزيف سيقف من تلقاء نفسه، تُصبِح الأغشية المُخاطيَّة هشَّة، ألم يكُن ذلك جزءًا من مخاطِر الحرق الإشعاعي؟ مزَّق قميصه، وسدَّ فتحتي أنفه بالقُماش بينما كان يُراقِب المشهد الذي كان يحدُث في نهاية الممر.

كان هناك مجموعتا إخلاء، وبدا أنهما مُنخرطتين في نوعٍ من الجدال المُحتدم عادةً، كان من المُمكِن أن يكون هذا أمرًا جيِّدًا. لم يهتَم هولدن بحياة المُرتزقة الاجتماعية؛ لكن هؤلاء المُرتزقة، الذين بلغ عددهم في ذلك الوقت قُرابة المائة، والذين كانوا مُدجَّجين بالسلاح، كانوا يسدُّون الطريق المؤدي إلى مركبته مما جعل من مُجادلتهم أمرًا يستحِق المُشاهدة.

قال ميلر بهدوءٍ، مُشيرًا إلى إحدى المجموعتين: رأعتقِد أنه لم يُغادِر جميع العاملين في بروتوجين، فهؤلاء الرجال الموجودون على اليمين لا يُشبِهون الفريق المضيف».

نظر هولدن إلى المجموعة وأومأ برأسه، كانوا بالتأكيد الجنود الأكثر احترافًا؛ حيث كانت دروعهم مُتناسقة تمام التناسُق، بينما بدت المجموعة الأخرى وكأنها تتكوَّن إلى حدٍّ كبيرٍ من مجموعة رجال يرتدون ملابِس شُرطة مُكافحة الشغب مع عدد قليل من الرجال الذين يرتدون دروعًا قتالية.

سأله ميلر: «هل تُريد أن تُخمِّن سبب هذا الجدل؟».

قال هولدن ساخرًا بلكنة سيريس: «مرحبًا، هل يُمكِننا الحصول على رحلةٍ بدورنا؟». «أوه، لا، نُريدكم أن تبقوا هنا يا رِفاق، وأن تُراقِبوا الأشياء التي نعدكم بأنها ستكون آمنةً للغاية، ولن تتضمَّن تحولكم إلى زومبي مُتقيأ على الإطلاق».

انتزع ضحكة من ميلر بالفعل قبل أن ينفجِر الممر في وابلٍ من إطلاق النار، كان طرفا النقاش يُطلِقان النار من أسلِحةٍ آليةٍ على بعضهما بعضًا من على مسافةٍ قريبةٍ، كان الضجيج يصُم الآذان، صرخ الرجال وتساقطوا أرضًا؛ ليرشوا الممر ويرشوا بعضهم بعضًا بالدماء والأشلاء، انبطح هولدن أرضًا لكنه استمرَّ في مُراقبة تبادُل إطلاق النيران.

بعد انتهاء القصف الأول، بدأ الناجون من كلا المجموعتين في التراجُع في اتجاهين مُتعاكسين، واستمرَّا في إطلاق النار أثناء تحرُّكهما، تناثرت الجُثث عند تقاطُع الممر، قدَّر هولدن أن عشرين رجلًا أو أكثر قد لقوا حتفهم في اللحظة الأولى من القِتال، تباعدت أصوات إطلاق النار بينما أطلقت المجموعتان النار على بعضهما بعضًا في الممر.

تحرَّكت إحدى الجُثث الموجودة في مُنتصف التقاطُع فجأة ورفع صاحبها رأسه، فظهر ثُقب رصاصة في مُنتصف درع وجهه قبل حتى أن

يتمكَّن الرجل الجريح من الوقوف على قدميه، وسقط على الأرض مرَّة أخرى بوهنٍ نهائي.

سأله ميلر: «أين مركبتك؟».

أجابه هولدن: «المصعد في نهاية هذا الممر».

بصق ميلر ما يُشبه البلغم الدموي على الأرض.

وقال: «الممر المؤدي إليه قد تحوَّل إلى منطقة حرب في الوقت الحالي؛ حيث تقنص المُعسكرات المُسلَّحة بعضها بعضًا من كلا الجانبين، أعتقِد أنه يُمكِننا أن نحاول الركض عبره».

سأله هولدن: «هل هناك خيار آخر؟».

نظر ميلر إلى جهازه اللوحي.

قال: «لقد تجاوزنا الموعد النهائي الذي حدَّدته ناعومي بخمس وثلاثين دقيقة، كم من الوقت تُريد أن تُضيعه؟».

قال هولدن: «انظر، لم أكُن جيِّدًا في الرياضيات على وجه الخصوص أبدًا؛ لكنني أعتقِد أن هناك ما يصِل إلى أربعين رجلًا في كلا الاتجاهين في نهاية ذلك الممر الآخر، والذي يبلغ عرضه ثلاثة أمتار أو ثلاثة أمتار ونصف. مما يعني أننا سنمنح ثمانين رجلًا مساحة ثلاثة أمتار لإطلاق النار علينا، وحتى مع قدر كبير من الحظ، سنتلقى الكثير من الضرب ثُم نموت، لنفكِّر في خطَّةٍ بديلةٍ».

اندلع قتال ناري آخر في الممر المُتقاطِع، مما تسبَّب في نزع قطع العزل المطاطي الخاصَّة بالجدار، ومزَّقت الجُثث القابِعة على الأرض، كما لو كان يؤكِّد على كلامه.

قال ميلر: «لا يزالون ينسحِبون، لقد جاءت هذه الطلقات من مسافةٍ بعيدةٍ، أعتقِد أنه يُمكِننا انتظارهم فحسب، أقصِد: إذا ما استطعنا».

لم توقف قطعة القماش التي حشرها هولدن في أنفه النزيف؛ بل قامت بحجزه بالأعلى فحسب. كان بإمكانه أن يشعُر بتقطيرٍ ثابتٍ في مؤخرة حلقه مما جعل معدته تنقبِض من أثر الغثيان، كان ميلر مُحقًّا، لقد وصلا إلى أقصى قُدرتيهما على انتظار أي شخص في هذه المرحلة.

قال هولدن وهو ينظُر إلى جُملة (الشبكة غير متوفِّرة) التي تومِض على جهازه اللوحي: «اللعنة، أتمنى لو نتصِل لنرى ما إذا كانت ناعومي لا تزال موجودة».

همس ميلر: «هششششش». واضِعًا إصبعه على شفتيه، أشار إلى نهاية الممر في الاتجاه الذي أتوا منه، وكان بإمكان هولدن الآن أن يسمَع صوت خطوات أقدام ثقيلة تقترِب.

قال ميلر: «الضيوف المتأخرون على الحفلة». وأومأ هولدن برأسه، تلفَّت الرجلان حولهما مصوِّبين سلاحيهما إلى نهاية الممر وهُما ينتظران.

اقتربت مجموعة مكوَّنة من أربعة رجال يرتدون ملابِس مُكافحة الشغب عبر الزاوية، لم يكُن معهم أسلحتهم، وخلع اثنان منهما خوذتيهما، يبدو أنهم لم يسمعوا عن الأعمال العدائية الجديدة، انتظر هولدن أن يُطلِق ميلر النار، وعندما لم يفعل، التفت لينظُر إليه، بادله ميلر النظر.

قال ميلر مُعتذرًا تقريبًا: «لا أرتدي ملابِس دافِئة حقًّا». استغرق الأمر هولدن لحظة ليفهم مقصده.

أعطاه هولدن الإذن ليُطلِق النار أولًا، صوَّب نحو أحد مُجرمي المافيا الذين لا يرتدون الخوذات وأطلَق النار عليه في وجهه، ثُم استمرَّ في إطلاق النار على المجموعة حتى انزلقت فوَّهة سلاحه عندما فرغت ذخيرته، بدأ ميلر في إطلاق النار بعد رصاصة هولدن الأولى، واستمرَّ في إطلاق النار حتى فرغت ذخيرته أيضًا، وعندما انتهى الأمر، استلقى المُجرمون الأربعة ووجوههم للأسفل في الممر. أطلَق هولدن نفسًا طويلًا تحوَّل إلى تنهيدةٍ، وجلس على الأرض.

مشى هولدن إلى الرجال الساقطين أرضًا ودفعهم واحدًا تلو الآخر بقدمه وهو يستبدِل مشط الذخيرة في سلاحه. لم يكُلِّف هولدن نفسه عناء إعادة تلقيم سلاحه. كان قد اكتفى من معارِك إطلاق النار. وَضَع المُسدَّس الفارغ في جيبه، ونهض لينضم إلى الشُّرطي. انحنى وبدأ في فك الدروع الأقل تعرُّضًا للضرر التي يُمكِن أن يجدها، رفع ميلر حاجبه لكنه لم يتحرَّك لمد يد المُساعدة.

قال هولدن وهو يبتلِع طعم القيء والدماء في حلقه وهو يُحرِّر درع الصدر والظهر من الرجل الأول: «سنقوم بالركض وصولًا إلى المركبة؛ لكن ربما إذا ارتدينا هذه الأشياء، فسوف تُساعِد».

قال ميلر بإيماءةٍ من رأسه: «ربما». ثُم جثا على رُكبتيه لمد يد المُساعدة في تجريد رجل آخر من دروعه.

ارتدى هولدن درع الرجل الميِّت باذلًا قصارى جهده كي يُقنِع نفسه أن الخط الوردي الموجود أسفل الظهر لم يكُن جزءًا من دماغ الرجل على الإطلاق، كان فك الأحزِمة مُرهِقًا، احتلَّ الخدر والارتباك أصابعه، أمسك بدرع الفخذ، ثُم وضعه مرَّة أخرى، كان يُفضِّل الركض بسُرعةٍ، كان ميلر قد انتهى من ربط درعه بدوره والتقط أحد الخوذات السليمة،

بينما وجد هولدن واحدة لا تُعاني سوى من انبعاجٍ فحسب ووضعها على رأسه، شعر بالشحم بداخلها، وكان سعيدًا لأنه لا يستطيع الشم، كان يشُك أن مُرتديها السابِق لم يستحِم كثيرًا.

عبث ميلر بجانِب خوذته حتى فُتِح اللاسلكي. تردَّد صدى صوت الشُّرطي بعد جُزء من الثانية عبر مُكبِّرات صوت الخوذة الصغيرة وهو يقول: «مرحبًا، سنخرُج من الممر! لا تُطلِقوا النار! نحن قادمون للانضمام إليكم! ».

وضع يده على الميكروفون، والتفت إلى هولدن قائِلًا: «حسنًا، ربما لن يقوم أحد الجانبين بإطلاق النار علينا الآن».

تحرَّكا نحو نهاية الممر وتوقَّفا على بُعد عشرة أمتار من التقاطُع، قام هولدن بالعد التنازُلي من رقم ثلاثة ثُم انطلق في أفضل عملية ركض يُمكِنه القيام بها، كان ركضه بطيئًا بشكلٍ يُثبط العزيمة؛ شَعَرَ وكأن ساقيه مُمتلئتان بالرصاص، كما لو كان يركُض في بركة ماء، كما لو كان في كابوس، كان بإمكانه أن يسمَع ميلر خلفه مباشرةً، وحذاؤه يضرب الأرضية الخرسانية، وأنفاسه تنفجر في شهقاتٍ خشنةٍ.

ثُم لم يعُد يسمَع سوى صوت إطلاق النار، لم يكُن بإمكانه معرفة إذا ما كانت خطَّة ميلر قد نجحت، لم يستطِع تحديد الاتجاه الذي أتت منه الطلقات النارية، لقد كانت مُستمرَّة وتصُم الآذان وبدأت في اللحظة التي دخل فيها إلى تقاطُع الممر، نكَّس رأسه وقفز للأمام، عندما أصبح على بُعد ثلاثة أمتار من الجانِب الآخر، بدا وكأنه يطير بسبب جاذبية إيروس المُنخفِضة، وكان قريبًا من الجانِب الآخر عندما أصابته دفقة من الرصاصات في الدرع فوق ضلوعه، وألقته نحو جدار الممر بشرخٍ في

العمود الفقري. جرَّ نفسه لبقية الطريق بينما استمرَّت الرصاصات في التناثُر حول ساقيه، قبل أن تمُر إحداهم عبر الجزء اللحمي من ربلة ساقه.

تعثَّر ميلر فوقه، قبل أن يطير على بُعد عدَّة أقدام في نهاية القاعة قبل أن ينهار متكوِّمًا، زحف هولدن إلى جواره.

- «هل لا تزال حيًّا؟».

أومأ ميلر برأسه وهو يقول لاهثًا: «لقد تعرَّضت لإطلاق النار، انكسر ذراعي، استمر في الحركة».

وقف هولدن على قدميه، شعر بساقه اليُسرى وكأنها مُشتعِلة بالنيران، بسبب انقباض العضلة حول جرحه المفتوح، جذب ميلر ثُم اتكأ عليه وهُما يعرجان نحو المصعد، تدلَّت ذراع ميلر اليُسرى بجواره دون عظام، والدم يسيل من يده.

ضغط هولدن على زر استدعاء المصعد، واتكأ هو وميلر على بعضهما بعضًا أثناء انتظارهما دندن بلحن ميسكو وماريسكو لنفسه، وبعد بضع ثوانٍ، بدأ ميلر يفعل الأمر نفسه بدوره.

ضغط هولدن زر مرسى (روسينانت)، وطفق ينتظر أن يتوقَّف المصعد عند باب غُرفة مُعادلة الضغط الرمادي الخالي والذي لا توجد مركبة من خلفه، وعندما يحدُث ذلك، سيحصُل أخيرًا على إذنٍ بالاستلقاء على الأرض والموت، كان يتطلَّع إلى تلك اللحظة التي يُمكِن أن تنتهي فيها جهوده براحةٍ كانت ستُفاجئه إذا كان لا يزال قادرًا على الشعور بالمُفاجأة، تركه ميلر وانزلق على جدار المصعد، مُخلِّفًا خطًّا من الدماء على المعدن اللامِع، لينتهي به الأمر في كومةٍ من الدماء على الأرض، كانت عينا الرجل مُغلقتين. كان من المُمكِن أن يكون قد

استسلَم للنوم، راقب هولدن صدر المُحقِّق وهو يعلو ويهبط في أنفاسٍ خشنةٍ مليئة بالألم أصبحت الآن أكثر سلاسة وسطحية.

كان هولدن يحسده؛ لكن كان عليه أن يرى باب غُرفة مُعادلة الضغط المُغلقة قبل أن يتمكَّن من الاستلقاء، بدأ يشعُر بالغضب الخفيف من المصعد لاستهلاكه الكثير من الوقت.

توقَّف، انزلقت أبواب المصعد جانبًا وهي تُفتَح بضجةٍ مُبهجةٍ.

وقف أموس على الجانِب الآخر من غُرفة مُعادلة الضغط، مُمسكًا ببندقيةٍ آليةٍ في كُل يد وحزامين من أمشاط ذخيرة البنادِق يتدليان على كتفيه، نظر إلى هولدن مليًّا لمرَّةٍ قبل أن ينظُر إلى ميلر ويعود إليه مرَّة أخرى.

- «اللعنة، تبدو بحالةٍ مُزريةٍ أيها القُبطان».

(٣٢)
ميلر

أعاد عقل ميلر التجمُّع ببطءٍ وبعدَّة بدايات خاطِئة، كان يضع قطع اللغز التي لا تنفك تُغيِّر أشكالها جنبًا إلى جنبٍ، وفي كُل مرَّة، عندما يكون على وشك تحريك الميكانيكيَّة بأكملها سويًّا، يبدأ الحلم مرَّة أخرى، كان أول ما شَعَرَ به هو ألم أسفل ظهره، ثُم ثِقَل ذراعيه وساقيه، ثُم الغثيان، وكلما اقترب من استعادة وعيه، حاوَل تأجيله أكثر، حاوَلت أصابع خياليَّة إكمال اللغز، وقبل أن يتمكَّن من وضع كُل شيء في مكانه، فُتِحَت عيناه.

لم يستطِع تحريك رأسه، كان هناك شيء ما في عُنقه: حزمة سميكة من الأنابيب السوداء التي تخرُج منه وتتخطى حدود بصره، حاول أن يرفع ذراعيه؛ ليدفع الشيء مصَّاص الدماء المُعتدي بعيدًا؛ لكنه لم يستطِع.

فكَّر في خوفٍ عارمٍ: لقد نال مني، أنا مُصاب بالعدوى.

ظهرت المرأة عن يساره، تفاجأ بأنها لم تكُن جولي ببشرةٍ بنيَّةٍ داكِنةٍ، وأعين سوداء بها طيَّة لحميَّة صغيرة، ابتسمت له، وشعرها الأسود يسقُط ملفوفًا على جانِب وجهها.

أسفل! لقد كان هناك أسفل! كانت هناك جاذبية، كانوا تحت تأثير قوَّة الدفع، بدا هذا مُهمًّا للغاية؛ لكنه لم يكُن يعرِف السبب.

قالت ناعومي: «مرحبًا أيها المُحقِّق، مرحبًا بعودتك».

حاوَل أن يقول: أين أنا؟ لكنه شَعَر بحلقه صلبًا، مزدحمًا مثل عربة مترو أنفاق مليئة بالكثير من الأشخاص.

قالت: «لا تحاوِل النهوض أو التحدُّث أو القيام بأي شيء، فقد كُنا بالأسفل لست وثلاثين ساعة تقريبًا. الأخبار الجيِّدة هي أنه لدينا مرفق طبي به نظام خبير من الدرجة العسكرية، وإمدادات تكفي خمسة عشر جُنديًّا مريخيًّا، أعتقِد أننا أنفقنا نصف ما حصلنا عليه عليك أنت والقُبطان».

القُبطان! هولدن! كان هذا صحيحًا! لقد كانوا في معركةٍ، كان هناك ممر وناس يُطلِقون النار، وكان شخص ما مريض، تذكَّر وجود امرأة مُغطَّاة بالقيء البُني بعينين فارغتين؛ لكنه لم يكُن يعرِف إذا ما كان ذلك جزءًا من كابوسٍ.

كانت ناعومي لا تزال تتحدَّث، شيء ما عند تدفُّق البلازما الكامِل وتلف الخلايا، حاوَل أن يرفع يده، أن يمد يده إليها؛ لكن رباطًا قيَّده، كان الألم الموجود في ظهره هو ألم كليتيه، وتساءل ما الذي يتم تصفيته من دمه بالضبط، أغلق ميلر عينيه، وسقط في النوم قبل أن يُقرِّر إذا ما كان سيستريح.

لم تُزعِجه أي أحلام هذه المرَّة، استيقظ مرَّة أخرى عندما تحرَّك شيء ما نهاية حلقه، وشدَّ حنجرته، وتراجَع، انقلب على جانبه دون أن يفتَح عينيه، سَعَلَ، تقيَّأ، وانقلب مرَّة أخرى.

كان يتنفَّس من تلقاء نفسه عندما استيقظ، شعر بحلقه يؤلِمه بعدما تعرَّض لُمعاملةٍ سيئةٍ؛ لكن يديه لم تكونا مُقيَّدتين، اخترقت أنابيب التصريف بطنه وجانِبه، وكانت هناك قسطرة بحجم القلم الرصاص تخرُج من قضيبه، لم يشعُر بشيءٍ يؤلِمه على وجه الخصوص، ولذلك كان عليه أن يفترِض أنه كان يتعاطى جميع الُمسكِّنات الموجودة، اختفت ملابسه، ولم يُحافِظ على احتشامه سوي ثوب ورقي رقيق، وجبيرة كانت تُثبِّت ذراعه اليُسرى بإحكامٍ وثباتٍ، وكان أحدهم قد وَضَع قُبعته على الفراش المجاوِر له.

بدا له المرفق الطبي، بعد أن تسنَّت له رؤيته، وكأنه جناح في بث ترفيهي عالي الإنتاج، لم تكُن مُستشفى؛ بل كانت الفكرة ذات اللونين الأسود والفضي غير لامعين لما يُفترَض أن تكون عليه الُمستشفى، عُلقت شاشات الُمراقبة في الهواء فوق أجهزة مُعقَّدة للإبلاغ عن ضغط دمه، وتركيزات الحمض النووي، ونسبة الأكسجين، وتوازُن السوائِل، كما كان هناك عدَّان تنازليان قائمان، أحدهما يخُص الجولة التالية من الأوتوفاج، أما الآخر فكان يخُص مُسكِّنات الألم، وعبر الممر في محطةٍ أخرى، بدت إحصائيات هولدن مُشابِهة إلى حدٍّ ما.

بدا هولدن كالشبح ببشرةٍ شاحبةٍ وعينين حمراوين مليئتين بهالة نزيف صغير، وكان وجهه مُنتفخًا من أثر الُمنشِّطات.

قال ميلر: «مرحبًا».

رفع هولدن يده ملوِّحًا برفقٍ.

قال ميلر بصوتٍ يجعله يبدو وكأنه قد تمَّ جرُّه من كاحليه إلى زقاقٍ: «لقد فعلناها».

قال هولدن: «أجل».

- «كان ذلك بشعًا».
- «أجل».

أومأ ميلر برأسه فاستهلك ذلك كُل طاقته، استلقى على ظهره وسقط، إن لم يكُن في النوم، فعلى الأقل كان فاقِدًا للوعي، وابتسم قبل أن يسقُط عقله مرَّة أخرى في فخ النسيان، لقد فعلها، لقد كان على متن مركبة هولدن، وكانوا سيجدون ما تركته جولي خلفها من أجلهم.

أيقظته الأصوات.

- «ربما لا ينبغي لك أن تفعل إذن».

كانت المرأة -ناعومي- سبَّبها جُزء من ميلر على إزعاجها له؛ لكن كان هناك دوي في صوتها -ليس خوفًا أو غضبًا؛ لكنها قريبة بما فيه الكفاية لتكون مُثيرة للاهتمام- لم يتحرَّك، لم يسبح حتى عائدًا إلى وعيه؛ لكنه أنصت السمع.

قال هولدن بصوتٍ كتمه البلغَم: «أنا بحاجةٍ للقيام بذلك». بدا كشخصٍ يحتاج إلى السعال وهو يُضيف: «فما حدث في إيروس... قد وضع الكثير من الأشياء في نصابها الصحيح، لقد كُنت أحجِّم شيئًا ما».

- «يا قُبطان... ».
- «لا، اسمعيني، عندما كُنت هناك أفكِّر في أنه كُل ما تبقى لي هو نصف ساعة من ألعاب الباتشينكو المزوَّرة ثُم الموت...عندما حدث ذلك، كُنت أعرف ما ندمي، هل تفهمين قصدي؟ شعرت بكُل الأشياء التي كُنت أتمنى أن أفعلها ولم يكُن لديَّ

الشجاعة الكافية للقيام بها. والآن بعد أن علِمت، لم يعُد بإمكاني تجاهُلها، لم يعُد بإمكاني التظاهُر بأنها غير موجودة».

قالت ناعومي مرَّة أخرى، وقد زاد الدوي الموجود في صوتها: «يا قُبطان».

قال ميلر لنفسه: لا تقُلها، أيها الوغد المسكين.

قال هولدن: «أنا مُغرَم بكِ يا ناعومي».

لم يستمِر التوقُّف أكثر من طرفة عين.

قالت: «لا يا سيدي، أنت لست كذلك».

- «بلى، أنا كذلك، أعرف بم تُفكِّرين، أنني مررت بهذه التجرِبة الصادِمة الضخمة، وأنني أفعل كُل شيء بخصوص تأكيد الحياة وإقامة العلاقات، وربما كان بعض ذلك جزءًا من الأمر؛ لكن عليكِ أن تُصدِّقي أنني أعرِف ما أشعُر به، وعندما كُنت هناك بالأسفل، كُنت أعرِف أن أكثر ما أريده هو العودة إليكِ».
- «منذ متى ونحن نخدم معًا أيها القُبطان؟».
- «ماذا؟ لا أعرِف بالضبط... ».
- «الوقت التقريبي».

قال هولدن: «ثماني رحلات ونصف، مما يجعلها خمس سنوات تقريبًا». كان بإمكان ميلر أن يسمَع الارتباك في صوته.

- «حسنًا، وخلال ذلك الوقت، كم عدد أفراد الطاقم الذين شاركتهم الفراش؟».
- «هل هذا مُهم؟».

- «بعض الشيء».
- «القليل منهم».
- «أكثر من دزينة؟».

قال: «لا»؛ لكنه لم يبدُ مُتأكِّدًا.

قالت ناعومي: «لنقُل إنهم عشرة».

- «حسنًا؛ لكن هذا مُختلِف، أنا لا أتحدَّث عن وجود قليل من الرومانسية على ظهر المركب لتمضية الوقت، منذ أن... ».

تخيَّل ميلر أن المرأة قد رفعت يدها، أو أمسكت بيد هولدن، أو ربما حدَّقت به فحسب، فعلت شيئًا ما لوقف تدفُّق الكلمات.

- «وهل تعلَم متى وقعت في حُبِّك يا سيدي؟».

الحُزن، كان ذلك هو الضغط الذي يحتل صوتها، الحُزن، وخيبة الأمل، والندم.

- «عند... عندما... ».

قالت ناعومي: «بإمكاني أن أخبرك باليوم، كانت قد مرَّت سبعة أسابيع على تلك الرحلة الأولى، كُنت لا أزال أحترِق ألمًا لأن أرضي ما قد أتوا عبر كسوف الشمس ليسلبني وظيفتي كمُديرة تنفيذية، لم أكُن مُعجبة بك كثيرًا في البداية، لقد كُنت ساحرًا للغاية، جميلًا للغاية، ومرتاحًا للغاية في منصبي اللعين؛ لكن كانت هناك لعبة بوكر في غُرفة المُحرِّكات. أنا وأنت وهذان الصبيان من لونا خارِج غُرفة المُحرِّكات وكامالا تراسك، هل تتذكَّر تراسك؟».

- «لقد كانت فنيَّة الاتصالات، تلك التي كانت... ».

- «ضخمة كالثلاجة؟ وتتمتَّع بوجهٍ يُشبِه جرو البولدوج؟».
- «أتذكَّرها».
- «لقد كانت أكثر شخص مُعجب بك، اعتادت أن تبكي ليلًا حتى تسقط في النوم بشكلٍ يومي طوال تلك الرحلة، لم تنضَم إلى تلك اللعبة لأنها كانت مُهتمَّة بلعب البوكر. أرادت فقط أن تتواجد حولك، وكان الجميع يعرف ذلك -حتى أنت- كُنت أراقِبكما طوال هذه الليلة، ولم تُماشيها ولو لمرَّةٍ، لم تُعطِها أبدًا أي سبب للاعتقاد بأن لديها فُرصة معك، وعلى الرغم من ذلك كُنت تُعاملها باحترامٍ، كانت هذه هي المرَّة الأولى التي اعتقدت فيها أنك مُدير تنفيذي جيِّد، كما كانت المرَّة الأولى التي أتمنى فيها أن أكون الفتاة التي ستُشاركك الفراش في نهاية الوردية».
- «بسبب تراسك؟».
- «بسببها، ولأنك أيضًا تملك مؤخرة رائِعة يا سيدي، نقطتي هي أننا طرنا سويًّا لما يزيد عن الأربع سنوات، وكُنت سأرافقك في أي يوم من تلك المُدَّة إذا ما سألتني».

قال هولدن: «لم أكُن أعلَم». بدا مخنوقًا بعض الشي.

- «لم تسأل، لطالما حطَّت عيناك في مكانٍ آخَر، وبصراحة... أعتقِد أن النساء الحزاميات قد أفسدنك، حتى على متن (كانت)... حتى أصبحنا نحن الخمسة فقط، لقد رأيتك تنظُر لي، وكُنت أعرِف بالضبط ما تعنيه هذه النظرات؛ لأنني قضيت أكثر من أربع سنوات على الجانِب الآخر منها؛ لكنني لم ألفِت انتباهك إلا عندما كُنت الأنثى الوحيدة على متن المركبة، وهذا ليس جيِّدًا بما فيه الكفاية بالنسبة لي».

- «لم أكُن أعلَم... ».
- «لا يا سيدي، لم تكُن تعلَم، هذه هي النُقطة التي رغبت في توضيحها، لقد شاهدتك تغوي الكثير من النساء، وأعلَم كيف تفعل ذلك، أنت تجتمِع معها، وتتحمَّس لها، ثُم تُقنِع نفسك بأن لديكما نوعًا من الاتصال الخاص، وبحلول الوقت الذي تُصدِّق فيه ذلك، عادةً ما تعتقِد هي أن هذا صحيح بدورها، ثُم تُمارسان الجنس لفترةٍ من الوقت، وتتلاشى الروابِط رويدًا رويدًا، يقول أحدكما شيئًا من الحدود المهنيَّة، أو الحدود اللائِقة، أو يبدأ بالقلق بشأن ما سيُفكِّر فيه الطاقم، وينزلِق كُل شيء بعيدًا، وبعد ذلك يستمرُّون في حبِّك – جميعهم- أنت تفعل كُل شيء بشكلٍ جيِّد لدرجة أنهم لا يشعرون حتى إنهم يكرهونك لهذا السبب».
- «هذا ليس صحيحًا».
- «بل هو صحيح، وحتى تكتشِف أنه ليس عليك أن تُحِب كُل من تُمارس الجنس معهن، لن أعرِف أبدًا إذا ما كُنت تُحبني أم تُريد أن تُمارِس معي الجنس فحسب، ولن أمارِس معك الجنس حتى تعرف أيهما تُريد، فالتعويض الجزائي لا يتعلَّق بالحُب».
- «كُنت فقط... ».
- «إذا كُنت تُريد أن تُمارِس معي الجنس، فكُن صريحًا، احترمني بما فيه الكفاية لذلك، حسنًا؟».

سعل ميلر، لم يكُن يقصِد ذلك، ولم يكُن يُدرِك أنه سيفعل، انقبضت معدته، وضاق الخِناق على حلقه، وسعل سعالًا رطبًا وقويًّا، وبمُجرَّد أن بدأ، كان من الصعب عليه أن يتوقَّف، جَلَسَ وعيناه تدمعان من هذا

الجُهد، كان هولدن مُستلقيًا على فراشه، وناعومي تجلِس على الفراش المجاوِر، تبتسِم وكأنه لم يكُن هناك شيء ليسمعه، كشفت شاشات هولدن عن ارتفاع في مُعدَّل ضربات القلب وضغط الدم، كان ميلر فقط يأمل ألا يكون قضيب المسكين قد انتصب في ظل وجود القسطرة بداخله.

قالت ناعومي: «مرحبًا أيها المُحقِّق، كيف حالك؟».

أومأ ميلر برأسه.

قال: «لقد كُنت أسوأ من قبل». ثُم أضاف بعد لحظة: «لا، لم أكُن أسوأ؛ لكنني على ما يُرام، ما مدى سوء الأمر؟».

قالت ناعومي: «كلاكما ميِّت، لقد كان علينا تجاوُز عوامِل تصفية الفرز أكثر من مرَّةٍ لكليكما حقًّا، استمرَّ النظام الخبير في حقنكما بنظام العناية المُركَّزة، وحقنكم بالكامِل بالمورفين».

قالت ذلك باستخفافٍ؛ لكنه صدَّقها، حاوَل الجلوس؛ لكن جسده كان لا يزال ثقيلًا للغاية، إلا أنه لم يكُن يعرِف إذا كان ذلك بسبب ضعفه، أو بسبب دفع المركبة، كان هولدن هادِئًا، مُطبقًا فمه بإحكامٍ، وتظاهَر ميلر بعدم ملاحظة ذلك.

- «ماذا عن التقديرات طويلة الأجل؟».
- «سيحتاج كلاكما إلى الفحص بحثًا عن ظهور سرطانات جديدة كُل شهر لبقية حياتكما، خضع القُبطان لعملية زرع جديدة في المكان الذي كانت فيه الغُدَّة الدرقية، بعد أن تمَّ تدمير غُدته الدرقية الحقيقية إلى حدٍّ كبيرٍ. اضطررنا إلى استئصال حوالي قدم ونصف من أمعائك الدقيقة التي لم تتوقَّف عن النزيف، سيُصاب كلاكما بالكدمات بسهولةٍ

لبعض الوقت، وآمُل أن يكون لديك بعض الحيوانات المنوية في أحد البنوك في مكانٍ ما، إذا كُنت تُريد أطفالًا؛ لأن كُل جنودك الصغار يتمتَّعون برأسين في الوقت الحالي».

ضَحِكَ ميلر، ومضت شاشاته إلى وضع التنبيه ثُم عادت مرَّة أخرى.

قال: «يبدو أنكِ تدرَّبتِ على التكنولوچيا الطبيَّة».

قالت: «لا. تدرَّبت على الهندسة؛ لكنني كُنت أقرأ المطبوعات كُل يوم، ولذلك فهمت اللغة، أتمنى لو كان شيد لا يزال موجودًا»، وبدت حزينة للمرَّة الأولى.

كانت هذه هي المرَّة الثانية التي يذكُر فيها شخص ما شيد، كانت هناك قصة هنا؛ لكن ميلر تركها تمضي.

سألها: «هل سنُعاني من تساقُط الشعر؟».

قالت ناعومي: «ربما، لقد ملأك النظام بالأدوية التي من المُفترض أن توقف ذلك؛ لكن إذا ماتت البُصيلات، فقد انتهى الأمر».

- «حسنًا، الأمر الجيِّد هو أنني ما زلت أملِك قُبعتي، ماذا عن إيروس؟».

خانتها نغمة صوتها الكاذِبة الخافِتة.

قال هولدن من فراشه، وهو يلتفِت لينظُر إلى ميلر: «لقد مات، أعتقِد أننا كُنا آخر مركبة خرجت، لا تجيب المحطَّة على النداءات، وجميع الأنظمة الأوتوماتيكية مُغلقة في حجرٍ صحي».

سأله ميلر: «ماذا عن مركبات الإنقاذ؟». سَعَل مرَّة أخرى، كان حلقه لا يزال يؤلمه.

قالت ناعومي: «لن يحدُث، لقد كان هناك مليون ونصف شخص على متن المحطَّة، لا يملك أحد الموارِد اللازِمة للقيام بهذا النوع من عمليات الإنقاذ».

قال هولدن: «فهناك حرب مُستمرَّة في النهاية».

***

قام نظام المركبة بتخفيف الإضاءة ليلًا، استلقى ميلر على فراشه، كان النظام الخبير قد عدَّل خطته العلاجية إلى مرحلةٍ أخرى، وعلى مدى الساعات الثلاثة الماضية، كان يتنقَّل بين ارتفاع درجة الحرارة وقشعريرة البرد التي تجعل الأسنان تصطك، آلمته أسنانه وأظافِر أصابع يديه وقدميه، لم يكُن النوم خيارًا مطروحًا، لذا استلقى في الظلام محاولًا لملمة شتات نفسه.

تساءل عمَّا كان يُمكِن لشُركائه القدامى أن يفعلوه بشأن سلوكه على متن إيروس: هافلوك. موس. حاوَل أن يتخيَّلهما في مكانه، لقد قتل الناس، وفعل ذلك بدمٍ باردٍ، فقد كان إيروس عبارة عن صندوق قتل، وعندما يُريد الناس المسؤولون عن تطبيق القانون قتلك، لا يعود لتطبيق القانون وجودًا، كما أن بعض هؤلاء الحمقى القتلى هم من قتلوا جولي.

لقد قتل بدافِع الانتقام إذن. هل كان يُريد القتل بدافِع الانتقام حقًّا؟ كانت هذه فكرة حزينة، حاوَل أن يتخيَّل جولي جالِسة بجواره كما كانت ناعومي تجلِس بجوار هولدن، بدا الأمر وكأنها كانت تنتظِر الدعوة، جولي ماو، التي لم يكُن يعرِفها حقًّا، رفعت يدها في تحيةٍ.

سألها وهو ينظُر في عينيها الداكِنتين غير الحقيقيتين: وماذا عَنّا؟ هل أحبُّك، أم أنني أريد فقط أن أحبَّك بشدةٍ لدرجة أنني لا أستطيع معرفة الفرق؟

قال هولدن: «مرحبًا يا ميلر، هل أنت مُستيقظ؟». فاختفت جولي.

- «أجل، لا يُمكِنني النوم».
- «وأنا أيضًا».

ظلّا صامتين للحظةٍ. همهم نظام الخبير، شعر ميلر بالحكَّة في ذراعه اليُسرى تحت الجبيرة بينما مرَّت الأنسِجة بجولةٍ أخرى من إعادة النمو القسري.

سأله ميلر: «هل أنت بخير؟».

سأله هولدن بحدةٍ: «ولماذا لن أكون؟».

قال ميلر: «قد قتلت ذلك الرجل، هناك في المحطَّة، لقد أطلقت النار عليه، أعني أنك قد أطلقت النار على الرجال من قبل، هناك في الفُندق؛ لكن في النهاية هناك، أطلقت النار على وجه شخص ما حقًّا».

- «أجل، لقد فعلت ذلك».
- «هل تجيد فعل ذلك؟».

قال هولدن بسُرعةٍ شديدةٍ: «بالتأكيد».

همهمت أجهزة إعادة تدوير الهواء، وضغطت قبضة ضغط الدم على يد ميلر كذراعٍ، لم يتحدَّث هولدن؛ لكن عندما أمعن ميلر النظر إليه، كان بإمكانه أن يرى ارتفاع ضغط الدم وزيادة نشاط الدماغ.

قال ميلر: «لطالما أجبرونا على قضاء الإجازات».

- «ماذا؟».
- «عندما تُطلِق النار على شخصٍ ما، سواء مات أو لم يمُت، يجعلوننا دائمًا نحظى بإجازةٍ، يصادِرون سلاحنا، ونذهب للتحدُّث مع الطبيب النفسي».

قال هولدن: «بيروقراطيون».

قال ميلر: «لديهم وجهة نظر، فإطلاق النار على شخصٍ ما يُغيِّر شيئًا ما بك، وقتل شخص ما... هذا أسوأ، لا يهم إذا كان قد هاجمك أو لم يكُن لديك خيار، أو ربما هناك فرق بسيط؛ لكنه لا يُساعدك على تجاوز الأمر».

- «يبدو لي أنك تجاوزت الأمر على الرغم من ذلك».

قال ميلر: «ربما، انظر، كُل ما قُلته هناك عن كيفية قتل شخص ما؟ عن كيف أن تركهم على قيد الحياة لم يكُن يُقدِّم لهم أي معروف؟ أنا آسف لحدوث ذلك».

- «هل تعتقِد أنك كُنت مخطئًا؟».
- «لست مُخطئًا؛ لكنني لا زلت أشعُر بالأسف أن هذا حدث».
- «حسنًا».
- «رباه، انظر، أنا أقصِد أنه أمر جيِّد أن يُزعِجك الأمر، أنه أمر جيِّد أنك لا تستطيع التوقُّف عن رؤيته أو عن سماعه، هل تعرف هذا الجزء حيث يُطاردك الأمر؟ هذه هي الطريقة التي من المُفترض أن يحدُث بها الأمر؟».

هدأ هولدن للحظةٍ، وعندما تحدَّث مرَّة أخرى، كان صوته جافًّا كحجرٍ.

- «لقد قتلت الناس من قبل كما تعلَم؛ لكنهم كانوا مُجرَّد إشارات ضوئية على شاشة الرادار، أنا... ».

قال ميلر: «ليس الأمر نفسه، أليس كذلك؟».

أجابه هولدن: «لا، ليس نفسه، هل يمضي هذا بعيدًا؟».

قال ميلر لنفسه: أحيانًا.

قال: «لا، ليس إذا كان لا يزال لديك روح».

- «حسنًا، شكرًا».
- «هناك شيء آخر».
- «ماذا؟».
- «أعرِف أن هذا ليس من شأني؛ لكنني لن أسمَح لها بإيقافك، أنت لا تفهم الجنس والحُب والنساء إذن، هذا يعني أنك ولدت بقضيبٍ أما بشأن هذه الفتاة –ناعومي- يبدو أنها تستحِق بذل القليل من الجُهد في ذلك، هل تفهم قصدي؟».

قال هولدن: «أجل». ثُم أضاف: «هل يُمكِننا ألا نتحدَّث عن ذلك مرَّة أخرى أبدًا؟».

- «بالتأكيد».

أصدرت المركبة صوت صرير وتغيَّرت الجاذبية درجة عن يمين ميلر، تصحيح مسار، لا شيء مهم، أغلق ميلر عينيه وحاوَل أن ينام، كان عقله مليئًا بالرجال الموتى، وجولي، والحُب، والجنس. كان هناك شيء ما قاله هولدن عن الحرب وكان مُهمًّا؛ لكنه لا يستطيع تبيُّن الأمر، لا تنفك قطع اللغز تتغيَّر. تنهَّد ميلر وقام بالاعتدال فقام بسد أحد أنابيب الصرف الخاصَّة به، واضطرَّ إلى الرجوع لوضعه السابِق لإيقاف التنبيه.

عندما انطلقت قبضة ضغط الدم مرَّة أخرى، كانت جولي تحتضِنه، وتقترِب منه بشدةٍ لدرجة أن شفتيها لامستا أذنه، انفتحت عيناه، ورأى عقله كلًّا من الفتاة الخيالية والشاشات التي كانت لتقف أمامها إذا كانت موجودة هنا حقًّا.

قالت: وأنا أحبُّك أيضًا، وسأعتني بك.

ابتسم وهو يرى الأرقام تتغيَّر مع تسارُع ضربات قلبه.

(٣٣)

هولدن

استلقى هولدن وميلر على ظهريهما في المرفق الطبي لِمُدَّة خمسة أيام أخرى، بينما احترق النظام الشمسي من حولهما، قالت التقارير إن وفاة إيروس جاءت بسبب الانهيار البيئي الهائِل الناجِم عن نقص الإمدادات المُرتبِط بالحرب للتعتيم على الهجوم المريخي، على حادِث مُختبَر الحزام السري للأسلِحة البيولوچية. أظهرت تحاليل الكواكِب الداخلية أن (أوبا) والإرهابيين الآخرين من نفس شاكلتهم قد أظهروا أخيرًا مدى الخطورة التي يُمكِن أن يُشكِّلوها على السُّكَّان المدنيين الأبرياء. ألقى الحزام باللوم على المريخ، أو على أطقُم الصيانة في إيروس، أو على (أوبا) لعدم إيقاف الأمر.

ثُم حاصرت مجموعة من الفرقاطات المريخيَّة بالّاس، وانتهى تمرُّد على متن جانيميد بمقتل ستة عشر شخصًا، وأعلنت حكومة سيريس الجديدة أنها قد تمَّ الاستيلاء على جميع المركبات ذات السجل المريخي الراسية في المحطَّة، وتواصلت التهديدات والاتهامات، حَدَثَ كُل ذلك وسط ضجيج الخلفية البشرية المُستمِر لطبول الحرب. كان ما حَدَثَ في إيروس مأساة وجريمة؛ لكنه انتهى، وظهرت أخطار جديدة في كُل ركن من أركان الفضاء البشري.

أغلَق هولدن موجز الأنباء الخاص به، وتململ في فراشه، وحاوَل إيقاظ ميلر من خلال التحديق به؛ لكن الأمر لم يفلح. لقد فشل التعرُّض الهائِل للإشعاع في منحه قوى خارقة، بدأ ميلر في الشخير.

جَلَسَ هولدن ليختبِر الجاذبية. أقل من ربع (ج). لم يكُن أليكس في عجلةٍ من أمره. كانت ناعومي تمنحه هو وميلر الوقت الكافِي للشفاء قبل وصولهم إلى كويكب جولي الغامِض.

اللعنة.

ناعومي.

كانت المرَّات القليلة الماضية التي دخلت فيها إلى المرفق الطبي مُحرِجة. لم تتحدَّث في موضوع لفتته الرومانسية الفاشِلة مرَّة أخرى؛ لكنه يشعُر الآن بحاجزٍ بينهما وهو الأمر الذي جعله يمتلئ بالندم. كان ميلر يُشيح بنظره بعيدًا ويتنهَّد في كُل مرَّة تُغادِر فيها الغُرفة، وهو ما زاد الأمر سوءًا.

لكنه لن يستطِيع تجنُّبها للأبد، مهما شعر أنه أحمق، أرجَح قدميه من على حافَّة الفراش وضغط على الأرض، شعرت ساقاه بالضعف لكنهما لم تكونا مطاطيتين، آلمه باطِن قدميه قليلًا؛ لكنه كان ألمًا أخف من ألم أي شيء آخر في جسده، وقف مُستندًا بإحدى يديه على الفراش، واختبر اتزانه، ترنَّح لكنه ظلَّ مُنتصِبًا، طمأنته خطوتان إلى أن المشي مُمكِن في الجاذبية الخفيفة، جذبه خط تغذية الوريد، كان مُجرَّد كيس واحِد من شيء أزرق باهِت، لم يكُن لديه أي فكرة عن ماهيته؛ لكن بعد وصف ناعومي لمدى اقترابه من الموت، اعتقد أن هذا لا بُدَّ أن يكون مُهمًّا، سحبه من خُطَّاف الحائِط وأمسكه في يده اليُسرى، بدت رائِحة الغُرفة مثل المُطهِّر والإسهال، كان سعيدًا بالمُغادرة.

سأله ميلر بصوتٍ ضعيفٍ: «إلى أين تذهب؟».

«إلى الخارِج». باغتت هولدن ذكرى عميقة ومُفاجأة حدثت عندما كان في الخامِسة عشرة من عُمره.

قال ميلر: «حسنًا». ثُم انقلب على جانِبه.

كانت فتحة المرفق الطبي تبتعِد أربعة أمتار عن السلَّم المركزي، وهي المسافة التي قطعها هولدن بخطى بطيئة ودقيقة، أصدرت جوارِبه الورقية صوت جرجرة خافِت على الأرضية المعدنية المُغطَّاة بالقُماش. هزمه السلم نفسه، وعلى الرغم من أن العمليات كانت على ارتفاع طابق واحد، فإن التسلُّق لارتفاع ثلاثة أمتار قد يبدو كألفٍ كذلك. ضَغَطَ على زر استدعاء المصعَد، وبعد ثوانٍ قليلة، انفتحَت فتحة الأرضية وصَعد المصعد وسط أنين كهربائي. حاوَل هولدن القفز على متنه لكنه لم ينجح سوى في نوعٍ من السقوط بالتصوير البطيء الذي انتهى بتشبُّثه بالسلم وركوعه على منصَّة الرفع، أوقَف المصعد، وجَذَب نفسه ليقف بشكلٍ مُستقيم، وبدأ تشغيله مرَّة أخرى، ثُم صَعد به إلى الطابق التالي فيما كان يأمل بأنها وضعية أقل شبهًا بالمهزوم، وأكثر شبهًا بالقُبطان.

قال أموس عندما توقَّف المصعد: «اللعنة، لا تزال تبدو بحالةٍ مُزريةٍ أيها القُبطان». كان الميكانيكي مُمدَّدًا على مقعدين في محطَّات الاستشعار، ويمضُغ ما يُشبه شريطًا من الجلد.

- «لا تنفك تقول ذلك».
- «ولا ينفك يكون صحيحًا».

قالت ناعومي: «أليس لديك عمل لتقوم به يا أموس؟». كانت تجلِس في إحدى محطَّات الحاسوب، تُشاهد شيئًا ما يتوهَّج على الشاشة، لم ترفع

ناظريها عنه عندما دخل هولدن إلى سطح المركبة، كانت تلك علامةً سيئةً.

أجابها أموس وهو يمتص آخر وجبته الخفيفة ويلعَق شفتيه: «لا، إنها أكثر مركبة مُملَّة عملت على متنها يا مُديرة، إنها لا تنكسِر، ولا تُسرِّب، ولا تُصدِر حتى صوت حشرجة مُزعِج عندما يتم استبدال جزء فيها».

قالت ناعومي: «لطالما كان هناك ما هو بحاجةٍ إلى المسح». ثُم نقرت على شيءٍ ما على الشاشة الموجودة أمامها. حرَّك أموس عينيه من عليها إلى هولدن قبل أن يعود إليها مرَّة أخرى.

قال أموس وهو يقف على قدميه: «هذا يُذكِّرني. من الأفضل أن أهبط إلى غُرفة المُحرِّك لأنظر إلى ذلك الـ... ذلك الشيء الذي كُنت أنوي النظر إليه، بعد إذنك أيها القُبطان».

مرَّ بجوار هولدن، وقفز على متن المصعَد، وركبه مُتجهًا إلى المؤخِّرة. أُغلِقت فتحة سطح المركبة خلفه.

قال هولدن لناعومي بمُجرَّد رحيل أموس: «مرحبًا».

قالت دون أن تستدير: «مرحبًا». ولم تكُن تلك علامة جيِّدة أيضًا عندما أرسلت أموس بعيدًا، أمل أن تكون تُريد الحديث، لم يبد الأمر كذلك، تنهَّد هولدن وترنَّح مُتجهًا نحو المقعد المجاوِر لها، انهار عليه، شعر بالتنميل في ساقيه وكأنه ركض لكيلومترٍ بدلًا من مُجرَّد السير لعشرين خطوة، تركت ناعومي شعرها مُنسدِلًا، مما أخفى وجهها عنه، أراد هولدن أن يُبعِده إلى الخلف لكنه كان خائِفًا من أن تكسر مرفقه بحركة كونغ فو حزامية إذا حاوَل القيام بذلك.

قال: «انظري يا ناعومي»؛ لكنها تجاهلته وضغطت زرًّا على لوحتها، توقَّف عندما ظهر وجه فريد على الشاشة أمامها.

قال: «هل هذا فريد؟». لأنه لم يستطِع التفكير في شيء أكثر حماقةً ليقوله.

- «يجب أن ترى هذا، حصلت عليه من تايكو قبل عدَّة ساعات عبر الشعاع بعد أن أرسلت لهم تحديثًا عن حالتنا».

ضغطت ناعومي على زر التشغيل فعاد وجه فريد إلى الحياة.

- «لا بُدَّ أنكم قد مررتم بأوقاتٍ عصيبةٍ يا ناعومي، انتشرت الثرثرة عن إغلاق المحطَّة، والانفجار النووي المُفترَض، لا يعرِف أحد كيف يتعامَل مع الأمر، ابقوا على اطلاعٍ، وفي غضون ذلك، فقد تمكَّنا من اختراق مُكعَّب البيانات الذي تركتموه هنا، إلا أنني لا أعتقِد أنه سيُساعِد كثيرًا، يبدو كمجموعةٍ من بيانات الاستشعار من دوناجير، مُعظمها من عناصِر مولِّد الدفع، لقد حاولنا البحث عن الرسائِل الخفيَّة؛ لكن حتى أذكى الناس لم يتمكَّنوا من العثور على أي شيء، سأنقِل إليكم البيانات، أخبروني في حال وجدتم أي شيء، انتهت رسالة تايكو».

أصبحت الشاشة فارِغة.

سألها هولدن: «كيف تبدو البيانات؟».

قالت ناعومي: «مثلما قال الرجال بالضبط، بيانات استشعار مولِّد الدفع الخاص بـ (دوناجير) أثناء مُطاردة المركبات الستة، وأثناء المعركة نفسها، لقد بحثت في أصل الأشياء بحثًا عن أي شيء مخفي في الداخِل؛

لكن بناءً على خبراتي، لم يُمكِنني العثور على أي شيء، كما أنني جعلت (روسي) تبحث في البيانات خلال الساعات القليلة الماضية بحثًا عن أنماط، لديها برنامج جيِّد حقًّا لهذا النوع من الأشياء؛ لكن حتى الآن، لم تجد شيئًا».

نقرت على الشاشة مرَّة أخرى فبدأت البيانات الأولية في التخزين المؤقَّت أسرع مما يُمكِن أن يتبعه هولدن، وعمل برنامج التعرُّف إلى الأنماط الخاص بـ (روسينانت) على إيجاد المعنى، في نافذةٍ صغيرةٍ داخِل الشاشة الكبيرة، راقبه هولدن لُمُدَّة دقيقة؛ لكن سُرعان ما فقدت عيناه التركيز.

قال: «لقد مات المُلازِم كيلي في سبيل هذه البيانات، لقد غادَر المركبة بينما كان رفاقه لا يزالون مُنخرطين في القِتال. لا يفعل مُشاة البحرية الفضائية هذا إلا إذا كان الأمر مُهِمًّا».

هزَّت ناعومي كتفيها وهي تُشير إلى الشاشة في استسلامٍ.

قالت: «هذا ما كان على مُكعَّبه، ربما هناك شيء ما مكتوب بطريقةٍ تصويريةٍ؛ لكن ليس لديَّ مجموعة بيانات أخرى لمُقارنتها بها».

بدأ هولدن يربت على فخذه، ونسي ألمه وإخفاقاته الرومانسية للحظاتٍ.

- «إذن دعينا نقول إن هذه البيانات هي كُل ما في الأمر، لا يوجد شيء مخفي، ماذا تعني هذه البيانات للبحرية الفضائية المريخية؟».

استرخت ناعومي للخلف على مقعدها وأغلقت عينيها وهي غارقة في التفكير، بينما استمرَّ إصبعها في لف وفك خُصلة شعر على وجنتها.

- «إنها بيانات مولِّد الدفع في الغالِب، لذلك هناك الكثير من عناصِر توقيع المُحرِّك، وإشعاع المُحرِّك هو الطريقة المُثلى لتتبُّع المركبات الأخرى، وهذا يُخبرنا إذن بمكان المركبات أثناء القِتال، البيانات التكتيكية؟».

قال هولدن: «ربما، هل سيكون ذلك مُهمًّا بما فيه الكفاية لإرسال كيلي إلى الخارِج معه؟».

أخذت ناعومي نفسًا عميقًا قبل أن تُطلِق سراحه ببطءٍ.

قالت: «لا أعتقِد ذلك».

- «وأنا كذلك».

طرق شيء ما على حافة عقله الواعي، وهو يطلب الإذن بالدخول.

قال: «ماذا يحدُث مع أموس على أي حال؟».

- «أموس؟».

قال: «لقد ظهر في غُرفة مُعادلة الضغط ومعه سلاحان عندما وصلنا».

- «لقد كانت هناك بعض المشكلات في رحلتنا للعودة إلى المركبة».

سألها هولدن: «مشكلات لِمَن؟». ابتسمت ناعومي في الواقِع على ذلك.

- «لم يردنا بعض الرجال السيئين أن نخترِق الإغلاق على (روسي)، تحدَّث أموس إليهم، لم تظُن أن السبب في هذا هو أننا كُنا في انتظارك، أليس كذلك يا سيدي؟».

هل كانت هناك ابتسامة تختبئ في صوتها؟ تلميح ببعض الخجل؟ مُغازلة؟ منع نفسه من الابتسام.

سألها هولدن: «ماذا قالت (روسي) عن هذه البيانات عندما قرأتها؟».

قالت ناعومي وهي تضغط على شيءٍ ما في لوحتها: «هنا». بدأت الشاشة في عرض قوائِم طويلة من البيانات على شكل نص وهي تُضيف: «الكثير من مواد مولِّدات الدفع والطيف الضوئي، وبعض التسرُّب جرَّاء التلف... ».

صرخ هولدن. فنظرت إليه ناعومي.

قال: «يا لي من أحمق».

- «هذا صحيح، ولكن... هل تريد أن تشرح السبب؟».

لَمس هولدن الشاشة وبدأ في التمرير للأعلى وللأسفل عبر البيانات، ضَغَط على قائمةٍ طويلةٍ من الأرقام والحروف، واسترخى للخلف مُبتسمًا.

قال: «هناك، ها هي ذا».

- «ما هي؟

قال: «هيكل البدن ليس مقياس التعرُّف الوحيد، إنه الأكثر دقة؛ لكنه أيضًا يمتلِك أقصر مدى... ». أشار من حوله على (روسينانت) وهو

يُضيف: «والأسهل في الخِداع، الطريقة الأفضل التالية هي توقيع المُحرِّك، لا يُمكِن إخفاء أنماط الإشعاع والحرارة، ومن السهل اكتشافها حتى من على مسافةٍ بعيدةٍ حقًّا».

قام هولدن بتشغيل الشاشة الموجودة بجوار مقعده، وفَتَحَ قاعدة بيانات (حُلفاء/ أعداء) المركبة، ثُم ربطها بالبيانات الموجودة على شاشة ناعومي.

- «هذه هي الرسالة يا ناعومي. إنهم يُخبِرون المريخ بهوية من دمَّر (دوناجير) من خلال إظهار توقيع المُحرِّك».

سألته ناعومي والشك يحتل قسمات وجهها: «لماذا لا يقولون: لقد قتلنا فلانًا وفلانًا في ملفٍّ نصي جميلٍ سهل القراءة؟».

انحنى هولدن إلى الأمام وتوقَّف فاغِر الفاه قبل أن يُغلِق فمه وهو يعود للخلف مرَّة أخرى مُتنهِّدًا:

- «لا أعرِف».

فُتِحَت الفتحة بدوي هيدروليكي قبل أن تنظُر ناعومي إلى السلم الموجود خلف هولدن وهي تقول: «ميلر قادِم».

استدار هولدن ليُشاهِد المُحقِّق وهو يُنهي رحلة تسلُّق بطيئة من على سطح المرفق الطبي، بدا كدجاجةٍ منتوفة الريش بجلدٍ وردي رمادي مليء بالقشعريرات، كان ثوبه الورقي لا يتماشى مع القُبعة.

قال هولدن: «هناك مصعد على فكرة».

أجابه ميلر شاهقًا وهو يجر نفسه إلى منصَّة العمليات: «يا ليتني عرَفت بهذا، هل وصلنا بعد؟».

قال هولدن: «نحاوِل سبر أغوار الغموض».

قال ميلر: «أنا أكره الغموض». ثُم وقف على قدميه وشقَّ طريقه إلى مقعدٍ.

- «حل لنا هذا إذن، لقد اكتشفت من الذي قتل شخصًا ما، ولا يُمكِنك إلقاء القبض عليه بنفسك، ولذلك... تقوم بإرسال المعلومات إلى شريكك؛ لكنك تُرسل جميع الأدلة إلى شريكك، بدلًا من مُجرَّد إرسال اسم المُجرم، لماذا؟».

سَعَل ميلر وحكَّ ذقنه، تركَّزت عيناه على شيءٍ ما، كما لو كان يقرأ شاشة لا يستطيع هولدن رؤيتها.

- «لأنني لا أثِق بنفسي، وأريد أن يصل شريكي إلى نفس النتيجة التي توصَّلت إليها، دون أن أؤثِّر عليه. أعطيه النقاط، وأرى كيف يبدو الأمر عندما يوصلهم ببعضهم بعضًا».

قالت ناعومي: «خصوصًا لو كان للتخمين الخاطئ عواقِب».

قال ميلر بإيماءةٍ: «لا تُريد إفساد تُهمة قتل، فهذا يبدو غير مهنيٍّ».

أطلقت لوحة هولدن صوت صفير في وجهه.

قال بعدما قرأ الشاشة: «اللعنة، أعلَم سبب توخيهم الحذر، تعتقِد (روسي) أن تلك كانت مُحرِّكات مركبات خفيفة عادية تم بناؤها في أحواض بناء السفن في (بوش) ».

قالت ناعومي: «هل كانوا مركبات أرضية؟ لكن لماذا لم يكونوا يطيرون بأي ألوان، و... تبًّا! ».

كانت هذه هي المرَّة الأولى التي يسمعها فيها هولدن وهي تصرُخ، وفَهِم الأمر. إذا ما كانت مركبات العمليات السوداء التابِعة للأمم المُتحدة قد دمَّرت (دوناجير)، فهذا يعني أن الأرض كانت مسؤولة عن كُل شيء، وربما حتى عن تدمير (كانتيربيري) في المقام الأول، وهذا يعني أن المركبات المريخية الحربية كانت تقتل الحزاميين بدون سبب، الحزاميين مثل: ناعومي.

انحنى هولدن إلى الأمام واستدعى شاشة الاتصال، ثُم ضغط على زر إصدار بث عام، لهث ميلر.

قال: «لا يفعل الزر الذي ضغطته للتو ما أعتقِد أنه يفعله، أليس كذلك؟».

قال هولدن: «لقد أنهيت مهمة كيلي نيابةً عنه».

قال ميلر: «لا أعرِف من يكون كيلي بحق الجحيم؛ لكن من فضلك قُل لي إن مُهِمَّته لم تكُن تتمثَّل في بث تلك البيانات على نطاقٍ واسعٍ إلى النظام الشمسي».

قال هولدن: «يحتاج الناس إلى معرفة ما يجري».

أجابه ميلر: «أجل، إنهم بحاجةٍ إلى ذلك؛ لكن ربما ينبغي أن نعرِف في الواقِع ما الذي يحدُث بحق الجحيم قبل أن نُخبرهم». تلاشى كُل التعب من صوته وهو يقول: «كم أنت ساذج؟».

قال هولدن: «مهلاً».

لكن صوت ميلر كان أعلى وهو يستكمِل حديثه: «لقد عثرت على بطاريةٍ مريخيةٍ، صحيح؟ وأخبرت الجميع في النظام الشمسي بشأنها لتبدأ أكبر حرب في تاريخ البشرية -فقط- ليتضِح أنه ربما لم يكُن المريخيون هُم

من تركوها هناك، ثُم قامَت مجموعة من المركبات الغامِضة بتدمير (دوناجير)، وهو الأمر الذي جعل المريخ يُلقي باللوم على الحزام -فقط- اللعنة، لم يكُن الحزام حتى يعرِف أنه قادِر على تدمير مركبة قتال مريخية».

فَتَحَ هولدن فمه؛ لكن ميلر أمسك بفنجانٍ من القهوة كان أموس قد تركه خلفه على وحدة التحكُّم وألقاه نحو رأسه.

- «دعني أنتهِ، والآن تجد بعض البيانات التي تورِّط الأرض، وأول شيء تفعله هو إرسال تلك البيانات إلى الكون، بحيث يسحَب المريخ والحزام الأرض إلى ذلك الشيء، مما يُزيد ضخامة أكبر حرب على الإطلاق، هل ترى نمطًا هنا؟».

قالت ناعومي: «أجل».

قال ميلر: «ما الذي تظن أنه سيحدُث إذن؟ هذه هي الطريقة التي يعمل بها هؤلاء، لقد جعلوا تدمير (كانتيربيري) يبدو كأنه من صُنع المريخ؛ لكنه لم يكُن كذلك، وجعلوا تدمير (دوناجير) يبدو كأنه من صُنع الحزام؛ لكنه لم يكُن كذلك، والآن يجعلون الأمر برمَّته يبدو كأنه من صُنع الأرض؟ اتبع النمط. على الأرجَح لن يكون كذلك! لا تُطلِق هذا النوع من الاتهامات أبدًا حتى تعرِف النتيجة، تُمعِن النظر، تُنصِت السمع، وتلتزِم الهدوء، بحق المسيح، وعندما تعلَم، يُمكِنك تقديم قضيتك حينئذٍ».

جلس المُحقِّق وهو يبدو مُرهقًا بشكلٍ واضحٍ -كان يتصبَّب عرقًا- سيطر الصمت على سطح المركبة.

سأله هولدن: «هل انتهيت؟».

أومأ ميلر برأسه وهو يتنفَّس بصعوبةٍ: «أعتقِد أنني قد أنهكت شيئًا ما».

قال هولدن: «لم أتهِم أحدًا بفعل أي شيء، ولا أقوم ببناء قضيَّة. لقد وضعت البيانات هناك فحسب، والآن لم تعُد سرًّا، إنهم يفعلون شيئًا ما على متن إيروس، ولا يُريدون مُقاطعته، ومع إطلاق المريخ والحزام النار على بعضهما بعضًا، فقد أصبح كُل من لديه الموارِد القادِرة على مد يد المُساعدة مشغولًا في مكانٍ ما».

قال ميلر: «وها قد جررت الأرض إلى ذلك لتوِّك».

قال هولدن: «ربما؛ لكن القتلة استخدموا المركبات التي بُنيَت -على الأقل جزئيًّا- في أحواض بناء السفن المدارية على متن الأرض، ربما سيضع شخص ما ذلك في الاعتبار، وهذا هو بيت القصيد، إذا أصبح الجميع يعرفون كُل شيء، فلم يعُد الأمر سرًّا».

قال ميلر: «حسنًا»؛ لكن هولدن تجاهله.

تابَع حديثه: «سيكتشِف شخص ما الصورة الكبيرة في النهاية، يتطلَّب هذا النوع من الأشياء السرية ليعمل؛ لذلك فإن كشف كُل الأسرار سيُسبِّب لهم الضرر في النهاية. إنها الطريقة الوحيدة التي سيتوقَّف بها هذا بشكلٍ دائمٍ حقًّا».

تنهَّد ميلر، وأومأ برأسه لنفسه، خلع قُبعته، وحكَّ فروة رأسه.

قال ميلر: «كُنت لألقي بهم من غُرفة مُعادلة الضغط فحسب».

***

لم يكُن (ب أ ٨٣٤٠٢٤١١٢) كويكبًا كبيرًا، بالكاد كان يبلُغ عرضه ثلاثين مترًا، وكان قد تمَّ مسحه منذ فترة طويلة ووجدوا أنه خالٍ تمامًا من المعادِن المُفيدة أو القيِّمة، وتمَّ إدراجه في السجل لتحذير المركبات من الاصطدام به فحسب، كانت جولي قد تركته مُقيَّدًا بالثروة التي تُقدَّر بالمليارات عندما سافرت بمكوكٍ صغيرٍ إلى إيروس.

بدت المركبة التي قتلت (سكوبيولي) وسرقت طاقمها مثل سمكة قرش عن قُرب، كانت طويلة، وهزيلة، وسوداء للغاية، ويكاد يكون من المُستحيل رؤيتها على خلفية الفضاء بالعين المُجرَّدة، مدَّتها مُنحنيات انحراف الرادار بمظهرٍ ديناميكي هوائي تفتقِر إليه المركبات الفضائية، مما جعل جلد هولدن يقشعِر؛ لكنها كانت جميلة.

قال أموس بدهشةٍ: «ابنة العاهِرة». بينما تجمَّع الطاقم في قُمرة قيادة (روسينانت) للنظر إليها.

قال أليكس: « (روسي) لا تراها أيها القُبطان، أنا أصب أشعة اللادار عليها، وكُل ما نراه هو بقعة أكثر دفئًا بقليلٍ من الكويكب».

قالت ناعومي: «مثلما رأت بيكا قبل تدمير (كانت) بقليلٍ».

أضاف أليكس: «كما أنه قد تم إطلاق مكوكها، لذلك أعتقِد أن هذه هي المركبة الشبح الصحيحة التي تركها شخص ما مربوطة إلى صخرةٍ، الأمر هو أنه هناك أكثر من واحدة».

نقر هولدن بأصابعه على ظهر مقعد أليكس للحظةٍ قبل أن يطفو فوق رأس الطيار.

قال هولدن أخيرًا: «ربما تكون مليئة بالزومبي المُتقيئين».

قال ميلر: «هل تُريد أن تذهب للتحقُّق من الأمر؟».

قال هولدن: «بكُل تأكيد».

(٣٤)
ميلر

كانت البدلة البيئية أفضل مما اعتاد عليه ميلر الذي لم يقُم سوى بجولتين بالخارِج خلال سنواته التي قضاها على متن سيريس، وكانت مُعدَّات ستار هيليكس آنذاك قديمة: مفصَّلات مضلَّعة سميكة، ووحدة إمداد هواء قابِلة للفصل، والقفَّازات التي كانت تترُك يديه أبرد من بقية جسده بثلاثين درجة، بينما كانت بدلات (روسينانت) عسكرية وحديثة، ولم تكُن أضخَم من مُعدَّات مُكافحة الشغب القياسية، مزوَّدة بنظام دعم الحياة المُتكامِل الذي من المُحتَمل أن يُحافِظ على دفء الأصابع حتى بعد إطلاق النار على اليد. طاف ميلر، وهو يضع يدًا على حزام في غُرفة مُعادلة الضغط، يثني أصابِعه، ويُراقِب نمط الشركسكين في مفاصِل الأصابع.

لكن هذا لم يبدُ كافيًا.

قال هولدن: «حسنًا يا أليكس، نحن في المكان المطلوب، دع (روسي) تُطلِقنا».

رجَّهم اهتزاز قوي وعميق، ووضعت ناعومي يدها على جدار غُرفة مُعادلة الضغط المُنحني لتُثبِّت نفسها. تحرَّك أموس للأمام ليتولى القيادة،

وهو يُمسِك ببندقيةٍ آليةٍ بدون رد فعل في يديه، كان بإمكان ميلر أن يسمع صوت طقطقة الفقرات عندما ثنى رقبته عبر الراديو الخاص به، كانوا في الفضاء بالفعل، وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة التي يُمكِن أن يسمعها بها.

قال أليكس: «حسنًا أيها القُبطان، هناك قفل أمامي، تجاوُز الأمان القياسي، لذا أعطني ثانية... من أجل... ».

قال هولدن: «هل هذه مُشكِلة؟».

قال ألكيس: «فعلتها، لقد فعلتها، لدينا اتصال». ثُم أضاف بعد لحظة: «لا يبدو أن هناك الكثير لنتنفَّسه هناك».

سأله هولدن: «هل هناك أي شيء؟».

قال أليكس: «لا، فضاء ساحِق، فكلا بابي غُرفتي مُعادلة الضغط مفتوحان».

قال هولدن: «حسنًا يا رفاق، أبقوا أعيُنكم على إمدادات الهواء الخاصَّة بكم، هيا بنا».

أخذ ميلر نفسًا عميقًا، تحوَّلت غُرفة مُعادلة الضغط الخارجية من اللون الأحمر الخافِت إلى اللون الأخضر الخافِت. دفع هولدن بابها جانبًا ليفتحه، فانطلق أموس إلى الأمام، والقُبطان خلفه مُباشرةً. أشار ميلر إلى ناعومي بإيماءةٍ: السيدات أولًا.

تمَّ تعزيز قنطرة التوصيل؛ لتكون جاهزة لتحريف مسار ليزر العدو وإعاقة الطلقات، هبط أموس على المركبة الأخرى بينما أُغلِقت فتحة (روسينانت) من خلفهم، أصيب ميلر بدوارٍ للحظةٍ، وبدأت المركبة

الموجودة أمامهم تتراقص للأمام وللأسفل في منظوره، كما لو كانوا يسقطون في شيءٍ ما.

سألته ناعومي: «هل أنت بخير؟».

أومأ ميلر برأسه، وعبر أموس فتحة المركبة الأخرى قبل أن يدخلوها واحدًا تلو الآخر.

كانت المركبة ميّتة، تلألأت الأضواء المُنبعِثة من بدلاتهم البيئية على المُنحنيات الناعِمة شبه الانسيابية للحواجِز والجُدران المبطَّنة، وخزانات البدل الرمادية. كانت إحدى الخزانات مثنيَّة، وكأن شخصًا ما أو شيئًا ما قد شقّ طريقه بالقوَّة من داخلها. اندفع أموس للأمام ببطءٍ، كان من المُمكِن في ظل الظروف العادية أن يكون الفضاء الساحِق بمنزلة ضمان كافٍ لعدم وجود شيء يوشِك على مُهاجمتهم، أما في الوقت الحالي، فقد كان ميلر يعتقِد أن كُل شيء مُمكِن.

قال هولدن: «المكان كُله مُغلَق».

قال أموس: «قد يكون هناك مولِّدات احتياطيَّة في غُرفة المُحرِّكات».

قال هولدن: «إذن فمؤخِّرة المركبة من هنا».

- «غالبًا».

قال هولدن: «لنتوخى الحذر».

قالت ناعومي: «سأتجه إلى غُرفة العمليات، إذا كانت بطارية أي شيء قد نفدت، فبإمكاني أن... ».

قال هولدن: «لا، لن تذهبي، لن نُقسِّم المجموعة حتى نعرِف ما الذي نبحث عنه، ابقوا سويًّا».

هبط أموس، وغَرِقَ في الظلام، اندفع هولدن خلفه، ومن خلفهم ميلر، لم يستطِع معرفة إذا ما كانت ناعومي مُنزعِجة أم مُرتاحة من لُغة جسدها.

كان المطبخ فارغًا؛ لكن كانت هناك علامات صراع واضحة هنا وهناك مثل: مقعد بساقٍ مثنيَّةٍ، خدش طويل مُسنَّن على طول الحائِط حيث تسبَّب شيء حاد في تقشُّر الطلاء، بينما كانت هناك فتحتان لرصاصتين على ارتفاعٍ عالٍ فوق أحد الحواجِز حيث أخطأت طلقة هدفها، مدَّ ميلر يده، وأمسك بإحدى الطاولات، وأرجحها ببطءٍ.

قال هولدن: «هل أنت قادِم يا ميلر؟».

قال ميلر: «انظر إلى هذا».

كان هناك سائِل داكِن بلون العنبر، تقشَّر ولمع مثل الزجاج تحت ضوء مصباحه، حام هولدن مُقتربًا.

قال هولدن: «قيء زومبي؟».

- «أعتقِد ذلك».
- «حسنًا، أعتقِد أننا على متن المركبة الصحيحة، يبدو أننا كُنا على حقٍّ».

كانت مهاجِع الطاقم صامِتة وفارِغة، مروا بكُل واحدة منهم؛ لكن لم تكُن هناك علامات شخصيَّة -لا أجهزة لوحية، لا صور، ولا أدلة على أسماء الرجال والنساء الذين عاشوا وتنفَّسوا ومن المُفترض أنهم ماتوا على متن المركبة- وحتى مقصورة الكابتن لم تتم الإشارة إليها إلا عن طريق سرير أكبر قليلًا، وواجهة خزانة مُغلَقة.

كانت هناك حجرة مركزية ضخمة بارتفاع وعرض هيكل (روسينانت)، بينما سيطر الظلام على اثنتي عشرة أسطوانة ضخمة مُرصَّعة بممرات ضيِّقة وسقَّالات. رأى ميلر وجه ناعومي يتجهَّم.

سألها ميلر: «ما هذه؟».

قالت: «أنابيب صواريخ».

قال: «أنابيب صواريخ؟ بحق المسيح، كم عدد الصواريخ التي جلبوها؟ مليون؟».

قال: «اثنا عشر، اثنا عشر فقط».

قال أموس: «مُدمِّرات المركبات الرئيسية، صُمِّمَت لتدمير كُل ما تصوَّب عليه من الطلقة الأولى».

سألها ميلر: «شيء مثل (دوناجير)؟ ».

نظر هولدن إليه، أضاء توهُّج شاشة العرض الخاصة به ملامحه.

قال: «أو مثل (كانتيربيري) ».

مرَّ الأربعة في صمتٍ وسط الأنابيب السوداء العريضة.

كانت علامات العُنف أكثر وضوحًا في ورش التصنيع والآلات، كانت هناك دماء على الأرض وعلى الجدران، جنبًا إلى جنبٍ مع مساحات واسِعة من الصمغ الزجاجي الذهبي الذي كان قيئًا ذات يوم. تكوَّم زي جانبًا، كان القُماش مُبطَّنًا ومُبلَّلًا بشيءٍ ما قبل أن يُجمِّده برد الفضاء، وضعت العادات التي شكَّلتها سنوات من المشي في مسارِح الجريمة عشرات الأشياء الصغيرة في مكانها مثل: نمط الخدوش على الأرض

وأبواب المصعَد، لطخات الدم والقيء، آثار الأقدام، تكاتفوا جميعًا ليرووا القصة.

قال ميلر: «إنهم في غُرفة المُحرِّكات».

قال هولدن: «من هُم؟».

قال: «الطاقم الذين كانوا على متن المركبة باستثناء تلك». أشار نحو نصف بصمة قدم تتجه نحو المصعد قبل أن يُضيف: «هل ترى كيف أن آثار أقدامها فوق كُل شيء آخر، وهناك، حيث داست في هذه الدماء، التي كانت جافَّة بالفعل، والتي ترقرقت بدلًا من أن تُلطِّخ المكان».

سأله هولدن: «كيف عرفت أنها كانت فتاة؟».

قال ميلر: «لأنها كانت جولي».

قال أموس: «حسنًا، أيًّا من كان هناك، فقد كان يتنفَّس الفضاء لفترةٍ طويلةٍ، هل تُريد أن تذهب لترى؟».

لم يُعلِن أحدهم موافقته؛ لكنهم طافوا جميعًا للأمام، كانت الفتحة مفتوحة. وحتى إذا بدا الظلام الذي يختبئ خلفها أكثر صلابةً، وأكثر خطورةً، وأكثر شخصيَّةً من بقية المركبة الميِّتة، فلم يكُن هذا سوى خيال ميلر الذي بدأ يحتال عليه، تردَّد محاولًا استدعاء صورة جولي؛ لكنها أبت أن تأتِي.

كان الطفو على سطح المركبة بمنزلة السباحة في كهفٍ، رأى ميلر أضواء الكشَّافات الأخرى وهي تلعب فوق الجدران واللوحات بحثًا عن عناصِر تحكُّم حيَّة، أو عناصِر تحكُّم أخرى يُمكِن أن تنبض بالحياة، صوَّب شُعاعه إلى جسد الغُرفة، فابتلعه الظلام.

قال أموس: «هناك بطاريات يا قُبطان، ويبدو أن... المُفاعِل قد تمَّ إغلاقه عمدًا».

- «هل تعتقِد أنه يُمكِنك إعادته للعمل؟».

قال أموس: «أريد أن أجري بعض التشخيصات، فقد يكون هناك سبب لإغلاقه، ولا أريد أن أعرِف سبب ذلك بالطريقة الصعبة».

- «وجهة نظر جيِّدة».
- «لكن يُمكِنني على الأقل أن أجلِب لنا... بعض... هيا أيها الوغد».

اندلعت الأضواء الزرقاء المبيضَّة في جميع أنحاء سطح المركبة، أعمى توهُّج الضوء المُفاجئ ميلر لمُدَّة نصف ثانية. عادت رؤيته مصحوبة بشعورٍ بالارتباك المُتزايِد، شهقت ناعومي، وصرخ هولدن، بدأ شيء ما في مؤخِّرة عقل ميلر بالصراخ؛ لكنه أجبره على التزام الصمت، لقد كان مُجرَّد مسرح جريمة، وكانوا مُجرَّد جُثث.

باستثناء أنهم لم يكونوا كذلك.

وقف المُفاعِل أمامهم ساكِنًا وميِّتًا، ومن حوله طبقة من اللحم البشري، كان بإمكانه تمييز أذرُع، وأيدي بأصابع مُبعثرةٍ لدرجة أنه شعر بالألم عندما نَظَر إليها، وامتداد طويل لعمودٍ فقري مُنحنٍ، تنتشِر أضلاعه مثل أرجل بعض الحشرات الضارَّة. حاوَل أن يجعَل ما يراه منطقيًّا، كان قد رأى رجالًا منزوعي الأحشاء من قبل، ولذلك كان يعلَم أن الدوامة الطويلة الدبِقة الموجودة على يسار الشيء كانت أمعاءه، كان بإمكانه رؤية المكان الذي تتسِع فيه الأمعاء الدقيقة لتُصبِح القولون، بينما حدَّق به شكل الجُمجمة المألوف.

لكن كانت هناك أشياء أخرى بعد ذلك، من بين تشريح الموت المألوف وبتر الأوصال مثل: حلزونات نوتيلوس، ومساحات واسِعة من الخيوط السوداء الناعِمة، وامتداد واسِع لشيءٍ ما ربما يكون قَطْعًا في الجلد بواسطة عشرات الفتحات الشبيهة بالخياشيم، ونصف طرف مُتشكّل يُشبه الحشرة والجنين بشكلٍ متساوٍ دون أن يكون أحدهما على وجه الخصوص، أحاط اللحم الْمُتجمِّد الميِّت بالمُفاعِل مثل قشر البرتقالة، طاقم المركبة الشبح، وربما طاقم (سكوبيولي) كذلك.

جميعهم ما عدا جولي.

قال أموس: «أجل، قد يستغرِق هذا وقتًا أطول بقليلٍ مما كُنت أفكِّر فيه يا قُبطان».

قال هولدن: «لا بأس». بدا صوته مُرتعدًا عبر اللاسلكي وهو يُضيف: «لست مضطرًّا إلى ذلك».

- «لا توجد مُشكلة، يجب أن يعمَل المُفاعِل على ما يُرام، طالما لن يكسر أي من ذلك الهراء الفظيع الاحتواء».

قال هولدن: «لا تُمانِع التواجُد حول... هذه الأشياء؟».

- «لا أفكِّر في ذلك بصراحةٍ أيها القُبطان، أعطني عشرين دقيقة، وسأخبرك إذا كان لدينا طاقة، أو إذا ما كان علينا مد خط طاقة من (روسي) ».

قال هولدن: «حسنًا». ثُم قال بصوتٍ أكثر صلابة: «حسنًا؛ لكن لا تلمس أيًّا من ذلك».

قال أموس: «لم أكُن لأفعل».

طافوا مرَّة أخرى عبر الفتحة، عبر هولدن وناعومي وميلر في النهاية.

قالت ناعومي: «هل هذا... ». ثُم سعلت وبدأت من جديد: «هل هذا ما حدث على متن إيروس؟».

قال ميلر: «على الأرجح».

قال هولدن: «هل لديك طاقة بطارية كافية لفتح أجهزة الحاسوب يا أموس؟».

كانت هناك وقفة، أخذ ميلر نفسًا عميقًا سامحًا لرائحة البلاستيك والأوزون الخاصَّة بنظام الهواء الموجود في البدلة بأن يملأ أنفه.

قال أموس بريبةٍ: «أعتقِد ذلك؛ لكن إذا تمكَّنا من تشغيل المُفاعِل أولًا... ».

- «افتح أجهزة الحاسوب».

قال أموس: «أنت القُبطان يا قُبطان، سأفتحها لك خلال خمس دقائِق».

طافوا للأعلى نحو غُرفة مُعادلة الضغط في صمتٍ، وعبروها نحو سطح العمليات، تلكَّع ميلر في الخلف، وهو يُراقِب الطريقة التي أبقى بها هولدن مساره قريبًا من ناعومي، ثُم بعيدًا عنها بعد ذلك.

قال ميلر لنفسه: كلاهما خجول ومُحافِظ، يا لها من تركيبةٍ سيئةٍ!.

كانت جولي تنتظِر في غُرفة مُعادلة الضغط. ليس في البداية بالطبع، عاد ميلر إلى الفضاء مرَّة أخرى، وعقله يترنَّح بين كُل ما رآه تمامًا كما لو كانت قضيَّة، قضيَّة عادية، انجرفت نظراته نحو الخزانة المكسورة، لم يكُن هناك بدلة بداخلها، وللحظةٍ، عاد إلى أيروس، إلى الشقة التي ماتت فيها

جولي، كانت هناك بدلة بيئية، ثُم كانت جولي معه، تشُق طريقها للخروج من الخزانة.

فكَّر: ماذا كُنتِ تفعلين هناك؟

قال: «لا يوجد سجن».

قال هولدن: «ماذا؟».

قال ميلر: «لقد لاحظت للتو أن المركبة ليس بها سجن، ليست مُصمَّمة لحمل السُّجناء».

وافقه هولدن الرأي بزمجرة موافقة خافِتة.

قالت ناعومي: «مما يجعلك تتساءل ما الذي كانوا يخطِّطون للقيام به مع طاقم (سكوبيولي) »؛ لكن نبرة صوتها لم تكُن تعني أنها كانت تتساءل أبدًا.

قال ميلر ببطءٍ: «لا أعتقِد أنهم كانوا يُخطِّطون للقيام بشيءٍ، كُل هذا... لقد كانوا يرتجِلون».

قالت ناعومي: «يرتجلون؟».

- «كانت المركبة تحمِل شيئًا مُعديًا، أو شيئًا من هذا القبيل دون مكان كافٍ لاحتوائه، واضطروا لأسر السجناء دون أن يكون هناك سجن لحبسهم فيه، كانوا يختلِقون كُل هذا أثناء تقدُّمهم».

قال هولدن: «أو أنهم كانوا في عجلةٍ من أمرهم، حدث شيء ما جعلهم يُسرِعون؛ لكن ما فعلوه على متن إيروس لا بُدَّ أنه استغرق

شهورًا لترتيبه، وربما سنوات، لذلك فربما حدث شيء ما في اللحظة الأخيرة؟».

قال ميلر: «كُن مُتحمّسًا لمعرفة السبب».

بدا سطح العمليات هادئًا، مُقارنةً ببقية المركبة، بدا طبيعيًّا. انتهت أجهزة الحاسوب من تشخيصاتها، فتوهَّجت الشاشات بهدوء. ذهبت ناعومي إلى واحدةٍ، تشبَّثت بظهر مقعد بيدٍ حتى لا تدفعها اللمسات اللطيفة التي تقوم بها بأصابعها على الشاشة إلى الخلف.

قالت: «سأبذل قصارى جُهدي هنا، يُمكنكم التحقُّق من غُرفة القيادة».

كانت هناك لحظة صمت ثقيلة.

قالت ناعومي: «سأكون بخير».

- «حسنًا، أعرف أنكِ... أنا... هيا بنا يا ميلر».

ترك ميلر القُبطان يطفو وهو يتقدَّمه نحو غُرفة القيادة، كانت التشخيصات الموجودة على الشاشات هناك عادية للغاية لدرجة أن ميلر تمكَّن من تمييزها. كانت مساحة الغُرفة أكبر مما يتخيَّل مع وجود خمس محطَّات مزوَّدة بأرائك تحطُّم مُخصَّصة لأجساد آخرين. ربط هولدن نفسه بحزام الأمان في واحدةٍ منهم. أخذ ميلر مُنعطفًا بطيئًا حول السطح. لم يبدُ أي شيء في غير محلِّه هنا -لا دماء، ولا كراسي مكسورة، أو حشوات مُمزَّقة- اندلع القتال عندما حَدَث ما حَدَث بالقُرب من المُفاعِل. لم يكُن مُتأكِّدًا بعد مما يعنيه ذلك. جلس فيما يُفترَض به أن يكون وفقًا للتصميم القياسي، محطَّة أمنية، وفتح قناة اتصال خاصَّة مع هولدن.

- «هل تبحث عن أي شيء على وجه الخصوص؟».

قال هولدن بإيجازٍ: «الإحاطات، المُلاحظات، كُل ما من شأنه أن يكون مُفيدًا، ماذا عنك؟».

- «أبحث عمّا إذا كان بإمكاني الولوج إلى الشاشات الداخلية».
- «هل تأمل في العثور...؟ ».

قال ميلر: «على ما وجدته جولي».

افترض النظام الأمني أن أي شخص يجلِس على وحدة التحكُّم يُمكِنه الوصول إلى مقاطِع الفيديو مُنخفِضة المستوى، وعلى الرغم من ذلك فقد استغرق الأمر نصف ساعة لتحليل بنيةِ الأوامِر وواجِهة الاستعلام، وبمُجرَّد أن اجتاز ميلر ذلك لم يعُد الأمر صعبًا، يسرد الطابع الزمني الموجود على سجل الفيديو بأنه اليوم الذي اختفت فيه (سكوبيولي)، كما أظهرت الكاميرا الأمنيَّة الموجودة في غُرفة مُعادلة الضغط أعضاء الفريق -الذين كان أغلبهم من الحزاميين- أثناء اصطحابهم للداخِل. كان آسروهم يرتدون الدروع مع خفض لوحات الوجه. تساءل ميلر عما إذا كانوا قد قصدوا فعل ذلك للحفاظ على سرية هويتهم، كان هذا يوحي تقريبًا بأنهم يخطِّطون لإبقاء الطاقم على قيد الحياة، أو ربما فقط كانوا حذرين بشأن بعض المقاوَمة في اللحظات الأخيرة. لم يكُن طاقم (سكوبيولي) يرتدون البدلات الفضائية أو الدروع، بينما لم يرتدِ اثنان منهم الزي الرسمي حتى.

لكن جولي كانت ترتديه.

كان من الغريب مُشاهدتها وهي تتحرَّك، أدرك ميلر بشعورٍ من التفكُّك أنه لم يرَها في الواقِع وهي تتحرَّك، فقد كانت كُل الصور التي ملأت ملفَّه في سيريس ثابتةً، والآن، ها هي ذا تطفو مع رفاقها المُختارين، بينما يتراجَع شعرها ليكشِف عن عينيها وعن فمها المُطبَق، بدت صغيرة

للغاية وهي مُحاطة بطاقمها، وبالرجال الذين يرتدون الدروع. الفتاة الصغيرة الثريّة التي أدارت ظهرها للثروة والمكانة لتكون في صف الحزام المُضطهَد. الفتاة التي طلبت من والدتها بيع (رازورباك) -المركبة التي تُحبُّها- بدلًا من الاستسلام للابتزاز العاطفي. بدت أثناء الحركة، كنُسخةٍ مُختلفةٍ بعض الشيء عن النسخة الخيالية التي بناها لها -الطريقة التي شدَّت بها كتفيها للخلف، عادة الوصول بأصابع قدميها إلى الأرض حتى في حالة انعدام الجاذبية- لكن الصورة الأساسية كانت هي نفسها، شعر وكأنه كان يملأ الفراغات بتفاصيل جديدةٍ بدلًا من إعادة تخيُّل المرأة.

قال الحُرَّاس شيئًا ما -كان صوت البث الأمني يتم تشغيله في الفضاء- فبدا الذعر على طاقم (سكوبيولي)، ثُم بدأ القُبطان -بتردُّدٍ- في خلع زيِّه العسكري، كانوا يُجرِّدون السجناء من ملابسهم، هزَّ ميلر رأسه.

- «خطة سيئة».

قال هولدن: «ماذا؟».

- «لا شيء، آسف».

لم تتحرَّك جولي، تحرَّك أحد الحُرَّاس تجاهها، مُثبِّتًا قدميه على الحائط. جولي، التي ربما عانَت من تعرُّضها للاغتصاب، أو من شيءٍ ما بنفس القدر من السوء، والتي درست الجوجوتسو لتشعُر بالأمان بعد ذلك، ربما ظنُّوا أنها كانت ضعيفة، ربما كانوا خائفين من أنها كانت تُخفي سلاحًا تحت ملابسها. على أي حال، حاولوا فرض وجهة نظرهم عليها، دفعها أحد الحُرَّاس، فتمسَّكت بذراعه كما لو كانت حياتها تتوقَّف على ذلك، جفل ميلر عندما رأى كوع الرجل ينثني في الاتجاه الخطأ؛ لكنه ابتسم كذلك.

قال لنفسه: هذه هي فتاتي، أذيقيهم طعم الجحيم.

وهكذا فعلت، وتحوَّل مرفق غُرفة مُعادلة الضغط لساحة معركة لما يقرُب من أربعين ثانية، حتى إنبعض أفراد طاقم (سكوبيولي) المُجبرين على الإذعان حاولوا الانضمام للمعركة؛ لكن بعد ذلك لم ترَ جولي رجلًا عريض المنكبين وهو ينطلِق من خلفها، شعر ميلر بالضربة عندما ضربت اليد التي تختبئ داخِل القُفَّاز صدغ جولي، لم تفقد وعيها؛ لكنها بدأت تترنَّح، قام الرجال المُسلَّحون بتجريدها من ملابسها بكفاءةٍ لا مُبالية، وعندما لم يجدوا أي أسلِحة، أو أجهزة اتصال، سلَّموها بدلة فضائية، وألقوا بها داخِل خزانة، هبط الآخرون إلى المركبة. قام ميلر بمُطابقة الطوابع الزمنية، والفيديوهات المُتغيِّرة.

تمَّ نقل السجناء إلى المطبخ، ثُم رُبِطوا إلى الطاولات، قضى أحد الحُرَّاس دقيقة أو نحو ذلك يتحدَّث؛ لكن لوحة وجهه كانت مُغلَقة، وكانت الدلائِل الوحيدة التي امتلكها ميلر حول محتوى الخطبة هي ردود فعل الطاقم، عدم التصديق، والارتباك، والغضب، والخوف، كان من المُمكِن أن يكون الحارِس قد قال أي شيء.

بدأ ميلر في التخطي عدَّة ساعات، ثُم بضع ساعات أخرى. كانت المركبة تحت تأثير قوى الدفع، فكان السُّجناء يجلِسون على الطاوِلات بدلًا من أن يطفوا بالقُرب منهم، انتقل إلى أجزاء أخرى من المركبة، كانت خزانة جولي لا تزال مُغلقة، إن لم يكُن يعرِف أفضل، لافترض أنها قد ماتت.

تخطى للأمام.

وبعد مائة واثنين وثلاثين ساعة، تحلى طاقم (سكوبيولي) بالشجاعة، رأى ميلر ذلك في أجسادهم قبل أن يندلِع العُنف، لقد رأى زنازين الحجز تستعِد للقتال من قبل، وحظي السجناء بنفس النظرة الكئيبة المليئة بالحماس، أظهَر الفيديو امتداد الجدار حيث رأى ثقوب الرصاصات، لم يكونوا قد سكنوه بعد؛ لكنهم سيفعلون، دخل رجل إلى الصورة وهو يُمسِك بصينية من حصص الطعام.

قال ميلر لنفسه: ها نحن أولاء.

كانت المعركة قصيرة ووحشية، لم يكُن لدى السجناء أي فُرصة. شاهَد ميلر وهُم ينقلون واحدًا منهم -رجل بشعرٍ رملي اللون- إلى غُرفة مُعادلة الضغط قبل أن يُلقوه في الفضاء، ووضعت قيود مُشدَّدة على الآخرين، بكى بعضهم، وصرخ البعض الآخر، تخطى ميلر للأمام.

كانت لا بد أن تكون هناك في مكانٍ ما. اللحظة التي أفلتت فيها زمام الأمور، أيًّا ما كانت؛ لكن إما أنه حدث في بعض مهاجِع الطاقم غير الخاضِعة للمُراقبة، أو أنه كان هناك منذ البداية، بعد حوالي مائة وستين ساعة بالضبط من دخول جولي إلى الخزانة، ترنَّح رجل يرتدي سُترةً بيضاء بعينين زُجاجيتين ووقفةٍ غير ثابتةٍ، من مهاجِع الطاقم وتقيَّأ على أحد الحرَّاس.

صاح أموس: «اللعنة!».

قفز ميلر عن مقعده قبل أن يعرف ماذا حدث، وكذلك فعل هولدن.

قال هولدن: «أموس؟ تحدَّث معي».

قال أموس: «انتظِر، حسنًا، الأمر على ما يُرام يا قُبطان، إنهم فقط هؤلاء الأغبياء الذين خلعوا حفنة من دروع المُفاعِل، لقد نجحت في تشغيلها؛ لكنني تعرَّضت للقليل من الإشعاع أكثر مما كُنت سأختاره».

قال هولدن: «عُد إلى (روسي) ». ثبَّت ميلر نفسه في مواجهة الحائِط، ودفع نفسه للأسفل نحو محطَّات التحكُّم.

قال أموس: «لا أقصِد التقليل منك يا سيدي؛ لكن ليس الأمر كما لو أنني على وشك أن أتبوَّل دمًا أو أي شيء مُمتِع من هذا القبيل، لقد فوجئت أكثر من أي شيء آخر، وبدأت أشعُر بالحكَّة، وسأتجه عائدًا إلى هناك؛ لكني بإمكاني أن أحصُل لنا على بعض الهواء الصالِح للتنفُّس من خلال العمل في ورشة الآلات إذا أعطيتني بضع دقائِق أخرى».

شاهَد ميلر وجه هولدن والرجل يخوض صراعًا، يُمكِنه إصدار الأمر، ويُمكِنه ترك الأمر يمُر.

- «حسنًا يا أموس؛ لكن إذا بدأت تشعُر بالدوار أو بأي شيء آخر –وأقصِد أي شيء– ستنتقِل إلى المرفق الطبي».

قال أموس: «حسنًا أيها القُبطان».

قال هولدن عبر القناة العامَّة: «أبقِ عينك على علامات أموس الحيويَّة من هناك يا أليكس، وأعطنا تنبيهًا إذا ما رأيت أي مُشكلة».

قال أليكس بكسلٍ: «عُلِم».

سأل هولدن ميلر عبر القناة الخاصَّة: «هل وجدت أي شيء؟».

قال ميلر: «لا شيء غير متوقَّع، ماذا عنك؟».

- «في الواقِع، أجل، ألقِ نظرة».

دَفَع ميلر نفسه نحو الشاشة التي كان هولدن يعمَل عليها، بينما سَحَب هولدن نفسه إلى المحطَّة وبدأ في مُشاهدة الفيديوهات.

قال هولدن: «كُنت أفكِّر في أنه يجب أن يرحل شخص ما أخيرًا، أقصِد، لا بُدَّ أن يكون هناك شخص ما أقل مرضًا عندما يفلِت زمام كُل الأمور، ولذلك قرَّرت أن أذهب عبر الدليل لمعرفة النشاط الذي كان يجري قبل أن يتوقَّف النظام».

- «و؟».
- «كانت هناك مجموعة كامِلة من الأنشِطة التي يبدو أنها حدثت قبل يومين من إيقاف تشغيل النظام، ثُم لا شيء لُمدَّة يومين كاملين، ثُم ارتفاع طفيف، والكثير من الملفات المسموح بالدخول إليها وتشخيصات النظام، ثُم اخترق شخص ما رموز التجاوُز لبث الهواء الصالِح للتنفُّس».
- «لا بُدَّ أنها جولي إذن».

قال هولدن: «هذا ما كُنت أفكِّر فيه؛ لكن أحد تلك المقاطِع التي دخلت إليها كانت... اللعنة، أين ذهب؟ لقد كان هنا... ها هو ذا، شاهِد هذا!».

وَمَضت الشاشة، انخفضت عناصِر التحكُّم إلى وضع الاستعداد، وظهر شعار عالي الجودة باللونين الأخضر والذهبي. شعار شركة بروتوجين مع شعار لم يره ميلر من قبل، الأول. الأسرَع. الأبعَد.

سأله ميلر: «ما الطابِع الزمني الموجود على الملف؟».

قال هولدن: «تمَّ إنشاء النسخة الأصلية منذ حوالي عامين، بينما تمَّ إنشاء هذه النسخة منذ ثمانية شهور».

تلاشى الشعار، وحلَّ محلَّه رجل لطيف الوجه يجلِس على مكتبٍ، كان يتمتَّع بشعرٍ داكنٍ مع قليل من الشيب الذي زحف على فوديه، وشفتين بدتا مُعتادتين على الابتسام، أومأ للكاميرا برأسه، لم تشُق الابتسامة طريقها لعينيه اللذين كانتا فارغتين كعيني سمكة قرش.

قال ميلر لنفسه: هذا شخص سيكوباتي.

بدأت شفتا الرجل تتحرَّكان دون صوت، قال ميلر: «اللعنة». وضغط على مِفتاح لنقل الصوت إلى بدلاتهم، أعاد مقطع الفيديو، وبدأ تشغيله من جديد.

قال الرجل: «أريد أن أشكركم وأعضاء مجلِس الإدارة على تخصيص الوقت الكافي لمُراجعة هذه المعلومات يا سيد دريسدن، لقد كان دعمك -المادي وغير المادي- ضروريًّا للغاية للاكتشافات المُذهِلة التي رأيناها في هذا المشروع. وعلى الرغم من أن فريقي كان من تصدى للمشروع -كما كان- فإن التزام بروتوجين الدؤوب بالتقدُّم العلمي قد جعل عملنا مُمكِنًا. سأكون صريحًا أيها السادة، لقد تجاوَز جزيء فيبي الأولي كُل توقُّعاتنا، وأعتقِد أن هذا يُمثِّل اختراقًا تكنولوجيًا حقيقيًّا يُغيِّر قواعِد اللعبة، أعلَم أن هذا النوع من عروض الشركات تميل إلى المُبالغة، يُرجى تفهُّم أنني قد فكَّرت في ذلك مليًّا وانتقيت كلماتي: يُمكِن أن تُصبح بروتوجين أهم وأقوى كيان في تاريخ الجنس البشري؛ لكن هذا سيتطلَّب مُبادرةً وطموحًا وعملًا جريئًا».

قال ميلر: «إنه يتحدَّث عن قتل الناس».

قال هولدن: «هل تبيَّنت ذلك لتوك؟».

هزَّ ميلر رأسه، تغيَّر الفيديو، اختفى الرجل، وحلَّت بعض الرسوم المُتحرِّكة محلَّه، رسم بياني للنظام الشمسي، تمَّ تمييز المدارات في مساحاتٍ واسعةٍ من الألوان التي أظهرت مسار الشمس، خرجت الكاميرا الافتراضية من الكواكِب الداخلية إلى حيث افترض أن السيد دريسدن، وأعضاء مجلِس الإدارة كانوا مُتجهين نحو عمالقة الغاز.

قال السيكوباتي: «بالنسبة لهؤلاء منكم من أعضاء مجلِس الإدارة الذين ليسوا على درايةٍ بالمشروع، فقبل ثماني سنوات، تم القيام بأول هبوط مأهول على متن فيبي».

تمَّ تكبير الرسوم المُتحرِّكة لتُحلِّق نحو زُحل، الحلقات والكوكب مُعلِنة انتصار التصميم الجرافيكي على الدقة.

- «قمر جليدي صغير، كان من المُفترَض أن يتم التنقيب عن الماء في فيبي في النهاية، تمامًا مثل الحلقات نفسها، بينما طالبت حكومة المريخ بإجراء مسح علمي بدافِع الكمال البيروقراطي أكثر من توقُّع مكاسِب اقتصادية، تمَّ أخذ العينات الأساسية، وعندما لَفَت شذوذ السيليكات الانتباه، تم الاتصال ببروتوجين كشريكٍ في رعاية منشأة بحثيَّة طويلة الأمد».

ملأ القمر نفسه -فيبي- الإطار، واستدار ببطءٍ ليظهر من جميع الجوانِب كعاهرةٍ في بيت دعارة رخيص، كان سطحه موسومًا بنتوءات فوَّهات البراكين، لم يُمكِن تمييزه عن آلاف الكويكبات والكواكِب الأخرى التي رآها ميلر من قبل.

تابع السيكوباتي حديثه قائِلًا: «تقول إحدى النظريات إنه بالنظر إلى مدار فيبي خارِج الكسوف، فقد كان جسيمًا نشأ في حزام كويبر قبل أن يلتقِطه زحل عندما تصادَف مروره في النظام الشمسي، أجبرنا وجود

هياكِل السيليكون المُعقَّدة في قلب الجليد الداخلي -جنبًا إلى جنبٍ مع اقتراحات الهياكِل المقاوِمة للتأثير داخِل بنية الجسيم نفسه- على إعادة تقييم ذلك.

قررنا بما لا يدع مجالًا للشك، بعد استخدام التحليلات الخاصَّة ببروتوجين، والتي لم يتم مُشاركتها مع الفريق المريخي بعد، أن ما ترونه الآن ليس كويكبًا طبيعيًّا، بل هو سلاح، سلاح مُصمَّم على وجه التحديد لنقل حمولته عبر أعماق الفضاء بين الكواكِب، وتسليمها للأرض بأمانٍ قبل ملياري وثلث مليار سنة، عندما كانت الحياة نفسها في مراحلها الأولى، أما عن الحمولة -أيها السادة- فها هي ذا».

نَقَر العرض على رسمٍ لم يستطع ميلر تحليله بشكلٍ تامٍّ. بدت وكأنها نص طبي لأحد الفيروسات؛ لكنه بهياكل عريضةٍ مُلتفةٍ والتي كانت جميلة وغير مُحتملة في نفس الوقت.

- «جذب الجُزيء الأول انتباهنا أولًا لقُدرته على الحفاظ على هيكله الأساسي وسط مجموعةٍ متنوِّعةٍ من الظروف عبر التغيُّرات الثانوية والثلاثية. كما أنه قد أظهر ألفةً مع هياكِل الكربون والسيليكون، ويُشير نشاطه إلى أنه لم يكُن كائنًا حيًّا في حد ذاته؛ لكنه كان مجموعة من التعليمات الطائِفة الحُرَّة المُصمَّمة للتكيُّف مع أنظِمة الاستنساخ الأخرى وتوجيهها، وتُشير التجارب التي أجريت على الحيوانات إلى أن آثارها ليست حصرية على الاستنساخ المُتماثِل البسيط؛ لكنها -في الواقِع- قابلة للتطوير».

قال ميلر: «تجارب على الحيوانات؟ ماذا فعلوا؟ ألقوا به على قطةٍ؟».

أكمَل السيكوباتي حديثه قائلًا: «إن الدلالة الأولية لهذا، هو وجود مُحيط حيوي أكبر، والذي يُعتبر نظامنا الشمسي جزءًا منه فحسب، وأن ذلك الجُزيء الأولي هو قطعة أثرية من تلك البيئة، وأنه من شأن هذا وحده -وأعتقِد أنكم ستوافقوني الرأي- أن يُحدِث ثورةً في فهم الإنسان للكون. دعوني أؤكِّد لكم أنه مُجرَّد شيء تافه، إن لم تكُن حوادِث ميكانيكا المدارات قد استحوذت على فيبي، فلم تكُن الحياة التي نعرفها لتتواجَد في الوقت الحالي؛ لكن شيئًا آخرَ كان سيتواجَد هناك، لقد تمَّ اختطاف أقدم حياة خلوية على الأرض، وأعيد برمجتها على طول الخطوط الوارِدة في هيكل الجزيء الأولي».

عاد السيكوباتي للظهور، وللمرَّة الأولى، شقَّت تجاعيد الابتسامة طريقها حول عينيه، مثل مُحاكاة ساخرة لأنفسهم، شعر ميلر بكراهيةٍ عميقةٍ تتنامى في أحشائه، وكان يعرف نفسه جيِّدًا بما فيه الكفاية ليعرف هذا الشعور على حقيقته: الخوف.

«إن بروتوجين في وضعٍ يسمَح لها بالحيازة وحدها ليس فقط على التكنولوچيا الأولية من أصلٍ حقيقي خارج كوكب الأرض؛ لكن أيضًا على آليةٍ مُسبقة الصُنع للتلاعُب بالأنظِمة الحيَّة، والأدلة الأولى على طبيعة المُحيط الحيوي الأكبر -سأُطلِق عليه المجرِّي، وتطبيقات هذا، التي أخرجتها أيدي البشر، لا حدود لها، أعتقِد أن الفُرصة لا تواجهنا الآن فحسب؛ بل هي الحياة نفسها العميقة والتحويلية مثل أي شيء حدث في أي وقت مضى، وعلاوة على ذلك، ستُمثِّل السيطرة على تلك التكنولوچيا قاعدة كُل القوى السياسية والاقتصادية من الآن فصاعدًا.

وأحثُّكم على النظر في التفاصيل الفنيَّة التي أوجزتها في المرفَق، وعلى التحرُّك بشكلٍ سريعٍ لفهم البرمجة والآلية والغرض من الجُزيء الأولي،

بالإضافة إلى أن تطبيقه على البشر بشكلٍ مُباشرٍ، سيُمثِّل الفارِق بين المُستقبل الذي تقوده بروتوجين والتخلُّف عن الركب، كما أحثُّكم على اتخاذ إجراء فوري وحاسِم لفرض السيطرة الحصرية على الجزيء الأولي، والمضي قدمًا في الاختبارات على نطاقٍ واسعٍ.

شكرًا لكم على وقتكم وانتباهكم».

ابتسم السيكوباتي مرَّة أخرى، وعاد شعار الشركة للظهور: الأول. الأسرع. الأبعد. تسارعت دقَّات قلب ميلر.

قال: «حسنًا، حسنًا». ثُم أضاف: «اللعنة عليَّ».

قال هولدن: «بروتوجين، الجزيء الأولي، لم يكُن لديهم أي فكرة عمَّا يفعل؛ لكنهم وضعوا علامتهم التجارية عليهم كما لو أنهم من صنعوه. لقد وجدوا سلاحًا فضائيًّا، وكُل ما كان بإمكانهم التفكير فيه هو وضع العلامة التجارية عليه».

أجابه ميلر بإيماءةٍ من رأسه: «هناك سبب للاعتقاد بأن هؤلاء الصبية مُعجبون بأنفسهم للغاية».

قال هولدن: «والآن، أنا لست عالمًا أو أي شيء؛ لكن يبدو لي أن أخذ فيروس فضائي خارِق، وإلقاءه في محطَّةٍ فضائيةٍ سيكون فكرةً سيئةً».

قال ميلر: «لقد مرَّ عامان، لقد أجروا الاختبارات، لقد كانوا... لا أعرف ماذا كانوا يفعلون بحق الجحيم؛ لكن إيروس كان قرارًا قد توصَّلوا إليه، ويعرف الجميع ما حدث على متن إيروس. لقد فعل الجانِب الآخر ذلك، لا توجد مركبات بحث أو استعادة؛ لأنهم مشغولون بقتال بعضهم بعضًا أو بحماية شيء ما، الحرب؟ إنها مُجرَّد إلهاء».

- «وبروتوجين تقوم بـ... ماذا؟».

قال ميلر: «تخميني هو رؤية ما تفعله لعبتهم عند استبعادها من الدوران».

ساد الصمت بينهما للمرَّة الأولى منذ فترة طويلة، تحدَّث هولدن أولًا.

- «إذن فأنت تأخُذ شركة يبدو وأنها تفتقِر إلى الضمير المؤسَّسي، ولديها ما يكفي من عقود الأبحاث الحكومية لتكون تقريبًا فرعًا يُديره القطاع الخاص من الجيش، وترى إلى أي مدى سيذهبون من أجل الحصول على الكأس المُقدَّسة؟».

أجابه ميلر: «الأول. الأسرع. الأبعد».

- «أجل».

قالت ناعومي: «يا رفاق، عليكم أن تهبِطوا إلى هنا، أعتقِد أنني وجدت شيئًا ما».

(٣٥)

هولدن

قالت ناعومي: «لقد عثرت على سجِّلات الاتصالات». بينما انجرف هولدن وميلر إلى الغُرفة من خلفها.

وَضَع هولدن يده على كتفها قبل أن يجذبها للخلف، وكَرِهَ أنه قد جذبها للخلف. قبل أسبوع، كانت ستكون على ما يُرام مع إيماءة عاطفية بسيطة مثل تلك، ولم يكُن ليخاف من ردَّة فعلها، شعر بالندم على المسافة الجديدة التي نمت بينهما أقل بقليلٍ مما كان سيندم لو لم يقُل أي شيء على الإطلاق، أراد أن يُخبرها بذلك.

لكنه قال بدلًا من ذلك: «هل وجدت أي شيء جيِّد؟».

نقرت على الشاشة، وفتحت السجل.

قالت وهي تُشير إلى قائمةٍ طويلةٍ من التواريخ والأوقات: «لقد كانوا مُتشدِّدين بشأن انضباط الاتصالات، لم ينتقِل أي شيء على الإطلاق عبر اللاسلكي، انتقل كُل شيء عبر الشعاع الضيِّق، وانتقل كُل شيء ذهابًا وإيابًا مع وجود الكثير من عبارات الشفرة الواضِحة».

تحرَّك فم ميلر داخِل خوذته، ربت هولدن على لوحة وجهه. أدار ميلر عينيه في سخطٍ ثُم حدَّق عبر رابط الاتصال في القناة العامة.

قال: «آسف، لم أقضِ الكثير من الوقت في البدلات، ما الذي وجدناه ويُعتبر أمرًا جيِّدًا؟».

قالت وهي تضغط على السطر الأخير في القائِمة: «ليس الكثير؛ لكن الاتصال الأخير كان بإنجليزيةٍ بسيطةٍ».

«محطَّة ثحوت

انتكاس الطاقم. توقع نسبة إصابات تصل لـ ١٠٠٪. المواد مؤمَّنة. الدورة والسُّرعة مُستقران. بيانات التوجيه للمُتابعة. خطر التلوُّث الشديد لفرق الدخول.

القُبطان: هيجنز»

قرأها هولدن عدَّة مرَّات مُتخيِّلًا القُبطان هيجنز وهو يُشاهِد العدوى تنتشِر عبر طاقمه، عاجزًا عن إيقافها، تقيّأ رجاله في كُل مكان في صندوق معدني مُحكَم الإغلاق، فحتى وجود جزيء واحِد من تلك المادة على جسدك سيكون بمنزلة حُكم إعدام افتراضي، والشعيرات التي تُغطيها الخيوط السوداء تنفجِر من عيونهم وأفواههم، وبعد ذلك... الحساء الذي يُغطي المُفاعِل، ترك نفسه يرتجِف مُتنًّا لأن ميلر لم يرَ ذلك من خلال البدلة الفضائية.

قال ميلر مُقتحِمًا حلم يقظة هولدن: «إذن فقد أدرك هيجنز أن طاقمه يتحوَّل إلى زومبي مُتقيئين فأرسَل رسالة أخيرة إلى رؤسائه، أليس كذلك؟ لكن ما هذه الأشياء المُتعلِّقة ببيانات التوجيه؟».

أجابه هولدن: «كان يعلَم أنهم سيموتون جميعًا، ولذلك كان يسمَح لرجاله بمعرفة كيفية اللحاق بالمركبة».

قال ميلر: «لكنهم لم يفعلوا؛ لأنها هنا؛ لأن جولي تولَّت قيادتها وحلَّقت بها إلى مكانٍ آخرَ، مما يعني أنهم يبحثون عنها، أليس كذلك؟».

تجاهَل هولدن ذلك وأعاد وضع يده على كتف ناعومي بما كان يأمل أن يكون ألفة ودودة.

قال: «لدينا رسائِل الشعاع الضيِّق ومعلومات التوجيه، هل يذهبون جميعًا إلى نفس المكان؟».

قالت وهي تومئ بيدها اليُمنى: «نوعًا ما، ليس إلى نفس المكان؛ لكن إلى كُل ما يبدو نقاطًا في الحزام؛ لكن بناءً على التغييرات في الاتجاهات والأوقات التي تمَّ إرسالها إلى نقطةٍ واحدةٍ تتحرَّك في الحزام، وليس في مدارٍ مُستقرٍّ أيضًا».

- «مركبة إذن؟».

قامت ناعومي بإيماءةٍ أخرى.

قالت: «على الأرجح، لقد كُنت ألعب مع المواقِع، ولا يُمكِنني العثور على أي شيء يبدو مُحتملًا في السجل، لا محطَّات أو صخور مأهولة، ستكون المركبة منطقيةً؛ لكن... ».

انتظر هولدن أن تُنهي ناعومي جُملتها؛ لكن ميلر انحنى للأمام بنفاد صبر.

قال: «لكن ماذا؟».

أجابته: «لكن كيف عرفوا أين ستكون؟ ليس لديَّ أي اتصالات واردة في السجل، كيف سيعرِفون إلى أين يرسِلون هذه الرسائِل، إذا كانت المركبة تتحرَّك بشكلٍ عشوائي في الحزام؟».

ضغط هولدن على كتفها بخفةٍ كافيةٍ لدرجة أنها ربما لم تشعُر بها حتى عبر البدلة البيئية الثقيلة، ثُم اندفع وترك نفسه ينجرِف نحو السقف.

قال: «إذن فهي ليست حركة عشوائية، لديهم خريطة من نوعٍ ما لمكان تواجُد هذا الشيء في الوقت الذي أرسلوا فيه اتصالات الليزر، يُمكِن أن تكون إحدى المركبات الشبحية الخاصَّة بهم».

استدارت ناعومي في مقعدها لتنظُر إليه.

قالت: «يُمكِن أن تكون محطَّة».

اقتحم ميلر حديثهما قائلًا: «إنه المُختبر، إنهم يجرون تجربةً على إيروس، ويحتاجون إلى أصحاب المعاطِف البيضاء في مكانٍ قريبٍ».

قال هولدن: «جُملة: «المواد مؤمَّنة» يا ناعومي، هناك خزنة في مهجع القُبطان لا تزال مُحكمة الإغلاق، هل تعتقدين أنه يُمكنكِ فتحها؟».

أومأت ناعومي له بيدٍ واحدةٍ.

قالت: «لا أعرِف، ربما، ربما يُمكِن أن يُفجِّرها أموس ببعض المُتفجِّرات التي وجدناها في صندوق الأسلِحة الكبير هذا لفتحها».

ضَحِكَ هولدن.

قال: «حسنًا، سأقوم بإلغاء خيار التفجير نظرًا لأنها ربما تكون مليئةً بقوارير صغيرةٍ من الفيروسات الفضائية السيِّئة».

أغلقت ناعومي سجل الاتصالات وفتحت قائِمة أنظمة المركبة العامة.

قالت: «يُمكِنني أن أبحث لأرى ما إذا كان الحاسوب يملك صلاحية الوصول إلى الخزنة، وسأحاوِل فتحها بهذه الطريقة، وقد يستغرِق الأمر بعض الوقت».

قال هولدن: «قومي بما تستطيعين فعله، سنتوقَّف عن إزعاجكِ».

دفع هولدن نفسه عن السقف مُتجِهًا إلى فتحة حُجرة العمليات، ثُم دلف منها إلى الممر الذي يليها، وتبعه ميلر بعد لحظات قليلة، ثبّت المُحقِّق قدميه على سطح المركبة باستخدام الأحذية المغناطيسية، ثُم حدَّق في هولدن مُنتظرًا.

هبط هولدن إلى السطح بجواره.

سأله هولدن: «ما رأيك؟ هل بروتوجين مسؤولون عن الأمر برمَّته؟ أم أن تلك مُنظَّمة أخرى تبدو مثلها تمامًا؛ لكنها ليست كذلك؟».

ظلَّ ميلر صامتًا لوقتٍ كافٍ لنفسين طويلين.

قال ميلر: «يبدو هذا الأمر حقيقيًّا للغاية». بدا غير راضٍ تقريبًا.

جَذَب أموس نفسه للأعلى على سلم الطاقم، وهو يسحَب صندوقًا معدنيًّا كبيرًا خلفه.

قال: «مرحبًا يا قُبطان، لقد وجدت عبوَّة كامِلة من كُريات الوقود من أجل المُفاعِل الموجود في ورشة الآلات، ربما نرغَب في أخذها معنا».

قال هولدن وهو يرفَع يدًا ليُخبِر ميلر أن ينتظِر: «عمل رائِع، انطلِق وخُذ هؤلاء إلى هناك، أريدك أيضًا أن تضع خطَّة لتدمير هذه المركبة».

قال أموس: «انتظر، ماذا؟ إن قيمة هذا الشيء مليون دولار أيها القُبطان، مركبة صواريخ شبحية؟ سيكون رجال (أوبا) على استعدادٍ لبيع جداتهم من أجل هذا الشيء، ولا تزال ستة من هذه الأنابيب تحتوي على صواريخ بداخلها، صواريخ مُدمِّرات للمركبات الرئيسية، يُمكِنك تفجير قمر صغير بتلك الأشياء، انسَ أمر جدَّاتهم، سيكون رجال (أوبا) على استعدادٍ لأن تعمل بناتهم في الدعارة من أجل تلك المُعدَّة، فلماذا نُفجرها بحق الجحيم؟».

حدَّق به هولدن في عدم تصديق.

سأله: «هل نسيت ماذا يوجد في غُرفة المُحرِّكات؟».

شخر أموس وهو يقول: «اللعنة يا قُبطان، هذا القرف مُجمَّد بالكامِل، أعطني ساعتين مع الشعلة وبإمكاني تقطيعه وإخراجه من غُرفة مُعادلة الضغط، ونُصبح جاهزين للانطلاق».

وضعت الصورة الذهنية لأموس وهو يخترِق أجساد طاقم المركبة السابِق الذائِبة بشُعلة بلازما قبل أن يقذِف القطع بمرحٍ من غُرفة مُعادلة الضغط هولدن على حافة حالة غثيان كامِل، من المُحتمل أن تكون قُدرة الميكانيكي الضخم على تجاهُل أي شيء لا يُريد مُلاحظته قد تطوَّرت أثناء زحفه في حُجرات المُحرِّك الضيِّقة والدُّهنية، بينما هدَّدت قُدرته على تجاهُل التشويه الرهيب الذي أصاب عشرات الأشخاص بتحويل اشمئزاز هولدن إلى غضبٍ.

قال: «انسَ أمر تلك الفوضى، والاحتمال القوي للغاية للإصابة بالعدوى بما تسبَّب في تلك الفوضى، هناك أيضًا حقيقة أن هناك شخصًا ما يبحث عن تلك المركبة باهِظة الثمن للغاية والشبحية للغاية بيأسٍ، وحتى الآن لا يستطيع أليكس العثور على المركبة التي تبحث عنها».

توقَّف عن الحديث وأومأ برأسه نحو أموس بينما طفق الميكانيكي يُفكِّر في الأمر، كان بإمكانه أن يرى وجه أموس العريض يعمَل بينما كان يربط خيوط الأمر سويًّا في رأسه، وجدنا مركبة شبحية، هناك أشخاص آخرون يبحثون عن مركبة شبحية، لا نستطيع رؤية الأشخاص الآخرين الذين يبحثون عنها.

اللعنة.

سيطر الشحوب على وجه أموس.

قال: «حسنًا، سأُعِد الْمُفاعِل ليقوم بتدميرها»، نظر إلى الأسفل نحو الوقت الموجود على شاشة عرض ساعِد بدلته قبل أن يقول: «اللعنة، لقد قضينا وقتًا طويلًا هنا، من الأفضل أن نبدأ بالتحرُّك سريعًا».

وافقه ميلر القول: «من الأفضل أن نفعل».

***

كانت ناعومي جيِّدة، جيِّدة للغاية، اكتشف هولدن هذا عندما وقَّع عقدًا مع (كانتيربيري)، وعلى مدار السنوات، أضاف هذا الأمر إلى قائمة الحقائِق الخاصَّة به، جنبًا إلى جنبٍ مع حقيقة أن الفضاء بارِد وأن اتجاه الجاذبية لأسفل، وعندما يتوقَّف شيء ما عن العمل في مركبة نقل المياه، كان يطلُب من ناعومي أن تُصلِحها، ثُم يتوقَّف عن التفكير في الأمر. كانت تدعي في بعض الأحيان أنها غير قادِرة على إصلاح شيء ما؛ لكنه لطالما كان تكتيكًا تفاوُضيًّا، وستؤدي مُحادثة قصيرة إلى طلب قطع غيار أو تعيين طاقم إضافي في الميناء التالي، وسوف يحدُث ذلك. لم تكُن هناك مُشكِلة تتعلَّق بالإليكترونيات أو قطع غيار المركبات الفضائية لا تستطيع حلَّها.

قالت: «لا أستطيع فتح الخزنة».

كانت تطفو بجانِب الخزنة في مهجع القُبطان، بينما استقرَّت قدم واحدة على فراشه لتُثبِّت نفسها وهي تُشير بيدها، وقف هولدن على الأرض باستخدام أحذيته المغناطيسية، بينما كان ميلر في الفتحة المؤدية إلى الممر.

سأله هولدن: «ماذا تحتاج؟».

- «إذا لم تسمَح لي بتفجيرها أو بقصِّها، فلا أستطيع فتحها».

هزَّ هولدن رأسه؛ لكن إما أن ناعومي لم ترَ هذا، أو أنها قد تجاهلته.

قالت: «صُمِّمَت الخزنة بحيث تفتح عندما يتم تشغيل نمط مُحدَّد للغاية من الحقول المغناطيسية عبر تلك اللوحة المعدنية الموجودة في المُقدِّمة، هناك شخص ما لديه مفتاح مُصمَّم للقيام بذلك؛ لكن هذا المفتاح ليس موجودًا على متن تلك المركبة».

قال ميلر: «إنه في تلك المحطَّة، ولن يُرسله إلى هناك إذا لم يتمكَّنوا من فتحها».

حدَّق هولدن في جانِب الخزنة للحظةٍ، وهو ينقُر بأصابعه على الحاجِز المجاوِر له.

قال: «ما احتمالات أن يُفجِّر تقطيعها فخًّا مُتفجِّرًا؟».

قال أموس: «جيِّدة للغاية بحق اللعنة يا قُبطان». كان يُنصِت السمع من مرفق الصواريخ وهو يخترِق مُفاعِل الاندماج الذي يعمَل على تشغيل أحد الصواريخ الستة المُتبقية ليُصبح في حالةٍ حرجةٍ، كان العمل في مُفاعِل المركبة الرئيس خطيرًا للغاية بعد رفع الدروع.

قال هولدن: «أريد تلك الخزنة ومُلاحظات البحث، والعينات التي تحتوي عليها حقًّا يا ناعومي».

قال ميلر: «أنت لا تعرِف ما الذي يوجَد هناك». ثُم ضَحِكَ وهو يُضيف: «لا، بالطبع هذا ما يوجد هناك؛ لكن لن يُساعدنا ذلك في حالة تفجيرها، أو الأسوأ، إذا أحدثت قطعة من تلك الشظايا المُغطاة بمادةٍ من المادة اللزِجة ثقبًا في بدلاتنا اللطيفة».

أجابه هولدن: «سأتحمَّل هذه المُجازفة».، ثُم جذب قطعة من الطباشير من جيب بدلته ورسم خطًّا على الحاجِز فوق الخزنة، اقطعي ثقبًا صغيرًا في الحاجِز يا ناعومي وانظري إذا ما كان هناك أي شيء يمنعنا من إزالة هذا الشيء اللعين برمَّته وأخذه معنا».

- «سيتحتَّم علينا إزالة نصف الجدار».
- «حسنًا».

عبست ناعومي، ثُم هزَّت كتفيها، ثُم ابتسمت وأومأت بإحدى يديها.

قالت: «حسنًا إذن، هل تُفكِّر في أخذها إلى رجال فريد؟».

ضَحِكَ ميلر مرَّةً أخرى، ضحكة خَشِنة جافة تفتقِر إلى روح الدعابة جعلت هولدن يشعُر بعدم الارتياح، كان المُحقِّق يُشاهِد فيديو قتال جولي ماو مع خاطفيها مرارًا وتكرارًا، بينما كانوا ينتظِرون ناعومي وأموس من الانتهاء من عمليهما، مما أعطى هولدن شعورًا مُقلِقًا بأن ميلر كان يُخزِّن اللقطات في رأسه كوقودٍ لشيءٍ ما يُخطِّط لفعله لاحقًا.

قال ميلر: «سيُعيد المريخ حيواتكم إليكم في مُقابِل هذه، لقد سمعت أن المريخ يكون لطيفًا عندما تكون ثريًّا».

قال أموس وهو يُصدِر صوتًا استنكاريًّا أثناء عمله على شيءٍ ما بالأسفل: «اللعنة على الأغنياء، سيبنون لنا تماثيل».

قال هولدن: «لدينا اتفاق مع فريد للسماح له بالمُزايدة على أي عقود أخرى نقبلها، بالطبع هذا ليس عقدًا بحد ذاته... ».

ابتسمت ناعومي وهي تغمِز إلى هولدن.

قالت بصوتٍ خافتٍ مليءٍ بالسخرية: «ما هذا إذن يا سيدي؟ أبطال (أويا)؟ مليارديرات المريخ؟ بدء شركة التكنولوچيا الحيويّة الخاصّة بك؟ ماذا نفعل هنا؟».

اندفع هولدن مُبتعدًا عن الخزنة وهو يركُل بقدميه مُتجهًا نحو غُرفة مُعادلة الضغط وشُعلة التقطيع التي كانت تنتظِر هناك مع بقية أدواتهم.

قال: «لا أعلم بعد؛ لكن من المؤكَّد أنه من الجيِّد أن يكون لديك خيارات مرَّة أخرى».

***

ضَغَطَ أموس على الزر مرَّة أخرى، لم تلمَع أي نجوم جديدة في الظلام، وظلَّت أشعة استشعار الأشعة تحت الحمراء هادِئة.

سأله هولدن: «من المُفترض أن يحدُث انفجار، أليس كذلك؟».

قال أموس: «اللعنة، أجل». ثُم ضَغَطَ على الزر الموجود في الصندوق الأسود المُسجى في يده للمرَّة الثالثة وهو يُضيف: «هذا ليس علمًا دقيقًا أو أي شيء، مُحرِّكات هذه الصواريخ بسيطة مثلما يبدو عليها، مُجرَّد مُفاعِل بجدارٍ مفقودٍ، لا يُمكِن التنبؤ بالضبط بـ... ».

قال هولدن ضاحكًا: «إنه ليس علم الصواريخ».

قال أموس مستعدًّا للغضب في حال كان يتعرَّض للسخرية: «ماذا؟».

قال هولدن: «إنه ليس علم الصواريخ كما تعلم، أي أنه ليس صعبًا، أنت عالِمِ صواريخ يا أموس حقًّا، أنت تعمَل على مُفاعلات الاندماج ومُحرِّكات المركبات الفضائية لكسب لُقمة عيشك، كان الناس ليصطفُّوا لمنحك أطفالهم من أجل ما تعرفه قبل مائتي عام».

قال أموس: «بحق اللعـ... »، لكنه توقَّف عندما انفجرت شمس جديدة خارِج نافِذة قُمرة القيادة، قبل أن تتلاشى بسُرعةٍ. أضاف: «هل رأيت؟ لقد أخبرتك أنه سيعمل بحق اللعنة».

قال هولدن: «لم أشُك في ذلك». ثُم صفع أموس على كتفٍ مليء باللحم قبل أن يتوجَّه إلى أسفل سلم الطاقم.

قال أموس دون أن يوجِّه سؤاله إلى أي أحد على وجه الخصوص وهولدن ينجرف بعيدًا: «ماذا كان هذا بحق اللعنة؟».

توجه عبر سطح العمليات، كان مقعد ناعومي فارغًا، كان سيأمُرها بالحصول على قسطٍ من النوم، كانت خزنة المركبة الشبحية مُثبَّتة بحلقاتٍ مُدمجةٍ على سطح المركبة، بدت أكبر حجمًا عندما تم قطعها من على الجدار، سوداء وقوية للغاية، حاوية من النوع الذي يحتفِظ به المرء بنهاية النظام الشمسي.

طاف هولدن نحوها وهو يقول: «افتح يا سمسم».

تجاهلته الخزنة؛ لكن فتحة السطح فُتِحَت ودخل ميلر إلى المقصورة عبرها، كان قد استبدل ببدلته البيئية بدلة زرقاء كريهة الرائحة وقُبعته

المُعتادة، كان هناك شيء ما في النظرة التي اعتلت وجهه جعل هولدن يشعُر بعدم الارتياح، حتى أكثر مما يجعله المُحقِّق يشعُر عادةً.

قال هولدن: «مرحبًا».

أومأ ميلر برأسه وجذب نفسه نحو إحدى محطَّات العمل، ثُم جلس في أحد المقاعِد.

سأله: «هل قرَّرنا وجهتنا بعد؟».

- «لا، لقد تركت أليكس بعد أن زوَّدته بعدة احتمالات؛ لكنني لم أحسم أمري بعد».

سأله المُحقِّق: «هل شاهدت الأخبار؟».

هزَّ هولدن رأسه، ثُم انتقل إلى مقعدٍ على الجانِب الآخر من المقصورة، جمَّد شيء ما في وجه ميلر الدماء في عروقه.

قال: «لا، ماذا حدث؟».

- «أنت لا تُحيط بالأمور علمًا يا هولدن، أعتقِد أنني مُعجب بذلك فيك».

قال هولدن: «أخبرني فحسب».

- «لا، أنا أقصِد ذلك، فالكثير من الناس يدَّعون أنهم يؤمنون بأمورٍ على شاكلة أن «الأُسرة تأتي في المقام الأول»؛ لكنهم سيضاجعون بائِعة هوى بخمسين دولارًا في يوم القبض، أو أن «الدولة تأتي في المقام الأول»؛ لكنهم يغشون في ضرائبهم؛ لكن ليس أنت، أنت تقول إن الجميع يجب أن يُحيط علمًا بكُل شيء، وبحق الله، يبذُل كُل ما في وسعه لدعم هذا القول».

انتظر ميلر أن يُعقِّب بشيءٍ ما؛ لكن هولدن لم يعرِف ماذا يقول، أثار هذا الخطاب إحساسًا لديه بأن المُحقِّق أعد شيئًا ما مُسبقًا، وقد يسمح له بإنهائه كذلك.

- «إذن فقد اكتشف المريخ أنه ربما كانت الأرض تبني مركبات في السر، مركبات لا تحمل أعلامًا، وربما قتلت بعضها مركبة رئيسة مريخية، أراهن أن المريخ يقوم بالتحقُّق من ذلك الآن، أعني: إنها بحرية الأرض والمريخ الفضائية، نظام الهيمنة السعيد الكبير، تمَّ الحفاظ على وحدة النظام الشمسي لما يقترِب من مائة عام. الضُبَّاط المسؤولون يضاجِعون بعضهم بعضًا عمليًّا، لذلك يجب أن يكون هذا خطأً، أليس كذلك؟».

قال هولدن مُنتظرًا: «حسنًا».

قال ميلر: «وهكذا يقوم المريخ بالاتصالات، أعني، أنني لا أعرِف هذا على وجه الخصوص؛ لكنني أراهِن على أن هذه هي الطريقة التي بدأ بها الأمر، مُكالمة من أحد كِبار الشخصيات على المريخ لأحد كِبار الشخصيات على الأرض».

قال هولدن: «يبدو هذا منطقيٌّ».

- «في رأيك، ما الذي ستُجيب به الأرض على ذلك؟».
- «لا أعرِف».

مدَّ ميلر يده وقام بتشغيل إحدى الشاشات، ثُم فتح ملفًّا مكتوبًا عليه اسمه، وبطابعٍ زمني يعود لأقل من ساعةٍ سابقةٍ، تسجيل لمقطع فيديو من مصدر إخباري مريخي يُظهِر السماء ليلًا عبر قُبَّة مريخية. الشرائِط الضوئية والومضات تملأ السماء، بينما يُشير الشريط الموجود في الجزء السفلي من

الفيديو إلى أن المركبات الأرضية التي تدور حول المريخ بدأت فجأة وبدون سابِق إنذار في إطلاق النار على نظيراتها المريخيَّة، والشرائِط الضوئية الموجودة في السماء هي الصواريخ، بينما الومضات هي المركبات المُحتضِرة.

وبعد ذلك، أدى توهُّج أبيض هائِل إلى تحويل ليل المريخ إلى نهارٍ لبضع ثوانٍ، وقال الشريط إن محطَّة رادار ديموس العميقة قد دُمِّرَت.

جَلَسَ هولدن وشاهَد الفيديو وهو يعرِض نهاية النظام الشمسي بألوانٍ زاهيةٍ وتعليقات من الخُبراء، وطفق ينتظِر هبوط شرائِط الضوء على الكوكب نفسه، حتى تنفجِر القِباب في انفجاراتٍ نوويةٍ؛ لكن يبدو أن شخصًا ما قد احتفظ بقليلٍ من ضبط النفس، وظلَّت رحى المعركة تدور في السماء؛

لكن لا يُمكِن أن تبقى على هذا النحو للأبد.

قال هولدن: «هل تُخبرني أنني فعلت ذلك؟ وأنني إذا لم أقُم ببث تلك البيانات، لظلَّت تلك المركبات وهؤلاء الأشخاص على قيد الحياة».

- «أجل، هذا. وأيضًا أنه إذا أراد الأشرار منع الناس من مُشاهدة ما يحدُث في إيروس، فقد نَجَحَ مسعاهُم».

(٣٦)
ميلر

تدفَّقت قصص الحرب، شاهد ميلر خمس نشرات أخبار في المرَّة الواحِدة، ازدحمت الشاشات الفرعيَّة على واجهة جهازه اللوحي، كان المريخ يرزح تحت وطأة الصدمة، والدهشة، والترنُّح، وتحوَّلت الحرب بين المريخ والحزام -أضخم وأخطر صراع في تاريخ البشرية- فجأة إلى عرضٍ جانبي، وكانت ردود فعل المُتحدِّثين الرسميين باسم قوَّات الأمن على الأرض تدور في سلسلةٍ من المُناقشات الهادِئة والعقلانيّة للدفاع الوقائي إلى التنديد بالغضب الشديد للمريخيين باعتبارهم مجموعة من الحيوانات مُغتصِبة الأطفال، أدى الهجوم على ديموس إلى تحويل القمر إلى حفنةٍ من الحصى تنتشِر ببطءٍ في مدار القمر القديم، مُجرَّد لطخة في سماء المريخ، وبذلك، تغيَّرت اللعبة مرَّة أخرى.

شاهَد ميلر الهجوم وهو يتحوَّل إلى حصارٍ لمُدَّة عشر ساعات، كانت البحرية الفضائية المريخية المُنتشِرة في جميع أنحاء النظام تعود إلى ديارها بأقصى سُرعةٍ مُمكنةٍ، كانت نشرات أخبار (أوبا) تُطلِق على ذلك انتصارًا، وربما اعتقد شخص ما أن هذا صحيح، توافدت الصور من المركبات، ومن مصفوفات الاستشعار، انفجرَت جوانِب المركبات الحربيَّة الميِّتة بانفجاراتٍ عالية الطاقة، وبدأت تدور في جاذبيتها المدارية غير المُنتظِمة،

وامتلأت المرافِق الطبيَّة التي تُشبِه مرفق (روسي) الطبي بفتيةٍ وفتيات في نصف عُمرهم ينزِفون ويحترِقون ويموتون، كما ظهرت لقطات جديدة مع كُل دورة، تفاصيل جديدة عن الموت والمذابِح، كان يعتدِل في كُل مرَّة يظهَر فيها مقطع جديد، ويضع يده على فمه مُنتظرًا أن تأتي الكلِمة، الحدث الوحيد الذي من شأنه أن يُشير إلى نهاية كُل شيء.

ولكنها لم تأتِ بعد، ومنحت كُل ساعة لم تأتِ بها شظية أخرى من الأمل، فربما... ربما لن يحدُث ذلك.

قال أموس: «مرحبًا، هل نلت أي قسط من النوم على الإطلاق؟».

رفع ميلر ناظريه إلى الأعلى، كان عُنقه مُتيبِّسًا، وقف الميكانيكي في باب مقصورة ميلر المفتوح، والتجاعيد الحمراء التي تركتها الوسادة تتناثر على وجنته وجبهته.

قال ميلر: «ماذا؟».. ثُم أضاف: «أجل، لا، لقد كُنت... أشاهِد».

- «هل أسقَط أي شخص أي صخرة؟».
- «ليس بعد، لا يزال كُل شيء مداريًّا أو أعلى من ذلك».

قال أموس: «أي نوع من نهاية العالَم اللعينة يقومون بها هناك؟».

- «دعهم وشأنهم، إنها محاولتهم الأولى».

هزَّ الميكانيكي رأسه العريض؛ لكن ميلر استطاع أن يرى الراحة المُختبِئة في ظل الاشمئزاز المزعوم، طالما ظلَّت القباب قائمة على متن المريخ، وطالما أن المُحيط الحيوي للأرض لم يكُن يتعرَّض لخطرٍ مُباشرٍ، فإن البشرية لم تمُت بعد، وتحتَّم على ميلر أن يتساءل عمَّا كانوا يأملون به في الحزام، ما إذا كانوا قد تمكَّنوا من إقناع أنفُسهم بالاعتقاد بأنه من شأن

جيوب الكويكِبات البيئية الخشِنة أن تُحافِظ على الحياة إلى أجلٍ غير مُسمى.

سأله أموس: «هل تُريد بيرة؟».

- «هل تتناوَل البيرة على الإفطار؟».

قال أموس: «اعتبره عشاءك».

كان الرجل مُحقًّا، وكان ميلر بحاجةٍ إلى النوم، لم يتمكَّن من نيل أكثر من غفوةٍ منذ أن قاموا بتدمير المركبة الشبح، وابتُلي أثناءها بأحلامٍ غريبةٍ، تثاءب عندما خطرت له فكرة التثاؤب؛ لكن التوتُّر الذي كان يعتمِر في أحشائه قال إنه من المُرجَّح أن يقضي اليوم في مُشاهدة نشرات الأخبار فضلًا عن نيل قسط من الراحة.

قال ميلر: «ربما يكون إفطارًا مرَّة أخرى».

سأله أموس: «هل تُريد بيرة على الإفطار؟».

- «بالطبع».

بدا المشي على متن (روسينانت) سرياليًّا وسط طنين جهاز إعادة تدوير الهواء الهادئ، ونعومة الهواء. كانت الرحلة إلى مركبة جولي عبارة عن ضباب من مُسكِّنات الألم والمرض، بينما كان الوقت الذي قضاه على إيروس قبل ذلك عبارة عن كابوس لن يتلاشى، المشي عبر الممرَّات الاحتياطية العملية، بينما تُثبِّته قوى الجاذبيَّة إلى الأرض برفقٍ مع وجود فرصة ضئيلة للغاية لأن يحاوِل أي شخص قتله عندما يشعُر بالريبة؛ لكن الأمر لم يكُن سيئًا للغاية عندما تخيَّل جولي تمشي معه.

دق جهازه اللوحي بينما كان يأكُل، التذكير التلقائي لدمٍ آخرَ يُراق، وقف، عدَّل من وضع قُبعته، وتوجَّه ليترك الإبر وحاقِنات الضغط تفعل أسوأ ما في وسعها، كان القُبطان هناك بالفعل مربوطًا بالمحطَّة عندما وَصَل ميلر.

بدا هولدن وكأنه قد غطَّ في نومٍ؛ لكنه لم يكُن عميقًا، لم تكُن هناك علامات الكدمات السوداء تحت عينيه مثل ميلر؛ لكن كتفيه كانا متوتِّرين، وجبينه على حافة التجعُّد، تساءل ميلر عمَّا إذا كان الأمر قد كان صعبًا للغاية على الرجل، لقد أخبرتك أن ذلك يُمكِن أن يكون رسالةً مهمة؛ لكن عبء موت الأبرياء، وقد تكون فوضى فشل الحضارة أكثر من أن يتحمَّلها رجل واحِد، أو ربما كان لا يزال غارِقًا في غرام ناعومي.

رفع هولدن اليد التي لم تكُن مُغطاة بالمُعدَّات الطبيَّة.

قال ميلر: «صباح الخير».

- «مرحبًا».
- «هل قرَّرت إلى أين سنذهب؟».
- «ليس بعد».

قال ميلر وهو يُريح نفسه في عناقٍ مألوفٍ مع المحطَّة الطبيَّة: «يزداد الأمر صعوبةً في الوصول إلى المريخ، من الأفضل أن تفعل هذا قريبًا، إذا كان هذا هو ما تطمَح إليه».

- «تقصِد بينما لا يزال هناك مريخ؟».

وافقه ميلر قائِلًا: «على سبيل المثال».

انفصلت الإبر على أذرعٍ مفصليَّةٍ برفقٍ، نظر ميلر إلى السقف محاوِلًا ألا يُصاب بالتوتُّر بينما تشُق الخطوط طريقها في عروقه، كانت هناك لحظة

ألم لاذِعة، ثُم ألم خافِت بطيء، ثُم خدر، وأعلَنت شاشة العرض الموجودة فوقه حالة جسدِه للأطِباء الذين كانوا يُراقِبون الجنود الشباب يموتون أعلى قمة جبل أوليمبوس مونز المريخي.

سأله هولدن: «هل تعتقِد أنهم سيتوقَّفون؟ أقصِد أنه يجب على الأرض أن تفعل هذا؛ لأن بروتوجين تمتلِك بعض الجنرالات أو أعضاء مجلِس الشيوخ أو شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟ كُل هذا لأنهم يُريدون أن يكونوا الوحيدين الذين يمتلِكون هذا الشيء، وإذا ما امتلكه المريخ كذلك، فلن يكون لدى بروتوجين سبب للقتال».

رَمَش ميلر قبل أن يتمكَّن من اختيار إجابته -أنهم سيحاوِلون القضاء على المريخ بشكلٍ نهائي، أو أن الأمر سيتطوَّر إلى ما هو أكثر من ذلك، أو ما مدى سذاجتك بالضبط أيها القُبطان؟- استمرَّ هولدن.

- «اللعنة على ذلك، لدينا ملفَّات البيانات، سأقوم ببثها».

جاء رد ميلر بسيطًا كرد فعل.

- «لا، لن تفعل».

ستَّد هولدن نفسه، وغيوم العواصِف تحتل تعبيرات وجهه.

قال: «أقدِّر أنه قد يكون لديك اختلاف معقول في الرأي؛ لكن هذه لا تزال مركبتي، وأنت مُسافِر».

قال ميلر: «هذا صحيح؛ لكنك تواجِه صعوبةً في إطلاق النار على الناس، وسوف تضطر إلى إطلاق النار عليَّ قبل أن تُرسِل هذا الشيء».

- «سأضطر لماذا؟».

تدفَّق الدم الجديد إلى نظام ميلر مثل دغدغة من الماء المُثلَّج الزاحِف نحو قلبه، تحوَّلت أجهزة المُراقبة الطبيَّة إلى نمطٍ جديدٍ، حيث بدأت تعد الخلايا الشاذة عند اصطدامها بمُرشحاتها.

قال ميلر ببطءٍ هذه المرَّة: «ستضطر إلى إطلاق النار عليَّ، امتلكت خيار تدمير النظام الشمسي من عدمه مرَّتين، وقُمت بالاختيار الخاطئ في كلتا المرَّتين، ولا أريد أن أراك تُخفِق للمرة الثالثة».

- «أعتقِد أنه قد يكون لديك فكرة مُبالَغ فيها عن مدى تأثير الرجل الثاني في قيادة ناقلات الماء لمسافاتٍ طويلةٍ، أجل، هناك حرب، وأجل، كُنت هناك عندما بدأت؛ لكن الحزام يكره الكواكِب الداخلية منذ وقت طويل قبل أن تُهاجِم (كانت) ».

قال ميلر: «لقد قسَّمت الكواكِب الداخلية أيضًا».

أمال هولدن رأسه.

قال هولدن كما لو كان يُقِر بحقيقة أن الماء مُبلَّل: «لطالما كَرِهَت الأرض المريخ، عندما كُنت في البحرية الفضائية، قُمنا بعمل توقعات لهذا الأمر، خطط المعركة إذا تورَّطت فيها الأرض والمريخ، ستخسَر الأرض ما لم يبادِروا بالضرب أولًا، وبالضرب بقوةٍ، دون أن يستسلِموا، ستخسَر الأرض».

ربما كانت المسافة، ربما كان فقر الخيال؛ لكن ميلر لم يرَ إمكانية تقسُّم الكواكِب الداخلية على الإطلاق.

سأله: «حقًّا؟».

قال هولدن: «إنهم مُستعمَرة؛ لكنهم يمتلِكون أفضل الألعاب، ويعرف الجميع هذا، وكُل ما يحدُث هناك الآن يتراكَم منذ مائة عام، وإذا لم يكُن هناك منذ البداية، لما حدث هذا الأمر».

- «هل هذا دفاعك عن نفسك؟ إنه ليس برميل البارود الخاص بي؛ لقد أحضرت عود الثقاب فحسب؟».

قال هولدن: «أنا لا أدافِع عن نفسي». كان ضغط دمه ومُعدَّل ضربات قلبه يرتفِعان بشدةٍ.

قال ميلر: «لقد مررنا بهذا، لذلك دعني أسألك فحسب، لماذا تعتقِد أن هذه المرَّة ستكون مُختلِفة؟».

بَدَت الإبر الموجودة في ذراع ميلر وكأنها تسخَن لدرجة أنها أصبحت مؤلِمة، تساءل عما إذا كان هذا طبيعيًّا، وعمَّا إذا كان سيشعُر بنفس الشعور مع كُل تدفُّق للدم.

قال هولدن: «هذه المرَّة مُختلِفة، كُل الهراء الذي يحدُث هناك هو ما يحدُث عندما يكون لديك معلومات غير كامِلة، لم يكُن المريخ والحزام ليسعيان خلف بعضهما بعضًا في المقام الأول إذا كانا يعرِفان ما نعرفه الآن، ولم يكُن الأرض والمريخ ليُطلِقان النار على بعضهما بعضًا إذا عرَف الجميع أن المعركة تجري هندستها، المُشكلة ليست أن الناس يعرِفون أكثر من اللازِم؛ بل أنهم لا يعرِفون بما فيه الكفاية».

هسَّ شيء ما وشعر ميلر بموجةٍ من الاسترخاء الكيميائي تغمره، استاء من ذلك؛ لكن لم يكُن هناك إرجاع للمُخدِّرات.

قال ميلر: «لا يُمكِنك إلقاء المعلومات على الناس فحسب، عليك أن تعرِف ما تعنيه، وماذا ستفعل لقد كانت هناك قضيَّة في سيريس، حيث

قُتِلَت فتاة صغيرة، وكنا جميعًا على يقين خلال الثماني عشرة ساعة الأولى أن الأب هو من فعلها، كان مُجرِمًا سكِّيرًا، وكان آخر شخص رآها وهي على قيد الحياة، توافرت جميع العلامات الكلاسيكيَّة؛ لكننا حصلنا على معلومة في الساعة التاسِعة عشر، واتضح أن الأب مدين بالكثير من المال لإحدى النقابات المحليَّة، وأصبحت الأمور أكثر تعقيدًا فجأة. وأصبح لدينا المزيد من المُشتبه بهم، هل تعتقِد أنني لو كُنت قد صرَّحت بكُل ما أعرِفه، لظلَّ الأب على قيد الحياة، عندما حصلنا على المعلومة؟ أو هل كان شخص ما سيضع كُل الأمور معًا ليفعل الشيء الواضِح؟».

دقَّت محطَّة ميلر الطبيَّة، سرطان جديد آخر، تجاهله، كانت دورة هولدن قد انتهت للتو، وكانت حُمرة وجنتيه خير دليل على الدماء الطازجة والصحيَّة التي تسري في جسده بقدر ما كانت خير دليل على حالته العاطفيَّة.

قال هولدن: «هذه هي نفس الروح التي يتمتَّعون بها».

- «من هُم؟».
- «بروتوجين، قد تكون على الجانِب الآخر؛ لكنك تلعَب نفس اللعبة، إذا قال الجميع ما يعرفونه، لما حدث أي من ذلك، إذا رأى أول فني معمَل في فيبي شيئًا ما غريبًا يحدث في نظامه وقال: انظروا جميعًا! هذا غريب! لما حدث أي شيء من هذا أبدًا».

قال ميلر: «أجل، لأن إخبار الجميع أن هناك فيروسًا فضائيًّا يُريد قتلهم جميعًا هو طريقة رائِعة للحفاظ على الهدوء والنظام».

قال هولدن: «لا أريد أن أثير هلعك يا ميلر؛ لكن هناك فيروس فضائي، ويُريد قتل الجميع».

هزَّ ميلر رأسه وابتسم كأن هولدن قد قال شيئًا مُضحِكًا: «انظر إذن، ربما لا يُمكِنني تصويب مُسدَّس نحوك وإجبارك على القيام بالشيء الصحيح؛ لكن دعني أسألك شيئًا، مُمكِن؟».

قال هولدن: «حسنًا». استرخى ميلر للخلف، كانت الأدوية تُثقِل جفونه.

قال ميلر: «ماذا سيحدث؟».

كانت هناك وقفة طويلة، دقَّة أخرى من النظام الطبي، اندفاع آخر من البرودة عبر عروق ميلر المُنهَكة.

كرَّر هولدن السؤال: «ماذا سيحدث؟». خطر لميلر أنه كان من المُمكِن أن يكون أكثر تحديدًا، أجبر نفسه على فتح عينيه مرَّة أخرى.

- «عندما تبث كُل ما لدينا، ماذا سيحدث؟».
- «ستتوقَّف الحرب، وسيُطارِد الجميع بروتوجين».
- «هناك بعض الثغرات في ذلك؛ لكنني سأتركها تمُر، وماذا سيحدُث بعد ذلك؟».

هدأ هولدن لبعض الوقت.

قال: «وسيبدأ الناس في السعي خلف فيروس فيبي».

- «سيبدؤون في التجارِب، وسيبدؤون في القتال عليه، وإذا كان هذا الوغد ذا قيمة كما تعتقِد بروتوجين، فلن يُمكِنك إيقاف الحرب، كُل ما يُمكِنك فعله الآن هو تغييرها».

عبس هولدن، فظهرت ثنايا الغضب على أركان فمه وعينيه، راقَب ميلر قطعة صغيرة من مثالية الرجل وهي تموت وشعر بالأسف لأنه استمتع بذلك.

تابع ميلر حديثه بصوتٍ خفيضٍ: «ماذا سيحدُث إذن إذا ذهبنا إلى المريخ؟ سنُقايِض الجُزيء الأولي بأموالٍ أكثر مما رآه أي منَّا على الإطلاق، أو ربما يطلقون عليك النار فحسب، وسينتصِر المريخ على الأرض، وعلى الحزام، وربما تذهب إلى (أوبا) الذين يُمثِّلون أفضل أمل في الاستقلال لدى الحزام، وهم عبارة عن مجموعة من المُتعصِّبين المجانين، ونصفهم يعتقِد أن بإمكاننا أن نُحافِظ على الحياة بدون الأرض، وثق بي من المُمكِن أن يُطلِقوا النار عليك كذلك، أو أن تُخبِر الجميع بكُل شيء وتتظاهَر بأنه مهما حدث، فقد حافظت على نظافة يديك».

قال هولدن: «هناك شيء صحيح يجِب القيام به».

قال ميلر: «ليس لديك أي شيء صحيح يا صديقي، لديك مجموعة كاملة من الاختيارات التي ربما تكون أقل خطأً».

انتهى تدفُّق الدم في هولدن، خَلَع القُبطان الإبر من ذراعيه وترك اللوامِس المعدنية الرقيقة تنسحِب، وخفَّ عبوسه، بينما كان يُعيد فرد كمه.

قال هولدن: «للناس الحق في معرفة ما يحدُث، تتلخَّص حُجتك في أنك لا تعتقِد أن الناس أذكياء بما فيه الكفاية لاكتشاف الطريقة الصحيحة واستخدامها».

قال ميلر: «هل استخدم أي شخص أي شيء مما قُمت ببثِّه في أي شيء بخلاف استخدامه كذريعةٍ لإطلاق النار على شخصٍ ما لم يكُن

يُعجِبه؟ إعطاؤهم سبب جديد لن يمنعهم من قتل بعضهم بعضًا، لقد بدأت هذه الحروب أيها القُبطان، ولا يعني ذلك أن بإمكانهم وقفهم؛ لكن يجب عليك المحاولة».

قال هولدن: «وكيف يُفترَض بي أن أفعل ذلك؟». كان من المُمكِن أن يكون الضيق الذي يحتل قسمات صوته غضبًا، وكان من المُمكِن أن يكون رجاءً.

انقبض شيء ما في بطن ميلر، هدأت بعض الأعضاء المُلتهبة بما يكفي للعودة إلى مكانه، لم يكُن يُدرِك أنه يشعُر بشيءٍ ما خاطئ حتى شعر فجأة أنه على ما يُرام مرَّة أخرى.

قال ميلر: «اسأل نفسك عمَّا سيحدُث، اسأل نفسك ما الذي ستفعله ناعومي».

قال هولدن ضاحكًا: «هل هذه هي الطريقة التي تتخذ بها قراراتك؟».

ترك ميلر عينيه تُغمِضان، كانت جولييت ماو هناك تجلِس على الأريكة في شقتها القديمة الموجودة في سيريس تُقاتِل طاقم المركبة الشبح إلى أن تستكين، تنفجِر جرَّاء إصابتها بفيروسٍ فضائي على الأرض في كابينة الاستحمام الخاصَّة بها.

قال ميلر: «شيء من هذا القبيل».

***

جاء التقرير من سيريس في تلك الليلة ليُمثّل خروجًا عن البيانات الصحفيَّة المُنافسة المُعتادة، أعلَن مجلِس (أوبا) الحاكِم أنه قد تمَّ اجتثاث عصابة من جواسيس المريخ، وأظهَر بث الفيديو الجُثث وهي تطفو من غُرفة مُعادلة الضغط الصناعية فيما يُشبِه أحواض بناء السفن القديمة في القطاع السادِس، بينما بدا الضحايا مُسالمين للغاية من بعيد، انتقل البث إلى إدارة الأمن، بدت النقيب شاديد أكبر سنًّا، وأقسى.

قالت للجميع في كُل مكان: «نأسف لاضطرارنا للقيام بهذا العمل؛ لكن لا توجد حلول وسط عندما يتعلَّق الأمر بالحُرية».

قال ميلر لنفسه: هذا ما وصلت إليه الأمور، حكَّ ذقنه بيده، المذابح بعد كُل شيء، اقطع مائة رأس أخرى فحسب، ثُم ألف رأس أخرى فقط، عشرة آلاف رأس إضافي فحسب، وبعد ذلك سنُصبِح أحرارًا.

انطلق دوي إنذار خافِت، وبعد لحظة، تغيَّرت الجاذبية بضع درجات عن يسار ميلر، تغيير المسار، لقد اتخذ هولدن قرارًا.

وجد القُبطان يجلِس بمُفرده مُحدِّقًا إلى شاشةٍ في غُرفة العمليات، أضاء الوهج وجهه من الأسفل، وألقى بظلاله على عينيه، بدا القُبطان أكبر سنًّا كذلك.

سأله ميلر: «هل قُمت بالبث؟».

- «لا، نحن مركبة واحدة فحسب، إذا أخبرنا الجميع بماهية هذا الشيء وبأننا قد حصلنا عليه، سنموت قبل بروتوجين».

قال ميلر باستهزاءٍ وهو يجلِس في محطَّةٍ فارغةٍ: «ربما يكون هذا صحيحًا». تغيَّر وضع المقعد المحوري بصمتٍ وهو يُضيف: «نحن ذاهبون إلى مكانٍ ما».

قال هولدن: «لا أثِق بهم في ذلك، لا أثِق في أي منهم بوجود تلك الخزنة».

- «ربما يكون هذا دربًا من الذكاء».
- «أنا ذاهب إلى محطَّة تايكو، هناك شخص ما... أثق به».
- «تثق؟».
- «لم تنشَط عدم الثقة بعد».
- «هل تعتقِد ناعومي أن هذا هو الشيء الصحيح؟».
- «لا أعرِف، لم أسألها؛ لكنني أعتقِد ذلك».

قال ميلر: «قريب بما فيه الكفاية».

رفع هولدن ناظريه عن الشاشة للمرَّة الأول».

قال هولدن: «هل تعرف الشيء الصحيح الذي ينبغي القيام به؟».

- «أجل».
- «وما هو؟».

قال ميلر: «ارمِ تلك الخزنة في مسار تصادُم طويل مع الشمس، وابحث عن طريقة للتأكُّد من عدم ذهاب أي شخص إلى إيروس أو فيبي مرَّة أخرى على الإطلاق، وتظاهَر أن كُل ما حدث لم يحدُث على الإطلاق».

- «لماذا لا نفعل ذلك إذن؟».

أومأ ميلر برأسه ببطءٍ وهو يقول: «كيف ستتخلَّص من الكأس المُقدَّسة؟».

(٣٧)

هولدن

قام أليكس بتشغيل (روسينانت) بقوى تسارُع قدرها ثلاثة أرباع (ج) لُمدَّة ساعتين، بينما قام الطاقم بإعداد وتناوُل طعام العشاء، كان سيُعيد رفع المُعدَّل إلى ثلاثة عندما تنتهي الاستراحة؛ لكن في هذه الأثناء استمتع هولدن بالوقوف على ساقيه في شيءٍ ليس بعيدًا للغاية عن جاذبية الأرض. كانت الجاذبية ثقيلة على ناعومي وميلر؛ لكن لم يشتكِ أيهما فقد أدرَك كلاهما الحاجة إلى السرعة.

بمُجرَّد أن انخَفَضَت الجاذبية من سحق قوى التسارُع العالية، تجمَّع الطاقم بأكمله بهدوءٍ في المطبخ وبدأوا في إعداد طعام العشاء، قامَت ناعومي بخلط البيض المُزيَّف والجبن المُزيَّف معًا، بينما طَبَخ أموس معجون الطماطِم وآخر فطر طازِج لديهم في صلصةٍ حمراء تفوح منها رائِحة الصلصة الحقيقية، أما أليكس الذي كان مُكلَّفًا بوردية العمل، فقد أعاد توجيه عمليات المركبة إلى اللوحة الموجودة في المطبَخ وجَلَس بجوارها، وهو يفرِد معجون الجُبن المُزيَّف والصلصة الحمراء على المكرونة المسطَّحة على أمل أن تكون النتيجة النهائية قريبة من اللازانيا، وكان هولدن مسؤولًا عن الفُرن وقد أمضى وقت تحضير اللازانيا في

خبز كُتل العجين المُجمَّدة، لم تكُن الرائحة المُنتشِرة في المطبخ تختلِف تمامًا عن رائِحة الطعام الفعلي.

كان ميلر قد تَبِع الطاقم إلى المطبخ؛ لكنه بدا غير مُرتاح لأن يطلُب شيئًا ما ليفعله، وبدلًا من ذلك، أعد الطاوِلة وجلس عليها وهو يُراقِبهم، لم يكُن يتجنَّب عيني هولدن تمامًا؛ لكنه لم يكُن يبتعِد عن طريقه لجذب انتباهه، لم يكُن أحدهم يُشغِّل أي قناة إخبارية في نوعٍ من الاتفاق المُتبادَل غير المُعلَن، وكان هولدن مُتأكِّدًا أن الجميع سيُسارِعون بالعودة للتحقُّق من وضع الحرب الحالي بمُجرَّد انتهاء العشاء؛ لكنهم الآن كانوا يعمَلون جميعًا في صمتٍ ودودٍ.

وعندما انتهَت مرحلة التحضير، انتهى هولدن من خدمة الخبز وواصَل نقل أواني الطهي المليئة باللازانيا داخِل وخارِج الفُرن، جَلَست ناعومي بجوار أليكس وبدأت في مُحادثةٍ خافتةٍ معه حول شيء ما رأته على شاشة العمليات، قسَّم هولدن وقته بين مُشاهدتها، وبين مُراقبة اللازانيا، ضحكت على شيءٍ ما قاله أليكس ولفَّت إصبعًا واحدًا في شعرها دون وعي، شعر هولدن بمعدته تنقبِض، واعتقَد أنه قد رأى ميلر بطرف عينه وهو يُحدِّق به، وعندما نظر إليه، استدار المُحقِّق بعيدًا وشبح ابتسامةٍ يتلاعَب على وجهه. ضَحِكَت ناعومي مرَّة أخرى، كانت تضع يدًا على ذراع أليكس، بينما كان الطيَّار يحمر خجلًا ويتحدَّث بأقصى سُرعة سمح له تشدُّقه المريخي بالحديث بها، بديا مثل الأصدِقاء، وجعل كلاهما هولدن يشعُر بالسعادة ويمتلئ بغيرة، تساءل عمَّا إذا كانت ناعومي ستُصبِح صديقته مرَّة أخرى.

أمسكت به وهو ينظر إليها وأعطته غمزةً تآمُريةً ربما كان من المُمكِن أن يكون لها معنى كبير إذا ما كان قادرًا على سماع ما قاله أليكس، ابتسم

وهو يغمِز لها بدوره مُمتنًا لمُجرَّد تضمينه في تلك اللحظة. جذب صوت أزيز اندلع من داخِل الفُرن انتباهه مرَّة أخرى، بدأت اللازانيا في الغليان وتسلُّق جوانِب الأطباق.

جَذَب قُفَّازات الفُرن الخاصَّة به وفَتَح بابه.

قال وهو يجذِب أول الأطباق ويضعه على المنضدة: «الحساء جاهِز».

قال أموس: «هذا حساء قبيح المظهَر».

قال هولدن: «أجل، إنه مُجرَّد شيء اعتادت الأم تمارا أن تقوله عندما تنتهي من الطهي، لست مُتأكِّدًا من أصل هذا التعبير».

قالت ناعومي بابتسامةٍ مُتكلِّفةٍ: «كانت واحِدة من أمهاتك الثلاثة مسؤولة عن الطهي؟».

- «حسنًا، لقد قسَّمته بالتساوي مع قيصَر، أحد آبائي».

ابتسمت له ناعومي ابتسامة حقيقية الآن.

قالت: «يبدو امتلاك عائِلة كبيرة مثل هذه أمرًا رائِعًا حقًّا».

أجابها: «أجل، كان أمرًا رائِعًا فعلًا». بينما احتلَّت رأسه رؤية لحريق نووي يُدمِّر مزرعة مونتانا التي نشأ فيها، وعائلته التي انفجرت إلى رمادٍ، كان مُتأكِّدًا أنه إذا حَدَثَ ذلك، فسيكون ميلر موجودًا ليُذكِّره بأن هذا خطؤه هو، لم يكُن مُتأكِّدًا من أنه سيكون قادرًا على الجدال آنذاك.

شعر هولدن بالتوتُّر ينسحِب ببطءٍ من الغُرفة بينما كانوا يأكلون، تجشَّأ أموس بصوتٍ عالٍ، ثُم ردَّ على جوقة الاحتجاجات عن طريق تكرار ذلك بصوتٍ أعلى، بينما قال أليكس نُكتةً جعلت ناعومي تضحَك، وحتى ميلر كان في المزاج المُناسِب وأخبرهم بقصةٍ طويلةٍ وغير مُحتَملةٍ

لدرجةٍ كبيرةٍ عن عملية مُطارَدة جُبن في السوق السوداء انتَهت بتبادُل إطلاق نار مع تسعة من الأستراليين العُراة في بيت دعارة غير قانوني، وفي نهاية القصة، كانت ناعومي تضحَك بشدةٍ لدرجة أن لُعابها كان يسيل على قميصها، وظلَّ أموس يُردِّد: «هذا مُستحيل تمامًا! » كترنيمةٍ.

كانت القصَّة مُسليَّة بما فيه الكفاية، وكانت طريقة سرد المُحقِّق الجافَّة مُناسِبة لها تمامًا؛ لكن هولدن لم يكُن يُنصِت السمع، راقَب طاقمه، ورأى التوتُّر ينسحِب من وجوههم ومن على أكتافهم. كان هو وأموس من الأرض، على الرغم من أنه إذا كان عليه أن يُخمِّن، فسيقول إن أموس قد نسي عالمه الأصلي في المرَّة الأولى التي غادره فيها، وكان أليكس من المريخ وكان من الواضِح أنه لا يزال يُحب وطنه، خطأ واحِد سيئ في أي من الجانبين وقد يُصبح كلا الكوكَبين عبارة عن أنقاض مُشعَّة بنهاية العشاء؛ لكن في الوقت الحالي، كانوا مُجرَّد مجموعة من الأصدِقاء يتناولون وجبة معًا، كان هذا صحيحًا، كان هذا ما يتحتَّم على هولدن أن يواصِل القِتال من أجله.

قالت ناعومي بمُجرَّد أن توقَّف ميلر عن الحديث: «أتذكَّر نقص الجُبن على مستوى الحزام بالفعل، هل كان هذا خطأك؟».

قال ميلر: «أجل، حسنًا، إذا كانوا قد خبأوا الجُبن جنبًا إلى جنبٍ مع مُدقِقي الحسابات الحكومية، لما واجهتنا أي مُشكِلة؛ لكن كان لديهم عادة في إطلاق النار على مُهربي الجُبن الآخرين، وهو ما يجعَل رجال الشُّرطة يُلاحِظونهم، وهذا عمل سيئ».

قال أموس وهو يقذِف بشوكته فوق طبقه بقعقعةٍ: «يفعلون هذا من أجل الجُبن اللعين؟ هل أنت جاد؟ أقصِد: المُخدِّرات، أو القُمار، أو شيئًا من هذا القبيل؛ لكن الجُبن؟».

قال ميلر: «القِمار قانوني في مُعظَم الأماكِن، ويُمكِن لطالِب الكيمياء المُنقطِع عن الدراسة أن يطبُخ أي مُخدِّر تُحبُّه في حمَّامه، ولا توجَد طريقة للتحكُّم في العرض».

وأضافت ناعومي: «يأتي الجُبن الحقيقي من الأرض، والمُريخ، وبعد إضافة تكاليف الشحن وضرائِب التحالُف البالِغ قيمتها خمسين بالمائة، تُصبِح تكلِفته أكبر من كُريات الوقود».

قال ميلر: «انتهى بنا الأمر مع مائة وثلاثين كيلوجرامًا من شيدر فيرمونت في خزانة الأدلَّة، ربما كانت قيمتها في الشارِع كافية لشراء شخص ما لمركبته الخاصَّة؛ لكنها اختفت بنهاية اليوم، اضطررنا لتقييده على أنه قد تلف، لم ينطِق أحد بكلمةٍ طالما عاد الجميع إلى منازلهم وبصُحبتهم قالب من الجُبن».

استرخى المُحقِّق على مقعده ونظرة بعيدة ترتسِم على وجهه.

قال مُبتسِمًا: «يا إلهي، لقد كان جُبنًا جيِّدًا».

قال أموس: «حقًّا، حسنًا، طعم هذه الأشياء المُزيَّفة مثل القرف». ثُم أضاف في عجلٍ: «لا أقصِد أي إهانة يا رئيس، لقد قُمت بعملٍ جيِّدٍ للغاية في خلطها؛ لكن القتال على الجُبن، لا يزال أمرًا غريبًا بالنسبة لي».

قالت ناعومي: «لهذا السبب دمَّروا إيروس».

أومأ ميلر برأسه لكنه لم يقُل شيئًا.

قال أموس: «كيف تعرِف ذلك؟».

سألته ناعومي: «منذ متى وأنت تطير؟».

أجابها أموس وهو يزُم شفتيه بينما انهمك في إجراء الحسابات بذهنه: «لا أعرِف، ربما خمسة وعشرون عامًا؟».

- «طرت مع كثير من الحزاميين، أليس كذلك؟».

قال أموس: «بلى، لا يُمكِن الحصول على رُفقاء سفر أفضل من الحزاميين باستثنائي بالطبع».

- «لقد طرت معنا لُمدَّة خمسة وعشرين عامًا صرت مثلنا، وتعلَّمت العاميَّة، أراهِن أنه يُمكِنك أن تطلُب بيرة وعاهِرة في أي محطَّة من محطَّات الحزام، اللعنة، لأمكَنك أن تمُر كواحِدٍ منا بحلول هذا الوقت، لو كُنت أطوَل قليلًا أو أكثر نحافةً».

ابتسم أموس، واعتبرها مُجاملة.

قالت ناعومي: «لكنك ما زلت لا تفهمنا، ليس حقًّا لن يفهمنا أي شخص نشأ في الهواء الطلق، وهذا هو السبب في أن بإمكانهم قتل مليون ونصف منَّا لمعرفة ما يفعله ذلك الفيروس حقًّا».

تدخَّل أليكس في الحديث قائِلًا: «مهلًا الآن، هل أنتِ جادَّة بهذا الشأن؟ هل تعتقدين أن الداخليين والخارجيين يرون أنفسهم مُختلفين إلى هذا الحد؟».

قال ميلر: «بالطبع يفعلون، فنحن طويلون للغاية، نحيفون للغاية، ورؤوسنا تبدو كبيرة للغاية، ومفاصِلنا بارِزة للغاية».

لاحَظ ميلر أن ناعومي تنظُر إليه عبر المنضدة، ونظرة تأمُّلية تعتلي وجهها، قال هولدن لها في خياله: أنا أحِب رأسكِ؛ لكن التعرُّض للإشعاع لم يمنحه القُدرة على التخاطُر كذلك؛ لأن تعبير وجهها لم يتغيَّر.

قال ميلر: «لدينا لُغتنا الخاصَّة عمليًّا الآن، هل رأيت أحد الأرضيين وهو يحاوِل العثور على الاتجاهات في الحُفرة العميقة؟».

قالت ناعومي بلكنةٍ حزاميةٍ ثقيلةٍ: «تو ران سبين، باو، شلاوِش تو واي أكيا أند إيدو».

قال أموس: «اذهب مع اتجاه الدوران وصولًا إلى محطَّة المترو، والتي ستُعيدك إلى الأرصفة، ما الصعب للغاية في هذه اللغة؟».

قال ميلر: «كان لديَّ شريك لم يكُن ليعرِف ذلك حتى بعد عامين على متن سيريس، ولم يكُن هافلوك غبيًّا، لم يكُن... من هناك فحسب».

أنصَت هولدن السمع إليهم وهو يعبث بالمكرونة البارِدة على طبقه بقطعةٍ من الخُبز.

قال: «حسنًا، لقد فهمت الأمر، أنتم غريبو الأطوار؛ لكن قتل مليون ونصف المليون من الأشخاص؛ بسبب بعض الاختلافات الهيكلية واللهجة العامية... ».

قال ميلر: «لقد تمَّ رمي الناس في الأفران لأسبابٍ أقل من ذلك منذ أن اخترعوا الأفران، وإذا كان في ذلك تعزية لك، فكثير منكم يعتقِد أننا عريضو الجسد وصغيرو الرؤوس».

هزَّ أليكس رأسه.

«لم يجعَل الأمر هذا منطقيًّا بالنسبة لي أن تُطلِق سراح هذا الفيروس، حتى ولو كُنت تكره كُل إنسان موجود على متن إيروس بشكلٍ شخصيٍّ، من يعرِف ماذا سيفعل هذا الشيء؟».

سارَت ناعومي إلى حوض المطبَخ وغسلت يديها، ولفتت المياه الجارية انتباه الجميع.

قالت وهي تستدير بينها كانت تمسَح يديها بمنشفةٍ: «لقد كُنت أفكِّر في ذلك، أقصِد في الهدف منه».

بدأ ميلر في الحديث؛ لكن هولدن أصمته بإيماءةٍ سريعةٍ وانتظر أن تستكمِل ناعومي حديثها.

قالت: «ولذلك كُنت أفكِّر في الأمر على أنه مُشكلة حاسوبية إذا كان الفيروس، أو ماكينة النانو، أو الجزيء الأولي، أو أي كان ما تمَّ تصميمه، فلا بُدَّ أن له غرضًا، أليس كذلك؟».

قال هولدن: «بالتأكيد».

- «ويبدو أنه يحاوِل القيام بشيءٍ ما -شيء مُعقَّد- ليس من المنطقي التورُّط في كُل هذه المشكلات لمُجرَّد قتل الناس، هذه التغييرات تجعل الأمر يبدو غير مقصود، إنه... ليس كامِلًا بالنسبة لي».

قال هولدن: «يُمكِنني رؤية ذلك». أومأ أليكس وأموس برأسيهما إليه لكنهما لم ينطقا ببنت شفة.

- «إذن ربما تكون المُشكِلة هي أن الجُزيء الأولي ليس ذكيًّا بما فيه الكفاية حتى الآن، يُمكِنك ضغط الكثير من البيانات إلى حجمٍ صغيرٍ للغاية؛ لكن عملية المُعالجة ستأخُذ مساحة، ما لم يكُن الحاسوب كميًّا، وأسهل طريقة للحصول على هذه المُعالجة في آلاتٍ صغيرةٍ هي من خلال التوزيع، ربما لم يُنهِ الجزيء الأولي وظيفته لأنه ليس ذكيًّا بما فيه الكفاية بعد».

قال أليكس: «أو لأنه لا يوجد ما يكفي منهم».

قالت ناعومي وهي تضع المنشفة في سلَّة المُهملات الموجودة تحت المغسَلة: «صحيح، ولذلك فإنك تمنحهم الكثير من الكُتل الحيوية للعمل معهم، ومعرفة الغرض الذي صُنِع من أجله في النهاية».

قال ميلر: «وفقًا لذلك الرجل الموجود في مقطع الفيديو، فقد صُنِعوا لاختطاف الحياة على الأرض، والقضاء علينا».

قال هولدن: «وهذا هو السبب الذي جَعَل إيروس مكانًا مثاليًّا؛ حيث توجد الكثير من الكُتل الحيوية في أنبوب اختبار مُحكَم الغلق، وإذا خرجت الأمور عن السيطرة، فهناك حرب تدور رحاها بالفعل، ويُمكِن استخدام الكثير من المركبات والصواريخ في تحويل إيروس إلى زجاج نووي إذا ما بدا التهديد حقيقيًّا، ولا يوجد أي شيء من شأنه أن يجعلنا ننسى خلافاتنا مثل لاعِب جديد يتدخَّل».

قال أموس: «عجبًا، هذا أمر رهيب حقًّا».

قال هولدن: «حسنًا، على الرغم من أن هذا هو ما حَدَثَ على الأرجح، فإنني ما زلت لا أصدِّق أن هناك ما يكفي من الأشرار في مكانٍ واحدٍ للقيام بالأمر، فهذه ليست عملية فردية، هذا عمل العشرات، وربما المئات من الأشخاص الأذكياء للغاية، هل تقوم بروتوجين بالبحث في الأرجاء لتجنيد كُل من يتوسَّمون فيه أن يُصبِح مثل ستالين أو جاك السفَّاح؟».

قال ميلر وتعبير غير مقروء يحتل قسمات وجهه: «سأتأكَّد من سؤال السيِّد/ درسين، عندما نلتقي في النهاية».

***

تدور حلقات بيئة تايكو بهدوءٍ حول الكُرة الأرضيَّة المُتضخِّمة التي يخلو مركزها من الجاذِبية، كانت أنظِمة المُحاكاة عن بُعد البارِزة من الأعلى تناوِر بقطعةٍ ضخمةٍ من صفيح الهيكل على جانِب (ناوفو). شعر هولدن بشيءٍ من الراحة وهو ينظُر إلى المحطَّة على شاشة العمليات، بينما انهمك أليكس في إجراءات الرسو، وحتى الآن، كانت تايكو هي المكان الوحيد الذي لم يحاوِل أحد فيه إطلاق النار عليهم، أو تفجيرهم، أو التقيُّؤ عليهم مما جعله منزلًا بشكلٍ عملي.

نظر هولدن إلى خزنة الأبحاث التي تمَّ تثبيتها على سطح المركبة بإحكام، وتمنى لو أنه لم يُصدِر حكمًا بالإعدام على كُل الموجودين في المحطَّة بإحضارها إلى هنا.

وكما لو كان ينتظِر الوقت المُناسِب، جذب ميلر نفسه من خلال الفتحة الموجودة في سطح المركبة، وانجرف نحو الخزنة، نظر لهولدن نظرةً هادِفةً.

قال هولدن: «لا تقُلها، فأنا أفكِّر في الأمر بالفعل».

هزَّ ميلر كتفيه، وانجرف إلى محطَّة العمليات.

قال وهو يومئ برأسه إلى (ناوفو) الموجودة على شاشة هولدن: «ضخمة».

قال هولدن: «مركبة أجيال، سيصِل بنا شيء من هذا القبيل إلى النجوم».

أجابه ميلر: «أو إلى موتٍ بوحدةٍ في رحلةٍ طويلةٍ إلى اللا مكان».

قال هولدن: «كما تعلَم، إن نُسخة بعض الفصائِل من المُغامرة المجريَّة العظيمة تنُص على إطلاق الرصاص المليء بالفيروسات على جيرانهم، أعتقِد أن وطننا نبيل للغاية بالمُقارنة معهم».

بدا ميلر وكأنه يُفكِّر في الأمر، أومأ برأسه، وراقَب محطَّة تايكو تنتفِخ على الشاشة بينما قام أليكس بتقريبهم منها، أبقى المُحقِّق إحدى يديه على وحدة التحكُّم، مما أدى إلى إجراء التعديلات الدقيقة اللازِمة ليظل ثابِتًا حتى أثناء قيام الطيَّار بإلقاء رشقات غير متوقَّعة من الجاذبية من كُل حدب وصوب عليهم، بينما كان هولدن مُقيَّدًا بحزام الأمان في مقعده، وعلى الرغم من التركيز، فإنه لم يستطِع التعامُل مع عدم وجود جاذبية وقوى دفع مُتقطِّعة مقدارها (نصف ج)، لم يتمكَّن من تدريب دماغه على مدار العشرين عامًا التي قضاها في جاذبيةٍ ثابتةٍ.

كانت ناعومي مُحقَّة، سيكون من السهل للغاية رؤية الحزاميين على أنهم فضائيون، اللعنة، فقد ينتهي بك الأمر مع الحزاميين الذين قضوا وقتًا أطول خارِج مركباتهم ومحطَّاتهم أكثر مما قضوا بداخلها، إذا منحتهم وقتًا لتطوير بعض خزَّانات الأكسجين القابِلة للزراعة، وإعادة التدوير الفعَّالة حقًّا، واستمرُّوا في تقليص حجم البدلات البيئية المُناسِبة إلى الحد الأدنى الضروري للحرارة.

ربما كان هذا هو السبب في أنهم فرضوا ضرائِب على حد الكفاف. لقد تحرَّر الطائِر من القفص؛ لكن لا يُمكِنك تركه يمُد جناحيه بعيدًا للغاية وإلا فقد ينسى أنه ينتمي إليك.

سأله ميلر: «هل تثِق في فريد هذا؟».

قال هولدن: «نوعًا ما، فقد عاملنا بشكلٍ جيِّدٍ في المرَّة السابِقة، عندما أراد الجميع قتلنا، أو حبسنا».

أصدَر ميلر صوتًا استنكاريًّا كما لو أن ذلك لم يُثبِت شيئًا.

- «إنه من (أوبا)، أليس كذلك؟».

قال هولدن: «أجل؛ لكنني أعتقِد أنه ربما يكون رجل (أوبا) حقيقيًّا، وليس من رُعاة الأبقار الذين يريدون إطلاق النار على الداخليين، ولا هؤلاء المجانين الذين يدعون إلى الحرب على الراديو، فريد سياسي».

- «ماذا عن أولئك الذين يحافِظون على النظام في سيريس؟».

قال هولدن: «لا أعرِف، لا أعرِف عنهم شيئًا؛ لكن فريد هو أفضل فُرصة لدينا، وأقلُّهُن خطأً».

قال ميلر: «هذا عادِل بما فيه الكفاية، فكما تعلَم، ليس بإمكاننا أن نجِد حلًّا سياسيًّا لبروتوجين».

قال هولدن: «أجل»، ثُم بدأ في فك حزام أمانه، بينما انزلقت (روسي) على رصيفها بسلسلةٍ من الضربات المعدنيَّة قبل أن يُضيف: «لكن فريد ليس مُجرَّد سياسي».

***

جَلَسَ فريد خلف مكتبه الخشبي الضخم، وهو يقرأ المُلاحظات التي كتبها هولدن عن إيروس، وعن رحلة البحث عن جولي، وعن اكتشاف المركبة الشبح، بينما جَلَسَ ميلر في مواجهته، وهو يُراقِب فريد كما لو كان عالِم حشرات يُراقِب نوعًا جديدًا من الحشرات، ويُخمِّن إذا ما كان من المُحتمَل أن يلدغ. كان هولدن بعيدًا قليلًا على يمين فريد، يحاوِل ألا يستمِر في النظر إلى الساعة الموجودة على جهازه اللوحي، بينما تنجرِف (ناوفو) على الشاشة الضخمة الموجودة خلف المكتب مثل العظام المعدنية لـ (لوياثان) ميِّت ومُتحلِّل. تمكَّن هولدن من رؤية النِّقاط الصغيرة من

الضوء الأزرق اللامِع في الأماكِن التي يستخدِم فيها العُمّال مشاعِل اللحام على الهيكل والإطار، بدأ في عدِّهم في محاولةٍ للتسرية عن نفسه.

كان قد وَصَل إلى رقم ثلاثة وأربعين عندما ظَهَر مكوك صغير في مجال رؤيته، وهو يُمسِك بحمولةٍ من العوارِض الفولاذيَّة بزوجٍ من أذرُع المناوَرة الثقيلة، متوجِّهًا نحو مركبة الأجيال نصف المبنيَّة. تقلَّص المكوك إلى نقطةٍ لا تزيد على رأس قلم قبل أن يتوقَّف، تحوَّلت (ناوفو) فجأة في ذهن هولدن من مركبةٍ كبيرةٍ قريبةٍ نسبيًّا إلى مركبةٍ عملاقةٍ بعيدةٍ، مما أصابه بدوارٍ صغيرٍ.

أطلَق جهازه اللوحي صفيرًا في نفس الوقت الذي فعل فيه جهاز ميلر اللوحي ذلك، لم ينظُر إليه حتى؛ بل ضغط على الوجه ليُغلِقه، لقد ألف ذلك الروتين في الوقت الحالي، أخرَج زُجاجةً صغيرةً، وأخذ منها حبَّتين، وابتلعهما دون ماء، كان بإمكانه أن يسمَع ميلر وهو يُخرِج الحبوب من زجاجته بدوره. يقوم النظام الطبي الخبير الموجود في المركبة بتوزيعها عليهما كُل أسبوع مع تحذير من أن عدم تناولهم في الوقت المُحدَّد سيؤدي إلى وفاةٍ مروِّعةٍ، تناولها سيفعل ذلك لبقية حياته، وتفويت القليل منهم سيعني أنه لن يعيش طويلًا فحسب.

انتهى فريد من القراءة ووضع جهازه اللوحي على المكتب، ثُم فرك عينيه بكعب يديه لعدة ثوانٍ، بدا أكبر سنًّا من آخر مرَّة رأوا فيها بعضهم بعضًا بالنسبة لهولدن.

قال في النهاية: «يجِب أن أخبرك بأنه ليس لديَّ أي فكرة عمّا سأفعله بهذا يا جيم».

نظر ميلر إلى هولدن وحرَّك فمه دون صوت قائلًا: جيم؟ ونظرة تساؤل ترتسِم على وجهه؛ لكن هولدن تجاهله.

سأله هولدن: «هل قرأت إضافة ناعومي الموجودة في النهاية؟».

- «الملحوظة بشأن الجراثيم النانوية المُتصِلة بالشبكة لزيادة قوة المُعالجة؟».

قال هولدن: «أجل، هذه الملحوظة، هذا منطقي يا فريد».

ضَحِك فريد ضحكة زائِفة، ثُم طعن جهازه اللوحي بإصبعه.

قال: «هذا، هذا منطقي فقط لمُختل عقليًّا، لا يُمكِن لأحد عاقِل أن يفعل ذلك بغض النظر عمَّا اعتقدوا أنهم قد يُخرِجون منه».

سعل ميلر ليُنظِّف حلقه.

سأله فريد: «هل لديك شيء تُحب أن تُضيفه يا سيد مولر؟».

أجابه المُحقِّق: «ميلر، أجل، أولًا -مع كامِل الاحترام هنا- أنت لا تُقِر بالحقيقة إلى نفسك، مدرسة الإبادة الجماعية القديمة. ثانيًا: الحقائِق ليست موضِع تساؤل، لقد أصابَت بروتوجين محطَّة إيروس بمرضٍ فضائي قاتِلٍ، ويُسجِّلون النتائِج بغض النظر عن أنك قُلت إن هذا غير مُهِم، نحن بحاجةٍ إلى منعهم».

قال هولدن: «كما أننا نعتقِد أنه يُمكِننا تعقُّب مكان محطَّة المُراقبة الخاصَّة بهم».

استرخى فريد في مقعده، أصدَر الجلد الزائِف والهيكل المعدني صوت صرير تحت وطأة وزنه حتى في جاذبية يبلُغ مقدارها ثُلث (ج).

سأله فريد: «وكيف سنمنعهم؟». كان فريد يعرِف؛ لكنه أراد أن يسمعهم يقولون ذلك بصوتٍ عالٍ فحسب، شاركه ميلر في اللعبة.

- «أود أن أقول عن طريق أن نطير إلى محطَّتهم، ونُطلِق النار عليهم».

سأله فريد: «من تقصِد بـ (نطير)؟».

قال هولدن: «هناك الكثير من رجال (أوبا) المتهوِّرين الذين يتوقون لإطلاق النار على الأرض والمريخ، بدلًا من ذلك، سنمنحهم بعض الأشرار الحقيقيين ليُطلِقوا عليهم النار».

أومأ فريد برأسه بطريقةٍ لا تعني بأنه وافَق على أي شيء.

قال فريد: «وعينتك؟ خزنة القُبطان؟».

قال هولدن: «هذه عينتي، لا تفاوُض على ذلك».

ضَحِكَ فريد مرَّة أخرى، على الرغم من أن بعض المرح قد شاب ضحكته هذه المرَّة رمش ميلر في مُفاجأةٍ قبل أن يبتسِم برفقٍ.

سأله فريد: «ولماذا سأوافِق على ذلك؟».

رفع هولدن ذقنه وابتسم.

قال: «ماذا ستفعل لو أخبرتك أنني قد أخفيت الخزنة في فخ كوكبي يحتوي على كميةٍ من البلوتونيوم كافية لتدمير أي شخص يلمسها إلى ذرَّات، هذا في حال نجح في العثور عليها؟».

حدَّق فريد في وجهه للحظةٍ وهو يقول: «لكنك لم تفعل».

قال هولدن: «حسنًا، لم أفعل؛ لكن يُمكِنني أن أخبرك أنني قد فعلت ذلك».

قال فريد: «أنت صريح للغاية».

- «ولا يُمكِنك الوثوق بأي شخص على شيء بهذا الحجم. فأنت تعرِف بالفعل ما سأفعله بها، ولهذا السبب، حتى نتمكَّن من الاتفاق على شيءٍ أفضل، ستتركها معي».

أومأ فريد برأسه.

قال: «أجل، أعتقِد أنني سأفعل».

(٣٨)
ميلر

كان سطح المُراقبة يُطِل على (ناوفو) بينما كانت المركبة العملاقة تتجمَّع ببُطءٍ، جَلَسَ ميلر على حافة أريكة ناعِمة، وأصابعه تستقِر على رُكبته، بينما يمتد بصره على منظر البناء الهائِل، بدا المشهد الواسِع للغاية اصطناعيًّا للغاية، بعد الوقت الذي قضاه في مركبة هولدن، وقبل ذلك، الوقت الذي قضاه في إيروس بهندستها المعمارية القديمة المُغلَقة ذات الطراز القديم، كان السطح نفسه أوسع من (روسينانت) ومُزيَّنًا بالسراخِس الناعِمة واللبلاب المنحوت، بينما كانت أجهزة إعادة تدوير الهواء هادِئة بشكلٍ مُخيفٍ، وعلى الرغم من أن جاذبية الدوران كانت مُماثِلة لجاذبية سيريس تقريبًا، فإن تأثير كوريوليس بدا خاطِئًا بشكلٍ دقيقٍ.

لقد عاش في الحِزام طوال عُمره، ولم يكُن موجودًا أبدًا في أي مكان قد تمَّ تصميمه بعنايةٍ من أجل عرض القوة والثروة الرائِع، كان الأمر مُمتعًا طالما لم يُفكِّر فيه كثيرًا.

لم يكُن الوحيد الذي انجذب إلى المساحات المفتوحة في تايكو، فقد جلس بضع عشرات من العُمَّال في مجموعاتٍ أو ساروا سويًّا، وقبل ذلك

بساعةٍ، مرَّ أموس وأليكس، الغارقان في مُحادثتهما الخاصَّة، لذلك لم يشعُر بالمُفاجأة، عندما وَقَفَ وسار عائِدًا إلى الأرصفة، عندما رأى ناعومي تجلِس بمُفردها وبجوارها وعاء من الطعام يبرُد على صينية، بينما كان بصرها مُثبّتًا على جهازها اللوحي.

قال: «مرحبًا».

نظرت ناعومي للأعلى، وميَّزته، فابتسمت بتشتُّتٍ.

قالت: «مرحبًا».

أومأ ميلر برأسه نحو جهازها اللوحي وهزَّ كتفيه مُتسائلًا.

قالت: «بيانات الاتصال الخاصَّة بتلك المركبة». لاحظ ميلر أنها تقول دائمًا تلك المركبة بنفس الطريقة التي سيُطلِق بها الناس لقب: (ذلك المكان) على مسرح جريمة مروِّع بشكلٍ خاصٍّ. أضافت: «تمَّ نقلها جميعًا باستخدام الشعاع الضيِّق؛ لذلك كُنت أعتقِد أنه سيكون من الصعب للغاية استخدام التثليث؛ لكن... ».

- «ليس كثيرًا؟».

رفعت ناعومي حاجبها وتنهَّدت.

قالت: «لقد كُنت أرسِم المدارات؛ لكنني لم أجِد شيئًا مُناسبًا، وعلى الرغم من ذلك، فمن المُمكِن أن تكون هناك طائرات مُناوِبة بدون طيَّار، تتحرَّك لاستهداف نظام المركبة الذي تمَّت مُعايرته من أجل إرسال الرسالة إلى المحطَّة الفعليَّة، أو إلى طائِرة أخرى بدون طيَّار، ثُم إلى المحطَّة، أو من يدري؟».

- «هل هناك أي بيانات خرجَت من إيروس؟».

قالت ناعومي: «أفترِض ذلك؛ لكنني لا أعرِف إذا كان من السهل فهم هذا أكثر من ذلك».

سأله ميلر: «ألا يستطيع أصدقاؤكم من (أوبا) فعل شيء ما؟ فلديهم قُدرة مُعالَجة أكبر من تلك الموجودة في أحد هذه الأجهزة المحمولة، وربما يكون لديهم خريطة نشاط أفضل للحزام كذلك».

قالت: «ربما».

لم يستطِع تبيُّن ما إذا كانت لا تثِق في فريد هذا الذي سلَّمهم له هولدن، أم أنها كانت بحاجةٍ فقط للشعور بأن التحقيق لا يزال ملكًا لها، فكَّر في مُطالبتها بالتراجُع عن ذلك لوهلةٍ للسماح للآخرين بتولي الأمر؛ لكنه لم يرَ أن لديه السلطة الأخلاقيَّة للبوح بذلك.

قالت ناعومي وشبح ابتسامةٍ غامِضة يتراقَص على شفتيها: «ماذا؟».

رَمَشَ ميلر.

قالت ناعومي: «لقد كُنت تضحَك قليلًا، لا أعتقِد أنني رأيتك تضحك من قبل، أقصِد: ليس عندما يوجد سبب للضحك».

- «كُنت أفكِّر في شيءٍ أخبرني به أحد شُركائي حول ترك القضايا تمضي عندما يستبعدونك منها».
- «ماذا قال؟».

قال ميلر: «إن الأمر يُشبه القيام بنصف تبرُّز».

- «يبدو أنه كان ماهرًا في استخدام الكلمات».

قال ميلر وشيء ما يُدغدِغ الجُزء الخلفي من عقله: «لقد كان على ما يُرام بالنسبة لكونه أرضيًّا». ثُم أضاف بعد لحظة: «يا إلهي! قد يكون لديَّ شيء ما».

***

قابله هافلوك في موقع إسقاط مُشفَّر يعيش على مجموعة خوادِم في جانيميد، منعهم زمن الاستجابة من القيام بأي شيء يُشبِه إجراء المُحادثة في الوقت الفعلي، كان الأمر أشبه بترك المُلاحظات؛ لكن الأمر أتى أُكله، جَعَل الانتظار ميلر يشعُر بالقلق الذي جَلَسَ مُمسكًا بجهازه اللوحي ليقوم بتحديثه كُل ثلاث ثوانٍ.

سألته المرأة: «هل تُريد شيئًا آخر؟ كأس بوربون أخرى؟».

قال ميلر: «سيكون هذا رائِعًا» قبل أن ينظُر ليرى إذا ما كان هافلوك قد ردَّ بعد؛ لكنه لم يفعل.

كانت الحانة تطُل على (ناوفو) مثل سطح المُراقبة تماما، وإن كانت الزاوية قد اختلفت قليلًا. بدت المركبة الضخمة مُصغَّرة، وأضاءتها أقواس من الطاقة حيث كانت طبقة من الخزف تتصلَّب. سيضع مجموعة من المُتعصِّبين دينيًّا أنفسهم في تلك المركبة الهائِلة، ذلك العالَم الصغير الذي يتمتَّع بالاكتفاء الذاتي، وسيُطلِقون أنفسهم في الظلام بين النجوم، ستعيش الأجيال وتموت فيها، وإذا كانوا محظوظين بما فيه الكفاية ليجدوا كوكبًا يستحِق الحياة على متنه في نهاية الرحلة، فلن يعرِف الأشخاص الذين سيخرجون منها شيئًا عن الأرض، أو المريخ، أو الحزام، سيكونون كائنات فضائية بالفعل، أما إذا كان أي من صَنَع ذلك الجُزيء الأولي موجودًا في استقبالهم، فماذا سيحدُث بعد ذلك؟

هل سيموتون جميعًا مثلما ماتت جولي؟

كانت هناك حياة بالخارِج، ولديهم دليل على ذلك الآن، وجاء ذلك الدليل على شكل سلاح، فما الذي يُخبره به ذلك؟ باستثناء أنه ربما يستحِق المورمون القليل من التحذير بشأن ما كانوا يوقِّعون على فعله بأحفاد أحفادهم.

ضَحِك على نفسه عندما أدرك أن هذا بالظبط ما كان هولدن ليقوله.

وَصَل البوربون في نفس اللحظة التي دقَّ فيها جهازه اللوحي، كان ملف الفيديو يحتوي على تشفير مُتعدِّد الطبقات يستغرِق ما يقرُب من دقيقةٍ لفك ضغطه، وكان هذا وحده يُمثِّل علامةً جيِّدةً.

فَتَحَ الملف، ابتسم له هافلوك من على الشاشة، كان في حالةٍ أفضل مما كان عليها في سيريس، وظهر ذلك جليًّا في شكل فكِّه، كانت بشرته أغمَق؛ لكن ميلر لم يكُن يعرِف إذا ما كان ذلك بفِعل مُستحضرات تجميل بحتة أم أن شريكه القديم كان ينعَم بضوء الشمس الزائِف من أجل الاستمتاع به، لم يكُن الأمر مُهِمًّا، فقد جعل ذلك الأرضي يبدو ثريًّا وفي شكلٍ لائِقٍ.

قال هافلوك: «مرحبًا يا صديقي، من الجيِّد أن أسمَع منك فقد كُنت أخشى أننا سنكون على جوانِب مُختلفة بحلول ذلك الوقت، بعدما حَدَث مع شاديد ومع (أوبا)، أنا سعيد لأنك خرجت من هناك قبل أن تسوء الأمور.

نعم، ما زلت مع بروتوجين، ويجب أن أخبِرك بأن هؤلاء الرجال مُخيفون نوعًا ما، أقصِد أنني قد عملت في عقد أمن من قبل، وأتفهَّم الأمر

تمامًا عندما يكون شخص ما مُتشدِّد، هؤلاء الرجال ليسوا رجال شُرطة؛ بل هُم جنود، هل تفهم قصدي؟

لا أعرِف شيئًا عن محطَّة الحزام بشكلٍ رسمي؛ لكنك تعرِف كيف تدور الأمور، فأنا من الأرض، وهناك الكثير من هؤلاء الرجال الذين يسيئون مُعاملتي بشأن سيريس، بشأن العمل مع الحمقى القادمين من الفضاء وهذا النوع من الأشياء؛ لكن بالنظر إلى الطريقة التي تدور بها الأمور هنا، فمن الأفضل أن تكون في الجانِب الأفضل من الأشرار، إنه هذا النوع من العمل فحسب».

كان هناك اعتذار يختبئ في تعبير وجهه، تفهَّم ميلر الأمر، فقد كان العمل في بعض الشركات يُشبه الذهاب إلى السجن؛ حيث إنك تتبنى آراء الناس من حولك فقد يتم تعيين أحد الحزاميين؛ لكنه لن يشعُر بالانتماء إلى المكان أبدًا مثل سيريس؛ لكن أشِر إلى الاتجاه الآخر فحسب. إذا كان هافلوك قد عَقَد صداقات مع مجموعة من سُكَّان الكواكِب الداخلية الذي يمضون لياليهم في دَهس الحزاميين خارِج الحانات، فسيتسنى عليه أن يحذو حذوهم.

لكن تكوين الصداقات معهم لا يعني أنه كان واحدًا منهم.

«إذن، خارِج السجل، أجل، هناك محطَّة عمليات سوداء في الحزام لم أسمع أنها تُدعى ثحوت؛ لكن يُمكِن أن تكون كذلك، مُختبر بحث وتطوير عميق مُخيف للغاية نوعًا ما، طاقم علمي مُتمرِّس؛ لكنه ليس مكانًا ضخمًا، أعتقِد أن: (سريَّة) ستكون الكلمة المُناسِبة، هناك الكثير من الدفاعات الآلية؛ لكن لا يوجد طاقم مُشاة كبير.

لست بحاجةٍ إلى إخبارك بأن تسريب الإحداثيات سيتسبَّب في قتلي هنا، ولذلك امسح الملف عندما تنتهي منه، ودعنا لا نتحدَّث مرَّة أخرى لفترةٍ طويلةٍ للغاية».

كان ملف البيانات صغيرًا، ثلاثة أسطُر من التدوين المداري النصي، وضعه ميلر في جهازه اللوحي ثُم دمَّر الملف في خادِم جانيميد، كان كأس البوربون لا يزال بجوار يده، تناوَل منه رشفةً جيِّدةً، ربما كان الدفء الموجود في صدره بسبب الكحول، أو ربما بسبب الشعور بالنصر.

قام بتشغيل كاميرا الجهاز اللوحي.

- «شكرًا، أنا مَدين لك بخدمةٍ، وهاك جُزء من رد الدين. ما حدث على متن إيروس؟ لقد كانت بروتوجين جزءًا منه، وجزءًا كبيرًا كذلك، إذا سنحت لك الفُرصة لتلغي عقدك معهم، فافعل ذلك، وإذا حاولوا تحويلك إلى محطَّة العمليات السوداء، فلا تذهب».

عَبَسَ ميلر، كان يعرِف الحقيقة المُحزِنة التي تتمثَّل في أن هافلوك ربما كان آخر شريك حقيقي لديه، والوحيد الذي نَظَر له على قدم المساواة، ورآه ينتمي إلى هذا النوع من المُحقِّقين الذي كان ميلر يتخيَّل نفسه فيه.

أضاف: «اعتنِ بنفسك يا شريكي»، ثُم أنهى الملف، وشفَّره، وأرسله، وتولَّد لديه شعور عميق بأنه لن يتحدَّث إلى هافلوك مرَّة أخرى.

قام بتقديم طلب اتصال إلى هولدن، ملأ وجه القُبطان الشاشة، ساحر، وساذج بعض الشيء.

قال هولدن: «هل كُل شيء على ما يُرام يا ميلر؟».

- «أجل، عظيم؛ لكنني بحاجةٍ للتحدُّث مع فريد ذلك، هل يُمكِنك ترتيب ذلك الأمر؟».

عَبَسَ هولدن وأومأ برأسه في الوقت ذاته.

- «بالتأكيد، ما الذي يحدُث؟».

قال ميلر: «أعلَم مكان محطَّة تحوت».

- «ماذا تعلَم؟».

أومأ ميلر برأسه.

- «ومن أين لك هذا بحق الجحيم؟».

ابتسم ميلر وهو يقول: «إذا أعطيتك هذه المعلومات وتسرَّبت، فسيُقتَل رجل جيِّد، هل تفهم كيف تدور تلك الأمور؟».

***

شعر ميلر بالصدمة عندما انتظر هو وهولدن وناعومي فريد الذي كان يعرِف عددًا هائلًا من أنواع الكواكِب الداخلية التي تُقاتِل ضد الكواكِب الداخلية، أو على الأقل لا تُقاتِل لحسابهم، فريد، الذي كان من المُفترَض أنه عضو رفيع المستوى في (أوبا)، هافلوك، ثلاثة أرباع طاقم (روسينانت)، جولييت ماو.

لم يكُن هذا ما كان يتوقَّعه؛ لكن ربما كان ذلك قِصَر نظر منه، كان يرى الأمر بالطريقة التي تراها به شاديد وبروتوجين؛ حيث إن هناك جانبين يتقاتلان -وكان هذا صحيحًا بما فيه الكفاية- لكنهما لم يكونا الكواكِب الداخلية ضد الحِزاميين؛ بل كانوا الأشخاص الذين اعتقدوا

أن قتل الأشخاص الذين يبدون أو يتصرَّفون بشكلٍ مُختلفٍ فكرة جيِّدة ضد الأشخاص الذين لم يعتقِدوا ذلك.

أو ربما كان هذا تحليلًا خاطئًا كذلك؛ لأنه إذا أتيحت له الفُرصة لوضع عالمٍ من ملعَب بروتوجين، ومجلِس الإدارة، وأيًّا كان قطعة الخراء المُسماة درسدين خارِج غُرفة مُعادلة الضغط، فقد كان ميلر يعلَم أنه سيتعذَّب بشأن ذلك لنصف ثانية قبل أن يُلقي بهم جميعًا إلى الفضاء، ولم يضعه ذلك في مصاف الملائِكة.

- «ما الذي يُمكِن أن أفعله من أجلك يا سيد ميلر؟».

كان فريد -رجل (أوبا) الأرضي- يرتدي قميصًا أزرق اللون وبنطالًا لطيفًا، كان من المُمكِن أن يكون مُهندسًا معماريًّا أو إداريًّا متوسِّط المستوى لأي عدد من الشركات الجيِّدة والمُحترمة، حاوَل ميلر تخيُّله وهو يخطِّط لمعركةٍ.

قال ميلر: «يُمكِنك إقناعي بأنك تمتلِك ما يلزَم حقًّا لتدمير محطَّة بروتوجين، ثُم سأُطلِعك على مكانها».

ارتفع حاجبا فريد مليمترًا.

قال فريد: «تعالوا إلى مكتبي».

ذهب ميلر، وتبعه هولدن وناعومي، وعندما أغلِقت الأبواب خلفهم، كان فريد أول من تحدَّث:

- «لست مُتأكِّدًا تمامًا مما تُريده مني، فأنا لست مُعتادًا على إتاحة خطط معاركي للعامة».

قال ميلر: «نحن نتحدَّث عن اقتحام محطَّة، شيء مزوَّد بدفاعاتٍ جيِّدةٍ، وربما بالمزيد من المركبات مثل المركبة التي دمَّرت (كانتيربيري)، لا أقصِد عدم الاحترام؛ لكنه سيكون أمرًا صعبًا للغاية بالنسبة لمجموعةٍ من الهواة مثل: (أوبا) ».

قال هولدن: «ميلر؟». رفع ميلر يده ليُقاطِعه.

قال ميلر: «يُمكِنني أن أعطيك توجيهات الوصول إلى محطَّة تحوت؛ لكنني إذا فعلت ذلك، واتضح أنه لم يكُن لديك الفُرصة لرؤية هذا الأمر، فسيموت كثير من الأشخاص دون أن يتم حل أي شيء، وأنا لست مستعدًّا لذلك».

أمال فريد رأسه مثل كلب يسمع صوتًا غير مألوفٍ، تبادَلت ناعومي وهولدن نظرةً لم يستطِع ميلر تحليلها.

قال ميلر وهو يُزيد من حماسة الأمر: «هذه الحرب، لقد عملت مع (أوبا) من قبل، وبصراحةٍ يا رِفاق، أنتم أفضل كثيرًا في هراء حرب العصابات من التخطيط لأي شيء حقيقي، ونصف الأشخاص الذين يدَّعون الحديث نيابةً عنكم هُم من المعاتيه الذين تصادَف وجود جهاز راديو بالقُرب منهم، أرى أن لديك الكثير من المال، وأرى أن لديك مكتبًا لطيفًا، ما لا أراه -وما أنا بحاجةٍ إلى رؤيته- هو أنه لديك ما يلزَم لإسقاط هؤلاء الأوغاد. إن تدمير محطَّة ليس لعبة، ولا يهمني عدد عمليات المُحاكاة التي قُمت بها، هذه عملية حقيقية الآن، إذا كُنت سأمد لك يد المُساعدة، فأنا بحاجةٍ إلى معرفة أنه يُمكِنك التعامُل مع الأمر».

ساد صمت طويل.

قالت ناعومي: «أنت تعرف من يكون فريد، أليس كذلك يا ميلر؟».

قال ميلر: «الناطِق بلسان (أوبا) في تايكو؛ لكن هذا لا يهمني كثيرًا».

قال هولدن: «إنه فريد جونسون».

ارتفع حاجبا فريد مليمترًا آخر، عَبَسَ ميلر وعقد ذراعيه.

قالت ناعومي موضِّحةً: «العقيد فريدريك لوسيوس جونسون».

رَمَشَ ميلر وهو يقول: «جزَّار محطَّة أندرسون».

قال فريد: «بشحمه ولحمه، لقد كُنت أتحدَّث مع المجلِس المركزي لـ (أوبا)، لديَّ مركبة شحن مليئة بقوَّات أكثر من كافية لتأمين المحطَّة، كما أن الدعم الجوي يتمثَّل في أحدث قاذِفة صواريخ مريخية».

قال ميلر: « (روسي) ».

وافقه فريد الرأي قائِلًا: « (روسينانت)، وعلى الرغم من أنك قد لا تُصدِّق ذلك، فإنني أعرِف فِي الواقِع ما أفعله».

نَظَر ميلر إلى قدميه، قبل أن يرفع ناظريه إلى هولدن.

قال: «فريد جونسون الشهير».

قال هولدن: «اعتقدت أنك تعرِف».

قال ميلر: «حسنًا، أشعُر بأنني أحمق للغاية».

قال فريد: «ستعتاد الأمر، هل كان هناك أي شيء آخر أردت المُطالبة به».

قال ميلر: «لا»، ثُم أضاف: «أجل، أريد أن أكون جزءًا من هجوم قوَّات المُشاة، أريد أن أكون هناك عندما نتغلَّب على طاقم تلك المحطَّة».

قال فريد: «هل أنت مُتأكِّد؟ إن تدمير محطَّة ليس لعبة، فما الذي يجعلك تعتقِد بأن لديك ما يلزَم».

هزَّ ميلر كتفيه.

قال ميلر: «شيء واحِد يتطلَّبه الأمر وهو الإحداثيات، ولقد توليت أمر ذلك».

ضَحِكَ فريد قائلًا: «إذا كُنت ترغَب في النزول إلى هذه المحطَّة، ومواجهة أيٍّ من كان في انتظارنا هناك في محاولةٍ لقتلك مع بقيتنا، فلن أقِف في طريقك يا سيد ميلر».

قال ميلر: «شكرًا»، ثُم أخرج جهازه اللوحي، وأرسل بالنص إلى فريد وهو يُضيف: «هاك، مصدري قوي؛ لكنه لا يعمَل من بياناتٍ مُباشرةٍ، يجب أن نتأكَّد قبل أن نتورَّط».

قال العقيد فريد جونسون وهو ينظُر إلى الملف: «أنا لست هاويًا».أومأ ميلر برأسه، عدَّل من وضع قُبعته، وخَرَج. حاصره ناعومي وهولدن، وعندما وصلوا إلى المدخل الواسِع النظيف، نظر ميلر يمينه في عيني هولدن.

قال هولدن: «اعتقدت أنك تعرِف حقًّا».

***

وصلت الرسالة بعد ثمانية أيام، ووصلَت مركبة الشحن (جاي موليناري) التي كانت مُمتلِئة بجنود (أوبا)، تمَّ التحقُّق من إحداثيات هاقلوك، وكان هناك شيء مؤكَّد للغاية بالخارِج هناك، ويبدو أنه كان يجمَع رسائِل الشعاع الضيِّق من إيروس، وإذا أراد ميلر أن يكون جزءًا من ذلك الأمر، فقد حان وقت الخروج.

جَلَسَ في مهجعه في (روسينانت) لما بدا وأنه على الأرجح آخِر مرَّة. أدرك بقليلٍ من الوخز، وأجزاء متساوية من الحُزن والدهشة أنه سيفتقِد المكان. كان هولدن، على الرغم من كُل أخطائه، وشكاوى ميلر، رجلًا مُحترمًا، كان متورِّطًا ولا يُدرِك سوى نصف الحقيقة؛ لكن لم يكُن بإمكان ميلر أن يُفكِّر في أكثر من شخصٍ واحدٍ يُناسِب هذا الوضع، كان سيفتقِد غرابة أطوار أليكس، ولكنته المُتعادِلة، وبذاءة أليكس العرضية، وكان يتساءل عمَّا إذا كانت ناعومي قد حلَّت الأمور مع قُبطانها، وكيف.

كانت مُغادرته بمنزلة تذكير بالأشياء التي يعرِفها بالفعل: أنه لا يعرِف ما سيحدُث بعد ذلك، وأنه لا يملك الكثير من المال، وأنه بينما كان على يقينٍ من أن بإمكانه العودة من محطَّة ثحوت، إلا أنه أين وكيف سيذهب من هناك سيكون ارتجالًا، ربما ستكون هناك مركبة أخرى يُمكِنه التوقيع معها، وربما سيضطر إلى الحصول على عقدٍ وتوفير بعض المال لتغطية نفقاته الطبيَّة الجديدة.

فحص مشط ذخيرة سلاحه، حزم ملابسه الاحتياطيَّة في العبوة الصغيرة المُهترِئة التي تسلَّمها في وسيلة النقل في سيريس، لا يزال من المُمكِن وضع كُل ما يمتلكه فيها.

أغلَق الأضواء وشقَّ طريقه عبر الممر القصير مُتجهًا لمصعَد السلم، كان هولدن في المطبخ يرتعِد بعصبيةٍ، كان الخوف من المعركة القادِمة يبدو جليًّا في أركان عيني الرجل بالفعل.

قال ميلر: «حسنًا، ها نحن أولاء، أليس كذلك».

قال هولدن: «أجل».

قال ميلر: «كانت رحلة لا تُنسى، لا يُمكِنني القول بأن كُل شيء كان مُمتعًا؛ لكن... ».

- «أجل».

قال ميلر: «أخبِر الآخرين أنني قُلت وداعًا».

قال هولدن: «سأفعل». ثُم قال بينما كان ميلر يتجاوزه مُتجهًا نحو المصعد: «إذا افترضنا أننا سنعيش جميعًا لنتجاوز ذلك، أين يجب أن نلتقي».

استدار ميلر.

قال: «لا أفهم».

- «أجل، أعرِف. انظُر، أنا أثِق بفريد وإلا لما جئت إلى هنا، أعتقِد أنه شريف، وسيفعل الشيء الصالِح من أجلنا؛ لكن هذا لا يعني أنني أثِق في جميع أعضاء (أوبا). أريد أن يتجمَّع الطاقم معًا مرَّة أخرى، بعد أن ننتهي من ذلك الأمر. فقط في حالة احتجنا للخروج بسُرعةٍ».

حدث شيء ما مؤلِم تحت عظمة قص ميلر، لم يكُن ألمًا حادًّا، مُجرَّد وجع مُفاجئ، شعر بحلقه ينسد، سعل ليُنظِّفه.

قال ميلر: «سأتواصل معك، بمُجرَّد أن نؤمِّن المكان».

- «حسنًا؛ لكن لا تستغرِق الكثير من الوقت، إذا كان هناك بيت دعارة لا يزال قائمًا في محطَّة تحوت، فسأحتاج إلى المُساعدة لإخراج أموس منه».

فَتَح أموس فمه، وأغلقه، وحاوَل مرَّة أخرى.

قال وهو يُجبر بعض الخفَّة بالتسلُّل إلى صوته: «حسنًا يا قُبطان».

قال هولدن: «توخَّ الحذر».

غادَر ميلر، توقَّف في الممر الموجود بين المركبة والمحطَّة إلى أن تأكَّد من أنه قد توقَّف عن البُكاء قبل أن يشُق طريقه إلى مركبة الشحن والهجوم.

(٣٩)

هولدن

اندفعت (روسينانت) في الفضاء كشيءٍ ميِّتٍ، تدور في جميع المحاوِر الثلاثة، لم تكُن تشع بالحرارة، أو بالضوضاء الكهرومغناطيسية بعد إغلاق المُفاعِل وتنفيس كُل هواء الكابينة، كان من الصعب تمييز المركبة عن الصخور الموجودة في الحزام، لولا انطلاقها نحو محطَّة تحوت بسُرعةٍ أكبر من سُرعة رصاصة بُندقيَّة. صرخت مركبة (جاي موليناري) من خلفها بنصف ميلون كيلومتر ببراءة (روسينانت) لأي شخص قد يُنصِت السمع، وشغَّلَت مُحرِّكاتها في تقاصُرٍ بطيءٍ طويلٍ.

لم يستطِع هولدن سماع ما كانوا يقولونه؛ لأن الراديو كان مُغلَقًا؛ لكنه كان قد شارك في كتابة التحذير، ولذلك تردَّد صداه في رأسه على أي حال: تحذير! أدى انفجار عرضي على متن مركبة الشحن (جاي موليناري) إلى انفصال حاوية شحن كبيرة خالية، تحذير لجميع المركبات الموجودة في مسارها: الحاوية تتحرَّك بسُرعةٍ عاليةٍ ودون تحكُّم مُستقِل، تحذير!

دار بعض النقاش حول عدم البث على الإطلاق نظرًا لأن تحوت كانت محطَّة سوداء، ولذلك كانوا يستخدِمون أجهزة استشعار سلبية

فقط، يمسَحون جميع الاتجاهات باستخدام الرادار أو اللادار الذي من شأنه أن يُضيء مثل شجرة أعياد الميلاد، ولذلك فقد كان من المُمكِن أن تتسلَّل (روسينانت) إلى المحطَّة دون أن يُلاحظها أحد طالما كان مُفاعلها مُغلقًا؛ لكن فريد قرَّر أنه إذا تمَّ رصدهم بطريقةٍ ما، فسيكون ذلك مُريبًا بما فيه الكفاية لتبرير هجوم فوري مُضاد، ولذلك قرَّروا تشغيلها بصوتٍ عالٍ، والاعتماد على الارتباك لمُساعدتهم بدلًا من تشغيلها بهدوءٍ.

وبقليلٍ من الحظ، ستقوم أنظِمة الأمن في محطَّة ثحوت بمسحهم ضوئيًّا لترى أنها لم تكُن في الواقِع سوى قطعة كبيرة من المعدن تُحلِّق على ناقِل غير مُتغيِّر، وتفتقِر إلى نظام دعم الحياة الواضِح، وستتجاهلهم لفترةٍ كافيةٍ لتسمح لهم بالاقتراب، ومن بعيد، بدت أنظِمة دفاع المحطَّة أكثر من اللازِم بالنسبة لـ (روسي)؛ لكن عن قُرب، يُمكِن للمركبة الصغيرة المناوِرة أن تتحرَّك حول المحطَّة، وتُمزِّقها إلى أشلاءٍ. كُل ما كانوا بحاجةٍ إليه من قصَّة الغلاف هو توفير الوقت لهم بينما يحاوِل فريق أمن المحطَّة معرفة ما يجري.

كان فريد، وبالتالي كُل من شارَك في الهجوم، يُراهِن على أن المحطَّة لن تُطلِق النار حتى يتأكَّدوا تمامًا من أنهم يتعرَّضون للهجوم، واجَهت بروتوجين كثيرًا من المتاعِب لإخفاء مُختبر أبحاثهم في الحزام، وبمُجرَّد إطلاق صاروخهم الأول، سيفقِدون ميزة سرية هويتهم إلى الأبد، ومع استمرار الحرب، سيلتقِط المُراقبون مسارات شُعلة الاندماج ويتساءلون عمَّا يحدُث، سيكون إطلاق النار من سلاح هو الملاذ الأخير لمحطَّة ثحوت.

نظريًّا.

أدرك هولدن وهو يجلِس وحيدًا داخِل فقاعة الهواء الصغيرة الموجودة في خوذته أنهم إذا كانوا مُخطئين، فلن يُدرِك ذلك أبدًا. كانت (روسي) تطير دون هُدى، وكانت جميع الاتصالات اللاسلكية مُعطَّلة، كان لدى أليكس ساعة ميكانيكية بوجهٍ يتوهَّج في الظلام، وبجدولٍ ثانٍ محفوظٍ لم يستطيعوا التغلُّب على تكنولوچيا تحوت الفائِقة؛ ولذلك كانوا يطيرون بأقل قدر مُمكِن من التكنولوچيا. إذا جانبهم الصواب وأطلقت المحطَّة النار عليهم، فستتبخَّر (روسي) دون سابِق إنذار. واعَد هولدن بوذيةً ذات يوم كانت تقول إن الموت مُجرَّد حالة مُختلِفة من الوجود، وأن الناس يخشون فقط المجهول الذي يكمُن خلف هذا الانتقال، كان الموت دون سابِق إنذار أفضل؛ لأنه يُزيل كُل الخوف.

لقد شعر أن لديه الحجَّة المُضادة الآن.

بدأ يُراجِع الخطَّة مرَّة أخرى؛ ليُبقي عقله مشغولًا، عندما سيقترِبون بما فيه الكفاية من محطَّة تحوت سيُشغِّل أليكس المُفاعِل، ويقوم بمناورة الفرملة عند عشرة (ج) تقريبًا، ثُم ستبدأ (جاي موليناري) في بث موجات الراديو الإستاتيكية وليزر التشويش على المحطَّة لإرباك حزمة الاستهداف الخاصَّة بها للحظاتٍ قليلةٍ تحتاجها (روسي) للانتقال إلى ناقِل الهجوم، وستشتبِك (روسي) مع دفاعات المحطَّة، وتُعطِّل أي شيء من شأنه أن يؤذي (موليناري) ريثما تتحرَّك مركبة الشحن لخرق هيكل المحطَّة، وإسقاط جنودها المُهاجمين.

كان هناك عدد لا بأس به من الأشياء الخاطئة في هذه الخطَّة.

إذا قرَّرت المحطَّة إطلاق النار مُبكِّرًا، تحسُّبًا، ستنفجِر (روسي) قبل بداية القِتال، وإذا تمكَّن نظام الاستهداف بالمحطَّة من قطع إستاتيكية وليزر تشويش (موليناري)، فربما يبدؤون في إطلاق النار بينما لا تزال

(روسي) تتموضَع، وحتى لو سار الأمر على خير ما يُرام، فلا يزال هناك فريق الهجوم، الذين يشقُّون طريقهم إلى المحطَّة ويُقاتِلون من ممرٍّ إلى آخرَ وصولًا إلى المركز العصبي لإحكام السيطرة، وحتى أفضل جنود مُشاة البحرية الفضائية بالكواكِب الداخلية كانوا يشعرون بالرعب من أعمال الاختراق، وهذا لسببٍ وجيهٍ، فقد كان التنقُّل عبر ممرَّات معدنيَّة غير مألوفة بدون تغطية، بينما ينصُب لك العدو كمينًا عند كُل تقاطُع وسيلة جيِّدة للتسبُّب في قتل كثير من الأشخاص. لم يرَ هولدن أبدًا أن مُشاة البحرية الفضائية يُقدِّمون أداءً أفضل من موت ستين بالمائة من الضحايا في عمليات المُحاكاة التدريبية في أسطول الأرض، وهؤلاء لم يكونوا من مُشاة البحرية الفضائية للكوكب الداخلي الذين يملكون سنوات من التدريب وأحدث المُعدَّات؛ بل كانوا مجموعة من رُعاة بقر (أوبا) مزوَّدين بأي مُعدَّات استطاعوا جمعها في اللحظة الأخيرة.

ولكن حتى هذا لم يكُن ما يُقلِق هولدن حقًّا.

ما كان يُقلِقه حقًّا هو تلك البُقعة الكبيرة الأكثر دفئًا من الفضاء والموجودة على بُعد عشرات الأمتار فوق محطَّة تحوت، كانت (موليناري) قد رصدتها وحذَّرتهم بشأنها قبل أن تُطلِق سراحهم. لم يشُك أحد على متن (روسي) في أنها مركبة شبح، كونهم قد رأوا واحدةً من قبل.

إن قِتال المحطَّة سيكون سيئًا بما فيه الكفاية حتى عن قُرب؛ حيث ستفقِد المحطَّة مُعظم مزاياها؛ لكن هولدن لم يكُن يتطلَّع إلى تفادي نيران صاروخ من فرقاطة عملاقة في نفس الوقت. أكَّد له أليكس أنهم إذا تمكَّنوا من الاقتراب من المحطَّة بما فيه الكفاية، فسيُمكِنهم منع الفرقاطة من إطلاق النار عليهم خوفًا من التسبُّب بالضرر لتحوت، وأن قُدرة (روسي) الأكبر على المناوَرة ستجعلها أكثر من مُجرَّد مُباراة بالنسبة

للمركبة الأكبر والأكثر تسليحًا، وقال إن الفرقاطة الشبح لم تكُن سوى سلاح استراتيجي، وليس تكتيكيًّا؛ لكن هولدن لم يقُل: لماذا يمتلكون واحدة هناك إذن؟

تحرَّك هولدن ليُلقي نظرةً على معصمه، ثُم نخر بإحباطٍ وسط السواد الذي يُسيطِر على سطح العمليات. كانت طاقة بدلته مُطفأة، الكرونومتر والأضواء على حدٍّ سواء، وكان النظام الوحيد الذي يعمَل في بدلته هو دوران الهواء، وكان ذلك ميكانيكيًّا تمامًا، إذا حدث خطأ ما بالنظام، فلن تُضيء أي أضواء تحذير صغيرة؛ كان سيختنِق ويموت فحسب.

نظر في أرجاء الغُرفة المُظلِمة وقال: «بحقكم، كم تبقى من الموت».

بدأت الأضواء تومِض عبر المقصورة، كما لو كانت تُجيب بذلك على سؤاله، دوى تدفُّق إستاتيكي في خوذته؛ ثُم قال صوت أليكس مُتشدِّقًا: «الاتصالات الداخلية تعمَل».

بدأ هولدن يقلب المفاتيح ليُعيد بقية الأنظِمة إلى الحياة.

قال: «المُفاعِل».

أجابه أموس من غُرفة المُحرِّك: «خلال دقيقتين».

- «الحاسوب الرئيسي».

قالت ناعومي وهل تلوِّح له من على سطح العمليات: «ثلاثون ثانية لإعادة التشغيل». كانت الأضواء قد أضاءت بما فيه الكفاية ليتمكَّنوا من رؤية بعضهم بعضًا.

- «الشبكات؟».

ضَحِكَ أليكس بشيءٍ مثل الفرح الحقيقي عبر نظام الاتصالات.

قال: «تم تشغيل الأسلِحة، وبمُجرَّد أن تُعيد لي ناعومي حاسوب الاستهداف، سنكون مُتحمِّسين، مُستعدين، وجاهزين».

جعله سماع الجميع وهُم يطمئنون على بعضهم بعضًا بعد الظلام الصامِت والطويل لاقترابهم يشعُر بالراحة، خفَّفت قُدرته على النظر عبر الغُرفة ورؤية ناعومي تعمَل في مُهماتها من الرعب الذي لم يكُن يُدرِك أنه يشعُر به.

قالت ناعومي: «لا بُدَّ أن يكون الاستهداف يعمل الآن».

أجابها أليكس: «عُلِم، النطاقات تعمَل، الرادار يعمَل، اللادار يعمَل... اللعنة، هل ترين ذلك يا ناعومي؟».

قالت ناعومي: «أراه، نحصُل على توقيع مُحرِّك من المركبة الشبح يا قُبطان، إنهم يُشغِّلونها أيضًا».

قال هولدن: «لقد توقَّعنا حدوث ذلك، ليُنفِّذ الجميع مهمّاته».

قال أموس: «دقيقة واحِدة».

قام هولدن بتشغيل وحدة التحكُّم الخاصَّة به وجَذَب شاشة العرض التكتيكي، وفي النطاق، تحوَّلت محطَّة تحوت إلى دائرةٍ كسولةٍ بينما أصبحت البُقعة الدافِئة الموجودة فوقها ساخِنة بما فيه الكفاية لتكشِف عن مُخطَّط هيكل خشن.

قال هولدن: «لا تبدو هذه مثل الفرقاطة الأخيرة يا أليكس، هل ميَّزتها (روسي) بعد؟».

«ليس بعد أيها القُبطان؛ لكنها تعمَل على الأمر الآن».

قال أموس: «ثلاثين ثانية».

قالت ناعومي: «أحصُل على عمليات بحث لادار من المحطَّة، وبث دردشة».

نظر هولدن إلى شاشته بينما حاولت ناعومي أن تُطابق الطول الموجي الذي كانت المحطَّة تستخدِمه لاستهدافهم، وبدأت في رش المحطَّة بمصفوفة اتصالات الليزر للتشويش على العائِدات.

قال أموس: «خمس عشرة ثانية».

قال أليكس: «حسنًا، اربطوا أحزمة الأمان يا أطفال، ها هو العصير قادِم».

وحتى قبل أن ينتهي أليكس من نطق جُملته، شعر هولدن بعشرات الوخزات بينما حقنه مقعده ليملأه بالأدوية لإبقائه على قيد الحياة أثناء التباطؤ القادِم، شعر بجلده يُشَد ويزداد سخونةً، وزحفت خصيتاه إلى داخِل معدته، وبدا أليكس وكأنه يتحدَّث بالتصوير البطيء.

- «خمسة... أربعة... ثلاثة... اثنان... ».

لم يقُل (واحِد) أبدًا، بدلًا من ذلك، شعر هولدن بِثقل يبلُغ وزنه ألف رطل يجثُم على صدره ويهتز مثل عملاق ضاحِك بينما كان مُحرِّك (روسي) يستجيب للمكابِح عند عشرة (ج)، اعتقد هولدن أن بإمكانه أن يشعُر برئتيه تحُك داخِل قفصه الصدري، بينما كان صدره يبذل قصارى جهده للانهيار؛ لكن المقعد جذبه إلى حضنٍ ناعمٍ مليء بالهُلام، وأبقت الأدوية قلبه ينبُض وعقله يعمَل، لم يفقِد وعيه، إذا قتلته المناوَرة التي تتم في قوى التسارُع العالية، فسيكون مُستيقِظًا وواعيًا طوال الأمر برُمته.

امتلأت خوذته بأصوات القرقرة وصعوبة التنفُّس، وكان بعضها خاصًّا به، تمكَّن أموس من إطلاق نصف سبَّة قبل أن ينقبِض فكُّه، لم

يستطِع هولدن سماع (روسي) وهي ترتجِف تحت وطأة إجهاد تغيير مسارها؛ لكنه استطاع أن يشعُر بها من خلال المقعَد، كانت قوية، أقسى من أي واحد منهم، سيكونون موتى لفترةٍ طويلةٍ قبل أن تجذِب المركبة ما يكفي من قوى التسارُع لتؤذي نفسها.

وعندما أتى الارتياح، جاء فجأة لدرجة أن هولدن كاد يتقيَّأ؛ لكن الأدوية التي كانت تملأ نظامه منعت ذلك أيضًا، أخذ نفسًا عميقًا، فعاد غضروف عظمة القفص إلى مكانه بشكلٍ مؤلمٍ.

تمتم: «طمأنوني عليكم». آلمه فكُّه.

أجابه أليكس على الفور: «تم استهداف مصفوفة الاتصالات». كانت مصفوفة الاتصالات والاستهداف لمحطَّة تحوت هي العُنصر الأول في قائمة أولويات استهدافهم.

قال أموس من الأسفل: «كُل شيء على ما يُرام».

قالت ناعومي ونبرة تحذيرية تحتل صوتها: «سيدي».

قال أليكس: «اللعنة، أنا أراها».

طَلَب هولدن من وحدة التحكُّم الخاصَّة به أن تنقِل له صورة وحدة تحكُّم ناعومي كي يتمكَّن من رؤية ما كانت تنظُر إليه. وعلى شاشتها، اكتشفت (روسي) سبب عدم قُدرتها على التعرُّف إلى المركبة الشبح.

فقد كان هناك مركبتان، وليست فرقاطة صاروخيَّة ضخمة وخرقاء بحيث يُمكن أن يرقصوا من حولها، ويمزِقوها إربًا من مسافةٍ قريبةٍ. لا، كان ذلك ليكون سهلًا للغاية، كانت هاتان المركبتان أصغر بكثيرٍ تقِفان بالقُرب من بعضهما بعضًا لتخدعا مُستشعرات العدو، والآن كانت كلتاهما تُشغِّل مُحرِّكها قبل أن تنفِصلا.

قال هولدن لنفسه: حسنًا، خطَّة جديدة.

قال: «اجذب انتباههما يا أليكس، لا يُمكِننا السماح لهما بمُطاردة (موليناري)».

أجابه أليكس: «عُلِم، سأقوم بذلك».

شعر هولدن بقشعريرة (روسي) عندما أطلَق أليكس صاروخًا على إحدى المركبتين، كانت المركبات الصغيرة تُغيِّر سُرعتها وناقِلاتها بسُرعةٍ، بينما كان قد تمَّ إطلاق الصاروخ على عجلٍ ومن زاويةٍ سيئةٍ، لن يُصيب هدفه؛ لكن (روسي) ستكون على نطاق الجميع كمصدر تهديد الآن، ولذلك كان هذا جيِّدًا.

انطلقت كلتا المركبتين في اتجاهين مُتعاكسين بسُرعتهما القصوى، تنثُران الهشيم ورجَّة الليزر من خلفهما أثناء ذهابهما، تذبذب الصاروخ في مساره ثُم ابتعد في اتجاهٍ عشوائي.

سأل هولدن: «أليكس، ناعومي، أي فكرة عمَّا نواجه هنا؟».

قالت ناعومي: «ما زالت (روسي) لم تتعرَّف إليهما بعد يا سيدي».

قال أليكس تعقيبًا على ما قالته: «تصميم هيكل جديد؛ لكنهما تطيران مثل مُقاتِلات الاعتراض السريعة، أخمِّن أنهما تحملان صاروخًا أو اثنين في بطنيهما، ومدفعًا رشَّاشًا مُثبَّتًا على عارضةٍ».

كانتا أسرع وأكثر قُدرةً على المناوَرة من (روسي)؛ لكن لم يكُن بإمكانهما إطلاق النار في اتجاهٍ واحدٍ فحسب.

«أليكس، انطلِق إلى...». انقطَع أمر هولدن عندما ارتجفت (روسينانت) وقفزت جانبًا، لتُلقيه على جانِب حزام أمانه بقوةٍ سبَّبت له كدمات في الأضلاع.

صرخ أموس وأليكس في الوقت نفسه: «لقد تلقينا ضربةً! ».

قالت ناعومي: «لقد أطلقت المحطَّة النار علينا بنوعٍ من المدافِع الثقيلة».

قال هولدن: «نسبة الضرر؟».

قال أموس: «لقد مرَّت من خلالنا أيها القُبطان، أصابت المطبخ، وورشة الآلات. تغيَّر لونهم إلى اللون الأصفر على اللوحة؛ لكننا لم نُصَب بشيءٍ خطيرٍ بما فيه الكفاية ليقتُلنا».

بدا وقع جُملة: (لم نُصَب بشيءٍ خطيرٍ بما فيه الكفاية ليقتُلنا) جيدًا؛ لكن هولدن شعر بألمٍ بسبب صانِع القهوة.

قال هولدن: «انسَ أمر المركبات الصغيرة يا أليكس، اقتل مصفوفة الاتصالات».

أجابه أليكس: «عُلِم». مالَت (روسي) جانبًا، وأليكس يُغيِّر مسارها ليبدأ صاروخه في الانطلاق نحو المحطَّة.

- «بمُجرَّد أن تأتي أول هذه المُقاتِلات لتقوم بهجومها، أطلِقي ليزر الاتصالات في وجهها بكامِل قوَّته، وابدئي بإسقاط المشيم».

أجابته: «حسنًا يا سيدي». ربما كان الليزر كافيًا لتدمير نظام الاستهداف الخاص به لبضع ثوانٍ.

قال أليكس: «تقوم المحطَّة بتشغيل مراكِز المدافِع الدفاعية، سيُصبح هذا وعرًا بعض الشيء».

انتقل هولدن من مُشاهدة شاشة ناعومي إلى مُشاهدة شاشة أليكس، امتلأت لوحته بآلاف كُرات الضوء سريعة الحركة ومحطَّة تحوت تدور في الخلفية، كان حاسوب التهديد الخاص بـ (روسي) يُحدِّد نيران مراكِز المدافِع الدفاعية الوارِدة بضوءٍ ساطعٍ على شاشة عرض أليكس، كانت تتحرَّك بسُرعةٍ مُستحيلةٍ؛ لكن على الأقل كان بإمكان الطيَّار أن يرى من أين تأتي النيران والاتجاه الذي كانت تندفِع فيه مع قيام النظام بوضع تتابُع مُشرِق في كُل جولة، استجاب أليكس لمعلومات التهديد تلك بمهارةٍ بارعةٍ؛ حيث قام بالمناوَرة مُبتعدًا عن اتجاه إطلاق نيران مراكِز المدافِع الدفاعية بحركاتٍ سريعةٍ شبه عشوائية أجبرت نظام الاستهداف الآلي لها على إعادة الضبط باستمرارٍ.

بدا الأمر وكأنه لعبة بالنسبة لهولدن، نقاط سريعة من الضوء بشكلٍ لا يُصدَّق تتطايَر من المحطَّة الفضائية في سلاسلَ مثل عقود اللؤلؤ الطويلة والنحيلة، تحرَّكت المركبة بلا كللٍ؛ لتجِد الفجوات بين الخطوط وتبتعِد عن فجوة جديدة قبل أن تتفاعَل الخيوط وتلمسها؛ لكن هولدن كان يعرِف أن كُل نقطة من الضوء تُمثِّل قطعةً من فولاذ التنجستن المطلي بالتفلون وبقلبٍ من اليورانيوم المُنضَّب، والتي تقطع آلاف الأمتار في الثانية الواحِدة، وأن أليكس إذا خَسِر اللعبة، فسيعرفون ذلك عندما ستُمزَّق (روسينانت) إربًا.

كاد قلب هولدن يتوقَّف فزعًا عندما تحدَّث أموس قائلًا: «اللعبة يا قُبطان، لدينا تسريب في مكانٍ ما، تفقِد ثلاث دافِعات مناوَرة ضغط الماء، سأقوم بإصلاحها».

قال هولدن: «عُلِم يا أموس، أسرِع».

قالت ناعومي: «تماسَك بالأسفل يا أموس».

أطلَق أموس صوتًا ساخرًا فحسب.

شاهَد هولدن محطَة تحوت وحجمها يزداد في نِطاق وحدة التحكُّم الخاصَّة به، ربما كانت المُقاتلتان قادمتين من مكانٍ ما من خلفهم، تسببت تلك الفكرة في إصابة مؤخرة رأس هولدن بحكَّةٍ؛ لكنه حاول الحِفاظ على تركيزه، لم يكُن لدى (روسي) صواريخ كافية ليُطلِقها أليكس واحدًا تلو الآخر على المحطَّة من بعيد على أمل أن يتمكَّن أحدهم من اختراق نيران المراكِز الدفاعية، كان على أليكس أن يُقرِّبهم للغاية بحيث لا تتمكَّن المدافِع من إطلاق الصواريخ.

ظَهَر ضوء أزرق على شاشة أليكس ليُحيط بجزءٍ من المحوَر المركزي للمحطَّة، تم توسيع الجُزء المُضيء إلى شاشةٍ فرعيةٍ أصغَر، كان بإمكان هولدن أن يُميِّز الأطباق والهوائيات التي تتكوَّن منها مصفوفة الاتصالات والاستهداف.

قال أليكس: «صاروخ قادِم». فاهتزَّت (روسي) مع إطلاق صاروخها الثاني.

اهتزَّ هولدن بعُنف في قيود حزام أمانه قبل أن يرتد إلى مقعده بينما قاد أليكس (روسي) عبر سلسلة من المناورات المُفاجئة، ثُم ضرب صمام الدفع ليتفادى آخر نيران مراكِز المدافِع الدفاعية. راقب هولدن شاشته بينما كانت النقطة الحمراء التي تُمثِّل صاروخهم تتجه نحو المحطَّة، وتضرب مصفوفة الاتصالات، ملأ وميض أبيض شاشته لمُدة ثانية قبل أن يتلاشى، توقَّفت نيران مراكِز المدافِع الدفاعية على الفور تقريبًا.

بدأ هولدن بقول: «ضربة موقَّ... ». قبل أن يُقاطِعه صراخ ناعومي وهي تقول: «أطلق الشبح الأول النيران! سريعي حركة! ».

عاد هولدن إلى شاشتها ورأى نظام الخطر يتتبَّع كلا المُقاتلتين وهدفين أصغر وأسرع بكثيرٍ يتحرَّكان باتجاه (روسي) في مسارٍ اعتراضي.

قال هولدن: «أليكس! ».

- «توليت الأمر يا زعيم، سننتقِل للدفاع».

ارتد هولدن في مقعده مرَّة أخرى بينما زاد أليكس من سُرعتهم، بدا أن قعقعة المُحرِّك الثابِتة تتلعثم، وأدرك هولدن أنه كان يشعُر بإطلاق النار المُستمِر لمراكِز المدافِع الدفاعية الخاصَّة بهم أثناء محاولتها إسقاط الصواريخ التي تُلاحقهم.

قال أموس وهو يبدأ مُحادثة تقريبًا: «حسنًا، اللعنة».

سأله هولدن: «أين أنت؟». ثُم قلب شاشته إلى كاميرا بدلة أموس، كان الميكانيكي في مساحة زحف مُضاءة بشكلٍ خافتٍ ومليئة بالقنوات والأنابيب، وكان هذا يعني أنه كان بين الهياكِل الداخلية والخارجية، وأمامه، بدا جزء من الأنبوب التالِف وكأنه عظمة مكسورة، طفت شُعلة اللحام في مكانٍ قريبٍ، ارتدَّت المركبة بعُنفٍ، فضربت الميكانيكي في المساحة الضيِّقة، صاح أليكس عبر قناة الاتصالات.

قال: «لم تؤثِّر بنا الصواريخ! ».

قال أموس: «أخبِر أليكس أن يتوقَّف عن رجِّها، يجعل هذا من الصعب عليَّ أن أُمسِك بأدواتي».

قالت ناعومي: «عُد إلى أريكة التحطُّم الخاصَّة بك يا أموس! ».

أجابها أموس بصوتٍ استنكاري وهو يجذِب أحد طرفي الأنبوب المكسور: «آسف يا مُديرة؛ لكن إن لم أقُم بتصليح هذا وفقدنا الضغط، فلن يكون أليكس قادرًا على العودة إلى الميمنة بعد الآن، وأراهِن على أن هذا سيكون قادرًا للغاية على تحطيمنا».

قال هولدن رغم احتجاجات ناعومي: «استمر في العمل يا أموس؛ لكن تماسك فسيزداد الأمر سوءًا».

قال أموس: «عُلِم».

عاد هولدن إلى شاشة عرض أليكس.

قالت ناعومي والخوف يسكُن صوتها: «هولدن، سيُصاب أموس بـ...».

- «إنه يقوم بعمله، قومي بعملكِ، يجب أن ننتهي من أمر هذين قبل أن تصِل (موليناري) إلى هنا، اعترض طريق أحدهما ودعنا نوسعه ضربًا».

قال أليكس: «عُلم يا قُبطان، سأذهب خلف الشبح الثاني، سأحتاج إلى بعض المُساعدة مع الشبح الأول».

قال هولدن: «الشبح الأول هو أولوية ناعومي، ابذلي قصارى جُهدكِ لإبعاده عن مؤخرتنا ريثما نقتل صديقه».

قالت ناعومي والضيق يغزو صوتها: «عُلِم».

عاد هولدن إلى كاميرا خوذة أموس؛ لكن بدا أن الميكانيكي يُبلي بلاءً حسنًا، كان يقطع الأنبوب التالِف بشُعلته، بينما تطفو قطعة من الأنبوب البديل بالقُرب منه.

قال هولدن: «ثبِّت هذا الأنبوب أرضًا يا أموس».

قال أموس: «مع كامِل احترامي يا قُبطان؛ لكن يُمكِن لمعايير السلامة أن تذهب إلى الجحيم، سأنتهي من هذا وأخرُج من هنا سريعًا».

تردَّد هولدن، إذا ما أراد هولدن القيام بتصحيح مسار، فقد يتحوَّل الأنبوب الطافي إلى قذيفةٍ ضخمةٍ بها فيه الكفاية لقتل أموس أو كسر (روسي)، قال لنفسه: إنه أموس، إنه يعرِف ما يفعله.

عاد هولدن إلى شاشة ناعومي وهي تضع كُل شيء في نظام الاتصالات على المُعترِض الصغير في محاولةٍ لإصابته بالعمى من شدة الضوء والشوشرة على الراديو قبل أن يعود إلى شاشة عرضه التكتيكية. كانت (روسي) والشبح الثاني يطيران نحو بعضهما بعضًا بسُرعاتٍ انتحاريةٍ، وبمُجرَّد أن اجتازا النقطة التي لا يُمكِن تجنُّب نيران الصواريخ القادِمة فيها، أطلق الشبح الثاني صواريخه، قام أليكس بوضع علامة على سريعي الحركة من أجل مراكِز المدافِع الدفاعية، وواصَل مساره الاعتراضي دون أن يُطلِق صواريخه.

قال هولدن: «لماذا لا نُطلِق النار يا أليكس؟».

أجابه الطيَّار: «سأسقِط صواريخه، ثُم سأقترب لأترك مراكِز المدافِع الدفاعية تُنهي أمره».

- «لماذا؟».
- «لدينا الكثير من الصواريخ فقط لكن ليس لدينا إعادة إمداد، لا داعي لإهدارهم على هذه الأشياء التافِهة».

انطلقت الصواريخ القادِمة للأمام على شاشة هولدن، وشَعَر بمراكِز المدافِع الدفاعية الخاصَّة بـ (روسي) وهي تُطلِق النار لإسقاطها.

قال: «لن ندفع ثمن هذه المركبة يا أليكس، لا تتردَّد في استخدامها، إذا قُتِلت لأنك تُريد أن توفِّر في الذخيرة، فسأضع توبيخًا دائمًا في ملفك».

قال أليكس: «حسنًا، عندما تصيغ الأمر بهذه الطريقة...». ثُم أضاف: «صاروخ قادِم».

انطلقت النقطة الحمراء التي تُمثِّل الصاروخ الخاص بهم نحو الشبح الثاني، اقتربت الصواريخ القادمة أكثر وأكثر، ثُم اختفى أحدهما من على الشاشة.

قال أليكس بصوتٍ خافتٍ: «اللعنة». قبل أن تُضرَب (روسينانت) من الجانِب بقوةٍ كافيةٍ لدرجة أن أنف هولدن كُسِر داخِل خوذته، بدأت أضواء الطوارئ الصفراء بالدوران على جميع الحواجِز، وبفضل إخلاء المركبة من الهواء، لم يستطِع هولدن سماع صوت الإنذار الذي كان يحاوِل أن يُصدِر صوتًا طوال الوقت، وَمَضَت شاشة عرضه التكتيكية، وانطفأت، ثُم عادت للعمل بعد لحظة، وعندما عادَت، كانت الصواريخ الثلاثة قد اختفت، بالإضافة إلى الشبح الثاني، بينما استمرَّ الشبح الأول في الضغط عليهم من الخلف.

صاح هولدن على أمل أن يكون نظام الاتصالات لا يزال يعمل: «الضرر!».

أجابته ناعومي: «هناك أضرار جسيمة في الهيكل الخارجي، توقَّفت أربعة أجهزة دفع مناورات عن العمل، بينما لا يستجيب مركز مدفع دفاعي كما أننا فقدنا وحدة تخزين أوكسجين، وتبدو غُرفة مُعادلة الضغط الخاصَّة بالطاقم عبارة عن رُكام».

سأل هولدن بينما كان يُقلِّب في تقرير الأضرار: «لماذا نحن على قيد الحياة؟». ثُم انتقل إلى كاميرا بدلة أموس.

قال أليكس: «لم يصطدِم بنا الصاروخ، لقد قضت عليه مراكِز المدافِع الدفاعية؛ لكنه كان قريبًا. انفجر الرأس الحربي، واندفعت الشظايا نحونا بشكلٍ جيِّدٍ».

لم يبدُ أن أموس يتحرَّك، صاح هولدن: «أموس! تقريرك! ».

- «أجل، أجل، ما زلت هنا يا قُبطان، انتظِر فقط في حال تعثرنا هكذا مرَّة أخرى، أعتقِد أنني كسرت ضلعًا على أحد دعامات الهيكل؛ لكنني مربوط بأحزِمة الأمان، الشيء الجيِّد اللعين أنني لم أُضِع وقتي مع ذلك الأنبوب على الرغم من ذلك».

لم يأخُذ هولدن وقتًا للرد، انتقل عائدًا إلى شاشة عرضه التكتيكية وشاهَد الشبح الأول الذي يقترِب بسُرعةٍ. كان قد أطلَق صواريخه بالفعل؛ لكن كان لا يزال بالإمكان إسقاطهم بمدافعهم من على مسافةٍ قريبةٍ.

قال: «هل يُمكنك أن تجعلنا نستدير ونصِل إلى حلٍّ مع هذه المُقاتِلة عن طريق إطلاق النار يا أليكس؟».

أجابه أليكس: «سأعمل على ذلك، فليس لدينا الكثير من القُدرة على المناورة»، وبدأت (روسي) بالدوران في سلسلةٍ من الترنُّحات.

انتقل هولدن إلى تلسكوب، وقام بتكبير صورة المُقاتِلة التي تقترِب، بدت فوَّهة مدفعها المُستديرة عن قُرب ضخمةً كممرٍّ على متن سيريس، وبدا أنها كانت تصوِّب نحوه مُباشرةً.

قال: «أليكس».

- «أعمل على ذلك يا زعيم؛ لكن (روسي) مُصابة».

انفَتَح مدفع مركبة العدو استعدادًا لإطلاق النار.

- «اقتلها يا أليكس، اقتلها اقتلها اقتلها».

قال الطيَّار: «صاروخ قادِم»، وارتعدت (روسينانت).

قامَت وحدة تحكُّم هولدن بإخراجه خارِج نطاق الرؤية للعودة إلى شاشة العرض التكتيكية بشكلٍ تلقائي، طار صاروخ (روسي) نحو المُقاتِلة في نفس اللحظة التي فتحت فيها نيران مدفعها تقريبًا، أظهرت الشاشة الطلقات القادِمة على هيئة نقاط حمراء تتحرَّك بسُرعةٍ أكبر من أن يتم تتبعها.

صرخ: «قادِم إليد... »، وانهارت (روسينانت) من حوله.

***

استعاد هولدن وعيه.

كان الجُزء الداخلي من المركبة مليئًا بالحُطام المُتطاير وقطع من الشظايا المعدنية شديدة الحرارة التي بدت وكأنها زخَّات من الشرارات بطيئة الحركة، وفي ظل عدم وجود هواء، ارتدوا عن الجدران ثُم حلَّقوا، وهُم يبردون ببطءٍ مثل يراعات كسولة. كان لديه ذكرى غامِضة عن إحدى أركان شاشة مُثبَّتة على الحائِط وهي تنفصِل وترتد من على ثلاثة حواجِز في أكثر تسديدات البلياردو دقةً في العالم، قبل أن تضربه أسفل عظمة القص مُباشرةً، نَظَر إلى الأسفل، فوجد قطعة الشاشة الصغيرة لا تزال تطفو على بُعد عدَّة سنتيمترات أمامه؛ لكن لم يكُن هناك ثُقب في بدلته، آلمته أحشاؤه.

كان مقعد وحدة العمليات المجاوِر لناعومي مُزيَّنًا بثُقبٍ؛ بينما يتسرَّب هلام أخضر ببطءٍ على شكل كُرات صغيرة تطفو بعيدًا في ظل انعدام الجاذبية، نَظَر هولدن إلى الثقب الذي يُزيِّن المقعد، وإلى الثقب المُطابِق له والموجود في الحاجِز عبر الغُرفة، وأدرَك أنه لا بُدَّ أن الرصاصة قد مرَّت على بُعد سنتيمترات من قدم ناعومي، اجتاحته قشعريرة، وتركته يشعُر بالغثيان في أعقابها.

سأل أموس بخفوتٍ: «ماذا كان هذا بحق الجحيم؟ ولماذا لا نعمل بعد الآن؟».

قال هولدن: «أليكس؟».

أجابه الطيَّار بصوتٍ هادئٍ بشكلٍ مُخيفٍ: «ما زلت هنا أيها القُبطان».

قال هولدن: «لقد ماتت لوحتي، هل قتلنا هذا الوغد؟».

- «أجل يا قُبطان، إنه ميِّت؛ لكن أصابت نصف دزينة من رصاصاته (روسي) بالفعل، يبدو أنهم مروا من خلالنا، من المُقدِّمة إلى المؤخرة مُباشرةً، يُبقي هذا الشريط المُضاد للتشظي الموجود على الحواجِز الشظايا بالأسفل، أليس كذلك؟».

بدأ صوت أليكس يرتعِد، كان يقصِد: يجب أن نكون موتى جميعًا.

قال هولدن: «افتحي قناة اتصال مع فريد يا ناعومي».

لم تتحرَّك.

- «ناعومي؟».

قالت وهي تنقُر على شاشتها: «أجل، فريد».

امتلأت خوذة هولدن بالشوشرة الإستاتيكية للحظةٍ، قبل أن يظهر صوت فريد.

- «(جاي مولينارِي) هنا، سعيد أنكم ما زلتم على قيد الحياة يا رِفاق».
- «عُلِم، ابدأوا رحلتكم، ودعنا نعرِف متى يُمكِننا الانتقال إلى أحد أرصفة المحطَّة».

أجابه فريد: «عُلِم، سنجد لكم مكانًا لطيفًا للهبوط، انتهى فريد من الحديث».

جذب هولدن زر التحرر السريع من قيود مقعده وحلَّق نحو السقف بجسدٍ يعرُج.

حسنًا يا ميلر، لقد حان دورك.

(٤٠)
ميلر

قال الطفل الجالِس في أريكة التحطُّم الموجودة عن يمين ميلر: «عندما يُفتَح القفل أيها العجوز، أنت والضرب، صحيح؟».

كان لون درع الطفل القِتالي رماديًّا وأخضرَ، وكان به عدَّة أختام ضغط مفصلية عند المفاصِل، وبعض الخدوش في اللوحة الأمامية حيث قام سكين، أو طلقة فليشيت بكشط نهايتها، وكان من المُمكِن أن يكون الطفل الموجود خلف قناع الوجه في الخامِسة عشرة من عُمره، وَشَت إيماءات يده عن طفولة قضاها داخِل البدلات الفضائية، كما وشى حديثه عن لُغة حزامية هجينة خالِصة.

قال ميلر وهو يرفع ذراعه: «أجل، رأيت بعض المُغامرات مؤخرًا، سأكون على خير ما يُرام».

قال الطفل: «خير هنا يُقصَد بها شيء جيِّد؛ لكنك ستتمسَّك بالفوكا، ويُمكِن لنيتو أن يُمرِّر الهواء إليك، حسنًا؟».

قال ميلر لنفسه: لا يُمكِن لأي شخص على متن المريخ، أو الأرض أن يفهم كلمة مما تقوله، اللعنة، نصف الأشخاص الموجودين في سيريس

سيشعرون بالحرج من اللهجة الثقيلة، لا عجب إذن أنهم لا يُمانِعون قتلكم.

قال ميلر: «يبدو هذا جيِّدًا بالنسبة لي، انطلِق أنت أولًا، وسأحاوِل منع أي شخص من إطلاق النار عليك من الخلف».

ابتسم الطفل، كان قد ميلر قد رأى الآلاف مثله، أولاد في ذروة المُراهقة يعملون خلال فترة المُراهقة العادية لتحمُّل المخاطِر وإثارة إعجاب الفتيات؛ لكنهم كانوا يعيشون في الحزام في الوقت نفسه، حيث يعني اتخاذ قرار سيئ واحِد الموت، وكان قد رأى الآلاف، واعتقل المئات، وشاهَد العشرات في أكياس احتواء المواد الخطِرَة.

انحنى للأمام لينظُر إلى أسفل الصفوف الطويلة من أرائِك التحطُّم المحوَرية المُعبَّأة التي اصطفَّت داخِل أمعاء (جاي مولينياري)، قدَّر ميلر أن العدد التقريبي يتراوَح بين تسعين ومائة منهم؛ لذلك بحلول وقت العشاء، ستكون فُرص أن يرى بضع عشرات آخرين يموتون جيِّدة.

- «ما اسمك يا فتى؟».
- «ديوجو».

قال وهو يمد يده نحو الطفل ليُصافِحه: «ميلر». جعل درع القِتال المريخي عالي الجودة الذي أخذه ميلر من (روسينانت) أصابِعه تنثني أكثر بكثيرٍ مما تسمَح به دروع الأطفال.

الحقيقة هي أن ميلر لم يكُن في حالةٍ تسمَح له بالهجوم، كان لا يزال يُعاني من حالة غثيان لا يُمكِن تفسيرها بين الحين والآخر، كما كانت ذراعه تؤلِمه كلما قلَّ مستوى الدواء في دمه؛ لكنه كان يعرِف كيف يستخدِم سلاحًا، وربما كان يعرِف المزيد عن القِتال من ممرٍّ إلى آخرَ أكثر

من تسعة أعشار قافزي الصخور التابعين لـ (أوبا)، والخنازير البرّية مثل: ديوجو الذين كانوا على وشك المُشاركة، لا بُدَّ أن يكون جيِّدًا بما فيه الكفاية.

نقر نظام عنوان المركبة مرَّة.

- «فريد هنا، لقد تلقينا الأمر من الدعم الجوي، وأصبحنا جاهزين للاختراق في غضون عشر دقائِق. ستبدأ الفحوصات النهائية الآن يا رجال».

عاد ميلر للجلوس على أريكته، ملأت الأجواء أصوات نقر وثرثرة مائة بدلة من المُدرَّعات، ومائة سلاح ناري، ومائة سلاح هجومي، لقد قام بالفحوصات الخاصَّة بما فيه الكفاية حتى الآن؛ ولم يشعُر بالحاجة لفعل ذلك مرَّة أخرى.

سيبدأ الانطلاق في غضون بضع دقائِق، سيتم الاحتفاظ بعصير الأدوية عالية الجاذبية على الحافة، حيث إنهم كانوا سيذهبون من الأرائِك مُباشرةً إلى معركة بالأسلِحة النارية، ولا فائِدة تُجدي من أن تكون قوَّتك الهجومية مُخدَّرة أكثر من اللازِم.

جَلَسَت جولي على الحائِط المجاوِر له، وشعرها يطفو حولها كما لو كانت تحت الماء، تخيَّل أن الضوء الخافِت يومِض على وجهها، صورة لُمتسابِقة سباق الزوارِق الشابَّة كحورية بحر، ابتسمت عندما خطرت له الفكرة، فبادلها ميلر الابتسامة، كان يعرِف أنها ستكون موجودة هنا جنبًا إلى جنبٍ مع ديوجو، وفريد، وجميع ميليشيات (أوبا) الأخرى الوطنيين الموجودين في الفضاء، كانت تجلِس على أريكة التحطُّم ترتدي درعًا مُستعارًا، وتتجه إلى المحطَّة لتقتُل نفسها من أجل الصالِح العام، كان ميلر

يعرِف أنه لن يفعل ذلك، ليس قبلها، ولذلك فقد حلَّ محلَّها بطريقةٍ ما، لقد أصبح هي.

قالت جولي: لقد فعلوها، أو ربما فكَّرت في الأمر فحسب، إذا كان الهجوم البري يمضي قدمًا، فهذا يعني أن (روسينانت) قد نَجَت، على الأقل لفترةٍ كافيةٍ لضرب الدفاعات. أومأ ميلر برأسه مُعترفًا بوجودها، وتاركًا نفسه يشعُر بمُتعة الفكرة للحظةٍ، ثُم دفعته الجاذبية إلى أريكته بقوةٍ لدرجة أن وعيه ارتجف، وخَفَت ضوء العنبر من حوله، شعر بذلك عندما جاء احتراق المكابح، دارَت كُل أرائك التحطُّم لتواجِه الجهة العلوية الجديدة، شقَّت الإبر طريقها إلى لحم ميلر، حَدَث شيء عميق بصوتٍ عالٍ، ورنَّت (جاي مولينياري) مثل جرس عملاق -شُحنة الاحتراق- انجذب العالم بقوةٍ ناحية اليسار، تأرجَحَت الأريكة للمرَّة الأخيرة بينما كانت المركبة الهجومية تُطابق دوران المحطَّة.

صرخ شخص ما في وجهه: «اذهب، اذهب، اذهب! ». رفع ميلر سلاحه، وربت على سلاحه الجانبي المربوط بفخذه، وانضم إلى حشد الأجساد الذي يشُق طريقه للخروج تاركًا قُبعته.

كان ممر الخدمة الذي قطعوه ضيِّقًا وخافِت الإضاءة، أشارَت المُخطَّطات التي وضعها مُهندسو تايكو أنهم لن يروا أي مقاوَمة حقيقية حتى يصلوا إلى الأجزاء المأهولة من المحطَّة، كان هذا تخمينًا سيئًا. ترنَّح ميلر مع بقية جنود (أوبا) في الوقت المُناسِب ليروا ليزر الدفاع الآلي وهو يقطع الصف الأول إلى قطعتين.

صَرخ فريد في آذانهم: «الفريق الثالِث! أطلِقوا الغاز! ». انفجرت نصف دزينة من زهور الدُخان الأبيض الكثيف المُضاد لليزر في الهواء القريب، وفي المرَّة التالية التي أُطلِق فيها الليزر الدفاعي، ومضت

الجدران بتقزُّحٍ جنوني، وملأ دُخان البلاستيك المُحترِق الهواء؛ لكن أحدًا لم يمُت، اندفع ميلر للأمام وللأعلى على منحدرٍ معدني أحمر اللون، اشتعلت شُعلة اللحام، وانفتح باب الخدمة.

كانت ممرَّات محطَّة تحوت واسعة وفسيحة بمساحاتٍ واسعةٍ من اللبلاب المزروع في حلزونات مُعتنى بها بعنايةٍ، ومنافِذ من الأشجار الصغيرة المُضاءة بعنايةٍ كُل بضعة أقدام. جَعَل الضوء الأبيض النقي الخافِت من ضوء الشمس المكان يبدو كأنه مُنتجع صحي، أو مسكن خاص برجلٍ ثري، بينما كانت الأرضيات مُغطَّاة بالسجَّاد.

وَمَضَت شاشة العرض المُدمجة بدرعه؛ لتُشير إلى المسار الذي كان من المُفترض أن يسلُكه فريق الهجوم، بدأ قلب ميلر يدُق بسُرعةٍ وقوَّةٍ؛ لكن بدا أن عقله كان يعمَل بشكلٍ مثالي، كان عشرات الرجال الذين يرتدون زي الأمن في بروتوجين يحرسون حاجِز مُكافحة الشغب الموجود عند التقاطُع الأول، تراجَعت قوَّات (أوبا) للخلف؛ لتستخدِم مُنحنى السقف كغطاءٍ؛ حيث جاء ما يُجمِد النيران هناك مُنخفِضًا على مستوى الركبة.

كانت القنابِل اليدوية مُستديرة تمامًا، ولم تكُن حتى تحتوي على ثُقبٍ يتم سحب الدبوس منه. لم تتدحرَج على السجادة الصناعية الناعِمة جيِّدًا مثلما كانت تتحرَج على الحجر أو على البلاط؛ ولذلك انفجرت أحد القنابِل الثلاثة قبل أن تصِل إلى الحاجِز، كان الارتجاج يُشبه الطرق على الأذنين بمطرقةٍ؛ حيث وجَّهَت الممرَّات الضيِّقة المختومة الانفجار نحوَهم بنفس القدر الذي وجَّهه نحو العدو؛ لكن حاجِز مُكافحة الشغب تحطَّم، فتراجَع رجال أمن بروتوجين.

وعندما اندفعوا جميعًا إلى الأمام، سَمِع ميلر مواطنيه الجُدد المؤقتين يصرخون وهم يتذوّقون أول طعم للنصر، أتاه الصوت مكتومًا، كما لو كان بعيدًا للغاية، ربما لم تخمد سمّاعات أذنه الانفجار بالقدر المُفترَض، لن يكون تنفيذ بقيّة الهجوم باستخدام طبلة أذن مُنفجِرة أمرًا سهلًا.

لكن فريد أتى بعد ذلك، وكان صوته واضحًا بما فيه الكفاية.

- «لا تتقدّموا! تراجعوا! ».

كان هذا كافيًا تقريبًا، تردّدت قوّات مُشاة (أوبا)، جذبتهم أوامِر فريد للخلف مثل المقوَد، لم يكونوا جنودًا، لم يكونوا من ضُبّاط الشُّرطة حتى، كانوا ميليشيا حزامية غير نظاميَّة؛ ولذلك لم يكُن الانضباط واحترام السلطة أمرًا طبيعيًّا بالنسبة لهم، أبطأوا سُرعتهم، وتوخوا حذرهم؛ كي ينعطِفوا حول الزاوية، لم يقعوا في الفخ.

كان الممر التالي طويلًا ومُستقيمًا، وأدى -كما اقترحَت شاشة العرض- إلى مُنحدر خدمة باتّجاه مركز التحكُّم، بدا فارِغًا؛ لكن بدأ السجّاد يتطايَر في خُصلاتٍ مُمزَّقةٍ في ثلث الطريق إلى أفق المُنحنى، شخر أحد الأولاد الواقِفين بجوار ميلر وهو ينخفِض.

قال فريد في آذانهم: «إنهم يستخدِمون قذائِف مُنخفِضة الشظايا والتي ترتد بعيدًا عن المُنحنى، فترتد معها الشظايا، ابقوا مُنخفِضين، وافعلوا ما أقوله بالضبط».

كان للهدوء في صوت الأرضي تأثير أكبر من صِراخه، اعتقد ميلر أنه ربما يكون يتخيَّل ذلك؛ لكن بدا أن هناك نبرة أعمَق، نبرة يقين، كان جزّار أندرسون يبذل قصارى جهده، ويقود قوّاته ضد التكتيكات

والاستراتيجيات التي كان قد ساعَد في إنشائِها عندما كان بين صفوف العدو.

تحرَّكت قوَّات (أوبا) للأمام ببطءٍ، صعدوا طابقًا للأعلى، ثُم طابقٌ آخر، ثُم آخر، أصبح الهواء ضبابيًّا بفعل الدُخان والألواح المُقتلعة، قادتهم الممرَّات الواسِعة إلى ساحات وميادين أوسع، جيِّدة التهوية مثل باحات السجن، بينما احتلَّت قوَّات بروتوجين أبراج الحراسة، كان قد تمَّ إغلاق الممرَّات الجانبية، وحاولت قوَّات الأمن المحليَّة توجيههم إلى مواقف يُمكِن أن يتعرَّضوا فيها لإطلاق النار.

لم يفلح الأمر، فتحت قوَّات (أوبا) الأبواب بالقوَّة، واتخذوا من الغُرف غنيَّة العرض التي تقِف حائِرة ما بين قاعات المُحاضرات ومُجمَّعات التصنيع ساترًا، هاجمهم مدنيون غير مُسلَّحين، كانوا لا يزالون يعملون على الرغم من الهجوم المُستمِر مرَّتين عندما دخلوا إلى الغُرف، قام صبية (أوبا) بقتلهم على الفور، ارتعد جُزء من عقل ميلر -ذلك الجُزء الذي لا يزال شرطيًّا وليس جُنديًّا- جرَّاء ذلك فقد كانوا مدنيين، وكان قتلهم أمرًا غير مقبول، على أقل تقدير؛ لكن جولي همست في مؤخرة دماغه: لا يوجد أبرياء هنا، وكان عليه أن يوافِقها الرأي.

كان مركز العمليات يقع في ثلث الطريق نحو بئر جاذبية المحطَّة الطفيفة، ودافعوا عنه أفضل من أي شيء كانوا قد رأوه حتى الآن، اختبأ ميلر وخمسة آخرون بتوجيه من صوت فريد -الذي كانوا يعرِفونه جميعًا- في ممر خدمة ضيِّق للحفاظ على نيران قمع ثابِتة في الممر الرئيس باتجاه مركز العمليات، وللتأكُّد من الرد على كُل هجوم مُضاد لبروتوجين، فَحَصَ ميلر سلاحه وتفاجأ عندما رأى كمية الذخيرة المُتبقية.

قال الطفل الذي يجلِس بجواره باللغة الحزامية: «أيها العجوز». ابتسم ميلر عندما ميَّز صوت ديوجو من خلف قناع الوجه، أكمل حديثه قائلًا: «اليوم هو اليوم المنشود، أليس كذلك؟».

وافقه ميلر الرأي قائلًا: «لقد رأيت ما هو أسوأ»، ثُم توقَّف، حاوَل حك مرفقه المُصاب؛ لكن صفائح الدرع منعته من الشعور بأي شيء مُرضٍ.

سأله ديوجو باللغة الحزامية: «هل أنت على ما يُرام؟».

- «نعم ، أنا على ما يُرام، إنه فقط... هذا المكان، أنا لا أفهَم الأمر، يبدو مثل مُنتجع صحي إلا أنه مبني مثل سجن».

اهتزَّت يدا الطفل في تساؤلٍ، فهزَّ ميلر قبضته ردًّا على ذلك مُتدبرًا الأفكار أثناء حديثه.

- «إنه عبارة عن خطوط رؤية طويلة وممَّرات جانبيَّة مُغلَقة، إذا كُنت سأبني مثل هذا المكان، كُنت لأقوم بـ... ».

دوى صوت صفير في الهواء، سقط ديوجو، مال رأسه إلى الخلف وهو يسقُط، صرخ ميلر وهو يتراجَع، وفي الممر الجانبي الموجود خلفهم، اندفع شخصان يرتديان زي أمن بروتوجين بحثًا عن غطاء، أصدر شيء ما صوت هسيس في الهواء بجوار أذن ميلر اليُسرى، وارتدَّ شيء ما عن درع صدره المريخي الهائل مثل ضربة مطرقة، لم يُفكِّر في رفع سلاحه؛ كان هناك فحسب، يسعل نيرانه للرد عليهم كإضافةٍ تحدُث رغمًا عنه، استدار جنود (أوبا) الثلاثة الآخرون لتقديم المُساعدة.

صاح ميلر: «تراجعوا، أبقوا أعينكم اللعينة على الممر الرئيسي! سأتولى أمرهما! ».

قال ميلر لنفسه: كان هذا غباء، غباء أن تسمح لهم بالتسلُّل من خلفنا، غباء أن تتوقَّف وتتحدَّث في خضم معركة بالأسلِحة النارية، كان لا بُدَّ أن يعرِف بشكلٍ أفضل، والآن؛ لأنه فقد تركيزه، كان الصبي...

يضحك؟

جلس ديوجو، رفع سلاحه، وأمطر الممر الجانبي بطلقاته، وقف على قدميه مُترنِّحًا، ثُم صرخ مثل طفل انتهى للتو من جولةٍ مشوِّقةٍ، كان هناك خط عريض من مادة بيضاء لزِجة تسيل من عظمة الترقوة إلى أعلى عبر الجانِب الأيمن من قناع وجهه، ومن خلفه، كان ديوجو مُبتسِمًا، هزَّ ميلر رأسه.

قال لنفسه بقدر ما كان يوجِّه حديثه للصبي: «لماذا يستخدِمون رصاصات قمع الحشود؟ هل يعتقِدون أن هذا شغب؟».

قال فريد في أذن ميلر: «لتتقدَّم الفِرق، واستعدوا، فستتحرَّك خلال خمسة، أو أربعة، أو ثلاثة، أو اثنين. انطلقوا! ».

قال ميلر لنفسه وهو ينضم إلى الركض السريع أسفل الممر مُندفِعًا نحو هدف الهجوم النهائي: لا نعرِف ما الذي سنصِل إليه هنا، أدى مُنحدر عريض إلى مجموعة من الأبواب المُضادة للانفجار مصنوعة من قشرة الخشب الحُبيبي، انفجر شيء ما من خلفهم؛ لكن ميلر أبقى رأسه مُنخفِضًا ولم ينظُر للخلف، تزايَد ضغط الأجساد المُندفِعة في دروعها الصلبة، وتعثَّر ميلر بشيءٍ ناعمٍ، جسد يرتدي زي بروتوجين،

صرخت امرأة من المُقدمة: «امنحونا بعض المساحة! ». اندفع ميلر نحوها، يشُق طريقه بين حشود جنود (أوبا) بكتفيه ومرفقيه، صرخت المرأة مرَّة أخرى عندما وَصَل إليها.

صاح ميلر: «ما المُشكِلة؟».

قالت وهي ترفَع شُعلة قطع بيضاء تتوجَّه حافتها: «لا أستطيع قطع هذا اللعين بينما لا ينفك لاعقو القضيب هؤلاء يدفعونني». أومأ ميلر برأسه ووضع بندقيته في الجراب المُثبَّت على ظهره، أمسك بأقرَب اثنين له من أكتافهما، هزَّ الرجال حتى لاحظا وجوده، ثُم أغلَق مرفقيه على مرافقهم.

قال ميلر: «يجب أن نُعطي الفنيين بعض المساحة فحسب». واندفعوا سويًّا نحو رجالهم؛ ليدفعوهم إلى الخلف، تساءل: كم عدد المعارِك التي انهارت في لحظاتٍ كهذه عبر التاريخ؟ يتم تحقيق النصر في جميع المعارِك حين تبدأ قوّات التحالُف في التعثُّر ببعضها بعضًا، عادت شُعلة القطع إلى الحياة من خلفه، شعر بالحرارة تضغط على ظهره كيدٍ على الرغم من أنه كان يرتدي درعه.

قرقرت الأسلِحة الآلية واختنقت على حافة الحشد.

صَرَخ ميلر من فوق كتفه: «كيف تسير الأمور هناك؟».

لم تُجِبه المرأة، بدا وكأن ساعات قد مرَّت، على الرغم من أنها لا يُمكِن أن تكون أكثر من خمس دقائِق، ملأ ضباب المعدن الساخِن والبلاستيك الذائِب الهواء.

توقَّفت شُعلة القطع بفرقعةٍ، ورأى ميلر من فوق كتفه الحاجِز يتدلى ويتحرَّك، وضعت التقنية مقبس بطاقات رقيق في الفجوة الموجودة بين الطبقات، ونشَّطته قبل أن تتراجَع للخلف، تأوَّهت المحطَّة من حولهم بينما أعادت مجموعة جديدة من الضغوط والتوتُّرات تشكيل المعدن، وانفتح الحاجِز.

صاح ميلر: «هيا»، ثُم دسَّ رأسه وتحرَّك عبر الممر الجديد؛ ليصعد مُنحدرًا مُغطى بالسجاد وصولًا إلى مركز العمليات. نظر عشرات الرجال والنساء إلى الأعلى من مراكزهم، وأعيُنهم تتسِع خوفًا.

صاح ميلر بينما كان جنود (أوبا) يغلون من حوله: «أنتم رهن الاعتقال! حسنًا، لا، لستم كذلك؛ لكن... اللعنة، ارفعوا أيديكم وابتعِدوا عن أدوات التحكُّم! ».

تنهَّد أحد الرِجال -كان طويلًا مثل الحزاميين؛ لكنه قوي البُنيان مثل رجلٍ عاش في جاذبيةٍ كاملةٍ- وكان يرتدي بدلة جيِّدة من الكتَّان والحرير الخام بدون خطوط، أو ثنيات تشي بأنها من خياطة الحاسوب.

قال صاحِب البدلة: «افعلوا ما يطلبونه منكم». بدا مُنزعِجًا؛ لكنه لم يكُن خائِفًا.

أمعَن ميلر النظر فيه.

- «السيد درسدين؟».

رَفَع صاحِب البدلة حاجبًا مُصمَّمًا بعنايةٍ، وتوقَّف، وأومأ برأسه.

قال ميلر: «لقد كُنت أبحث عنك».

***

دلف فريد إلى مركز العمليات وكأنه ينتمي إلى هناك، توارى كبير مُهندسي محطَّة تايكو، وحلَّ الجنرال محلَّه بكتفين ضيِّقين ودرجة تحوُّل في العمود الفقري، نظر إلى مركز العمليات، امتصَّ كُل التفاصيل وعينيه تلتمِعان، ثُم أومأ برأسه نحو أحد كِبار تقنيي (أوبا).

قالت التقنية: «كُل شيء مُغلَق يا سيدي، المحطَّة ملك لك».

لم يكُن ميلر حاضرًا تقريبًا ليشهَد على لحظة غُفران رجل آخر، لقد كان ذلك شيئًا نادرًا، وخاصًّا للغاية لدرجة أنه اقترب من الروحانية منذ عقود، كان هذا الرجُل -الأصغر سنًّا، والأكثر لياقةً، والذي لا يمتلِك الكثير من الشيب في شعره- قد احتلَّ محطَّة فضائية بعد أن خاض في دماء، وموت الحزاميين حتى ركبتيه، رأى ميلر الاسترخاء غير الملحوظ الذي تسلَّل إلى فكِّه، وفتحة صدره التي تعني أنه قد تخلَّص من ذلك العبء، ربما لم يختفِ بعد؛ لكنه كان قريبًا من ذلك بما فيه الكفاية، لقد كان هذا أكثر مما تمكَّن مُعظم الناس من تحقيقه في حياتهم.

تساءل كيف سيكون شعوره إذا سنحت له الفُرصة يومًا.

قال فريد: «سمعت أن لديك شخصًا نود التحدُّث إليه يا ميلر؟».

انطلق درسدين من مقعده مُتجاهلًا الأسلِحة الجانبية، والأسلِحة الهجومية، وكأن هذه الأشياء غير مصوَّبة إليه.

قال درسدين: «كان يجب أن أتوقَّع أن رجلًا مثلك هو الذي يقِف خلف مثل هذا الأمر أيها العقيد جونسون، اسمي درسدين».

أعطى فريد بطاقة عمل سوداء غير لامِعة، أخذها فريد فيما يُشبِه رد الفعل؛ لكنه لم ينظُر إليها:

- «أنت المسؤول عن هذا؟».

ارتسمت ابتسامة فاتِرة على وجه درسدين، ونظر حوله قبل أن يُجيب.

قال درسدين: «أود أن أقول إنك مسؤول عن جُزء منه على الأقل، لقد قتلت لتوِّك عددًا غير قليل من الأشخاص الذين كانوا يؤدون

وظائفهم ببساطةٍ؛ لكن ربما يُمكِننا التغاضي عن توجيه أصابع الاتهام الأخلاقي والعودة إلى ما هو مُهِم بالفعل؟».

شقَّت ابتسامة فريد طريقها إلى عينيه.

- «وماذا سيكون ذلك بالضبط؟».

أجابه درسدين: «شروط التفاوُض، فأنت رجل ذو خبرة، وتُدرِك أن انتصارك هنا يُضعِف موقفك؛ حيث إن بروتوجين هي واحدة من أقوى الشركات على وجه الأرض، وقامَت (أوبا) بمُهاجمتها، وكلما حاولت احتجازها، زادت وطأة الأعمال الانتقامية».

- «هكذا إذن؟».

قال درسدين وهو يلوِّح بيدٍ رافضةٍ لنبرة فريد: «بالطبع، هو كذلك». هزَّ ميلر رأسه، لم يفهَم الرجل ما كان يحدُث من حوله، أضاف: «لقد أخذتم رهائنكم. حسنًا، ها نحن أولاء، يُمكِننا الانتظار حتى تُرسِل الأرض بضع عشرات من البوارِج الحربية وتتفاوَض بينما تزداد الأمور سوءًا، أو يُمكِننا إنهاء هذا الآن».

قال فريد: «أنت تسألني... كم من المال أريد لآخُذ رجالي، وأرحل فحسب».

قال درسدين وهو يهز كتفيه: «إذا ما كانت الأموال هي ما تُريده، أو الأسلِحة، أو القوانين، أو الإمدادات الطبيَّة، أيًّا كان ما تحتاجه لمُتابعة حربك الصغيرة وإنهاء هذا الأمر بسُرعةٍ».

قال فريد بصوتٍ خافتٍ: «أعرف ما فعلتموه في إيروس».

ضَحِك درسدين، وجعل ذلك الصوت ميلر يقشعِر.

قال درسدين: «لا أحد يعرِف بما فعلناه في إيروس يا سيد جونسون، وكُل دقيقة أقضيها في اللعب معك هي دقيقة لا يُمكِنني استخدامها بشكلٍ أكثر إنتاجية في مكانٍ آخرَ، وأُقسِم لك على هذا: أنت في أفضل وضع تفاوُضي على الإطلاق في الوقت الحالي، ولا يوجَد لديك أي حافِز لتُفسِد الأمر».

- «ما الذي تعرِضه هنا؟».

فرد درسدين يديه قائلًا: «أي شيء تُحبُّه مع ضمان العفو التام على ما حدث، طالما أن ذلك سيجعلك تَخرُج من هنا، ويُتيح لنا العودة إلى عملنا، وبهذه الطريقة سيفوز كلانا».

ضحك فريد ضحكة جافَّة للغاية.

قال: «اسمح لي أن أتبيَّن الأمر جيِّدًا، ستُعطيني كُل ممالِك الأرض إذا جثوت وسجدت لك؟».

أمال درسدين رأسه وهو يقول: «لا أعرِف مرجع تلك الجُملة».

(٤١)

هولدن

رست (روسينانت) في محطَّة تحوت ومُحرِّكات دفع المناورات تلفُظ أنفاسها الأخيرة، شَعَر هولدن أن مشابِك الرسو في المحطَّة تُمسِك الهيكل بدوي، ثُم انخفضت الجاذبية إلى ثُلث (ج). تسبَّب انفجار رأس البلازما الحربي في تدمير الباب الخارجي لغُرفة مُعادلة ضغط الطاقم مما أدى لغمر الغُرفة بغازٍ شديد السخونة، تمَّ لحام الباب بشكلٍ فعَّالٍ، مما يعني أنهم سيستخدِمون غُرفة مُعادلة ضغط الشحن الموجودة في مؤخِّرة المركبة، وسيسيرون في الفضاء وصولًا إلى المحطَّة.

كان هذا جيِّدًا؛ كانوا لا يزالون يرتدون بدلاتهم. كانت (روسي) الآن مُرصَّعة بثقوبٍ أكثر من قُدرة نظام إعادة تدوير الهواء على مواكبتها، وتمَّ تنفيس إمدادات الأكسجين الموجودة على متن مركبتهم إلى الفضاء في نفس الانفجار الذي تسبَّب في تدمير غُرفة مُعادلة الضغط.

هبط أليكس من قُمرة القيادة، ووجهه يختفي داخِل خوذته، كانت بطنه مُميَّزة للغاية حتى في بدلته الفضائية، أنهت ناعومي إجراءات إغلاق محطَّتها وإيقاف المركبة قبل أن تنضَم إلى أليكس، تسلَّق ثُلاثتهم سلم الطاقم نحو مؤخِّرة المركبة، كان أموس بانتظارهم هناك، يربط حزمة إيفا

على بدلته، ويشحنها بالنيتروچين المضغوط من صهريج تخزين. كان الميكانيكي قد أكَّد لهولدن أن حزمة مناورات إيڤا تمتلِك قوَّة دفع كافية للتغلُّب على دوران المحطَّة وإعادتهم إلى غُرفة مُعادلة الضغط.

لم ينبس أحدهم ببنت شفة، توقَّع هولدن أن يتبادلوا المزاح، توقَّع أن يرغَب في المزاح؛ لكن بدا وأن (روسي) المُتضرِّرة كانت تُنادي بالصمت، وربما بالرهبة.

اتكأ هولدن على حاجِز مرفق الشحن وأغلق عينيه، كانت الأصوات الوحيدة التي كان بإمكانه أن يسمعها هي أصوات الهسهسة الثابِتة لجهاز إمداد الهواء الخاص به وصوت الخافِت لقناة الاتصالات، لم يتمكَّن من شم أي شيء بسبب أنفه المكسور الذي سدَّته الدماء، بينما كان فمه مليئًا بطعمٍ نحاسي، وعلى الرغم من ذلك، لم يتمكَّن من إزالة الابتسامة عن وجهه.

لقد حقَّقوا النصر، لقد حلَّقوا بالمركبة إلى بروتوجين مُباشرةً، وتلقوا كُل ما يُمكِن أن يُلقي به الأوغاد عليهم، وهشَّموا أنوفهم، وجنود (أوبا) الآن يقتحِمون محطَّتهم، ويُطلِقون النار على الأشخاص الذين ساعدوا في تدمير إيروس.

قرَّر هولدن أنه لا بأس بأنه لا يشعُر بأي ندم من أجلهم، فقد تجاوَز التعقيد الأخلاقي للموقِف قُدرته على مُعالجته؛ ولذلك استرخى وهو يشعُر بوهج النصر الدافئ بدلًا من ذلك.

عادت قناة الاتصال إلى الحياة وأموس يقول: «جاهز للتحرُّك».

أومأ هولدن برأسه قبل أن يتذكَّر أنه كان لا يزال يرتدي بدلته الفضائية، فقال: «حسنًا، ليتعلَّق الجميع».

قام هو وأليكس وناعومي بجذب الحبال من بدلاتهم وربطها بخصر أموس العريض، قام أموس بتدوير غُرفة مُعادلة ضغط الشحن وخرج من الباب وسط سُحب الغاز، اندفعوا على الفور بعيدًا عن المركبة بسبب دوران المحطَّة؛ لكن أموس سُرعان ما تمكَّن من السيطرة عليهم، وحلَّق نحو غُرفة مُعادلة ضغط الطوارئ بتحوت.

بينما كان أموس يُحلِّق بهم بجوار (روسي)، درس هولدن سطح المركبة الخارجي وحاوَل أن يُصنِّف مُتطلَّبات التصليح، كان هناك عشرات الثقوب في كُل من مُقدِّمتها ومؤخِّرتها والتي كانت تتوافَق مع الثقوب الموجودة على طول الجُزء الداخلي من المركبة، من المُحتَمل أن طلقات مدفع جاوِس التي أطلقها عليهم المُعترِض لم تتباطأ في مسارها عبر (روسي) بشكلٍ ملحوظٍ، كان الطاقم محظوظًا فقط لأن أيًّا من هذه الطلقات لم تجِد المُفاعِل أو تثقبه.

كان هناك أيضًا انحناء كبير في البنية الفوقيَّة الزائِفة جعل المركبة تبدو كمركبة شحن تنقِل الغاز المضغوط، وكان هولدن يعرِف أنه سيتطابق مع جرح قبيح مُماثِل في الهيكل المُدرَّع الخارجي، لم يصِل الضرر إلى الهيكل الداخلي، وإلا لكانت المركبة ستنقسِم إلى قسمين.

ستتكلَّف المركبة ملايين الدولارات، وستقضي أسابيع في الحوض الجاف مع الأضرار التي لحِقت بغُرفة مُعادلة الضغط، والفُقدان الكُلي لصهاريج تخزين الأكسجين وأنظِمة إعادة التدوير، هذا على افتراض أن بإمكانهم الوصول إلى حوضٍ جافٍّ في مكانٍ ما.

ربما تستطيع (موليناري) أن تقطرهم.

أومَض أموس أضواء تحذير حزمة إيڤا الصفراء ثلاث مرَّات، وفتح باب غُرفة مُعادلة ضغط الطوارئ بالمحطَّة، حلَّق بهم إلى الداخِل، حيث

انتظرهم أربعة من الحزاميين الذين يرتدون دروعًا قتاليةً، وبمُجرَّد انتهاء غُرفة مُعادلة الضغط من التدوير، خلع هولدن خوذته ولمس أنفه، شعر أنها كانت بِضعف حجمها الطبيعي، وتخفق مع كُل نبضة قلب.

مدَّت ناعومي يدها وأمسكت وجهه لتُثبِّته، وضعت إبهاميها على جانبي أنفه، كانت لمستها لطيفة بشكلٍ مُدهشٍ. أدارت رأسها من جانبٍ إلى آخرَ، فحصت إصابته، ثُم تركته.

قالت: «ستكون عوجاء بدون جراحة تجميلية؛ لكنك كُنت وسيمًا للغاية قبل ذلك على أي حال، ستُضفي طابعًا على وجهك».

شعر هولدن بابتسامةٍ بطيئةٍ تتحسَّس طريقها للظهور؛ لكن قبل أن يتمكَّن من الرد، بدأ أحد جنود (أوبا) بالحديث:

- «لقد شاهدنا القِتال يا رِفاق، لقد أوسعتموهم ضربًا حقًّا».

قال أليكس: «شكرًا، كيف تجري الأمور هنا؟».

قال الجُندي صاحِب أكبر عدد من النجوم على شارة (أوبا) الخاصَّة به: «كانت المقاوَمة أقل مما توقَّعنا؛ لكن قوَّات أمن بروتوجين قاتلت من أجل كُل قدم في المكان، حتى إن بعض المغرورين حاولوا أن يهاجِمونا، وتحتَّم علينا أن نُطلِق النار على بعضهم».

أشار إلى باب غُرفة مُعادلة الضغط الداخلي.

«توجَّه فريد إلى مركز العمليات، ويريدكم أن تذهبوا إلى هناك، حسنًا؟».

أجابه هولدن: «قُد الطريق»؛ لكن أنفه حوَّلها إلى: كود التاريك.

***

سأله أموس أثناء سيرهم على طول ممر المحطَّة: «كيف حال تلك القدم يا قُبطان؟»، وأدرك هولدن أنه قد نسي كُل شيء عن العرج الذي خلَّفته رصاصته التي أصابت ربلة الساق.

أجابه: «لا تؤلمني؛ لكن العضلات لا تنثني كثيرًا، ماذا عنك؟».

ابتسم أموس ونظر للأسفل نحو الساق التي كانت لا تزال تعرُج جرَّاء الكسر الذي عانى منه في (دوناجير) قبل أشهُر.

قال: «لا توجد مُشكلة كبيرة، الإصابات التي لا تقتلك لا يتم احتسابها».

بدأ هولدن في الرد، ثُم توقَّف عندما انعطفت المجموعة من رُكنٍ إلى مسلخ، من الواضِح أنهم كانوا يقترِبون من خلف فريق الهجوم؛ لأن أرضية الممر الآن كانت مليئة بالجُثث، بينما كانت الجُدران مليئة بثقوب الرصاصات وعلامات الحروق، شعر هولدن بالراحة عندما رأى جُثثًا ترتدي دروع أمن بروتوجين أكثر بكثير من تلك التي ترتدي مُعدَّات (أوبا)؛ لكن كان هناك عدد كافٍ من الحزاميين القتلى على الأرض ليجعل معدته تنقبِض، اضطرَّ لمنع نفسه من البصق على الأرض، عندما مرَّ برجلٍ ميِّتٍ وهو يرتدي معطف مُختبر، فربما يكون رجال الأمن قد اتخذوا قرارًا سيِّئًا بالذهاب للعمل مع الفريق الخطأ؛ لكن العُلماء الموجودين في هذه المحطَّة قتلوا مليونًا ونصف شخص فقط ليروا ما سيحدُث، ولا يُمكِن لهم أن يكونوا موتى بما فيه الكفاية ليشعُر هولدن بالراحة.

لفت نظره شيء ما، فتوقَّف، كان يقبع أرضًا بجوار العالِم الميِّت ما يُشبِه سكين المطبخ.

قال هولدن: «عجبًا، لم يَخْرُج لُمهاجمتكم بهذه يا رفاق، أليس كذلك؟».

قال أحد مُرافقيهم: «بلى، هذا جنون، أليس كذلك؟ لقد سمعت عن إحضار سكين في معركة بالأسلِحة النارية؛ لكن... ».

قال أعلاهم رُتبةً: «مركز العمليات في المُقدِّمة، الجنرال في انتظاركم».

***

دلف هولدن إلى مركز عمليات المحطَّة ورأى فريد، وميلر، ومجموعة من جنود (أوبا)، ورجلًا غريبًا يرتدي بدلة باهِظة الثمن، تم تقييد معصمي صف من الفنيين وموظَّفي العمليات الذين يرتدون زي بروتوجين، وتمَّ اقتيادهم بعيدًا، كانت الغُرفة مُغطاة من السطح إلى السقف بالشاشات والمُراقبات، وكان مُعظمها يقوم بتخزين البيانات النصيَّة بسُرعةٍ كبيرةٍ للغاية بحيث لا يُمكِن قراءتها.

كان فريد يقول: «اسمح لي أن أتبيَّن الأمر جيِّدًا، ستُعطيني كُل ممالِك الأرض إذا جثوت وسجدت لك؟».

قال الرجل الغريب: «لا أعرِف مرجع تلك الجُملة».

توقَّفوا عن أي ما كانوا على وشك قوله عندما لاحظ ميلر هولدن وربت على كتف فريد، كان بإمكان هولدن أن يُقسِم أن المُحقِّق ابتسم له ابتسامة دافِئة، على الرغم من أنه كان من الصعب تبيُّن ذلك على وجهه الجامِد.

قال فريد: «جيم». ثُم أشار إليه ليقترِب، كان يقرأ بطاقة عمل سوداء غير لامِعة قبل أن يقول: «قابِل أنتوني دريسدن، نائِب الرئيس التنفيذي للبحوث الحيويَّة لشركة بروتوجين، ومُهندِس مشروع إيروس».

مدَّ الأحمق الذي يرتدي البدلة يده وكأنه سيُصافِحه بالفعل؛ لكن هولدن تجاهله.

قال: «ماذا عن الخسائِر يا فريد؟».

- «مُنخفِضة بشكلٍ صادمٍ».

قال ميلر: «كانت نصف قوَّات أمنهم تُمسِك بمُعدَّات غير قاتِلة، عناصِر مُكافحة الشغب، طلقات لزِجة، وأشياء من هذا القبيل».

أومأ هولدن ثُم هزَّ رأسه قبل أن يعبس.

- «رأيت الكثير من جُثث قوَّات أمن بروتوجين هناك في الممر، لماذا يكون لديك مثل هذا العدد الكبير من الرجال، ثُم تمنحهم أسلِحة غير قادِرة على ردع المُقتحمين؟».

وافقه ميلر الرأي قائِلًا: «سؤال جيِّد».

ضَحِكَ دريسدن.

قال: «هذا هو ما كُنت أقصِده يا سيد جونسون». التفت إلى هولدن وهو يُضيف: «جيم؟ حسنًا إذن يا جيم، تُخبرني حقيقة أنك لا تفهم الاحتياجات الأمنية الخاصَّة بهذه المحطَّة بأنه ليس لديك أي فكرة عمَّا تورَّطت فيه، وأعتقِد أنك تعرِف ذلك جيِّدًا مثلي، وكما كُنت أقول لفريد هنا... ».

قال هولدن باندفاعٍ من الغضب المُفاجئ: «يجب أن تصمُت بحق اللعنة يا أنتوني». بدا دريسدن مُحبطًا.

لم يكُن الوغد يملك الحق في أن يشعُر بالراحة، التنازُل، أراد هولدن أن يشعُر الرجل بالخوف، وأن يتوسَّل من أجل حياته، وألا يُخفي السخرية خلف لهجته المُثقَّفة.

«أموس، إذا تحدَّث معي مرَّة أخرى دون أن يطلب منه أحد ذلك، فاكسر فكَّه».

قال أموس وهو يتقدَّم نصف خطوة للأمام: «من دواعي سروري أيها القُبطان». ابتسم دريسدن من التهديد ذي القبضة السميكة؛ لكنه أبقى فمه مُطبقًا.

سأل هولدن وهو يوجِّه سؤاله إلى فريد: «ما الذي نعرِفه؟».

- «نعرِف أن بيانات إيروس قادِمة إلى هنا، ونعرِف أن هذا الوغد هو المسؤول، وسنعرِف المزيد بمُجرَّد تفكيك هذا المكان».

التفت هولدن ليُلقي نظرةً على دريسدن مرَّة أخرى، مُستمتعًا بمظهر الأوروبي النبيل الجميل، ولياقته البدنيَّة التي صقلتها صالة الألعاب الرياضية، وقَصَّة شعره باهظة الثمن، وحتى الآن، تمكَّن دريسدن المُحاط بالرجال المُسلَّحين من أن يبدو وكأنه كان مسؤولًا، كان بإمكان هولدن أن يتخيَّله وهو يُلقي نظرةً على ساعته، ويتساءل عن مقدار الوقت الثمين الذي سيستغرِقه حفل الصعود هذا.

قال هولدن: «أريد أن أسأله عن شيء ما».

أومأ فريد برأسه قائلًا: «أنت تستحِق ذلك».

سأله هولدن: «لماذا؟ أريد أن أعرِف السبب».

كانت ابتسامة دريسدن يُرثى لها تقريبًا، وضع يديه في جيوبه بشكلٍ عرضي مثل رجل يتحدَّث عن الرياضة في حانةٍ تجاوِر الميناء.

قال دريسدن: « (لماذا) سؤال كبير للغاية؛ لأن الله أراد أن تسير الأمور بهذه الطريقة؟ أو ربما تُريد توضيح السؤال من أجلي؟».

- «لماذا إيروس؟».
- «حسنًا يا جيم... ».
- «يُمكِنك أن تُناديني بالقُبطان هولدن، أنا الرجل الذي وجد مركبتكم المفقودة؛ ولذلك شاهدت مقطع الفيديو الذي تمَّ إرساله من فيبي، وأعرف ماهية الجُزيء الأولي».

قال دريسدن: «حقًّا! ». قبل أن تُصبح ابتسامته أكثر واقعية بمقدار نصف درجة وهو يُضيف: «أود أن أشكرك على تسليم العامِل الفيروسي إلينا على متن إيروس، ستُعيد خسارة (أنوبيس) الجدول الزمني لأشهُرٍ إلى الخلف، كان العثور على الجُثة المُصابة هناك بالفعل على المحطَّة هبة من السماء».

قال هولدن لنفسه: كُنت أعرِف، كُنت أعرِف ذلك بحق اللعنة، قال بصوتٍ عالٍ: «لماذا؟».

قال دريسدن في حيرةٍ من أمره للمرَّة الأولى منذ أن دخل هولدن إلى الغُرفة: «أنت تعرِف ما الوكيل، لا أعرِف ما الذي يُمكِنني أن أخبرك به أكثر من ذلك، هذا هو أهم شيء يحدُث للجنس البشري على الإطلاق، إنه دليل على أننا لسنا وحدنا في الكون، وتذكرتنا للخروج من القيود التي تربطنا بفقاعاتنا الصغيرة من الصخور والهواء».

قال هولدن كارهًا الطريقة التي جعل بها أنفه المكسور صوته يبدو هزليًّا بعض الشيء، بينما أراد أن يكون مصدرًا للتهديد: «لم تُجِب عليّ بعد، أريد أن أعرِف لماذا قتلت مليونًا ونصفًا».

سعل فريد ليُنظِّف حُلقه؛ لكنه لم يُقاطِعه، حرَّك دريسدن ناظريه من هولدن إلى العقيد ذهابًا وإيابًا.

قال دريسدن وهو ينتقِل ليجلِس على مقعدٍ، رفع ساقي بنطاله ووضع قدمًا فوق الأخرى كيلا يستطيل القُماش: «أنا أجيبك يا قُبطان، مليون شخص ونصف ليسوا عددًا مُهِمًّا، ما نعمَل عليه هنا أكبر من ذلك بكثيرٍ، هل تعرِف جنكيز خان؟».

قال هولدن وفريد في الوقت ذاته تقريبًا: «ماذا؟». بينما حدَّق ميلر في دريسدن بوجهٍ خالٍ من التعبيرات، وهو يربت على فخذ درعه بفوهة مُسدَّسه.

قال دريسدن: «جنكيز خان: يزعَم بعض المؤرِّخين أنه قَتَل، أو شرَّد رُبع إجمالي سُكَّان الأرض أثناء غزوه، لقد فَعَل ذلك سعيًا خلف إمبراطورية ستبدأ في الانهيار بمُجرَّد وفاته، وعلى مقياس اليوم، فقد يعني هذا أنه قتل ما يُقارِب العشرة مليارات نسمة من أجل التأثير على جيلٍ، أو جيلٍ ونصف، لم تكُن إيروس حتى خطأ تقريب بالمُقارنة».

قال فريد بصوتٍ خافتٍ: «أنت لا تهتم حقًّا».

- «وعلى عكس خان، نحن لا نفعل ذلك لبناء إمبراطورية قصيرة الأجل، أعرِف ما رأيك، أننا نحاوِل تبجيل أنفُسنا، وأن نستولي على السلطة».

قال هولدن: «ألا تُريدون القيام بذلك؟».

قال دريسدن بصوتٍ حادٍّ: «بالطبع نُريد ذلك؛ لكن تفكيرك محدود، إن بناء أعظم إمبراطوريات البشرية يُشبِه بناء أكبر عش نمل في العالَم، أمر تافِه، هناك حضارة قامَت ببناء الجُزيء الأولي، وألقته علينا منذ أكثر من ملياري عام، لقد كانوا آلهةً بالفعل في هذه المرحلة؛ لكن ماذا أصبحوا منذ ذلك الحين؟ بعد ملياري عام آخر من التقدُّم؟».

استمع هولدن إلى خطاب دريسدن بفزعٍ مُتزايدٍ، كان لهذا الخطاب طابع شيء قد قيل من قبل، ربما لمراتٍ عديدةٍ، وقد أتى ثماره، وأقنع الأقوياء، كان هذا هو السبب في امتلاك بروتوجين لمركباتٍ شبحيةٍ من أحواض بناء السفن الأرضية، ودعم غير محدود من خلف الكواليس على ما يبدو.

قال دريسدن: «لدينا قدر مُرعِب من اللحاق بالركب أيها السادة؛ لكن لحُسن الحظ فلدينا أداة عدونا لاستخدامها في القيام بذلك».

قال جُندي على يسار هولدن: «اللحاق بالركب؟». أومأ دريسدن برأسه نحو الرجل وابتسم.

- «يُمكِن للجزيء الأولي أن يُغيِّر الكائن الحي المضيف على المستوى الجُزيئي؛ ويُمكِنه إحداث تأثير جيني أثناء استمرار العملية، وليس فقط مع الحمض النووي؛ لكن مع أي مُكرِّر ثابِت؛ لكنه مُجرَّد آلة لا يُفكِّر، يتبع التعليمات، إذا تعلَّمنا كيفية تغيير تلك البرمجة، فسنُصبِح مُهندسي هذا التغيير».

قاطعه هولدن: «إذا كان من المُفترَض به أن يقضي على الحياة في الأرض واستبدالها بما يُريده مُبتكِرو الجزيء الأولي، فلماذا أطلقوا سراحه؟».

قال دريسدن وهو يرفع أحد أصابِعه مثل أستاذ جامعي على وشك إلقاء مُحاضرة: «سؤال مُمتاز، لا يأتي الجُزيء الأولي مع دليل استخدام، لم نتمكَّن في الواقِع من قبل من مُشاهدته وهو يُنفِّذ برنامجه بالفعل؛ حيث يتطلَّب الجُزيء الأولي كُتلة كبيرة قبل أن يُطوِّر قوَّة مُعالجة كافية للوفاء بتوجيهاته، أيًّا ما كانت».

أشار دريسدن إلى الشاشات المُغطاة بالبيانات من حولهم.

- «سنُشاهده أثناء قيامه بالعمل. سنرى ما الذي ينوي القيام به. وكيف سيتم القيام بذلك. ونأمل أن نتعلَّم كيفية تغيير هذا البرنامج في هذه العملية».

قال هولدن: «يُمكِنك فعل ذلك باستخدام وعاء من البكتيريا».

قال دريسدن: «لست مهتمًّا بإعادة صُنع البكتيريا».

قال أموس: «أنت مجنون». قبل أن يأخُذ خطوةً أخرى نحو دريسدن، وضع هولدن يده على كتف الميكانيكي الضخم.

قال هولدن: «إذن ستكتشِف كيف يعمل الفيروس، ثُم ماذا؟».

- «ثُم كُل شيء، سيستطيع الحزاميون العمل خارِج المركبة دون ارتداء بدلة، وسيكون البشر قادرين على النوم لمئات السنين في كُل مرَّة يقودون فيها مركبات المُستعمرات نحو النجوم، لن نعود مُرتبطين بملايين السنين من التطوُّر داخِل ضغط جوي في جاذبيةٍ مقدارها (ج)، عبيد للأوكسجين والماء. ستُقرِّر ما نُريد أن نكون، ونُعيد برمجة أنفُسنا لنكون كذلك، هذا ما يُعطينا إياه الجُزيء الأولي».

وقف دريسدن مرَّة أخرى وهو يُلقي بهذا الخطاب، كان وجهه مُشرقًا بحماسة نبي.

- «ما نقوم به هو أفضل أمل والأمل الوحيد لبقاء البشرية. وعندما نخرُج إلى هناك، سنواجِه الآلهة».

سأله فريد وهو يبدو غارقًا في التفكير: «وإذا لم نخرُج؟».

قال دريسدن: «لقد أطلَقوا علينا النار من سلاح يوم القيامة بالفعل».

غرقت الغُرفة في صمتٍ عميقٍ للحظةٍ، شعر هولدن أن يقينه يتزعزع. كان يكره كُل شيء في حُجة دريسدن؛ لكنه لم يستطِع رؤية طريقه بعد ذلك تمامًا. كان يعلَم بداخله أن هناك خطأً فادحًا في شيءٍ ما بالأمر؛ لكنه لم يستطِع العثور على الكلمات المُناسِبة.

فاجأه صوت ناعومي

سألت: «هل أقنعتهم؟».

قال دريسدن: «معذرةً؟».

- «العُلماء، والفنيون، وكُل من تحتاجه للقيام بذلك، كان عليهم القيام بذلك بالفعل، كان عليهم أن يُشاهدوا مقطع فيديو لأناس يموتون في جميع أنحاء إيروس، كان عليهم تصميم غُرف القتل المُشعَّة تلك، كيف فعلت ذلك ما لم تتمكَّن من جمع كُل قاتِل مُتسلسل في النظام الشمسي، وإرسالهم من خلال برنامج دراسات عُليا؟».
- «قُمنا بتعديل فريقنا العلمي عن طريق إزالة القيود الأخلاقية».

زحفت نصف دزينة من الأدلة إلى أماكنها الصحيحة في رأس هولدن.

قال: «مُختلون اجتماعيًّا، لقد حوَّلتهم إلى مُختلين اجتماعيًّا».

أومأ دريسدن برأسه وهو يبدو مسرورًا بشرح الأمر: «مُختلون اجتماعيًّا يتمتَّعون بأداءٍ عالٍ، وفضوليون للغاية، سيظلون يشعرون بالرضا التام طالما حافظنا على تزويدهم بمشكلات مُثيرةٍ للاهتمام لحلها باستخدام موارد غير محدودة».

قال فريد: «وفريق أمني ضخم مُسلَّح بمُعدَّات مُكافحة الشغب عندما لا يقومون بذلك».

قال دريسدن: «أجل، فهناك قضايا عرضية». تلفَّت حوله وقليل من العبوس يُجعِّد جبينه قبل أن يُضيف: «أعرِف، تعتقِدون أن ذلك أمر وحشي؛ لكنني أنقِذ الجنس البشري، أنا أمنح النجوم للإنسانية. لا توافقوني الرأي؟ حسنًا، دعوني أسألكم سؤالًا، هل يُمكِنكم إنقاذ إيروس؟ حالًا».

قال فريد: «لا؛ لكن يُمكِننا... ».

قال دريسدن: «إهدار البيانات، يُمكِنكم التأكُّد من أن كُل رجل، وامرأة، وطفل ماتوا على سطح إيروس قد ماتوا هباءً».

حلَّ الصمت على الغُرفة، عَبَس فريد، وعقد ذراعيه، كان هولدن يفهم الصراع الذي يدور في عقل الرجل؛ حيث كان كُل ما قاله دريسدن مُثيرًا للاشمئزاز وغريبًا ويحمل صدى واسِعًا من الحقيقة.

قال دريسدن: «أو... يُمكِننا التفاوُض على السعر، يُمكِنكم أن تمضوا قدمًا في طريقكم، أو يُمكِنني... ».

قال ميلر مُتحدثًا للمرَّة الأولى منذ بدأ دريسدن عرضه: «حسنًا، هذا يكفي». نظر هولدن إلى المُحقِّق. كان تعبيره المُسطَّح قد أصبح قاسيًا. لم يعُد يربت على قدمه بفوهة مُسدَّسه.

اللعنة.

(٤٣)
ميلر

لم يتوقَّع دريسدن ذلك. لدرجة أن عيني الرجل لم تُسجِّلا أي شعور بالخطر، حتى عندما رَفَع ميلر مُسدَّسه، كان كُل ما رآه هو ميلر يُمسِك بشيءٍ ما في يده تصادَف وأنه مُسدَّس، كان الكلب ليعرِف أنه لا بُدَّ أن يشعُر بالخوف؛ لكن ليس دريسدن.

صاح هولدن من مسافةٍ بعيدةٍ: «لا تفعل يا ميلر! ».

كان ضغط الزناد أمرًا بسيطًا، مُجرَّد تكَّة خافِتة، ارتداد المعدن على راحة يده المُبطَّنة بالقُفازات، ثُم مرَّتان أخريان بعد ذلك، ارتدَّ رأس دريسدن إلى الخلف، وهو ينفجِر بلونٍ أحمر، تناثرت الدماء على شاشةٍ عريضةٍ مما أدى إلى حجب تدفُّق البيانات، تقدَّم ميلر للأمام، وأطلق رصاصتين أخريين على صدر دريسدن، فكَّر للحظةٍ قبل أن يضع مُسدَّسه في غمده.

حلَّ الصمت على الغُرفة، كان جنود (أوبا) ينظرون إلى بعضهم بعضًا، أو إلى ميلر، غارقين في الدهشة، حتى بعد نجاح الهجوم بسبب العُنف المُفاجئ. نظرت ناعومي وأموس إلى هولدن، بينما كان القُبطان يُحدِّق في الجُثَّة، كان وجه هولدن المُصاب ثابتًا كالقِناع؛ مكسوًّا بالغضب،

والثورة، وربما حتى اليأس. تفهَّم ميلر ذلك. القيام بالأمر الواضِح لم يكُن أمرًا طبيعيًّا بالنسبة لهولدن، وكان هناك وقت لم يكُن فيه الأمر سهلًا على ميلر كذلك.

كان فريد هو الوحيد الذي لم يجفل أو يبدو متوتِّرًا، لم يبتسِم العقيد أو يعبس، ولم يشح بنظره بعيدًا.

قال هولدن عبر أنفه المسدود بالدماء: «ماذا كان ذلك بحق اللعنة؟ لقد أرديته بدمٍ باردٍ! ».

قال ميلر: «أجل».

هزَّ هولدن رأسه وهو يقول: «ماذا عن المُحاكمة؟ ماذا عن العدالة؟ أنت فقط من يُقرِّر، هذه هي الطريقة التي تسير بها الأمور؟».

قال ميلر مُتفاجئًا بالاعتذار الذي شقَّ طريقه إلى صوته: «أنا شُرطي».

- «هل لا تزال بشريًّا من الأساس؟».

قال فريد وصوته يشق الصمت: «حسنًا أيها السادة! لقد انتهى العرض، لنعُد إلى العمل، أريد فريق فك التشفير هنا، لدينا سُجناء لإجلائهم ومحطَّة لتفكيكها».

حرَّك هولدن ناظريه من على فريد إلى ميلر ثُم إلى دريسدن الذي لا يزال يحتضِر، كان فكُّه مُطبقًا بفعل الغضب.

قال هولدن: «مهلًا يا ميلر».

قال ميلر بصوتٍ خافتٍ: «أجل؟». كان يعرِف بما هو قادِم.

قال قُبطان (روسينانت): «جد لنفسك رحلة عودة للوطن». ثُم استدار مُندفعًا خارِج الغُرفة، وتبعه طاقمه، راقبهم ميلر وهُم يبتعِدون، شعر بالندم يتسلَّل إلى قلبه برفقٍ؛ لكن لم يكُن هناك شيء يُمكِنه فعله حيال ذلك. بدا أن الحاجِز المكسور سيبتلعهم، التفت ميلر إلى فريد.

- «هل لديك توصيلة؟».

قال فريد: «أنت ترتدي ألواننا، سنوصلك إلى تايكو».

قال ميلر: «أقدِّر ذلك»، ثُم أضاف بعد لحظة: «تعرِف أنه كان يجب القيام بذلك».

لم يُجِبه فريد. لم يكُن هناك ما يُقال.

***

أصيبت محطَّة تحوت؛ لكنها لم تمُت، ليس بعد. انتشر خبر طاقم المُحتلِّين اجتماعيًا كالنار في الهشيم، وأخذت قوَّات (أوبا) هذا التحذير على محمل الجد. استغرقت مرحلة الاحتلال والسيطرة أربعين ساعة بدلًا من العشرين ساعة التي كانت لتأخُذها بوجود سُجناء عاديين، بوجود بشر، بذل ميلر قصارى جهده للسيطرة على السجناء.

كان أطفال (أوبا) يتعاملون بحُسن نيَّة؛ لكن مُعظمهم لم يعمَل من قبل أبدًا مع السُكَّان الأسرى من قبل، لم يعرِفوا كيف يُقيِّدون معصم ومرفق شخص ما كيلا يتمكَّن المُجرِم من تحرير يديه من الأمام لخنقهم لم يعرِفوا كيفية كبح جماح شخص ما برباطٍ طويلٍ حول رقبته كيلا يخنِق السجين نفسه حتى الموت، عمدًا أو عن طريق الصدفة، لم يكُن نصفهم يعرِف حتى كيف يُفتِّشون شخصًا ما. بينما كان ميلر يعرِف كُل ذلك وكأنها لعبة يلعبها منذ الطفولة، وفي غضون خمس ساعات، وجد عشرين

نصلًا مخفيًّا في ملابِس طاقم العلوم وحده، بالكاد تحتَّم عليه أن يُفكِّر في الأمر.

وصلت موجة ثانية من مركبات النقل: شاحِنات نقل الأفراد التي بدت جاهِزة لإفراغ هوائها في الهواء إذا ما بصقت عليها، بينما قامَت فرق الإنقاذ بتفكيك الدروع والبنية الفوقية للمحطَّة، وتمويل المركبات بصناديق، ومُغلَّفات المُعدَّات النفسية، ونهب الصيدليات، وبنوك الطعام، وبحلول الوقت الذي وصلت فيه أنباء الهجوم إلى الأرض، كان قد تمَّ تجريد المحطَّة إلى هيكل عظمي، وإخفاء سُكَّانها في زنازين غير مُرخَّصة في جميع أنحاء الحِزام.

ستعرِف بروتوجين بما حدث عاجلًا بالطبع، فقد كان لديهم بؤر استيطانية أقرب بكثيرٍ من الكواكِب الداخلية، كان هناك حِساب لوقت الاستجابة والمكاسِب المُحتملة، رياضيات القرصنة والحرب، كان ميلر يعرِف ذلك؛ لكنه لم يدع ذلك يُثير قلقه، كانت تلك قرارات يتخذها فريد ومُلحقوه. حيث إن ميلر كان قد أخذ مُبادرة كافية ليومٍ واحدٍ.

ما بعد البشرية.

كانت كلمة تشُق طريقها إلى وسائِل الإعلام كُل خمس أو ست سنوات، وفي كُل مرَّة كانت تعني شيئًا مُختلِفًا. هرمون إعادة النمو العصبي؟ ما بعد البشرية: روبوتات جنسية بذكاءٍ داخلي مُستعارٍ؟ ما بعد البشرية، توجيه الشبكة ذاتية التحسين؟ ما بعد البشرية: لقد كانت كلمة من نُسخةٍ إعلانيةٍ فارغة وحابِسة للأنفاس، وكل ما كان يعتقِد أنها تعنيه حقًّا هو أن الأشخاص الذين يستخدمونها يتمتَّعون بخيالٍ محدودٍ حول ما يستطيع البشر فعله بالضبط.

الآن، بينما كان يُراقِب عشرات الأسرى الذين يرتدون زي بروتوجين إلى وسيلة نقل راسية، مُتجِهة إلى مكانٍ لا يعلمه سوى الله، كانت الكلمة تأْخذ معنى جديدًا.

هل أنتم بشر حتى بعد الآن؟

كُل ما كانت تعنيه كلمة (ما بعد البشرية) بالمعنى الحرفي للكلمة هو ما تكون عليه عندما لا تعود بشرًا بعد الآن، وبغض النظر عن الجُزيء الأولي، وعن بروتوجين، وعن دريسدن وتخيُّلاته القائِمة على تزكية النفس عن جنكيز خان، اعتقد ميلر أنه ربما كان متفوِّقًا على المُنحنى طوال الوقت، ربما كان (ما بعد البشرية) بسنواتٍ.

جاءت نُقطة استدلال الحد الأقصى والحد الأدنى بعد أربعين ساعة، وحان معها وقت الرحيل، كانت (أوبا) قد قامت بهيكلة المحطَّة، وحان وقت الذهاب قبل أن يأتي أي شخص مُفكِّرًا في الانتقام، جَلَس ميلر على أريكة تحطُّم، ودماؤه ترقُص مع المقويات المُستهلكة بينما لا ينفك عقله يتنقَّل داخلًا وخارجًا من ذهانٍ مُرهِقٍ، كانت قوى الدفع تُشبه وسادة موضوعة على وجهه، وأدرك بشكلٍ غامضٍ أنه كان يبكي؛ لكن هذا لم يكُن يعني أي شيء.

كان دريسدن يتحدَّث مرَّة أخرى في غمرة ضباب ميلر، يصرُخ بالوعود والأكاذيب، وأنصاف الحقائِق والرؤى، وكان بإمكان ميلر أن يرى الكلمات نفسها تتشكَّل كدُخانٍ أسود؛ لتلتحِم مع الخيوط السوداء المُتساقِطة للجُزيء الأولي الذي كانت خيوطه تصِل إلى هولدن وأموس وناعومي، حاول أن يجد مُسدسه ليوقف الأمر، ليفعل الشيء الواضِح، أيقظه صراخه اليائِس، ليتذكَّر بأنه قد انتصر بالفعل.

كانت جولي تجلِس بجواره، ويدها البارِدة تستقِر فوق جبينه، كانت ابتساماتها لطيفة، مُتفهِّمة، ومُتسامِحة.

قالت: نم، فشعر بعقله يغرق في ظلامٍ دامسٍ.

***

قال ديوجو باللغة الحزامية: «أيها العجوز، للأعلى وإلى الخارِج كما تعلم؟».

كان ذلك صباح اليوم العاشِر لميلر على متن تايكو، والسابع له في مُشاركة ديوجو بشقته التي في حجم خزانة ملابِس. كان بإمكانه أن يعرِف من الغمغمة التي تحتل صوت الفتى أنه لا بُدَّ أن يكون واحدًا من أواخِر أيامه هنا، تفوح الأسماك والرفقة بالرائِحة السيِّئة بعد ثلاثة أيام، تدحرج من فوق الفراش الرقيق، مرَّر أصابِعه في شعره، ثُم أومأ برأسه، تجرَّد ديوجو من ملابسه وزحف إلى الفراش دون أن ينبس ببنت شفة، كانت رائِحة الخمر والماريجوانا الرخيصة التي تُزرع في الأحواض تفوح منه.

أخبره جهازه اللوحي أن الوردية الثانية قد انتهت قبل ساعتين، والنوبة الثالِثة في مُنتصف الطريق حتى تبدأ، قام بجمع أغراضه في حقيبته، أغلق الضوء على ديوجو الذي كان يُشخر بالفعل، وتوجَّه إلى الحمَّامات العامَّة ليُنفِق ما تبقى من رصيده في محاولةٍ ليبدو أقل شبهًا بالمُشرَّدين.

كانت المُفاجأة السارَّة في عودته إلى محطَّة تايكو هي زيادة الأموال في حسابه. دفعت له (أوبا) أي: فريد جونسون مُقابِل وقته في تحوت، لم يطلُب ذلك، وكان هناك جزء منه أراد رفض الدفعة، إذا كان لديه بديل

لفعل ذلك، وبما أنه لم يكُن لديه بديل، فقد حاول الحفاظ على الأموال لأطوَل وقت مُمكِن وتقدير السخرية، فقد كان هو والنقيب شاديد على نفس جدول الرواتِب بعد كُل شيء.

توقَّع ميلر أن يرى في الأيام القليلة الأولى بعد عودته من تايكو أخبار الهجوم على تحوت في نشرات الأخبار. خَسِرَت شركة الأرض محطَّة البحث العلمي أمام هجوم الحزام المجنون، أو شيء من هذا القبيل. كان يجب أن يجد عملًا أو مكانًا ينام فيه دون أن يكون خيريًّا قَصَد أن يفعل ذلك؛ لكن بدا أن الوقت يمضي بينما هو يجلِس في الحانة أو في الصالات، يُشاهِد الشاشات لبضع دقائِق أخرى.

عانَت البحرية الفضائية المريخية من سلسلةٍ من هجمات الحزاميين المُزعِجة، كما أجبر نصف طن من الحصى فائِق السرعة اثنين من بوارجهم على تغيير مسارهما، كان التباطؤ في حصاد الماء من على حلقات زُحل إما توقُّف غير قانوني عن العمل، أو استجابة طبيعية للاحتياجات الأمنيَّة المُتزايدة. تعرَّضت عمليتا تعدين تابعتان للأرض للهجوم من قِبَل إما المريخ أو (أوبا)، ولقي أربعمائة شخص مصرعهم، دخل حصار الأرض للمريخ شهره الثالِث، بينما صرخ تحالُف من العُلماء والمُتخصِّصين في الاستصلاح بأن العمليات المُتتالية في خطرٍ، وأنه في حين أن الحرب ستنتهي في غضون عام أو اثنين، إلا أن فقدان الإمدادات سيُعيد جهود الاستصلاح إلى الوراء لأجيالٍ، وألقى الجميع باللوم على الجميع بخصوص ما حدث في إيروس، إلا أن محطَّة تحوت لم تكُن موجودة.

إلا أنها ستكون موجودة.

وعلى الرغم من بقاء مُعظم أسطول المريخ في الكواكِب الخارجية، فإن حصار الأرض كان أمرًا هشًّا. كان الوقت ينفد، وإما أن يعود المريخيون إلى وطنهم، ويحاوِلون مواجهة مركبات الأرض الأقدم إلى حدٍّ ما، أو الأبطأ نوعًا ما، ولكن الأكثر عددًا، وإما سيذهبون إلى الكوكَب نفسه مُباشرةً؛ فقد كانت الأرض لا تزال مصدرًا لآلاف الأشياء التي لا يُمكِن زراعتها في أي مكان آخر؛ لكن إذا كان شخص ما سعيدًا أو مُتذمِّرًا أو يائِسًا، فلن يستغرِق الأمر الكثير ليبدأ في إسقاط الكواكِب في آبار الجاذبية.

كل ذلك على سبيل الإلهاء.

كانت هناك نكتة قديمة، لم يتمكَّن ميلر من أن يتذكَّر أين سمعها؛ حيث ذهبت فتاة إلى جنازة والدها، والتقت بذلك الرجل اللطيف للغاية، تبادلا أطراف الحديث، وتصادقا من اللحظة الأولى؛ لكنه رحل قبل أن تتمكَّن من الحصول على رقمه، ولم تعرِف الفتاة كيف تتعقَّب الرجل.

ولذلك قتلت والدتها بعد أسبوع.

الكثير من الضحِك.

كان هذا هو منطِق بروتوجين، ودريسدن، وتحوت، قالوا لأنفسهم: هذه هي المُشكِلة، وأن إغراقها بدماء الأبرياء أمر تافه مثل الخط الذي طُبِعَت به التقارير، فصلوا أنفسهم عن البشرية، أغلقوا التجمُّعات الخلوية الموجودة في أدمغتهم والتي جعلت الحياة إلى جانِب مُقدساتهم، ذات قيمة، أو تستحِق الادخار، وكان كُل اتصال بشري هو كُل ما كلفهم الأمر.

من المُضحِك كيف بدا ذلك مألوفًا.

كان الرجل الذي دخل إلى الحانة وأومأ برأسه إلى ميلر واحدًا من أصدِقاء ديوجو، يبلُغ من العُمر عشرين عامًا أو ما يُقارِب ذلك، وأحد المُحاربين القدامى في محطَّة تحوت تمامًا مثل ميلر، لم يتذكَّر اسم الفتى؛ لكنه كان قد رآه كثيرًا بما فيه الكفاية ليعرف أن الطريقة التي يُلملِم بها شتات نفسه كانت مُختلِفة عن المُعتاد، كان مجروحًا بعض الشيء، نقر ميلر على كتم الصوت في نشرة الأخبار الموجودة على جهازه اللوحي وشقَّ طريقه إليه.

قال: «مرحبًا». نظر له الفتى بحدةٍ، كان وجهه متوتِّرًا؛ لكن لمسةً من الهدوء والتماسُك حاولت إخفاء ذلك. كان بالنسبة له مُجرَّد جد ديوجو العجوز، ذلك الذي كان كُل الموجودين في تحوت يعرِفون أنه قد قتل أكبر وغد في الكون، وكسب ذلك لميلر بعض النقاط، ولذلك ابتسم الفتى وأومأ برأسه إلى المقعد المجاوِر له.

قال ميلر: «كُل شيء سيئ للغاية، أليس كذلك؟».

قال الفتى: «أنت لا تعرِف نصف الأمر حتى». كان يتمتَّع بلهجةٍ مُتداخلةٍ، كان حزاميًّا كما يبدو من طوله؛ لكنه مُتعلِّم، وعلى الأرجح كان فنيًّا، ضغط الفتى على زر طلب المشروبات، فعرضت له الحانة كوبًا من أحد السوائِل الشفَّافة لدرجة أن ميلر المُتقلِّب كان قادرًا على مُشاهدته وهو يتبخَّر، شربه الفتى في جرعةٍ واحدةٍ.

قال ميلر: «لا يعمَل».

نظر له الفتى، هزَّ ميلر كتفيه.

قال ميلر: «يقولون إن الشرب يُساعِد؛ لكنه لا يُساعِد».

- «لا؟».
- «لا؛ لكن الجنس يفعل في بعض الأحيان، إذا كان لديك فتاة ستتحدَّث معك بعد ذلك، أو تمارين الرماية، وأحيانًا التدريبات الرياضيَّة، لا تجعلك الخمور تشعُر بالتحسُّن؛ لكنها تجعلك لا تشعُر بالقلق بشأن شعورك بالسوء».

ضحك الفتى وهزَّ رأسه، كان على وشك التحدُّث، ولذلك جلس ميلر وترك الهدوء يقوم بعمله نيابةً عنه، لقد اعتقد أن الفتى قد قتل شخصًا ما، ربما على متن تحوت، وكان هذا ما يؤرِّقه؛ لكن الفتى أخذ جهاز ميلر اللوحي، بدلًا من البدء في سرد القصَّة، وأدخل بعض الرموز المحليَّة قبل أن يُعيده. ظهرت قائِمة ضخمة من البثوث -مقاطِع الفيديو، مقاطِع الصوت، وضغط الهواء والمحتوى، والإشعاع- استغرق الأمر ميلر نصف ثانية ليفهم ما كان يراه، لقد قاموا باختراق تشفير بثوث إيروس.

كان ينظُر للجزيء الأولي وهو يعمَل، كان يرى جُثة جولييت أندروميدا ماو المُتضخِّمة، وللحظةٍ، اضطربت جولي الخيالية الموجودة بجواره.

قال الفتى: «في حال كُنت تتساءل، فقد فعلت الشيء الصحيح عندما أرديت ذلك الرجل، انظر إلى هذا».

فتح ميلر أحد البثوث، ورأى ممرًّا طويلًا، وواسعًا بما فيه الكفاية ليسير به عشرون شخصًا جنبًا إلى جنبٍ، كانت الأرضية مُبلَّلة ومتموِّجة مثل سطح قناة، بينما كان هناك شيء صغير يتدحرج بشكلٍ غريبٍ عبر الكُتلة الرخوة، وعندما قرَّب ميلر الصورة، وجد أنه جذع بشري -قفص

صدري، وعمود فقري، وشيء طويل يتبعه كان في السابِق أمعاء، وأصبح الآن خيوط الجُزيء الأولي السوداء الطويلة- يدفع نفسه على جذع ذراع، لم يكُن هناك رأس، أظهر شريط إخراج البث أن هناك صوتًا، فقام ميلر بفتحه، ذكَّرته الترنيمة العالية الطائِشة بمجموعةٍ من الأطفال المرضى العقليين الذين يغنون إلى أنفسهم.

قال الفتى: «كُلهم على هذا القبيل، تزحف المحطَّة بأسرها بـ... بقرفٍ من هذا القبيل».

- «ماذا يفعلون؟».

قال الفتي وهو يهز يديه: «يبنون شيئًا ما، اعتقدت أنك يجب أن تراه».

قال ميلر وبصره مُثبَّت على الشاشة: «حقًّا؟ بم أذيتك في أي وقت مضى؟».

ضَحِك الفتى.

قال الفتى: «يعتقِد الجميع أنك بطل لأنك قتلت ذلك الرجل، كما يعتقِد الجميع أننا يجب أن نلقى بكُل سجين أخرجناه من تلك المحطَّة من غُرفة مُعادلة الضغط».

قال ميلر لنفسه: ربما ينبغي لنا أن نفعل، إذا لم نتمكَّن من جعلهم بشرًا مرَّة أخرى، قام بتبديل البث، انتقل إلى طابق الكازينو حيث كان هو وهولدن، أو إلى قسمٍ آخر يُشبهه كثيرًا، حيث كانت هناك شبكة من شيءٍ مثل العظام مُربوطة بالسقف والسطح، وأشياء شبيهة بالرخويات السوداء تنزلِق بينهما على طول الطابق صعودًا وهبوطًا، كان الصوت خافتًا مثل التسجيلات التي سمعها أثناء ركوب الأمواج على الشاطئ،

قام بتغيير البث مرَّة أخرى، انتقل إلى الميناء؛ حيث كانت هناك حواجِز مُغلقة ومُغطاة بألواح نوتيلوس ضخمة والتي بدت وكأنها تتحرَّك بينما كان يُشاهدها.

قال الفتى: «يعتقِد الجميع أنك بطل لعين»، وهزَّ ميلر رأسه قليلًا هذه المرَّة.

قال: «لا، بل أنا مُجرَّد رجل اعتاد أن يكون شرطيًّا».

***

لماذا يجب أن يكون التورُّط في معركةٍ بالأسلِحة النارية، والهجوم على محطَّة للعدو مليئة بالناس والأنظِمة الآلية المُصمَّمة لقتلك، أقل إثارة للخوف من الحديث مع الأشخاص الذين تطير معهم لأسابيع؟

ولا تزال ستطير معهم.

كان وقت الوردية الثالِثة، وقام الشريط الموجود في منصَّة المُراقبة بمُحاكاة الليل، كان الهواء مُعطرًا بشيء ضبابي؛ لكنه لم يكُن دخانًا، تنافَس البيانو والباس بين بعضهما بعضًا بينما ارتفع صوت رجل ينوح باللغة العربية، توهَّجت الأضواء الخافِتة على قواعِد الطاوِلات، وألقت بظلالٍ خفيفةٍ على الوجوه والأجساد، وركَّزت على أقدام الزبائِن وبطونهم وصدورهم، كانت أحواض بناء السفن الموجودة خلف النوافِذ مشغولة كالعادة، وكان سيتمكَّن من رؤية (روسينانت) إذا اقترب قليلًا، وهي لا تزال تتعافى من جروحها، لم تمُت بعد، ويعملون على زيادة قوتها.

جَلَس أموس وناعومي على الطاوِلة التي تحتل الركن، لم يكُن هناك أي علامة على وجود أليكس، ولا علامة على وجود هولدن، وجعل هذا الأمر سهلًا، ليس سهلًا، بل قريبًا من أن يكون سهلًا، شقَّ طريقه

نحوهم، رأته ناعومي أولًا، وقرأ ميلر الانزعاج في تعبيرات وجهها؛ لكنها أخفته بنفس السرعة التي ظهر بها، استدار أموس ليرى ما الذي كانت تتفاعَل معه دون أن تتحوَّل أركان فمه أو عينيه إلى عبوسٍ أو ابتسامةٍ، حكَّ ميلر ذراعه على الرغم من أنه لم يكُن يحكُّه.

قال ميلر: «مرحبًا، هل لي أن أشتري لكما جولة من المشروبات؟».

استمرَّ الصمت لفترةٍ أطول مما ينبغي، ثم ابتسمت ناعومي بصعوبةٍ.

- «بالطبع، جولة واحِدة، فنحن نقوم... بهذا الشيء من أجل القُبطان».

قال أموس: «أجل». كان يكذِب بشكلٍ أكثر سذاجةً من ناعومي، مما يجعل إدراكه للحقيقة جزءًا من الرسالة وهو يُضيف: «هذا الشيء، إنه مُهِم».

جَلَس ميلر، ورفع يده كي يراه النادِل، وعندما أومأ له الرجل برأسه، مال للأمام وهو يتكئ بمرفقيه على الطاولة، كان جلوسه نُسخة من انحناءة المُقاتِل، وهو مُنحنٍ للأمام بذراعيه لحماية الأماكِن الضعيفة من رقبته وبطنه، كانت هذه هي الطريقة التي يقف بها الرجل عندما يتوقَّع أن يتعرَّض للإصابة. جاء النادِل، ووضع زجاجات البيرة في كُل مكان. دفع ميلر ثمنهم بأموال (أوبا) ثُم أخذ رشفةً.

في النهاية سألهم: «كيف حال المركبة؟».

قالت ناعومي: «يُجمِّعونها معًا، لقد ضربوها بوحشيةٍ حقًّا».

قال أموس: «ستستمر بالطيران، إنها عاهرة قويَّة».

قال ميلر: «هذا جيِّد، متى.. ». تعثَّر في كلماته فاضطرَّ للبدء من جديد قائلًا: «متى ستطيرون يا رفاق؟».

قال أموس وهو يهز كتفيه: «عندما يأمُر القُبطان، نحن جاهزون الآن، لذلك يُمكِننا أن نذهب غدًا، إذا ما كان لديه مكان يُريد أن يكون به».

قالت ناعومي: «وإذا ما سمح لنا فريد»، ثُم تجهَّمت كما لو كانت تتمنى لو التزمت بالصمت.

سألها ميلر: «هل هذه مُشكِلة؟ هل تُمارِس (أوبا) ضغوطاتها على هولدن؟».

قالت ناعومي: «إنه مُجرَّد شيء كُنت أفكِّر به، أمر غير مُهِم، انظر، شكرًا على المشروب يا ميلر؛ لكنني أعتقِد أنه من الأفضل أن نذهب حقًّا». أخذ ميلر نفسًا عميقًا وتركه يخرُج ببطء.

قال: «أجل، حسنًا».

قال أموس لناعومي: «اخرجي أنتِ، وسألحق بكِ بعد قليل».

رمقت ناعومي الرجل الضخم بنظرةٍ مُرتبكةٍ؛ لكن أموس ابتسم إليها فحسب، كان يُمكِن أن يعني هذا أي شيء.

قالت ناعومي: «حسنًا؛ لكن لا تتأخَّر، حسنًا؟ لدينا هذا الشيء».

قال أموس: «من أجل القُبطان، لا تقلقي».

نهضت ناعومي ومضت، كان جُهدها في عدم النظر إلى الخلف واضحًا، نظر ميلر إلى أموس، منحت الأضواء الميكانيكي مظهرًا شيطانيًّا بعض الشيء.

قال أموس: «ناعومي شخص جيِّد، أنا مُعجب بها، هل تعرف ذلك؟ مثل شقيقتي الصغيرة، إلا أنها أذكى، وسأمارِس الجنس معها إذا سمحت لي بذلك، هل تعرف ذلك؟».

قال ميلر: «أجل، أنا مُعجب بها أيضًا».

قال أموس والدفء والفُكاهة ينسحبان من حديثه: «إنها ليست مثلنا».

قال ميلر: «ولهذا السبب أحبها». كان هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب أن يُقال، أومأ أموس برأسه.

- «إليك الأمر إذن، أنت غارِق في الهراء الآن بقدر ما يذهب القُبطان».

تصاعَد صرير الفُقاعات الموجودة في المكان الذي لمست فيه البيرة الزجاج لتتوهَّج في الضوء الخافِت. أدار ميلر الكوب ربع دورة، وهو يُراقِبهم عن كثب.

سأله ميلر: «لأنني قتلت شخصًا ما كان يجب أن يُقتَل؟»؛ لكن تكُون المرارة الموجودة في صوته مُفاجأة؛ لكنها كانت أعمق مما كان يقصد، لم يسمع أموس ذلك أو لم يهتم.

قال أموس: «لأنك اعتدت على ذلك، بينما لم يعتَده القُبطان، قتل الناس دون نقاش يجعله متوتِّرًا، ولقد قُمت بذلك كثيرًا على متن إيروس؛ لكنك... تعرف ذلك».

قال ميلر: «أجل».

- «محطَّة تحوت لم تكُن إيروس، ووجهتنا التالية التي سنذهب إليها لن تكون إيروس أيضًا، لا يُريدك هولدن أن تكون موجودًا».

سأله ميلر: «ماذا عن بقيتكم؟».

قال أموس: «نحن لا نريدك أن تكون موجودًا كذلك». لم يكُن صوته قاسيًا أو لطيفًا، وكأنه يتحدَّث عن مقياس جُزء من الآلة، أو يتحدَّث عن أي شيء، لكمت الكلمات ميلر في معدته، بالضبط حيث كان يتوقَّع أن تفعل دون أن يتمكَّن من صدِّها.

استمرَّ أموس في الحديث قائلًا: «وهاك الأمر، أنا وأنت، نُشبه بعضنا بعضًا كثيرًا. قريبون من هنا. أعلم ماهيتي، وبوصلتي الأخلاقية؟ وسأخبرك بذلك، لقد انتهى الأمر، فقد تغيَّرت بعض الأشياء عندما كُنت طفلًا، كان من المُمكِن أن أكون ضمن صفوف هؤلاء الأغيار الموجودين في تحوت، أعرِف ذلك؛ لكن القُبطان لا يُمكِن أن يكون كذلك، هذه ليست ماهيته، لقد كان قريبًا من الصالِح مثله مثل أي شخص هنا، وعندما يقول إنك مطرود، فهكذا تكون؛ لأنني بالطريقة التي أرى بها الأمور، فربما يكون على حقٍّ فمن المؤكَّد تمامًا أن لديه فُرصًا أفضل مني». قال ميلر: «حسنًا».

قال أموس: «أجل». أنهى بيرته، وأنهى بيرة ناعومي، ثُم سار مُبتعدًا تاركًا ميلر لنفسه ولمعدته الفارِغة، وبالخارِج، قامَت (ناوفو) بتهوية مجموعة متلألئة من أجهزة الاستشعار، واختبرت شيئًا ما أو ربما كان مُجرَّد تحضير، انتظر ميلر. وبجواره، اتكأت جولي ماو على الطاولة في نفس المكان الذي كان يجلِس به أموس.

قالت: يبدو أنه أنا وأنت فقط الآن إذن.

قال: «يبدو ذلك».

(٤٣)

هولدن

قامت إحدى عاملات تايكو والتي كانت ترتدي معطفًا أزرق اللون وقناع لحام بإغلاق الثقب الذي كان يحتل أحد حواجِز المطبخ، شاهد هولدن الأمر وهو يضع يده على عينيه ليحميها من وَهَج الشعلة الأزرق القاسي، وعندما تمَّ تثبيت الصفيحة الفولاذية في مكانها، قَلَبت عامِلة اللحام قناعها للأعلى لتتحقَّق من خط اللحام، كان لديها عينان زرقاوان وفم صغير في وجهٍ لعوبٍ على شكل قلب وكُتلة كثيفة من الشعر الأحمر تمَّ تصفيفها على شكل كعكة، كان اسمها سام، وكانت قائِدة الفريق في مشروع إصلاح (روسينانت)، كان أموس يُطاردها منذ أسبوعين دون نجاح، وكان هولدن سعيدًا لأنه اتضح أن اللعوب هي واحدة من أفضل الميكانيكيات اللاتي قابلهن على الإطلاق، وكان سيكره أن تصُب جام تركيزها على أي شيء آخر غير مركبته.

قال لها وهي تُمرِّر يدها ذات القُفَّاز على المعدن البارِد: «إنها مثالية».

قالت وهي تهز كتفيها: «إنها على ما يُرام، سنشحَذ هذا بسلاسةٍ كافيةٍ، ثُم نطليه بشكلٍ لطيفٍ، وبعد ذلك لن تعرِف أبدًا أن مركبتك كانت تُعاني من واوا». كانت تتمتَّع بصوتٍ عميقٍ بشكلٍ مُدهِشٍ يتناقَض

مع مظهرها وعادتها في استخدام عبارات طفولية ساخِرة، خمَّن هولدن أن مظهرها بالإضافة إلى مهنتها المُختارة قد تسببًا في استخفاف الكثير من الناس بها في الماضي، لم يرغب في ارتكاب هذا الخطأ.

قال: «لقد قُمتِ بعملٍ رائعٍ يا سام». كان قد خمَّن أن هذا اختصارًا لشيءٍ ما؛ لكنه لم يسأل أبدًا، ولم تتطوّع هي بإخباره أبدًا، استمرَّ في حديثه قائلًا: «لا أنفك أخبر فريد كم نحن سُعداء بتوليكِ هذه الوظيفة».

قالت وهي تضع مشعلها بعيدًا قبل أن تنهض: «ربما سأحصُل على نجمة ذهبية في بطاقة تقريري التالية». حاول هولدن أن يُفكِّر في شيءٍ ما ليقوله ردًّا على ذلك وفَشَل.

قالت وهي تستدير لتواجهه: «آسفة، أنا أقدِّر مدحك لرئيسك، وكي أكون صريحةً، كان العمل مع فتاتك الصغيرة مُمتعًا للغاية، يا لها من مركبة، كان الضرب الذي تلقَّته ليحوِّل أي شيء بحوزتنا إلى خُردةٍ».

أجابها هولدن: «حتى بالنسبة لنا، كُنا قريبين من هذا».

أومأت سام برأسها، ثُم بدأت تضع بقية مُعدَّاتها جانبًا، أثناء عملها، هبطت ناعومي سلم الطاقم من الطوابِق العُليا، وملابسها الرمادية تتدلى تحت ثِقل الأدوات الكهربائية.

سألها هولدن: «كيف تسير الأمور هناك؟».

قالت ناعومي وهي تعبُر المطبخ إلى الثلاجة لتتناوَل زجاجةً من العصير: «تسعين بالمائة تقريبًا». أخذت زجاجة أخرى وأعطتها لسام التي أمسكتها بيدٍ واحدةٍ.

قالت سام وهي ترفع زجاجتها في نخبٍ وهمي: «إلى ناعومي». قبل أن تتجرَّع نصفها في جُرعةٍ واحدةٍ.

قالت ناعومي في المُقابِل بابتسامةٍ: «إلى سامي».

تكوَّنت صداقة بينهما على الفور، وأصبحت ناعومي الآن تقضي الكثير من وقت فراغها مع سام ومع طاقم تايكو الخاص بها، كَرِه هولدن الاعتراف بذلك؛ لكنه كان يفتقِد كونه الحلقة الاجتماعية الوحيدة التي كانت ناعومي تمتلكها، وعندما كان يعترف بذلك لنفسه مثل الآن، يجعله هذا يُصاب بالقشعريرة.

قالت سام بعد أن تجرَّعت آخر ما تبقى من مشروبها: «مُباراة جولجو في ريك الليلة؟».

قالت لها ناعومي: «هل تعتقِدين أن حمقى (ج – ٧) قد سئموا من تلقي الهزائم منهم». بدا الأمر بالنسبة لهولدن، كما لو أنهما كانتا تتحدَّثان بالشفرة.

قالت سام: «يُمكِننا أن نُلقي بالأول، نربطهم بإحكامٍ قبل أن نُسقِط المطرقة ونمسح لفَّاتهم».

قالت ناعومي: «هذا يُناسبني». ثُم ألقت بزجاجتها الفارِغة في سلَّة إعادة التدوير وبدأت في تسلُّق السلم وهي تقول: «أراكِ في الثامنة إذن». لوَّحت لهولدن تلويحة صغيرة وهي تُضيف: «أراك لاحقًا يا قُبطان».

قال هولدن إلى سام بعد انتهائها من استخدام أدواتها: «كم من الوقت تبقى في رأيكِ؟».

هزَّت سام كتفيها وهي تقول: «ربما بضعة أيام لجعلها مثالية. ربما يُمكِنها الطيران الآن، إذا لم تكُن قلِقًا بشأن الأشياء غير الضرورية ومُستحضرات التجميل».

قال هولدن وهو يمد يده إلى سام عندما استدارت: «شكرًا لكِ مرَّة أخرى». صافحته مرَّة، كان كفُّها شديد الصلابة وقبضتها صارِمة، أضاف: «وآمل أن تمسحوا الأرض بهؤلاء الحمقى من (ج – ٧)».

ابتسمت له ابتسامة ضارية وهي تقول: «هذا ليس موضعًا للشك».

***

منحَت (أوبا) عبر فريد جونسون، الطاقم مقصورات معيشة في المحطَّة خلال فترة تجديد (روسي)، وكادت مقصورة هولدن خلال الأسابيع القليلة الماضية أن تبدو مثل المنزل، كان لدى تايكو الكثير من المال، وكانوا يُنفِقون الكثير منه على موظفيهم، كان لدى هولدن ثلاث غُرف من أجل استخدامه الخاص، بما فيهم دورة مياه ومطبخ خارِج الفضاء العام، يجِب أن تكون حاكِمًا في بعض المحطَّات، لتتمتَّع بهذا النوع من الرفاهية، وتولَّد لدى هولدن انطباع بأن هذا كان معيارًا للإدارة في تايكو.

ألقى ببدلته المُتسِخة في صندوق الغسيل وبدأ في صُنع فنجان من القهوة قبل أن يقفِز إلى حمَّامه الخاص، الاستحمام كُل ليلة بعد العمل: رفاهية أخرى لا يُمكِن تصوُّرها. سيكون من السهل أن يتشتَّت انتباهه، وأن يبدأ في التفكير في هذه الفترة من إصلاح المركبة والحياة المنزلية على أنها حياة طبيعية، وليست فترة طارِئة، لا يُمكِن أن يسمح هولدن بحدوث ذلك.

ملأ خبر هجوم الأرض على المريخ نشرات الأخبار، لا تزال القباب المريخية صامِدة؛ لكن ضربت زخَّتان من الشهب مُنحدرات أوليمبوس مونز الواسِعة، ادَّعت الأرض أن الحُطام كان من ديموس، وادعى المريخ أن هذا كان تهديدًا واستفزازًا مُتعمدًا، كانت المركبات المريخية القادِمة من

عمالقة الغاز تُسرِع نحو الكواكِب الداخلية، وفي كُل يوم، تقترِب مع كُل ساعة اللحظة التي يتعيَّن على الأرض فيها الالتزام بإبادة المريخ أو التراجُع، ويبدو أن خطاب (أوبا) مبني على ضمان أن من ينتصِر سيقتُلهم بعد ذلك. ساعَد هولدن فريد للتو فيما تعتبره الأرض أكبر عمل قرصنة في تاريخ الحزام.

وكان مليون ونصف مليون نسمة يموتون الآن على متن إيروس، فكَّر هولدن في مقطع الفيديو الذي شاهده لما كان يحدُث للناس الموجودين في المحطَّة، وارتجف حتى على الرغم من حرارة الحمَّام.

والفضائيون، الفضائيون الذين يحاوِلون الاستيلاء على الأرض منذ ملياري عام، وفشلوا لأن زحل اعترض طريقهم، لا يُمكِن أن ننسى الفضائيين، ما زال دماغه لم يكتشِف طريقة لمُعالجة ذلك، ولذلك ظلَّ يحاوِل التظاهُر بأنه غير موجود.

أمسك هولدن منشفة وقام بتشغيل شاشة الحائِط الموجودة في غُرفة معيشته بينما كان يُجفِّف نفسه. ازدَحم الهواء بروائِح القهوة، رطوبة الحمَّام، ورائِحة العُشب الخافِت، والزهور التي تضُخها تايكو في جميع المساكِن. جرَّب هولدن مُشاهدة الأخبار؛ لكنها كانت مُجرَّد تكهُّنات حول الحرب دون أي معلومات جديدة، غيَّر القناة إلى برنامج مُسابقات بقواعِد غير مفهومة ومُتسابقين غير مُستقرين نفسيًّا، قلَّب عبر عدد قليل من العروض التي كان بإمكانه أن يقول إنها كوميدية؛ لأن المُمثِّلين توقَّفوا وأومأوا برؤوسهم حيث توقَّعوا أن تكون الضحكات.

أدرك أنه كان يطحن أسنانه ببعضها بعضًا، عندما بدأ فكه يؤلِمه، أغلَق الشاشة وألقى بجهاز التحكُّم عن بُعد على فراشه الموجود في الغُرفة

المجاورة، لفَّ المنشفة حول خصره، ثُم صبَّ لنفسه كوبًا من القهوة وانهار على الأريكة في الوقت الذي دقَّ فيه بابه.

صاح بأعلى صوته: «ماذا؟»؛ لكن أحدًا لم يُجِبه، يبدو أن عزل الصوت جيِّد في تايكو، سار نحو الباب، وقام بترتيب المنشفة الخاصَّة به لأقصى قدر من التواضُع على طول الطريق، وشدَّ الباب ليفتحه.

كان ميلر يرتدي حُلَّة رمادية مُجعَّدة ربما أحضرها من سيريس، ويتحسَّس تلك القُبعة الغبيَّة.

بدأ بالحديث قائلًا: «مرحبًا يا هولدن... »؛ لكن هولدن قاطعه.

قال هولدن: «ماذا تُريد بحق السماء؟ وهل تقف حقًّا خارِج بابِي مُمسكًا بقُبعتك في يديك؟».

ابتسم ميلر، ثُم وضع القُبعة على رأسه وهو يقول: «هل تعرف أنني لطالما تساءلت ما الذي يعنيه ذلك».

أجابه هولدن: «أصبحت الآن تعلم».

سأله ميلر: «هل لديك دقيقة؟».

انتظر هولدن للحظةٍ، وهو يُحدِّق في المُحقِّق الهزيل، سُرعان ما استسلم، ربما كان يزيد عن ميلر بعشرين كيلوجرامًا؛ لكن كان من المُستحيل أن تُخيف شخصًا ما عندما يفوقك هذا الشخص طولًا بقدمٍ كاملةٍ.

قال وهو يتوجَّه إلى غُرفة نومه: «حسنًا، تفضَّل، دعني أرتدِ ملابسي، هناك قهوة».

لم ينتظِر هولدن ردًّا؛ أغلق باب غُرفة نومه وجلس على الفراش، لم يتبادل هو وميلر أكثر من اثنتي عشرة كلمةً منذ عودتهما إلى تايكو، كان يعلَم أنهما لا يستطيعان الأمر عند هذا الحد، بقدر ما قد يرغَب في ذلك، كان مدينًا لميلر على الأقل بالمُحادثة التي سيُخبره فيها أن يذهب إلى الجحيم.

ارتدى بنطالًا قُطنيًّا دافئًا وكنزة صوفية، مرَّر إحدى يديه في شعره المُبلَّل قبل أن يعود إلى الخارِج نحو غُرفة المعيشة، كان ميلر يجلِس على أريكته مُمسكًا بكوبٍ يتصاعَد منه البُخار.

قال المُحقِّق: «قهوة جيِّدة».

أجابه هولدن وهو يجلِس على المقعد المُقابِل له: «قُل ما عندك إذن».

تناوَل ميلر رشفةً من قهوته وهو يقول: «حسنًا... ».

- «أعني أن هذه هي المُحادثة التي ستُخبرني فيها كيف كُنت مُحقًّا في إطلاق النار على رجلٍ أعزل في وجهه، وكيف أنني ساذج للغاية لأنني أرى الأمور بهذه الطريقة، أليس كذلك؟».
- «في الواقِع... ».

قال هولدن مُتفاجئًا من الشعور بحرارة وجنتيه تزداد: «لقد أخبرتك بالأمر اللعين، لا مزيد من هراء القاضي والجلَّاد، أو يُمكِنك أن تجِد رحلتك الخاصَّة، وفعلت ذلك على أي حال».

- «أجل».

أخذت الموافقة البسيطة هولدن على حين غرة.

- «لماذا؟».

أخذ ميلر رشفةً أخرى من قهوته، ثُم وضع الكوب، مدَّ يده وخلع قُبعته، وألقاها على الأريكة المجاوِرة له، ثُم استرخى في مقعده.

- «كان على وشك أن يُفلِت من العقاب».

أجابه هولدن: «معذرةً؟ هل فاتك الجُزء الذي اعترف فيه بكُل شيء؟».

- «لم يكُن ذلك اعترافًا. بل كان تفاخرًا، كان يعرف أنه لا يُمكِن المساس به، يمتلك الكثير من المال، والكثير من السلطة».
- «هذا هراء، لا يستطيع أحد أن يقتل مليون نسمة ونصفًا وينجو بفعلته».
- «ينجو الناس بما فعلوا طوال الوقت، يكونون مُذنبين تمامًا؛ لكن شيئًا ما يقِف في الطريق، الأدلة، السياسة. كانت لديَّ شريكة في وقتٍ من الأوقات، اسمها موس، عندما انسحبت الأرض من سيريس... ».

قال هولدن: «توقَّف، لا أهتم بذلك، ولا أريد أن أسمع المزيد من قصصك حول كيف أن كونك شرطيًّا يجعلك أكثر حكمة وعمقًا وقُدرة على مواجهة الحقيقة بشأن الإنسانية، وبقدر ما أستطيع قوله، فكُل ما فعله هذا هو تحطيمك، حسنًا؟».

- «أجل، حسنًا».
- «اعتقد دريسدن ورفاقه من بروتوجين أن بإمكانهم اختيار من يعيش ومن يموت، هل يبدو هذا مألوفًا؟ ولا تُخبرني أن الأمر مُختلِف هذه المرَّة، لأن الجميع يقولون ذلك في كُل مرَّة، والأمر ليس مُختلِفًا».

قال ميلر بحماسةٍ شديدةٍ: «لم أكُن أنتقِم».

- «حقًّا؟ لم يكُن هذا يتعلَّق بالفتاة التي كانت في الفُندق؟ جولي ماو؟».
- «كان الإمساك به يتعلَّق بها، أما قتله... ».

تنهَّد ميلر وأومأ لنفسه، ثُم نهض وفتح الباب، توقَّف عند الباب والتفت، والألم الحقيقي يحتل قسمات وجهه.

قال ميلر: «لقد كان يتحدَّث إلينا عبر الأمر، كُل ما يتعلَّق بالوصول إلى النجوم وحماية أنفسنا من أي ما كان قد أطلق هذا الشيء على الأرض؟ كُنت قد بدأت أفكِّر في أنه ربما يجب أن يُفلِت من العِقاب، وربما كانت الأشياء كبيرة جدًّا لتقاس في مقياس الصواب والخطأ، لا أقول إنه قد أقنعني؛ لكنه ربما جعلني أفكِّر، هل تفهم قصدي؟ ربما فقط».

- «وأطلقت النار عليه لهذا السبب».
- «أجل».

تنهَّد هولدن، ثُم استند على الحائِط المجاوِر للباب المفتوح، وذراعاه معقودان.

قال ميلر: «يدعوك أموس بالصالِح، هل تعرف ذلك؟».

قال هولدن: «يعتقِد أموس أنه رجل سيئ لأنه فعل بعض الأشياء التي يخجل منها، لا يثِق بنفسه دائمًا؛ لكن حقيقة أنه يهتم تُخبرني بأنه ليس رجلًا سيئًا».

بدأ ميلر في القول: «أجل... »؛ لكن ميلر قاطعه.

قال: «لقد نظر إلى روحه، ورأى البُقع، وأراد أن يكون نظيفًا، بينما أنت؟ هززت كتفيك فحسب».

- «لقد كان دريسدن... ».
- «لا يتعلَّق الأمر بدريسدن؛ بل يتعلَّق بك، لا أستطيع أن أثِق بوجودك حول الأشخاص الذين أهتم بشأنهم».

حدَّق هولدن في ميلر، مُنتظرًا رَدّه؛ لكن الشُّرطي أومأ برأسه بحُزنٍ فحسب، ثُم ارتدى قُبعته وسار مُبتعدًا عبر الممر المُنحني برفقٍ، لم يلتفِت.

عاد هولدن إلى الداخِل، وحاوَل الاسترخاء؛ لكنه شعر بالتوتُّر والعصبيَّة، لم يكُن ليتمكَّن من الخروج من إيروس دون مُساعدة ميلر، لم يكُن هناك شك في ذلك: وبدا طرده من المركبة أمرًا خاطئًا، ومنقوصًا.

كانت الحقيقة هي أن ميلر كان يتسبَّب في أن تزحف القشعريرة في رأسه كلما تواجدا في نفس الغُرفة، كان ميلر مثل كلب لا يُمكِن التنبؤ بما قد يفعله، فقد يلعق يدك، أو يعض ساقك.

فكَّر هولدن في الاتصال بفريد وتحذيره؛ لكنه اتصل بناعومي بدلًا من ذلك.

أجابته عن الرنة الثانية: «مرحبًا». كان بإمكان هولدن أن يسمع صخب بار، والبهجة النابِعة عن الكحول في الخلفية.

قال: «ناعومي». ثُم توقَّف محاولًا أن يُفكِّر في عذرٍ للاتصال بها، وعندما لم يستطِع التفكير في واحدٍ قال: «لقد كان ميلر هنا لتوِّه».

- «أجل، لقد حاصرني أنا وأموس منذ فترة، ماذا يُريد؟».

قال هولدن بحسرةٍ: «لا أعرِف، ربما يريد أن يقول وداعًا».

سألته ناعومي: «ماذا تفعل؟ هل تُريد أن نلتقي؟».

- «أجل، أريد ذلك».

***

لم يُميِّز هولدن الحانة في البداية، ولكن بعد طلب سكوتش من نادلٍ ودودٍ مُحترفٍ، أدرك أنها نفس المكان الذي شاهد ناعومي تُغني فيه الكاريوكي لأغنيةٍ حزاميةٍ فاسِقةٍ منذ ما يبدو وكأنه قرون، تجوَّلت في الداخِل وجلست في مواجهته في الكُشك في نفس الوقت الذي ظهر فيه شرابه، ابتسم لها النادِل ابتسامة مُتسائلة.

قالت سريعًا وهي تلوِّح بيدها نحوه: «لا، لقد شربت الكثير الليلة، أريد بعض الماء فقط، شكرًا».

قال هولدن والنادِل يبتعِد: «كيف تُبلين في... ما جولجو بالضبط على أي حال؟ وكيف يسير الأمر؟».

قالت ناعومي وهي تتناوَل كوب الماء من النادِل العائِد: «إنها لعبة يلعبونها هنا». شربت نصفه في جُرعةٍ واحدةٍ وهي تُضيف: «عبارة عن مزيج بين رمي السهام وكُرة القدم لم أرها من قبل؛ لكن يبدو أنني أجيد لعبها، لقد فُزنا».

قال هولدن: «عظيم، شكرًا لحضورِك، أعلم أن الوقت مُتأخِّر؛ لكن أمر ميلر هذا أفزعني بعض الشيء».

- «أعتقِد أنه يُريدك أن تغفِر له».

قال هولدن بضحكةٍ ساخرةٍ: «لأنني صالِح».

قالت ناعومي دون سُخرية: «أنت صالِح، أعني أنه مُصطلح مُحتمل؛ لكنك أقرب له من أي شخص عرفته من قبل».

صرخ هولدن قبل أن يتمكَّن من منع نفسه: «لقد أفسدت كُل شيء، كل من حاوَل مُساعدتنا، وكُل من حاولنا مُساعدته، مات بشكلٍ مُذهلٍ، هذه الحرب اللعينة بأكملها، القُبطان ماكدويل وبيكا وآدي وشيد...». كان عليه أن يتوقَّف ويبتلع مرارة مُفاجئة في حلقه.

أومأت ناعومي برأسها فحسب، ثُم مدَّت يدها عبر المنضدة وأمسكت يده بيديها.

تابع حديثه قائلًا: «أنا بحاجةٍ للفوز يا ناعومي، أحتاج إلى فعل شيء يُحدِث فارقًا، أوقعني القدر أو القِسمة أو الله أو أيًّا ما كان في مُنتصف هذا الشيء، وأنا بحاجةٍ لمعرفة أنني أصنع الفارِق».

ابتسمت له ناعومي وضغطت على يده.

قالت: «تكون لطيفًا عندما تُصبح نبيلًا؛ لكن عليك أن تُفكِّر في شيءٍ آخرَ».

- «أنتِ تسخرين مني».

قالت: «أجل، أنا أسخر منك، هل تُريد العودة إلى المنزل معي؟».

بدأ هولدن بالقول: «أنا...». ثُم توقَّف وحدَّق بها بحثًا عن النكتة، كانت ناعومي لا تزال تبتسِم له، ولم يجد في عينيها سوى الدفء ولمسة من التلاعُب، وبينما كان يُراقِبها، سقطت خصلة شعر مُجعَّدة على عينها، فدفعتها بعيدًا دون أن تُشيح بنظرها عنه، قال: «انتظري، ماذا؟ اعتقدت أنكِ...».

قالت: «قُلت لك ألا تُخبرني بأنك تُحبني كي تضاجعني؛ لكنني قُلت أيضًا إنني كُنت سآتي إلى مقصورتك في أي وقت تطلب مني ذلك فيه خلال السنوات الأربع الماضية، لم أعتقِد أنني كُنت حاذِقة؛ لكنني سئمت الانتظار نوعًا ما».

انحنى هولدن داخِل الكُشك وحاول أن يتذكَّر كيف يتنفَّس، تغيَّرت ابتسامة ناعومي إلى محض تلاعُب الآن، رفعت إحدى حاجبيها.

سألته: «هل أنت بخير أيها البحَّار؟».

قال بمُجرَّد أن أصبح قادرًا على الحديث: «كُنت أعتقِد أنكِ تتجنبينني، هل هذه هي طريقتكِ في الفوز؟».

قالت بصوتٍ خالٍ من أي إشارة للغضب: «لا توجِّه الإهانات؛ لكنني انتظرت لأسابيع حتى تتماسك أعصابك، واقتربت المركبة من أن تُصبِح جاهِزة، وهذا يعني أنك على الأرجح ستتطوَّع لنا في شيءٍ غبي حقًّا، وهذه المرَّة سينفذ حظنا».

قال: «حسنًا...».

- «إذا حدث ذلك دون أن نُجرِّب ذلك ولو لمرةٍ واحدةٍ، فسأكون غير سعيدة بشأن ذلك».
- «ناعومي، أنا... ».

قالت وهي تمد يدها لتجذبه نحوها: «الأمر بسيط يا جيم»، اتكأت على الطاولة بينهما حتى كاد وجهاهما يتلامسان وهي تُضيف: «إنه سؤال بنعم أو لا».

- «نعم».

(٤٤)
ميلر

جَلَس ميلر بمُفرده مُحدقًا من نوافِذ المُراقبة العريضة دون رؤية المنظر، ظلَّ كأس ويسكي الفطريات على الطاوِلة السوداء المُنخفِضة الموجودة بجواره دون أن يرشف منه رشفةً منذ ابتاعه، لم يكُن مشروبًا حقًّا؛ بل كان إذنًا بالجلوس، لطالما كانت هناك حفنة من التائهين حتى على متن سيريس، رجال ونساء نفد حظُّهم لا يملكون مكانًا للذهاب إليه، ولا أحد يسألونه معروفًا، لا يملِكون علاقات في شبكة البشرية الشاسِعة. لطالما شعر بنوعٍ من التعاطُف نحوهم، عشيرته الروحيَّة.

أصبح الآن جزءًا من تلك القبيلة المُنفصِلة بجديةٍ.

لَمَعَ شيء ما على جلد مركبة الأجيال العظيمة -ربما انطلقت مصفوفة لحام من بعض شبكات الاتصال الدقيق المُعقَّدة- وبعد (ناوفو) الزاخِرة بالنشاط المُستمِر الذي يُشبِه خلية النحل لمحطَّة تايكو، ظهر قوس مقداره نصف درجة من (روسينانت) التي كانت تبدو كمنزلٍ كان يمتلكه من قبل، كان يعرِف قصة رؤية النبي موسى لأرض الميعاد التي لن يدخُلها أبدًا، تساءل ميلر كيف كان النبي العجوز ليشعُر إذا دخلها للحظةٍ -يوم،

أو أسبوع، أو عام- ثُم خرج منها إلى الصحراء مرَّة أخرى، كان من الرحمة أنه لم يترك الأراضي الجدباء، كان هذا أكثر أمانًا.

وبجواره، راقبته جولييت ماو من زاوية عقله التي خلقتها.

فكَّر: كان من المُفترض أن أنقِذكِ، كان من المُفترض أن أجدكِ، أن أجد الحقيقة.

أولم تفعل؟

ابتسم لها، فبادلته الابتسامة، كانت ضَجِرة ومُتعبة مثله تمامًا؛ لأنه قد فعل بالطبع، لقد وجدها، ووجد قاتلها، وكان هولدن مُحقًّا، لقد انتقم، لقد فعل كُل ما وعد نفسه به؛ لكن هذا لم يُنقِذه،

- «هل أحضِر لك أي شيء؟».

ظنَّ ميلر لنصف ثانية أن جولي هي من قالت ذلك. فتحت النادِلة فمها لتسأله مرَّة أخرى قبل أن يهز رأسه، لا يُمكِنها أن تفعل، وحتى لو كان بإمكانها أن تفعل، لما أمكنه أن يدفع ثمنه.

قالت جولي: أنت تعلم أن الأمر لم يُمكِن أن يدوم، هولدن، طاقمه، أنت تعلم أنك لا تنتمي إلى هناك حقًّ، أنت تنتمي إليَّ.

أسرعت دفقة مُفاجئة من الأدرينالين لتُنعِش قلبه المُتعَب، التفت لينظُر لها؛ لكن جولي كانت قد رحلت، لم يكُن رد فعله الذي تم إنشاؤه بشكلٍ خاص من أجل القِتال أو الطيران يملك مُتسعًا لهلوسة أحلام اليقظة، وعلى الرغم من ذلك أنت تنتمي إليَّ.

تساءل عن عدد الأشخاص الذين سلكوا هذا الطريق ممن يعرفهم، كان لدى رجال الشُّرطة عادةً في دس فوهات بنادقهم في أفواههم،

والذي يعود إلى فترةٍ طويلةٍ لما قبل رفع البشرية لنفسها في بئر الجاذبية، وها هو ذا دون منزل، دون صديق، وبكثيرٍ من الدماء التي لطَّخت يديه في الشهر الماضي أكثر من كُل حياته المهنية قبل ذلك. يُطلِق الطبيب النفسي الموجود على متن سيريس على ذلك لقب التفكير في الانتحار في عرضه السنوي الذي يقوم به لفرق الأمن، وهو شيء يجب الانتباه إليه، مثل قمل الأعضاء التناسُلية، أو ارتفاع نسبة الكوليسترول في الدم؛ لكنها ليست مُشكلة كبيرة إذا توخيت الحذر.

ولذلك سيتوخى الحذر لوهلةٍ؛ ليرى إلى أين سيقوده الأمر.

وقف مُتردِّدًا لفترة تساوي ثلاث دقَّات قلب، ثُم رفع كأسه وشربه في جُرعةٍ واحدةٍ، يُطلِقون على ذلك اسم الشجاعة السائِلة، ويبدو أنها تؤدي الغرض، أخرج جهازه اللوحي، وقدَّم طلب اتصال، وحاول أن يُلملِم شتات نفسه، لم يصل إلى هناك بعد، وسيحتاج إلى وظيفةٍ إذا كان سيظل على قيد الحياة.

***

قال ديوجو باللغة الحزامية: «لا أعرف شيئًا أيها العجوز».

كان الفتى يرتدي قميصًا شبكيًّا وسروالًا مقطوعًا بموضةٍ شابةٍ تُماثِله قُبحًا، ربما لم يكُن ميلر ليلجأ له في حياته السابِقة؛ لأنه صغير للغاية على أن يعرِف أي شيء مُفيد، والآن انتظر ميلر، إذا كان هناك أي شيء يُمكِن انتزاعه من ديوجو، سيكون هذا وعدًا بأن يحصُل ميلر على غُرفةٍ خاصَّةٍ به، امتد الصمت، أجبر ميلر نفسه على عدم التحدُّث خوفًا من التوسُّل.

قال ديوجو بحذرٍ: «حسنًا... حسنًا، ربما يكون هناك رجل، ذراع وعين فحسب».

قال ميلر: «يُناسبني العمل كرجل أمن للغاية، أي شيء يدفع الفواتير».

- «سأقوم بالمُحادثة، وأرى ما سيُقال».

أجابه ميلر: «أُقدِّر أي شيء يُمكِنك القيام به»، ثُم أشار إلى الفراش قائلًا: «هل تُمانِع إذا...؟ ».

قال ديوجو: «منزلي هو منزلك». استلقى ميلر على الفراش.

دَخَل ديوجو إلى الحَمَّام الصغير، وغطى صوت المياه وهي تنهمِر على جسده على صوت جهاز إعادة تدوير الهواء، وحتى على متن المركبة، لم يعِش ميلر في ظروفٍ جسديةٍ بهذه الحميمية من أي شخص منذ زواجه، وعلى الرغم من ذلك، فلم يكُن ليتمادى في الأمر ويُطلِق على ديوجو لقب الصديق.

كانت الفُرصة على تايكو أرق مما كان يأمل، ولم يكُن لديه الكثير عن طريق المراجِع، ولم يكُن من المُرجَّح أن يتحدَّث الأشخاص القلائِل الذين يعرفوه نيابةً عنه؛ لكن بالتأكيد سيكون هناك شيء ما. فكُل ما يحتاجه هو طريقة لإعادة تشكيل نفسه؛ للبدء من جديد وأن يكون شخصًا مُختلِفًا عمَّا كان عليه.

لنفترِض -بالطبع- أن الأرض أو المريخ -أيهما انتصر في الحرب- لم تمسَح (أوبا) وجميع المحطَّات الموالية لها من السماء، وأن الجُزيء الأولي لم يهرب من إيروس ليذبح كوكبًا، أو محطَّة، أو يذبحه. انتابته القشعريرة للحظةٍ بعد أن تذكَّر أنه لا تزال هناك عيِّنة من ذلك الشيء على متن (روسي)، إذا حدث معه شيء ما، فقد ينضم كُل من هولدن وناعومي، وأليكس وأموس إلى جولي قبل أن يفعل ميلر بوقتٍ طويلٍ.

قال لنفسه إن هذه لم تعُد مُشكلته بعد الآن، ومع ذلك، فقد كان يأمل أن يكونوا بخيرٍ، أرادهم أن يكونوا بخيرٍ، حتى لو لم يكُن كذلك.

قال ديوجو عندما انفتح باب القاعة العامَّة: «هل سمعت أن إيروس قد بدأ يتحدَّث أيها العجوز؟».

رفع ميلر نفسه على مرفقٍ واحدٍ.

قال ديوجو: «أجل، مهما كان ذلك القرف، فقد بدأ في البث، لقد كانت هناك كلمات وهراء، لقد حصلت على البث، هل تُريد الاستماع؟».

قال ميلر لنفسه: لا، لا، لقد رأيت تلك الممرَّات، وكاد يحدُث لي نفس ما حدث لهؤلاء الأشخاص، لا أريد أن أفعل أي شيء يتعلَّق بهذا الرجس.

قال: «بالطبع».

أخذ ديوجو جهازه اللوحي وقام بإدخال شيء ما، دقَّ جهاز ميلر اللوحي دلالة على أنه قد تلقى مسار البث الجديد.

قال ديوجو باللغة الحزامية: «خلطوا صراخ الفتيات المفقودات في العمليات مع بعض موسيقى البانجرا». قام بحركة رقص بفخذيه وهو يُضيف: «هذا قاسٍ، أليس كذلك؟».

قام ديوجو وبقية جنود (أوبا) غير النظاميين باختراق محطَّة أبحاث عالية الجودة، وأسقطوا واحدة من أقوى الشركات وأكثرها شرًّا في تاريخ السلطة والشر، والآن يصنعون الموسيقى من صرخات المُحتضرين، من صرخات الموتى، وأصبحوا يرقصون عليها في النوادي مُنخفِضة الإيجار، قال ميلر لنفسه: لا بُدَّ أن هذا هو ما يكون عليه الأمر عندما تكون شابًّا وبلا روح.

لكن لا، لم يكُن هذا عدلًا، كان ديوجو فتى جيِّدًا، كان ساذجًا فحسب، سيهتم الكون بذلك، مع منحه القليل من الوقت.

قال ميلر: «هذا قاسٍ». ابتسم ديوجو.

تم وضع البث في قائِمة الانتظار، قام ميلر بإطفاء الأضواء، وترك الفراش الصغير يحمله ضد ضغط الدوران، لم يكُن يُريد أن يسمَع، ولم يكُن يُريد أن يعرف؛ لكنه كان مضطرًّا لذلك.

في البداية، لم يعنِ الصوت شيئًا، مُجرَّد صرخات كهربائية، وشوشرة ناي عنيفة، ثُم الموسيقى خلفها في مكانٍ ما عميق، جوقة من الكهان تتماوَج معًا في تصعيدٍ طويل وبعيد، وبعد ذلك، أتى الصوت واضحًا وكأن شخصًا ما يتحدَّث عبر مُكبِّر صوت.

- «الأرانِب والهامستر غير مُستقِرّة بيئيًّا ومُستديرة وزرقاء مثل أشعة القمر، أغسطس».

من شِبه المؤكَّد أنه لم يكُن شخصًا حقيقيًّا؛ حيث يُمكِن لأنظِمة الحاسوب في إيروس أن تولِّد أي عدد من اللهجات والأصوات المُقنِعة للغاية: رجال، ونساء، وأطفال، وكم مليون ساعة من البيانات يُمكِن أن تكون موجودة على أجهزة الحاسوب وفي مقالِب التخزين في جميع أنحاء المحطَّة؟

دوت رفرفة إليكترونية أخرى، مثل عصافير تدور حول بعضها بعضًا، صدح صوت جديد -أنثوي وناعِم هذه المرَّة- وصوت نبض يأتي من خلفها.

- «يشكو المريض من سُرعة ضربات القلب والتعرُّق الليلي، تمَّ الإبلاغ عن ظهور الأعراض منذ ثلاثة شهور سابِقة؛ لكن مع تاريخ...».

تلاشى الصوت، وارتفع صوت الخفقان مثل رجل عجوز تُزيِّن ثقوب تُشبِه ثقوب الجُبن السويسري دماغه، كان النظام المُعقَّد الذي كان إيروس يحتضِر، يتغيَّر، يفقِد صوابه، ولأن بروتوجين قاموا بتوصيل كُل شيء للحصول على الصوت، فقد استطاع ميلر الاستماع إلى المحطَّة وهي تسقُط.

- «لم أخبره، لم أخبره، لم أخبره. شروق الشمس، لم أرَ شروق الشمس أبدًا».

أغلق ميلر عينيه وغرق في النوم وسط ترنيمة إيروس، ومع تلاشي وعيه، تخيَّل أن هناك جسدًا بجواره فِي الفراش، دافئًا وينبض بالحياة ويتنفَّس ببطءٍ مع مرور الوقت مع صعود وهبوط الشوشرة.

***

كان المُدير رجلًا نحيلًا، هزيلًا، وشعره مُمشطًا عاليًا فوق جبينه كموجةٍ لم تتحطَّم أبدًا، كان المكتب ضيِّقًا من حولهم، ويُصدِر صوت أزيز غريب عندما تصطدِم به البنية التحتيَّة -الماء، والهواء، والطاقة- الخاصَّة بتايكو. يدير عملًا مبنيًّا بين القنوات، ومُرتجلًا، ورخيصًا، أحقر من الحقارة.

قال المُدير: «أنا آسف». شعر ميلر أن أمعاءه تنقبِض وتضيق، من بين كُل الإذلال الذي كان يُخبِّئه له الكون، لم يكُن هذا ما توقَّعه، جعله هذا يُصاب بالغضب.

سأله وهو يحافِظ على صوته خافتًا: «هل تعتقِد أنني لا أستطيع التعامُل مع الأمر؟».

قال الرجُل الهزيل: «ليس الأمر كذلك، إنه... انظر، بيني وبينك، نحن نبحث عن شخص أحمق، هل تفهم قصدي؟ يُمكِن لشقيق صغير أحمق لشخصٍ ما أن يحرُس هذا المستودَع، بينما أنت تتمتَّع بالكثير من الخِبرة، ماذا سنفعل ببروتوكولات مُكافحة الشغب؟ أو بإجراء التحقيقات؟ أقصد: بحقِّك، لا تأتي هذه المهنة التافِهة بمُسدَّسٍ حتى».

قال ميلر: «لا أهتم، أنا بحاجةٍ إلى شيءٍ ما».

تنهَّد الرجل الهزيل وهزَّ يديه بشكلٍ مُبالغٍ فيه بالنسبة لحزامي.

قال: «أنت بحاجةٍ إلى شيءٍ آخر».

حاوَل ميلر ألا يضحَك خائفًا من أن يبدو مثل اليائِس، حدَّق في الجدار البلاستيكي الرخيص الموجود خلف المدير حتى بدأ الرجُل يشعُر بعدم الارتياح، كان هذا فخًّا، لقد كان يمتلك الكثير من الخبرة ليبدأ من جديد، كان يعرف أكثر من اللازِم، ولذلك لم يكُن هناك عودة إلى الخلف للقيام ببداية جديدة.

قال في النهاية: «حسنًا». تنفَّس الرجل الجالِس خلف المكتب في مواجهته، ثُم تأدَّب بما فيه الكفاية ليبدو مُحرجًا.

قال الرجل الهزيل: «هل يُمكِنني أن أسأل، لماذا تركت عملك القديم؟».

قال ميلر وهو يرتدي قُبعته: «تغيَّرت ملكية سيريس، لم أكُن ضمن الفريق الجديد. هذا كُل ما في الأمر».

- «سيريس؟».

بدا المُدير مُرتبكًا، وهو الأمر الذي أربك ميلر بدوره. نظر إلى الأسفل نحو جهازه اللوحي، حيث يقبَع تاريخه المهني، لا يُمكِن للمدير أن يفوِّت ذلك بالطريقة التي قدَّمه له بها.

قال ميلر: «هذا هو المكان الذي كُنت فيه».

- «من أجل القيام بأمر الشُّرطة؛ لكنني كُنت أقصِد الوظيفة الأخيرة، أقصِد أنك كُنت في الجوار، أتفهَّم عدم وضع عمل (أوبا) في سيرتك الذاتية؛ لكن عليك أن تعرِف أننا نعرف جميعًا أنك جُزء من ذلك الشيء... في المحطَّة، وكُل ما في ذلك».

قال ميلر: «تعتقِد أنني كُنت أعمل لصالِح (أوبا) ».

رمش الرجل الهزيل.

قال: «كُنت».

وهو ما كان -بعد كُل شيء- صحيحًا.

***

على الرغم من أن شيئًا لم يتغيَّر في مكتب فريد جونسون، فإن كُل شيء كان قد تغيَّر، المفروشات، ورائِحة الهواء، والشعور بوجوده في مكانٍ ما بين غُرفة الاجتماعات ومركز القيادة والتحكُّم، ربما تكون مركبة الأجيال الموجودة خارِج النافِذة قد اقتربت نصف في المائة من الاكتمال؛ لكن هذا لم يحدُث. لقد تغيَّرت مخاطِر اللعبة، وأصبح ما كان حربًا شيئًا آخر الآن، شيء أكبر، أشرق هذا في عيني فريد وشدَّ كتفيه.

وافقه فريد قائلًا: «يُمكِننا الاستفادة من رجلٍ بمثل مهاراتك، فدائمًا ما تكون التفاصيل الصغيرة هي ما تقودك ككيفية تفتيش شخص ما، وهذا النوع من الأشياء، يُمكِن لقوّات أمن تايكو أن تتولى أمر نفسها؛ لكن بمُجرَّد أن نكون خارِج محطَّتنا، ونشُق طريقنا نحو محطَّة شخص آخر، لا يكونوا بنفس القدر».

قال ميلر في محاولةٍ لجعلها مزحة: «هل هذا شيء تُريد القيام بالمزيد منه؟». لم يُجِبه فريد، وللحظةٍ، وقفت جولي بجوار الجنرال، رأى ميلر كليهما ينعكِس على الشاشات، الرجل مُستغرق في الفكر، والشبح مُستمتِع، ربما أخطأ ميلر منذ البداية، وكان الانقسام بين الحزام والكواكِب الداخلية شيئًا إلى جانِب السياسة وإدارة الموارِد، كان يعلَم مثل أي شخص أن الحزام يوفِّر حياة أصعب وأكثر خطورةً مما تُقدِّمه الأرض أو المريخ، ومع ذلك، فقد دعوا هؤلاء الأشخاص -أفضل الناس- من منابع الجاذبية البشرية أن يُلقوا بأنفُسهم في الظلام.

الدافِع للاستكشاف، والتمدُّد، ومُغادرة الوطن للذهاب إلى أبعد مكان مُمكِن في الكون، والآن بعد أن أتاحت لهم بروتوجين وإيروس الفُرصة ليُصبِحوا آلهة، ليعيدوا تشكيل البشرية إلى كائِنات يُمكِن أن تتجاوَز مُجرَّد الآمال والأحلام البشرية، خطر ببال ميلر مدى صعوبة قيام رجال مثل فريد بإبعاد هذا الإغراء.

قال فريد: «لقد قتلت دريسدن، وهذه مُشكِلة».

- «كان لا بد لهذا أن يحدُث».

أجابه فريد: «لست مُتأكِّدًا من ذلك»؛ لكن صوته كان حذرًا، اختبارات، ابتسم ميلر بقليلٍ من الحُزن.

قال: «لهذا السبب كان لا بد له أن يحدُث».

أخبرت الضحكة الصغيرة التي تتظاهَر بكونها سُعالًا ميلر أن فريد يفهمه، وعندما عاد الجنرال لينظُر إليه مرَّة أخرى، كانت نظرته ثابِتة.

- «عندما يتعلَّق الأمر بطاولة المفاوضات، سيتعيَّن على شخصٍ ما أن يُجيب عن ذلك، لقد قتلت رجلًا أعزل».

قال ميلر: «لقد فعلت ذلك».

- «عندما يحين الوقت، سأطعمك بيديَّ إلى الذئاب كأول شيء أعرضه، لن أحميك».

قال ميلر: «لم أطلب منك أن تحميني».

- «حتى لو كان ذلك يعني أن تكون شرطيًّا حزاميًّا سابِقًا في سجنٍ مُساند للأرض؟».

كان كلاهما يعرِف أن هذا تعبير مُلطَّف، قالت جولي: أنت تنتمي إليَّ، وما الذي كان يهم حقًّا، هو كيف وصل إلى هناك؟

قال: «لم أشعُر بالندم»، وصُدم بعد ذلك بلحظةٍ لاكتشاف أن ذلك يكاد يكون حقيقيًّا، أضاف: «إذا كان هناك قاضٍ يُريد أن يسألني عن شيء ما، سأجيبه. أنا أبحث عن وظيفة هنا، وليس عن حماية».

جلس فريد في مقعده، ضيَّق عينيه وغرق في التفكير، انحنى ميلر إلى الأمام في مقعده.

قال فريد: «لقد وضعتني في موقفٍ صعب، أنت تقول كُل الأشياء الصحيحة؛ لكنني أجد صعوبةً في الثقة في أنك ستُتابع، سيكون إبقاؤك

في الدفاتِر أمرًا محفوفًا بالمخاطِر، يُمكِن أن يُضعِف موقفي في مفاوضات السلام».

قال ميلر: «إنها مُخاطرة؛ لكنني كُنت في إيروس وفي محطَّة تحوت، طرت على متن (روسينانت) مع هولدن وطاقمه، وعندما يتعلَّق الأمر بتحليل الجُزيء الأولي وكيف وقعنا في هذه الفوضى، لن تجد أي شخص في وضعٍ أفضل ليمدك بالمعلومات. يُمكِنك أن تُجادِل في أنني أعرف الكثير، وفي أنني ذو قيمة أكبر من أن تتخلى عني».

- «أو خطير للغاية».
- «بالطبع، أو ذلك».

ظلَّا صامتين للحظةٍ، لمع حاجِز من الأضواء بنمط اختبار باللونين الذهبي والأخضر على متن (ناوفو)، ثُم سيطر الظلام.

قال فريد: «مُستشار أمني مُستقِل، لن أعطيك رُتبة».

قال ميلر لنفسه في قليلٍ من التسلية: أنا قذر للغاية بالنسبة لـ (أوبا).

قال: «إذا جاءت الوظيفة مع فراش خاص بي، سأقبلها فورًا». كان ذلك فقط حتى تنتهي الحرب، وبعد ذلك، سيُصبِح لحمًا للآلة. وكان هذا على ما يُرام، استرخى فريد للخلف. أصدر كُرسيه صوت هسيس خافِت في تكوينه الجديد.

قال فريد: «حسنًا، هاك وظيفتك الأولى، أعطني تحليلك، ما أكبر مُشكلاتي؟».

قال ميلر: «الاحتواء».

- «هل تعتقِد أنني لا أستطيع إبقاء معلومات محطَّة تحوت، والجُزيء الأولي سرًّا؟».

قال ميلر: «بالطبع لا يُمكِنك ذلك، فمن ناحيةٍ، هناك كثير من الناس يعرِفون بالفعل، ومن ناحيةٍ أخرى، أحدهم هو هولدن، وإذا لم يكُن قد قام ببث كُل شيء بالفعل على كُل تردُّد فارغ، فسيقوم بذلك قريبًا، وبالإضافة إلى ذلك، لا يُمكِنك إبرام اتفاق سلام دون شرح ما يجري بحق الجحيم، فآجلًا أو عاجلًا، سينكشِف السر».

- «وما نصيحتك؟».

وللحظةٍ، عاد ميلر إلى الظلام، يستمِع إلى أصوات ثرثرة المحطَّة الميِّتة، نادته أصوات الموتى عبر الفراغ

قال: «دافعوا عن إيروس، ستُريد جميع الأطراف عينات من الجُزيء الأولي، سيكون قفل الوصول هو الطريقة الوحيدة لتحجزوا مقعدًا على هذه الطاوِلة».

ضَحِكَ فريد.

قال: «فكرة جيِّدة؛ لكن كيف تقترِح أن نُدافِع عن شيء ما بحجم محطَّة إيروس إذا استعان الأرض والمريخ بقواتها البحرية الفضائية؟».

كانت هذه وجهة نظر جيِّدة، شعر ميلر بالحُزن الشديد على الرغم من أن جولي ماو -الخاصَّة به- ماتت وذهبت، فإنها شعرت بعدم الولاء لهذا القول.

قال: «إذن عليك التخلُّص منه».

قال فريد: «وكيف أفعل ذلك؟ حتى لو قُمنا بترصيع هذا الشيء بالأسلِحة النووية، فكيف لنا أن نتأكَّد ألا تشُق قطعة صغيرة من ذلك الشيء طريقها إلى مُستعمرةٍ، أو أسفل بئر الجاذبية؟ إن تفجير هذا الشيء سيكون بمنزلة نفخ زغب هندباء في النسيم».

لم يكُن ميلر قد رأى هندباء من قبل؛ لكنه كان يرى المُشكِلة. فحتى أصغر جُزء من مادة إيروس اللزجة قد يكون كافيًا لبدء التجربة الشريرة بأكملها مرَّة أخرى، بينما تتغذى المادة على الإشعاع؛ وقد يؤدي تفجير المحطَّة إلى تسريع الشيء على طول مساره الغامِض بدلًا من القضاء عليه، وللتأكُّد من أن عدم انتشار الجُزيء الأولي الموجود على إيروس أبدًا، سيتحتَّم عليهم تفكيك كُل شيء موجود على متن المحطَّة وصولًا إلى الذرَّات المكوِّنة له.

قال ميلر: «عجبًا».

- «عجبًا؟».
- «أجل، لن يُعجِبك هذا».
- «جرِّبني».
- «حسنًا، أنت الذي طلبت، ادفع إيروس إلى الشمس».

قال فريد: «إلى الشمس؟ هل لديك أي فكرة عن مقدار الكُتلة التي نتحدَّث عنها هنا؟».

أومأ ميلر برأسه إلى امتداد النافِذة الواسِع الواضِح، وإلى ساحات البناء الموجودة خلفه إلى (ناوفو).

قال ميلر: «ضع مُحرِّكات ضخمة على هذا الشيء، واحصل على بعض المركبات السريعة خارِج المحطَّة، وتأكَّد من عدم قُدرة أي شخص على الدخول قبل وصولك إلى هناك، قُد (ناوفو) إلى محطَّة إيروس، وادفعها نحو الشمس».

تحوَّل نظر فريد إلى الداخِل بينما كان يقوم بالتخطيط، وبالحسابات.

- «يجب أن أتأكَّد من عدم دخول أي شخص إلى هناك حتى يصل إلى كورونا، سيكون هذا صعبًا؛ لكن الأرض والمريخ على حد سواء مُهتمَّان بمنع الشخص الآخر من امتلاكه بنفس قدر اهتمامهم بالحصول عليه بأنفسهم».

قال لنفسه: أنا آسف لأنني لم أستطِع القيام بما هو أفضل يا جولي؛ لكنها ستكون جنازة لا مثيل لها، تباطأت أنفاس فريد وأصبحت أكثر عُمقًا، وَمَضَ بصره كما لو كان يقرأ شيئًا ما في الهواء لا يراه سواه. لم يُقاطِعه ميلر، حتى عندما اشتدَّ الصمت، وبعد مرور دقيقة تقريبًا، أطلق فريد نفسًا قصيرًا ولافتًا للنظر.

قال: «سيغضب المورمون بشدةٍ».

(٤٥)

هولدن

تتحدَّث ناعومي أثناء نومِها، كانت هذه واحدة من عشرات الأشياء التي لم يكُن هولدن يعرفها عنها قبل الليلة، على الرغم من أنهما كانا قد ناما على أرائِك تحطُّم تبعُد عن بعضها بعضًا عدَّة أقدام في العديد من المُناسبات، فإنه لم يسمعها من قبل قط، والآن، كان بإمكانه الشعور بشفتيها تتحرَّكان، وبالزفير الخافِت المُتقطِّع لكلماتها مع وجود وجهها على صدره العاري؛ لكنه لم يستطِع سماع ما كانت تقوله.

كما كان لديها ندبة على ظهرها فوق ردفها الأيسَر مُباشرةً، كان بطول ثلاث بوصات وبحواف مُتفاوِتةٍ وتموُّجاتٍ ناتِجةٍ عن تمزُّق وليس قطعًا، لن تتسبَّب ناعومي في أن تُطعَن في مُشاجرةٍ في حانةٍ أبدًا، لا بد أنها حدثت أثناء العمل إذن، ربما كانت تتسلَّق في مساحةٍ ضيِّقةٍ في غُرفة المُحرِّك عندما قامَت المركبة بمناورةٍ غير متوقَّعة، يُمكِن لجراح تجميل كفء أن يُخفي الجرح في زيارةٍ واحدةٍ؛ لكنها لم تُزعِج نفسها بذلك، وكان عدم اهتمامها الواضِح شيئًا آخر يتعلَّمه عنها الليلة.

توقَّفت عن التمتمة وضغطت على شفتيها عدة مرَّات، ثُم قالت: «عطشانة».

انزلق هولدن من تحتها وتوجَّه إلى المطبخ عالمًا بأن هذا هو الخنوع الذي طالما صاحَب الحبيبة الجديدة، وخلال الأسبوعين التاليين، لن يكون قادرًا على منع نفسه من تحقيق كُل نزوة قد تكون لدى ناعومي. كان هذا سلوكًا يحمله بعض الرجال على المستوى الجيني، حيث يُريد حمضهم النووي أن يتأكَّد أن المرَّة الأولى لم تكُن محض صُدفة.

كان قد تمَّ ترتيب غُرفتها بشكلٍ مُختلفٍ عن غُرفته، وجعله عدم الإلمام بذلك أخرق في الظلام، تخبَّط في الأرجاء لعدَّة دقائِق وهو يبحث عن كوب في رُكن مطبخها الصغير، وبحلول الوقت الذي وجده فيه، وملأه، وتوجَّه عائدًا إلى الغُرفة، كانت ناعومي جالسةً في فراشها، تجمَّعَت الملاءة على حجرها، تسبَّب له منظرها وهي نصف عاريةٍ في الغُرفة خافِتة الإضاءة بانتصابٍ مُفاجئٍ مُحرِج.

ثبَّتت ناعومي نظراتها على جسده قبل أن تتوقَّف عند وسطه، ثُم على كأس الماء، قالت: «هل هذا لي؟».

لم يعرِف هولدن عمَّا كانت تسأل بالضبط، ولذلك قال: «أجل».

***

- «هل أنتِ نائِمة؟».

كان وجه ناعومي على بطنه، وتنفسها رتيبًا وعميقًا؛ لكن لدهشته قالت: «لا».

- «أيُمكِننا أن نتحدَّث؟».

تدحرَجت ناعومي، وجذبت نفسها إلى أن استلقى وجهها بجانِب وجهه على الوسادة، سقط شعرها على عينيها، مدَّ هولدن يده وأبعده في

خطوةٍ بدت حميمية للغاية، ومُتملِّكة لدرجة أنه اضطرَّ إلى ابتلاع كُتلة في حلقه.

سألت وعيناها نصف مُغطَّاة: «هل أنت على وشك أن تكون جادًّا معي؟».

قال وهو يُقبِّل جبهتها: «أجل، أنا كذلك».

قالت: «لم أحصُل على حبيب منذ ما يزيد على عام، أنا أحادية العلاقة، ولذلك فبقدر ما أشعُر بالقلق، هذه علاقة بحقوقٍ حصريَّةٍ إلى أن يُقرِّر أحدنا أنها ليست كذلك، لن تكون هناك أي مشاعِر قاسية، طالما تلقيت تحذيرًا مُسبقًا بأنك قرَّرت إنهاء العلاقة، أنا مُنفتِحة على فكرة أن الأمر أكثر من مُجرَّد جنس؛ لكن في تجربتي سيحدُث ذلك من تلقاء نفسه إذا كان سيحدُث، وإذا كان يهمك الأمر، فلديَّ بويضات في مخزن يوروبا ولونا».

تدحرَجَت مُرتفعةً على مرفقها، ووجهها يحوم فوق رأسه.

سألته: «هل غطيت كُل شيء؟».

قال: «لا؛ لكنني أوافِق على الشروط».

انقلبت على ظهرها، وأطلقت سراح تنهيدة طويلة مليئة بالرضا.

- «جيِّد».

أراد هولدن أن يضُمها؛ لكن شعر بالحر الشديد وبلزوجة العرق، ولذلك مدَّ يده وأمسك بيدها بدلًا من ذلك. أراد أن يُخبرها بأن هذا يعني شيئًا ما، وأنه بالفعل أكثر من مُجرَّد جنس بالنسبة له؛ لكن كُل الكلِمات التي جرَّبها في رأسه بدت وكأنها مُزيَّفة أو تجيش بالمشاعِر.

وبدلًا من ذلك، قال: «شكرًا»؛ لكنها كانت تشخر بهدوءٍ بالفعل.

***

مارسا الجنس مرَّة أخرى في الصباح بعد ليلة طويلة تخلَّلها قليل من النوم، انتهى الأمر بجُهدٍ أكثر بكثيرٍ من مُجرَّد تنفيس بالنسبة لهولدن؛ لكن كان هناك مُتعة في ذلك أيضًا، كما لو كان كُل ما هو أقل من الجنس الذي يُعطي شعورًا هائلًا بالمُتعة يعني بطريقةٍ ما شيئًا مُختلفًا وأكثر تسليةً ولطفًا مما قاما به بالفعل، وبعد ذلك، دخل هولدن إلى المطبخ وأعدَّ قهوة، ثُم جلبها إلى الفراش فوق صينية، شربا القهوة دون أن ينبسا ببنت شفة، حضر بعد الخجل الذي تجنَّباه في الليلة السابِقة الآن في صباح الغُرفة الصناعي الذي صنعته مصابيح الليد.

وضعت ناعومي فنجان قهوتها الفارغ، ولمست الورم الذي شُفي بشكلٍ سيئ في أنفه المكسور مؤخَّرًا.

سألها هولدن: «هل هو قبيح؟».

قالت: «لا، لقد كُنت مثاليًّا جدًّا من قبل، ويجعلك هذا تبدو أكثر فخامةً».

ضَحِكَ هولدن وهو يقول: «تبدو هذه ككلمةٍ تُستخدم لوصف رجل سمين، أو أستاذ تاريخ».

ابتسمت ناعومي ولمست صدره بلُطفٍ بأطراف أصابعها، لم تكُن محاولة لإثارته؛ بل كانت استكشافًا للذي سيحدُث بعدما يُزيل الشبع الجنس من المُعادلة، حاوَل هولدن أن يتذكَّر آخر مرَّة كانت فيها العقليَّة البارِدة التي تتبع مُمارسة الجنس مُريحة؛ لكن ربما لم يحدُث ذلك أبدًا، كان يُخطِّط لقضاء ما تبقى من اليوم في فراش ناعومي، يقرأ في عُجالةٍ قائمة

ذهنية للمطاعِم الموجودة في المحطَّة، والتي تُقدِّم خدمة توصيل الطعام، عندما بدأ جهازه اللوحي يطن على المنضدة.

قال: «اللعنة».

قالت ناعومي وهي تُحرِّك أناملها المُستكشِفة نحو معدته: «ليس عليك أن تُجيب على ذلك».

قال هولدن: «لقد كُنتِ مُنتبِهة خلال الشهرين الماضيين، أليس كذلك؟ ما لم يكُن ذلك رقمًا خاطِئًا، فمن المُحتمل أن نوعًا من أنواع هراء نهاية النظام الشمسي، وليس لدينا سوى خمس دقائِق لإخلاء المحطَّة».

قبَّلت ناعومي ضلوعه، وهو الأمر الذي دغدغه وجعله يشُك في افتراضاته حول فترة المقاوَمة الخاصَّة به في الوقت نفسه.

قالت: «هذا ليس مُضحِكًا».

تنهَّد هولدن وأمسك بجهازه اللوحي من فوق المنضدة، وَمض اسم فريد أثناء طنينه مرَّة أُخرى

قال: «إنه فريد».

توقَّفت ناعومي عن تقبيله وجلست على الفراش.

- «أجل، إذن فربما تكون أخبارًا غير جيِّدة».

نَقَر هولدن على الشاشة لقبول المُكالمة وقال: «فريد».

- «تعالَ لرؤيتي في أقرب فُرصة مُمكِنة يا جيم، الأمر مُهِم».

أجابه هولدن: «حسنًا، سأكون هناك في غضون نصف ساعة».

أنهى المُكالمة، وألقى بجهازه اللوحي عبر الغُرفة فوق كومة الملابِس التي تركها عند سفح الفراش، قال وهو يُبعِد الملاءة وينهض: «سأذهب للاستحمام، ثُم سأذهب لأرى ما يُريده فريد».

سألته ناعومي: «هل يجِب أن آتي أيضًا؟».

- «هل تمزحين؟ لن أدعكِ تبتعدين عن عيني مرَّة أخرى».

أجابته ناعومي: «لا تُخفني منك»؛ لكنها كانت تبتسِم عندما قالت ذلك.

***

كانت المُفاجأة غير سارَّة، الأولى: هي جلوس ميلر في مكتب فريد عندما وصلا، أومأ هولدن برأسه للرجل مرَّة، ثُم قال لفريد: «نحن هنا، ما الأخبار؟».

أشار فريد لهما ليجلِسا، وعندما فعلا قال: «كُنا نُناقِش ما يجب فعله بشأن إيروس».

هزَّ هولدن كتفيه قائلًا: «حسنًا، ماذا عنه؟».

- «يعتقِد ميلر أن شخصًا ما سيحاوِل الهبوط هناك لاستعادة بعض عيِّنات الجُزيء الأولي».

قال هولدن بإيماءةٍ: «ليس لديَّ مُشكلة في الاعتقاد بأن شخصًا ما سيكون بهذا الغباء».

وقف فريد ونقر على شيءٍ ما في مكتبه، فتحوَّلت الشاشات التي عادةً ما تعرِض منظرًا لبناء (ناوفو) بالخارِج فجأة إلى خريطةٍ ثنائية الأبعاد للنظام الشمسي، حدَّدت أضواء صغيرة بألوانٍ مُختلفةٍ مواقِع الأسطول،

حاصر سرب غاضِب من النقاط الخضراء المريخ. افترض هولدن أن هذا يعني أن اللون الأخضر خاص بالمركبات الأرضيَّة. كان هناك الكثير من النقاط الحمراء والصفراء في الحزام والكواكِب الخارجيَّة، على الأرجح فاللون الأحمر خاص بالمريخ إذن.

قال هولدن: «خريطة لطيفة، هل هي دقيقة؟».

قال فريد: «بشكلٍ معقولٍ». قام ببضع نقرات سريعة على مكتبه، قام بتكبير أحد أجزاء الحِزام، ملأت كُتلة على شكل ثمرة بطاطِس مكتوب عليها (إيروس) مُنتصف الشاشة، اتجهت نُقطتان خضراوتان صغيرتان نحوه من على بُعد عدَّة أمتار.

- «هذه مركبة علوم الأرض (تشارلز لايل) تتحرَّك نحو إيروس بسُرعتها القصوى، تصحبها ما نعتقِد أنها مركبة مُرافقة من طراز فانتوم».

قال هولدن: «ابنة عم (روسي) في البحرية الفضائية الأرضية».

أجابه فريد: «حسنًا، طراز فانتوم من فئة أقدم، وتم تعيينه للقيام بمهام الصف الخلفي إلى حدٍّ كبيرٍ؛ لكن لا يزال هناك أكثر من تطابُق مع أي شيء يُمكِن لـ (أوبا) أن تصنعه سريعًا».

قال هولدن: «وعلى الرغم من ذلك، فهذا بالضبط هو نوع المركبات التي ستُرافِق المركبات العلمية في الأنحاء، كيف ذهبنا إلى هناك بهذه السرعة؟ ولماذا لا يوجد سوى اثنتين فقط؟».

قام فريد بإبعاد الخريطة حتى أصبحت مشهدًا بعيدًا للنظام الشمسي بأكمله مرَّة أخرى.

- «محض حظ سيئ، كانت (لايل) عائِدة إلى الأرض من مُهمة رسم خرائِط الكويكبات غير الحزامية عندما غيَّرت مسارها نحو إيروس، كانت قريبة؛ في حين لم يكُن أحد آخر قريبًا، لا بُدَّ أن الأرض قد رأت فُرصة مواتية لأخذ عيِّنة بينما كان الجميع يُفكِّرون فيما يجب عليهم فعله».

نَظَر هولدن إلى ناعومي؛ لكن تعبيرات وجهها كانت غير مقروءة، بينما كان ميلر يُحدِّق فيه كعالِم حشرات يحاوِل معرفة أين ذهب الدبوس بالضبط.

قال هولدن: «إنهم يعرفون بذلك إذن؟ بشأن بروتوجين وإيروس؟».

قال فريد: «نفترِض ذلك».

- «تُريدنا أن نُطاردهم بعيدًا؟ أعني، أعتقِد أننا نستطيع القيام بذلك؛ لكن هذا لن ينجح إلا حتى تتمكَّن الأرض من إعادة توجيه بضع مركبات أخرى لدعمها، لن نتمكَّن من توفير الكثير من الوقت».

ابتسم فريد.

قال: «لن نحتاج إلى الكثير، فلدينا خطَّة».

أومأ هولدن برأسه مُنتظرًا سماع الخطَّة؛ لكن فريد جلس واسترخى للخلف في مقعده، وقف ميلر وغيَّر المنظر الموجود على الشاشة إلى لقطةٍ مُقرَّبةٍ من سطح إيروس.

قال هولدن لنفسه: والآن، سنعرِف سبب احتفاظ فريد بهذا الوضيع؛ لكنه لم يقُل شيئًا.

أشار ميلر إلى صورة إيروس.

قال المُحقِّق السابِق: «إن إيروس محطَّة قديمة بها الكثير من الأمور الزائِدة عن الحاجة، تحتوي على الكثير من الثقوب على سطحها، مُعظمها غُرف مُعادلة ضغط صغيرة، تتوزَّع الأرصفة الكبيرة في خمس مجموعات رئيسة حول المحطَّة، نتطلَّع إلى إرسال ست مركبات شحن للإمداد إلى إيروس، بالإضافة إلى (روسينانت)، ستمنع (روسي) المركبة العلمية من الهبوط، بينما ستؤمِّن مركبات الشحن وصولها إلى المحطَّة، واحدة في كُل رصيف رسو مركبات».

قال هولدن: «هل سترُسلون أشخاصًا إلى هناك؟».

أجابه ميلر: «ليس إلى هناك؛ بل على متنها للقيام بالعمل السطحي. على أي حال، ستقوم مركبة الشحن السادِسة بإجلاء الطواقِم بمُجرَّد أن ترسو الأخريات، ستحتوي كُل مركبة شحن مهجورة على بضع عشرات من الرؤوس الحربية عالية القُدرة، والموصولة بأجهزة كاشفة للقُرب من المركبات. وعندما يحاوِل أي شيء الهبوط على الأرصِفة، سيحدُث انفجار اندماجي بقوة بضع مئات ميجا طن، وسيكون هذا كافيًا لتدمير المركبة المُقترِبة؛ لكن وحتى إذا لم يحدُث ذلك، فإن الأرصِفة ستكون مُدمَّرة للغاية بحيث لا يُمكِن الهبوط فيها».

سعلت ناعومي لتُنظِّف حلقها قبل أن تقول: «لدى كُل من الأمم المُتحدَّة والمريخ فرق تفجير، وسيكتشِفون كيفية تجاوُز الأفخاخ المُتفجِّرة».

وافقها فريد الرأي قائلًا: «سيمُدنا هذا بما يكفي من الوقت».

تابَع ميلر حديثه كما لو أنه لم تتم مُقاطعته.

- «القنابِل ليست سوى خط ثانٍ للردع، تأتي (روسينانت) في المقام الأول، والقنابِل ثانيًا. يجِب أن نوفِّر لرجال فريد الوقت الكافي لإعداد (ناوفو) ».

قال هولدن: « (ناوفو)؟». وبعد نصف ثانية، أطلقت ناعومي صفيرًا خافِتًا، أومأ ميلر لها برأسه كما لو كان يقبَل الإطراء.

«سنُطلِق (ناوفو) في مسارٍ مجازي طويلٍ لتتزايد سُرعتها، وستضرب إيروس بسُرعةٍ وزاويةٍ محسوبتين لدفع إيروس نحو الشمس، وسنُفجِّر القنابِل أيضًا، واكتشفنا أنه ما بين طاقة الصدمة والرؤوس الحربية الاندماجية، سيكون سطح إيروس ساخنًا ومُشعًّا بدرجةٍ كافيةٍ لطهي أي شيء يحاوِل الهبوط حتى يفوت أوان ذلك». انتهى ميلر من حديثه، ثُم جلس مرَّة أخرى، نَظَر إلى الأعلى كما لو كان ينتظِر ردَّة فعل.

سأل هولدن ميلر: «هل هذه فكرتك؟».

- «الجُزء الخاص بـ (ناوفو) كان فكرتي؛ لكننا لم نكُن نعرِف بشأن (لايل) عندما تحدَّثنا عن ذلك للمرَّة الأولى، أما ما يتعلَّق بالفخ المُتفجِّر فكان نوعًا من الارتجال، وعلى الرغم من ذلك، أعتقِد أنه سينجح، وعلى الرغم من ذلك، وفروا لنا الوقت الكافي».

قال هولدن: «موافِق، نحن بحاجةٍ إلى إبقاء إيروس بعيدًا عن أيدي أي شخص، ولا يُمكِنني التفكير في طريقةٍ أفضل للقيام بذلك، سنُشارِك، وسنُبقي المركبة العلمية بعيدًا ريثما تقوم بعملك».

انحنى فريد للأمام في مقعده الذي أصدر صوت صرير وقال: «كُنت أعرِف أنك ستُشارِك، بينما كان ميلر أكثر تشكُّكًا».

قال المُحقِّق بابتسامةٍ خاليةٍ من الفُكاهة: «بدا إلقاء مليون شخص في الشمس كأمرٍ قد ترفُضه».

- «لم يتبقَّ أي شيء بشري في تلك المحطَّة؛ لكن ما دورك في كُل هذا؟ هل ستلعب في مركز الظهير الخلفي الآن؟».

خرج منه هذا السؤال أقبح مما كان ينوي؛ لكن ميلر لم يبدُ وأنه قد تعرَّض للإهانة.

- «سأقوم بتنسيق قوَّات الأمن».
- «قوَّات الأمن؟ لماذا يحتاجون إلى قوَّات الأمن؟».

ابتسم ميلر، بدت جميع ابتساماته وكأنه قد سَمِع نُكتة جيِّدة أثناء جنازة.

قال: «في حال زحف شيء ما من غُرفة مُعادلة الضغط، في محاولةٍ للصعود على متن رحلة».

عَبَسَ هولدن قائلًا: «لا أحِب أن أفكِّر في أنه يُمكِن لهذه الأشياء الخروج إلى الفضاء، لا أحِب هذه الفكرة على الإطلاق».

أجابه ميلر: «أعتقِد أن هذا الأمر لن يكون مُهمًّا للغاية، بمُجرَّد أن نرفع درجة حرارة سطح إيروس إلى عشرة آلاف درجة، ابق بأمان حتى ذلك الحين».

وجد هولدن نفسه يتمنى لو أنه يتشارك مع المُحقِّق في ثقته.

سألت ناعومي: «ما احتمالات أن يؤدي الاصطدام والانفجارات إلى تقسيم إيروس إلى مليون قطعة، وبعثرتها في جميع أنحاء النظام الشمسي؟».

أجابها ميلر: «استشار فريد بعض أفضل المُهندسين ليقوموا بحساب كُل شيء بدقةٍ بالغةٍ للتأكُّد من عدم حدوث ذلك، فقد ساعدت تايكو في بناء إيروس في المقام الأول، ولديهم المُخطَّطات».

قال فريد: «دعونا نتعامَل مع الجُزء الأخير من الخطة إذن».

انتظر هولدن.

سأله فريد: «ألا يزال لديك الجُزيء الأولي؟».

أومأ هولدن برأسه مرَّة أخرى قائلًا: «و؟».

أجابه فريد: «وكادت مركبتك تتحطَّم تمامًا في المرة الأخيرة التي أرسلناك فيها إلى الخارِج، بمُجرَّد أن يتم تفجير إيروس، ستكون هذه هي العينة الوحيدة المؤكَّد وجودها في الجِوار خارِج ما قد لا يزال موجودًا في فيبي، لا أجد أي سبب يدفعني للسماح لك بالاحتفاظ به، أريده أن يبقى هنا على متن تايكو عندما ترحل».

وقف هولدن وهزَّ رأسه.

- «أنا مُعجب بك يا فريد؛ لكنني لن أسلِّم هذه الأشياء إلى أي شخص قد يراها كورقة مساوَمة».

قال فريد: «لا أعتقِد أن لديك الكثير من...»؛ لكن هولدن رفع إصبعه ليُقاطِعه، وبينما كان فريد يُحدِّق به في دهشةٍ، أمسك بجهازه اللوحي وفَتَح قناة اتصال الطاقم.

- «أليكس، أموس، هل أيكما على متن المركبة؟».

قال أموس بعد لحظة واحِدة: «أنا هنا، أنهي بعض الـ...».

قال هولدن على الفور: «أغلقها في الحال، أحكِم إغلاقها فورًا، وإذا لم أتصِل بك في غضون ساعة، أو إذا حاول أي شخص غيري الصعود على متن المركبة، غادِر الرصيف، وابتعد عن تايكو بأقصى سُرعة مُمكِنة، سأترك لك حُرية اختيار الوجهة، لديك حُرية إطلاق النار إذا ما تحتَّم عليك ذلك، هل تسمعني؟».

قال أموس: «أسمعك بوضوحٍ يا قُبطان». لو كان هولدن قد طلب منه إحضار كوب من القهوة، لكان صوت أموس هو نفسه تمامًا.

كان فريد لا يزال يُحدِّق به بريبةٍ.

قال هولدن: «لن تُجبرني على القيام بذلك يا فريد».

قال فريد بصوتٍ خافتٍ ومُخيفٍ: «إذا كُنت تعتقِد أن بإمكانك أن تُهددني، فأنت مُخطئ».

ضَحِكَ ميلر.

سأله فريد: «هل هناك شيء مُضحِك؟».

أجابه ميلر: «لم يكُن هذا تهديدًا».

- «لم يكُن؟ ماذا تُطلِق عليه إذن؟».

قال ميلر وهو يُمدِّد كلماته ببطءٍ وهو يتحدَّث: «تقرير دقيق عن العالم، إذا كان أليكس هو الموجود على متن المركبة، لظنَّ أن القُبطان يحاوِل إثارة خوف شخص ما، وربما يتراجَع في اللحظة الأخيرة، أما أموس؟ سيُطلِق أموس النار أثناء رحيله بكُل تأكيد، حتى لو كان هذا يعني أنه سيسقُط بالمركبة».

عبس فريد، وهزَّ ميلر رأسه.

قال ميلر: «هذه ليست خُدعة، فلا تُطلِق عليها ذلك».

ضاقت عينا فريد، وتساءل هولدن عمّا إذا كان قد تمادى في التعامُل مع الرجُل، ومن المؤكّد أنه لن يكون أول شخص يأمر فريد جونسون بإطلاق النار عليه، كان ميلر يقِف بجواره، ومن المُحتمَل أن يقوم المُحقّق غير المُتّزِن بإطلاق النار عليه عند أول تلميح من أي شخص يعتقِد أنها فكرة جيِّدة، لقد هزَّ مُجرّد وجود ميلر هنا ثقة هولدن في فريد.

مما جعل إنقاذ ميلر له الأمر يبدو أكثر غرابةً.

قال المُحقِّق: «انظُر، الحقيقة هي أن هولدن هو أفضل شخص يُمكِنه حمل هذا القرف حتى تُقرِّر ما يجب فعله به».

قال فريد بصوتٍ مليءٍ بالغضب: «أخبرني بقصدك».

- «بمُجرَّد صعود إيروس، سيكون هو و(روسي) سهلي المنال، وقد يكون هناك شخص ما غاضِب بما فيه الكفاية ليقصِفه وفقًا للمبادئ العامة».

سأله فريد: «وكيف يجعل ذلك العيِّنة أكثر أمانًا معه؟»؛ لكن هولدن كان قد فَهِم وجهة نظر ميلر.

قال: «قد يكونون أقل ميلًا لتفجيري إذا أخبرتهم بأنني قد حصلت على العيِّنة، وعلى جميع مُلاحظات بروتوجين».

قال ميلر: «لن يجعل ذلك العيِّنة أكثر أمانًا؛ لكنه يزيد من احتمالية نجاح المهمة، وهذا هو بيت القصيد، أليس كذلك؟ كما أنه مثالي، اعرض على هولدن أن تزنه بالذهب، وسيشعُر بالإهانة لأنك حاولت رشوته».

ضَحِكَت ناعومي، نظر إليها ميلر وابتسامة صغيرة تشُق طريقها إلى زاوية فمه، ثُم عاد لينظُر إلى فريد.

سأله فريد: «هل تقول إنه يُمكِن الوثوق به بينما لا يُمكِن الوثوق بي؟».

قال ميلر: «كُنت أفكّر في الطاقم أكثر، فلدى هولدن مجموعة صغيرة يفعلون ما يقوله، يعتقِدون أنه صالح، وبأنهم صالحون بالتبعيَّة».

قال فريد: «وقومي يتبعونني».

كانت ابتسامة ميلر هزيلة وحصينة.

قال: «هناك الكثير من الأشخاص في (أوبا) ».

قال فريد: «المخاطِر كبيرة للغاية».

قال ميلر: «إذا كُنت تبحث عن الأمان، فأنت تعمَل فِي مهنة خاطِئة، لا أقول إنها خطَّة رائِعة؛ لكنك لن تحصُل على خطةٍ أفضل».

لمعت عيون فريد بأجزاءٍ متساويةٍ من الغضب والإحباط، تحرَّك فكُّه بصمتٍ للحظةٍ قبل أن يتحدَّث:

- «أشعُر بخيبة أمل بسبب افتقادك للثقة بعد كُل ما فعلته من أجلك أنت ورجالك يا قُبطان هولدن».

قال هولدن: «إذا كان الجنس البشري لا يزال موجودًا بعد مرور شهر من الآن، فسأعتذِر».

- «انطلِق بطاقمك إلى إيروس قبل أن أغيِّر رأيي».

نَهَضَ هولدن، أومأ برأسه إلى فريد، وغادر، سارت ناعومي بجواره.

قال هامسًا: «عجبًا، لقد كان ذلك وشيكًا».

قال هولدن بمُجرَّد مُغادرتها للمكتب: «أعتقِد أن فريد كان على وشك أن يأمُر ميلر بإطلاق النار عليّ».

- «ميلر في صفِّنا، ألم تتبيَّن ذلك بعد؟».

(٤٦)
ميلر

كان ميلر يعلَم عندما اتخذ جانِب هولدن ضد رئيسه الجديد أنه ستكون هناك عواقِب، كان موقِفه مع فريد ومع (أوبا) ضعيفًا في البداية، والإشارة إلى أن هولدن وطاقمه ليسوا أكثر تفانيًا فحسب؛ بل هُم أيضًا أكثر جدارة بالثقة من رجال فريد، لم يكُن الشيء الذي ينبغي لك أن تفعله عندما تتملَّق شخصًا ما، وعلى الرغم من أنها كانت حقيقة، فإنها زادت الطين بلَّة.

توقَّع أن يكون هناك نوع من الثأر، فمن السذاجة عدم القيام بذلك.

غنَّى المقاومون: «انهضوا يا رجال الله في حشدٍ واحدٍ مُتحِد، اجلبوا أيام الأخوَّة، وأنهوا ليالي الخطأ... ».

خَلَع ميلر قُبعته، ومرَّر أصابعه في شعره الخفيف، لن يكون اليوم جيِّدًا.

كَشَفَ الجُزء الداخلي من (ناوفو) مزيدًا من العمل والترقيع أكثر مما أشار إليه بدنها، كان طولها يبلغ كيلومترين، وقد بناها مُصمِّموها لتكون أكثر من مُجرَّد مركبة كبيرة، تكدَّست الطوابِق العظيمة فوق بعضها بعضًا؛ عملت العوارِض المصنوعة من السبائِك بشكلٍ عضوي مع ما كان يُمكِن

أن يكون مروجًا ريفية، بينما ردَّد الهيكل صدى أعظم كاتدرائيات الأرض والمريخ، وهي ترتفِع خلال الهواء الفارغ لتُعطي جاذبية الدفع ثباتًا ولله مجدًّا، كانت لا تزال عبارة عن عظام معدنيَّة وركيزة زراعية منسوجة؛ لكن كان بإمكان ميلر أن يرى إلى أين يتجه كُل شيء.

كانت مركبة الأجيال بمنزلة بيان للطموح الشامِل والإيمان المُطلَق، وكان المورمون يعرِفون ذلك، وكانوا يلتفُّون حولها، كانوا قد بنوا مركبة لتكون عبارة عن صلاة وتقوى واحتفال في الوقت نفسه، وستكون (ناوفو) هي أعظَم معبَد بناه البشر على الإطلاق، وسترعى طاقمها عبر الخلجان غير قابِلة للعبور في فضاء ما بين النجوم، وأفضل أمل للبشرية في الوصول إلى النجوم.

أو كان يُمكِن لها أن تكون كذلك لولاه.

سأله ديوجو: «هل تُريدنا أن نُخدِّرهُم؟».

فكَّر ميلر في رجال المقاوَمة -على سبيل التقدير- ربما يكون هناك مائتان منهم مُعلَّقين في سلاسِل مُتصِلة عبر مسارات الوصول والقنوات الهندسية، توقَّفت مصاعِد النقل وصناعات (والدوس) عن العمل، وأظلَمَت شاشاتها، وتوقَّفت بطارياتها عن العمل.

تنهَّد ميلر قائلًا: «أجل، على الأرجح ينبغي لك القيام بذلك».

كان عدد أفراد الفريق الأمني -فريقه الأمني- أقل من ثلاثين فردًا، كان قد تمَّ توحيد الرجال والنساء من خلال شارات الذراع الخاصَّة بـ (أوبا) أكثر من تدريبهم، أو خبرتهم، أو ولائهم، أو سياستهم، وإذا ما اختار المورمون العُنف، لسالت الدماء أنهارًا، وإذا ارتدوا بدلاتهم الفضائية، لاستمرَّ الاحتجاج لساعاتٍ، وربما لأيامٍ، وبدلًا من ذلك،

أعطى ديوجو الإشارة، وبعد ثلاث دقائق، قفزت أربعة مُذنَّبات إلى الفضاء الخالي من الجاذبية، وهي تُطلِق من ذيولها رباعي الهيدروكانابينول وغاز (NNLPA).

كان ذلك ألطَف وأرق جهاز مُكافحة شغب في الترسانة، على الرغم من أنه كان من المُمكِن أن يضع المُتظاهرين الذين يعانون من ضعف في الرئتين في مأزقٍ، فإنه في غضون نصف ساعة، سيسترخون جميعًا في حالةٍ قريبةٍ من الذهول، وسيشعرون بالخفَّة مثل طائرة ورقيَّة، لم يكُن مزيج غازات (رباعي الهيدروكانابينول) أو غاز (NNLPA) مزيجًا استخدمه ميلر على متن سيريس على الإطلاق، وكان يُسرَق من أجل حفلات المكتب إذا حاولوا تخزينه. حاول أن يجد بعض الراحة في تلك الفكرة، كما لو كان سيعوِّض عن أحلام العُمر وعن العمل الذي كان يسلبهم منه.

ضَحِك ديوجو بجواره.

استغرقهم الأمر ثلاث ساعات للقيام بعملية المسح الأولية للمركبة، وخمسًا أخريات لُمطاردة جميع المُسافرين خلسة الذين تجمَّعوا في القنوات وغُرف الأمن، وقبَعوا في انتظار الكشف عن وجودهم في اللحظة الأخيرة لتخريب المهمة، وعندما تمَّ نقل هؤلاء من المركبة وهُم يبكون، تساءل ميلر عما إذا كان قد أنقذ حياتهم للتو، وإذا كان كُل ما فعله في حياته هو منع فريد جونسون من اتخاذ قرار بشأن السماح لعددٍ قليلٍ من الأبرياء بالموت مع (ناوفو)، أو المُخاطرة بإبقاء إيروس حول الكواكِب الداخلية، وهو الأمر الذي لم يكُن سيئًا للغاية.

وبمُجرَّد أن أعطى ميلر الأمر، انطلق فريق (أوبا) التكنولوچي إلى العمل، وأعاد تشغيل (والدوس) ووسائِل النقل، وإصلاح مئات الأعمال التخريبية الصغيرة التي كان من شأنها أن تمنع مُحرِّكات (ناوفو)

عن العمل، وإخراج المُعدَّات التي أرادوا الحفاظ عليها. شاهَد ميلر المصاعِد الصناعية الكبيرة بما يكفي لإيواء أسرة مكوَّنة من خمسة صناديق تصعد واحدًا تلو الآخر؛ لتنقِل الأشياء التي تمَّ نقلها مؤخَّرًا. كانت الأرصفة مشغولة مثل سيريس في مُنتصف نوبة عمل، كاد ميلر يتوقَّع أن يرى زُملاءه القدامى يتجوَّلون بين عُمَّال التحميل، وأنابيب الرفع للحفاظ على السلام.

وفِي اللحظات الهادِئة، كان يقوم بضبط جهازه اللوحي على بث إيروس، عندما كان طفلًا، كان هناك فنانة استعراضية تقوم بالجولات -كان اسمها چيلا سرورومايا- كانت قد أفسدت أجهزة تخزين البيانات عمدًا حسبما يتذكَّر، ثُم أدخلت تدفُّق البيانات عبر مجموعة الموسيقى الخاصَّة بها، وتورَّطت فِي المتاعِب عندما تمَّ دمج بعض شفرات برمجة جهاز التخزين بموسيقاها ونشرها. لم يكُن ميلر مُحنَّكًا؛ لكنه كان قد وَجَدَ فنانًا مجنونًا آخر يجب أن يحصُل على وظيفةٍ حقيقيةٍ، ولا يُمكِن أن يكون هناك مكان أفضل من الكون.

واعتقد عند الاستماع إلى بث إيروس -أو إذاعة راديو إيروس الحُرَّة، كما كان يُطلِق عليها- أنه ربما كان قاسيًا بعض الشيء مع چيلا العجوز؛ حيث كان صرير، وشوشرة، وتدفُّق الضوضاء الفارِغة التي تتخلَّلها الأصوات مُخيفًا وقاتِمًا، كانت موسيقى الفساد مثل تدفُّق البيانات المُعطَّل.

صدح الصوت بالفنلندية قائلًا: «...جفَّف القيح ويُمكِن أن يشعُر بتحسُّنٍ... وقُمت من بين الأموات والقدر المُهين يُجبِرني أنا وشقيقتي...».

قبل أن يُضيف بالإنجليزية: «افعل ما يجِب عليك فعله...».

كان يُنصِت السمع للبث لساعاتٍ مُستخرِجًا الأصوات. ذات مرَّة، كان كُل شيء يُرفرِف، يقطَع ويخرُج مثل قطعة من المُعدَّات على وشك الانهيار، لم يتساءل ميلر عمَّا إذا كانت لعثمة الصمت عبارة عن شفرة مورس إلا بعد استئنافها. اتكأ على الحاجِز، وكُتلة (ناوفو) الهائِلة ترتفِع من فوقه، لم يكتمِل بناء المركبة وها قد حُكِم عليها بتقديم التضحية بالفعل، جلست جوليا بجواره، ونظرت للأعلى، تطايَر شعرها حول وجهها؛ لم تتوقَّف عيناها عن الابتسام، وشكر خُدعة الخيال التي منعت جولييت أندروميدا ماو الخيالية الخاصَّة به من العودة إليه كجُثةٍ مهما كانت.

قالت: كان من المُمكِن أن تكون شيئًا هائلًا، أليس كذلك؟ تطير عبر الفضاء دون بدلة، تنام لمئات السنوات، وتستيقظ في ضوء شمس مُختلِفة.

قال ميلر بصوتٍ عالٍ: «لم أُطلِق تلك اللعينة بسُرعةٍ كافية».

كان يُمكِن أن يُعطينا النجوم.

اندلع صوت جديد، صوت بشري يرتعِد غضبًا.

- «يا عدو المسيح!».

رَمَش ميلر، وعاد إلى الواقِع، أغلَق بث إيروس، شقَّت وسيلة نقل مساجين طريقها البطيء عبر الميناء، حيث رُبِط عشرة من فنيي المورمون بأعمِدة كبح الجماح، كان أحدهم شابًّا بوجهٍ مليءٍ بالحبوب وعينين مليئتين بالكراهية، كان يُحدِّق في ميلر.

- «أنت عدو للمسيح، أنت عذر الإنسانية الحقير! الله يعرِفك! وسيتذكَّرك!».

ميَّل ميلر قُبعته تحيةً بينما كان السجناء يُنقلون.

قال بصوتٍ خافتٍ للغاية لدرجة أن أحدًا لم يسمعه سوى جولي: «ستكون النجوم أفضل حالًا بدوننا».

***

حلَّقت عشرات القاطِرات قبل (ناوفو) تحمِل شبكة من حبال أنابيب النانو غير المرئية من هذه المسافة، كُل ما رآه ميلر كان العملاق العظيم الذي كان جزءًا من محطَّة تايكو مثل الحواجِز والهواء، يتقلَّب في فراشه، يهتز قبل أن يبدأ في الحركة. أضاءت مشاعِل مُحرِّكات القاطِرات مساحة المحطَّة الداخلية، تومِض وهي تقوم بواجباتها المُصمَّمة بإتقانٍ مثل أضواء أعياد الميلاد، سرت قشعريرة باطنية تقريبًا عبر عظام تايكو الفولاذية العميقة، في غضون ثماني ساعات، ستكون (ناوفو) بعيدةً بما فيه الكفاية بحيث يُمكِن تشغيل مُحرِّكاتها الرائِعة دون تعريض المحطَّة للخطر بسبب عمود العادِم، وقد يمُر أكثر من أسبوعين بعد ذلك قبل أن تصل إلى إيروس.

سينطلِق بها ميلر هناك بمقدار ثمانين ساعة.

قال ديوجو بلُغته الحزامية: «هل أنت جاهِز أيها العجوز؟».

قال ميلر مُتنهدًا: «أجل، أنا جاهِز، لنجمع الجميع سويًّا».

ابتسم الفتى، أضاف ديوجو زخارِف بلاستيكية حمراء زاهية لثلاثةٍ من أسنانه الأمامية في الساعات التي انقضت منذ أن تمَّ الاستيلاء على (ناوفو)، ويبدو أن هذا كان يحمِل مغزى عميقًا في ثقافة الشباب في محطَّة تايكو، وكانت تدُل على البراعة، وربما كان لها مغزى جنسي، شعر ميلر بالارتياح للحظةٍ لأنه لم يعُد يبيت لياليه في بيت الفتى بعد الآن.

أصبحت الطبيعة غير النظامية للمجموعة الآن أكثر وضوحًا له من أي وقت مضى بعد أن أصبح يُدير عمليات أمنية لصالِح (أوبا)، كان هناك وقت يعتقِد فيه أن (أوبا) قد تكون شيئًا يُمكِن له أن يهزِم الأرض أو المريخ عندما يتعلَّق الأمر بحربٍ حقيقيةٍ، وبالتأكيد كان لديهم أموال ومصادِر أكثر مما كان يعتقِد، وكان لديهم فريد جونسون، والآن كان لديهم سيريس طالما أنهم يستطيعون الاحتفاظ بها، وقد اجتاحوا محطَّة ثحوت وانتصروا.

وعلى الرغم من ذلك، فإن نفس الفتية الذين ذهب معهم إلى الهجوم كانوا يعمَلون في السيطرة على الحشود على متن (ناوفو)، وسيكون أكثر من نصفهم على متن مركبة التدمير عندما تُغادِر إلى إيروس، كان هذا هو الشيء الذي لم يكُن هافلوك ليفهمه أبدًا، وفي هذا الصدد، كان هذا هو الشيء الذي لم يكُن هولدن ليفهمه أبدًا، ربما لا يُمكِن لأي شخص عاش مُتسلِّحًا باليقين والدعم في جو طبيعي أن يقبل تمامًا قوَّة وهشاشة المُجتمع القائِم على القيام بما يجب القيام به، أن يقبل أن تُصبِح سريعًا ومرنًا بالطريقة التي تتمتَّع بها (أوبا) أن تُصبح مفصليًّا.

إذا لم يستطِع فريد أن يبني لنفسه مُعاهدة سلام، فلن تنتصِر (أوبا) أبدًا في مواجهة انضباط ووحدة قوَّات الكواكِب الداخلية البحرية الفضائية؛ لكنهم لن يخسروا أبدًا كذلك، ستكون حربًا بلا نهاية،

حسنًا، ما التاريخ إن لم يكُن ذلك؟

وكيف يُمكِن أن تُغيِّر النجوم أي شيء؟

فَتَح طلب قناة اتصال على جهازه اللوحي أثناء سيره إلى شقته، ظهر فريد جونسون يقظًا على الرغم من أنه يبدو مُتعبًا.

قال: «ميلر».

- «نحن مُستعدون للانطلاق إذا كان الأمر جاهزًا».

أجابه فريد: «قيد التحميل الآن، لديك ما يكفي من المواد القابلة للانشطار لمنع الاقتراب من سطح إيروس لسنواتٍ، توخَّ الحذر معها، إذا هبط أحد الفتية ليُدخِّن في المكان الخاطئ، فلن نتمكَّن من استبدال الألغام ليس في الوقت المُناسِب».

لم يقُل: ستكونون موتى جميعًا، كانت الأسلحة ثمينة، ولكن ليس الأشخاص.

قال ميلر: «أجل، سأتوخى الحذر».

- «إن (روسينانت) في طريقها بالفعل».

لم يكُن ذلك شيئًا يحتاج ميلر إلى معرفته، إذن فلا بد من وجود سبب آخر لذكر فريد لذلك، جعلت نبرته المُحايِدة بعنايةٍ الأمر يبدو وكأنه اتهام، فقد كانت عينة الجُزيء الأولي الوحيدة الخاضِعة للرقابة قد غادرت مجال تأثير فريد.

قال ميلر: «سنخرُج لمُلاقاتها في كثيرٍ من الأوقات لإبعاد أي شخص عن إيروس، لا ينبغي أن تكون هناك مُشكلة».

كان من الصعب معرفة مدى صدق ابتسامة فريد عبر الشاشة الصغيرة.

قال: «آمُل أن يكون أصدقاؤك مُستعدين لذلك».

شعر ميلر بشيءٍ غريب، تجويف صغير نبت تحت عظمة صدره.

قال وهو يحافِظ على نبرة صوته خافتةً: «إنهم ليسوا أصدقائي».

- «حقًّا؟».
- «ليس لدى أصدقاء بالضبط، الأمر أقرب لأن لدي الكثير من الأشخاص الذين اعتدت العمل معهم».

قال فريد، وهو يجعل الأمر أقرب ما يكون إلى سؤالٍ، أو تحدٍّ على الأقل: «لقد وضعت الكثير من الثقة في هولدن». ابتسم ميلر، وهو يعرِف أن فريد لن يتمكَّن من معرفة إذا كانت ابتسامة حقيقية قال: «ليس إيمانًا، بل هو تقدير».

سعل فريد ضاحكًا.: «ولهذا السبب ليس لديك أي أصدقاء يا صديقي».

قال ميلر: «هذا جُزء من الأمر».

لم يكُن هناك المزيد ليقوله، أنهى ميلر الاتصال، كان قد وصل إلى غُرفته على أي حال.

لم يكُن هناك الكثير، مُجرَّد مُكعَّب مجهول على المحطَّة يتمتَّع بشخصية أضعف من مكانه في سيريس. جَلَسَ على فراشه، وفحص جهازه اللوحي للتحقُّق من حال مركبة التدمير، كان يعرِف أنه يجِب أن يذهب إلى الأرصفة، حيث كان ديوجو والآخرون يتجمَّعون، وبينما لم يكُن من المُحتمل أن يسمَح ضباب غازات التخدير لأطراف ما قبل المهمة للوصول في الوقت المُناسِب، إلا أن ذلك كان على الأقل مُمكِنًا، لم يُمكِنه استخدام هذا العُذر.

جلست جولي داخِل دماغه، طَوَت ساقيها تحتها، كانت جميلة، كانت مثل: فريد، وهولدن، وهافلوك، شخص ما وُلِد في الجاذبية، وأتت إلى الحزام باختيارها، وماتت من أجل اختيارها، لقد جاءت بحثًا عن

المُساعدة، ودمَّرت إيروس أثناء قيامها بذلك، فقط لو ظلَّت هناك على متن تلك المركبة الشبح...

أمالَت رأسها، تطاير شعرها ضد جاذبية الدوران، كان هناك سؤال يسكُن عينيها، وكانت مُحقَّة بالطبع، ربما كان ذلك سيُبطئ الأمور؛ لكنه لم يكُن ليمنعها، كان بروتوجين ودريسدن ليجداها في نهاية المطاف -ربما كان ليجدها- أو سيعودون لإحضار عيِّنة جديدة، لم يكُن هناك شيء يُمكِن أن يمنعهم.

وكان يعرِف -بالطريقة التي كان يعرِف بها نفسه يقينًا- أن جولي لم تكُن مثل الآخرين، وأنها فهمت الحزام والحزاميين، والحاجة إلى المضي قدمًا. إذا لم يكُن للنجوم، فعلى الأقل بالقُرب منهم. كانت الرفاهية المُتاحة لها شيئًا لم يختبره ميلر من قبل، ولن يختبره أبدًا؛ لكنها أدارت ظهرها إلى ذلك، وخرجت إلى هناك، وبقيت حتى عندما أخبروها بأنهم سيبيعون مركبة السباق الخاصَّة بها، وطفولتها، وفخرها، ولهذا كان يُحبها.

عندما وصل ميلر إلى الرصيف، كان من الواضِح أن شيئًا ما قد حدث، كان ذلك جليًّا في الطريقة التي تماسَك بها عُمال الرصيف، والنظرات التي تتأرجح بين التسلية والمُتعة التي تعلو وجوههم، سجَّل ميلر دخوله، وزحف عبر غُرفة مُعادلة الضغط الغريبة والتي كانت من طراز (أوجينو - جوش)، والتي يعود عُمرها لأكثر من سبعين عامًا، والتي يزيد حجمها بالكاد عن حجم أنبوب إطلاق صواريخ، وصولًا إلى منطقة الطاقم المُزدحِمة في مركبة نقل (تالبوت ليدز)، بدت المركبة وكأنه قد تمَّ لحام مركبتين صغيرتين من أجل صُنعها دون إبداء أي اهتمام خاص بالتصميم. كانت أرائِك التسارُع المكوَّنة من ثلاثة أسرَّة مُكدَّسة،

وفاحَت من الهواء رائِحة العرق القديم والمعدن الساخِن، كان شخص ما يُدخِّن الماريجوانا مؤخَّرًا لدرجة أن المُرشَّحات لم تُزِل رائحتها بعد، كان ديوجو هناك بصُحبة ستة آخرين، وكانوا جميعًا يرتدون أزياءً رسميةً مُختلِفةً؛ لكنهم جميعًا كانوا يحمِلون شارات ذراع (أوبا).

قال بلُغته الحزامية: «لقد أبقيت لك الفراش العلوي أيها العجوز».

قال ميلر: «شكرًا، أقدِّر لك ذلك».

ثلاثة عشر يومًا، كان سيتشارك تلك المساحة الصغيرة مع طاقم التدمير لمُدَّة ثلاثة عشر يومًا، سيظل مضغوطًا على هذه الأرائك لمُدة ثلاثة عشر يومًا في ظل وجود ميجا طن من الألغام الانشطارية في عنبر المركبة، وعلى الرغم من ذلك، كان الآخرون يبتسِمون. جذب ميلر نفسه للأعلى إلى أريكة التسارُع التي حفظها له ديوجو، وأومأ للآخرين بذقنه.

- «هل هناك شخص ما يحتفِل بعيد ميلاده؟».

قام ديوجو بإيماءةٍ مدروسةٍ.

قال ميلر بشكلٍ أكثر حدَّة مما كان ينتوي: «لماذا يتمتَّع الجميع بمزاجٍ جيِّدٍ لعينٍ؟»؛ لكن ديوجو لم يعتبر سؤاله إهانة، ابتسم له ابتسامة أظهرت أسنانه الحمراء والبيضاء العظيمة.

سأله بلُغته الحزامية: «ألم تسمَع؟».

قال ميلر: «لا، لم أسمَع، وإلا لما سألت».

قال ديوجو: «قام المريخ بالأمر الصحيح، حصلوا على بث من إيروس، وضعوا اثنين واثنين، ثُم...».

ضرب الفتى راحة يده المفتوحة بقبضة يده الأخرى، حاول ميلر تحليل ما كان يقوله، هل هاجموا إيروس؟ هل أسقطوا بروتوجين؟

بروتوجين والمريخ، أومأ ميلر برأسه وهو يقول: «لقد عزل المريخ محطَّة فيبي العلمية».

- «اللعنة على ذلك أيها العجوز، لقد فجَّروها، فجَّروهم، لقد ذهب القمر، أسقطوا عليه ما يكفي من الأسلِحة النووية لتقسيمه إلى ما دون الذرَّات».

قال ميلر لنفسه: من الأفضل أن يكونوا قد فعلوا ذلك، لم يكُن قمرًا كبيرًا، وإذا كان المريخ قد دمَّره حقًّا وبقي أي جُزيء أولي على متن قطعة من المقذوفات...

قال ديوجو: «هل عرفت؟ إنهم في صفنا الآن، لقد فهموا الأمر، تحالُف (أوبا) والمريخ».

قال ميلر: «أنت لا تعتقِد ذلك حقًّا».

قال ديوجو: «لا» مسرورًا بنفسه عندما اعترف أن الأمل كان هشًّا في أفضل الأحوال، وربما كان زائِفًا. أضاف: «لكن لا ضير من الحلم، أليس كذلك؟».

قال ميلر: «ألا تعتقِد ذلك؟». قبل أن يستلقي.

كان جِيل التسارُع شديد الصلابة بحيث لا يتناسَب مع جسده في الرصيف الذي تبلُغ جاذبيته ثُلث (ج)؛ لكنه لم يكُن مُزعِجًا، قام بفحص الأخبار على جهازه اللوحي، وبالفعل كان شخص ما من البحرية الفضائية المريخية قد قام بإصدار حُكم، كان هناك الكثير من الأوامِر لإطاعتها، خاصَّة في خضم حرب إطلاق نيران؛ لكنهم استهلكوها.

اختفى أحد أقمار زُحل، حلقة أخرى خيطيَّة صغيرة غير مُتشكِّلة -في حال وجود ما يكفي من المواد المُتبقية من التفجيرات لتشكيلها- بدا الأمر لعين ميلر غير مُتمرس، كما لو أن الانفجارات قد تمَّ تصميمها لإلقاء الحطام في الجاذبية الوقائية الساحِقة للعملاق الغازي.

كان من الحماقة الاعتقاد بأن ذلك يعني أن حكومة المريخ لن ترغب في عينات من الجُزيء الأولي، وكان من السذاجة التظاهُر بأن أي منظَّمة بهذا الحجم والتعقيد ستكون أحادية الجانِب بشأن أي شيء، ناهيك عن شيء خطير ومتحوِّل مثل ذلك.

لكن رغم ذلك.

ربما كان يكفي مُجرَّد معرفة أن شخصًا ما على الجانِب الآخر من الانقسام السياسي والعسكري قد رأى نفس الأدلة التي رأوها وتوصَّل إلى نفس الاستنتاجات، ربما ترك ذلك مجالًا للأمل، قام بإعادة جهازه اللوحي إلى بث إيروس، تراقص صوت خفقان قوي تحت شلال من الضوضاء، ارتفعت الأصوات وانخفضت قبل أن ترتفِع مرَّة أخرى، بينما اندفعت تدفُّقات البيانات نحو بعضها بعضًا، وأحرقت خوادم التعرُّف إلى الأنماط كُل دورة احتياطية مما صنع شيئًا ما من الفوضى الناتِجة، أمسكت جولي بيده، كان الحلم مُقنِعًا للغاية لدرجة أنه كاد يتظاهر بأنه شعر به.

قالت: أنت تنتمي إليَّ.

فكَّر: بمُجرَّد أن ينتهي هذا الأمر، كان صحيحًا أنه استمرَّ في إبعاد نُقطة نهاية القضية، أولًا إيجاد جولي، ثُم الثأر لها، والآن تدمير المشروع الذي أودى بحياتها؛ لكن يُمكِنه أن يمضي قدمًا بعد أن يتم تحقيق ذلك.

كان لديه ذلك الشيء الأخير الذي يجب أن يقوم به فحسب.

بعد عشرين دقيقة، بدأ دوي صافرات الإنذار، وبعد ثلاثين دقيقة، انطلقت المُحرِّكات لتدفعه نحو چيل التسارُع، وهي تنطلِق بسُرعتها القصوى الساحِقة للمفاصل لمُدة ثلاثة عشر يومًا، مع فواصِل من الجاذبية بدرجة (ج) من أجل القيام بالوظائِف البيولوچية كُل أربع ساعات، وعندما سينتهون من ذلك، سيتعامَل أفراد الطاقم نصف المُدرَّبين للقيام بجميع المهن مع الألغام النووية القادِرة على القضاء عليهم إذا أفسدوا المهمة.

لكن على الأقل ستكون جولي هناك، ليس حقًّا؛ لكن هذا كان كافيًا.

لا ضير من الحلم.

(٤٧)

هولدن

حتى طعم السيلولوز الرطب للبيض المخفوق الاصطناعي المُعاد تكوينه لم يكُن كافيًا لإفساد وهج هولدن الدافئ ورضاه عن نفسه، وَضَع البيض الاصطناعي في فمه محاولًا ألا يبتسِم، كان أموس يجلِس عن يساره على طاولة المطبخ، وهو يأكُل بحماسٍ شديدٍ، أما عن يمين هولدن، فقد دفع أليكس البيض الطري في طبقه بقطعةٍ من الخُبز المُحمَّص المُزيَّف، وعبر المنضدة، كانت ناعومي ترشف من كوب شاي وهي تنظُر إليه من تحت شعرها، قاوَم رغبةً عارمةً في الغمز لها.

كانا قد تحدَّثا عن كيفية نقل الأخبار إلى الطاقم لكنهما لم يتوصَّلا إلى اتفاق، كان هولدن يكره أن يُخفي شيئًا؛ حيث إن إخفاء الأسرار يجعلها تبدو قذرة أو مُخزية، قام أهله بتربيته على الاعتقاد بأن الجنس هو شيء تُمارِسه على انفرادٍ ليس لأنه شيء مُحرِج؛ بل لأنه أمر حميمي، ولطالما كانت ترتيبات النوم مُعقَّدة في منزله في ظل وجود خمسة آباء وثلاث أمهات؛ لكنهم لم يخفوا عنه النقاشات التي تدور حول من الذي سيذهب إلى الفراش مع من، وهو ما جعله يشعُر بنفورٍ شديدٍ لإخفاء أنشطته.

وعلى الجانِب الآخر، كانت ناعومي تعتقِد أنه لا ينبغي عليهم القيام بأي شيء للإخلال بالتوازُن الهش الذي وجدوه، ووثق هولدن في غرائزها، كانت تتمتَّع بنظرةٍ ثاقبةٍ فيما يتعلَّق بديناميكيات المجموعة وهو الأمر الذي كان يفتقِر إليه في كثيرٍ من الأحيان، ولذلك كان يحذو حذوها في الوقت الحالي.

وبالإضافة إلى ذلك، سيبدو الأمر وكأنه تفاخُر، وهو ما كان سيكون وقحًا.

قال محاولًا الحفاظ على صوته مهنيًّا وحياديًّا: «هل يُمكِنكِ تمرير الفلفل يا ناعومي؟».

رفع أموس رأسه على الفور، وترك شوكته تسقُط على المنضدة بدوي عالٍ.

- «اللعنة، أنتما تُمارسان الجنس!».

قال هولدن: «ماذا؟».

- «كان هناك شيء ما مُعقَّد منذ أن عُدنا إلى (روسي)؛ لكنني لم أستطِع تبيُّنه؛ لكن هذا هو الأمر! أنتما تُمارسان الجنس أخيرًا».

رَمَش هولدن مرَّتين في مواجهة الميكانيكي الضخم غير واثق مما يجب أن يقوله، نظر إلى ناعومي بحثًا عن الدعم؛ لكن رأسها كان مُنكَّسًا وشعرها يُغطي وجهها بالكامِل، بينما كان كتفاها يهتزَّان بضحكٍ صامتٍ.

قال أموس وابتسامة تحتل قسمات وجهه العريض: «اللعنة يا قُبطان، لقد استغرقك الأمر وقتًا طويلًا لعينًا بما فيه الكفاية، إذا كانت تُلقي بنفسها عليّ بهذه الطريقة؛ لكنت غارقًا في هذا الهراء منذ زمن طويل».

قال أليكس: «رائع». بدا مصدومًا بما فيه الكفاية لدرجة أنه كان من الواضِح أنه لا يُشارِك أموس الرأي، أضاف: «عجبًا».

توقَّفت ناعومي عن الضحِك ومسحت الدموع من ركني عينيها.

قالت: «لقد ضُبِطنا».

قال هولدن: «انظروا يا رفاق، من المُهِم أن تعلما أن هذا لن يؤثِّر على...»؛ لكن أموس قاطعه بصوت استنكاري.

قال أموس: «أليكس».

أجابه أليكس: «ما الأمر».

- «هل ستجعلك مُضاجعة المُديرة التنفيذية للقُبطان طيَّارًا سيِّئًا؟».

قال أليكس مُبتسمًا ولكنته تبدو جليةً: «لا أعتقِد ذلك».

- «والغريب في الأمر، أنني لا أشعُر بالحاجة لأن أكون ميكانيكيًّا سيئًا».

حاول هولدن مرَّة أخرى: «أعتقِد أنه من المُهِم أن...».

تابَع أموس حديثه مُتجاهلًا هولدن: «ضع في اعتبارك أنه لا أحد يهتم يا قُبطان؛ لأن ذلك لن يمنعنا من القيام بوظائِفنا، استمتعا بالأمر فحسب؛ لأننا على الأرجح سنموت في غضون بضعة أيام على أي حال».

بدأت ناعومي تضحَك مرَّة أخرى.

قالت: «حسنًا، أعني أن الجميع يعرِف أنني أفعل ذلك فقط للحصول على ترقية، عجبًا، انتظروا، حسنًا. أنا الثانية في التسلسُل القيادي بالفعل، هل يُمكِنني أن أصبح قُبطانًا الآن؟».

قال هولدن ضاحكًا: «لا، إنها وظيفة رديئة، لن أطلُب منكِ القيام بذلك أبدًا».

ابتسمت ناعومي وهزَّت يديها، هل ترى؟ لست على حق دائمًا، حدَّق هولدن في أليكس الذي كان ينظُر إليه بعاطفةٍ حقيقيةٍ، كان من الواضِح أنهما سعيدان بفكرة أنه هو وناعومي سويًّا، بدا كُل شيء على ما يُرام.

***

كان إيروس يدور على قمَّته على شكل ثمرة بطاطِس يُخفي جلدها السميك المصنوع من الصخور الأهوال التي تختبئ بداخلها، اقترب بهم أليكس من أجل القيام بعملية مسح شامِل للمحطَّة، تضخَّم الكويكب على شاشة هولدن حتى بدا قريبًا بما فيه الكفاية للمسه، بينما مسحت ناعومي السطح باستخدام اللادار الموجود في غُرفة العمليات الأخرى؛ بحثًا عن أي شيء قد يُشكِّل خطرًا على أطقُم شحن تايكو التي لا تزال مُتأخِّرة ببضعة أيام، وعلى شاشة عرض هولدن التكتيكية، استمرَّت المركبة العلمية التابِعة لقوَّات البحرية الفضائية الخاصَّة بالأمم المُتحدة في القيام بمناورة الفرملة نحو إيروس، ومُرافقتها تسير بجوارها مُباشرةً.

سألها هولدن: «ما زالت لم تتحدَّث، أليس كذلك؟».

هزَّت ناعومي رأسها، ثُم نقرت على شاشتها وأرسلت معلومات المُراقبة الخاصَّة بالاتصالات إلى محطته

قالت: «لا؛ لكنهم يروننا لقد كانوا يستخدِمون اللادار علينا لبضع ساعات الآن».

نَقَر هولدن بأصابِعه على ذراع مقعده وهو يُفكِّر في الخيارات المطروحة، كان من المُمكِن أن تخدع تعديلات الهيكل التي قامَت بها تايكو على (روسي) برامِج تعرُّف المركبة الحربية الأرضية. وربما يتجاهلون (روسي) فحسب، مُعتقدين أنها ناقِلة غاز تابِعة للحزام تصادَف وأنها تتسكَّع في الأرجاء؛ لكن (روسي) كانت تعمَل دون جهاز إرسال أو استقبال، وهو ما يجعلها غير قانونية بغض النظر عن تكوين هيكلها. بينما جعلته حقيقة أن المركبة الحربية لم تكُن تحاوِل تحذير المركبة التي كانت تتحوَّل في الظلام يشعُر بالتوتُّر، في حين أن الحزام والكواكِب الداخلية كانوا يخوضون حربًا ضروسًا، ووجود مركبة حزامية دون هوية ومُعلَّقة حول إيروس بينما كانت مركبتان أرضيتان تتجهان نحوها يجعل من المُستحيل أن يتجاهلها أي قُبطان أحمق.

كان صمت المركبة الحربية يعني شيئًا آخر.

قال هولدن مُتنهِّدًا: «لدي شعور بأن المركبة الحربية ستحاوِل تفجيرنا يا ناعومي».

أجابته: «هذا ما كُنت لأفعله».

نَقَر هولدن بإيقاعٍ مُعقَّدٍ آخرَ على مقعده، ثُم وَضَع سماعة رأسه.

قال: «حسنًا، أعتقِد أنني سأقوم بالعرض الأول إذن».

لم يرغب هولدن في جعل مُحادثتهما علنيَّة؛ ولذلك استهدف المركبة الحربية بمصفوفة الليزر الخاصَّة بـ (روسي)، وأشار إلى طلب ربط عام. تحوَّل ضوء الرابِط إلى اللون الأخضر بعد بضع ثوانٍ، وبدأت سدادات

أذنه في الهسهسة في ظل وجود شوشرة خافِتة في الخلفية، انتظر هولدن؛ لكن مركبة الأمم المُتحِدة لم تُقدِّم أي ترحيب، أرادوه أن يتحدَّث أولًا.

أغلَق ميكروفونه، وانتقل إلى اتصالات المركبة الداخلية.

- «اجعلنا نتحرَّك يا أليكس بقوى تسارُع يبلُغ مقدارها (ج) في الوقت الحالي، إذا لم أتمكَّن من خداع ذلك الرجل، فسنتورَّط في معركة إطلاق نيران، كُن مستعدًّا للانطلاق بها».

قال أليكس: «عُلِم ويُنفَّذ، سأجهِّز العصير تحسُّبًا لأي شيء فحسب».

ألقى هولدن بنظرةٍ خاطفةٍ على محطَّة ناعومي؛ لكنها كانت قد غيَّرت شاشتها التكتيكية بالفعل، وكان لديها مُخطَّط (روسي) لحلول إطلاق النيران وتكتيكات التشويش على المركبتين المُقتربتين، لم تخُض ناعومي سوى معركة واحدةٍ فقط، وها هي تتصرَّف وكأنها مُقاتِلة مُخضرمة، ابتسم من خلفها، ثُم استدار قبل أن يتسنى لها الوقت لتُدرِك أنه كان يُحدِّق بها.

قال: «أموس».

- «المكان مُحكَم ومُرتَّب بالأسفل هنا يا قُبطان، تنشب (روسي) مخالِبها في العُشب، دعنا نذهب ونركل بعض المؤخِّرات».

قال هولدن لنفسه: دعنا نأمل ألا نضطر لذلك.

أعاد تشغيل ميكروفونه.

- «هذا هو القُبطان جيمس هولدن من (روسينانت) يُنادي قُبطان المركبة البحرية الفضائية التابِعة للأمم المُتحِدة التي تقترِب، شارة التعريف (مجهولة)، يُرجى الرد».

كانت هناك فترة توقُّف مليئة بالشوشرة، متبوعة بالقول: «غادِروا مسار رحلتنا على الفور يا (روسينانت)، إذا لم تبدؤوا في الابتعاد عن إيروس بأقصى سُرعة مُمكِنة، فسنُطلِق عليكم النار».

كان الصوت شابًّا، لن تكون قيادة طرادات قديمة مع مهمة شاقَّة مُتمثلة في مُتابعة مركبة رسم خرائِط كويكبات في الأرجاء أمرًا مرغوبًا بعد القيادة، ربما كان القُبطان مُلازمًا دون مدير أو آمال. سيكون عديم الخبرة؛ لكنه قد يرى المواجهة كفُرصة لإثبات نفسه لرؤسائه. وسيجعل هذا اللحظات القليلة القادِمة صعبة القيادة.

قال هولدن: «آسف، لا أزال لا أعرف شارة التعريف الخاصَّة بك، أو اسمك؛ لكنني لا أستطيع القيام بما تُريده، في الواقِع، لا يُمكِنني السماح لأي شخص بالهبوط على متن إيروس، أحتاجك أن تتوقَّف عن الاقتراب من المحطَّة».

- «(روسينانت)، لا أعتقِد أنكم...».

سيطر هولدن على نظام الاستهداف الخاص بـ (روسينانت) وبدأ في طلاء المركبة الحربية المُقترِبة باستخدام ليزر الاستهداف الخاص بها.

قال: «اسمح لي أن أشرَح لك ما يحدُث هنا في الوقت الحالي، لقد نظرت إلى مُستشعراتك، ورأيت ما يبدو وكأنه مركبة شحن تعمل بالغاز موجودة في المكان كيفما اتفق والتي قام برنامج التعرُّف إلى المركبات الخاص بك برؤيتها جيِّدًا، وفجأة، وهو ما يحدُث في الوقت الحالي، تراها وهي تُسلِّط عليك أحدث نُظم تحديد الأهداف».

- «نحن لا...».

- «لا تكذِب، أعرِف أن هذا ما يحدُث، إليك الأمر إذن، على الرغم من شكلها، فإن مركبتي أجدد، وأسرع، وأقوى، وأفضل تسليحًا من مركبتك، والطريقة الوحيدة لإثبات ذلك هي إطلاق النيران، وآمُل ألا أفعل ذلك».

قال الصوت الشاب عبر سمّاعة رأس هولدن: «هل تُهددني يا (روسينانت)؟». لم تكُن نبرته سوى التجسيد الحق للغطرسة وعدم التصديق.

قال هولدن: «أنت؟ لا، أنا أهدِّد المركبة الكبيرة، الضخمة، بطيئة الحركة، غير المُسلَّحة التي من المُفترض أن تحميها، استمر في الطيران نحو إيروس، وسأطلِق عليها كُل ما في جُعبتي من نيران، وأضمَن لك أننا سنُفجِّر مُختبر العلوم الطائِر في السماء، والآن، من المُمكِن أن تُسقِطنا أثناء قيامنا بالأمر؛ لكن بحلول ذلك الوقت ستكون مُهِمتك قد فشلت على أي حال، أليس كذلك؟».

ساد الصمت على الخط مرَّة أخرى إلا من هسيس الإشعاع الموجود في الخلفية الذي أخبره أن سماعته لم تتوقَّف عن العمل.

وعندما أتت إجابته، أتت عبر اتصالات المركبة الداخلية.

قال أليكس: «إنهم يتوقَّفون يا قُبطان، لقد بدأوا في فرملةٍ قويةٍ لتوِّهم، تقول أجهزة التتبُّع إنهم سيكونون قادرين على التوقُّف نسبيًّا بعد حوالي مليوني كيلومتر، هل تُريدني أن أستمِر في الطيران تجاههم؟».

أجابه هولدن: «لا، أعِدنا إلى وضعنا الثابِت فوق إيروس».

- «عُلِم ويُنفَّذ».

قال هولدن وهو يُدير مقعده ليواجهها: «هل يفعلون أي شيء آخر يا ناعومي؟».

قالت: «لا يفعلون أي شيء أستطيع رؤيته عبر فوضى عادمهم؛ لكن يُمكِن أن يُرسِلوا رسائِل إلى الناحية الأخرى دون أن نعرِف أبدًا».

أغلق هولدن اتصالات المركبة الداخلية. حكَّ رأسه لُمدَّة دقيقة، ثُم فكَّ حزام أمانه.

- «حسنًا، لقد أوقفناهم الآن، سأذهب إلى دورة المياه ثُم سأجلب شرابًا، هل تُريدين أي شيء؟».

***

قالت ناعومي في وقتٍ لاحقٍ من تلك الليلة: «إنه ليس مُخطِئًا كما تعلَم».

كان هولدن يطفو في سطح العمليات في حالة انعدام جاذبية بعيدًا عن محطَّته بعدَّة أمتار، كان قد خَفَضَ أضواء سطح المركبة، أصبحت المقصورة مُظلِمة مثل ليلة مُقمِرة، كان أليكس وأموس ينامان تحتهما بطابقين، وربما كانا على بُعد مليون سنة ضوئية بهذه الطريقة، بينما كانت ناعومي تطفو بالقُرب من محطَّتها على بُعد مترين، وشعرها غير مُقيَّد وينجرِف حولها كسحابةٍ سوداء، أضاءت اللوحة الموجودة خلفها وجهها بشكلٍ جانبي: جبهتها الطويلة، وأنفها المسطَّح، وشفتاها الضخمتان، كان بإمكانه أن يعرِف أن عينيها كانتا مُغلَقتين، شعر وكأنهما الشخصان الوحيدان في الكون.

قال من أجل قول أي شيء فحسب: «من الذي ليس مُخطِئًا؟».

أجابته وكأن الأمر واضحًا: «ميلر».

- «ليس لدي أي فكرة عمّا تتحدّثين عنه».

ضحكت ناعومي، ثُم ضربت بيدٍ واحدةٍ لتُدير جسدها وتواجهه في الهواء، كانت عيناها مفتوحتين الآن، وعلى الرغم من وجود أضواء اللوحة من خلفها، فإنهما بدتا كبركتين سوداوين في وجهها.

قالت: «كُنت أفكِّر في ميلر، لقد عاملته بطريقةٍ سيِّئةٍ في تايكو، تجاهلته لأنك كُنت غاضبًا، أنا مدينة له بما هو أفضل من ذلك».

- «لماذا؟».
- «لقد أنقذ حياتك في إيروس».

أصدر هولدن صوتًا استهزائيًّا؛ لكنها استمرَّت على أي حال.

في النهاية قالت: «عندما كُنت في البحرية الفضائية، ماذا كان من المُفترض بك أن تفعل عندما يجن جنون شخص ما على متن المركبة؟ أن تبدأ في فعل الأشياء التي تُعرِّض حياة الجميع للخطر؟».

قال هولدن مُعتقدًا بأنهما كانا يتحدَّثان عن ميلر: «عليكِ تقييده ومنعه من أن يكون خطرًا على المركبة وعلى الطاقم؛ لكن فريد لم...».

قاطعته ناعومي.

قالت: «ماذا لو حدث ذلك في وقت الحرب، وسط معركة؟».

- «إذا كان لا يُمكِن تقييده بسهولةٍ، فإن رئيس الوردية مُلزَم بحماية المركبة وطاقمها بأي وسيلة يراها ضرورية».
- «حتى لو كان ذلك يعني إطلاق النار عليه؟».

أجابها هولدن: «إذا كانت هذه هي الطريقة الوحيدة للقيام بالأمر، فبالتأكيد؛ لكن هذا لن يحدُث إلا في أكثر الظروف إلحاحًا».

أومأت ناعومي برأسها، وأرسلت جسدها ببطءٍ في الاتجاه المُعاكِس، أوقفت حركتها بإيماءةٍ غير واعيةٍ. كان هولدن جيِّدًا للغاية في حالة انعدام الجاذبية؛ لكنه لن يكون بهذه الجودة أبدًا.

قالت ناعومي: «الحزام شبكة، إنها مثل مركبة كبيرة مُوزَّعة، لدينا العقد التي تصنع الهواء، أو الماء، أو الطاقة، أو المواد الإنشائية، قد يفصل بين تلك العقد مسافة تُقدَّر بملايين الكيلومترات من الفضاء؛ لكن هذا لا يجعلها أقل ترابُطًا».

قال هولدن مُتنهدًا: «أرى إلى أين يتجه هذا، كان دريسدن هو المجنون الموجود على متن المركبة، وأطلَق ميلر عليه النار لحماية بقيتنا، لقد أخبرني بذلك هناك على تايكو، ولم أقتنِع به هناك كذلك».

- «لماذا؟».

قال هولدن: «لأن دريسدن لم يُشكِّل تهديدًا فوريًّا، لقد كان مُجرَّد رجل صغير شرير يرتدي حلَّة باهِظة الثمن، لم يكُن يحمل سلاحًا في يده، أو يضع إصبعه على زر تفجير قُنبلة، ولا أستطيع أن أثِق في رجلٍ يعتقِد أن لديه الحق في إعدام الناس من جانبٍ واحدٍ أبدًا».

وَضَع هولدن قدمه على الحاجِز وانطلق بقوةٍ كافيةٍ؛ ليطفو على بُعد عدَّة أقدام من ناعومي قريبًا بما يكفي لرؤية عينيها، وقراءة رد فعلها على ما يقول.

- «إذا بدأت تلك المركبة العلمية في التحليق نحو إيروس مرَّة أخرى، فسأطلِق عليها كُل صاروخ نملكه، وسأقنِع نفسي بأنني كُنت أحمي بقية النظام الشمسي مما يوجد على متن إيروس؛ لكنني لن أبدأ في إطلاق النار عليها الآن، لمُجرَّد

التفكير في أنه قد يُقرِّر التوجُّه إلى إيروس مرَّة أخرى، لأن هذه جريمة قتل، ما فعله ميلر هو ارتكاب جريمة قتل».

ابتسمت له ناعومي، ثُم أمسكت ببدلته الفضائية وجذبته قريبًا بما فيه الكفاية لتُقبِّله.

- «قد تكون أفضل شخص عرفته؛ لكنك لا تقبل المساوَمة أبدًا بشأن مُعتقداتك، وهذا بالضبط ما تكرهه في ميلر».
- «حقًّا؟».

قالت: «أجل، إنه شديد الصلابة أيضًا؛ لكن لديه أفكار مُختلِفة حول كيفية عمل الأشياء، وأنت تكره ذلك. بالنسبة لميلر، كان دريسدن يشكِّل تهديدًا نشطًا على المركبة، وكان يُعرِّض كُل من حوله للخطر في كُل ثانية يبقى فيها على قيد الحياة، كان ذلك دفاعًا عن النفس بالنسبة إلى ميلر».

- «لكنه كان مُخطئًا فقد كان الرجل عاجزًا».

قالت: «تحدَّث الرجل مع البحرية الفضائية التابِعة للأمم المُتحدة لمنح شركته مركبات على أحدث طراز، وحثَّ شركته على قتل مليون شخص ونصف، كُل ما قاله ميلر عن سبب كون الجُزيء الأولي أفضل حالًا معنا كان صحيحًا تمامًا مثل ما فعله مع دريسدن، ما المُدَّة التي قضاها في سجن (أوبا) قبل أن يجد السجَّان الذي يُمكِن شراؤه؟».

قال هولدن وهو يشعُر أنه يخسر المُناقشة: «لقد كان سجينًا».

قالت ناعومي: «لقد كان وحشًا يتمتَّع بالقوَّة، والنفوذ، وحُلفاء مُستعدين لدفع أي ثمن لمواصلة مشروعه العلمي، وبصفتي حزامية، أخبرك بأن ميلر لم يكُن مُخطئًا».

لم يجبها هولدن؛ استمرَّ في الطفو بجوار ناعومي فحسب مُحتفظًا بنفسه في مدارها، هل كان غاضبًا من مقتل دريسدن، أم من اتخاذ ميلر قرارًا يختلف معه؟

وكان ميلر يعلَم ذلك، لقد رأى ذلك في وجه المُحقِّق الحزين الأشبه بالكلب عندما أخبره أن يجد رحلته الخاصَّة إلى تايكو، كان ميلر يعلَم أن ذلك قادم، ولم يقُم بأي محاولة للقتال أو الجدال، وهذا يعني أن ميلر كان قد اتخذ قراره وهو مُدرك تمام الإدراك لتكلفته ومستعد لدفعها، وهذا يعني شيئًا ما، لم يكُن مُتأكِّدًا مما هو بالضبط؛ لكنه كان شيئًا ما.

بدأت إشارة حمراء تومِض على الحائِط، وعادت لوحة ناعومي للحياة وبدأت في إلقاء البيانات على الشاشة، جذبت نفسها إلى الأسفل باستخدام ظهر مقعدها، ثُم قامَت بإصدار عدَّة أوامِر سريعة، قالت: «اللعنة».

- «ما الأمر؟».

قالت ناعومي وهي تُشير إلى شاشتها: «لا بُدَّ أن المركبة الحربية أو المركبة العلمية قد طلبت المُساعدة، فلدينا مركبات في طريقها إلى هنا من جميع أنحاء النظام».

سألها هولدن وهو يحاوِل إلقاء نظرة أفضل على شاشتها: «كم عدد القادمين؟».

أصدرت ناعومي صوتًا صغيرًا من مؤخِّرة حلقها، يقف في المُنتصف بين الضحكة المكتومة والسعال.

- «تخميني؟ جميعهم».

(٤٨)

ميلر

كان بث إيروس يقول مع خلال قرع شبه عشوائي من الشوشرة: «أنت تكون، أنت لا تكون. أنت تكون، أنت لا تكون. أنت تكون، أنت لا تكون».

ارتعدت المركبة الصغيرة وارتجَّت، أطلق أحد فنيي (أوبا) من على أريكة تحطُّم سلسلة من الألفاظ البذيئة في ميلٍ للإبداع أكثر منه للغضب الحقيقي، أغلق ميلر عينيه محاولًا منع التعديلات الصغيرة في الجاذبية الخاصَّة برسو المركبات غير القياسي من إصابته بالغثيان، فبعد أيام من التسارُع المؤلِم للمفاصِل وروتين الكبح الذي يُسبِّب نفس القدر من الكدمات، بدت التحوُّلات والحركات الصغيرة اعتباطيَّة وغريبة.

- «أنت تكون، تكون، تكون، تكون، تكون...».

كان قد أمضى بعض الوقت في الاستماع إلى بث الأخبار، اندلعت أخبار تورُّط بروتوجين في تدمير إيروس بعد ثلاثة أيام من مُغادرتهم تايكو، وبشكلٍ مُثيرٍ للدهشة، لم يكُن هولدن هو من قام بذلك، ومن ذلك الحين، انتقلَت الشركة من الإنكار التام إلى إلقاء اللوم على مقاوِل فرعي حقير، إلى المُطالبة بالحصانة بموجب قانون أسرار الدفاع عن

الأرض، لم يبدُ ذلك جيِّدًا بالنسبة لهم، فحصار الأرض للمريخ كان لا يزال قائمًا؛ لكن الاهتمام تحوَّل إلى صراع القوى داخِل الأرض، وأبطأت القوَّات البحرية الفضائية المريخية سُرعتها، مما منح قوى الأرض مساحة أكبر قليلًا للتنفُّس قبل اتخاذ أي قرارات دائِمة. على أي حال، يبدو أنهم أجلوا نهاية العالم لبضعة أسابيع، وجد ميلر أن بإمكانه الحصول على بعض المُتعة في ذلك، كما تركه ذلك مُتعبًا كذلك.

كما كان يستمِع إلى صوت إيروس فِي كثيرٍ من الأحيان، وفي أحيانٍ أخرى، كان يُشاهِد قنوات الفيديو أيضًا؛ لكنه في العادة، كان يستمِع فحسب، وبدأ يسمَع على مدار الساعات والأيام إن لم يكُن أنماطًا، فعلى الأقل هياكل مُشتركة، كانت بعض الأصوات التي انسكبت من المحطَّة المُحتضِرة مُتناغِمة، وعلى حد تخمينه، فقد كانوا مُذيعين وفنانين تمَّ عرضهم بشكلٍ مُفرطٍ فِي أرشيفات الملفَّات الصوتية، كما بدا أن هناك بعض الميول -إذا أردنا الحصول على مُصطلحٍ أفضل- المُحدَّدة فِي الموسيقى. ستتراجَع ساعات من العبارات العشوائية والمُشوشَرة والمتداولة سريعًا، وسيتشبَّث إيروس ببعض الكلمات أو العبارات، ويُركِّز عليها بقوةٍ أكبر وأكبر حتى تتفكَّك لتتدفَّق العشوائية مرَّة أخرى.

- «تكون، تكون، تكون، تكون، تكون...».

قال ميلر لنفسه: لا تكون، ودفعت المركبة نفسها فجأة، تاركة معدة ميلر على بُعد نصف خطوة من المكان الذي كانت فيه. تبع ذلك سلسلة من القعقعة الصاخِبة، ثُم عويل قصير من إنذار التحذير.

صرخ شخص ما باللغة الحزامية: «يا إلهي! يا إلهي! إنهم يلقون علينا القنابِل! سيحرقوننا! سيحرقوننا جميعًا! ».

دَوت الضحكة الهادِئة المُعتادة التي سبَّبتها نفس النكتة على مدار الرحلة، وكان الفتى الذي فعلها -حزاميًّا ذا وجه مليء بالبثور لا يزيد عُمره عن خمسة عشر عامًا- يبتسِم مسرورًا بذكائه، إذا لم يتوقَّف عن ذلك الهراء، فسيضربه شخص ما بعتلةٍ قبل أن يعودوا إلى تايكو؛ لكن ميلر وجد أنه لن يكون ذلك الشخص.

دفعته هزَّة قويَّة إلى الأمام بقوةٍ على الأريكة، ثُم عادت الجاذبية المألوفة بتسارُع (٣, ٠ ج) في الثانية، أو ربما أكثر قليلًا باستثناء أنه مع وجود غُرف مُعادلة الضغط الموجَّهة لأسفل المركبة، تحتَّم على الطيار أن يتمسَّك بجلد بطن إيروس الدوَّار أولًا، جعلت جاذبية الدوران ما كان السقف هو الأرض الجديدة؛ فأصبحت مراتِب الأرائِك الأدنى موجودة الآن بالأعلى؛ وبينما قاموا بزرع القنابِل الاندماجية في الأرصِفة، تحتَّم عليهم جميعًا الصعود على متن صخرة بارِدة مُظلِمة تحاوِل قذفهم في الفراغ، كانت هذه مباهِج التخريب.

ارتدى ميلر بدلته، فبعد بدلات (روسينانت) العسكرية، بدت تشكيلة المُعدَّات المتنوِّعة الخاصَّة بـ (أوبا) وكأنها ملابِس مُستعملة. فاحَت بدلته برائحة جسد شخص آخر، وتشوَّه لحام لوحة الوجه حيث تشقَّق وتم إصلاحه، لم يُجِب التفكير فيما حدث للوغد المسكين الذي كان يرتديها، كما كانت الأحذية المغناطيسية تحتوي على طبقةٍ سميكةٍ من البلاستيك المُتآكِل والطين القديم بين الألواح وعلى آلية تحريك قديمة للغاية لدرجة أنه كان بإمكان ميلر أن يشعُر بأنها تعمل وتنطفئ قبل حتى إنيُحرِّك قدمه، تخيَّل صورة البدلة وقد تمسَّكت بإيروس ورفضت التخلي عنه.

جعلته هذه الفكرة يبتسِم، كانت جولي الخاصَّة به قد قالت: أنت تنتمي إليَّ، كان هذا صحيحًا، والآن وقد أصبح هنا، شعر بيقينٍ تامٍّ بأنه لن يُغادِر أبدًا، لقد كان شرطيًّا لوقتٍ طويلٍ، وملأته فكرة إعادة محاولة الاتصال مع البشرية مرَّة أخرى بشعورٍ من الإرهاق، فقد كان هنا للقيام بالجزء الأخير من وظيفته، وبعد ذلك سيكون قد انتهى.

ناداه أحدهم باللغة الحزامية: «أيها العجوز!».

قال ميلر: «أنا قادِم، تمهَّلوا قليلًا بحق اللعنة، ليس الأمر وكأن المحطَّة ستذهب إلى أي مكان».

قال إيروس بصوت طفل يُغني: «قوس قزح هو دائِرة لا يُمكِن رؤيتها. لا يُمكِن رؤيتها. لا يُمكِن رؤيتها». قام ميلر بخفض صوت بثه.

لم يكُن لسطح المحطَّة الصخري أي تأثير بالقوَّة الميكانيكية على البدلات أو أجهزة التحكُّم عن بُعد، قامَت مركبتان أخريان بإنزال قُطبي حيث لم تكُن هناك جاذبية دوران لمقاوَمتها؛ لكن الكوريوليس سيترُك الجميع يُعاني من غثيانٍ لا شعوري، اضطرَّ فريق ميلر إلى التمسُّك باللوحات المعدنية المكشوفة الموجودة على الرصيف، تشبَّثوا بها مثل الذباب الذي ينظُر إلى أسفل الهاوية المُرصَّعة بالنجوم.

لم تكُن هندسة وضع القنابِل الاندماجية عملًا تافِهًا. فإذا لم تضُخ القنابِل طاقة كافية فِي المحطَّة، فقد يبرُد السطح بدرجةٍ كافيةٍ لمنح شخص ما فُرصة أخرى لوضع فريق علمي عليه قبل أن يبتلعها شبه ظل الشمس أو أي أجزاء أخرى من (ناوفو) لا تزال تتشبَّث بها، وحتى مع ألمع العقول الموجودة في تايكو، فلا تزال هناك فرصة ألا تتزامَن التفجيرات، وإذا تضخَّمت موجات الضغط التي تنتقِل عبر الصخور بطرق لم يتوقعوها، فستتشقَّق المحطَّة مثل البيضة، وسينتشِر الجُزيء الأولي عبر

مسار النظام الشمسي الواسِع الفارِغ بطريقة تُشبه نثر حفنة من الغُبار؛ لكن الفرق بين النجاح والكارثة قد يكون مسألة أمتار حرفيًّا.

زحف ميلر للأعلى عبر غُرفة مُعادلة الضغط وصولًا إلى سطح المحطَّة، كانت الموجة الأولى من الفنيين تضع أجهزة قياس الزلازِل بالرنين، كان وَهَج أضواء العمل وقراءاته ألمع شيء في الكون، وضع ميلر حذاءه على قطعةٍ واسعةٍ من سبائِك الصلب الخزفية، وترك الدوران يُمدِّد العُقد التي تسكُن ظهره، واصطبغت الحُرية بالنشوة بعد أيام في أريكة التسارُع، رفعت إحدى التقنيات يديها، وهو المُصطلح الجسدي الذي يعني طلب الانتباه عند الحزامين، رفع ميلر الصوت في بدلته.

- «... والحشرات تتفشى على جســ...».

قام بتحويل الصوت بنفاذ صبر من بث إيروس إلى قناة اتصالات الفريق.

قال صوت أنثوي: «يجب أن نتحرَّك، يوجد الكثير من اللوحات المُضادة للبلل هنا، يجب علينا الوصول إلى الجانِب الآخر من الأرصِفة».

قال ميلر: «إن هذا يمتد لمسافة كيلومترين تقريبًا».

وافقته الرأي وهي تقول: «يُمكِننا إلغاء رسو المركبة وتحريكها بفعل طاقة المُحرِّك غير الكافية، أو يُمكِننا سحبها، لدينا ما يكفي من سلك السبر».

- «أيهما أسرع؟ لا نملك الكثير من وقت الفراغ هنا».
- «السحب».

قال ميلر: «لنسحبها إذن».

ارتفعت المركبة ببطءٍ، تشبَّثت عشرون طائِرة نقل زاحِفة صغيرة بدون طيَّار بالأسلاك كما لو أنها تسحب منطادًا معدنيًّا عملاقًا، ستبقى المركبة معه -هنا في المحطَّة- مربوطة في الصخرة كقُربانٍ للآلهة. سار ميلر مع الطاقم أثناء عبورهم أبواب الخليج الواسِعة المُغلقة، كانت الأصوات الوحيدة التي يتردَّد صداها في المكان هي صوت نقر نعليه عندما ترتطِم المغناطيسات الكهربائية بالسطح ثُم صوت تكَّة عندما تُغادره مرَّة أخرى. بينما كانت الروائِح الوحيدة التي تتسلَّل إلى أنفه هي رائحة جسده، ورائِحة البلاستيك الجديدة الصادِرة من جهاز إعادة تدوير الهواء، لمع المعدن الموجود تحت قدميه وكأن شخصًا ما قد نظَّفه، وتخلَّص من أي غبار أو حصى منذ فترة بعيدة.

عملوا بسُرعةٍ لوضع المركبة، وذرع القنابِل، ووضع الأكواد الأمنية، كان الجميع يخطون بإدراكٍ ضمني للصاروخ العظيم الذي تُمثِّله (ناوفو) وهو ينطلِق مُسرعًا نحوهم.

إذا هبطت مركبة أخرى وحاولت تعطيل الفخ، فستُرسِل المركبة إشارات مُتزامِنة إلى جميع مركبات قنابِل (أوبا) الأخرى التي تُرصِّع سطح القمر، وبعد ثلاث ثوانٍ، سيتم تنظيف سطح إيروس، كان قد تمَّ تحميل الهواء الاحتياطي والإمدادات من المركبة مُجمَّعة معًا وجاهِزة للاستصلاح، لا يوجد سبب لإهدار الموارِد.

لم يزحف نحوهم أي شيء مُرعِب عبر غُرفة مُعادلة الضغط ليحاوِل مُهاجمة الطاقم، مما جعل وجود ميلر خلال المهمة غير ضروري تمامًا، أو ربما لا، ربما كانت مُجرَّد رحلة.

وعندما تمَّ القيام بكُل شيء يُمكِن له أن يتم، أرسل ميلر إشارة (المكان آمِن)؛ لتنتقِل عبر نظام المركبة الميِّتة الآن، ظهرت وسيلة النقل

العائِدة ببطءٍ: عبارة عن نُقطة من الضوء تزداد سطوعًا تدريجيًا ثُم تنتشِر، كانت شبكة الصعود في حالة انعدام الجاذبية مُعلَّقة مثل السقَّالات، وعندما أصدرت المركبة الجديدة الأمر، قام فريق ميلر بإطفاء أحذيتهم، وأطلقوا مُحرِّكات الدفع للقيام بمناوراتٍ بسيطةٍ إما من بدلاتهم، أو في حالة كانت البدلات قديمة للغاية، فمن قذائِف الإخلاء القوية، شاهدهم ميلر وهُم يبتعِدون.

قال ديوجو من مكانٍ ما: «اتصل بوحدة الإخلاء أيها العجوز». لم يكُن ميلر مُتأكِّدًا أيهم هو من على هذه المسافة، أضاف: «هذا الأنبوب لا يعمَل».

قال ميلر: «لن آتي».

- «ماذا؟».
- «لقد اتخذت قراري، سأبقى هنا».

كانت هناك لحظة من الصمت، كان ميلر بانتظار هذه اللحظة، كان يعرِف رموز الأمان، إذا كان بحاجةٍ للزحف إلى قذيفة مركبتهم القديمة مرَّة أخرى وإغلاق الباب من خلفه، فسيفعل؛ لكنه لم يكُن يرغَب في ذلك، كان قد أعدَّ حُججه: لن يعود إلى تايكو إلا كبيدقٍ سياسي لمفاوضات فريد جونسون، كان مُرهقًا وكبيرًا بطريقةٍ لا تستطيع السنين وصفها؛ لقد مات بالفعل على متن إيروس ذات يوم، وأراد أن يكون هنا للانتهاء من هذا الأمر، لقد كسب هذا القدر، يدين له ديوجو والآخرون بذلك.

انتظر رد فعل الفتى ليحاوِل إبعاده عنه.

قال ديوجو: «كُل شيء على ما يُرام إذن، أتمنى لك موتًا سعيدًا».

قال ميلر قبل أن يُغلِق اللاسلكي: «موت سعيد». ساد الصمت على الكون، تحرَّكت النجوم الموجودة تحته ببطءٍ؛ لكن بشكلٍ محسوسٍ، بينما دارت المحطَّة التي تعلَّق فوقها، كانت (روسينانت) واحدة من تلك الأضواء، والمركبات التي أُرسِل ميلر لُماطلتها اثنتان أخريان، لم يستطِع ميلر تمييزهم، كانت جولي تطفو بجواره، وشعرها الأسود يطفو في الفضاء، بينما تتألق النجوم من خلالها، بدت مُسالِمة.

قالت: إذا ما تحتَّم عليك القيام بذلك مرَّة أخرى، إذا ما كان بإمكانك أن تفعل كُل شيء من البداية؟

قال: «لم أكُن لأفعل».

شاهَد مركبة نقل (أوبا) وهي تبدأ بتشغيل مُحرِّكاتها، توهَّجت باللونين الذهبي والأبيض، وتنسحِب بعيدًا لتُصبح نجمة مرَّة أخرى، نجمة صغيرة، قبل أن تضيع استدار ميلر وتأمَّل منظر القمر المُظلِم الفارغ والليل الدائم.

كان بحاجةٍ للبقاء معها لبضع ساعات أخرى فحسب، وسيكون كلاهما بأمانٍ، سيكونون جميعًا بأمانٍ. كان هذا كافيًا، وجد ميلر نفسه يبتسِم وهو يبكي، والدموع تنهمِر للأعلى من عينيه إلى شعره.

قالت جولي: سيكون كُل شيء على ما يُرام.

قال ميلر: «أعرِف».

وقف صامتًا لمُدَّة ساعة تقريبًا، ثُم استدار وشقَّ طريقه ببطءٍ وعدم استقرار نحو المركبة القُربان عبر غُرفة مُعادلة الضغط وصولًا إلى بطنها المُعتِم، كان هناك ما يكفي من الهواء مُتبقيًا بحيث لم يكُن مضطرًّا للنوم وهو يرتدي بدلته، تجرَّد من ملابسه، واختار أريكة تسارُع، واستلقى في

الجيل الأزرق الصلب، وعلى بُعد أقل من عشرين مترًا، تقبَع خمسة أجهزة اندماج قويَّة بما فيه الكفاية لتفوق لمعان الشمس مُنتظرةً إشارة، ومن فوقه، تغيَّر كُل شيء كان بشريًّا في محطَّة إيروس وأعيد تشكيله، يتدفَّق من شكلٍ إلى آخرٍ مثل لوحة من لوحات هيرونيموس بوس أصبحت حقيقية، بينما تندفِع (ناوفو) -مطرقة الرب- مُسرعة نحوه على بُعد يوم تقريبًا.

ضَبَطَ ميلر بدلته لتعزِف بعض ألحان البوب القديمة التي كان يستمتِع بها عندما كان صغيرًا، وترك نفسه يُغني لينام، وعندما حلم، كان يحلم أنه قد وَجَد نفقًا في الجُزء الخلفي من غُرفته القديمة في سيريس، وهو ما كان يعني أنه سيكون حرًّا، حرًّا أخيرًا.

***

كان إفطاره الأخير عبارة عن: لوح صلب من الطحين، وحفنة من الشوكولاتة مُختلسة من حزمة نجاةٍ منسية، أكلها بمُساعدة مياهٍ فاترةٍ مُعاد تدويرها تفوح بطعم الحديد والعفن، كادت الإشارات الصادِرة عن إيروس أن تغرِق بفعل التردُّدات المُتذبذِبة المُنبعِثة من المحطَّة التي تعلوه؛ لكن ميلر عمل بما يكفي لمعرفة كيف تدور الأمور.

لقد انتصر هولدن بقدر ما كان ميلر يتوقَّعه منه، بينما كانت (أوبا) ترد على آلاف الاتهامات الغاضِبة من الأرض والمريخ، ومن النمط الحقيقي الدائِم للفصائِل الموجودة داخِل (أوبا) نفسها، كان الأوان قد فات، وكان موعد (ناوفو) في غضون ساعات من الوقت الحالي، كانت النهاية قادِمة.

ارتدى ميلر بدلته للمرَّة الأخيرة، وأطفأ الأضواء، وزحف مرَّة أخرى عبر غُرفة مُعادلة الضغط، لم يستجِب التحرير الخارجي لفترةٍ طويلةٍ، وتوهَّجت أضواء الأمان باللون الأحمر، وشعر بطعنة من الخوف

بأنه سيقضي لحظاته الأخيرة هنا تُغرَس في قلبه، مُحاصرًا في أنبوبٍ مثل صاروخ جاهِز للانطلاق؛ لكنه قام بتدوير طاقة القفل فانفتح.

أصبح بث إيروس بلا كلمات في الوقت الحالي، مُجرَّد غمغمة خافِتة مثل صوت الماء فوق الصخور، سار ميلر عبر مُقدِّمة خلجان الرسو الواسِعة. دارت السماء من فوقه، وارتفعت (ناوفو) من الأفق مثل الشمس. لم تكُن يده المفلطحة التي فردها على طولها كبيرة بما فيه الكفاية لتُغطي على وهج مُحرِّكاتها، كان مُعلَّقًا من حذائه، وهو يُراقِب المركبة وهي تقترِب، شاهدها شبح جولي معه.

إذا كان قد أجرى العمليات الحسابية بشكلٍ صحيحٍ، فسيكون موقِع اصطدام (ناوفو) في مُنتصف محوَر إيروس الرئيس، وسيكون ميلر قادرًا على رؤيته عندما يحدُث، وستُذكِّره الإثارة الدوَّارة في صدره بأنه شاب، سيكون عرضًا، عجبًا، سيكون شيئًا لا بد من مُشاهدته، فكَّر في تسجيله، ستكون بدلته قادِرة على إنشاء ملف مرئي بسيط وعلى تدفُّق البيانات في الوقت الفعلي؛ لكن لا، كانت هذه لحظته الخاصَّة -لحظته هو وجولي- بإمكان بقية البشر أن يُخمِّنوا ما سيكون عليه الحال إذا كانوا مُهتمين.

ملأ وهج (ناوفو) الهائِل رُبع السماء الآن، وكانت دائرتها الكامِلة قد تحرَّرت من الأفق، تحوَّلت تمتمة بث إيروس الخافِت إلى شيءٍ اصطناعي أكثر وضوحًا: صوت مُتصاعِد عالٍ ذكَّره بشاشات مسح الرادار الخضراء في الأفلام القديمة دون سبب واضِح، كانت هناك أصوات تحتل الجُزء الخلفي منه؛ لكنه لم يستطِع تبيُّن الكلمات أو حتى اللغة.

كانت شُعلة (ناوفو) الضخمة تملأ نصف السماء الآن، وضوء الاحتراق الكامِل يطمس أضواء النجوم من حولها، أطلقت بدلة ميلر صوت تحذير من الإشعاع فقام بإطفائها.

لن يُصاب طاقم (ناوفو) البشري بحروقٍ من هذا القبيل أبدًا، حتى في أفضل أريكة؛ حيث إن جاذبية الدفع كانت لتحوِّل العظام إلى عجينةٍ، حاول تخمين مدى السرعة التي ستسير بها المركبة عندما سيحدُث الاصطدام.

سريعة بما فيه الكفاية، كان هذا كُل ما يهم، سريعة بما فيه الكفاية.

هناك، في وسط اللمعان الناري، رأى ميلر بُقعة مُظلِمة لم تكن أكبر من قمة رأس القلم الرصاص، كانت المركبة نفسها، أخذ نفسًا عميقًا، وعندما أغلق عينيه، ضغط الضوء باللون الأحمر عبر جفنيه، وعندما فتحهما مرَّة أخرى، كانت (ناوفو) طويلةً كانت مثل الإبرة، السهم، القذيفة، قبضة ترتفِع من الأعماق، وللمرَّة الأولى حسبما يتذكَّر، شعر ميلر بالرهبة.

صرخ إيروس.

- «لا تلمسوني بحق اللعنة!».

وببطءٍ، تغيَّر لمعان نيران المُحرِّك من دائرةٍ إلى شكلٍ بيضاوي ثُم إلى شكل ريشةٍ ضخمةٍ، وكانت (ناوفو) نفسها تظهر بلونٍ فضي في شكلٍ خشنٍ، فغر ميلر فاه.

لقد أخطأت (ناوفو)، لقد انعطفت، لقد كانت تتخطى إيروس في الوقت الحالي، في الوقت الحالي؛ لكنها لم تصطدِم به؛ لكنه لم يرَ أي نوع من إطلاق صواريخ المناورة، وكيف يُمكِن أن ينعطِف شيء بهذه الضخامة، ويتحرَّك بمثل هذه السرعة أن ينحرِف بمثل هذه الطريقة المُفاجِئة بين لحظة وأخرى دون أن تتمزَّق المركبة إربًا؟ إن من شأن قوى تسارُع الجاذبية وحدها أن...

نَظَر ميلر إلى النجوم كما لو كانت بعض إجابات أسئلته مكتوبة عليهم، ولدهشته، فقد كانت هناك. فقد كان اكتساح مجرَّة درب التبانة، وتشتُّت النجوم اللانهائي لا يزالان موجودين هناك؛ لكن الزوايا تغيَّرت، تبدَّل دوران إيروس وعلاقته بمستوى مسار الشمس.

كان من المُستحيل أن تُغيِّر (ناوفو) مسارها في اللحظة الأخيرة دون أن تتمزَّق إربًا، ولذلك لم يحدُث هذا، كان إيروس حوالي ستمائة كيلومتر مُكعَّب، وقبل بروتوجين، كان يضُم أكبر منفذ نشِط في الحزام.

وبدون التغلُّب على قبضة أحذية ميلر المغناطيسية قامَت محطَّة إيروس بالمراوغة.

(٤٩)

هولدن

قال أموس بصوتٍ يخلو من العواطِف: «اللعنة».

قالت ناعومي من خلف هولدن: «جيم»؛ لكنه لوَّح لها بيده وفَتَح قناة اتصال مع أليكس الموجود في قُمرة القيادة.

- «هل رأينا ما تقول مُستشعراتي أننا قد رأيناه للتو يا أليكس؟».

أجابه الطيَّار: «أجل أيها القُبطان، تقول كل من أجهزة الرادار والمناظير إن إيروس قفز مائتي كيلومتر باتجاه الدوران في أقل من دقيقة».

كرَّر أموس حديثه بنفس النبرة التي تخلو من العواطِف: «اللعنة». تعالى دوي الانفجار المعدني الخاص ببوابات السطح التي تُفتَح وتُغلَق عبر المركبة؛ لتُشير إلى اقتراب أموس من سلم الطاقم.

نحى هولدن اندفاع الغضب الذي شعر به بسبب ترك أموس لموقعه جانبًا، سيتعامَل مع هذا الأمر لاحقًا، كان بحاجةٍ إلى التأكُّد من أن (روسينانت) وطاقمها لم يختبِروا هلوسة جماعية لتوهم، قال: «أعطيني قناة اتصال يا ناعومي».

استدارت في مقعدها لتواجهه، كان وجهها شاحبًا.

سألته: «كيف يُمكِنك أن تكون هادئًا للغاية؟».

- «لن يُساعِدنا الذُّعر، نحتاج إلى معرفة ما يجري قبل أن نتمكَّن من التخطيط بذكاء، من فضلِك حوِّلي الاتصالات لي».

قال أموس وهو يتسلَّق السلم صعودًا إلى سطح العمليات: «اللعنة»، أغلِقت فتحة السطح بدوي مُتقطِّع.

قال هولدن: «لا أتذكَّر أنني طلبت منك أن تترك موقعك أيها البحَّار».

قالت ناعومي الجُملة كما لو كانت بلُغةٍ أجنبيةٍ بالكاد تفهمها: «التخطيط بذكاء... التخطيط بذكاء».

ألقى أموس نفسه بقوةٍ كافيةٍ على مقعدٍ لدرجة أن چيل الوسادة أمسَك به ليمنعه من الارتداد.

قال أموس: «إيروس كبير جدًّا حقًّا».

كرَّرت ناعومي الجُملة وقد أصبحت تُحدِّث نفسها الآن: «التخطيط بذكاء».

قال أموس: «أعني أنه كبير جدًّا حقًّا، هل تعرفون مقدار الطاقة اللازِمة لدوران تلك الصخور؟ أعني أنها تستغرِق سنوات للقيام بذلك الهراء».

وضع هولدن السماعة على رأسه ليحجُب صوتي أموس وناعومي، ونادى على أليكس مرَّة أخرى.

- «هل لا يزال إيروس يُغيِّر سُرعته يا أليكس؟».
- «لا يا قُبطان، يستقِر هناك فحسب مثل صخرة».

قال هولدن: «حسنًا، يُعاني أموس وناموس من صدمة جُزئية، كيف تُبلي؟».

- «لن أرفع يديَّ عن عجلة القيادة بينما يتواجَد هذا الوغد في أي مكان في مساحتي، هذا أمر مؤكَّد».

قال هولدن لنفسه: حمدًا لله على التدريب العسكري.

- «جيِّد، حافظ على المسافة بيننا ثابتة بمقدار خمسة آلاف كيلومتر حتى أخبرك بغير ذلك، وأعرِف إذا ما تحرَّك مرَّة أخرى حتى ولو لشبرٍ واحدٍ».

قال أليكس: «عُلم يا قُبطان».

خَلَع هولدن سماعة رأسه واستدار ليواجه باقي الطاقم، كان أموس يُحدِّق في السقف، يعد النقاط على أصابعه، وعيناه تفتقِدان للتركيز.

قال دون أن يوجِّه حديثه لأي شخص على وجه الخصوص: «... لا أتذكَّر حقًّا كُتلة إيروس حسبما أذكُر ودون مزيد من التفكير...».

أجابته ناعومي: «حوالي سبعة آلاف تريليون كيلوجرام يزيد أو ينقص، وقد ارتفعت بصمة الحرارة حوالي درجتين».

قال الميكانيكي: «يا إلهي! لا أستطيع القيام بالحسابات في رأسي، أن ترتفِع درجة حرارة هذا القدر من الكُتلة درجتين بهذه الطريقة؟».

قال هولدن: «الكثير، دعونا نتحرَّك إذن...».

أجابته ناعومي: «حوالي عشرة إكساجول، هذا دون القيام بالكثير من العمليات الحسابية؛ لكنني لست مُتأكِّدة من الحجم أو أي شيء آخر».

أطلق أموس صوت صفير.

- «عشرة إكساجول مثل... ماذا... قُنبلة اندماجية بسعة اثنين جيجا طن؟».

قالت ناعومي بصوتٍ بدا ثابتًا: «حوالي مائة كيلوجرام تتحوَّل مُباشرةً إلى طاقةٍ، وهو ما لا نستطيع فعله بالطبع؛ لكن على الأقل لم يكُن أيًّا كان ما فعلوه سحرًا».

تشبَّث عقل هولدن بكلماتها بإحساسٍ جسدي تقريبًا، في الواقِع، كانت ناعومي هي أذكى شخص يعرِفه، لقد تحدَّثت للتو إلى الخوف شبه المفصلي الذي كان يؤويه منذ أن قفز إيروس جانبًا: أن هذا كان سحرًا، وأن الجُزيء الأولي لم يكُن مضطرًّا إلى الامتثال لقوانين الفيزياء؛ لأنه إذا كان هذا صحيحًا، فلن يحظى البشر بفُرصةٍ.

قال: «اشرحِي لي الأمر».

أجابته وهي تنقر على لوحة مفاتيحها: «حسنًا، رفع درجة حرارة إيروس لم يتسبَّب في تحريكه، لذلك أفترض أن هذا يعني أنها كانت حرارة مُهدرة أيًّا كان ما فعلوه بالفعل».

- «وماذا يعني هذا؟».
- «أن هذا القصور الحراري لا يزال موجودًا، وأنهم لا يستطيعون تحويل الكُتلة إلى طاقةٍ بكفاءةٍ مثاليةٍ، وأن آلاتهم أو عملياتهم أو أيًّا كان ما يستخدِمونه لتحريك سبعة آلاف تريليون طن من الصخور قد أهدر بعض الطاقة، والتي تساوي الطاقة الناتِجة عن قُنبلة تزن اثنين جيجا طن».
- «حسنًا».

قال أموس وهو يُصدِر صوتًا استهزائيًّا: «لا يُمكِنك تحريك إيروس لمائتي كيلومتر باستخدام قُنبلة تزِن اثنين جيجتين طنًّا».

أجابته ناعومي: «لا، لا يُمكِنك أن تفعل ذلك، هذه البقايا فحسب، تسخين المُنتَج، كفاءتهم لا تزال ناجِحة للغاية؛ لكنها ليست مثالية، مما يعني أن قوانين الفيزياء لا تزال سارية، مما يعني أنه ليس سحرًا».

قال أموس: «ربما يكون الأمر كذلك».

نظرت ناعومي إلى هولدن. بدأ يقول: «حسنًا، إننا...».. عندما قاطعته أليكس عبر نظام اتصالات المركبة مرَّة أخرى.

- «إيروس يتحرَّك مرَّة أخرى يا قُبطان».

قال هولدن وهو يستدير ليعود إلى محطته: «اتبعه، واعرف لي مساره وسُرعته في أسرع وقت مُمكِن، عُد إلى غُرفة المُحرِّكات يا أموس، إذا تركتها بدون أمر مُباشِر مرَّة أخرى، سأجعل المُديرة التنفيذية تضربك بمفتاح ربط حتى الموت».

كان الرد الوحيد هو صوت هسيس فتح فتحة سطح المركبة ودوي إغلاقها خلف الميكانيكي الهابِط.

قال هولدن وهو يُحدِّق في تدفُّق البيانات التي كانت (روسينانت) تمده بها عن إيروس: «أخبرني بشيءٍ ما يا أليكس».

أجابه أليكس بصوتٍ هادئ واحترافي: «باتجاه الشمس هو كُل ما نعرفه على وجه اليقين». عندما كان هولدن في الجيش، سبر طريق الضابِط الصحيح منذ البداية، لم يذهب إلى مدرسة الطيران العسكري أبدًا؛ لكنه كان يعلَم أن سنوات التدريب قسمت دماغ أليكس إلى نصفين: مشكلات الطيران، ويأتي في المقام الثاني، كُل شيء آخر. مُطابقة

إيروس والحصول على مساره كان ضمن النصف الأول، لم تكُن الكائنات الفضائية الموجودة خارِج الفضاء الشمسي والتي تحاوِل تدمير البشرية ضمن مشكلات الطيران ويُمكِنه تجاهلها بأمانٍ حتى يُغادِر قُمرة القيادة، قد يُصاب بانهيارٍ عصبي بعد ذلك؛ لكن حتى ذلك الحين، سيواصِل أليكس القيام بوظيفته.

قال له هولدن: «تراجَع حتى خمسين ألف كيلومتر، وحافِظ على مسافةٍ ثابتةٍ».

قال أليكس: «قد يكون من الصعب الحفاظ على مسافةٍ ثابتةٍ يا قُبطان، فقد اختفى إيروس من على الرادار لتوِّه».

شعر هولدن بحلقه يضيق.

– «كرِّر ما قُلته».

كان أليكس يقول: «لقد اختفى إيروس من على الرادار لتوِّه»؛ لكن هولدن كان يضرب مجموعة أجهِزة الاستشعار ليتحقَّق بنفسه، أظهرت تلسكوباته أن الصخرة لا تزال تتحرَّك في مسارها الجديد نحو الشمس، وأظهر التصوير الحراري أنه أدفأ قليلًا من الفضاء، كان بث الأصوات الغريبة والجنون الذي يتسرَّب من المحطَّة لا يزال قابلًا للاكتشاف حتى لو كان خافتًا؛ لكن الرادار كان يقول إنه لا يوجد شيء هناك.

قال صوت صغير من مؤخِّرة دماغه مرَّة أخرى: سحر.

لا، ليس سحرًا، لقد كان لدى البشر مركبات خفيَّة أيضًا، كانت مُجرَّد امتصاص لطاقة الرادار بدلًا من عكسها؛ لكن فجأةً، أصبح إبقاء الكويكب في النطاق البصري أمرًا أكثر أهمية، فقد أظهر إيروس أن

بإمكانه أن يتحرَّك بسُرعةٍ وأن يناوِر بعُنفٍ، وأصبح الآن غير مرئي للرادار؛ حيث كان من المُمكِن تمامًا أن تختفي صخرة بحجم جبل.

بدأت الجاذبية تتراكَم بينها طاردت (روسي) إيروس نحو الشمس.

- «ناعومي؟».

نظرت له، كان الخوف لا يزال يسكُن عينيها؛ لكنها كانت تحاوِل التماسُك في الوقت الحالي.

- «جيم؟».
- «الاتصالات؟ هل يُمكِنكِ أن...؟».

كان الحُزن الذي يحتل قسمات وجهها واحدًا من أكثر الأشياء المُطمئِنة التي رآها خلال ساعات، نقلت السيطرة إلى محطَّته، وقدَّم طلب اتصال.

- «إلى المركبة الحربية التابِعة للأمم المُتحِدة، هذه (روسينانت)، يُرجى الرد».

قالت المركبة الأخرى بعد نصف دقيقة من الشوشرة: «تفضَّل يا (روسينانت) ».

قال هولدن: «أتصل بشأن تأكيد بيانات أجهزة الاستشعار الخاصَّة بنا». نَقَل البيانات المُتعلِّقة بحركة إيروس قبل أن يقول: «هل ترون نفس الشيء يا رفاق؟».

تأخير آخر، كان أطول هذه المرَّة.

- «عُلم يا (روسينانت) ».

قال هولدن: «أعلم أننا كُنا على وشك إطلاق النار على بعضنا بعضًا وكُل شيء؛ لكنني أعتقد أننا تجاوزنا ذلك قليلًا الآن، على أي حال، نحن

نُطارِد الصخرة، وإذا غفلنا عنها، فقد لا نجدها مرَّة أخرى، هل تُريدون الانضمام إلينا؟ قد يكون من الجيِّد الحصول على بعض الدعم إذا قرَّرت أن تُطلِق النار علينا أو القيام بشيءٍ من هذا القبيل».

تأخير آخر، هذه المرَّة لما يقرُب من دقيقتين؛ ثُم أتاه صوت مُختلِف على الخط: أنثى، أكبر سنًّا، وتفتقِر تمامًا إلى غطرسة وغضب الشاب الذي كان يتعامَل معه حتى الآن.

«(روسينانت)، هذه القُبطان ماكبرايد من مركبة المُرافقة التابِعة لقوَّات البحرية الفضائية الخاصَّة بالأمم المُتحِدة (رافي)». قال هولدن لنفسه: عجبًا، لقد كُنت أتحدَّث إلى الضابِط الأول طوال الوقت، لقد تولَّت القُبطان السيطرة أخيرًا، قد يكون هذا علامةً جيِّدةً. تابعت حديثها: «لقد أرسلت رسالة إلى قيادة الأسطول؛ لكنها تأخَّرت لمُدة ثلاث وعشرين دقيقة حتى الآن، بينما تزداد سُرعة تلك الصخرة، هل لديك خطَّة؟».

- «ليس حقًّا يا (رافي)، لم نقم سوى بمُتابعة وجمع المعلومات حتى نجد فُرصة للقيام بشيءٍ يُحدِث فارقًا؛ لكن إذا جئت، فربما لن يُطلِق أحد من رجالكم النار علينا بالخطأ بينما نكتشِف ذلك».

ساد الصمت لفترةٍ طويلةٍ، كان هولدن يعرِف أن قُبطان (رافي) توازِن بين احتمال أنه يقول الحقيقة في مُقابِل التهديد الذي وجَّهه لمركبة العلوم الخاصَّة بهم، ماذا لو كان مُشاركًا في أي كان ما يحدُث؟ فقد كان يتساءل عن نفس الشيء في موقفهم.

قال: «انظُر، لقد أخبرتكِ باسمي، جيمس هولدن، لقد عملت مُلازمًا في القوَّات البحرية الفضائية الخاصَّة بالأمم المُتحدة، لا بُدَّ أن

تكون سجلاتي ضمن الملفات، ستُظهر إبراءً للذمَّة؛ لكنها ستُظهر أيضًا أن عائلتي تعيش في مونتانا، لا أريد لتلك الصخرة أن تصطدِم بالأرض أكثر مما تفعلون».

استمرَّ الصمت على الطرف الآخر لعدَّة دقائِق أخرى.

قالت: «أعتقِد أن رؤسائي يريدون مني أن أراقِبك أيها القُبطان، سنأتي للانضمام إليكم في الرحلة ريثما يكتشِف الأذكياء ما يحدُث».

أطلق هولدن زفيرًا طويلًا وصاخِبًا.

- «شكرًا على ذلك يا ماكبرايد، استمري في محاولة الاتصال بقومكِ، وسأقوم ببعض الاتصالات بدوري، لن تحل مركبتان حربيتان تلك المُشكلة».

أجابته (رافي): «عُلِم»، ثُم أنهت الاتصال.

قالت ناعومي: «لقد فتحت اتصالًا مع تايكو».

استرخى هولدن إلى الخلف في مقعده، وكانت الجاذبية المُتزايدة لتسارُعهم تضغط عليه، تجمَّعت كُتلة مائية في أحشائه، وأخبرته العُقدة الفضفاضة أنه ليس لديه أي فكرة عمَّا كان يفعله، وأن أفضل الخطط قد فشلت، وأن النهاية كانت قريبة، كان الأمل القصير الذي كان قد شعر به قد بدأ في التلاشي بالفعل.

كيف يُمكِنك أن تكون هادئًا للغاية؟

قال هولدن لنفسه: أعتقِد أنني أُشاهِد نهاية الجنس البشري، سأتصل بفريد كيلا يكون هذا خطئي عندما لا يكون لدى أي شخص أي فكرة عن كيفية إيقافه، بالطبع لست هادئًا.

أنا أنشُر الذنب فحسب.

***

سأله فريد جونسون بعدم تصديق: «ما السرعة؟».

أجابه هولدن بصوتٍ غليظٍ وهو يشعُر بالضغط في حلقه: «تسارُع أربعة (ج) حتى الآن، ويتزايد، وهو غير مرئي للرادار في الوقت الحالي».

- «أربعة (ج)، هل تعرف مدى ثِقَل إيروس؟».

قال هولدن، والتسارُع يخفي نفاذ الصبر الذي يحتل صوته: «لقد دار بعض النقاش حول ذلك الأمر، السؤال الآن، ماذا سنفعل الآن؟ لقد أخطأته (ناوفو)، خطتنا مُحطَّمة للغاية».

كانت هناك زيادة أخرى ملحوظة في الضغط عندما زاد أليكس من سُرعة المركبة لمواكبة سُرعة إيروس لفترةٍ أطول وسيُصبِح الحديث غير مُمكِن.

سأله فريد: «هل نحن مُتأكِّدون من أنه يتجه إلى الأرض؟».

- «أليكس وناعومي مُتأكِّدان من ذلك بنسبة تسعين بالمائة أو نحو ذلك، من الصعب أن نكون دقيقين للغاية عندما لا يُمكِننا استخدام سوى البيانات المرئية؛ لكنني أثق بهما، سأذهب إلى حيث يوجد ثلاثين مليار مضيف جديد أيضًا».

ثلاثون مليار مضيف جديد، ثمانية منهم من والديه، تخيَّل الأب توم كحزمةٍ من الأنابيب التي تنضح باللون البُني، والأم إليز كقفص صدري يجُر نفسه على الأرض بذراعٍ عظميةٍ واحدةٍ، وماذا يُمكِنه أن يفعل بعد

ذلك بهذا القدر من الكُتلة الحيوية؟ أن يُحرِّك الأرض؟ أن يُطفئ الشمس؟

قال هولدن محاولًا ألا يختنِق بلسانه أثناء حديثه: «يجب أن تُحذِّرهم».

- «ألا تعتقِد أنهم يعرِفون؟».

قال هولدن: «إنهم يرون التهديد؛ لكنهم قد لا يرون نهاية الحياة الأصلية في النظام الشمسي، هل أردت سببًا للجلوس على الطاولة؟ ماذا عن هذا السبب: اتحدوا أو موتوا».

ظلَّ فريد هادئًا للحظةٍ، تحدَّث إشعاع الخلفية إلى هولدن بهمساتٍ صوفيةٍ مليئةٍ بالأشياء الرهيبة أثناء انتظاره، قال الصوت: أيها الوافِد الجديد، تسكَّع لِمُدَّة أربع عشرة مليار سنة أو نحو ذلك، لترى ما رأيته، ولن يبدو كُل هذا الهراء مُهمًّا للغاية بعد ذلك.

قال فريد مُقاطعًا مُحاضرة الكون حول الزوال: «سأرى ما يُمكِنني فعله، وفي هذه الأثناء، ماذا ستفعل؟».

ستسبقني الصخرة ثُم سأشاهِد مهد البشرية وهي تموت.

قال هولدن: «أنا مُنفتِح على الاقتراحات».

- «ربما يُمكِنك تفجير بعض القنابِل النووية السطحية التي وضعها الفريق التدريبي لتغيير مسار إيروس، اشترِ لنا بعض الوقت».

قال هولدن: «إنهم على فتيل تقارُب، لا يُمكِنني تفجيرهم». تحوَّلت الكلمة الأخيرة إلى صرخةٍ بينما طعنه مقعده في عشرات الأماكِن المُختلِفة ليحقنه ويملأه بالنار، قام أليكس بحقنهم بالعصير، وهو ما كان يعني أن

إيروس ما زال يتسارَع، كان قلقًا من فقدانهم للوعي، ما السرعة التي ينطلِق بها؟ فحتى باستخدام العصير، لا يُمكِنهم تحمُّل التسارُع المُمتد بعد سبعة أو ثمانية (ج) دون التعرُّض لمخاطرٍ جسيمةٍ، إذا حافظ إيروس على مُعدل تلك الزيادة، فسوف يتفوَّق عليهم.

قال فريد: «يُمكِنك التفجير عن بُعد، ميلر يعرِف الأكواد، اطلب من الفريق التجريبي أن يحسب أيهم يجب أن ينطلِق لتحقيق أقصى تأثير».

قال هولدن: «عُلِم ويُنفَّذ، سأتصل بميلر».

قال فريد مُستخدمًا لُغة الحزاميين العاميَّة دون أي تلميح بالارتباك: «سأعمل من الباطِن، لأرى ماذا يُمكِنني أن أفعل».

أنهى هولدن الاتصال، ثُم اتصل بمركبة ميلر.

أجابه من كان مسؤولًا عن اللاسلكي هناك: «مرحبًا».

- «هذا هولدن، من مركبة (روسينانت)، أعطني ميلر».

قال الصوت: «حسنًا».

كانت هناك نقرة، ثُم صوت شوشرة، ثُم ميلر يقول: مرحبًا بصدى صوت خافتٍ، لا يزال يرتدي خوذته إذن.

- «أنا هولدن يا ميلر، نحن بحاجةٍ إلى التحدُّث عمَّا حدث للتو».
- «لقد تحرَّك إيروس».

بدا ميلر غريبًا، وصوته بعيدًا، كما لو كان بالكاد يُلقي بالًا للمُحادثة، شعر هولدن بتدفُّقٍ من الغضب لكنه سُرعان ما أخمده، كان بحاجةٍ إلى ميلر الآن، سواء أراد ذلك أم لم يُرده.

قال: «انظُر، لقد تحدَّثت إلى فريد وهو يُريد منَّا التنسيق مع رفاقك التجريبيين، لديك رموز التفجير عن بُعد، إذا فجرناهم جميعًا من جانبٍ واحدٍ، فقد يُمكِننا أن نُحرِّف مساره، اجلب الفنيين الخاصِّين بك على الخط، وسنعمل على ذلك سويًّا».

قال ميلر: «أجل، تبدو هذه فكرة جيِّدة، سأرسل إليك الرموز». لم يعُد صوته بعيدًا؛ لكنه كان يكتم الضحك مثل رجل على وشك أن يروي نُكتة جيِّدة حقًّا. أضاف: «لكن لن يُمكِنني مُساعدتك حقًّا بشأن الفنيين».

- «اللعنة يا ميلر، هل أثرت غضب هؤلاء الناس أيضًا؟».

ضَحِك ميلر الآن، وهو صوت حُر وخافِت يُمكِن لأي شخص لم تكُن الجاذبية تتراكَم عليه أن يتحمَّلها. كان هناك نهاية للنكتة؛ لكن هولدن لم يرها.

قال ميلر: «أجل، من المُحتمل أنني فعلت ذلك؛ لكن هذا ليس السبب في أنني لا أستطيع الحصول عليها من أجلك، فأنا لست على متن المركبة معهم».

- «ماذا؟».

- «ما زلت على متن إيروس».

(٥٠)

ميلر

قال هولدن: «ماذا تعني بأنك على متن إيروس؟».

قال ميلر وهو يواري إحساسًا مُتزايدًا بالخجل خلف نبرة صوت عادية: «أقصِد هذا إلى حدٍّ كبيرٍ، فأنا مُعلَّق رأسًا على عقبٍ خارِج أرصفة القطاع الثالث، حيث ترسو إحدى المركبات، أشعر وكأنني خُفَّاش لعين».

- «لكن... ».
- «الشيء المُضحِك كذلك أنني لم أشعُر بالأمر عندما تحرَّك ذلك الشيء، كُنت لتعتقِد أنه من شأن تسارُع من هذا القبيل أن يطرُدني، أو يسحقني بشكلٍ أو بآخرَ؛ لكن شيئًا لم يحدُث».
- «حسنًا، انتظِر، نحن قادمون لأخذك».

قال ميلر: «أوقِفه فحسب يا هولدن، حسنًا؟».

لم يستمر الصمت أكثر من اثنتي عشرة ثانية؛ لكنه حمل الكثير من المعاني: ليس من الآمن إحضار (روسينانت) إلى إيروس، وقد جئت هنا لأموت، فلا تُزِد من صعوبة الأمر.

قال هولدن: «أجل، أنا فقط...». ثُم أضاف: «حسنًا، دعني... دعني أنسِّق مع الفنيين، سأقوم... اللعنة، سأدعك تعرِف ماذا يقولون».

قال ميلر: «لكن هناك شيء واحِد، أنت تتحدَّث عن تعديل مسار هذا الوغد؟ ضع في اعتبارك أنه لم يعُد كويكبًا بعد الآن، إنه مركبة».

قال هولدن: «حسنًا»، وبعد لحظة أضاف: «حسنًا».

انقطع الاتصال بصوت تكَّة، قام ميلر بفحص إمدادات الأوكسچين الخاصَّة به، ثلاث ساعات بالبدلة؛ لكن يُمكِنه العودة إلى مركبته الصغيرة لإعادة تعبئتها قبل ذلك بوقتٍ طويلٍ، إذن فإيروس كان يتحرَّك، أليس كذلك؟ ما زال لا يشعُر بذلك؛ لكن عند مُشاهدة سطح الكويكِب المُنحني، كان بإمكانه رؤية الكويكبات الصغيرة، وكُلها تأتي من نفس الاتجاه، وترتد. إذا ما استمرَّت المحطَّة في التسارُع، فستبدأ الكويكبات في القدوم مرارًا وتكرارًا وبشكل أكثر قوَّة، وسيحتاج إلى البقاء في المركبة.

أدار جهازه اللوحي إلى بث إيروس مرَّة أخرى، كانت المحطَّة الموجودة تحته تُزقزِق وتُغمغِم، وتُشِع منها أصوات حروف علَّة طويلة وبطيئة مثل أُغنية حوت مُسجَّلة، بدا صوت إيروس مُسالمًا بعد الكلمات الغاضِبة والشوشرة، تساءل عن نوع الموسيقى التي سيصنعها أصدِقاء ديوجو من ذلك، لا يبدو الرقص البطيء أسلوبهم، استقرَّت حكَّة مُزعِجة في الجُزء السفلي من ظهره، حرَّك جسده في البدلة محاولًا التخلُّص منها. ابتسم دون أن يُلاحِظ ذلك تقريبًا، ثُم ضَحِكَ، سرت عبره نوبةٌ من النشوة.

كانت هناك حياة فضائية في الكون، وكان يمتطيها مثلما يمتطي البرغوث الكلب، لقد تحرَّكت محطَّة إيروس بإرادتها الحُرَّة وبآلياتٍ لم يستطِع تخيُّلها، لم يعرِف عدد السنوات التي مرَّت منذ أن طغت عليه

الرهبة، لقد نسي ذلك الشعور، رفع ذراعيه إلى جانبيه، ليمد يديه وكأنه يستطيع احتضان الفضاء المُظلِم الذي لا نهاية له والذي يوجد تحته.

ثُم عاد إلى المركبة مُتنهِّدًا.

عندما عاد إلى الغُلاف الواقي مرَّة أخرى، خلع البدلة وربط إمداد الهواء بأجهزة إعادة التدوير لشحنه، سيكون مستوى دعم الحياة المُنخفِض جاهزًا للذهاب في غضون ساعة مع وجود شخص واحد فقط للعناية به، كانت بطاريات المركبة لا تزال مشحونة بالكامِل تقريبًا. دقَّ جهازه اللوحي مرَّتين، ليُذكِّره بأن الوقت قد حان لتناوُل الأدوية المُضادة للسرطان مرَّة أخرى، تلك التي أصيب بها في المرة الأخيرة التي كان فيها على متن إيروس، تلك التي سيبقى أسيرًا لها لبقية حياته، يا لها من مزحة جيِّدة!.

كانت القنابِل الاندماجية في عنبر شحن المركبة: صناديق رماديَّة مُربَّعة يبلُغ عددها نصف ما كان متوقعًا، مُثبَّتة مثل الطوب بملاطٍ من الرغوة الوردية اللاصِقة، استغرق الأمر ميلر عشرين دقيقة من البحث في خزانات التخزين للعثور على علبة مُذيب لا تزال مشحونة، فاح الرذاذ الرقيق المُنبعِث منها برائِحة الأوزون والزيت، ذابت الرغوة القاسية الموجودة تحتها، جلس ميلر القرفصاء بجوار القنابِل وهو يأكل لوحًا غذائيًّا يبدو طعمه مثل التفَّاح بشكلٍ مُقنعٍ، جلست جولي بجواره، ورأسها عديم الوزن يستريح على كتفه.

كانت هناك عدَّة مرَّات غازل فيها الإيمان ميلر، كان مُعظمهم عندما كان صغيرًا ويُجرِّب كُل شيء، ثُم عندما كان أكبر سنًّا، أكثر حكمةً، وأكثر تهالُكًا، ويرزح تحت وطأة ألم ساحِق من الطلاق، لقد فَهِم التوق إلى كائنٍ أعظم، يتمتَّع بذكاءٍ ضخمٍ ورحيمٍ يُمكِّنه من رؤية كُل شيء من

منظورٍ يمحي التفاهة والشر ويجعل كُل شيء على ما يُرام. لا يزال يشعُر بهذا التوق؛ لكنه لم يستطِع إقناع نفسه بأن ذلك كان صحيحًا.

وعلى الرغم من ذلك، فربما كان هناك شيء مثل الخطَّة، ربما وضعه الكون في المكان المُناسِب وفي الوقت المُناسِب للقيام بالشيء الذي لن يفعله أي شخص آخر، ربما كان من المُفترض بكُل الألم والمُعاناة التي مرَّ بهما، وبكُل خيبات الأمل والسنوات الساحقة للروح التي تمرُّ بأسوأ ما على البشرية أن تُقدِّمه، أن تجلِبه إلى هنا، في هذه اللحظة، عندما كان مستعدًّا للموت من أجل أن يوفِّر للبشرية القليل من الوقت.

قالت جولي التي تسكُن خياله: سيكون من الجميل التفكير بذلك.

اتفق مع ذلك وهو يقول مُتنهِّدًا: «سيكون كذلك». اختفت صورتها عندما سَمِعَ صوته، كانت مُجرَّد حلم يقظة آخر.

كانت القنابِل أثقل مما كان يتذكَّر، لم يكُن ليتمكَّن من تحريكها، في حال وجود جاذبية كامِلة. بينما كان ذلك صراعًا، في جاذبية مقدارها ثُلث (ج)؛ لكن الأمر كان مُمكِنًا. كان يسحَب إحداها في عربة يد، لسنتيمترٍ مؤلِمٍ في المرَّة، لينقلها إلى غُرفة مُعادلة الضغط، بينما كان إيروس الذي يعلوه يُغني لنفسه.

كان عليه أن يحظى بقسطٍ من الراحة قبل أن يُباشِر العمل الشاق. كانت غُرفة مُعادلة الضغط صغيرة بما فيه الكفاية لتحتوي على إما القُنبلة وإما هو في المرَّة الواحِدة، تسلَّق فوق القُنبلة ليخرُج من باب غُرفة مُعادلة الضغط الخارجي، ثُم اضطرَّ لرفعها بالأحزِمة التي قام بتمزيقها من شبكة الشحن، وبمُجرَّد خروجها، كان لا بد أن يربطها بالمركبة بمشابِك مغناطيسيةٍ ليمنع دوران إيروس من دفعها للخارِج نحو الفضاء، وبعد أن أخرجها وربطها بالعربة، توقَّف ليحصل على نصف ساعة من الراحة.

كان هناك المزيد من التصادُمات في الوقت الحالي، وهي علامة قاسية على أن إيروس كان يتسارع بالفعل، كُل تصادُم كان يُمثِّل طلقة بُندقية قادِرة على اختراقه أو اختراق المركبة الموجودة خلفه، إذا ما أطلقها سوء الحظ في الاتجاه الصحيح؛ لكن الاحتمالات كانت مُنخفِضة بالنسبة لإحدى الصخور العرضية التي تصطف في طلقاتٍ قاتلةٍ مكوَّنة من أشكال صغيرة تُشبِه النمل لتزحف فوق السطح. سيتوقَّفون على أي حال بمُجرَّد أن يعبُر إيروس الحزام، هل سيُغادِر إيروس الحزام؟ أدرك أنه ليس لديه أي فكرة إلى أين يتجه إيروس. لقد افترض أنه ينطلِق إلى الأرض، على الأرجح، سيعرف هولدن بحلول ذلك الوقت.

آلمه كتفاه قليلًا من المجهود؛ لكن الألم لم يكُن قويًّا، كان قلِقًا من أن يكون قد أفرط في تحميل العربة. كانت عجلاتها أقوى من حذائه المغناطيسي؛ لكن لا يزال من المُمكِن التغلُّب عليها. ترنَّح الكويكب من فوقه مرَّة، حركة جديدة ومُقلِقة لم تتكرَّر. قطع جهازه اللوحي بث إيروس، ليُنبِهه إلى وجود اتصال وارِد، نظر إليه، هزَّ يديه، واستقبل المُكالمة.

قال قبل أن تنبس ببنت شفة: «كيف حالكِ يا ناعومي؟».

قالت: «مرحبًا».

طال الصمت بينهما.

– «لقد تحدَّثتِ إلى هولدن إذن؟».

قالت: «أجل، لا ينفك يتحدَّث عن طُرق لإبعادك عن ذلك الشيء».

قال ميلر: «إنه رجل جيِّد، امنعيه من القيام بذلك من أجلي، حسنًا؟».

استمرَّ الصمت لفترةٍ طويلةٍ لدرجة أن ميلر بدأ يشعُر بعدم الارتياح.

سألته: «ماذا تفعل هناك؟». كما لو كانت هناك إجابة عن ذلك، وكأن بإمكانه تلخيص حياته بأكملها كإجابةٍ لسؤالٍ واحدٍ بسيط، تجاهَل ما قصدته وأجاب عن ما قالته فحسب.

- «حسنًا، لديَّ قُنبلة نووية مربوطة بعربة شحن، سأسحبها إلى فتحة الدخول، وآخُذها إلى المحطَّة».
- «ميلر...».
- «الأمر هو أننا نتعامَل مع هذا الشيء وكأنه كويكب، والآن بات الجميع يعرِف أن هذا تبسيط للأمر بعض الشيء؛ لكن الأمر سيستغرقنا بعض الوقت للتكيُّف معه، لا تزال القوَّات البحرية الفضائية تُفكِّر في هذا الشيء وكأنه كُرة بلياردو في حين أنه حقًّا فأر».

كان يتحدَّث بسُرعةٍ كبيرةٍ، تتدفَّق الكلمات منه وكأنه في عجلةٍ من أمره، لم تكُن لتتحدَّث إذا لم يمنحها مساحة للحديث، لم يكُن عليه أن يسمَع ما كان يجب عليها أن تقوله، لن يضطر إلى منعها من التحدُّث معه.

- «سيكون لها هيكل ومُحرِّكات أو مراكِز تحكُّم -شيء من هذا القبيل- إذا تمكَّنت من دس هذا الشيء بالداخِل، ووضعته قريبًا من أي ما كانت إحداثيات هذا الشيء، فسيُمكِنني تدميره، وإعادته إلى كونه كُرة بلياردو، حتى لو حدث ذلك لفترةٍ وجيزةٍ، فسيمنحكم هذا فُرصة أخرى».

قالت: «فَهِمت، يبدو الأمر معقولًا، إنه الشيء الصحيح الذي ينبغي عمله».

ضَحِكَ ميلر، وَقَع صدام قوي بشكلٍ خاص على المركبة الموجودة تحته، أزعَجَ اهتزازها عظامه، بدأ الغاز يندفِع من الفتحة الجديدة، كانت المركبة تتحرَّك بسُرعةٍ أكبر.

قال: «أجل، حسنًا».

قالت: «كُنت أتحدَّث إلى أموس، أنت بحاجةٍ إلى مفتاح رجل ميِّت حتى تنفجِر القُنبلة، في حال حدوث أي شيء إذا كانت لديك رموز التشغيل...؟ ».

- «إنها لديَّ».
- «جيِّد، لديَّ روتين يُمكِنني وضعه على جهازك اللوحي، ستحتاج إلى إبقاء إصبعك على زر التحديد، إذا ابتعدت عنه لُمدَّة خمس ثوانٍ، يُرسِل إشارة البدء، يُمكِنني تحميله من أجلك، في حال أردت ذلك».
- «إذن فيجب عليَّ أن أتجوَّل في أرجاء المحطَّة وأنا أضغط على زرٍّ بإصبعي؟».

حملت نبرة ناعومي اعتذارًا بين طياتها وهي تقول: «قد يقتلونك برصاصةٍ في الرأس، أو يتغلَّبون عليك جسديًّا، كُلما زادت الفجوة، زادت فُرصة الجُزيء الأولي في تعطيل القُنبلة قبل أن تنفجِر، يُمكِنني إعادة برمجة ذلك، إذا كُنت بحاجةٍ للمزيد من الوقت».

نَظَر ميلر إلى القُنبلة التي تستريح فوق عربتها خارِج غُرفة مُعادلة ضغط المركبة، توهَّجت كُل قراءاتها باللونين الأخضر والذهبي، تنهَّد تنهيدة مُقتضبة داخِل خوذته.

- «أجل، لا، خمس ثوانٍ وقت جيِّد، حمِّلي الروتين، هل سأحتاج إلى تعديله أم أن هناك مكانًا بسيطًا يُمكِنني أن أضع فيه فتيل السلاح الناري؟».

قالت ناعومي: «هناك قسم إعداد، سأقوم بتوجيهك».

دقَّ جهازه اللوحي مُعلنًا عن قدوم الملف الجديد، قبله ميلر، وشغَّله، كان سهلًا كإدخال رمز الباب، شعر بطريقةٍ ما أن إعداد القنابل الاندماجية الموجودة من حوله للانفجار كان يجب أن يكون أكثر صعوبةً.

قال: «فهمت الأمر، نحن مُستعدون للذهاب، أعني: لا يزال يتعيَّن عليَّ تحريك هذا الوغد؛ لكن بخلاف ذلك، ما مدى تسارُع ذلك الشيء على أي حال؟».

- «سيكون أسرع مما يُمكِن لـ (روسي) اللحاق به في النهاية، ينطلِق بتسارُع أربعة (ج) في الثانية ويتزايد مع عدم وجود ما يُشير إلى تخفيف الضغط على دوَّاسة الوقود».

قال: «لا أستطيع الشعور بذلك على الإطلاق».

قالت ناعومي: «أنا آسفة على ما حدث من قبل».

- «لقد كان موقفًا سيِّئًا، فعلنا ما كان علينا القيام به كالعادة».

ردَّدت ما قاله: «كالعادة».

لم يتحدَّثا لبضع ثوانٍ.

قال ميلر: «شكرًا على الزناد، أخبري أموس أنني أقدِّر ذلك».

أنهى الاتصال قبل أن تتمكَّن من الإجابة، لم يكُن الوداع الطويل شيئًا يُمكِن لأي أحد القيام به. استقرَّت القُنبلة في عربة اليد، والمشابِك

المغناطيسية تتشبَّث بها، بينما يلتف حزام عريض من الصلب المنسوج حول كُل هذه الفوضى، تحرَّك ببطءٍ على سطح أرصفة الميناء المعدنية، إذا فقدت العربة تشبُّثها بإيروس، فلن يكون قويًّا بما فيه الكفاية لإيقافها. بالطبع، إذا أصابته إحدى هذه الضربات المُتكرِّرة بشكلٍ مُتزايد، فسيكون الأمر أشبه بتلقي طلقة نارية، ولذلك لن يكون الانتظار حلًّا جيِّدًا أيضًا، طرد كلا الخطرين من عقله وقام بالعمل، فاحت من بدلته رائحة البلاستيك الساخِن لمُدَّة عشر دقائِق متوتِّرة، ظهرت جميع التشخيصات داخِل أشرطة الخطأ، وبحلول الوقت الذي أزاله فيه جهاز إعادة التدوير، كان مصدر الهواء الخاص به لا يزال يبدو جيِّدًا، لغز آخر صغير لن يحلّه.

تألَّقت الهاوية الموجودة فوقه بنجومٍ لا تومِض، كانت إحدى نقاط الضوء هي الأرض؛ لكنه لم يعلَم أيهم هي.

كانت فتحة الخدمة مطويَّة في نتوءٍ طبيعي من الحجر، بدا مسار العربة الحديدية مثل شريط من الفضة وسط الظلام، حمَّل ميلر العربة والقُنبلة وجسده المُنهَك حول المُنحنى لأعلى وهو يشخُر، وقامت جاذبية الدوران مرَّة أخرى بالضغط على قدميه بدلًا من شد رُكبتيه وعموده الفقري، شعر بالدوار وهو يقوم بإدخال الرموز إلى أن فُتِحَت الفتحة.

امتدَّ إيروس أمامه، أغمَق من السماء الخالية.

قام باتصالٍ من جهازه اللوحي باستخدام بدلته، اتصل بهولدن لما كان يتوقَّع أنها ستكون المرَّة الأخيرة،

قال هولدن على الفور تقريبًا: «ميلر».

قال: «سأدلف للداخِل الآن».

- «انتظِر. انظُر، هناك طريقة يُمكِننا من خلالها الحصول على عربة أوتوماتيكية إذا كانت (روسي)...».
- «أجل؛ لكنك تعرف كيف الحال، أنا هنا بالفعل، ولا نعرِف مدى السرعة التي يُمكِن أن ينطلِق بها هذا الوغد، لدينا مُشكلة بحاجةٍ إلى حل، وهذا هو ما نفعله».

كان أمل هولدن ضعيفًا على أي حال، شكليًّا قال ميلر لنفسه: ربما كانت لفتة من القلب يحاوِل إنقاذ الجميع حتى النهاية.

في النهاية قال هولدن: «أتفهَّم الأمر».

- «حسنًا. إذن بمُجرَّد أن أدمِّر أيًّا ما كان سأجِده بالداخِل بحق الجحيم...؟».
- «سنعمل على طرقٍ لإبادة المحطَّة».
- «جيِّد. سأكره أن أخوض تلك المتاعِب من أجل لا شيء».
- «هل هناك... هل هناك أي شيء تُريدني أن أفعله بعد ذلك؟».

قال ميلر: «لا»، ثُم وَجَد جولي بجواره، كان شعرها يطفو حولها كما لو كانت تحت الماء، تألَّقت في ضوء النجوم أكثر من النجوم التي كانت هناك، أضاف: «انتظِر، أجل، هناك شيئان، والدي جولي، إنهم يُديرون ماو كويكويسكي التجارية، كانوا يعرِفون أن رحى الحرب ستندلِع قبل أن تبدأ، لا بُدَّ أن لديهم صلة ببروتوجين، تأكَّد من أنهم لن يفلِتوا من العِقاب. وإذا رأيتهم، أخبرهم بأنني آسف لأني لم أجدها في الوقت المُناسِب».

قال هولدن: «حسنًا».

جَلَس ميلر القرفصاء في الظلام. هل هناك شيء آخر؟ ألا يجب أن يكون هناك المزيد؟ ربما رسالة إلى هافلوك؟ أو موس؟ أو ديوجو أو أصدِقائه من (أوبا)؟ ولكن بعد ذلك يجب أن يكون هناك ما يُقال.

قال ميلر: «حسنًا، هذا كُل شيء، كان العمل معك جيِّدًا».

قال هولدن: «أنا آسِف أن الأمور قد انتهت بهذه الطريقة». لم يكُن اعتذارًا عمَّا قاله أو فعله، عمَّا اختاره أو رفضه.

قال ميلر: «نعم؛ لكن ماذا يُمكِنك أن تفعل، أليس كذلك؟».

كان هذا أقرَب شيء إلى الوداع يُمكِن أن يحصُل عليه أيهما، أنهى ميلر الاتصال، وفتح النص الذي أرسلته إليه ناعومي، وقام بتفعيله، كما قام بتشغيل بث إيروس مرَّة أخرى، بينما كان يفعل ذلك، سَمِع صوتًا ناعِمًا خافِتًا مثل صوت خدش أظافِر لا نهائي لورقةٍ، قام بتشغيل أضواء العربة، وأضاء مدخل إيروس المُظلِم ليكشِف عن ظلال صناعية رمادية اللون تتناثر في الأركان، وقفت جولي التي تسكُن خياله وسط الوهج وكأنَّها بُقعة من الضوء، كان الوهج يُضيئها هي وجميع الهياكل الموجودة خلفها في الوقت نفسه، بقايا حلم طويل، كاد ينتهي.

أزال الفرامِل، دفع العربة، ودلف إلى إيروس للمرَّة الأخيرة.

(٥١)

هولدن

كان هولدن يعرِف أنه يُمكِن للبشر أن يتحمَّلوا قوى التسارُع العالية للغاية لفتراتٍ قصيرةٍ، ويُمكِن للمبتدئين المُحترفين، في ظل توفُّر نُظم السلامة المُناسِبة، أن يتحمَّلوا قوى تسارُع مُستمرَّة يزيد مقدارها عن خمسة وعشرين (ج) ويظلوا على قيد الحياة، يتشوَّه جسد الإنسان بطبيعة الحال حيث تمتَص الأنسِجة الرخوة الطاقة، وتنتشِر التأثيرات في مناطِق أكبر.

وكان يعلم أيضًا أن مُشكلة التعرُّض المطول لقوى التسارُع العالية هي أن الضغط المُستمِر على الدورة الدموية سيبدأ في كشف نِقاط الضعف، لديك بُقعة ضعيفة في الشريان يُمكِن أن تتحوَّل إلى تمدُّد في الأوعية الدموية في غضون أربعين عامًا؟ يُمكِن لقضاء بضع ساعات بتسارُع يبلُغ مقداره سبعة (ج) في الثانية أن يفتحه الآن، ستبدأ الشعيرات الدموية الموجودة في العين بالتسريب، وستتشوَّه العين نفسها، وأحيانًا سيتسبَّب ذلك في ضررٍ دائمٍ، ثُم ستكون هناك فراغات مجوَّفة مثل الرئتين والجهاز الهضمي، سيزداد وزنك عند وصولك لدرجة جاذبية كافية، ثُم ستنهار.

وعلى الرغم من أن المركبات القتالية قد تناوِر بسُرعاتٍ عاليةٍ للغاية لفتراتٍ قصيرةٍ، فإن كُل لحظة تقضيها تحت تأثير الضغط تُضاعِف الخطر.

لم يكُن إيروس بحاجةٍ إلى إطلاق النار عليهم يُمكِنه أن يستمِر في التسارُع حتى تنفجِر أجسادهم تحت تأثير الضغط، كانت وحدة التحكُّم الخاصَّة به تكشِف عن وصولهم إلى مقدار خمسة (ج)، ولكن حتى أثناء مُشاهدته تغيَّرت إلى ستة، لا يُمكِنهم الاستمرار في ذلك، كان إيروس يبتعِد، ولم يكُن هناك شيء يُمكِن أن يفعله حيال ذلك.

لكنه ما زال لم يأمُر أليكس بالتوقُّف عن التسارُع.

وكما لو كانت ناعومي تقرأ أفكاره، ظهرت جُملة: (لا يُمكِننا الاستمرار في ذلك) على وحدة التحكُّم الخاصَّة به، كان هوية المُستخدِم الخاصَّة بها أمام الرسالة.

أجابها بـ (يعمَل فريد على ذلك، قد يحتاجون منا أن نكون ضمن نطاق إيروس عندما يجدون خطَّة)، وحتى تحريك أصابعه بالمليمترات اللازِمة لاستخدام أدوات التحكُّم المُدمَجة في مقعده لهذا السبب تحديدًا كان صعبًا بشكلٍ مؤلِمٍ.

كتبت ناعومي: (ضمن النطاق من أجل ماذا؟).

لم يُجِبها هولدن، لم يكُن لديه أي فكرة، كانت دماؤه تحترِق بفعل الأدوية التي تناولها ليبقى مُستيقِظًا ومُنتبهًا حتى أثناء سحق جسده، كان للعقاقير تأثير مُتناقِض؛ حيث كان يجعل دماغه يعمل بسُرعةٍ مُضاعفةٍ مع عدم السماح له بالتفكير فعليًّا؛ لكن فريد سيجد شيئًا ما، كان هناك الكثير من الأذكياء الذين يُفكِّرون في الأمر.

وميلر.

كان ميلر يجُر قُنبلة اندماجية عبر إيروس في الوقت الحالي، عندما يتمتَّع عدوك بميزة التكنولوجيا، يتحتَّم عليك أن تواجِهه بأقل قدر مُمكِن منها مثل: ربما أن يتسلَّل مُحقِّق حزين وهو يجُر سلاحًا نوويًّا على عربة ليخترِق دفاعاتهم، قالت ناعومي إن ما قاموا به لم يكُن سحرًا، ربما يستطيع ميلر تحقيق ذلك ومنحهم الافتتاحية التي يحتاجون إليها.

في كلتا الحالتين، كان على هولدن أن يكون هناك، حتى لو كان لمُجرَّد الرؤية.

كتبت له ناعومي (فريد).

فَتَح هولدن الاتصال، تطلَّع إليه فريد كرجلٍ يكتم ابتسامة.

قال: «هولدن، كيف تبلون يا رفاق؟».

- «نرزح تحت وطأة قوى تسارُع مقدارها ستة (ج)، قُل لي ما الأمر».
- «حسنًا، اتضح أن ضُباط شُرطة الأمم المُتحِدة قد مشَّطوا شبكة بروتوجين بحثًا عن أدلة على ما يحدُث بحق الجحيم، خمِّن من الذي ظهر على رأس قائِمة العدو العام لكِبار شخصيات بروتوجين؟ صديقك المُحترَم، فجأة، غفروا لي كُل شيء، وأصبحت الأرض تُرحِّب بي في أحضانها الدافِئة مرَّة أخرى، ويعتقِد عدو عدوي أنني وغد صالِح».
- «يا إلهي! إن طُحالي ينهار، أسرِع».
- «فكرة اصطدام إيروس بالأرض سيِّئة بما فيه الكفاية، هذا حدث سيؤدي للانقراض، حتى لو كانت مُجرَّد صخرة؛ لكن موظفي الأمم المُتحدة كانوا يُشاهِدون بث إيروس، وهذا يُخيفهم بشدةٍ».

- «و...».
- «تستعِد الأرض لإطلاق كافة ترسانتها النووية الأرضية، الآلاف من الأسلِحة النووية سيُبخِّرون تلك الصخرة، ستقوم البحرية الفضائية باعتراض ما تبقى بعد الهجوم الأولي وتعقيم تلك المنطقة بأكملها بقصفٍ نووي مُستمر، أعرِف أنها مُخاطرة؛ لكن هذا ما لدينا».

قاوَم هولدن رغبةً مُلحةً في أن يهز رأسه، لم يكُن يرغَب في أن ينتهي الأمر بأحد خديه مُلتصِقًا بالمقعد بشكلٍ دائِم.

- «لقد راوَغ إيروس (ناوفو)، وينطلِق بتسارُع ستة (ج) في الثانية في الوقت الحالي، وطبقًا لناعومي، لا يشعُر ميلر بأي تسارُع، فمهما كان ما يفعله فليس لديه نفس القيود الجامِدة التي نملكها، ما الذي يمنعه من القيام بالمراوغة مرَّة أخرى فحسب؟ وعلى هذه السرعات، لن تكون القذائِف قادِرة على الدوران والاصطدام به، ثُم ما الذي تستهدِفه الآن بحق الجحيم؟ لم يعُد إيروس يظهر على شاشات الرادارات بعد الآن».
- «هنا يأتي دورك، نُريدك أن تحاوِل أن تعكِس شُعاع ليزر عنه، يُمكِننا استخدام نظام استهداف (روسينانت) لتوجيه القذائِف إليه».
- «أكره أن أزف إليك هذا؛ لكننا سنكون خارِج اللعبة قبل أن تظهر تلك القذائِف بوقتٍ طويل، لا يُمكِننا الاستمرار، لن يُمكِننا توجيه القذائِف من أجلكم، وبمُجرَّد أن نفقِد الرؤية البصرية، لن يكون أي أحد قادرًا على تتبُّع مكان وجود إيروس».

قال فريد: «يُمكِنك أن توكِّل هذا إلى نظام الطيَّار الآلي».

وهو ما كان يعني: أنه قد يتعيَّن عليكم جميعًا أن تموتوا في المقاعِد التي تجلِسون عليها الآن.

- «لطالما رغبت في الموت كشهيدٍ وكُل شيء؛ لكن ما الذي يجعلك تعتقِد أن (روسي) يُمكِنها التغلُّب على ذلك الشيء بمُفردها؟ لن أقتل طاقمي لأنك لا تستطيع الإتيان بخطةٍ جيِّدةٍ».

انحنى فريد نحو الشاشة، ضيَّق عينيه، وللمرَّة الأولى، انزلق قناع فريد وتمكَّن هولدن من رؤية الخوف والعجز اللذين كانا يختبئان خلفه.

- «انظُر، أعرِف ما الذي أطلبه منك؛ لكنك تعرِف المخاطِر، هذا ما لدينا، لم أتصِل بك لأسمع كيف أن الأمر لن يعمَل، إما أن تمد يد المُساعدة أو تستسلِم، لعب دور مُحامي الشيطان الآن هو مُجرَّد مُسمى آخر للحماقة».

أنا أستحَق نفسي حتى الموت، وربما أتسبَّب في ضررٍ دائمٍ لمُجرَّد أنني لم أستسلِم أيها الوغد، آسف جدًّا لأنني لم أشرِك طاقمي ليموت في اللحظة التي تأمُر فيها بالقيام بذلك.

كان الاضطرار لكتابة كُل شيء يتمتَّع بميزة كبح الانفعالات العاطفيَّة، وبدلًا من أن ينفجِر في فريد للتشكيك في التزامه، كتب له هولدن: (دعني أفكِّر في الأمر) ثُم أنهى الاتصال.

قام نظام التتبُّع البصري الذي يُراقِب إيروس بتوجيه تحذير له بأن الكويكِب قد زاد من سُرعته مرَّة أخرى. زاد وزن العملاق الجاثِم على صدره بضعة أرطال بينما دفع أليكس (روسينانت) لمواكبة ذلك. أبلَغ

مؤشِّر أحمر وامِض هولدن أنه بسبب المُدة التي قضوها في التسارُع الحالي، فعليه أن يتوقَّع أن يُصاب (١٢٪) من الطاقم بالسكتات الدماغية، وستزداد تلك النسبة، وستصِل إلى (١٠٠٪)، إذا منحتها وقتًا كافيًا، حاوَل أن يتذكَّر أقصى تسارُع نظري يُمكِن لـ (روسينانت) الوصول إليه، كان أليكس قد انطلق بالفعل بتسارع مقداره (١٢ ج) لفترةٍ وجيزةٍ عندما غادروا (دوناجير)، كان الحد الفعلي هو أحد تلك الأرقام التافِهة، طريقة للتفاخُر بشيءٍ لن تفعله مركبتك أبدًا، هل كان (١٥ ج)؟ أم عشرين؟

لم يشعُر ميلر بأي تسارُع على الإطلاق، ما السرعة التي يُمكِن أن تنطلِق بها إن لم تكُن تشعُر بذلك حتى؟

قام هولدن بتنشيط مفتاح إيقاف المُحرِّك الرئيس دون أن يُدرِك أنه سيفعل ذلك تقريبًا، وفي غضون ثوانٍ، كان في حالة سقوط حُر تُهاجِمه نوبة من السعال؛ بينما تحاوِل أعضاؤه العثور على أماكنها الأصلية في جسده، وعندما تعافى هولدن بما يكفي ليأخُذ نفسًا عميقًا حقًّا، سَمِع صوت أليكس عبر نظام الاتصالات لأول مرَّة منذ ساعات.

قال الطيَّار: «هل أوقفت المُحرِّكات يا قُبطان؟».

- «أجل، قُمت بذلك، لقد انتهينا، سيبتعِد إيروس بغض النظر عمَّا نفعله، كُنا نُطيل أمد المحتوم فحسب، ونُخاطِر بموت بعض أفراد الطاقم في هذه العملية».

استدارت ناعومي في مقعدها وابتسمت له ابتسامة حزينة صغيرة، كانت التسارُع قد تسبَّب لها في كدمةٍ حول إحدى عينيها.

قالت: «لقد بذلنا قصارى جهدنا».

اندفع هولدن خارِج مقعده بقوةٍ كافيةٍ لدرجة أنه أصيب بكدمات في ساعديه من السقف، ثُم اندفع بقوةٍ مرَّة أخرى مُثبِّتًا ظهره على أحد الحواجِز من خلال الإمساك بحامِل مطفأة الحريق، راقبته ناعومي من على سطح المركبة، وفمها مفتوح بذهولٍ، كان يعلَم أنه ربما كان يبدو سخيفًا مثل طفل وقِح ينفجِر في نوبة غضب؛ لكنه لم يستطِع منع نفسه، حرَّرت قبضته مطفأة الحريق وطفا في مُنتصف السطح، لم يكُن يعرِف أنه كان يضرب الحاجِز بقبضته الأخرى، آلمته يده الآن بعد أن عرَف.

قال: «اللعنة، اللعنة فحسب».

قالت ناعومي: «لقد... »؛ لكنه قاطعها.

شعر هولدن بضبابٍ أحمر يجتاح ذهنه، لم يكُن كُله بفعل العقاقير، قال: «لقد بذلنا قصارى جُهدنا؟ وكيف يهم هذا بحق الجحيم؟ لقد بذلت قصارى جُهدي لمُساعدة (كانتيربيري) أيضًا، وحاولت أن أفعل الشيء الصحيح عندما سمحت بأخذنا من قِبَل (دوناجير)، هل كانت نواياي الحسنة تعني ذلك القرف؟».

لم يعُد وجه ناعومي يكشِف عن أي تعبيرات، كان جفناها قد سقطا في الوقت الحالي، وأصبحت ترمُقه من شقَّين ضيِّقين، زمَّت شفتيها حتى أصبحتا بيضاء تقريبًا. قال هولدن لنفسه: يُريدون مني قتلكم، يُريدون مني قتل طاقمي تحسُّبًا لعدم تمكُّن إيروس من كسر تسارع (١٥ ج)، ولا يُمكِنني القيام بذلك، كان الشعور بالذنب والغضب والحُزن يتصارعون ضد بعضهم بعضًا؛ ليتحوَّلوا إلى شيءٍ ضعيفٍ وغير مألوف، لم يستطِع تسمية هذا الشعور.

قالت بصوتٍ شديدٍ: «أنت آخر شخص توقَّعت أن أسمع منه شفقة على الذات، أين ذهب القُبطان الذي لطالما كان يسأل: ما الذي يُمكِننا فعله الآن لتحسين الأمور؟».

أشار هولدن حوله بلا حول أو قوَّة وهو يقول: «أريني الزر الذي يجِب أن أضغط عليه لأمنَع قتل جميع من هُم على الأرض، وسأضغط عليه».

طالما أن هذا لن يقتُلكِ.

فكَّت ناعومي حزام الأمان الخاص بها وطفت نحو سلم الطاقم.

قالت: «سأذهب للأسفل للاطمئنان على أموس». فتحت فتحة سطح المركبة، ثُم توقَّفت قبل أن تُضيف: «أنا مسؤولة العمليات الخاصَّة بك يا هولدن، مُراقبة خطوط الاتصال جُزء من وظيفتي، أعرِف ما الذي طلبه منك فريد».

رَمَش هولدن؛ لكن ناعومي جذبت نفسها بعيدًا لتتوارى عن الأنظار، أغلقت الفتحة من خلفها بدوي لم يكُن من المُمكِن أن يكون أصعب من المُعتاد؛ لكنه بدا كذلك على أي حال.

اتصل هولدن بقُمرة القيادة وطلب من أليكس أن يحظى بقسطٍ من الراحة وأن يتناوَل بعض القهوة، توقَّف الطيَّار في طريقه عبر سطح المركبة، بدا وكأنه يُريد التحدُّث؛ لكن هولدن لوَّح له ليصرفه، هزَّ أليكس كتفيه وغادَر.

ترسَّخ الشعور المائي في أحشائه وازدهر إلى حالةٍ من الذعر الكامِل الذي بدأ يهز أطرافه، أصرَّ جُزء شرير، انتقامي، جلَّاد للذات من عقله على تشغيل أفلام لإيروس وهو يندفِع نحو الأرض دون توقُّف. سيأتي

الهلاك من السماء مثلما تصوَّرت كُل الديانات نهاية العالَم، وستجتاح النار والزلازل والأمطار القاتِلة الأرض؛ لكن فِي كُل مرَّة ضرب فيها إيروس الأرض فِي ذهنه، بدا مثل انفجار (كانتيربيري) الذي رآه، ضوء أبيض مُفاجئ وصادِم، ثُم لا شيء سوى قعقعة الحصى الجليدي عبر بدنه مثل البرد اللطيف.

سيبقى المريخ على قيد الحياة لبعض الوقت، ومن المُحتَمل أن تصمُد جيوب الحزام لفترةٍ أطول، فقد كانت لديهم ثقافة خلق الفعل، والنجاة فِي الأنقاض، والحياة على حافة نزيف موارِدهم؛ لكن فِي النهاية، سيموت كُل شيء فِي النهاية بدون الأرض. لقد عاش البشر جيِّدًا خارِج بئر الجاذبية لفترةٍ طويلةٍ. لفترةٍ طويلةٍ بما فيه الكفاية لتطوير التكنولوچيا لقطع هذا الحبل السري؛ لكنهم لم يُكلِّفوا أنفسهم عناء القيام بذلك، راكدة: لقد أصبحت الإنسانية راكدة رغم كُل رغبتها فِي إلقاء نفسها في كُل جيب يُمكِن أن تصِل إليه للحياة، وراضية عن الطيران فِي المركبات التي تمَّ بناؤها قبل نصف قرن باستخدام التكنولوچيا التي لم تتغيَّر منذ ذلك الحين.

وركَّزت الأرض على مشكلاتها الخاصَّة؛ لدرجة أنها تجاهَلت أطفالها النائين إلا عندما تطلُب نصيبها من عملهم. بينما كان المريخ قد دفع سُكَّانه بالكامِل إلى مُهِمة إعادة تشكيل الكوكب، وتغيَّر وجهه الأحمر إلى اللون الأخضر، كانوا يحاوِلون صنع أرض جديدة لإنهاء اعتمادهم على القديمة، وأصبح الحزام هو الأحياء الفقيرة في النظام الشمسي، كان الجميع مشغولين للغاية في محاولة البقاء على قيد الحياة لقضاء أي وقت في إنشاء أي شيء جديد.

قال هولدن لنفسه: لقد وجدنا الجُزيء الأولي في الوقت المُناسِب تمامًا للتسبُّب في أكبر قدر من الضرر لنا.

بدا ذلك وكأنه اختصار، طريقة لتجنُّب الاضطرار إلى القيام بأي عمل، لمُجرَّد القفز إلى الله مُباشرةً، وكان قد مرَّ وقت طويل منذ أن أصبح أي شيء يُمثِّل تهديدًا حقيقيًّا للبشرية الموجودة خارِج نطاقها، لدرجة أنه لم يكُن هناك أي شخص ذكي بما فيه الكفاية ليشعُر بالخوف، كان دريسدن قد قال ذلك بنفسه: الأشياء التي صنعت الجُزيء الأولي، ووضعته على متن فيبي، وأطلقته على الأرض كانت تُشبِه الإله بالفعل عندما اعتقد أسلاف البشر أن التمثيل الضوئي والسوط كانا أمورًا مُتقدِّمة؛ لكنه أخذ مُحرِّك التدمير القديم الخاص بهم وأدار المفتاح على أي حال، لأنه عندما تفهم الأمر جيدًا، ستجد أن البشر كانوا لا يزالون مُجرَّد قردة فضوليين، كان لا يزال يتعيَّن عليهم وكز كُل شيء بعصى ليروا ردة فعله.

اتخذ الضباب الأحمر الذي يحتل رؤية هولدن نمطًا غريبًا، استغرقه الأمر دقيقة ليُدرِك أن إشارة حمراء على لوحته كانت تومِض لتجعله يعرِف أن (رافي) كانت تتصل به، ركل أريكة تحطُّم قريبة بقدمه، وطفا عائدًا إلى محطته، وبدأ الاتصال.

- «(روسينانت) هنا، تفضَّل يا (رافي)».

سألته ماكبرايد: «لماذا توقَّفت يا هولدن؟».

أجابها: «لأننا لن نواكِب سُرعته على أي حال، وكان خطر سقوط ضحايا من أفراد الطاقم مُرتفعًا للغاية». بدا ذلك العُذر ضعيفًا حتى بالنسبة له، جبان؛ لكن يبدو أن ماكبرايد لم تُلاحِظ ذلك.

- «عُلِم، سأحصل على أوامر جديدةٍ، سنُخبرك في حال تغيُّر أي شيء».

أنهى هولدن الاتصال وحدَّق بهدوءٍ في وحدة التحكُّم، كان نظام التتبُّع البصري يبذل قصارى جُهده لإبقاء إيروس مرئيًّا، كانت (روسي) مركبةً جيِّدةً، تُحفة فنية رائِعة، وبما أن أليكس كان قد وَصَم الكويكب بأنه تهديد، فإن الحاسوب كان يفعل كُل ما في وسعه لتتبُّعه؛ لكن إيروس كان شيئًا سريع الحركة، خفيًّا، ولا يعكسه الرادار، ويُمكِن أن يتحرَّك بشكلٍ غير متوقَّع وبسُرعاتٍ عاليةٍ؛ لكنها كانت مُجرَّد مسألة وقت قبل أن يفقدوا القُدرة على تتبُّعه خصوصًا إذا أراد ذلك.

وبجانِب معلومات التتبُّع الموجودة على وحدة التحكُّم الخاصَّة به، تمَّ فتح نافِذة بيانات صغيرة لإبلاغه أن (رافي) قد قامَت بتشغيل جهاز الإرسال والاستقبال الخاص بها، كان من الأمور المُعتادة حتى بالنسبة للمركبات الحربية أن تُبقيها في حالة عدم وجود تهديد واضِح أو حاجة للتسلُّل، لا بُد أن مسؤول اللاسلكي الخاص بالمركبة الحربية الخاصَّة بالأمم المُتحدة قد فتحه بدافِع التعوُّد.

الآن، وبعد أن سجَّلتها (روسي) على أنها مركبة معروفة وميَّزتها على شاشة التهديدات بنُقطةٍ خضراء نابضةٍ بلُطفٍ وباسمٍ، نظر هولدن إلى الأمر بهدوءٍ لوقتٍ طويلٍ، وشعر أن عينيه تتسِعان.

قال هولدن: «اللعنة». ثُم فَتَح نظام الاتصالات الداخلية على المركبة وهو يُضيف: «أحتاجكِ في غُرفة العمليات يا ناعومي».

أجابته: «أعتقِد أنني أفضِّل البقاء بالأسفل هنا قليلًا».

ضغط هولدن على زر تنبيه المعارِك بمحطة التحكُّم الخاصَّة به، تحوَّلت أضواء سطح المركبة إلى اللون الأحمر ودوى جرس الإنذار ثلاث مرَّات.

قال: «لتتجه المُديرة التنفيذية ناجاتا إلى غُرفة العمليات». دعها تصُب عليه جام غضبها لاحقًا، كان ذلك سيحدُث؛ لكن في الوقت الحالي لم يكُن لديه أي وقت يُضيعه.

كانت ناعومي في سطح العمليات في أقل من دقيقة، وكان هولدن قد ربط نفسه بأحزِمة الأمان إلى أريكة التحطُّم الخاصَّة به وبدأ يسحَب سجلات الاتصالات، جلست ناعومي على مقعدها وربطت أحزمة الأمان الخاصَّة بها كذلك، رمقته بنظرة استفسارية -هل سنموت بعد كُل شيء؟- لكنها لم تنبس ببنت شفة، إذا قال ذلك، فإنها ستفعل، شعر بإعجابه بها وبنفاذ صبره عليها يزدادان في الوقت نفسه، وجد ما كان يبحث عنه في السجلات قبل أن يتحدَّث.

قال: «حسنًا، لقد كان لدينا اتصال لاسلكي بميلر بعد أن اختفى إيروس من على شاشة الرادار. هل هذا صحيح؟».

قالت: «أجل، هذا صحيح؛ لكن بدلته ليست قوية بما فيه الكفاية للبث عبر هيكل إيروس لمسافةٍ بعيدةٍ، لذا فإن إحدى المركبات الراسية تعمل على تعزيز إشارته».

- «مما يعني أن كُل ما يفعله إيروس للتشويش على الرادار لا يتسبَّب في توقُّف كل الإرسال اللاسلكي إلى الخارِج».

قالت ناعومي والفضول يتزايد في صوتها: «يبدو هذا صحيحًا».

- «ولا يزال لديكِ رموز التحكُّم بمركبات شحن (أوبا) الموجودة على السطح، أليس كذلك؟».

قالت: «أجل يا سيدي». ثُم أضافت بعد لحظة: «اللعنة».

قال هولدن مُبتسمًا وهو يستدير بمقعده لمواجهة ناعومي: «حسنًا، لماذا تمتلك (روسي) وكُل مركبة أخرى تابِعة للبحرية الفضائية مفتاحًا لإيقاف تشغيل جهاز الإرسال والاستقبال الخاص بها؟».

قالت وهي تُشارِكه الابتسامة الآن: «كيلا يتمكَّن العدو من وضع قفل صاروخي على إشارة جهاز الإرسال والاستقبال من أجل تفجيرهم».

استدار هولدن بمقعده للخلف وبدأ في فتح قناة اتصال مع محطَّة تايكو.

- «هل تسمحين أن تُعطيني أكواد التحكُّم التي أعطاها لكِ ميلر لإعادة تشغيل مركبات الشحن الخمس الخاصَّة بـ (أوبا)، وإعادة تشغيل أجهزة الإرسال والاستقبال الخاصَّة بهم أيتها المُديرة التنفيذية؟ أعتقِد أننا قد تجاوزنا مُشكلة التسارُع ما لم يتمكَّن زائرنا من تجاوُز موجات الراديو».

أجابته ناعومي: «حسنًا يا قُبطان». وعلى الرغم من أنه كان ينظُر في الاتجاه الآخر، فإنه كان بإمكان هولدن سماع الابتسامة وهي تملأ صوتها، وأدى ذلك إلى إذابة آخر الجليد الموجود في أحشائه، كان لديهم خطَّة، وكانوا سيُحدِثون فارقًا.

قالت ناعومي: «هناك مُكالمة قادِمة من (رافي)، هل تُريد استقبالها قبل أن أقوم بتشغيل جهاز الإرسال والاستقبال؟».

- «بكُل تأكيد».

فُتِحَ الخط.

- «لقد وصلت إلينا الأوامِر الجديدة يا قُبطان هولدن، يبدو أننا سنُطارِد هذا الشيء لِمُدَّةٍ أطوَل بعض الشيء».

بدت ماكبرايد وكأنها شخص لم يتم إرساله إلى الموت لتوِّه، بدت رزينة.

قال هولدن: «قد ترغبين في تأجيل ذلك لبضع دقائِق، لدينا خطَّة بديلة».

عندما قامت ناعومي بتشغيل جهاز الإرسال والاستقبال على متن الخمس مركبات شحن الخاصَّة بـ (أوبا) والتي تركها ميلر راسية على سطح إيروس، أخبر هولدن ماكبرايد بالخطَّة ثُم أخبرها لفريد على خطٍّ مُنفصلٍ، وبحلول الوقت الذي عاد فيه فريد إليه بموافقةٍ حماسيةٍ على الخطَّة منه ومن قيادة القوَّات بحرية الأمم المُتحِدة، كانت المركبات الخمس تئن لتُخبِر النظام الشمسي بمكان تواجدهم، وبعد ساعة من ذلك، تمَّ إطلاق أكبر سرب من أسلِحة بين النجوم النووية في تاريخ البشرية وكانوا يشقون طريقهم نحو إيروس.

قال هولدن لنفسه وهو يُشاهِد القذائِف وهي تُحلِّق مثل سرب من النقاط الحمراء الغاضِبة على شاشة التهديدات الخاصَّة به: سنُحقِّق النصر، سنتغلَّب على هذا الشيء، والأهم من ذلك أن طاقمه سيرى نهايته، لا يجب أن يموت أي شخص آخر.

باستثناء...

قالت ناعومي: «ميلر يتصِل، ربما لاحَظ أننا قد أعدنا تشغيل مركباته مرَّة أخرى».

تولَّد لدى هولدن شعور مؤلم في معدته، كان ميلر هناك على متن إيروس، وعندما تصِل تلك القذائِف، لن يحتفِل الجميع بالنصر القادِم.

قال وهو غير قادِر على التخلُّص من تلك النبرة الجنائزية التي احتلَّت صوته: «مرحبًا يا ميلر، كيف حالك؟».

كان صوت ميلر مُتقطِّعًا، وغرق أكثر من نصفه في الشوشرة الإستاتيكية؛ لكنه لم يكُن مشوَّهًا لدرجة أن هولدن لم يستطِع سماع النبرة التي أخبرته أنه كان على وشك التبوُّل في جميع أنحاء موكبه.

قال ميلر: «هولدن، لدينا مُشكلة».

(٥٣)
ميلر

واحد. اثنان. ثلاثة.

ضغط ميلر على جهازه اللوحي؛ ليُعيد ضبط الزناد مرَّة أخرى، كانت الأبواب المزدوجة الموجودة أمامه عبارة عن واحِدة من آلاف الآليات الأوتوماتيكية الهادِئة ذات يوم. كانت تعمَل بشكلٍ موثوقٍ في مساراتها المغناطيسية الدقيقة، ربما لسنواتٍ. والآن كان شيء أسود له قوام يُشبِه لحاء الشجر ينمو كالزواحِف على جانبيها؛ ليشوِّه المعدن، وخلفهم تقبَع الكازينوهات، والمستودعات، وممرَّات الميناء. كُل ما كان محطَّة إيروس وأصبح الآن طليعة استخبارات غزو فضائي؛ ولكن كان على ميلر أن يفتَح بابًا عالِقًا للوصول إليهم في أقل من خمس ثوانٍ، وهو يرتدي بدلة فضائية.

ترك جهازه اللوحي مرَّة أخرى، ومدَّ يده سريعًا إلى الشق الضيِّق حيث يلتقي البابان: واحد. اثنان. تحرَّك الباب سنتيمترًا، وتناثرت قشور من المادة السوداء: ثلاثة. أربعة.

أمسك بجهازه اللوحي مرَّة أخرى؛ ليُعيد ضبط الزناد.

لن ينجَح هذا الهراء فحسب.

جَلَس ميلر على الأرض بجوار العربة، همس بث إيروس وتمتم، غير مُدرِك على ما يبدو بالغُزاة الصغار الذين يخدِشون جلد المحطّة، أخذ ميلر نفسًا طويلًا عميقًا، لم يتحرَّك الباب، كان عليه أن يتجاوَزه.

لن تُحِب ناعومي ذلك.

فكَّ ميلر الشريط المعدني الملفوف حول القُنبلة بيده الحُرَّة حتى يُمكِن لها أن تتأرجَح ذهابًا وإيابًا بعض الشيء، رَفَع رُكنها بحذرٍ وبُطءٍ، ثُم قام بتثبيت جهازه اللوحي تحتها وهو يُراقِب قراءات الحالة، انغرست الزاوية المعدنية بقوةٍ في شاشة اللمس فوق زر الإدخال، ظلَّ الزناد أخضر اللون إذا اهتزَّت المحطَّة أو تبدَّل وضعها، فسيظل أمامه خمس ثوانٍ للوصول إليه،

هذا جيِّد بما فيه الكفاية.

استعدَّ ميلر بكلتا يديه، وسحب الأبواب، تساقطت المزيد من القشور السوداء بعيدًا عندما فتح الأبوابَ بما فيه الكفاية ليرى ما يختبئ خلفها، كان الممر الموجود خلفها شبه دائري؛ ملأ النمو المُظلِم الأركان حتى بدا الممر وكأنه وعاء دموي ضخم جاف، كانت الأضواء الوحيدة الموجودة هي مصابيح بدلته الأماميَّة، ومليون نقطة صغيرة مُضيئة تحوم في الهواء مثل اليراعات الزرقاء، عندما نَبَض بث إيروس، ارتفع الصوت بشكلٍ مؤقَّتٍ، وخفتت اليراعات ثُم عادت للظهور، أخبرته بدلة الهواء بوجود هواء صالِح للتنفُّس بتركيزاتٍ أعلى من المتوقَّع مثل الأرجون، والأوزون، والبنزين.

طفت إحدى النقاط المُضيئة أمامه، وهي تحوم في تيارات لم يستطِع الشعور بها، تجاهلها ميلر، ودفع الأبواب، ووسَّع الفجوة سنتيمترًا تلو الآخر، كان بإمكانه أن يضع ذراعه ليشعُر بالقشرة، بدت صلبة بما يكفي

لتحمُّل العربة، وكان ذلك هبة من السماء، فإذا كان ذلك طينًا فضائيًّا بارتفاع الفخذ، لاضطرَّ لإيجاد طريقة أخرى لحمل القُنبلة، وسيكون حمل العربة إلى السطح المُستدير سيئًا بما فيه الكفاية.

قالت جولي ماو في ذهنه: لا راحة للأشرار، ولا سلام للصالحين.

عاد إلى العمل.

كان يتصبَّب عرقًا بحلول الوقت الذي كان قد دَفَع فيه الأبواب بما يكفي لعبورها، وكان ذراعاه وظهره يؤلِمانه، كانت القشرة السوداء قد بدأت تنمو أسفل الممر، وكانت الشعيرات تتصاعَد باتجاه غُرفة مُعادلة الضغط تلتصِق بالحواف؛ حيث تلتقي الجدران بالأرض أو بالسقف، واستعمرَ الوهج الأزرق الهواء. كان إيروس يتجه خارِج الممر بنفس السرعة التي كان قد دخله بها، أو ربما أكثر سُرعةً.

حَمَلَ ميلر العربة بكلتا يديه، وراقَب الجهاز اللوحي عن كثب. اهتزَّت القُنبلة؛ لكن دون أن تُفلِت قبضتها على الزناد، استعاد جهازه اللوحي بمُجرَّد وصوله إلى الممر بأمانٍ.

واحد. اثنان.

كان غُلاف القُنبلة الثقيلة قد حَفَرَ فجوةً صغيرةً في لوحة اللمس؛ لكنها كانت لا تزال تعمَل. أمسَك ميلر بمقبض العربة، وانحنى للأمام فترجم السطح العضوي غير المستوي الموجود تحته ذلك إلى سحبٍ ورفرفةٍ حادةٍ من اهتزاز العربة.

لقد مات هنا ذات مرَّة، تسمَّمَ، وأُطلِقَ عليه النار، كانت هذه القاعات، أو القاعات التي تُشبِهها إلى حدٍّ كبيرٍ، ساحة لمعركته، هو وهولدن، لم يستطِع التعرُّف إليهم في الوقت الحالي.

مرَّ بمساحةٍ واسعةٍ شبه فارِغة، كانت القشرة هنا أضعف، فظهرت جدران المستودع المعدنية في بعض الأماكِن، بينما كان أحد مصابيح الليد لا يزال يتوهَّج في السقف، والضوء الأبيض البارِد يتدفَّق في الظلام.

قاده الطريق إلى طابق الكازينو، لا تزال الهندسة المعمارية للتجارة تجلب الزوَّار إلى نفس البُقعة. كاد اللحاء الفضائي أن يختفي؛ لكن المكان كان قد تغيَّر. اصطفَّت آلات الباتشينكو بجوار بعضها بعضًا، نصف مُذابة أو مُنفجِرة، وكان بعضها لا يزال يتوهَّج ويطلُب المعلومات المالية التي من شأنها أن تفتَح الأضواء المُبهرجة والمؤثِّرات الصوتية الاحتفالية، بينما كانت طاولات لعب البطاقات لا تزال مرئية تحت أغطية الفِطر المكوَّن من مادةٍ هُلاميةٍ صافيةٍ، كما بطَّنت أضلاع سوداء تتموَّج بخيوطٍ من الشعيرات التي تتوَّج أطرافها دون تقديم أي إضاءة جدران وأسقُف الكاتدرائية المُرتفِعة.

صَرَخ شيء ما، وكتمت بدلة ميلر الصوت، وبدا البث الإذاعي للمحطَّة أعلى وأوضَح الآن بعد أن أصبح تحت جلدها، هاجمته ذكرى جارِفة مُفاجئة لكونه طفلًا، ويُشاهِد مقطع فيديو عن فتى ابتلعه حوت وحشي.

طار شيء ما رمادي اللون وبحجم قبضتي ميلر مُجتمعتين بسُرعةٍ كبيرةٍ للغاية بحيث لا يُمكِن رؤيته، لم يكُن طائرًا، ركض شيء خلف آلة بيع مقلوبة، أدرك ما كان مفقودًا، مليون نسمة ونصف من سُكَّان إيروس، كانت نسبة كبيرة منهم هنا، في طابق الكازينو عندما حدثت نهاية عالمهم؛ لكن لم يكُن هناك جُثث أو لا، لم يكُن هذا صحيحًا، القشرة السوداء، والملايين من الجداوِل السوداء التي تجري فوقه بتوهُّجٍ محيطي خافِتٍ، كانت تلك هي جُثث إيروس التي أُعيد تكوينها، اللحم البشري

الذي أعيد تصنيعه، أخبره إنذار البدلة أنه قد بدأ في الإفراط في التنفُّس، بدأ الظلام يشق طريقه إلى حافة رؤيته.

سَقَطَ ميلر على رُكبتيه.

قال لنفسه: لا تفقِد وعيك يا ابن العاهرة، لا تفقِد وعيك، وإذا فعلت ذلك، فعلى الأقل اسقُط حيث يضغط وزنك على الزناد اللعين.

وضعت جولي يدها على يده، كان بإمكانه أن يشعُر بها تقريبًا، ونجح ذلك في تهدئته، كانت مُحقَّة، إنهم مُجرَّد جُثث، مُجرَّد موتى، ضحايا، مُجرَّد شريحة أخرى من اللحوم المُعاد تدويرها، مثل كُل عاهِرة غير مُرخَّصة كان قد رآها مطعونة حتى الموت في الفنادِق الرخيصة في سيريس، مثل جميع الانتحاريين الذين ألقوا بأنفُسهم عبر غُرف مُعادلة الضغط، حسنًا، لقد شوَّه الجُزيء الأولي اللحم بطرقٍ غريبةٍ، لم يُغيِّر هذا حقيقة الأمر، لم يُغيِّر هذا حقيقة الأمر.

قال لجولي مُكرِّرًا شيئًا كان يقوله لكُل مبتدئ عمل معه أثناء حياته المهنية: «عندما تكون شرطيًّا، لا تملك رفاهية الشعور بالأشياء، يتحتَّم عليك القيام بالعمل».

قالت بلُطفٍ: قُم بالعمل إذن.

أومأ برأسه، وقف، قُم بالعمل.

وكما لو أن الصوت قد تغيَّر في بدلته كرد فعل، فاض بث إيروس عبر مائة تردُّد مُختلف قبل أن ينفجِر في فيضانٍ قاسٍ مما كان يعتقِد أنه هندي، أصوات بشرية، قال لنفسه: حتى توقِظنا الأصوات البشرية دون أن يكون قادرًا على تذكُّر مصدر العبارة على الإطلاق.

في مكانٍ ما في المحطَّة، سيكون هناك... شيء ما، آلية تحكُّم أو مصدر طاقة أو أيًّا ما كان الجُزيء الأولي يستخدِمه بدلًا من المُحرِّك، لم يكُن يعرِف كيف سيبدو أو كيف سيتم الدفاع عنه، لم يكُن لديه أي فكرة عن كيفية عمله، بصرف النظر عن الافتراض بأنه إذا قام بتفجيره، فلن تمضي الأمور على ما يُرام.

قال لجولي: لنعُد، لنعُد إلى ما نعرِفه.

لم يقطع الشيء الذي كان ينمو داخِل إيروس باستخدام جلد الكويكب الحجري كهيكلٍ خارجي غير مفصلي، المنافِذ، لم يُحرِّك الجدران الداخلية، أو يُعد إنشاء غُرف وممرَّات طابق الكازينو. لذلك لا بُد أن يكون تخطيط المحطَّة قريبًا للغاية مما كان عليه طوال الوقت حسنًا.

أيًّا كان ما يستخدمه لتحريك تلك المحطَّة عبر الفضاء، فإنه يستخدم قدرًا هائِلًا من الطاقة، حسنًا.

لنبحث عن البُقعة الساخِنة إذن، فحص بدلته الفضائية بيده الحُرَّة. كانت درجة الحرارة المُحيطية تبلُغ سبعًا وعشرين درجة: حارة لكنها بعيدة عن أن تكون لا تُطاق، مشى بسُرعةٍ عائِدًا نحو ممر الميناء، انخفضت درجة الحرارة بأقل من مائة درجة؛ لكنها انخفضت بالفعل. حسنًا إذن، يُمكِنه سبر أغوار كُل ممر للعثور على أكثرها حرارةً، ومُتابعته، وعندما وَجَد مكانًا في المحطَّة –لنقُل- أعلى بثلاث أو أربع درجات من البقية، سيكون هذا هو المكان، كان يلف العربة بجوارهم، يرفع إبهامه، ويعُد للخمسة.

لا توجد مُشكِلة.

عندما عاد إلى العربة، كان هناك شيء ذهبي يملك مظهر الحشائِش الناعِمة ينمو حول العجلات، بذل ميلر أفضل ما في وسعه لكشطه؛ لكن إحدى العجلات ظلَّت تُصدِر صوت صرير، لم يكُن لديه ما يفعله حيال ذلك.

توجَّه ميلر للأعلى مع دفعه للعربة بإحدى يديه وضغطه باليد الأخرى على زر الرجل الميِّت الموجود في جهازه اللوحي، ليسبر أغوار المحطَّة عميقًا.

***

قال إيروس الطائِش: «إنها ملكي»، تكرَّرت العبارة لحوالي نصف ساعة: «ملكي... ملكي».

تمتم ميلر: «حسنًا، يُمكِنك الحصول عليها».

آلمه كتفه، ازداد صرير عجلة العربة سوءًا، ارتفع أنينها ليقطع جنون أرواح الملعونين الموجودين ببث إيروس، بدأ إبهامه يرتعِد تحت وطأة الضغط المُستمِر بلا هوادة؛ كيلا يقضي على نفسه بعد، ومع كُل طابق يصعده، كانت جاذبية الدوران تزداد بشكلٍ أخف وقوَّة كوريوليس تزداد بشكلٍ ملحوظٍ، لم يكُن الأمر مُشابهًا تمامًا لما حدث على متن سيريس؛ لكنه كان قريبًا من ذلك وبدا مثل العودة إلى المنزل، وجد نفسه يتطلَّع إلى وقت إنجاز المُهمة، تخيَّل نفسه موجودًا في غُرفته مرَّة أخرى بصُحبة ست عبوات من البيرة، تصدح بعض الموسيقى عبر مُكبِّرات الصوت والتي كانت تحتوي على لحنٍ حقيقي بدلًا من الثرثرة الجامِحة فارِغة الذهن الخاصَّة بالمحطَّة الميِّتة، ربما بعض موسيقا الجاز الخفيفة.

من الذي كان يعتقِد أن موسيقا الجاز الخفيفة ستكون فكرة جذَّابة؟

قال إيروس: «أمسكوني إذا استطعتم، أيها الحُقراء، سأمضي وأمضي وأمضي، أمضي وأمضي وأمضي».

كانت طوابِق المحطَّة الداخلية أكثر ألفةً وغرابةً في نفس الوقت، ظَهَر المزيد من حياة إيروس القديمة، بعيدًا عن المقبرة الجماعية الموجودة في طابق الكازينو، كانت محطَّات المترو لا تزال تتوهَّج، لتُعلِن عن وجود أخطاء في الخط وتطلُّب الصبر. همهمت أجهزة إعادة تدوير الهواء. كانت الأرضيات نظيفة وواضِحة نسبيًّا، جَعَل شعور التواجُد بالقُرب من الحياة الطبيعية التغييرات تبرُز بشكلٍ مُخيفٍ. غطَّت الأوراق السوداء الجدران بأنماط الشعيرات الدوَّامة، انجرفت قشور المادة من الأسفل إلى الأعلى، تدور مع جاذبية الدوران مثل السخام. لا يزال إيروس يمتلِك جاذبية دوران؛ لكن لم يكُن يمتلِك جاذبية ناتِجة عن التسارُع الهائِل الذي كان يحدُث تحته، اختار ميلر عدم محاولة التحقُّق من ذلك.

زَحَفَ قطيع من الأشياء الشبيهة بالعنكبوت بحجم الكُرة الليِّنة عبر الممر، تاركةً بريقًا لامعًا من الوحل المتوهِّج من خلفها، لم يُدرِك ماهيتهم إلا عندما توقَّف ليُبعِد واحدةً منهم عن العربة، كانت يدًا مقطوعة تفحَّمت عظام رسغها الخلفية باللون الأسود وأُعيد تصنيعها، كان جزء من عقله يصرُخ؛ لكنه كان جُزءًا بعيدًا ويسهُل تجاهله.

كان عليه أن يحترِم الجُزيء الأولي، فقد كان يقوم بعملٍ مُذهلٍ بالنسبة لشيءٍ كان يتوقَّع أن يكون من الكائنات الهوائية بدائية النواة، توقَّف مؤقتًا للتحقُّق من مصفوفة مُستشعرات بدلته، ارتفعت درجة الحرارة بمقدار نصف درجة منذ أن غادر الكازينو، وعُشر درجة منذ دخوله إلى هذه القاعة الرئيسة. كان الإشعاع الموجود في الخلفية يتصاعد أيضًا، سيمتص لحمه المسكين المزيد من الإشعاع. كان تركيز البنزين ينخفِض، وأصبحت

بدلته تلتقِط المزيد من الجُزيئات العطرية الغريبة -مثل التراسين، والأنثراسين، والنفتالين- بسلوكٍ غريبٍ بما فيه الكفاية ليُصيب المُستشعرات بالارتباك، إنه يمضي في الاتجاه الصحيح إذن، انحنى للأمام، قاوَمت العربة سحبه مثل طفل يتذمَّر مللًا حسبما يتذكَّر، فإن التصميم الهيكلي مثل تصميم سيريس تقريبًا، وكان يحفظ سيريس عن ظهر قلب كاسمه، طابق آخر بالأعلى -أو ربما طابقان- وسيكون هناك نقطة التقاء خدمات الطوابِق المُنخفِضة، صاحبة الجاذبية العالية، وأنظِمة الإمداد والطاقة التي تعمل بشكلٍ أفضل في الجاذبية المُنخفِضة. بدا ذلك وكأنه مكان مُرجَّح لتنمية مركز قيادة وتحكُّم مثل أي مكان آخر، يبدو كموقعٍ جيِّدٍ للدماغ.

قال إيروس: «سأمضي وأمضي وأمضي وأمضي».

قال لنفسه: من المُضحِك كيف أن أنقاض الماضي شكَّلت كُل ما جاء بعد ذلك، وبدا أن ذلك يعمل على جميع المستويات؛ وهي إحدى حقائِق الكون، وبالعودة إلى العصور القديمة، حين كانت البشرية بالكامِل لا تزال تعيش أسفل بئر الجاذبية، حيث أصبحت الطرق التي وضعتها الفيالِق الرومانية إسفلتًا، وأصبحت بعد ذلك خرسانة حديدية دون تغيير أي مُنحنى أو مُنعطف. في حين تمَّ تحديد تجويف الممر القياسي في سيريس، وإيروس، وتايكو من خلال أدوات التعدين المُصمَّمة لاستيعاب شاحِنات ومصاعِد الأرض، والتي صُمِّمَت بدورها لتهبط مسارات محور عربات البغال العريضة بما فيه الكفاية.

والآن، كان الكائِن الفضائي -ذلك الشيء القادِم من الخارِج في الظلام الهائِل- ينمو على طول الممرَّات، والقنوات، وطُرق المترو، وأنابيب المياه التي وضعتها حفنة من الرؤساء الطموحين. تساءل كيف

سيكون الأمر لو لم يلتقِط زُحل الجُزيء الأولي، وكان قد وجد طريقه إلى حساء الأرض البدائية بالفعل؛ حيث لا توجد مُفاعلات اندماجية، ولا مُحرِّكات ملاحية، ولا يوجد جسد مُعقَّد للمُلائمة، ما الذي كان سيفعله بشكلٍ مُختلفٍ إن لم يكُن مضطرًّا إلى البناء حول بعض خيارات تصميم التطوُّر الأخرى؟

قالت جولي: استمر بالحركة يا ميلر.

رَمَش، كان يقِف في ممرٍّ فارغٍ عند قاعدة مُنحدر وصول، لم يكُن يعرِف كم من الوقت ضاع في ذهنه.

ربما سنوات.

أطلق زفيرًا طويلًا وبدأ يصعَد الطريق المُنحدر، كانت درجة حرارة الممرَّات الموجودة فوقه أكثر سخونةً من الجو بما يقرُب من ثلاث درجات، كان يقترِب؛ لكن لم يكُن هناك ضوء، أزال إبهامه نصف المُخدَّر من على زر التحديد، وقام بتشغيل مصباح الليد الصغير المُدمَج في الجهاز اللوحي، وعاد إلى مفتاح الرجل الميِّت قبل أن يصل إلى أربعة.

- « سأمضي وأمضي وأمضي وأمضي».

صَرَخَ بث إيروس بجوقةٍ من الأصوات التي تُثرثِر باللغتين الروسية والهندية لتطغى على الصوت الفريد القديم قبل أن تغرق بدورها في عويل صريرٍ عميقٍ، ربما كان نشيد الحيتان. ذكَّرته بدلته بتأدُّبٍ إلى أنه لم تتبقَّ سوى نصف ساعة من الأكسجين، أغلق التنبيه.

كانت محطَّة النقل مكسوَّة بما يُشبِه العُشب، وكانت السعف الباهتة تتساقط على طول الممرات وتتحوَّل إلى حبالٍ، زحفت حشرات يُمكِن التعرُّف إليها -الذباب، والصراصير، وعناكِب الماء- على طول الكابلات

البيضاء السميكة في موجاتٍ هادفةٍ، تندفِع الشعيرات نحو شيء يُشبه الصفراء المفصلية ذهابًا وإيابًا؛ لتترُك طبقةً رقيقةً من اليرقات المُندفعة، كانوا ضحايا للجُزيء الأولي مثل البشر -الأوغاد المساكين-.

قال إيروس -بصوتٍ يبدو شبه مُنتصِر-: «لا يُمكِنك استعادة الزاو... راق، لا يُمكِنك استعادة الزاو...راق، لقد مضى، ومضى، ومضى».

كانت درجة الحرارة ترتفِع بشكلٍ أسرع الآن، استغرقه الأمر بضع دقائِق ليُقرِّر أن المضي في اتجاه الدوران قد يكون أكثر دفئًا بقليلٍ، جذب العربة، وكان بإمكانه أن يشعُر بالصرير، وبرعشةٍ طفيفةٍ في عظام يديه، وبدأ كتفاه يؤلِمانه حقًّا، ما بين كُتلة القُنبلة واحتمالات العجلة المعطوبة، الشيء الجيِّد هو أنه لن يضطر إلى سحب هذا الشيء اللعين للأسفل.

كانت جولي تنتظِره في الظلام عبر شُعاع الضوء الرقيق الصادِر من جهازه اللوحي من خلالها. كان شعرها يطفو، لم يكُن لجاذبية الدوران -بعد كُل شيء- أي تأثير على الأشباح التي تسكُن العقل، كان تعبير وجهها غامضًا.

سألته: كيف يعرِف؟

توقَّف ميلر. بين الحين والآخر، طوال مسيرته المهنيَّة، كان أحد الشهود الغارقين في أحلام اليقظة يقول شيئًا ما، أو يستخدم عبارة ما، أو يضحَك على الشيء الخاطئ، كان يعلَم أن الجُزء الخلفي من عقله يرى زاوية جديدة من القضية.

كانت هذه تلك اللحظة.

صاح إيروس: «لا يُمكِنك استعادة الزاو...راق».

قالت جولي: كان المُذنَّب الذي أتى بالجُزيء الأولي إلى النظام الشمسي عبارة عن مكان للاختباء، وليس مركبة، لم تتحرَّك شفتاها الداكنتان أبدًا، لقد كانت مُجرَّد قذيفة باليستية -أي رصاصة جليدية تحمل الجُزيء الأولي في حالة تجميد عميق- كانت موجَّهة إلى الأرض؛ لكنها ضلَّت الطريق وصولًا إلى زُحل بدلًا من ذلك، لم توجِّهه الحمولة، ولم يقُدْها، ولم ينقِلها.

قال ميلر: «لم يكُن بحاجةٍ للقيام بذلك».

لكنه يتنقَّل الآن، ويتجه إلى الأرض، كيف له أن يعرِف أنه يجب أن يذهب إلى الأرض؟ من أين أتت هذه المعلومات؟ إنه يتحدَّث، من أين أتت تلك القواعِد النحوية؟

من هو صوت إيروس؟

أغلق ميلر عينيه، أخبرته بدلته أنه لم يتبقَّ لديه سوى عشرين دقيقة من الهواء.

- «لا يُمكِنك استعادة الزورق! (رازورباك)! لقد مضى، ومضى، ومضى! ».

قال ميلر: «اللعنة، يا إلهي! ».

تَرَك العربة مُستديرًا نحو المُنحدر والضوء وممَّرات المحطَّة الواسِعة، كان كُل شيء يرتجِف، كانت المحطَّة نفسها ترتجِف مثل شخص على حافة هبوط حرارة الجسد، باستثناء أنها لم تكُن كذلك، لم يكُن هناك من يرتجِف سواه، كان كُل شيء في صوت إيروس، لقد كان هناك طوال الوقت، وكان يجب أن يعرِف.

ربما كان يعرف.

لم يكُن الجُزيء الأولي يعرِف اللغة الإنجليزية أو الهندية أو الروسية أو أيًّا من اللُغات التي كان ينطِق بها، لقد كانت كُلها تسكُن عقول إيروس الميِّتة وبرامجها، مُشفَّرة في الخلايا العصبية وبرامِج القواعِد النحوية التي أكلها الجُزيء الأولي، أُكِلَت؛ لكنها لم تُدمَّر، احتفظ بالمعلومات واللغات والهياكِل المعرفية المُعقَّدة، بنى نفسه عليها مثل الأسفلت فوق الطرق التي بنتها الفيالِق.

لم يمُت قتلى إيروس، كانت جوليت أندروميدا ماو حيَّة تُرزق.

كان يبتسِم ملء شدقيه، حاول الاتصال بيدٍ واحدةٍ تختبئ داخِل قُفاز، كانت الإشارة ضعيفة للغاية، لم يستطِع سبر أغوارها، أمر الوصلة الصاعِدة لسطح المركبة برفع الطاقة، وحصل على اتصالٍ.

أتاه صوت هولدن عبر الخط.

- «مرحبًا يا ميلر، كيف حالك؟».

كانت الكلمات خافِتة واعتذارية كعاملٍ في دار مُسنين يتعامَل بلُطفٍ مع شخص يحتضِر، أضاءت شرارة الانزعاج المتوهِّجة عقله؛ لكنه حافظ على صوته ثابتًا.

قال ميلر: «هولدن، لدينا مُشكلة».

(٥٣)
هولدن

أجابه هولدن: «في الواقِع، لقد توصَّلنا إلى كيفية حل المُشكلة نوعًا ما».

قال ميلر: «لا أعتقِد ذلك، سأرسِل إليك بيانات بدلتي الطبيَّة».

ظهرت أربعة صفوف من الأرقام في نافِذةٍ صغيرةٍ على وحدة تحكُّم هولدن بعد بضع ثوانٍ، بدا كُل شيء طبيعيًّا إلى حدٍّ ما، على الرغم من وجود خفايا لا يُمكِن أن يُفسِّرها بشكلٍ صحيحٍ سوى فني طبي مثل: شيد.

قال هولدن: «حسنًا، هذا رائِع، أنت تتعرَّض للإشعاع قليلًا؛ لكن بخلاف ذلك... ».

قاطعه ميلر قائلًا: «هل أعاني من نقص الأكسجين؟».

أظهرت بيانات بدلته (٨٧ مليمترًا زئبقيًّا)، وهي نسبة تفوق الطبيعي بشكلٍ مُريحٍ.

قال هولدن: «لا».

- «هل هناك أي شيء من شأنه أن يجعل المرء يهلوِس أو يُصاب بالجنون كالكحول، أو الأفيون، وأشياء من هذا القبيل؟».

قال هولدن بنفاذ صبرٍ: «ليس حسبما أرى، ما الأمر؟ هل ترى أشياء؟».

أجابه ميلر: «الأمور المُعتادة فقط، أردت التخلُّص من هذا الهراء؛ لأنني أعرف ما ستقوله بعد ذلك».

توقَّف عن الحديث، أصدر اللاسلكي صوت هسيس وفرقعة في أذن هولدن، تحدَّث ميلر مرَّة أخرى بعد عدَّة ثوانٍ من الصمت، احتلَّت نبرة مُختلِفة صوته، لم تكُن أشبه بالتضرُّع تمامًا؛ لكنها كانت قريبة من ذلك بما فيه الكفاية لتجعل هولدن يتحرَّك بشكلٍ غير مُريح في مقعده:

- «إنها على قيد الحياة».

لم يكُن هناك سوى أنثى واحدة فقط في كون ميلر-جولي ماو- «عجبًا، حسنًا، لست مُتأكِّدًا من كيفية الرد على ذلك».

- «عليك أن تثِق فيَّ عندما أخبرك بأنني لا أعاني من انهيارٍ عصبي، أو نوبة ذُهان، أو شيء من هذا القبيل؛ لكن جولي هنا، إنها تقود إيروس».

فَحَصَ هولدن بيانات البدلة الطبيَّة مرَّة أخرى؛ لكنها لم تكُن سوى قراءات عادية، وكانت جميع الأرقام باستثناء الإشعاع تقع في نطاق اللون الأخضر بشكلٍ مُريح، حتى إن كيمياء دمه لا تبدو وكأنه متوتِّرًا بالنسبة لرجلٍ يحمل قُنبلة اندماجية إلى جنازته.

- «لقد ماتت جولي يا ميلر، ورأى كلانا جُثتها، لقد رأينا ما... فعله الجُزيء الأولي بها».
- «بالتأكيد، لقد رأينا جُثتها، وافترضنا أنها ماتت بسبب الضرر...».

قال هولدن: «لم يكُن قلبها ينبُض، لم يكُن هناك نشاط دماغي، ولا أيض، هذا هو تعريف الموت إلى حدٍّ كبيرٍ».

- «كيف لنا أن نعرِف كيف يبدو الموت بسبب الجُزيء الأولي؟».

بدأ هولدن بالقول: «نحن... »، ثُم توقَّف قبل أن يقول: «أعتقِد أننا لا نعرف؛ لكن دون نبضات قلب، هذه بداية جيِّدة».

ضَحِكَ ميلر.

- «لقد رأى كلانا البثوث يا هولدن، تلك الأقفاص الصدرية التي تجُر نفسها بذراعٍ واحدةٍ، هل تعتقِد أن لديها دقَّات قلب؟ لم يلتزِم هذا القرف بقواعِدنا منذ اليوم الأول، فهل تتوقَّع أن يبدأ بفعل هذا الآن؟».

ابتسم هولدن بنفسه، كان ميلر مُحقًّا.

- «حسنًا، ما الذي يجعلك تعتقِد أن جولي ليست مُجرَّد قفص صدري، وكُتلة من الزوائِد؟».

قال ميلر: «ربما تكون كذلك؛ لكنني لا أتحدَّث عن جسدها، إنها هنا، عقلها، يبدو الأمر كما لو أنها تُحلِّق بزورق السباق الخاص بها - (رازورباك)- لقد كانت تُثرثِر حول هذا الأمر عبر الراديو لساعاتٍ الآن، ولم أكُن قد وضعت الأمور في نصابها الصحيح؛ لكن الآن بعدما فعلت، أصبح الأمر واضحًا للغاية».

- «ولماذا تتجه نحو الأرض؟».

قال ميلر -وهو يبدو مُتحمِّسًا ومهتمًّا وأكثر حيوية مما سبق لهولدن أن رآه-: «لا أعرِف، ربما يُريد الجُزيء الأولي الوصول إلى هناك ويتلاعب

بها. لم تكُن جولي هي أول من يُصاب بالعدوى؛ لكنها كانت أول من نجا بما فيه الكفاية ليصل إلى مكانٍ ما، ربما تكون هي من تنشُر البذور وكُل ما يفعله الجُزيء الأولي يعتمِد عليها، لا أعرِف ذلك؛ لكن بإمكاني اكتشاف الأمر، أنا فقط بحاجةٍ للعثور عليها للتحدُّث معها».

- «أنت بحاجةٍ لإيصال تلك القُنبلة إلى أينما كانت عناصِر التحكُّم وتفجيرها».

قال ميلر: «لا يُمكِنني القيام بذلك»؛ لأنه لا يستطيع القيام بذلك بالفعل.

قال هولدن لنفسه: لا يهم، فسيُصبِح كلاكما غبارًا مُشعًّا في أقل من ثلاثين ساعة.

«حسنًا، هل يُمكِنك أن تجد فتاتك في أقل من...». أمر هولدن (روسي) بالقيام بوقتٍ مُنقَّحٍ لاصطدام القذائِف القادِمة قبل أن يُضيف: «سبع وعشرون ساعة؟».

- «لماذا؟ ماذا سيحدُث في غضون سبعة وعشرين ساعة؟».
- «أطلقت الأرض ترسانتها النووية العابرة للنجوم نحو إيروس قبل بضع ساعات، فقد قُمنا للتو بتشغيل أجهزة الإرسال والاستقبال الخاصَّة بمركبات الشحن الخمسة التي أوقفتها على السطح؛ لتستهدفهم القذائِف، تُخمِّن (روسي) أن القصف سيحدُث في غضون سبع وعشرين ساعة بناءً على مُنحنى التسارُع الحالي. القوَّات البحرية الفضائية الخاصَّة بالأمم المُتحدة وبالمريخ في طريقها لتعقيم المنطِقة بعد التفجير؛ لتتأكَّد من عدم نجاة أي شيء أو تسلُّله إلى الشبكة».
- «يا إلهي! ».

قال هولدن -مُتنهدًا-: «أجل، آسف لأنني لم أخبرك من قبل، فقد كان لديَّ الكثير من الأمور التي تحدث، ونسيت الأمر نوعًا ما».

ساد صمت طويل آخر على الخط.

قال ميلر: «يُمكِنك إيقافهم، أغلِق أجهزة الإرسال والاستقبال».

دار هولدن في مقعده لمواجهة ناعومي، كان وجهها يحمل تساؤلًا مغزاه: ما الذي قاله للتو؟ نظرة تعني بأن الأمر يقع على عاتقه وحده، سحبت بيانات البدلة الطبية إلى وحدة التحكُّم الخاصَّة بها، ثُم أمرت نظام (روسي) الطبي الخبير بإجراء تشخيص طبي كامِل، كان التضمين واضحًا، كانت تعتقِد أن هناك شيئًا ما خاطِئ في ميلر لم يتضِح على الفور من البيانات التي حصلوا عليها. إذا كان قد أصيب بالجُزيء الأولى، وكان يستخدمه كخطوةٍ أخيرةٍ للتوجيه...

- «لن يحدُث ذلك يا ميلر، هذه هي فُرصتنا الأخيرة، ويُمكِن لإيروس أن يدور حول الأرض، وأن ينثُر المادة البُنية في كُل مكان إذا أفسدنا تلك الفُرصة، ومن المُستحيل أن نقوم بتلك المُخاطرة».

قال ميلر -ونبرته تتفاوَت بين التضرُّع السابِق والإحباط المُتزايِد-: «انظُر، إن جولي هنا، إذا تمكَّنت من العثور عليها، ووجدت طريقة للتحدُّث معها، فبإمكاني إيقاف هذا بدون الأسلِحة النووية».

- «ماذا؟ هل ستتضرَّع إلى الجُزيء الأولي كيلا يُصيب الأرض، بينما هذا هو الهدف الذي صُمِّم من أجله؟ هل ستُناشِد طبيعته الأفضل؟».

صمت ميلر للحظةٍ قبل أن يتحدَّث مرَّة أخرى.

- «انظر يا هولدن، أعتقِد أنني أعرِف ما يحدُث هنا، كان يهدف هذا الشيء إلى إصابة الكائنات وحيدة الخلية أبسط أشكال الحياة، أليس كذلك؟».

هزَّ هولدن كتفيه قبل أن يتذكَّر أنه لا يوجد بث فيديو، فقال: «حسنًا».

- «لم ينجح هذا؛ لكنه وغد ذكي، تكيَّف، ووَصَلَ إلى مضيف بشري، كائِن مُعقَّد مُتعدِّد الخلايا، يتنفَّس الهواء، ولديه عقل ضخم لا يُشبه ما تمَّ بناؤه من أجله، وقد كان يرتجِل منذ ذلك الحين، هذه الفوضى التي كانت موجودة على متن المركبة الشبح، كانت تلك أول محاولة قام بها، رأينا ما كان يفعله مع جولي في حمَّام إيروس، لقد كان يتعلَّم كيف يعمل معنا».

قال هولدن: «إلى أين ستذهب بذلك؟». لم يكُن هناك ضغط زمني بعد، مع بقاء الصواريخ على بُعد ما يزيد عن يوم؛ لكنه لم يستطِع إبعاد نفاد الصبر عن صوته.

- «كُل ما أقوله هو أن إيروس الآن ليس هو ما خطَّط له مؤسسو الجُزيء الأولي، إنه خطتهم الأصلية الموضوعة على قمَّة مليارات السنين من تطوُّرنا، وعندما ترتجِل، يتحتَّم عليك استخدام كُل ما لديك، استخدام كُل ما يصلُح، جولي هي النموذج، عقلها، ومشاعرها يطغيان على هذا الشيء، ترى هذا الانطلاق نحو الأرض كسباقٍ، وتصرُخ من أجل الفوز، تسخر منك لأنك لا تستطيع مواكبتها».

قال هولدن: «انتظر».

- «إنها لا تُهاجِم الأرض، إنها عائِدة إلى المنزل على الرغم من كُل ما نعرفه، فإنها لا تتجه إلى الأرض على الإطلاق، ربما إلى لونا، فقد نشأت وترعرعت هناك، والجُزيء الأولي مُثبَّت على هيكلها، وعلى دماغها، وبهذا تكون قد أصابته بنفس القدر الذي أصابها به، إذا استطعت أن أجعلها تفهم ما الذي يحدُث حقًّا، فربما يُمكِنني التفاوُض معها».
- «كيف لك أن تعرِف ذلك؟».

قال ميلر: «سمِّه حدسًا، أنا جيِّد في التعامُل مع الأحاسيس».

أطلق هولدن صفيرًا، كان الوضع بأكمله يتقلَّب في ذهنه، فقد كان المنظور الجديد مُذهلًا.

قال هولدن: «لكن الجُزيء الأولي لا يزال يُريد الانصياع لأوامِره، وليس لدينا أي فكرة عن ماهية ذلك».

- «يُمكِنني أن أخبرك وبكُل تأكيد أنها ليست القضاء على البشرية، الأشياء التي أطلقت فيبي علينا منذ ملياري عام لم تكُن تعرِف ماذا تكون البشرية بحق الجحيم، كُل ما تُريد القيام به هو الفوضى الحيوية، وقد حَصَلت على ذلك الآن».

لم يستطِع هولدن منع نفسه من الشخير عند ذلك.

- «ماذا إذن؟ لا يقصِدون التسبُّب لنا في أي ضرر؟ حقًّا؟ هل تعتقِد أننا إذا شرحنا لهم أننا نُفضِّل عدم هبوطه على الأرض فسيوافِق ويذهب إلى أي مكان آخر؟».

قال ميلر: «ليس هو، بل هي».

نظرت ناعومي إلى هولدن -وهي تهز رأسها- لم تكُن ترى أي خطأ عضوي في ميلر أيضًا.

قال ميلر: «لقد عملت في هذه القضية لُمدة عام تقريبًا، لقد تعمَّقت في حياتها، وقرأت بريدها، وقابلت أصدقاءها، أنا أعرفها، إنها مُستقلَّة بقدر استقلالية أي شخص، إنها تُحبنا».

سأله هولدن: «تُحبنا؟».

- «الناس، إنها تُحب البشر، لقد تخلَّت عن كونها الفتاة الصغيرة الغنيَّة وانضمَّت إلى (أوبا)، لقد دعمت الحزام لأنه كان الشيء الصحيح الذي ينبغي فعله، مُستحيل أن تقتلنا إذا كانت تعرِف أن هذا ما يحدُث، أنا فقط بحاجةٍ إلى إيجاد طريقة للشرح، يُمكِنني أن أفعل ذلك، أعطني فُرصة».

مرَّر هولدن يده في شعره، تجهَّم عندما شعر بالشحوم المُتراكِمة، إن قضاء يوم أو اثنين تحت وطأة قوى تسارُع عالية من شأنه ألا يسمَح بالاستحمام المُنتظِم.

قال هولدن: «لا يُمكِنني فعل ذلك، المخاطِر عالية للغاية، سنمضي قدمًا في الخطَّة، أنا آسف».

قال ميلر: «ستهزمك».

- «ماذا؟».
- «حسنًا، ربما لن تفعل ذلك، فلديك الكثير من القوَّة النارية؛ لكن الجُزيء الأولي اكتشف كيفية الالتفاف حول القصور الذاتي، وجولي؟ إنها مُقاتِلة يا هولدن، إذا واجهتها، فسأضع رهاناتي عليها».

شاهد هولدن مقطع فيديو لجولي وهي تُقاتِل مُهاجميها على متن المركبة الشبح، كانت منهجية وقاسية في دفاعها عن نفسها، لقد قاتلت دون أن تتهاوَن، كان قد رأى الوحشية في عينيها عندما شعرت بالحِصار والتهديد، لم تمنعها سوى دروع مُهاجميها القتالية من التسبُّب في مزيدٍ من الضرر قبل أن يتغلَّبوا عليها.

شعر هولدن بالشعيرات الموجودة على مؤخِّرة عنقه تنتصِب عندما فكَّر في أن إيروس يُقاتِل بالفعل، وحتى الآن كان يكتفي بالهروب من هجماتهم الخرقاء، ماذا سيحدُث إذا قرَّر أن يشرع في الحرب؟

قال هولدن: «يُمكِنك العثور عليها، واستخدام القُنبلة».

قال ميلر: «هذا ما سأفعله إذا لم أتمكَّن من الوصول إليها، سوف أجدها، وأتحدَّث إليها، وسوف أخرجها إذا لم أتمكَّن من المرور، ويُمكِنك تحويل إيروس إلى رمادٍ، سأكون سعيدًا بهذا؛ لكن عليك أن تمنحني الوقت لأجرِّب ذلك بطريقتي أولًا».

نظر هولدن إلى ناعومي التي بادلته النظر، كان وجهها شاحبًا، أراد أن يرى الجواب في تعبيرها، أن يعرف ما يجب أن يفعله بناءً على ما تعتقِده؛ لكنه لم يفعل، كان هذا قراره.

سأله هولدن أخيرًا: «هل تحتاج لأكثر من سبع وعشرين ساعة؟».

سَمِعَ ميلر يزفُر بصوتٍ عالٍ، كان هناك امتنان يحتل طبقات صوته، وهو ما كان بطريقته الخاصَّة أسوأ من التضرُّع.

- «لا أعرِف، هناك بضعة آلاف من الكيلومترات من الأنفاق هنا، ولا يعمل أي من أنظِمة النقل، ولا بُد لي من المشي في كُل مكان وأنا أجر تلك العربة اللعينة، ناهيك عن حقيقة أنني لا

أعرف حقًّا ما الذي أبحث عنه؛ لكن امنحني القليل من الوقت، وسأكتشف الأمر».

- «وأنت على علمٍ بأنه إذا لم ينجَح هذا، فسيتعيَّن عليك قتلها، نفسك وجولي».
- «أعرِف».

أمر هولدن (روسي) بحساب كم من الوقت سيستغرِقه إيروس للوصول إلى الأرض بمُعدَّل التسارُع الحالي، كانت الصواريخ المُنطلِقة من الأرض تقطع المسافة أكثر بكثيرٍ من إيروس؛ حيث إن الصواريخ الباليستية العابرة للنجوم قادِرة على التغلُّب على مُحرِّكات إبشتاين المزوَّدة بقنابِل نوويةٍ في المُقدِّمة، كانت حدود تسارُعهم هي الحدود الوظيفية لمُحرِّك إبشتاين نفسه. إذا لم تصِل الصواريخ، فسيستغرِق الأمر ما يقرُب من أسبوعٍ كي يصل إيروس إلى الأرض، حتى لو حافظ على مُعدل تسارُع ثابِت.

كانت هناك بعض المرونة هناك.

قال هولدن لميلر: «انتظِر، دعني أفعل شيئًا ما هنا»، ثُم كتم صوت الاتصال وقال: «الصواريخ تطير في خطٍّ مُستقيمٍ باتجاه إيروس، وتعتقِد (روسي) أنهم سيعترضون طريقه في غضون سبع وعشرين ساعة، تزيد أو تقل، كم من الوقت سنكسبه إذا قُمنا بتحويل هذا الخط المُستقيم إلى مُنحنى؟ ما مقدار المُنحنى الذي يُمكِننا القيام به وسنُحافِظ للصواريخ على فُرصةٍ للحاق بإيروس قبل أن يقترب أكثر من اللازِم؟».

مالت ناعومي برأسها جانبًا، ضيَّقت عينيها وهي تنظُر إليه بشكٍّ.

قالت: «ماذا ستفعل؟».

-	«على الأرجح أمنح ميلر الفُرصة لتفادي أول حرب بين الأنواع التي تعيش بين النجوم».

قالت بدهشةٍ شديدةٍ: «هل تثق بميلر؟ كُنت تعتقِد أنه مجنون، وألقيت به من المركبة لأنك اعتقدت أنه قاتِل ومُختل عقليًّا، والآن ستسمح له نيابةً عن البشرية بالتحدُّث مع إله فضائي يُريد أن يُمزِّقنا إربًا؟».

تحتَّم على هولدن أن يقمع الابتسامة؛ حيث إن إخبار امرأة غاضِبة عن مدى جاذبيتها عندما تغضب يجعلها تتوقَّف عن كونها لطيفة بسُرعةٍ كبيرةٍ، وبالإضافة إلى ذلك، كان بحاجةٍ إلى أن يكون منطقيًّا معها، فقد كانت هذه هي الطريقة التي كان يعرف بها ما إذا كان على حقٍّ.

-	«لقد أخبرتني ذات مرَّة أن ميلر كان مُحقًّا، حتى عندما اعتقدت أنه كان مُخطئًا».

قالت ناعومي -وهي تفاصل بين كلماتها وكأنها تتحدَّث إلى طفلٍ أحمق-: «لم أجعل ذلك بيانًا شاملًا، لقد قُلت إنه كان مُحقًّا في إطلاق النار على دريسدن، وهذا لا يعني أن ميلر مُستقر، إنه في طريقه للانتحار يا جيم، ويُركِّز على هذه الفتاة الميِّتة، لا أستطيع حتى أن أتخيَّل ما يُمكِن أن يدور في رأسه الآن».

-	«موافِق؛ لكنه موجود هناك في مكان الحادِث، ولديه عين ثاقِبة في المُراقبة واكتشاف الهراء فحسب، لقد تعقَّبنا هذا الرجل إلى إيروس اعتمادًا على اسم المركبة الذي اخترناه، وهذا مُثير للإعجاب للغاية، لم يُقابلني أبدًا، وكان يعرِفني جيِّدًا بما فيه الكفاية من خلال الأبحاث التي أجراها عني ليعرف أنني سأرغب في تسمية مركبتي على اسم جواد دون كيشوت».

ضَحِكَت ناعومي وهي تقول: «حقًّا؟ هل هذا هو مصدر ذلك الاسم؟».

- «لذلك فأنا أصدِّقه عندما يقول إنه يعرف جولي».

بدأت ناعومي في قول شيء ما؛ لكنها توقَّفت قبل أن تقول بصوتٍ خافتٍ: «هل تعتقِد أنها سوف تهزم القصف النووي؟».

- «إنه يعتقِد ذلك، ويعتقِد أنه يستطيع إقناعها بعدم قتلنا جميعًا، لا بُد أن أمنحه تلك الفُرصة، أنا مدين له بذلك».
- «حتى لو كان هذا يعني تدمير الأرض؟».

قال هولدن: «لا، ليس لهذه الدرجة».

توقَّفت ناعومي، وبدأ غضبها يتلاشى قالت: «إذن قُم بتأجيل القصف، وليس إجهاضه».

- «اشترِ لي بعض الوقت، كم من الوقت يُمكن أن نحصُل عليه؟».

عبست ناعومي، ونظرت إلى القراءات، كان بإمكانه رؤية الخيارات وهي تظهر في دماغها. ابتسمت، وهدأت ضراوتها الآن ليحل محلها النظرة المُزعِجة التي تعتلي قسمات وجهها عندما تعرِف أنها كانت ذكية للغاية.

- «قدر ما تُريد».

***

سأله فريد: «ماذا تُريد أن تفعل؟».

قال هولدن: «أن أسحب القصف النووي بعيدًا عن مساره لفترةٍ لأشتري لميلر بعض الوقت؛ لكن ليس كثيرًا للدرجة التي تجعلنا لا نستطيع استخدامه لتدمير إيروس إذا ما احتجنا إلى ذلك».

أضافت ناعومي: «الأمر بسيط، سأرسِل لك تعليمات مُفصَّلة».

قال فريد: «أعطني نظرةً عامةً».

قالت ناعومي -وهي تسحَب خطتها للأعلى على شكل طبقة شفَّافة فوق مُكالمة الفيديو-: «تستهدِف صواريخ الأرض أجهزة إرسال واستقبال مركبات الشحن الخمس الموجودة على متن إيروس، لديك مركبات ومحطَّات في جميع أنحاء الحزام، استخدم برنامج إعادة تشكيل جهاز الإرسال والاستقبال الذي قدَّمته لنا منذ فترة؛ لتستمِر في توجيه رموز تلك الأجهزة إلى المركبات أو المحطَّات الموجودة على طول تلك المُتجهات لسحب الصواريخ في قوسٍ طويلٍ يلتف في النهاية ليصل إلى إيروس».

هزَّ فريد رأسه قائلًا: «لن ينجح هذا؛ لأنه في اللحظة التي سترى فيها قيادة القوَّات البحرية الفضائية الخاصَّة بالأمم المُتحدة ما نفعله ستأمُر الصواريخ أن تتوقَّف عن اتباع هذه الرموز المُحدَّدة، وسيحاوِلون اكتشاف طريقة أخرى لاستهداف إيروس، وسيُثير هذا غضبهم علينا بشدةٍ».

قال هولدن: «أجل، صحيح أنهم سيكونون غاضبين، إلا أنهم لن يستعيدوا صواريخهم، وسنقوم بعملية اختراق ضخمة في مواقِع مُتعدِّدة على الصواريخ، قبل أن تبدأ في قيادة الصواريخ بعيدًا عن مسارها».

قال فريد: «وبذلك سيفترِضون أن العدو يحاوِل خداعهم، وسيوقفون إعادة البرمجة في مُنتصف الرحلة».

أجابه هولدن: «أجل، سنُخبرهم أننا سنخدعهم كي يتوقَّفوا عن الاستماع، وبمُجرَّد ألا ينصتوا السمع، سنقوم بخداعهم».

هزَّ فريد رأسه مرَّة أخرى، هذه المرة رمق هولدن بنظرةٍ غامضةٍ خائفةٍ لرجُلٍ يرغب في التراجُع ببطءٍ حتى يُغادِر الغُرفة.

قال: «لا توجد أي طريقة سأفعل بها ذلك بحق الجحيم، لن يُبرِم ميلر صفقة سحرية مع الفضائيين، سنستمِر في قصف إيروس نوويًّا مهما حدث، لماذا نؤجِّل ما لا مفر منه؟».

قال هولدن: «لأنني بدأت أعتقِد أن الأمر قد يكون أقل خطورةً بهذه الطريقة إذا استخدمنا الصواريخ دون تدمير مركز قيادة إيروس... الدماغ... أو أيًّا كان، فلا نعرِف إذا ما كان الأمر سينجح؛ لكنني مُتأكِّد للغاية من أن فرصنا ستنخفِض، ميلر هو الوحيد الذي يُمكِنه فعل ذلك، وهذه هي شروطه».

قال فريد لفظًا فاحشًا.

قال هولدن: «إذا لم ينجح هولدن في التحدُّث إليه، فسيُدمِّره، أنا أثق به في ذلك، بحقك يا فريد، أنت تعرف تصميمات تلك الصواريخ مثلي تمامًا؛ بل وأفضل مني، لقد وضعوا كُريات وقود في تلك الرحلات كافية للطيران حول النظام الشمسي مرَّتين، لن نفقِد أي شيء بمنح ميلر المزيد من الوقت».

هزَّ فريد رأسه للمرَّة الثالثة، رأى هولدن وجهه وهو يتجهَّم، لم يقتنِع بذلك، وقبل أن يتمكَّن من قول: لا، قال هولدن: «هل تتذكَّر ذلك

الصندوق الذي يحتوي على عينات الجُزيء الأولي، وجميع مُلاحظات المُختبر؟ هل تُريد أن تعرف ما سعري لها؟».

قال فريد ببطءٍ: «لقد جُنِنت تمامًا».

أجابه هولدن: «هل تُريد شراءه أو لا؟ هل تُريد الحصول على تذكرةٍ سحريةٍ للجلوس على تلك الطاولة؟ أنت تعرف سعري الآن، امنح ميلر فرصته، وستحصل على العينة».

***

قال ميلر: «أشعُر بالفضول لمعرفة كيف أقنعتهم بذلك، كُنت أفكِّر في أنني ربما كُنت أبله».

قال هولدن: «لا يهم، لقد اشترينا لك الوقت، اذهب وابحث عن تلك الفتاة وأنقِذ البشرية، سننتظِر ردَّك».

وسنكون جاهزين لقصفك نوويًّا، وتحويلك إلى غُبارٍ، لم يقُل ذلك، فلا داعي لهذا.

قال ميلر: «لقد كُنت أفكِّر في أين يجب لها أن تذهب إذا ما تمكَّنت من التحدُّث معها؟». كان يتمتَّع بالأمل المفقود لرجلٍ يمتلك بطاقة يانصيب، أضاف: «أقصِد، عليها إيقاف هذا الشيء في مكانٍ ما».

إذا عشنا، إذا ما كان بإمكاني إنقاذها، إذا ما كانت المُعجزة حقيقية.

هزَّ هولدن كتفيه، على الرغم من عدم تمكُّن أحد من رؤيته.

قال: «دعها تذهب إلى كوكب الزهرة، إنه مكان مروِّع».

(٥٤)
ميلر

تمتم صوت إيروس، صوت جولييت ماو وهي تتحدَّث أثناء نومها: «أنا لست، أنا لست، أنا لست، أنا لست».

قال ميلر: «بحقك، بحقك أيها الوغد، كُن هنا».

كانت المرافِق الطبيَّة غنَّاء ومكسوَّة بما يُشبِه العُشب، والدوَّامات السوداء المكسوَّة بخيوطٍ من البرونز والصلب تتسلَّق الجدران، وتُغلِّف طاولات الفحص؛ لتتغذى على المواد المُخدِّرة، والمُنشِّطات، والمُضادات الحيويَّة المُتسرِّبة من خزانات الإمداد المكسورة، نبش ميلر وسط الفوضى بيدٍ واحدةٍ، دقَّ إنذار بدلته، كان لهوائه طعم حامِض ناتِج عن إعادة التدوير للعديد من المرَّات، لا يزال يضغط على زر الرجل الميِّت بإبهامه الذي كان يخزه عندما لا يعتريه الألم، أزال النمو الفطري تقريبًا من على صندوق تخزين لم ينكسِر بعد، ووَجَد المزلاج، أربع أسطوانات من الغاز الطبي: اثنتين باللون الأحمر، وواحدة خضراء، وواحدة زرقاء، نظر إلى القفل، لم يحصُل عليهم الجُزيء الأولي بعد، كان اللون الأحمر خاصًّا بالتخدير، والأزرق بالنيتروجين، التقط الأسطوانة الخضراء، كان درع حلمة التوصيل المُعقَّم في مكانه، أخذ نفسًا عميقًا من الهواء المُحتضِر،

ساعات قليلة أخرى، وضع جهازه اللوحي جانبًا (واحد... اثنان...)، وفَتَح القفل (ثلاثة...)، أدخل الحلمة في مدخل بدلته (أربعة...)، ووضع إصبعه على الجهاز اللوحي، وقف، وشعر ببرودة خزَّان الأكسجين في يده بينما كانت بدلته تُعيد النظر في فترة حياته، عشر دقائق، ساعة، أربع ساعات، تساوى ضغط الأسطوانة الطبيَّة مع ضغط البدلة فقام بفكِّها، أربع ساعات أخرى، لقد كسب لنفسه أربع ساعات أخرى.

كانت هذه هي المرَّة الثالِثة التي يقوم فيها بإعادة إمداد الطوارئ منذ أن تحدَّث إلى هولدن. كانت الأولى في محطَّة إخماد الحرائِق، والثانية في وحدة إعادة التدوير الاحتياطيَّة، إذا عاد إلى الميناء، فعلى الأرجح سيجد بعض الأكسجين المُتصلِّب في بعض خزَّانات الإمداد والمركبات الراسية. وإذا عاد إلى السطح، فسيجد الكثير في مركبات (أوبا).

لكن لم يكُن هناك وقت للقيام بذلك؛ حيث إنه لم يكُن يبحث عن الهواء؛ بل كان يبحث عن جولييت، سَمَح لنفسه بالتمدُّد، كان العِقد الموجود في رقبته وظهره يُهدِّد بالتحوُّل إلى تشنُّجاتٍ، كانت مستويات ثاني أكسيد الكربون في البدلة لا تزال ضمن الجانِب المُرتفِع في حدود المقبول حتى مع دخول الأكسجين الجديد إلى المزيج، كانت البدلة بحاجةٍ إلى صيانةٍ وإلى مُرشحٍ جديدٍ؛ لكن لا بُد لهذا من أن ينتظِر، فمن خلفه، احتفظت القُنبلة برأيها لنفسها،

كان عليه أن يجدها، فقد كانت جولييت ماو في مكانٍ ما وسط متاهة ممرَّات وغُرف المدينة الميِّتة، تقودهم إلى الأرض. كان قد قام بتتبُّع أربع نقاط ساخِنة، كانت ثلاثة منهم تُمثِّل مُرشَّحين مُحتملين لخطَّته الأصلية للقربان النووي الواسِع: عبارة عن محاوِر من الأسلاك، والخيوط الفضائية السوداء المُتشابكة في عُقد ضخمة ذات مظهر عضوي، بينما

كانت الرابِعة عبارة عن مُفاعِل معمَل رخيص الثمن كان في طريقه إلى الانهيار، استغرق الأمر خمس عشرة دقيقة لبدء إغلاق الطوارئ، وربما لم يكُن عليه أن يُضيع هذا الوقت؛ لكنه لم يجد جولي أينما ذهب، حتى جولي التي تسكُن خياله كانت قد ذهبت، كما لو أن الشبح لم يعُد له مكان الآن بعد أن عرَف أن المرأة الحقيقية لا تزال على قيد الحياة، لقد افتقد وجودها في الجوار حتى لو كانت مُجرَّد رؤية.

مرَّت موجة عبر المرافِق الطبية، ارتفع كُل النمو الفضائي وهبط مثلما تفعل برادة الحديد عندما يمُر مغناطيس من تحتها، ازدادت دقَّات قلب ميلر، وتسرَّب الأدرينالين إلى دمه؛ لكن ذلك لم يحدُث مرَّة أخرى.

كان عليه أن يجدها، كان عليه أن يجدها قريبًا، كان بإمكانه أن يشعُر بالإرهاق يطحنه، وبأسنانٍ صغيرةٍ تمضُغ مؤخِّرة دماغه، لم يكُن يُفكِّر بوضوحٍ كما ينبغي بالفعل هناك في سيريس، كان سيعود إلى غُرفته، وينام ليومٍ كاملٍ، ويعود إلى المُشكِلة سالمًا؛ لكن هذا لم يكُن خيارًا مطروحًا ها هنا.

دائِرة كاملة، لقد وجد نفسه يدور في دائرةٍ كاملةٍ، كان قد تولَّى ذات مرَّة في حياةٍ مُختلفةٍ مُهمة العثور عليها؛ ثُم عندما فشل، كان هناك الثأر، والآن، أتيحت له فُرصة العثور عليها مرَّة أخرى لإنقاذها، وإذا لم يستطِع، فإنه لا يزال يجُر عربة رخيصة ذات عجلة تُصدِر صريرًا من أجل تحقيق الانتقام.

هزَّ ميلر رأسه، كان يمُر بالكثير من هذه اللحظات؛ حيث يضيع في أفكاره الخاصَّة، أمسَك بالعربة المُحمَّلة بالقُنبلة الاندماجية بقبضةٍ جديدةٍ، انحنى للأمام، وتوجَّه للخارِج، أصدرت المحطَّة من حوله صوت صرير بالطريقة التي تخيَّلها قد تكون مركبة شراعية قديمة،

تقوَّست أخشابها بفعل موجات الماء المالِح واندفاع المد والجزر العظيم بين الأرض والشمس. هنا؛ حيث كانت مصنوعة من الحجر، لم يتمكَّن ميلر من تخمين القوى التي تؤثِّر عليها آملًا ألا يكون شيء من شأنه أن يتداخل مع الإشارة بين جهازه اللوحي وبين حمولته، لم يكُن يُريد أن يتحوَّل إلى ذراتٍ دون قصد.

أصبح من الواضِح أكثر فأكثر أنه لا يستطيع تغطية المحطَّة بأكملها، كان يعرف ذلك منذ البداية، إذا كانت جولي قد وجدت نفسها في مكانٍ غامضٍ -مُخبَّأة في رُكنٍ ما أو حُفرةٍ مثل قطة تحتضِر- فلن يجدها، لقد أصبح مُقامِرًا، يُراهِن على كُل أملٍ بكُل أوراقه، تغيَّر صوت إيروس إلى أصواتٍ مُختلفةٍ في الوقت الحالي، تُغني شيئًا ما باللغة الهندية، أغنية أطفال، انسجم إيروس مع نفسه في ثراءٍ مُتزايدٍ من الأصوات، الآن، وبعد أن عرَف كيف يستمِع إليها، سمع صوت جولي يشُق طريقه بين بقية الأصوات، ربما كانت هناك طوال الوقت، تحوَّل إحباطه إلى ألمٍ جسدي، كانت قريبة للغاية؛ لكنه لم يكُن يستطِع الوصول إليها.

سَحَب نفسه مرَّة أخرى إلى مُجمَّع الممرَّات الرئيس، كانت المرافِق الطبية مكانًا جيِّدًا للبحث عنها أيضًا، ظاهرية، وغير مُثمِرة، كما بحث في اثنين من المُختبرات الحيوية التجارية، ولم يجد شيئًا، جرَّب المشرحة، وأماكِن تخزين الشُّرطة، حتى إنه ذهب إلى غُرفة الأدلَّة، بحث في صندوق بلاستيكي تلو الآخر من المُخدَّرات المُهرَّبة والأسلحة المُصادرة المُبعثرة على الأرض كأوراق البلوط في إحدى الحدائِق الكبيرة، كان كُل ذلك يعني شيئًا ذات يوم، كان كُل واحد منهم جُزءًا من دراما إنسانية صغيرة -تنتظِر أن تبرُز للنور-، أو جزءًا من مُحاكمة أو على الأقل جلسة استماع، بعض التدريبات الصغيرة ليوم القيامة مؤجَّلة الآن إلى الأبد، كانت كُل النقاط موضعًا للنقاش.

طار شيء فضي اللون من فوقه أسرع من أن يكون طائرًا، ثُم آخر، ثُم قطيع يتدفَّق فوق رأسه، تلألأ الضوء فوق المعدن النابض بالحياة لامعًا مثل حراشِف السمك، شاهد ميلر الجُزيء الفضائي يرتَجِل في الفضاء فوقه.

قال هولدن: لا يُمكِنك التوقُّف هنا، عليك التوقُّف عن الركض والسير في الطريق الصحيح، نَظَر ميلر من فوق كتفه، وَقف القُبطان حقيقيًّا وليس حقيقيًا؛ حيث كان من المُمكِن أن توجد جولي الداخلية الخاصَّة به.

قال ميلر لنفسه: حسنًا، هذا مُثير للاهتمام.

قال: «أعرِف، الأمر فقط... لا أعرف إلى أين ذهبت، و... حسنًا، انظُر حولك، المكان كبير كما ترى؟».

قال هولدن الموجود في خياله: إما أن توقفها، أو سأفعل أنا.

قال ميلر: «إذا عرفت فقط إلى أين ذهبت».

قال هولدن: «لم تذهب، لم تذهب قط.

التفت ميلر لينظُر إليه، اضطرب سرب الفضَّة فوق رأسه يُزقزق مثل: الحشرات، أو مُحرِّك سيئ الضبط، بدا القُبطان مُرهقًا، كان خيال ميلر قد وضع خيطًا مُدهشًا من الدماء في رُكن فم الرجُل، بعد ذلك لم يعُد هولدن بعد الآن، لقد أصبح هافلوك -الأرضي الآخر- شريكه القديم، ثُم أصبح موس، كانت عيناها ميتتين مثل عينيه.

لم تذهب جولي إلى أي مكان، كان ميلر قد رآها في غُرفة الفُندق عندما كان لا يزال لا يعتقِد أنه يُمكِن لأي شيء أن يُبعث من القبر باستثناء الرائِحة الكريهة وقتذاك، لقد أخذوها بعيدًا داخِل كيس جُثث، ثُم

أُخِذت إلى مكانٍ آخرَ، استعادها عُلماء بروتوجين، حصدوا الجُزيء الأولي، ونشروا لحم جولي المُعاد تكوينه عبر المحطَّة مثل النحل الذي يقوم بتلقيح حقل من الزهور البرية، لقد منحوها المحطَّة؛ لكن قبل أن يفعلوا ذلك، وضعوها في مكانٍ ظنوا أنه سيكون آمنًا.

غُرفة آمنة، أرادوا احتواءها حتى يُصبِحوا مُستعدين لنشر الشيء، أرادوا التظاهُر بأنه يُمكِن احتواؤه، لم يكُن من المُحتمل أن يكونوا قد واجهوا مُشكلة في التنظيف بعد أن حصلوا على ما يحتاجون إليه، لم يكُن الأمر كما لو أن شخصًا آخر سيكون موجودًا لاستخدام تلك المساحة؛ ولذلك كانت فُرص أنها لا تزال موجودة جيِّدة، ضيَّق هذا نطاق الأمور.

ستكون هناك أجنحة عزل في المُستشفى؛ لكن لم يكُن من المُحتمل أن تستخدم شركة بروتوجين المرافِق التي قد يتساءل فيها الأطباء والمُمرضات غير المُنتمين إلى بروتوجين عمَّا كان يحدُث، كانت هذه مُخاطرة لا داعي لها.

حسنًا.

ربما أقاموا في أحد المصانِع المجاوِرة للميناء، لقد كان هناك الكثير من الأماكِن التي تتطلَّب عملًا شاقًّا؛ لكن مرَّة أخرى، كان من المُمكِن أن يتم اكتشافه، أو استجوابه قبل أن تُصبح المصيدة جاهزة للانطلاق.

قالت موس التي تسكُن خياله: إنه مصنع مُخدرات تُريد الخصوصيَّة، وتُريد السيطرة، فقد يكون لاستخراج الفيروس من الفتاة الميِّتة، واستخراج القرف الجيِّد من بذور الخشخاش كيمياء مُختلِفة؛ لكنها لا تزال جريمة.

قال ميلر: «وجهة نظر جيِّدة، كما أنه قريب من طابق الكازينو... لا، هذا ليس صحيحًا، كان الكازينو هو المرحلة الثانية، في حين كانت المرحلة الأولى هي الذعر الإشعاعي. لقد وضعوا مجموعة من الأشخاص من الملاجئ الإشعاعية وأحرقوهم ليكون الجُزيء الأولى جيِّدًا وسعيدًا، ثُم قاموا بإصابة طابق الكازينو بالعدوى».

سألته موس: «أين ستضع مطبخًا للمُخدرات بحيث يكون قريبًا من الملاجئ الإشعاعية إذن؟».

انحرف تيار الفضَّة المُضطرِب فوق رأسه يسارًا ثُم يمينًا مُتدفِّقًا في الهواء، بدأت تجعُّدات معدنية صغيرة في التساقُط، فخلَّفت آثار دُخان من خلفها.

- «إذا كان لديَّ سُلطة الوصول في وحدة تحكُّم التحكُّم البيئي الاحتياطية، إنها مُنشأة طوارئ، حيث لا توجد حركة مرور على الأقدام ما لم يكُن شخص ما يقوم بالجرد، لقد تمَّ تركيب جميع مُعدَّات العزل فيه بالفعل، لن يكون ذلك صعبًا».

قالت موس وهي تبتسِم بلا مُبالاة: «وبما أن بروتوجين كانت تُدير أمن إيروس، فسيكونون قادرين على ترتيب ذلك قبل حتى أن يضعوا السفَّاحين الذين يُمكِن التخلُّص منهم في أماكِنهم المطلوبة أترى؟ كُنت أعرِف أن بإمكانك التفكير في ذلك».

وفي أقل من ثانيةٍ، رحلت موس وظهرت جولي -الخاصَّة به- مكانها، كانت تبتسِم جميلة، ومُشعَّة، طفا شعرها حولها كما لو أنها تسبح في حالة انعدام جاذبية، ثُم اختفت بعد ذلك، حذَّره جهاز إنذار بدلته من تزايُد البيئة المُسبِّبة للتآكُل باطرادٍ.

قال للهواء المُحترِق: «تمسَّكي جيِّدًا، سأكون هناك».

***

كان قد مرَّ أقل من ثلاث وثلاثين ساعة منذ اللحظة التي أدرك فيها أن جوليت أندروميدا ماو لم تكُن ميِّتة إلى أن قام بتدوير أختام الطوارئ، وجذب عربته إلى مُنشأة إيروس الاحتياطية للتحكُّم البيئي. كانت الممرَّات النظيفة والبسيطة وتصميم الحد من الأخطاء الخاص بالمكان لا يزال ظاهرًا من تحت نمو الجُزيء الأولي، بالكاد خفَّفت خيوط العقد الداكِنة والشعيرات الحلزونية من أركان الحائط والأرضية والسقف، حلقات مُعلَّقة في السقف مثل الطحالِب الأسبانية، وكانت أضواء الليد المألوفة لا تزال تتوهَّج تحت النمو الخافِت؛ لكن أغلبية الإضاءة نتجت عن سرب النقاط الزرقاء الباهِتة المتوهِّجة في الهواء، غرقت قدمه حتى الكاحِل عندما خطا خطوته الأولى في سجادةٍ سميكةٍ؛ يجب أن تبقى عربة القُنبلة بالخارِج، أخبرته بدلته عن وجود مزيج بري من الغازات الغريبة والجُزيئات العطرية؛ لكنه لم يكُن يستطِيع أن يشم غير رائحته.

كان قد تمَّ تجديد جميع الغُرف الداخلية -تغيَّرت- سار عبر أقسام التحكُّم في مُعالجة مياه الصرف الصحي مثل غواص يستكشِف كهفًا، دارت الأضواء الزرقاء من حوله أثناء مروره، تمسَّكت بضع عشرات منهم ببدلته وتوهَّجت هناك، لم ينظفهم عن لوحة وجه الخوذة مُعتقدًا أنهم سيتركون لطخات مثل يراعات ميِّتة؛ لكنهم عادوا إلى الهواء فحسب. لا تزال شاشات أجهزة إعادة تدوير الهواء تتراقص وتتوهَّج؛ لتكشِف آلاف الإنذارات وتقارير الحوادِث عن شكل الجُزيء الأولي الشبكي الذي يُغطي الشاشات، بينما كان الماء يتدفَّق في مكانٍ ما بالقُرب منه.

كانت في عُقدة تحليل المواد الخطيرة مُستلقية على فراشٍ من الخيط الداكِن الذي انسكب من عمودها الفقري حتى تعذَّر تمييزه عن شعرها المُتدفِّق كوسادة ضخمة قادِمة من حكايةٍ خُرافيةٍ، تلمع نقاط صغيرة من الضوء الأزرق على وجهها، وذراعيها، وثدييها، نَمَت النتوءات العظمية التي كانت تضغط على جلدها إلى روابط جارفةٍ شبه معمارية في الخصوبة من حولها، لقد اختفت ساقاها، فُقِدتا في تشابُكٍ من الشبكات الفضائية الداكِنة؛ لتُذكِّر ميلر بحوريةٍ بدلت زعانفها بمحطَّة فضائيةٍ، كانت عيناها مُغلقتين؛ لكن كان بإمكانه أن يراهما وهُما تتحرَّكان وتتراقصان تحت جفنيها، كما أنها كانت تتنفَّس.

وقف ميلر بجوارها، لم يكُن لديها نفس وجه جولي التي كانت تسكُن خياله، كان فك المرأة الحقيقية أعرض، ولم يكُن أنفها مُستقيمًا كما كان يتذكَّره، لم يُلاحِظ أنه كان يبكي إلا عندما حاوَل مسح دموعه، فاصطدمت يده بخوذته، تحتَّم عليه أن يكتفي بالرمش بشدةٍ حتى وضحت رؤيته.

كُل هذا الوقت، كُل هذا الطريق، وها هو ما أتى من أجله.

قال وهو يضع يده الحُرَّة على كتفها: «جولي، مرحبًا يا جولي، استيقظي، أريدكِ أن تستيقظي الآن».

كانت لديه تجهيزات طبيَّة في بدلته، يُمكِنه أن يحقِنها بالأدرينالين أو بالمقويات إذا ما احتاج إلى ذلك؛ لكن بدلًا من ذلك، هزَّها بلُطفٍ، كما لو كانت كانديس في صباحِ يوم أحد كسول، عندما كانت لا تزال زوجته، قد عادت في حياةٍ بعيدةٍ شبه منسيَّة، عبست جولي، وفتحت فمها، ثُم أغلقته.

- «يجب أن تستيقظي الآن يا جولي».

أنَّت، ورفعت ذراعًا غير مُجدٍ لتدفعه بعيدًا.

قال: «عودي إليَّ، يجب أن تعودي الآن».

فتحت عينيها، لم تعودا بشريتين بعد الآن، رُسِمَت دوامات حمراء وسوداء في قرنيتها، بينما كانت القزحية بنفس اللون الأزرق المُضيء مثل اليراعات، لم تكُن بشرية؛ لكنها كانت لا تزال جولي، تحرَّكت شفتاها دون صوت، ثُم قالت: «أين أنا؟».

قال ميلر: «أنتِ في محطَّة إيروس، لم يعُد المكان كما كان عليه من قبل، ليس حتى في الموقِع الذي كان يحتله من قبل؛ لكن...».

ضَغَط بيده على فراش الخيوط؛ ليختبره، ثُم أراح فخذه بجوارها كما لو كان يجلس على فراشها، شعر جسده بالألم الموجِع، وبدا أخف وزنًا مما ينبغي، ليس مثلما يكون في الجاذبية المُنخفِضة، لم يكُن للطفو غير الواقعي علاقةٌ بالجسد المُنهك.

حاولت جولي التحدُّث مرَّة أخرى؛ لكنها واجهت صعوبات فتوقَّفت، ثُم حاولت مرَّة أخرى: «من أنت؟».

- «أجل، لم نلتقِ رسميًّا، أليس كذلك؟ اسمي ميلر، اعتدت أن أكون مُحقِّقًا في أمن ستار هيليكس في سيريس، تعاقَد والدكِ معنا باستثناء أنه كان أقرب لخدمة يُقدِّمها صديق في منصبٍ عالٍ، كان من المُفترض أن أتعقَّبكِ، وأن أمسك بكِ، وأعيدكِ إلى هناك».

قالت: «مهمَّة خطف؟». كان صوتها قويًّا، وبدت نظرتها أكثر تركيزًا.

قال ميلر: «في الغالِب». ثُم تنهَّد وهو يقول: «لكنني أفسدت الأمر نوعًا ما».

رفرفت عيناها المُغلقتان؛ لكنها تابعت الحديث قائلةً: «حدث شيء ما لي».

- «أجل، حدث شيء ما».
- «أنا خائِفة».
- «لا، لا، لا، لا تخافي، كُل شيء على ما يُرام بطريقةٍ ما؛ لكنها على ما يُرام، انظري، تتجه المحطَّة بأكملها الآن إلى الأرض بسُرعةٍ كبيرةٍ».
- «حلمت أنني كُنت أتسابق، كُنت عائِدة إلى المنزل».
- «أجل، يجب أن نوقِف ذلك».

فتحت عينيها مرَّة أخرى، بدت تائِهة، ومُتعبة، ووحيدة، شقَّت دمعة طريقها من رُكن عينها، وتألَّقت باللون الأزرق.

قال ميلر: «أعطِني يدكِ، لا، حقًّا، أريدكِ أن تحملي شيئًا من أجلي».

رفعت يدها ببطءٍ كطحلبٍ في تيارٍ هادئٍ، أخذ جهازه اللوحي، وثبَّته في راحة يدها، وضغط بإبهامها على زر الرجل الميِّت.

- «أمسكِي ذلك من أجلي فحسب، لا تتركيه».

سألته: «ما هذا؟».

- «قصة طويلة، لا تتركيه فحسب».

صرخ إنذار بدلته عندما فكَّ أختام بدلته، قام بإيقافهم، كان الهواء غريبًا: يفوح برائحة الأسيتات، والكمون، والمسك القوي العميق الذي جعله يُفكِّر في سبات الحيوانات الشتوي. راقبته جولي وهو يخلع قُفازاته، في ذلك الوقت، بدأ الجُزيء الأولي يلتصِق به، يخترِق جلده وعينيه،

ويستعِد لفعل كُل ما سبق وفعله بكُل شخص على متن إيروس؛ لكنه لم يهتم. استعاد جهازه اللوحي، وشبك أصابعه بأصابعها.

قال: «أنتِ تقودين هذه الحافلة يا جولي، هل تعرفين ذلك؟ أقصِد، هل يُمكِنكِ أن تقولي ذلك؟».

كانت أصابعها بارِدة بين أصابعه؛ لكنها لم تكُن مُتجمِّدة.

قالت: «أستطيع أن أشعُر... بشيءٍ ما، أنا جائِعة؟ لست جائِعة؛ بل... أريد شيئًا ما. أريد العودة إلى الأرض».

أجابها ميلر: «لا يُمكِننا فعل ذلك، أريدكِ أن تُغيِّري المسار». ما الذي قاله هولدن؟ دعها تذهب إلى كوكب الزهرة، أضاف: «توجهي إلى كوكب الزهرة بدلًا من ذلك».

قالت: «ليس هذا ما يُريده».

قال ميلر: «هذا هو المعروض لدينا»، ثُم أضاف بعد لحظة: «لا يُمكِننا العودة إلى المنزل، يجب أن نذهب إلى كوكب الزهرة».

ظلَّت صامِتة لبرهةٍ طويلةٍ.

- «أنتِ مُقاتلة يا جولي، أنتِ لا تسمحين لأي شخص بأن يتخذ قراراتكِ بالنيابة عنكِ، فلا تبدئي بفعل ذلك الآن، إذا ذهبنا إلى الأرض... ».
- «فسيأكُلهم أيضًا بنفس الطريقة التي أكلني بها».
- «أجل».

نظرت إليه.

قال مرَّة أخرى: «أجل، بهذه الطريقة».

- «ماذا سيحدُث على كوكب الزهرة؟».

قال وهو يُشير إلى الكهف من حولهم: «ربما نموت، لا أعلم؛ لكننا لن نأخُذ الكثير من الناس معنا، وسنتأكَّد من عدم إصابة أحد بهذا القرف، وإذا لم نمُتْ... حسنًا، سيكون هذا مُثيرًا للاهتمام».

- «لا أعتقِد أنني أستطيع القيام بذلك».
- «بل تستطيعين، هل تعرفين الشيء الذي يقوم بكُل ذلك؟ أنتِ أذكى منه، أنتِ المُتحكِّمة، خُذينا إلى كوكب الزهرة».

كانت اليراعات تحوم حولها، والضوء الأزرق ينبض قليلًا: تسطع وتخفُت، تسطع وتخفُت. رأى ميلر ذلك في وجهها عندما اتخذت القرار، سطعت الأضواء من حولها، فاض الكهف باللون الأزرق الخافِت، ثُم خفتت مرَّة أخرى إلى حيث كانت من قبل. شعر ميلر بشيءٍ ما في مؤخِّرة عُنقه مثل التحذير الأول للإصابة بالتهاب الحلق، تساءل عمَّا إذا كان لديه وقت لإلغاء تنشيط القُنبلة، ثُم نظر إلى جولي: جولييت أندروميدا ماو، طيَّارة (أوبا)، ووريثة عرش ماو كويكويسكي التجارية، بذرة أساس مُستقبل يفوق أي شيء كان يحلم به على الإطلاق، سيكون لديه مُتسع من الوقت.

قالت: «أنا خائِفة».

قال: «لا تخافي».

قالت: «لا أعرِف ما الذي سيحدُث».

قال: «لا أحد يعرف ذلك أبدًا، وانظري، ليس عليكِ أن تفعلي هذا بمُفردكِ».

- «يُمكِنني أن أشعُر بشيءٍ ما في الجُزء الخلفي من دماغي، إنه يُريد شيئًا لا أفهمه، إنه ضخم للغاية».

قبل ظهر يدها بشكلٍ لا إرادي، كان هناك ألم يشُق طريقه عميقًا في معدته، شعور بالمرض، لحظة من الغثيان، أولى آلام تحوُّله إلى إيروس.

قال: «لا تقلقي، سنكون على ما يُرام».

(٥٥)
هولدن

رأى هولدن حلمًا.

لطالما كان هولدن من هؤلاء الذين يرون الأحلام الواضِحة طوال حياته، ولذلك عندما وَجَد نفسه يجلِس في مطبخ والديه في منزله القديم بمونتانا يتحدَّث إلى ناعومي، عرَف أنه يحلم، لم يستطِع فهم ما كانت تقوله تمامًا؛ لكنها ظلَّت تدفع شعرها بعيدًا عن عينيها، وهي تقضِم الكعك، وترشف الشاي، وعندما وَجَد نفسه غير قادر على الإطلاق على اختيار كعكة وقضمها، كان بإمكانه أن يشُم رائحتها، كانت ذكرى كعكات الشوفان برقائِق الشوكولاتة الخاصَّة بالأم إليز جيِّدة للغاية.

كان حلمًا جيِّدًا.

وَمَض المطبخ باللون الأحمر مرَّة، وتغيَّر شيء ما، شعر هولدن بالخطأ في ذلك، شعر بالحلم ينزلِق من ذكرى دافِئة ليتحوَّل إلى كابوسٍ، حاول أن يقول شيئًا ما لناعومي؛ لكنه لم يستطِع تكوين الكلمات، وَمَضت الغُرفة باللون الأحمر مرَّة أخرى؛ لكن لم يبدُ أنها تُلاحِظ ما يحدُث. نَهَض وتوجَّه إلى نافذة المطبخ ونظر إلى الخارِج، وعندما وَمَضت الغُرفة للمرَّة الثالِثة، رأى سبب ذلك، كانت الشهب تتساقط من السماء، وتترك أثرًا ناريًّا بلون الدم من خلفها، كان يعلم بطريقةٍ ما أن تلك أجزاء من

إيروس الذي تحطَّم أثناء عبوره للغلاف الجوي، لقد فشل ميلر، وفشل القصف النووي.

لقد عادت جولي إلى المنزل.

استدار ليُخبِر ناعومي بأن تركُض؛ لكن الشعيرات السوداء انفجرت من تحت الأرض ولفَّتها، واخترقت جسدها في عدَّة أماكِن، وانسكبت من فمها ومن عينيها.

حاوَل هولدن أن يركُض إليها ليُساعدها؛ لكنه لم يستطِع الحركة، وعندما نظر للأسفل، رأى أن الشعيرات قد وصلت إليه، وأمسكت به أيضًا، التفَّت إحداهم حول خصره وأمسكت به، بينما ضغطت أخرى على فمه.

استيقظ وهو يشهق بصوتٍ عالٍ في غُرفةٍ مُظلمةٍ تومِض باللون الأحمر، كان هناك شيء يلتف حول خصره، بدأ يخدشه في نوبةٍ من الذعر مُهدِّدًا بتمزيق ظفر من يده اليُسرى قبل أن يُذكِّره صوت العقل بمكانه، لقد كان في سطح العمليات على مقعده مربوطًا بحزام أمان في حالة انعدام جاذبية.

وَضَع إصبعه في فمه محاولًا تسكين الألم الذي أصاب طرف إصبعه الذي تعرَّض للإيذاء عندما اصطدم بأحد أبازيم المقعد، وأخذ عدَّة أنفاس عميقة من أنفه، كان سطح المركبة خاليًا. بينما كانت ناعومي نائِمة في مقصورتها، كما كان أليكس وأموس خارِج أوقات العمل الرسميَّة، ويُفترض أنهما نائمان كذلك، لقد أمضوا ما يقرُب من يومين دون أن ينالوا قسطًا من الراحة أثناء مُطاردة إيروس بتسارُعٍ عالٍ، أمر هولدن الجميع بالراحة وتطوَّع بأخذ وردية المُراقبة الأولى.

ثُم سُرعان ما سقط نائمًا، هذا ليس جيِّدًا.

وَمَضَت الغُرفة باللون الأحمر مرَّة أخرى، هزَّ هولدن رأسه لينفُض عنها آخر بقايا النوم، وأعاد صب تركيزه على وحدة التحكُّم الخاصَّة به، وَمَضَ ضوء تحذير أحمر فنقر على الشاشة ليفتَح القائِمة، كانت لوحة التهديد الخاصَّة به، كان شخص ما يضربهم بليزر الاستهداف.

فَتَح شاشة التهديد ونشَّط المُستشعرات النشِطة، كانت المركبة الوحيدة التي تقع في نطاق ملايين الكيلومترات هي (رافي)، وكانت هي المركبة التي تستهدفهم، وطبقًا للسجلات التلقائية، فقد بدأ ذلك للتو قبل بضع ثوانٍ.

مدَّ يده ليُنشِّط الاتصال، وليستدعي (رافي) أثناء وميض ضوء الرسالة الوارِدة، فَتَحَ الاتصال وبعد ثانية، صدح صوت ماكبرايد وهي تقول: «توقفوا عن المناورة يا (روسينانت)، وافتَح باب غُرفة مُعادلة الضغط الخارجية، واستعد لصعودنا على متن مركبتك».

عَبَسَ هولدن، وهو ينظُر إلى وحدة التحكُّم الخاصَّة به، هل كانت تلك مزحة غريبة؟

- «أنا هولدن يا ماكبرايد، ما الأمر؟».

جاء ردُّها بنبرةٍ مُقتضبةٍ وغير مُشجِّعة: «افتح باب غُرفة مُعادلة الضغط الخارجية الخاصَّة بك، واستعد لصعودنا على متن مركبتك، وإذا رأيت نظامًا دفاعيًّا واحدًا يعمَل، فسأُسقِط مركبتك، مفهوم؟».

قال -وهو غير قادِر تمامًا على إخفاء الانزعاج الذي احتلَّ نبرة صوته-: «لا، غير مفهوم، ولن أسمَح لك بأن تصعدي على متن مركبتي، ما الذي يحدُث بحق الجحيم؟».

«لقد تلقيت أوامِر من قيادة القوَّات البحرية الفضائية الخاصَّة بالأمم المُتحِدة بالسيطرة على مركبتك، أنت مُتهَم بالتدخُّل في عمليات الأمم

المُتحدة العسكرية، وبالسيطرة على أصول الأمم المُتحدة العسكرية بشكلٍ غير قانوني، وقائِمة جرائِم أخرى لن أزعِج نفسي بقراءتها الآن، وإذا لم تستلِم على الفور، فسنضطر لإطلاق النار عليك».

قال هولدن: «عجبًا». لقد اكتشفت بحرية الأمم المُتحدة الفضائية أن صواريخهم كانت تُغيِّر مسارها، وحاولت إعادة برمجتها، فاكتشفوا أن الصواريخ لا تُطيع أوامِرهم.

وكانوا يشعرون بالاستياء.

قال هولدن بعد لحظة: «الصعود على متن المركبة لن يُجدي أي نفع يا ماكبرايد، لا يُمكِننا أن نُعيد تلك الصواريخ إليكم، وهذا غير ضروري على أي حال، إنهم يقومون بمُنحنى بسيط».

بدت ضحكة ماكبرايد أشبه بنباح كلب غاضِب يستعِد للانقضاض وهي تقول: «مُنحنى؟ لقد سلَّمت ثلاثة آلاف وخمسمائة وثلاثة وسبعين صاروخًا باليستيًّا نوويًّا حراريًّا من الصواريخ عالية القُدرة والعابرة للنجوم إلى خائِنٍ ومُتهمٍ بأنه مُجرم حرب».

استغرق الأمر هولدن دقيقةً لفهمه.

- «هل تقصدين فريد؟ أعتقِد أن كلمة خائِن قاسية بعض الشيء و...».

قاطعته ماكبرايد قائلة: «قُم بإلغاء تنشيط أجهزة الإرسال والاستقبال التي تقود صواريخنا بعيدًا عن إيروس، وقُم بإعادة تنشيط تلك الموجودة

على السطح، وإلا سنُطلِق النار على مركبتك، لديك عشر دقائِق لإطاعة الأمر».

انقطع الاتصال بصوتٍ عالٍ، نظر هولدن إلى وحدة التحكُّم بنظرةٍ تقف بين عدم التصديق والغضب، ثُم هزَّ كتفيه وضرب إنذار محطَّات المعركة، وَمَضَت أضواء الأسطُح في جميع أرجاء المركبة باللون الأحمر الغاضِب، ودوى إنذار التحذير ثلاث مرَّات، وفي أقل من دقيقتين، صعد أليكس سلم قُمرة القيادة، وبعده بنصف دقيقة، ألقت ناعومي بنفسها في محطَّة عملياتها.

تحدَّث أليكس أولًا، قال: «(رافي) على بُعد أربعمائة كيلومتر، يقول اللادار إن أنبوبها مفتوح، وإنها أغلقت أنابيبنا».

قال هولدن حريصًا على نطق كلماته بوضوحٍ تامٍّ: «لا تقوموا -أكرِّر، لا تقوموا- بفتح أنابيبنا، أو تحاولوا الحصول على قفل استهداف على (رافي) هذه المرَّة، راقِبوها عن كثب، واستعدوا للدِّفاع إذا بدا وكأنها تُطلِق النار، دعونا لا نقوم بأي شيء لاستفزازها».

قالت ناعومي من خلفه: «هل أبدأ بالتشويش؟».

قال هولدن: «لا، سيبدو ذلك عدائيًّا؛ لكن قومي بإعداد حزمة الإجراءات المُضادة، وضعي إصبعكِ على زر الاستعداد، هل أنت في غُرفة المُحرِّك يا أموس؟».

- «عُلم يا قُبطان، أنا مُستعِد للذهاب إلى هناك».
- «اجعل المُفاعِل يصِل إلى مائة في المائة، وتحكَّم في مراكِز المدافِع الدفاعية عبر وحدة التحكُّم الخاصَّة بك هناك إذا أطلقوا النار علينا من هذا النطاق، لن يتسنى لأليكس الوقت الكافي للطيران وإطلاق النار عليهم كردٍّ، وعندما ترى نُقطة حمراء

على وحدة التحكُّم في التهديد، قُم بفتح نيران المدافِع فورًا، مفهوم؟».

قال أموس: «عُلِم ويُنفَّذ».

زَفَر هولدن زفيرًا طويلًا من بين أسنانه، ثُم فَتَح قناة الاتصال مع (رافِي) مرَّة أخرى:

- «أنا هولدن يا ماكبرايد، لن نستسلِم، ولن نسمَح لكم بالصعود على متن مركبتنا، ولن نمتثِل لمطالبكم، ماذا ستكون نتائِج هذا؟».

قالت ماكبرايد: «مُفاعلك يعود للحياة يا هولدن، هل تستعدون لقتالنا؟».

- «لا، نستعِد للمحاولة، وللبقاء على قيد الحياة، لماذا؟ هل ستقاتَل؟».

ضحكت ماكبرايد ضحكة قاسية أخرى وهي تقول: «لماذا أشعُر أنك لا تأخُذ هذا الأمر على محمل الجد يا هولدن؟».

أجابها هولدن: «بل أنا آخُذه على محمل الجد بكُل تأكيد، لا أريدكِ أن تقتُليني، وصدقي أو لا تُصدقي، فلا رغبة لي في قتالكِ، تنطلِق الأسلِحة النووية في مُنحنى بسيط؛ لكن هذا ليس شيئًا نحتاج إلى رفضه بشدةٍ، لا أستطيع أن أقوم بما تُريدين، ولست مهتمًّا بقضاء الثلاثين عامًا القادِمة في سجنٍ عسكري، ولن تكسبي شيئًا من إطلاق النار علينا، وسأقاوِم إذا ما وصلت الأمور إلى هذا الحد».

أنهت ماكبرايد الاتصال.

قال أليكس: «بدأت (رافي) في المناوَرة يا قُبطان، إنها تنثُر الركام، أعتقِد أنها تستعِد للهجوم علينا».

اللعنة. كان هولدن على يقينٍ من أنه يستطيع التفاوُض معها.

- «حسنًا، اتخِذ الأوضاع الدفاعية، ابدئي إجراءاتكِ المُضادة يا ناعومي، هل أنت مُستعد للضغط على ذلك الزر يا أموس؟».

قال أموس: «أنا مُستعِد».

- «لا تضغط الزر حتى ترى صاروخًا ينطلِق، لا نُريد أن يكون لهم اليد العُليا».

ضربت دفعة من قوى التسارُع الساحِقة هولدن، لتدفعه إلى مقعده، لقد بدأ أليكس بالمناورة.

قال الطيَّار: «ربما يُمكِنني أن أتفوَّق عليها من على هذه المسافة، يُمكِنني منعها من أن تكون قادِرة على إطلاق النار».

- «قُم بذلك، وافتح الأنابيب».

قال أليكس: «عُلِم ويُنفَّذ». لم يكُن هدوء طيَّاره الاحترافي قادرًا تمامًا على إبقاء الإثارة بشأن المعركة التالية بعيدًا عن صوته.

قالت ناعومي: «لقد كسرت قفل الاستهداف، إن مصفوفة الليزر الخاصَّة بهم ليست بنفس جودة مصفوفة (روسي)، سأغرِقها في الفوضى فحسب».

أجابها هولدن: «مرحى لميزانيات الدفاع المريخية المُتضخِّمة».

انطلقت المركبة بغتةً في سلسلةٍ من المناورات الحادَّة.

قال أليكس بصوتٍ متوتِّرٍ بفعل قوى التسارُع في المُنعطفات الحادَّة: «اللعنة، لقد فتحت (رافي) مراكِز مدافعها الدفاعية لتوِّها».

فَحَصَ هولدن شاشة عرض التهديد الخاصَّة به ورأى خيوط اللؤلؤ المتوهِّجة الطويلة الخاصَّة بالطلقات القادِمة عليها، كانت الطلقات تتخلَّف وراءهم بكثيرٍ، ذكرت (روسي) أن المسافة بين المركبتين تبلُغ (٣٧٠) كيلومترًا، وهي مسافة طويلة جدًّا لتضرب أنظِمة استهداف حاسوب مركبة تناوِر بقوة ضربات باليستية على مركبة أخرى تناوِر بقوةٍ.

صرخ أموس عبر قناة الاتصال: «هل نُطلِق النار عليهم بدورنا؟».

صرخ به هولدن: «لا، كانت لتُطلِق علينا الصواريخ إذا كانت تُريدنا موتى، لا تُعطوها سببًا لتُرِدينا موتى».

قال أليكس: «إننا نتفوَّق عليها يا قُبطان، فـ (روسي) سريعة للغاية فحسب، سيكون لدينا حل لإطلاق النار في أقل من دقيقةٍ».

قال هولدن: «عُلم».

سأله أليكس: «هل أجرِّب حظي؟». كانت لكنة رُعاة البقر المريخيَّة السخيفة تتلاشى مع ازدياد توتُّره.

- «لا».

قالت ناعومي: «لقد توقَّف ليزر الاستهداف الخاص بهم».

أجابها هولدن: «وهو ما يعني أنهم تخلوا عن محاولة قطع التشويش علينا، وحوَّلوا صواريخهم لنظام تتبُّع الرادار للتو».

قالت ناعومي بأملٍ: «لن تكون بنفس الدقَّة».

- «تحمل مركبة حربية من هذا الطراز ما لا يقل عن اثني عشر صاروخًا، ولا يحتاجون لضربنا سوى بواحدٍ فقط لقتلنا، ومن هذا النطاق...».

صدر صوت لطيف من وحدة التحكُّم في التهديد الخاصَّة به؛ لتُخبره بأن (روسي) قد وجدت حلًّا لإطلاق النار على (رافي).

صاح أليكس: «لدي تناغُم، هل أطلِق النار؟».

قال هولدن: «لا! ». كان يعلَم أنهم يتلقون جرس إنذار بصوتٍ عالٍ بسبب قفل العدو داخل (رافي)، أمرهم هولدن: توقَّفوا، لا تجعلوني أقتلكم من فضلكم.

قال أليكس بصوتٍ خافتٍ: «عجبًا».

قالت ناعومي من خلف هولدن في نفس اللحظة تقريبًا: «جيم؟».

وقبل أن يسأل، جاءه صوت أليكس عبر قناة الاتصال العام: «لقد عاد إيروس للتو يا قُبطان».

قال هولدن: «ماذا؟». قفزت في رأسه صورة موجَزة للكويكِب وهو يتسلَّل مثل شرير كارتوني من خلف المركبتين الحربيتين الطوَّافتين.

قال أليكس: «أجل، إيروس لقد ظهر للتو على شاشة الرادار، لقد توقَّف عن أي ما كان يفعله لحجب أجهزة الاستشعار لدينا».

قال هولدن: «ماذا يفعل؟ أخبرني بمساره».

سحبت ناعومي معلومات التتبُّع على وحدة تحكُّمها، وبدأت بالعمل عليها؛ لكن أليكس انتهى قبل ذلك بثوانٍ قليلةٍ.

قال: «أجل، إذا ما اضطررت للتخمين، سأقول إنه يُغيِّر مساره، لا يزال ينطلِق نحو الشمس؛ لكنه ينحرِف بعيدًا عن اتجاه الأرض».

قالت ناعومي: «إذا حافظ على ذلك المسار وتلك السرعة، سأقول إنه يتجه نحو كوكب الزهرة».

قال هولدن: «عجبًا، لقد كانت تلك مُزحة».

قالت ناعومي: «مزحة جيِّدة».

- «حسنًا، ليُخبر أحدهم ماكبرايد أنه لا داعي لإطلاق النار علينا الآن».

قال أليكس -بصوتٍ غارقٍ في التفكير-: «مهلًا، طالما جعلنا هذه الصواريخ النووية تتوقَّف عن الاستماع، فلا بُد أن هذا يعني أننا لا نستطيع إغلاقهم، أليس كذلك؟ أتساءل أين سيهبط بهم فريد؟».

قال أموس: «اللعنة عليَّ إذا كُنت أعلَم؛ لكننا أخرجنا الأرض من الاحتمالات فحسب، لا بُد أن هذا سيكون مُحرجًا للغاية».

تنهَّدت ناعومي وهي تقول: «عواقِب غير مقصودة، دائمًا ما نُعاني من العواقِب غير المقصودة».

***

كان اصطدام إيروس بالزهرة هو الحدث الأكثر بثًّا وتسجيلًا في التاريخ، وبحلول الوقت الذي وَصَل فيه الكويكِب إلى الكوكب الثاني من الشمس، كانت عدَّة مئات من المركبات تُحلِّق في مداراتٍ هناك، حاولت المركبات العسكريَّة أن تُبقي المركبات المدنيَّة بعيدًا؛ لكن هذا لم يُجدِ نفعًا فقد فاقوهم عددًا فحسب، تم التقاط فيديو هبوط إيروس بواسطة الكاميرات العسكرية، وتلسكوبات المركبات المدنيَّة، والمراصِد

الموجودة على متن كوكبين وخمسة أقمار، تمنى هولدن لو كان هناك ليرى الأمر عن قُرب؛ لكن إيروس استعاد سُرعته بعد أن استدار كما لو أن صبر الكويكِب قد نفذ على أن تنتهي الرحلة الآن بعد أن أصبحت الوجهة في الأفق، جلس هو وطاقمه في مطبخ (روسينانت)، وشاهدوا الأمر في نشرة الأخبار، كان أموس قد أخرَج زجاجة أخرى من التيكيلا المُزيَّفة من مكانٍ ما وكان يصُبُّها في فناجين القهوة بحُريةٍ، جعلهم أليكس يطيرون نحو تايكو بقوة تسارُع مقدارها ثُلث (ج)، فلا داعي للعجلة الآن.

انتهى كُل شيء ما عدا الألعاب النارية.

مدَّ هولدن يده وأمسَك بيد ناعومي، وأمسكها بإحكامٍ عندما دخل الكويكِب إلى مدار كوكب الزهرة ثُم بدا وكأنه توقَّف، شعر وكأنه يشعُر بالجنس البشري بأكمله يحبِس أنفاسه، لا أحد يعرِف ما الذي سيفعله إيروس الآن باستثناء جولي، لم يتحدَّث أحد إلى ميلر بعد آخر مرَّة تحدَّث فيها هولدن إليه، ولم يكُن يجيب على جهازه اللوحي، لا أحد يعرف ما الذي حدث على متن الكويكِب على وجه اليقين.

وعندما جاءت النهاية، كانت جميلة.

تفكَّك إيروس مثل صندوق أحجية في مدارٍ حول كوكب الزهرة، انقسم الكويكب العملاق إلى عشرات القطع، وتدلى حول خط استواء الكوكب في قلادةٍ طويلةٍ. ثُم انقسمت تلك القطع إلى عشرات القطع الأخرى، ثُم عشرات القطع الأخرى بعد ذلك؛ لتنتشِر في سحابة من البذور الجُزيئية المتلألئة عبر سطح الكوكب بأكمله، وتختفي في طبقة السحب السميكة التي عادةً ما تُخفي كوكب الزهرة عن الأنظار.

قال أموس بصوتٍ وقورٍ تقريبًا: «عجبًا».

قالت ناعومي: «كان هذا رائعًا، مُقلقًا بشكلٍ غامضٍ؛ لكن رائع».

قال هولدن: «لن يبقوا هناك إلى الأبد».

تجرَّع أليكس آخر ما تبقى من التيكيلا في كوبه قبل أن يُعيد ملأه من الزجاجة.

سأله: «ما الذي يعنيه هذا يا قُبطان؟».

- «حسنًا، إنه مُجرَّد تخمين؛ لكنني أشُك أن الأشياء التي صنعت الجُزيء الأولي أرادت تخزينه هنا، لقد كان هذا جزءًا من خطَّة أكبر، لقد أنقذنا الأرض، والمريخ، والحزام، السؤال هو: ما الذي سيحدُث الآن؟».

تبادل ناعومي وأليكس النظرات، بينما زمَّ أموس شفتيه، وعلى الشاشة، تلألأ كوكب الزهرة بينما تراقصت أضواء البرق في جميع أنحائه.

قال أموس: «أنت تُزعجني بشدةٍ يا قُبطان».

خاتمة

فريد

فريدريك لوسيوس جونسون، العقيد السابق في قوّات الأرض المُسلَّحة، وجزّار محطَّة أندرسون، ومحطَّة تحوت الآن أيضًا، رئيس وزراء (أوبا) غير المُنتخب الذي واجه موته عشرات المرّات، وفقد أصدقاءه للعُنف والسياسة والخيانة، والذي تعرَّض لأربع محاولات اغتيال، لم يتم تسجيل سوى اثنتين منها فحسب في السجلات، الذي قتل مُهاجمًا يحمل مُسدَّسًا باستخدام سكين مائدة فقط وأعطى الأوامر التي أنهت حياة مئات الأفراد، وتمسَّك بقراراته، وعلى الرغم من ذلك، فقد كان التحدُّث أمام الجمهور لا يزال يجعله متوتِّرًا للغاية، لم يكُن ذلك منطقيًّا؛ لكن ها هو.

سيداتي وسادتي، نحن نقف عند مُفترق طُرق...

قالت له سكرتيرته الشخصية: «ستكون الجنرال سيباستيان في حفل الاستقبال، تذكَّر ألا تسأل عن زوجها».

- «لماذا؟ لم أقتُله، أليس كذلك؟».
- «لا يا سيدي، لقد تورَّط في علاقةٍ علنيةٍ للغاية، والجنرال حسَّاسة بعض الشيء بشأن ذلك».

- «قد تُريد مني قتله إذن».
- «يُمكِنك تقديم العرض يا سيدي».

كانت (الغُرفة الخضراء) قد اكتست باللونين الأحمر والأصفر مع أريكة جلديَّة سوداء، وجدار عاكِس، ومنضدة ترتَّبت فوقها الفراولة المزروعة في الأحواض المائية ومياه الشرب المعدنية بعنايةٍ، كانت مُديرة الأمن في سيريس، وهي امرأة ذات وجه قاتِم تُدعى شاديد، قد اصطحبته من الرصيف إلى مرافِق المؤتمرات قبل ثلاث ساعات، ومنذ ذلك الحين، كان يقطع الغُرفة ذهابًا وإيابًا -ثلاث خطوات في اتجاهٍ يستدير، وثلاث خطوات في الاتجاه المُعاكِس- مثل قُبطان مركبة قديمة يسير على مركبته.

كان مُمثلو الفصائِل المُتحارِبة في غُرفٍ خاصَّة بهم، في أماكِن أخرى من المحطَّة، مع سكرتيرات خاصَّة بهم. كان مُعظمهم يكره فريد، وهو الأمر الذي لم يكُن يُمثِّل مُشكلة على وجه التحديد، كما كان مُعظمهم يخشونه أيضًا، ليس بسبب مكانته في (أوبا) بالطبع، بل بسبب الجُزيء الأولي. ربما كان الخلاف السياسي بين الأرض والمريخ غير قابِل للإصلاح؛ حيث كانت قوّات الأرض الموالية لبروتوجين قد دبَّرت خيانة أعمق من أي اعتذار، وفُقِدت الكثير من الأرواح على كلا الجانبين حتى يبدو السلام القادِم كما كان من قبل. اعتقد الساذجون بين صفوف (أوبا) أن هذا أمر جيِّد: فُرصة للعِب أحد الكواكِب ضد الآخر، بينما كان فريد يعرِف أفضل، ما لم تتمكَّن القوى الثلاث -الأرض، والمريخ، والحِزام- من التوصُّل إلى سلامٍ حقيقي، فسيتورَّطون حقًّا في حربٍ حقيقيةٍ.

الآن، إذا اعتقدت الأرض أو المريخ فقط أن الحزام يُمثِّل شيئًا أكثر من مُجرَّد مصدر إزعاج يجب سحقه بعد إهانة عدوهم الحقيقي...ولكن في الحقيقة كانت المشاعِر المُعادية للمريخ على الأرض أكثر الآن مما كانت

عليه خلال حرب إطلاق النار، بينما لم يعُد هناك سوى أربعة أشهُر على انتخابات المريخ، ويُمكِن أن يؤدي التحوُّل الكبير في النظام السياسي المريخي إما إلى تخفيف حدَّة التوتُّرات، أو إلى جعل الأمور أسوأ بشكلٍ لا مُتناهٍ، كان على كلا الجانبين أن يرى الصورة الكبيرة. توقَّف فريد أمام المرآة مُتجهِّمًا، وضبط سُترته للمرَّة المائة.

قال: «متى تحوَّلت إلى مُستشار زواج لعين؟».

- «ما زلنا نتحدَّث عن الجنرال سيباستيان، أليس كذلك يا سيدي؟».
- «لا، انسَ أنني قُلت أي شيء، ما الذي أحتاج إلى معرفته أيضًا؟».
- «هناك احتمال أن يحاوِل المريخ الأزرق تعطيل عرضك بالمُقاطعة واللافتات، وليس بالأسلِحة، تحتجِز القُبطان شاديد العديد من الزُرق في الحجز؛ لكن ربما أفلت منها البعض».
- «حسنًا».
- «لديك مُقابلات مجدولة مع زوج من الإذاعات السياسية ضيِّقة الانتشار ومصدر إخباري في يوروبا. ومن المُرجَّح أن يسأل القائِم بإجراء المُقابلة في يوروبا عن محطَّة أندرسون».
- «حسنًا. أي شيء جديد عن كوكب الزهرة؟».

قالت سكرتيرته: «يحدُث شيء ما هناك».

- «لم يمُت إذن».
- «على ما يبدو، لا يا سيدي».

قال بمرارةٍ: «عظيم».

سيداتي وسادتي، نحن نقف عند مُفترق طُرق، فمن ناحيةٍ، هناك تهديد حقيقي بالإبادة المُتبادلة، ومن ناحيةٍ أخرى...

ومن ناحيةٍ أخرى، هناك بُعبع كوكب الزهرة الذي يستعِد للزحف من هناك ليذبحنا جميعًا أثناء نومنا، لديَّ عيِّنة حيَّة، وهي أفضل أمل لديكم، إن لم تكُن أملكم الوحيد، الأمل في التكهُّن بنواياه وقُدراته، والتي أخفيتها حتى لا تتمكَّنوا من التحايُل عليَّ لأخذها مني فحسب. هذا هو السبب الوحيد الذي يجعل أيًّا منكُم يُنصِت السمع إليَّ في المقام الأول، فماذا عن قليل من الاحترام هنا؟

دقَّ جهاز سكرتيرته اللوحي، فراجعته لفترةٍ وجيزةٍ قبل أن تقول: «إنه القُبطان هولدن يا سيدي».

- «هل عليَّ أن أستقبِله؟».
- «سيكون من الأفضل أن يشعُر بأنه جُزء من هذا الجُهد يا سيدي، لديه سجل حافل بالتصريحات الصحفيَّة للهواة».
- «حسنًا، اسمحي له بالدخول».

كانت الأسابيع التي مرَّت منذ تفكُّك محطَّة إيروس في سماء الزهرة الكثيفة جيِّدة بالنسبة لهولدن؛ لكن الغطسات طويلة الأمد في ظل قوى تسارُع عالية مثل تلك التي عانت منها (روسينانت) أثناء مُطاردة إيروس كان لها آثار طويلة الأمد، شُفيَت الأوعية الدموية المُنفجِرة في قرنية الرجل، واختفت كدمات الضغط من حول عينيه ومن مؤخِّرة عُنقه، وشى وجود القليل من التردُّد في الطريقة التي يمشي بها عن وجود آلاف في المفاصِل فحسب، والغضروف لا يزال يشُق طريقه إلى شكله الطبيعي، عندما كان فريد رجلًا مُختلفًا، كانوا يُطلِقون على ذلك: التباهي بالتسارُع.

قال هولدن: «مرحبًا، تبدو وسيمًا. هل رأيت أحدث بث قادِم من كوكب الزهرة؟ هناك أبراج كريستالية بارتفاع كيلومترين، ماذا تكون في رأيك؟».

قال فريد مُحافظًا على نبرته الوديَّة: «خطؤك؟ كان بإمكانك أن تطلُب من ميلر التوجه إلى الشمس».

قال هولدن: «أجل؛ لأن الأبراج الكريستالية بارتفاع كيلومترين تخرُج من الشمس لن تكون مُخيفة على الإطلاق، هل هذه فراولة؟».

قال فريد: «تفضَّل بعضها». لم يكُن قادرًا على تناوُل أي شيء منذ الصباح.

قال هولدن بفمٍ مليءٍ بثمرات الفاكهة: «هل سيُقاضونني بسبب ذلك حقًّا إذن؟».

- «بشكلٍ عام على التخلي عن كُل المعادِن، وحقوق التنمية الخاصَّة بكوكبٍ كاملٍ عبر قناة راديو مفتوحة؟».

قال هولدن: «أجل».

قال فريد: «أعتقِد أن الأشخاص الذين يمتلِكون هذه الحقوق بالفعل سيقاضونك على الأرجح إذا ما اكتشفوا من هُم من الأساس».

سأله هولدن: «هل يُمكِنك مُساعدتي في ذلك الشأن؟».

قال فريد: «سأكون شاهدًا على السلوك، أنا لا أصنع القانون في الواقِع».

- «ماذا تفعل هنا بالضبط إذن؟ ألا يُمكِن أن يكون هناك نوع من العفو؟ لقد استعدنا الجُزيء الأولي، وتعقَّبنا جولي ماو إلى إيروس، ودمَّرنا بروتوجين، وأنقذنا الأرض».

- «أنقذتم الأرض؟».

قال هولدن: «لقد ساعدنا في ذلك»؛ لكن الكآبة كانت لا تزال تحتل نبرات صوته. فقد كان موت ميلر لا يزال يُزعِج القُبطان، يعرف فريد كيف يبدو ذلك الشعور، أضاف هولدن: «لقد كان جُهدًا مُشتركًا».

سعلت سكرتيرة فريد الشخصية لتُنظِّف حلقها، ونظرت نحو الباب، لا بُد لهم من الذهاب قريبًا.

قال فريد: «سأبذل قصارى جهدي، فلدي الكثير من الأمور الأخرى تشغلني؛ لكنني سأبذل قصارى جهدي».

قال هولدن: «كما أنه لا يُمكِن للمريخ استعادة (روسي)، يقضي حق الإنقاذ بأنها مركبتي الآن».

- «لن يروا الأمر بهذه الطريقة؛ لكنني سأبذل قصارى جهدي».
- «لا تنفك تقول ذلك».
- «لأنه لا تنفك تكون كُل ما أستطيع فعله».

قال هولدن: «وستُخبرهم عنه، أليس كذلك؟ عن ميلر، إنه يستحِق الثناء».

- «الحزامي الذي عاد إلى إيروس بمحض إرادته الحُرّة من أجل إنقاذ الأرض؟ أنت مُحق تمامًا، سأُخبرهم بشأنه».
- «ليس الحزامي، إنه جوزيفوس ألويسوس ميلر».

توقَّف هولدن عن تناوُل الفراولة المجانيَّة، بينما عقد فريد ذراعيه.

قال فريد: «لقد كُنت تقرأ عنه».

- «أجل، حسنًا، لم أكُن أعرِفه حق المعرفة».

قال فريد: «ولم يعرِفه أي شخص آخر». خفَّف من حدَّة صوته وهو يُضيف: «أعلم أن الأمر صعب؛ لكننا لسنا بحاجةٍ إلى رجلٍ حقيقي بحياةٍ مُعقَّدةٍ، نحن بحاجةٍ إلى رمزٍ للحزام، إلى أيقونة».

قالت السكرتيرة: «نحن حقًّا بحاجةٍ للذهاب يا سيدي».

قال هولدن: «هذا ما أتى بنا إلى هناك أيقونات، رموز، أشخاص بلا أسماء، كان كُل علماء بروتوجين يُفكِّرون في الكُتلة الحيوية والسُكَّان، وليس في ماري التي تعمَل في الإمداد، وتزرع الزهور في وقت فراغها، لم يقتُلها أي منهم».

- «ألا تعتقِد أنهم فعلوا؟».
- «أعتقِد أنهم كانوا سيفعلون، فهُم مدينون لها بمعرفة اسمها، بمعرفة كُل أسمائهم، وأنت مدين لميلر بألا تورِّطه في شيءٍ ما لم يفعله».

ضَحِك فريد، لم يستطِع كبح جماح نفسه.

قال فريد: «إذا كُنت تقول إن عليَّ تعديل خطابي الذي سألقيه في مؤتمر السلام حتى لا يتمحوَر حول حزامي نبيل ضحى بنفسه لإنقاذ الأرض أيها القُبطان -إذا كُنت تقترِح أن أقول شيئًا مثل: أنه تصادَف أن لدينا شرطيًّا سابقًا انتحاريًّا في الموقِع المُناسِب بدلًا من ذلك- فأنت تتفهَّم هذه العملية أقل مما اعتقدت أنك ستفعل، تضحية ميلر مُجرَّد أداة، وسأستخدمها».

قال هولدن: «حتى لو جعلته مجهول الهوية، حتى لو جعلته شيئًا لم يكُنه أبدًا؟».

قال فريد: «خصوصًا لو جعلته شيئًا لم يكُنه من قبل، هل تتذكَّر كيف كان؟».

عَبَس هولدن، ثُم ومض شيء ما في عينيه، مُتعة، ذكرى.

قال هولدن: «لقد كان شخصًا مُزعجًا جدًّا، أليس كذلك؟».

- «يُمكِن لهذا الرجل أن يأخُذ زيارة من الرب بصُحبة ثلاثين من الملائِكة الذين يرتدون ملابس داخلية؛ ليعلنوا أن الجنس أمر لا بأس به بعد كُل شيء، ويجعل الأمر يبدو مُحبطًا بشكلٍ غامضٍ».

قال هولدن: «لقد كان رجلًا صالحًا».

قال فريد: «لم يكُن كذلك؛ لكنه قام بعمله، والآن عليَّ أن أذهب لأقوم بعملي».

قال هولدن: «نل منهم، ولا تنسَ العفو، استمر في الحديث عن العفو».

مشى فريد في الممر المُنحني، ومشت سكرتيرته خلفه مُباشرةً، كان قد تمَّ تصميم قاعة المؤتمرات لأشياء أصغر، وأكثر تفاهةً، كأن يبتعِد عُلماء الزراعة المائية عن أزواجهم وزوجاتهم ليثملوا ويتحدَّثوا عن تربية براعِم الفاصوليا، أو أن يجتمِع عُمال المناجِم لإلقاء مُحاضرة على بعضهم بعضًا حول تقليل النفايات والتخلُّص منها، أو مسابقات فرق المدرسة الثانوية، وبدلًا من ذلك تحتَّم على سجاد العمل والجدران الحجرية المصقولة أن تحمل نقطة ارتكاز التاريخ، كان خطأ هولدن أن البيئة الرثَّة المُتهالِكة المُحيطة به تُذكِّره بالمُحقِّق الميِّت، لم تفعل ذلك من قبل.

كانت الوفود جالِسة عبر الممر في مواجهة بعضهم بعضًا: الجنرالات، والمُعيَّنون السياسيون، والأمناء العامون للأرض والمريخ، القوتان العُظميان معًا بناءً على دعوته لسيريس، للحزام التي أصبحت أرضًا

مُحايِدةً لأن أيًّا من الجانبين لم يأخُذها على محمل الجد بما يكفي للقلق بشأن مطالبهم.

لقد أوصلتهم كُل الأحداث التاريخية إلى هنا، إلى تلك اللحظة، والآن، وفي غضون الدقائِق القليلة التالية، ستقتضي مُهمة فريد على تغيير هذا المسار، تخلَّص من خوفه، ابتسم، وصَعد إلى منصَّة المُتحدِّث، منصَّة المؤتمر.

المنبر.

دوى بعض التصفيق المُهذَّب، والقليل من الابتسامات، والقليل من العبوس، ابتسم فريد، لم يعُد رجلًا بعد الآن، لقد أصبح رمزًا، أيقونة، سردًا عن نفسه وعن القوى التي تلعب دورًا في النظام الشمسي.

وللحظةٍ، شعر بالإغراء، في هذا التردُّد ما بين التنفُّس والتحدُّث، تساءل جُزء منه عمَّا كان سيحدُث إذا تخلى عن أنماط التاريخ وتحدَّث عن نفسه كرجلٍ، عن جو ميلر الذي عرَفه لفترةٍ وجيزةٍ، وعن المسؤولية التي تشاركوها جميعًا لهدم تلك الصور التي كان يحملونها لبعضهم بعضًا، وللعثور على حقيقتهم كأشخاصٍ حقيقيين معيبين ومُتناقضين.

كانت هذه لتكون طريقة نبيلة للفشل.

قال: «سيداتي وسادتي، نحن نقف عند مُفترق طُرق، فمن ناحيةٍ، هناك تهديد حقيقي بالإبادة المُتبادلة، ومن ناحيةٍ أخرى...».

توقَّف ليُضفي على حديثه تأثيرًا قبل أن يُضيف: «ومن ناحيةٍ أخرى، هناك النجوم».

شُكر وتقدير

مثل تربية مُعظَم الأطفال، تطلَّب هذا الكِتاب وجود الكثير من الأشخاص ليخرُج بهذا الشكل. أود أن أُعرِب عن امتناني العميق لوكلائي: (شاونا) و(داني)، وإلى المُحررين: (دونج وون) و(دارين)، كما أن (ميليندا)، و(إيميلي)، و(تيري)، و(إيان)، و(ستيف)، و(والتر)، و(فيكتور) من مجموعة كُتَّاب النقد العام بـ (نيو مكسيكو) قد لَعِبوا دورًا أساسيًّا في تشكيل الكِتاب المُبكِّر، وكذلك (كاري) التي قرأت مسودة مُبكِّرة، كما أود أن أقدِّم شكرًا إضافيًّا لـ (إيان) الذي ساعد في بعض الأمور المُتعلِّقة بالرياضيات، والذي لم يكُن مسؤولًا عن أي من الأخطاء التي ارتكبتها في فهمها، كما أنني مدين بدينٍ ضخمٍ لـ (توم)، و(ساكي مايك)، و(نون ساكي مايك)، و(بورتر)، و(سكوت)، و(راچا)، و(چيف)، و(مارك)، و(دان)، و(چو). شكرًا يا رِفاق على القيام بالاختبار التجريبي، وأخيرًا، شكر خاص لكُتَّاب (فيوتشراما) ولـ (بيندر بيندينج رودريجيز) على رعاية الطفل أثناء كتابتي.

فصول إضافية

نبذة عن الكاتِب..

چيمس سـ. أ. كوري هو الاسم المُستعار لـ (دانيال إبراهام) كاتِب الفانتازيا، و(تاي فرانك) مُساعِد الكاتِب (چورچ ر. ر. مارتن)، وكلاهما يعيشان في (البوكريك) بـ(نيو مكسيكو).

اكتشِف المزيد عن هذه السلسلة من الرابِط التالي:

www.the-expanse.com

مُقابلة..

(صحوة لوياثان): هو الكتاب الأول من سلسلة (المُتَّسَع)، ما نوع القصة التي ترويها في هذه السلسلة؟

هناك الكثير من روايات الخيال العلمي التي تتحدَّث عن المُستقبل القريب، وهناك الكثير مما تتحدَّث عن الإمبراطوريات العظيمة المُمتدَّة في المجرَّات في المُستقبل البعيد؛ لكن ليس هناك الكثير من تلك التي تتحدَّث عن الجُزء الذي يقع بينهما، تدور أحداث سلسلة (المُتَّسَع) في تلك الفترة. ومهما كان ما يدفعنا بعيدًا عن الأرض نحو بقية النظام الشمسي، أو يدفعنا من هناك نحو النجوم، فإن المشكلات التي نواجهها هي تلك التي نجلبها معنا، ما أريد القيام به هو كتابة أوبرا فضائية قديمة الطراز تتمحور حول القصص البشرية؛ لكن بخلفيةٍ كبيرةٍ للغاية.

يبدو أن (صحوة لوياثان) هي رواية خيال علمي؛ لكنها تستعير أيضًا الكثير من الأنواع الأدبيَّة الأخرى، بما في ذلك الرعب والجريمة، هل كُنت تنوي مزج هذه الأنواع سويًّا؟ وما نوع هذا الكِتاب من وجهة نظرك؟

إنه بالتأكيد خيال علمي لمجموعة متنوِّعة من الأوبرا الفضائية قديمة الطِراز، هذه هي الرواية التي أردت سردها؛ لكن نصف الرواية كان عبارة عن قصة بوليسية، وبمُجرَّد أن شقَّ المُحقِّق ميلر طريقه إلى الرواية، أخبرني بصوتٍ عالٍ أنه شخصية تنتمي لروايات الجريمة الكلاسيكية،

كان ذلك موجودًا في صوته وفي الطريقة التي يتحدَّث بها عن الأشياء، أما بالنسبة للشعور بالرعب، فهذه هي الطريقة التي أعتنِقها، لم أكتُب أبدًا أي شيء في حياتي لم أطمس الحدود بينه وبين الرُّعب، فحتى إذا كتبت بطاقة تهنئة، فمن المُحتمل أن تحمل رعبًا بين طيَّاتها.

تتمتَّع (صحوة لوياثان) بوجود بطلين لديهما وجهتا نظر مُختلفتان تمامًا، والتي غالبًا ما تتحوَّل إلى صراعٍ، هل يُمكِنك وصفهما؟ ولماذا اخترت هذا الصراع تحديدًا؟

تعرف كيف أنهم يقولون دومًا إن الخيال العلمي مُتعلِّق بالمُستقبل الذي تكتب عنه؛ لكن الأمر يتعلَّق بالوقت الذي تكتُب فيه؟ يتمتَّع هولدن وميلر بوجهتي نظر مُختلفتين حول الاستخدام الأخلاقي للمعلومات، وهو جدال عصري للغاية، هولدن أحمق للغاية، ومثالي، رجل يواجِه الأشياء بنظرةٍ إنسانيةٍ مُتفائلةٍ للغاية، ويعتقِد أنك إذا منحت الناس كُل المعلومات، فسيفعلون الشيء الصحيح بها؛ لأن الناس بطبيعتهم صالحون، أما ميلر فساخِر وعدمي ينظُر إلى نشر المعلومات كلعبةٍ تلعبها، ليس لديه إيمان بالحُكم الأخلاقي لأي شخص آخر، يؤمن أن التحكُّم في المعلومات هو ما يجعل الناس يفعلون ما تُريد، ولا يثِق في أي شخص آخر لاتخاذ هذا القرار، لقد اخترت هاتين الشخصيتين لأن كليهما على حق، وكليهما مُخطئ، ويُمكِنني جعلهما يتحدَّثان إلى بعضهما بعضًا عن طريق وضعهما في نفس القصَّة، وهذا الخلاف المركزي موجود في خلفية كُل شيء آخر يحدُث بشكلٍ ما.

تتمتّع (صحوة لوياثان) بشعورٍ شُجاعٍ وواقعي، ما مقدار البحث الذي أجريته على الجانِب التكنولوچي للأشياء؟ وما مدى أهمية أن تكون واقعية ودقيقة بالنسبة لك؟

حسنًا، ما تسألني عنه حقًّا هو إذا ما كان هذا خيالًا علميًّا صعبًا؟ الجواب هو: لا، بكُل تأكيد. لا أملُك أي شيء سوى الاحترام للخيال العلمي القوي المكتوب جيِّدًا، وأردت أن يكون كُل شيء موجود في الكتاب معقولًا بدرجةٍ كافيةٍ بحيث لا يُعيق الطريق؛ لكن ما مدى دقَّة الرياضيات المبنيَّة؟ إنها ليست تلك الرواية، هذه رواية خيال علمي خاصَّة بالرجُل العامِل، إنها مثل فيلم (فضائي)، عندما نُقابل طاقم (نوسترومو) الذين يؤدون وظائفهم في بيئةٍ خاصةٍ بالطبقة الكادِحة، إنهم مثل سائقي الشاحنات، أليس كذلك؟ لماذا إذن توجد غُرفة على متن (نوسترومو) حيث يتسرَّب الماء من السلاسِل المُعلَّقة في السقف؟ لأنها تبدو رائِعة وتجعل العالم يبدو فوضويًّا بعض الشيء، إنها تمدُّك بالشعور المُسيطر على العالم، لم يشرَح (ريدلي سكوت) سبب وجود تلك الغُرفة، وعندما شاهَد مُعظَم الناس الفيلم، لم يخطر ببالهم أن يسألوا أبدًا ما نوع المُحرِّك الذي تستخدِمه (نوسترومو)؟ أراهِن أنه لم يخرُج أحد بعد مُشاهدة الفيلم ليطرح ذلك السؤال، أردت أن أروي قصَّة عن البشر الذين يعيشون في نظامٍ شمسي مُكتظ بالسُكَّان، أردت أن أنقل شعورًا بما سيكون عليه الأمر، ثُم أروي قصَّة عن الأشخاص الذين يعيشون هناك.

كيف يعمل مُحرِّك إبشتاين إذن؟

مُمتاز، بكفاءةٍ.

وجهت شكرًا لمجموعة كُتّاب النقد العام بـ (نيو مكسيكو)، ما مدى تأثير بيئة ورشة العمل هذه على عملك؟

حسنًا، (النقد العام) هو أكثر من مُجرَّد ورشة عمل أو مجموعة نقد، إنه أشبه بمافيا الكاتِب؛ حيث يُمكِن لشخصٍ ما في تلك المجموعة الحصول على أي شيء قد تُريده، كان (والتر جون ويليامز) الذي كَتَبَ سلسلة أوبرا الفضاء الرائعة (Dread Empire's Fall) موجودًا لتقديم نصائِح مُهِمَّة حول الكِتابة في هذا النوع، كما كَتَبَ (سـ. مـ. ستيرلينج) و(فيكتور ميلان) بعضًا من أفضل الأعمال في هذا المجال، وكان هناك الكثير من الأمور التي تعيَّن عليهما أن ينقداها، وهناك (إيان تريجيليس) عالم الفيزياء الفلكية الحقيقي الذي جعل نفسه مُتاحًا لتلقي الأسئلة التقنية، و(ميليندا سنودجراس) التي لعبت إلى حدٍّ كبيرٍ دور المُرشِد الذي يُخبرك عندما تضل طريقك بعيدًا عن حبكتك، والمجموعة بأسرها، بما في ذلك (إيميلي ماه)، و(چورج ر. ر. مارتن) الذين كانوا موجودين لقراءة مسودات الكتاب الأولى وانتقادها، وتمَّ إجراء العديد من التغييرات بناءً على نصائحهم.

لقد عملت مع (چورج ر. ر. مارتن) كثيرًا في الماضي. ما النصائِح التي قدَّمها لهذا المشروع؟

أجل، لقد أنجزت معه عددًا من المشروعات بشكلٍ أو بآخرَ، في هذه الحالة، كان في الغالِب مُشجِّعًا فقط، إنه يُحِب أوبرا الفضاء قديمة الطِراز، وتابَع تقدُّمي في هذا الكتاب باهتمامٍ بالغٍ، كما أنه كان أول من قرأ النسخة النهائية، وكان مُجامِلًا للغاية، قال في وقتٍ من الأوقات إنه كان أفضل كتاب قرأه عن الزومبي المُتقيِّء، وكان هذا لطيفًا.

كيف ترى مُستقبل سلسلة (المُتَّسع) من هنا؟

حسنًا، لقد تعاقدت مع دار النشر على كتابين آخرين على الأقل بعنواني: (حرب كاليبان) و(سماء دانديليون)، آمُل أن أستمِر في استكشاف فكرة التوسُّع البشري في النظام الشمسي وما وراءه، وموازنة التهديدات الحقيقية للغاية، التي تُشكِّلها المجرَّة ضد البشر الذين وُلِدوا في الشتات في مواجهة التهديدات التي سيجلبها نفس هؤلاء البشر معهم؛ للحصول على آخر المعلومات حول ما أقوم به وإلى أين يتجِه المشروع، يُمكِن زيارة الرابِط التالي للحصول على آخر المُستجدات:

www.the-expanse.com

مُقدِّمة

إذا كُنت قد استمتعت بقراءة (صحوة لوياثان)، فعليك بقراءة: (حرب كاليبان)، الكتاب الثاني من سلسلة (المُتَّسع)، للكاتِب: چيمس سـ. أ. كوري.

قال الجُندي هيلمان: «سنوبي بالخارِج مرَّة أخرى، أعتقِد أنه لا بُد أن قائِده غاضب منه».

رفعت رقيب المدفعية روبرتا درابر من فيلق مُشاة البحرية المريخية نسبة التكبير على شاشة عرض درعها، ونظرت في الاتجاه الذي كان هيلمان يُشير إليه، وعلى بُعد (٢٥٠٠) متر، كانت فرقة مكوَّنة من أربعة من مُشاة بحرية الأمم المُتحدة تتجوَّل حول موقعهم، بينما تُلقي قُبة الدفيئة العملاقة التي كانوا يحرسونها بأضوائها عليهم من الخلف. قُبة الدفيئة المُتطابقة من جميع النواحي تقريبًا مع القُبة التي كان فريقها يحرُسها في الوقت الحالي. كان لدى أحد مُشاة بحرية الأمم المُتحِدة الأربعة لطخات سوداء على جانبي خوذته، والتي بدت مثل أذني الكلب البيجل.

قالت بوبي: «أجل، هذا سنوبي، كان موجودًا في كُل وردية مُشارِكة حتى الآن، اليوم أتساءل عمَّا فعل».

كان القيام بخدمة حراسة الدفيئات في جانيميد يعني القيام بكُل ما في وسعك لإبقاء عقلك مشغولًا، بما في ذلك التكهُّن بحياة مُشاة البحرية الموجودين على الجانِب الآخر.

الجانِب الآخر، لم يكُن هناك أي جوانِب قبل ثمانية عشر شهرًا؛ حيث كانت جميع الكواكِب الداخلية تُمثِّل عائلة كبيرة سعيدة ومُختلَّة بعض الشيء، ثُم كان إيروس، والآن أصبحت القوّتان العُظميان تقسمان النظام الشمسي بينهما، وكان (جانيميد) هو القمر الوحيد الذي لم يكُن أي من الجانِبين على استعدادٍ للتخلي عنه، كونه يُمثِّل سلَّة خُبز نظام جوفيان.

حيث كان المكان الوحيد الذي حظيت فيه المحاصيل المزروعة داخِل القِباب بفُرصةٍ أمام حزام الإشعاع القاسي لكوكب المُشتري، نظرًا لكونه القمر الوحيد الذي يحتوي على أي غلاف مغناطيسي، وحتى على الرغم من ذلك، فلا يزال يتعيَّن حماية القِباب والمساكِن لحماية المدنيين من الثمانية ريم (وحدة الإشعاع) في اليوم الصادِرة من المُشتري نحو سطح القمر.

كان قد تمَّ تصميم درع بوبي للسماح للجُندي بالسير إلى حُفرة سبَّبتها قُنبلة نوويَّة بعد دقائِق من حدوث الانفجار، كما أنه نجح في منع المُشتري من حرق مُشاة بحرية المريخ. توهَّجت القُبة الموجودة خلف جنود دورية الأرض، بفعل شُعاعٍ من ضوء الشمس الضعيف الذي التقطته المرايا المدارية الهائِلة، كانت مُعظَم النباتات الأرضية قد ماتت بعد أن تضوَّرت جوعًا بسبب نقص أشعة الشمس، حتى في ظل وجود المرايا، يُمكِن أن يأمل عُلماء جانيميد أن تبقى فقط الإصدارات المُعدَّلة بشكلٍ كبيرٍ على قيد الحياة في ظل الضوء الهزيل الذي تُغذيها المرايا به.

قالت بوبي: «ليكُن غروب الشمس قريبًا». كانت لا تزال تُراقِب مُشاة بحرية الأرض خارِج كوخ حراستهم الصغير، وهي تعلم جيِّدًا أنهم يُراقِبونها بدورهم، فبالإضافة إلى سنوبي، تمكَّنت من رصد ذلك الذي يُطلِقون عليه اسم ستومبي؛ لأن طوله لا يُمكِن أن يزيد على متر وربع. تساءلت عن اللقب الذي يُطلِقونه عليها، ربما بيج ريد؛ حيث إن درعها كان لا يزال يحتوي على تمويه سطح المريخ، ولم تكُن قد قضت على متن جانيميد ما يكفي من الوقت ليتحوَّل إلى اللونين الرمادي والأبيض المُرقَّط.

انطفأت المرايا المدارية واحدةً تلو الأخرى على مدار خمس دقائِق، عندما مرَّ جانيميد خلف كوكب المُشتري لعدة ساعات، تغيَّر وهج الدفيئة الموجودة خلفها إلى اللون الأزرق المُشِع مع ظهور الأضواء الاصطناعية، تغيَّرت الظلال بطُرقٍ غريبةٍ وماكرةٍ في حين أن مستوى الضوء العام لم ينخفِض كثيرًا، وفي الأعلى ومضت الشمس -التي لم تكُن حتى تظهر كقُرصٍ قدر ما كانت تظهر كنجمٍ لامعٍ- أثناء مرورها خلف طرف كوكب المُشتري، وللحظةٍ، كانت مجموعة حلقات الكوكب الخافِتة ظاهرةً.

قال العريف ترافيس: «سيعودون للداخِل، سنوب يسير في المؤخِّرة، إنه رجل مسكين، هل يُمكِننا أن ننصرِف أيضًا؟».

نظرت بوبي من حولها إلى جليد جانيميد المُتسِخ عديم الشكل، كان بإمكانها أن تشعُر ببرودة القمر رغم ارتدائها لدرعها عالي التقنية.

- «لا».

تذمَّر أفراد فرقتها لكنهم اصطفوا في طابورٍ وهي تقودهم في مسيرةٍ بطيئةٍ مُنخفِضة الجاذبية حول القُبَّة، بالإضافة إلى هيلمان وترافيس، فقد كان لديها جُندي مُبتدئ يُدعى: جوراب في هذه الوردية، وعلى الرغم من أنه لم يقضِ سوى دقيقة ونصف تقريبًا ضمن صفوف مُشاة البحرية، فإنه تذمَّر بصوتٍ أعلى من صوت زميليه بلكنته المريخية العالية.

لم يكُن بإمكانها لومهم، فقد كان ذلك عملًا لا طائِل منه، مُجرَّد شيء يقوم به مُشاة بحرية المريخ في جانيميد لإبقائهم مشغولين، وإذا قرَّرت الأرض أنه بحاجةٍ إلى جانيميد بالكامِل، فلن تمنعهم أربع غمغمات تتجوَّل حول قُبة الدفيئة من القيام بذلك، إذا اندلعت الأعمال العدائية في ظل وجود عشرات من المركبات الحربية الأرضية والمريخية في مواجهة متوتِّرة في المدار، فمن المُحتَمل أن يكتشِف جنود مدفعية المُشاة القصف فقط عندما يبدأ القصف السطحي.

ارتفعت القُبَّة على يسارها إلى ما يقرُب من نصف كيلومتر: كانت عبارة عن ألواح زُجاجيَّة مُثلَّثة يفصلها عن بعضها بعضًا دعامات نحاسية لامعة حوَّلت الهيكل بأكمله إلى قفصٍ فاراداي ضخم، لم تدخُل بوبي إلى إحدى قباب الدفيئة أبدًا، فقد تمَّ إرسالها من المريخ كجُزءٍ من زيادة القوَّات من الكواكِب الخارجية، وكانت تسير في دوريات على السطح منذ يومها الأول تقريبًا، كان جانيميد بالنسبة لها عبارة عن ميناء فضائي، وقاعدة بحرية صغيرة، وحتى قاعدة الحراسة الأصغر حجمًا التي تدعوها حاليًا بالبيت.

شاهدت بوبي المناظِر الطبيعية غير اللافِتة للنظر وهُم يتجوَّلون حول القُبة، لن يتغيَّر جانيميد كثيرًا دون وقوع حدث كارثي، كان السطح مكوَّنًا في الغالِب من صخور السيليكات والجليد الأدفأ من الفضاء ببضع

درجات، بينما كان الغلاف الجوي عبارة عن أوكسجين رقيق لدرجة أنه يُمكِن اعتباره فضاء صناعيًّا، لم يتآكل جانيميد أو يتفسَّخ، يتغيَّر عندما تسقُط عليه الصخور من الفضاء، أو عندما يشُق الماء الدافئ القادِم من القلب السائِل طريقه إلى السطح ليخلِق بحيرات قصيرة الأمد، ولا يحدُث أي من الأمرين كثيرًا، كانت الرياح والغُبار يُغيِّران المنظر كُل ساعة في الوطن على سطح المريخ، أما هنا، فكان بإمكانها أن تمشي على خُطى اليوم السابِق، واليوم السابِق له، والسابِق له، وإذا لم تعُد أبدًا، فستعيش آثار الأقدام تلك أكثر منها، كانت تعتقِد بداخلها أن هذا مُخيف نوعًا ما.

بدأ صرير إيقاعي يشق طريقه بين أصوات الهسيس والصدمات الملساء المُعتادة التي يصنعها درع القوَّة الخاص بها، عادةً ما كانت تُبقي شاشة العرض المزوَّدة ببدلتها مُصغَّرة؛ لأنها كانت تزدحِم بالمعلومات لدرجة أن جُندي مُشاة البحرية كان يعرف كُل شيء باستثناء ما يقبع أمامه بالفعل. الآن، قامَت برفعها، واستخدمت الرمش وحركات العين لتصفُّح شاشة التشخيص المُناسِبة، حذَّرها مؤشِّر أصفر من أن نسبة السائِل الهيدروليكي مُنخفِضة في مُشغِّل رُكبة البدلة اليُسرى، لا بُد أن هناك تسريبًا في مكانٍ ما؛ لكنه بطيء؛ لأن البدلة لم تتمكَّن من العثور عليه.

قالت بوبي: «مهلًا يا رِفاق، انتظروا دقيقة، هل لديك أي سائِل هيدروليكي إضافي في حزمتك يا هيلي؟».

قال هيلمان وهو يُخرِجه بالفعل: «أجل».

- «قُم برشه على رُكبتي اليُسرى من فضلك».

وبينما كان هيلمان جاثمًا أمامها، ويعمل على بدلتها، بدأ جوراب وترافيس جدالًا بدا وكأنه يتعلّق بالرياضة، تجاهلت بوبي الأمر تمامًا.

قال هيلمان: «هذه البدلة قديمة، أنتِ بحاجةٍ لترقيتها حقًّا، وإلا سيحدُث هذا النوع من الأشياء في كثيرٍ من الأوقات».

قالت بوبي: «أجل، يجب أن أفعل ذلك»؛ لكن الحقيقة أن قول هذا كان أسهل من تنفيذه، فلم تملك بوبي الشكل المُناسِب لتلائِم إحدى البدلات التقليدية، ويجعلها مُشاة البحرية تُلاقي الأمرَّين في كُل مرَّة تطلُب فيها بدلة مُخصَّصة جديدة؛ حيث إن ارتفاعها يبلُغ أكثر من مترين بقليلٍ، وهو أعلى بقليلٍ من متوسِّط الطول بالنسبة للذكر المريخي؛ لكن بفضل أسلافها البولينيزيين، فقد كان وزنها يزيد على مائة كيلوجرام في جاذبية مقدارها (ج)، ولم يكُن أي من ذلك دهنًا؛ لكن كان يبدو أن عضلاتها تزداد حجمًا في كُل مرَّة تدخُل فيها إلى غُرفة الوزن؛ حيث إنها كانت تتدرَّب طوال الوقت بصفتها جُندي مُشاة بحرية.

كانت البدلة التي ترتديها الآن هي أول بدلة تُلائمها بشكلٍ جيِّدٍ خلال اثنتي عشرة سنة من الخدمة الفعليَّة، وعلى الرغم من أن علامات السن قد بدأت تظهر عليها، فإنه كان من الأسهل محاولة الاستمرار في تشغيلها بدلًا من التوسُّل والمُطالبة ببدلةٍ جديدةٍ. كان هيلمان قد بدأ يُعيد أدواته عندما عاد لاسلكي بوبي إلى الحياة: «من القاعدة الرابِعة إلى ستيكمان، أجِب يا ستيكمان».

أجابته بوبي: «عُلِم يا رقم أربعة، هنا ستيكمان واحِد، تفضَّل».

- «ستيكمان واحد، أين أنتم يا رفاق؟ لقد تأخرتم لنصف ساعة، وهناك بعض الهراء يحدُث هنا».

قالت بوبي: «آسفة يا رقم أربعة، واجهنا مُشكِلة في المُعدَّات». تساءلت عن نوع الهراء الذي يحدُث هناك؛ لكن ليس بها فيه الكفاية لتسأل عن ذلك عبر تردُّد مفتوح.

- «عودوا إلى القاعِدة على الفور، هناك من أطلق النار على قاعدة الأمم المُتحدة، ونحن في طريقنا للإغلاق».

استغرق الأمر من بوبي لحظة لتحليل ذلك، كان بإمكانها رؤية رجالها وهُم يُحدِّقون بها، ويعتلي وجوههم مزيج من الحيرة والخوف.

في النهاية سألته: «هل يُطلِق رجال الأرض النار عليكم؟».

- «ليس بعد؛ لكنهم يُطلِقون النار، عودوا إلى هنا فورًا».

وقف هيلمان على قدميه، ثنت بوبي رُكبتها مرَّة ورأت على الضوء الأخضر على شاشة التشخيص الخاصَّة بها، أومأت برأسها إلى هيلي شاكرةً، ثُم قالت: «إلى القاعِدة بالخُطى السريعة، هيا».

***

كانت بوبي وأفراد فرقتها لا يزالون على بُعد نصف كيلومتر من القاعِدة عندما انطلق الإنذار العام، ارتفعت شاشة العرض المُدمجة ببدلتها من تلقاء نفسها، وتحوَّلت إلى وضع القِتال، وبدأت حزمة المُستشعرات في العمل بحثًا عن أعمال مُعادية، ورُبطت بأحد الأقمار الصناعية للحصول على رؤية من الأعلى، شعرت بنقرةٍ بينما تحوَّل المُسدَّس المُدمَج بذراع البدلة اليُمنى إلى وضع إطلاق النار. كان ليدوي ألف إنذار إذا كان القصف المداري قد بدأ؛ لكنها لم تستطِع منع نفسها من النظر إلى السماء على أي حال، لا ومضات أو مسارات صواريخ، لا شيء سوى الجُزء الأكبر من كوكب المُشتري.

انطلقت بوبي إلى القاعدة في مسيرةٍ طويلةٍ مُتقافِزةٍ، تبعها أفراد فرقتها دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة، يُمكِن لأي شخص مُدرَّب لاستخدام بدلة زيادة القوَّة التي تعمل بجاذبيةٍ مُنخفِضةٍ أن يقطع مساحةً كبيرةً من الأرض بسُرعة، ظهرت القاعِدة في الأفق حول منحنى القُبة بعد بضع ثوانٍ، وسبب الإنذار بعد بضع ثوانٍ أخرى.

كانت قوَّات مُشاة بحرية الأمم المُتحدة تُهاجِم القاعدة المريخية، اشتعلت الحرب البارِدة التي استمرَّت لعامٍ كاملٍ، شعرت بالدهشة تنمو في مكانٍ ما خلف العادات العقلية البارِدة للتدريب والانضباط؛ حيث إنها لم تكُن تعتقِد أن هذا اليوم سيأتي حقًّا.

اصطفَّ بقية أفراد فصيلتها خارِج القاعِدة في خط إطلاق نار في مواجهة موقِع الأمم المُتحدة. دفع شخص ما (يوجيمبو) خارِج الخط، وامتدَّت الآلة القتالية التي يبلُغ ارتفاعها أربعة أمتار فوق مُشاة البحرية الآخرين، لتبدو مثل عملاق مقطوع الرأس يرتدي درع طاقة، بينما يتحرَّك مدفعها الضخم ببطءٍ وهو يتعقَّب قوات الأرض القادِمة، كان جنود الأمم المُتحدة يهرعون بأقصى سُرعة ليغطوا الـ (٢٥٠٠) متر التي تفصل بين القاعدتين.

تساءلت: لماذا لا يتحدَّث أحد؟ كان الصمت القادِم من فصيلتها مُخيفًا. وبعد ذلك، بمُجرَّد وصول أفراد فرقتها إلى خط النار، حذَّرتها بدلتها من وجود تشويش عليها. اختفت الرؤية العلوية عندما فقدت الاتصال بالقمر الصناعي، اختفت الإشارات الحيويَّة وتقارير حالة مُعدَّات أفراد فرقتها عندما انقطع الاتصال مع بدلاتهم. اختفى الصوت الخافِت لقناة الاتصالات المفتوحة تاركًا صمتًا أكثر إثارةً للقلق. استخدمت حركات يدها لوضع فريقها على الجانِب الأيمن، ثُم تقدَّمت

في الخط حتى وحدت المُلازِم جيفنز، قائِدها، رصدت بدلته في مُنتصف الخط تمامًا، يقف أسفل (يوجيمبو) تقريبًا. ركضت ووضعت خوذتها مُقابِل خوذته وصرخت قائلة: «ما الذي يحدُث بحق اللعنة أيها المُلازِم؟».

رمقها بغضبٍ وصاح قائلًا: «علمي علمك، لا يُمكِننا أن نأمُرهم بالتراجُع بفضل التشويش، كما أنهم قد تجاهلوا التحذيرات المرئيَّة، حصلت على إذن بإطلاق النار إذا أصبحوا على بُعد نصف كيلومتر من موقعنا قبل انقطاع اللاسلكي».

كان لدى بوبي بضع مئات أخرى من الأسئلة؛ لكن قوَّات الأمم المُتحدة ستتجاوَز علامة الخمسمائة متر في غضون بضع ثوانٍ، ركضت عائدةً لترسيخ الميمنة مع فرقتها، كانت بدلتها طوال الوقت تعد القوَّات القادِمة وتُميِّزهم جميعًا على أنهم قوَّات مُعادية، أبلغت البدلة عن سبعة أهداف، كان أقل من ثلث قوَّات مُشاة بحرية الأمم المُتحدة موجودين بالقُرب من قاعدتهم. هذا ليس منطقيًّا. كانت بدلتها قد رسمت خطًّا على شاشة العرض المُدمجة عند علامة الخمسمائة متر، لم تُخبِر رجالها بأنها منطِقة إطلاق نار؛ حيث إنها لم تكُن بحاجةٍ لذلك، فقد كانوا يُطلِقون النار عندما تُطلِق النيران دون الحاجة لمعرفة السبب.

عبر جنود الأمم المُتحدة علامة الكيلومتر دون أن يُطلِقوا طلقةً واحدةً، كانوا يأتون في تشكيلٍ مُبعثرٍ بوجود ستة في الأمام في خطٍّ غير متساوٍ، والسابع في المؤخِّرة مُتخلِّفًا عنهم بحوالي سبعين مترًا، حدَّدت شاشة العرض المُدمجة ببدلتها الشكل الموجود على أقصى يسار خط العدو كهدفٍ لها، واختارت الشخص الأقرب إليها بشكلٍ افتراضي، شعرت بشيءٍ ما غريب يجتاح الجُزء الخلفي من دماغها، قامَت بتجاوُز البدلة،

واختارت الهدف الموجود في المؤخِّرة وطلبت تكبيره. تمَّ تكبير الشكل الصغير فجأةً في شبكة استهدافها، شعرت بقشعريرةٍ تسري في جسدها، كبَّرت الشكل مرَّة أخرى.

لم يكُن الشخص الذي يُطارِد مُشاة بحرية الأمم المُتحدة الستة يرتدي بدلة فضائية، كما أنه لم يكُن بشريًّا بالمعنى الصحيح للكلمة، كانت بشرته مُغطَّاة بصفائِح كيتينيةٍ تُشبِه القشور السوداء الكبيرة، أما رأسه فكان عبارة عن رُعب لا حدود له، أكبر مرَّتين مما ينبغي له أن يكون ومُغطى بنموٍّ بارزٍ غريبٍ. لكن الشيء الأكثر إزعاجًا كان يديه، والتي كانت كبيرة جدًّا بالنسبة لجسده، وطويلةً جدًّا بالنسبة لعرضها، كانت نُسخة الأيدي القادِمة من كوابيس الطفولة: يد القزم الذي يختبئ تحت الفراش، أو الساحرة التي تتسلَّل عبر النافِذة، كانوا ينثنون دون أن يتشبَّثوا بأي شيء في طاقةٍ جنونيةٍ ثابتةٍ. لم تكُن قوَّات الأرض تُهاجِم؛ بل كانت تتراجَع.

صاحت بوبي دون أن توجِّه حديثها لشخصٍ بعينه: «أطلِقوا النار على الشيء الذي يُطارِدهم». لكن ذلك الشيء أمسَك بجنود الأمم المُتحدة قبل أن يعبروا خط النصف كيلومتر الذي كان من شأنه أن يجعل المريخيين يفتحون نيرانهم. همست بوبي: «اللعنة، اللعنة».

أمسَك بأحد أفراد مُشاة بحرية الأمم المُتحدة بيديه الضخمتين ومزَّقه إلى نصفين كورقةٍ. تمزَّق الدرع المصنوع من التيتانيوم والسيراميك بسهولةٍ مثل الجسد الموجود بداخله، أريقت الأجزاء التكنولوجية المكسورة والأحشاء البشرية الرطبة على الجليد بشكلٍ عشوائي، ركض الجنود الخمس الباقون بسُرعةٍ أكبر؛ لكن الوحش الذي يُطارِدهم لم يُقلِّل من سُرعته أثناء القتل.

صرخت بوبي قبل أن تفتح نيرانها: «أطلقوا النار عليه، أطلقوا النار عليه». اندمج تدريبها وتقنية بدلتها القتالية سويًّا ليحولاها إلى آلة قتل شديدة الفاعلية، وبمُجرَّد أن ضغطت بإصبعها على زناد مُسدَّس بدلتها، انطلقت سلسلة من الطلقات الخارِقة للدروع قُطرها (٢ ميليمتر) بسُرعةٍ تزيد عن ألف متر في الثانية، أطلقت عليه خمسين طلقة في أقل من ثانيةٍ، كان المخلوق هدفًا بحجم الإنسان وبطيء الحركة بشكلٍ نسبي، ويركُض في خطٍّ مُستقيمٍ، وكان بإمكان حاسوب الاستهداف الخاص بها أن يُجري تصحيحات باليستية تسمَح لها بضرب جسم بحجم الكُرة الليِّنة ويتحرَّك بسُرعةٍ تفوق سُرعة الصوت، أصابت كُل رصاصة أطلقتها الوحش. لكن هذا لم يكُن مُهِمًّا.

مرَّت الطلقات من خلاله دون أن تتباطأ قبل خروجها بشكلٍ ملحوظٍ، نَتَج عن كُل جرح خروج رذاذ من الشعيرات السوداء لتسقُط على الثلج بدلًا من الدماء، كان الأمر يُشبِه إطلاق النار على الماء، انغلقت الجروح بسُرعةٍ أكبر من تلك التي تكوَّنت بها؛ وكانت العلامة الوحيدة على إصابة ذلك الشيء هو أثر ألياف سوداء في أعقابه. قبض بعد ذلك على جُندي مُشاة بحرية آخر، وبدلًا من تمزيقه إلى أشلاءٍ مثلما فعل في سابقه، استدار وألقى بالأرضي المُدرَّع بالكامِل -والذي ربما كان يزِن أكثر من خمسمائة كيلوجرام- نحو بوبي، تتبَّعت شاشة العرض المُدمجَة بتتبُّع جُندي الأمم المُتحدة في قوسه العالي، وأبلغتها بشكلٍ مُساعِدٍ أن الوحش لم يُلقِ به باتجاهها بل عليها، في مسارٍ مُسطَّحٍ للغاية، مما يعني بسُرعةٍ.

تحرَّكت جانبًا بأقصى سُرعة سمحت لها بها بدلتها الضخمة، اصطدم جُندي مُشاة بحرية الأمم المُتحدة البائِس بهيلمان الذي كان يقِف بجوارها، ثُم ذهب كلاهما، وارتدا على الجليد بسُرعاتٍ مُميتةٍ. وبحلول الوقت الذي عادت فيه لمُراقبة الوحش، كان قد قتل جنديين آخرين من جنود مُشاة بحرية الأمم المُتحدة.

فَتَحَ خط المريخ بأكمله النار عليه بما في ذلك مدفع (يوجيمبو) الضخم، ابتعد الجُنديان الأرضيان الآخران عن بعضهما بعضًا، وركضا بزاويةٍ مُبتعدين عن الشيء، محاولين منح نُظرائهم المريخيين طريقًا مفتوحًا لإطلاق النار. تلقى المخلوق مئات؛ بل آلاف الضربات. جمَّع نفسه مرَّة أخرى أثناء انطلاقه بأقصى سُرعة، ولم يُبطئ حتى عندما انفجرت إحدى طلقات مدفع (يوجيمبو) بالقُرب منه.

عادت بوبي لتقِف على قدميها، وانضمَّت إلى وابِل إطلاق النيران؛ لكن هذا لم يُشكِّل أي فارِق. اصطدم المخلوق بصفوف المريخيين، وقتل اثنين من جنود مُشاة البحرية في لمح البصر. انزلقت (يوجيمبو) جانبًا، كانت أكثر رشاقةً مما ينبغي أن تكون عليه آلة بحجمها، اعتقدت بوبي أنه لا بُد أن سعيد هو من يقودها فقد سبق وتفاخَر بقُدرته على جعل الآلة الضخمة ترقص تانجو عندما يرغب في ذلك، لم يكُن ذلك مُهِمًّا أيضًا، وحتى قبل أن يتمكَّن سعيد من تصويب مدفع الآلة في المكان المُناسِب للحصول على طلقةٍ قريبةٍ، ركض المخلوق بجواره، وأمسك بفتحة دخول الطيَّار، ومزَّق الباب من مفصَّلاته، اختُطِف سعيد من قُمرة قيادته وألقي على بُعد ستين مترًا.

بدأ مُشاة البحرية الآخرين في التراجُع، مُستمرِّين في إطلاق النار، لم تكُن هناك طريقة لتنسيق الانسحاب دون لاسلكي، وجدت بوبي نفسها تركُض نحو القُبة مع البقية، كان الجُزء الصغير والبعيد من عقلها الذي لم يكُن مذعورًا يعرف أن زُجاج القُبة والمعدن لن يوفِّر أي نوع من أنواع الحماية في مواجهة شيء يُمكِن أن يُمزِّق رجلًا مُدرَّعًا إلى نصفين، أو يُمزِّق آلة تزن تسعة أطنان إربًا، أدرك ذلك الجُزء من عقلها عدم جدوى محاولة التغلُّب على رُعبها.

بحلول الوقت الذي وجدت فيه باب القُبة الخارجي، لم يتبقَّ معها سوى جندي واحِد آخر. جوراب، كان بإمكانها أن ترى وجهه عبر زُجاج خوذته المُدرَّعة عن قُرب، صرخ في وجهها بشيءٍ لم تستطِع سماعه، بدأت تميل إلى الأمام لتلمس خوذتها بخوذته عندما دفعها للخلف نحو الجليد، كان يدُق على مفاتيح التحكُّم في الباب بقبضةٍ معدنيةٍ محاوِلًا شق طريقه للداخِل، عندما أمسك به المخلوق ونزع خوذته عن بدلته بضربةٍ عاديةٍ. وقف جوراب للحظةٍ، ووجهه في الفضاء، عيناه تومِضان وفمه مفتوح في صرخةٍ غير مسموعةٍ؛ ثُم مزَّق المخلوق رأسه بسهولةٍ مثلما فعل مع خوذته.

استدار ونَظَر إلى بوبي التي لا تزال ساقِطة على ظهرها.

استطاعت عن قُرب أن ترى أن له عيونًا زرقاء لامِعة، زرقاء كهربائية متوهِّجة، كانتا جميلتين، رفعت بُندقيتها وضغطت على الزناد لنصف ثانية قبل أن تُدرِك أن ذخيرتها قد نفذت قبل وقت طويل، نظر المخلوق إلى بندقيتها بفضولٍ، ثُم نظر في عينيها ومال برأسه إلى أحد الجانبين.

قالت لنفسها: هذه هي، هذه هي الطريقة التي سأموت بها، ولن أعرف من الذي فعلها، أو لماذا يُمكِنها أن تتقبَّل الموت؛ لكن الموت دون الحصول على أي إجابات بدا قاسيًا بشكلٍ رهيبٍ.

تقدَّم المخلوق خطوةً في اتجاهها، ثُم توقَّف وارتجف، انبثق زوج جديد من الأطراف من وسطه وتلوى في الهواء مثل المجسَّات، بدا رأسه -الذي كان بشعًا بالفعل- مُنتفخًا، سطعت العيون الزرقاء مثل الأضواء في القباب.

ثُم انفجر في كُرةٍ من النار قذفتها بعيدًا عبر الجليد ودفعتها لتصطدِم بسلسلةٍ من التلال المُنخفِضة بقوةٍ كافيةٍ ليتصلَّب الجيل الذي يمتص الصدمات في بدلتها، ويُجمِّدها في مكانها.

استلقت على ظهرها، ووعيها يتلاشى، بدأت سماء الليل التي تعلوها في الوميض بالضوء، كانت المركبات الموجودة في المدار تُطلِق النار على بعضها بعضًا.

قالت لنفسها: توقَّفوا عن إطلاق النار، نطقت بالكلمات في الظلام: إنهم يتراجعون، توقَّفوا عن إطلاق النار، كان اللاسلكي الخاص بها لا يزال متوقِّفًا عن العمل، وبدلتها ميِّتة، لم تستطِع إخبار أي شخص بأن مُشاة بحرية الأمم المُتحدة لم يكونوا يُهاجمونهم.

أو أن شيئًا آخر هو ما كان يفعل.

سلسلة المتسع

١- صحوة لوياثان.

٢- حرب كاليبان.

٣- بوابة أبادون.

٤- احتراق سيبولا.

٥- ألعاب الأعداء.

٦- رماد بابل.

٧- نهضة برسبوليس.

٨- غضب تيامات.

٩- انهيار لوياثان.

